مجلة
آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

العدد الثالث عشر

١٣



الرئيس القائد صدام حسين

مجلـــة آداب المستنصريـــة

- بدأت بأســـم (مجلة الجامعة المستنصريـة) في السنة الدراسية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ وصدر منهـــا للاختصاصات كافة خمسة اعداد ، وكانت تصدر عن رئاسة الجامعة .
- حملت اسمها الجديد (مجلة آداب المستنصرية) في العام الدراسي ١٩٧٥ / ١٩٧٦ وكانت تصدر عن كلية الاداب ، وتم اصدار تسعة اعداد منها لحد الان .
- ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٢ / ١٩٨٣ أصبحت قطرية تنوب عن مجلات كليات الاداب فـي الجامعات العراقية استنادا الى قرار مجلس الوزراء المرقم (٥) باجتماعه الاعتيادي الثلاثيـــن فـي ١٢/ ٨/ ١٩٨٢ .
- تعمل هيئة تحرير المجلة على اصدار عددين سنويا وقد يكون معدل الاصدار اكثر من ذلك مستقبلا اذا استمرت بصفتها القطرية المعمول بها حاليا .
- هيئة تحريرها في الوقت الحاضر على النحو الآتي : -

لجنـــة المجلـــة

١- الأستاذ المساعد حميد مخلف الهيتي	عميد كلية الاداب / الجامعة المستنصرية	رئيس هيئة التحرير
٢- الدكتور احمد مطلوب	عميد كلية الآداب / جامعة بغداد	عضو
٣- الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي	عميد معهد الدراسات القومية والاشتراكية	عضو
٤- الدكتور صباح محمود محمد	عميد معهد الدراسات الآسيوية والافريقية	عضو
٥- الأستاذ عبد الوهاب الوكيل	استاذ مشارك / رئيس قسم اللغة الانكليزية / الجامعة المستنصرية	عضو
٦- الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي	استاذ / رئيس قسم اللغة العربية / الجامعة المستنصرية	عضو
٧- الدكتور عادل جاسم البياتي	استاذ / الجامعة المستنصرية	عضو
٨- الدكتور عبد الله الجبوري	استاذ مساعد / كلية الآداب / الجامعة المستنصرية	سكرتير التحرير

كلمة المجلة

يسر هيئة تحرير المجلة ، ان يصدر العدد الثالث عشر من مجلة آداب المستنصرية ، قبل الوقت المحدد لصدوره ، وفي ضوئه سوف يتسع المجال لاصدار العدد الرابع عشر ، خلال النصف الثاني من السنة الدراسية الحالية ١٩٨٥ / ١٩٨٦ .

ان حركة البحث العلمي ، تشهد في العام الدراسي الحالي نشاطا متميزا ، في ظل توجيهات السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الرفيق سمير محمد عبد الوهاب والمنهجية الجديدة للوزارة وقد اغنت هذه الحركة مصادر تغذية المجلة بالبحوث والدراسات من كليات الآداب في جامعات القطر كافة . ويحدونا أمل اكيد ان تكون الاعداد اللاحقة من المجلة ، أكثر نضجا ، وأوفر أداء ، كي تستمر في رفد الدراسات الانسانية بما تستحقه من العناية والتطوير ، وتظاهر المجلات المتخصصة في الجامعات العربية في خدمة الثقافة العربية ، والفكر القومي .

ان هذه المجلة تسعى الى الوفاء للثورة وحزبها القائد -- حزب البعث العربي الاشتراكي ، من خلال عنايتها ببحوث الدراسات الانسانية الهادفة أو المتخصصة ، وتستنير في توجهاتها العامة بفكر الرئيس القائد صدام حسين -- حفظه الله -- الذي اعتبر الجامعات مصادر اشعاع فكري للتحول من حالة متطورة الى افق أعلى من التطور في سياق خلق الصيغ الجديدة لحياة المستقبل الهادف .

في الختام نشكر السيد رئيس الجامعة الدكتور رياض حامد الدباغ كريم دعمه للمجلة وأهدافها ونشكر للسادة الزملاء الباحثين غنى عطائهم الذي يمدنا بأثمار الفكر الجديد .

والله الموفق والمعين .

محمد مظلوم الزبيدي

عميد كلية الآداب

رئيس هيئة التحرير

اللغة العربية وآدابها

المحتويات

المعجمات العربية
من مصادر الدراسات النحوية

د. احمد خطاب العمر

كلية الآداب / جامعة الموصل

تمهيد :

وضعت المعجمات العربية أولاً ، لتسجل لغة الناس التي يستعملونها في حياتهم اليومية للتعبير عن كل شأن من شؤونهم ، وعن آمالهم وخواطرهم ، وتطورت اللغة بتطور تلك الحياة ، ولهذا نجد مناهجها مختلفة تبعاً لذلك التطور زماناً ومكاناً ، فبعد أن كانت مقتصرة على شرح الغريب من الألفاظ ، والاستدلال على استعمالها كما نجد في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، نجدها قد تطورت كثيراً في معجمات أخرى وضعت في مكان آخر ، وزمان غير زمان الخليل ، كما نرى في اللسان لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، حتى صارا موسوعتين كبيرتين يشتملان على علوم كثيرة في التفسير والقراءات والنحو والصرف ، ويذكران حوادث تاريخية كثيرة ، ويوردان أسماء كثير من العلماء والمصطلحات المتضاربة في الطب والفلك وعلم الحيوان والنبات والفنون ونظم الجيوش .

وكان لعلم النحو في مناهج تلك المعجمات نصيب كبير ، لأن مجموع القواعد والأحكام التي تنظم تراكيب الكلام جاءت فيها واضحة ، لهذا نجد ابن منظور يعرفه بقوله(١) : «والاعراب الذي هو النحو إنما هو الابانة عن المعاني بالألفاظ ، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الاعراب» : فمن هنا كانت تلك القواعد والاشارات كثيرة فيه ،

(١) اللسان ٢/٧٨ .

حتى إنه كان يتوسع بالقول ، ويفصل في المسألة الواحدة ، فيستغرق ذلك فيه صفحات كثيرات ، فكان يقرن رأياً إلى رأي ، ويجيء بالعلل والحجج والشواهد والحدود النحوية والمصطلحات ويتوسع بمسائل الخلاف ، لأنه جعل تلك المظان وخاصة كتاب التهذيب وكتاب الصحاح من مصادره الأساسية ، فصار منهجه في هذا بهذا الشمول والسعة .

وان هذه المعجمات تتباين في طرقها ، وفي مناهجها في النحو ، وتوجيه المعاني على أساس منه كثرة أو قلة ، ففيها مايختصر ذلك اختصاراً كبيراً في ثنايا صفحاته ، كما نجد في التهذيب للأزهري ، والصحاح للجوهري ، ومنها مايجعلها مستقلة في آخر الكتاب كفقه اللغة للثعالبي ، وجعل ابن سيدة الأجزاء الأخيرة في الصرف ، أما الموضوعات النحوية فقد جاءت فيه خلال الاجزاء كلها ، ومنها مايتوسع فيها فيأتي في أثناء شرحه للمواد اللغوية ليبين عن معانيها ، فيأتي بالحجة والتعليل والخلاف والشاهد ليصح تأويله ، ويصل به إلى الغرض الذي يعبر عنه ذلك المعنى أو التأويل ، فترى فيها آراء النحاة المختلفة مبسوطة حسب مذاهبهم وتعليلات كل مذهب وترجيحاتهم وشواهدهم ، ويفصل القول في تلك الخلافات ، وخاصة بين البصريين والكوفيين ، ثم يذكر ترجيحاته بما يتناسب ورأيه الذي يميل إليه ، أو يصحح رأياً إرتآه غيره ، وقد وصلت تلك الآراء من الكثرة بحيث لو جمعت في كل معجم لشكلت كتباً واسعة في النحو ، كما نجد في اللسان والتاج مثلاً .

وجعلنا معجم اللسان في هذه الدراسة من أهم مصادرنا في البحث ، ثم وثقنا آراءه بما ذكر في التهذيب والصحاح لأنهما من أهم مصادره التي اعتمد عليها ومن أقدمها ، وقد استخدما القواعد النحوية والأحكام في منهجيهما كثيراً ، ولم نذكر الكتب المتأخرة كتاج العروس مثلاً ، الذي قد يكون أوسع من اللسان في ذلك ، لتأخره ، ولأن معظم الآراء فيه مبسوطة في الكتب المتقدمة ، فاللسان مصدر جيد في اغناء الدراسات النحوية بكثير من التفصيلات ، وقد يفيد في سد الثغرة التي تركها فقدان الكتب الأصول ، ويضع أمامنا أسماء الكثيرين من علماء هذا العلم التي لم ترد في الكتب الأخرى ، وربما ينبغي أن نضيفه : أن تلك المعجمات متشابهة على الأغلب في مناهجها ، فتذكر أسماء الأعلام النحاة الذين تستشهد بآرائهم ، وتذكر نماذج من المسائل الخلافية ، والمصطلحات ومعاني الأدوات والشواهد النحوية ، وستكون هذه الدراسة علامة في طريق بحوث نأمل أن تحظى لدى الدارسين باهتمام أكبر ، فتكشف عن مناهج تلك المعجمات مستقلة ، فترفد

دراستنا النحوية بمصادر جديدة تعين في تصحيح نسبة كثير من الآراء إلى قائليها ، أو تغيير حكم نقل على صيغة لم يقلها من نسبت إليه ، ومن هنا فسنبني بحثنا هذا على الكشف عن أسماء أولئك الأعلام أولاً ، ثم نكشف عن آرائهم واستعمالهم العلة والقياس فيها عند استنباط الاحكام ، لنتصور بذلك الأسس التي اعتمدت عليها في توضيح معالم المنهج النحوي فيها .

١ – المسائل الخلافية :

مما يكشف عن مناهج تلك المعجمات في النحو ، كثرة أسماء النحاة التي ترد فيها ، وخاصة أولئك المتقدمين الذين على أيديهم وضعت الخطوط الأولى لتلك العلوم ومنها النحو ، فاستقر على هيئته التي خططوا لها ، ثم تأتي الآراء التي نقلتها عنهم ، وبذلك سنعطي تصوراً كاملاً عن آرائهم خاصة وعن مناهج تلك المعجمات عامة ، فإذا ماتصفحناها نجد أسماء الكثيرين منهم هنا وهناك ، نذكر منها هنا على ماوجدناها في اللسان مرتبة حسب ذكرها فيه تقديماً وتأخيراً ، منهم الأخفش وسيبويه والزجاج والفارسي والفراء واللحياني وابن جني والخليل وأبو حاتم والكسائي وابن الأثير وقطرب وابن سيده وابن بري وابن شميل وابن كيسان وأبو العباس المبرد وثعلب وأبو الهيثم(١) وابن السراج وابن السكيت وأبو موسى الحامض والزجاجي وأبو عبيد والأصمعي وأبو الفضل(٢) والمنذري ويونس وأبو عمرو وأبو زيد والليث والجرمي وهشام والزمخشري والسيرافي وابن الأعرابي وأبو بكر المازني وأبو مالك ومحمد بن سلام وابن سلامة (٣).

ومن استعراض هذه الاسماء نلحظ أن هذه الكتب لاتعتمد مذهباً معيناً عند الاستفادة من القواعد والأحكام النحوية ، بل كانت تنقل عن البصريين والكوفيين وغيرهم (٤)،

---

(١) أبو الهيثم لعله العباس بن محمد كان كاتباً توفي سنة ٣٠٢هـ الأعلام ٤/٣٩ .

(٢) أبو الفضل لعله صالح بن احمد الهمذاني توفي سنة ٣٨٤هـ ، الأعلام ٣/٢٧٤ .

(٣) ابن سلامة لعله هبة الله بن سلامة توفي سنة ٤١٠هـ له كتاب «المسائل المنثورة في النحو» الأعلام ٨/٥١ .

(٤) ينظر التهذيب ١/٢٧٨ ، ٢/٢٨٢ ، ٢/١٨٥ ، ٥/١٩٨ ، ٦/١٣٣ ، ١١/٤٢٩ ، ١٢/١٠٥ ، واللسان ١/٤٢ ، ٤٧ ، ٨٦ ، ١١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٥٤ ، ٣٩٤ ، ٢/١١١ ، ١١٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠ ، ٣/١٢٥ ، ٣/٣٦٤ ، ١٧/٢٤٢ ، ٣٩١ .

وتنص على ذلك عندما تنقل خلافاتهم فيها ، وتنقل عللهم وحججهم وشواهدهم في المسألة الواحدة ، وسنأتي بأمثلة من تلك المسائل ليتبين القاريء أسس تلك المناهج .

(أ) في الممنوع من الصرف :

١ ـ قال ابن منظور في «سبأ»(١) من قوله تعالى : «وجئتُك من سبأ بنبأ يقين» الفراء على إجراء «سبأ» وإن لم يجره كان صواباً ، قال : ولم يجره أبو عمرو بن العلاء ، وقال الزجاج «سبأ» هي مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال ، ومن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ، ومن صرفه فلأنه اسم البلد ، فيكون مذكراً سميّ به مذكر .

٢ ـ نقل ابن منظور (٢) عن أبي منصور الأزهري قوله في «أشياء» لم يختلف النحويون في أن «أشياء» جمع «شيء» وأنها غير مجراة ، قال : واختلفوا في العلة ، فكرهت أن أحكي مقالة كل واحد منهم ، واقتصرت على ماقاله أبو إسحاق الزجاج في كتابه ، لأنه جمع أقاويلهم على اختلافها واحتج لأصوبها عنده ، وعزاه إلى الخليل فقال في قوله «لاتَسألوا عن أشياءَ» «أشياء» في موضع الخفض إلا أنها فتحت لأنها لاتنصرف قال : قال الكسائي : أشبه آخرها آخر «حمراء» ، وكثر استعمالها فلم تنصرف ، قال الزجاج : وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه ألا يصرف «أبناء وأسماء» .

(ب) في الاشتغال :

قال في قول الشاعر (٣) :

كم جربرا فما زادت تجاربهـــم أبا قدامة إلا المجد والفنعـــا

فانه مصدر مجموع (يعني تجاربهم) مُعْمَل في المفعول به ، وهو غريب ، قال ابن جني وقد يجوز أن يكون : أبا قدامة ، منصوباً بـ«زادت» أي فما زادت أبا قدامة تجاربهم إياه إلا المجد ، قال : والوجه أن ينصب بـ«تجاربهم» لأنها العامل الأقرب ، ولأنه لو أراد إعمال الاول لكان حَرِي أن يعمل الثاني أيضاً ، فيقول : فما زادت تجاربهم إياه أبا

---

(١) اللسان ١/٨٧ نقلا عن التهذيب ١٣/١٠٥ .

(٢) اللسان ١/٨٨ نقلا عن التهذيب ١١/٤٣٩ ، وفي الصحاح ١/٥٨ قال : تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها لأنها أشبهت بفعلاء .

(٣) اللسان ١/٢٥٤ .

قدامة إلا كذا ، كما تقول : ضربت فأوجعته زيداً ، ويضعف : ضربت فأوجعت زيد على إعمال الأول وذلك أنك إذا كنت تعمل الأول على بعد ، وجب إعمال الثاني أيضاً لقربه ، لأنه لا يكون الأبعد أقوى حالاً من الأقرب ، فان قلت اكتفى بمفعول العامل الأول من مفعول العامل الثاني قيل لك :فاذا كنت مكتفياً مختصراً فاكتفاؤك بإعمال الثاني الأقرب أولى من اكتفائك بإعمال الأول الأبعد ، وليس لك في هذا مالك في الفاعل لأنك تقول : لاأضمر على غير تقدم ذكر فلا مستكرهاً فتعمل الأول فنقول : قام وقعد أخواك .

(ج) في اضمار الفعل :

جاء في قوله تعالى(١) : «فَبَشَّرناها باسحاقَ ومن وراءِ اسحاقَ يعقوب»: قرىء «يعقوب» بالرفع ، وقرىء بفتح الباء ، فمن رفع ، فالمعنى : وَمن وراء اسحاق يعقوب مبشر به ، ومن فتح فان أبا زيد والأخفش زعما أنه منصوب ، وهو في موضع الخفض عطفاً على قوله : باسحاق ، والمعنى : فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، ويرى الأزهري أن هذا غير جائز عند حذاق النحويين من البصريين والكوفيين وأما أبو العباس أحمد بن يحيى فانه قال : نصب «يعقوب» باضمار فعل آخر كأنه قال : فبشرناها باسحاق ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب ، أو «يعقوب» عنده في موضع النصب لا في موضع الخفض بالفعل المضمر ، وقال الزجاج : عطف «يعقوب» على المعنى الذي في قوله : فبشرناها كأنه قال : وهبنا لها اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، أي وهبنا لها أيضاً ، وقال : وهكذا قال ابن الأنباري ، وقول الفراء قريب منه . وقول الأخفش وأبي زيد عندهم خطأ .

(د) في دخول ال على العدد :

قال الكسائي (٢) : إذا أدخلت في العدد الألف واللام فأدخلهما في العدد كله فتقول مافعلت الأحد عشر الألف الدرهم . والبصريون يدخلونها في أوله فيقولون : مافعلت الأحد عشر ألف درهم .

---

(١) التهذيب ٢٧٨/١ ، اللسان ١١٤/٢ .

(٢) التهذيب ٣٦/٤ .

(هـ) في نصب وحده :

قال الجوهري (١) : تقول رأيته وحده ، وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال .

(و) في رب :

نقل ابن منظور (٢) رأي الأزهري في التهذيب ، ورأي الجوهري في الصحاح ،ونقل عن ابن جني رأيه في «رب» فقال : قال ابن جني مرة أدخلوا «رب» على المضمر ، وهو على نهاية الاختصاص ، وجاز دخولها على المعرفة في هذا الموضع لمضارعتها النكرة بأنها أضمرت على غير تقدم ذكر ، ومن أجل ذلك احتاجت إلى التفسير بالنكرة المنصوبة نحو رجلاً وامرأة ، ولو كان هذا المضمر كسائر المضمرات لما احتاجت إلى تفسيره ، وحكى الكوفيون ربه رجلاً قد رأيت ، وربها رجلين ، وربهم رجالاً ، وربهن نساء ، فمن وحده قال : إنه كناية عن مجهول ، ومن لم يوحد قال : إنه رد كلام ، كأنه قيل له : مالك جوار ، قال : ربهن جواريَ قد ملكت ، وقال ابن السراج : النحويون كالمجمعين على أن «رب» جواب . لكن الجوهري ذكر ذلك ولكن بتفصيل مختلف نذكره هنا زيادة في التوضيح قال (٣) : و «رب» حرف خافض لايقع إلا على نكرة يشدد ويخفف وقد تدخل عليه التاء فيقال : ربت ، وتدخل عليه مايتمكن ان يتكلم بالفعل بعده ، كقوله تعالى : «رُبَما يَوَدُّ الذينَ كفَرُوا» وقد تدخل عليه الهاء فيقال : ربه رجلاً قد ضربت ، فقد أضفته إلى الهاء ، وهي مجهولة نصبت «رجلاً» على التمييز ، وهذه الهاء على لفظ واحد ، وان وليها المؤنث ، والاثنان والجمع ، فهي موحدة على كل حال . وحكى الكوفيون : رب رجلاً قد رأيت ، وربهما رجلين ، وربهم رجالا وربهن نساء ، فمن وحد قال : إنه كناية عن مجهول ومن لم يوحد قال ، إنه رد كلام ، كأنه قيل له : مالك جوار ، فقال : ربهن جواري قد ملكت .

الى غير ذلك من المسائل الخلافية الكثيرة . في المعجمات الأخرى ، التي يمكن ان تعطي تصوراً واضحاً عن ذلك المنهج ، اضافة الى أنها ستوثق المسائل الخلافية التي نقلتها

---

(١) الصحاح ٢٤٤/١ .

(٢) اللسان ٣٩٣/١ ، ٣٩٤ .

(٣) الصحاح ١٣١/١ ، ١٣٢ .

الكتب النحوية المتأخرة ، أو تصحح مانسب الى غير مذهب ، فان كتب الأصول مفقودة وكذلك كتب الخلافات ، لهذا سيظل للمعجمات أثرها في هذه المسائل - ان لم تكن من أهم المصادر المتقدمة في نقلها لها .

٢ ـ الأحكام والقواعد :

إضافة الى المسائل الخلافية التي وجدناها في المعجمات ، نرى كثيراً من الأحكام والقواعد نوردها في مواضع كثيرة ، وما تأتي به من تعليلات وتأويلات ، اذ لو تصدى الدارسون لها وجمعوها لحصلت كتب كبيرة في النحو ، تحتوي على قضايا دقيقة وموضوعات مختلفة تغطي كل ماتناوله النحو ، نذكر منها على سبيل المثال : الأعداد وخلافات البصريين والكوفيين فيها ، والمصادر ، والأفعال الناقصة ، والأفعال الجامدة والصرف وعدم الصرف ، والاضافة ، ومنصوبات الأسماء ، والمرفوعات ، وحروف الجر ومعانيها ، والتعجب وشروط صياغة فعله ، وأسماء الاستفهام ..

وكانت تذكر كثيراً منها بتفصيل واضح ، قد لانجده في كتب النحو ، اضافة الى أحكام في قضايا دقيقة نحو : بله وبيد ورويد وعند وقد وقط وعوض وبعض وويل ولدن وحروف الجواب : أجل وجير وبجل وبلى ، والظروف : الان وقبل وبعد ، وسنذكر هنا نماذج من تلك الموضوعات لندلل على توسعهم فيها .

(أ) التعجب :

ذكره ابن منظور في أكثر من موضع (١) ، فذكر صيغه الثلاث : ماأفعله ، وأفعل به ، وفعل المستعملة للتعجب ، وذكر أساليب صياغة فعله ، يستطيع أن يتتبعها الباحث فيجمعها من المعجمات ليخرج بقواعد واضحة قد لايجدها في موضع واحد من كتب النحو . فقد نقل قول سيبويه في توكيد معنى التعجب بالمصدر فقال : « فأما ماحكاه سيبويه من قول العرب : ماأغفله عنك شيئاً ، فانه فسره بقوله : أي دع الشك عنك ، وهذا غير مقنع ، قال ابن جني : ولايجوز أن يكون شيئاً ههنا منصوباً على المصدر ، حتى كأنه قال : ماأغفله عنك غفولاً ونحو ذلك ، لأن فعل التعجب قد استغنى بما حصل فيه من معنى المبالغة عن ان يؤكد با   ، قال : وأما قولهم : هو أحسن منك شيئاً ، فان «شيئاً» هنا منصوب على تقدير : بشيء ،   حذف حرف الجر أوصل به ماقبله ، وذلك أن

(١) اللسان ١/٩٨ ، ٣٩٤ ، ١٣/٣٧٨ ، ٢٠/٢٩٣ .

معنى : أفعل منه ، في المبالغة ، كمعنى : مأأفعله ، فكما لايجوز : مأأخوفه قياماً ، كذلك لم يجز : هو أقوم منه قياماً ، وقال : يقال في التعجب : طمع الرجل فلان بضم الميم ، أي صار كثير الطمع كقولك : انه لحسُن الرجل ، وكذلك التعجب في كل شيء مضموم كقولك : خرجت المرأة فلانة ، وقضُو القاضي فلان ، وكذلك التعجب في كل شيء ، الا ماقالوا في «نعم ربئس » رواية تروى عنهم غير لازمة لقياس التعجب ، جاءت الرواية فيها بالكسر ، لأن صور التعجب ثلاث : ماأحسن زيداً وأسمع به ، وكبُرت كلمة ، وقد شذ عنها «نعم وبئس» ، ونجدها تذكر شروط صياغة فعل التعجب في مواضع متعددة ، فمثلا : «شُغل» على مالم يسم فاعله ، فقد تعجبوا منه على : «ماأشغله» قال : وهذا شاذ انما يحفظ حفظاً ، يعني أن التعجب موضوع على صيغة فعل الفاعل ، ولايتعجب مما لم يسم فاعله ، وقال : يقال في التعجب : ماأولاه للمعروف ، وهو شاذ ، قال ابن بري : شذوذه كونه رباعياً ، والتعجب انما يكون من الأفعال الثلاثية .

(ب) حبذا :

لقد تناولت المعجمات هذه اللفظة بتوسع ، وذكرت خلافات النحويين فيها ، فقد ذكرت تركيبها من «حب» و «ذا» ، وقالوا أيضاً إنها كلمة واحدة ، قال ابن منظور : حبذا الأمر ، أي هو حبيب ، قال سيبويه جعلوا : «حب» مع «ذا» بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ومابعده مرفوع به ، ولزم «ذا حب» وجرى كالمثل ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في المؤنث : حبذا ، ولايقولون : حبذه ، ومن قولهم : حبذا زيد ، فحب فعل ماض لايتصرف ، وأصله : حبب ، على ماقاله الفراء ، «وذا» فاعله وهو اسم مبهم من أسماء الاشارة ، جعلا شيئاً واحداً ، فصارا بمنزلة اسم يرفع مابعده ، وموضعه رفع بالابتداء ، وزيد خبره ، ولايجوز أن يكون بدلا من ذا ، لأنك تقول : حبذا امرأة ولو كان بدلا لقلت : حبذه امرأة ، وقال ابو الحسن بن كيسان «حبذا» كلمتان جعلتا شيئاً واحداً ، ولم يغيرا في تثنية ولا جمع ولا تأنيث ، ورفع بها الاسم تقول : حبذا زيد ، وحبذا الزيدان ، وحبذا الزيدون وحبذا هند وحبذا أنت وأنتما وأنتم ، «حبذا» : يبتدأ بها ، وان قلت : زيد حبذا ، فهي جائزة وهي قبيحة ، لأن «حبذا» كلمة مدح يبتدأ بها لأنها جواب ، وانما لم تثن ولم تجمع ولم تؤنث ، لأنك انما أجريتها على ذكر شيء وسمعته فكأنك قلت : حبذا الذكر ذكر زيد ، فصار زيد موضع ذكره ، وصار ذا مشاراً اليه

(١) التهذيب ٤/٤٧٠ ، الصحاح ١/١٠٥ ، اللسان ١/٢٨٢ ، ٢٨٣ .

الى الذكر به ، والذكر مذكر و «حبذا» في الحقيقة فعل واسم ، «حب» بمنزلة : «نعم» و «ذا» فاعل بمنزلة الرجل ، وقال الأزهري : وأما «حبذا» فانه «حب ذا» فاذا وصلتِ رفعت به ، فقلت : حبذا زيد ، وحبب اليه الأمر جعله يحبه .

(ج) تقديم التمييز :

قال ابن منظور (١) : ومنه صفة علي لأبي بكر عليهما السلام حين مات : «كنت على الكافرين عذاباً صباً» ، وهو مصدر معنى الفاعل أو المفعول ، ومن كلامهم : تصبب عرقاً ، أي : تصبب عرقي ، فنقل الفعل ، فصار في اللفظ لي ، فخرج الفاعل في الأصل مميزاً ، ولايجوز تقديم الفاعل على الفعل ، كذلك لايجوز تقديم المميز اذا كان هو الفاعل في المعنى على الفعل ، هذا قول ابن جني .

(د) اضافة الشيء الى نفسه :

جاء (٢) في «بشهابٍ قبسٍ» قال الفراء : وهذا من إضافة الشيء إلى نفسه كما قالوا : حبة الخضراء ، ومسجد الجامع . يضاف الشيء إلى نفسه ، ويضاف أوائلها إلى ثوانيها وهي في المعنى ، ومنه قوله : «إن هذا لهو حقُّ اليقين» .

(هـ) الملحق بجمع المذكر السالم :

قالوا في (٣) «نصيبين» اسم بلد ، وفيه للعرب مذهبان ، منهم من يجعله اسماً واحداً ، ويلزمه الاعراب ، كما يلزم الأسماء المفردة التي لاتنصرف ، فيقول : هذه نصيبينُ ، ومررت بنصيبينَ ورأيت نصيبينَ ، ومنهم من يجريه مجرى الجمع ، فيقول : هذه نصيبون ، ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين قال : وكذلك القول في : يبرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين .

٣ ـ العلة والقياس :

واستفادت المعجمات من عنصرين هامين من العناصر التي تقعد القواعد على أساسها : وهما العلة والقياس ، وهي في هذا ككتب الأصول ، تذكر الحكم الواحد ثم تذكر العلة فيه ، والأسباب التي على أساسها يخلص إلى النتائج ، أو تتوسع في استنباط القواعد

---

(١) اللسان ٩/٢ .

(٢) التهذيب ٨٨/٦ واللسان ٤٩١/١ .

(٣) الصحاح ٢٢٥/١ واللسان ٢٥٩/٢ .

وهي أيضاً تشير إلى مايجوز القياس عليه ، وما لايجوز ، فكل مسألة يوردونها يذكرون فيها ذلك ، فيعللون لكل حكم من تلك الأحكام بما يقرّب فهم المعنى ، وايضاح القاعدة على رأي مذهب من المذاهب النحوية وهذه أمثلة من ذلك :

(أ) قال ابن منظور في (١) «فتَعساً لهم» و «بُعداً لثمودَ» وما أشبَه فهو منصوب أبداً ، لأنه لاتصح اضافته بغير لام ، لأنك لو قلت : فتعسهم أو بعدهم لم يصلح ، لكن الأزهري قال (٢) : عن أبي اسحاق في قول الله : فتعساً لهم» ، يجوز أن يكون نصباً على : أتعسهم الله .

(ب) وجاء في (٣) : «لوط» اسم ينصرف مع العجمة والتعريف ، وكذلك «نوح» قال الجوهري : وانما ألزموها الصرف لأن الاسم على ثلاثة أحرف ، أوسطه ساكن وهو على غاية الخفة .. وكذلك القياس في « هند ودعد » إلا أنهم لم يلزموا الصرف في المؤنث وخيروك به بين الصرف وتركه» .

(ج) وقال الأزهري (٤) في «جهنم» «قال يونس : هي أعجمية لاتجرى للتعريف والعجمة ، وقيل « جهنم » : اسم عربي سميت نار الآخرة به لبعد قعرها ، وانما لم تُجْرَ لثقل التعريف مع التأنيث » .

(د) وقال في (٥) « كذب عليكم» : قال أبو عبيد قال الأصمعي : معنى «كذب عليكم» معنى الاغراء ، أي عليكم به ، وكان الأصل في هذا أن يكون نصباً ، ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس .

قال : ومما يحقق ذلك أنه مرفوع قول الشاعر .

كذبت عليك لاتزال تقوفني كما قاف آثار الوسيقة قائف

فقوله : كذبت عليك إنما أغراه بنفسه ، أي عليك بي ، فجعل نفسه في موضع رفع ألا تراه قد جاء بالتاء فجعلها اسمه ..

---

(١) اللسان ٤٧٨/٣ .

(٢) التهذيب ٧٦/٢ .

(٣) الصحاح ١١٥٨/٣ ، اللسان ٧٢/٩ .

(٤) التهذيب ٥١٥/٦ ، الصحاح ١٨٩٢/٥ ، اللسان ٣٧٦/١٤ .

(٥) التهذيب ١٧١/١٠ ، الصحاح ٢١١/١ ، اللسان ٢٠٥/٢ ، ٢٠٦ .

قال ابن السكيت : تقول للرجل إذا أمرته بالشيء وأغريته : كذب عليك كذا وكذا أي عليك به ، وهي كلمة نادرة» .

(هـ) وجاء في «رقاش» (١) : أهل الحجاز يبنون «رقاش» على الكسر في كل حال، وكذلك كل اسم على «فعال» بفتح الفاء معدول عن «فاعلة» لايدخله الألف واللام ولا يجمع مثل : حذام وقطام وغلاب ، وأهل نجد يجرونه مجرى مالا ينصرف نحو : عمر ، يقولون : هذه رقاش (بضم الشين) وهو القياس ، لأنه اسم علم وليس فيه الا العدل والتأنيث .

٤ ـــ الحدود النحوية :

ومن دقيق مااهتمت به هذه المعجمات ماأوردته من الحدود النحوية لكثير من الألفاظ وما أوردته من تعريفات دقيقة لها ، وأعطت للأدوات النحوية معاني تفصيلية عند شرحها لمعاني الكلمات ، وأوردت خلافات العرب في استعمالاتها ، وأقوال الأئمة المتقدمين في الكشف عن معانيها ، سواء كان ذلك في الأسماء أم الأفعال أم الأدوات والحروف ، فهذه مصطلحات أساسية نورد تعاريفها كما وردت في تلك المعجمات : فالمجاري : قال فيها ابن منظور (٢) : إنما هي أواخر الكلم وذلك لأن حركات الاعراب والبناء إنما تكون هنالك ، قال ابن جني : سمي بذلك لأن الصوت يبتديء بالجريان في حروف الدخيل منه» والنصب (٣) : في الاعراب كالفتح في البناء إنما هو من مواضعات النحويين ، تقول منه : نصبت الحرف فانتصب» .

والحرف (٤) : الأداة التي تسمى الرابطة ، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، قال الأزهري : كل كلمة بنيت أداة عادية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف .

والفعل المستقبل (٥) : قال الأزهري : النحويون يقولون للفعل المستقبل مضارع لمشاكلته الأسماء فيما يلحقه من الاعراب ، والمضارع من الأفعال ماأشبه الأسماء وهو الفعل الآتي والحاضر ، والعامل في العربية (٦) : ماعمل عملاً ما فرفع أو نصب أو جر

(١) الصحاح ١٠٠٧/٣ ، اللسان ١٩٥/٨ .

(٢) اللسان ١٥٣/١٨ .

(٣) الصحاح ٢٢٥/١ ، اللسان ٢٢٩/٢ .

(٤) التهذيب ١٢/٥ ، اللسان ٣٨٥/١٠ .

(٥) التهذيب ٤٧١/١ ، واللسان ٩٢/٢ .

(٦) التهذيب ٥٠٤/١٣ .

كالفعل والناصب والجازم ، وكالاسماء التي من شأنها أن تعمل أيضاً وكأسماء الأفعال ، وقد عمل الشيء في الشيء أحدث فيه نوعاً من الاعراب .

وهذه نماذج من التعريفات الكثيرة التي يراها القارىء في كثير من المواضع ، ويجد الى جانبها ايضا نماذج أخرى من معاني تلك الألفاظ من الأسماء والأفعال والأدوات والحروف ، موضحة بمعاني مختصرة أو أنها تصف استعمالها أو عملها ، وتأتي بأمثلة من أقوال العرب في كيفية استعمالها ، وهذه أكثر من أن تحصى ، ونجد في آخر معظم المعجمات كثيرا من حروف المعاني والأدوات ، كالتهذيب للأزهري والصحاح للجوهري وفقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيدة واللسان لابن منظور ، يستطيع الدارس أن يستفيد منها ، اذ سيجد تفصيلا وافيا لمعانيها هناك ، (فاللامات) في التهذيب واللسان استغرقت ما يقرب من عشر صفحات (وان) في اللسان استغرقت اثنتي عشرة صفحة .

ونذكر هنا نماذج من توضيحهم لتلك المعاني ، ولتيسير التعبير عن استعمالاتهم لها فقد قال ابن منظور (١) : قال الأزهري : الحروف المبهمة التي لااشتقاق لها ، ولايعرف لها أصول مثل : الذي والذين وما ومن وما أشبهها .

ومن (٢) : اسم بمعنى (الذي) ويكون للشرط ، وهو اسم مغن عن الكلام الكثير المتناهي في البعاد والطول .

ونعم وبئس (٣) : فعلان ماضيان لايتصرفان تصرف سائر الأفعال لأنهما استعملا للحال بمعنى الماضي .

واذا (٤) : اسم يدل على زمان مستقبل ، ولم يستعمل الا مضافا الى جملة . وهو ظرف وفيه مجازاة .

وكم (٥) : اسم وهو سؤال عن عدد ، ويعمل في الخبر عمل (رب) الا ان معنى (كم) للتكثير ، وهي مغنية عن الكلام الكثير المتناهي في البعد والطول .

---

(١) اللسان ٣٢٧/١٤ .
(٢) اللسان ٣٠٨/١٧ .
(٣) الصحاح ٢٠٤٢/٥ .
(٤) اللسان ٣١٤/٢٠ .
(٥) اللسان ٤٣٣/١٥ .

ومتى (١) : قال فيه الأزهري : من حروف المعاني وله وجوه شتى هذا ملخصها : احدها أنه سؤال عن وقت فعل ، ومن العرب من يجازي به كما يجازي بأي ، ويجيء بمعنى الاستنكار ، وبمعنى وسط ، ونقل عن معاذ الهراء في هذا المعنى فقال : سمعت ابن جؤية يقول : وضعته متى كمي يريد : وسط كمي ، ويجيء حرف استفهام وبمعنى من كما قال الشاعر :

إذا أقول صحا قلبي أتيح لـه سكرٌ متى قهوة سارت الى الراس

اي من قهوة .

وحيث (٢) : ذكر الأزهري فيها : أنه قال أبو الهيثم : «حيث» : ظرف من الظروف يحتاج الى اسم وخبر ، وهي تجمع معنى ظرفين كقولك : حيث عبدالله قاعد ، وزيد قائم ، المعنى : الموضع الذي فيه عبدالله قاعد زيد قائم ، قال : وحيث من حروف المواضع لامن حروف المعاني . وقال فيها ابن منظور : كلمة تدل على المكان لأنه ظرف في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة .

واذن (٣) : حرف مكافأة وجواب ان قدمتها على الفعل المستقبل نصبت بها .

وكي (٤) : حرف من حروف المعاني ينصب الأفعال بمنزلة «أن» ومعناه العلة لوقوع الشيء .

وحتى (٥) : من حروف الجر كالى معناه الغاية كقولك : سرت اليوم حتى الليل ، أي : الى الليل ، وتدخل على الأفعال الآتية فتنصبها باضمار «أن» وتكون عاطفة ، وينفرد الجوهري بقوله فيها : «حتى» فعلى وهي حرف تكون جارة بمنزلة : «الى» في الانتهاء والغاية ، وتكون عاطفة بمنزلة : الواو ، وقد تكون حرف ابتداء يستأنف الكلام بعدها .

تتناول هذه الكتب عدداً من الموضوعات أو الحروف ، قد لانجدها مفصلة في كتب الأصول كما فصلتها المعجمات هذه فلنأخذ «ألف الالحاق» على سبيل المثال ، فقد تناولتها في أكثر من موضع ، وفي عدد من الكلمات التي ترى أنها ألف الالحاق ، وفصلت القول فيها ، وذكرت ماقال فيها الائمة المتقدمون . ووضعت الفروق بينها وبين

---

(١) التهذيب ٢٤٤/١٤ .

(٢) التهذيب ٢١٥/٥ ، الصحاح ٢٨٠/١ ، واللسان ٢٩٢/١٦ .

(٣) الصحاح ٢٠٦٩/٥ ، اللسان ١٥١/١٦ .

(٤) اللسان ١٠١/٢٠ .

(٥) التهذيب ٢٠٠/٥ ، الصحاح ٢٤٦/١ ، اللسان ٣٢٧/٢ .

الألفات الأخرى ، فمثلا قال ابن منظور في «تترى» (١) : فقد جاءت في الآية الكريمة : «ثم أرسلنا رسلنا تترى» أي متواترين ... ثم قال : ومن العرب من ينونها فيجعل ألفها للالحاق بمنزلة : «أرطى» و «معزى» : ومنهم من لايصرف يجعل ألفها للتأنيث بمنزلة ألف سكرى وغضبى . قال الفراء : وأكثر العرب على ترك تنوين «تترى» لأنها بمنزلة : «تقوى» ، ومنهم من نون فيها وجعلها ألفاً كألف الاعراب ، قال أبو العباس : من قرأ تترى، فهو مثل شكوت شكوى ، غير منونة «لأن فِعلى وفَعلى» لاينون .. ومن قرأ بالتنوين فمعناه : وتراً . الجوهري : تترى فيها لغتان : تنون ولاتنون مثل : علقى ، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث ... ومن نونها جعلها ملحقة .

وقال (٢) في قول سيبويه في «معزى» منون معروف لأن الألف للالحاق لا للتأنيث، وهو ملحق بـ «درهم» على «فعلل» لأن الألف الملحقة تجري مجرى ماهو من نفس الكلم ، ونقل عن ابن سيدة قوله : إن ألف «كيصى» (وهو اللئيم) يحتمل أن تكون للالحاق ويحتمل أن تكون التي هي عوض من التنوين في النصب ، وقال في «الأرطى (٣)» : قال الجوهري : ألفه للإلحاق أو بني الاسم عليها وليست للتأنيث ، لأن الواحدة : أرطاة .. فان جعلت ألفه أصلية نونته في المعرفة والنكرة جميعاً ، وان جعلته للالحاق نونته في النكرة دون المعرفة ، قال ابن بَرِّي : إذا جعلت ألف «أرطى» أصلياً ، أعني لام الكلمة كان وزنها : «أفعل» ، و «أفعل» إذا كان اسماً لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة» .

وفي «علقى (٤)» : بعضهم يجعل ألفها للتأنيث وبعضهم يجعلها للالحاق وتنون قال الشاعر:

فحطّ في علقىً وفي مكـــور بين تواري الشمس والذّرور..

وقال : ولم ينونه رؤبة، واحدته «علقاة»، قال ابن جني : الألف في «علقاة» ليست للتأنيث لمجيء هاء التأنيث بعدها ، وانما هي للالحاق ببناء : «جعفر وسلهب» فاذا حذفوا الهاء من «علقاة» قالوا : علقى غير منون ، لأنها لو كانت للالحاق لنونت كما تنون «أرطىً»

---

(١) اللسان ١٣٨/٧ .

(٢) اللسان ٢٧٨/٧ .

(٣) اللسان ١٢٣/٩ .

(٤) اللسان ١٣٦/١٢ .

ألا ترى أن من ألحق الهاء في علقاة اعتقد فيها أن الألف للالحاق ولغير التأنيث ، فاذا نزع الهاء صار إلى لغة من اعتقد أن الألف للتأنيث فلم ينونها كما لم ينونها ، ووافقهم بعد نزعه الهاء من «علقاة» على مايذهبون اليه من أن ألف «علقى» للتأنيث. وقال الجوهري(١) في «القبعثرى» : القبعثرى : العظيم الشديد والألف ليست للتأنيث ، وانما زيدت لتلحق بنات الخمسة ببنات الستة ، لأنك تقول : قبعثراة ، فلو كانت الألف للتأنيث لما لحقه تأنيث آخر ، فهذا وما أشبهه لاينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة ، وينقل ابن منظور: انما هي ألف أخرى فقال : قال بعض النحويين الف «قبعثرى» قسم ثالث من الألفات الزوائد في آخر الكلم ، لا للتأنيث ولا للالحاق ، والقول بقول المبرد : والألف ليست للتأنيث وانما زيد لتحلق بنات الخمسة ببنات الستة ، لأنك تقول : قبعثراة فلو كانت الألف للتأنيث لما لحقه تأنيث آخر ، فهذا وما أشبهه لاينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة .

٥ — المصطلحات النحوية :

وتأتي المصطلحات النحوية دليلا آخر على المنهج النحوي الواسع في المعجمات . إذ جاءت غنية في أنواعها واستعمالاتها في كثير من المواضع ، تذكرها خلال عرضها للمسائل الخلافية وخلال القواعد والاحكام والتعليلات، لهذا جاءت متنوعة ، فنجد المصطلحات البصرية وكذلك الكوفية في مواضع متفرقة من المعجم ، لأنها كما قلنا تستشهد بالآراء الفردية للنحاة ، ولأن الاعلام الذين أوردت أسماءهم كثيرة ، ويمثلون المذاهب النحوية المعروفة لهذا جاءت بهذه الكثرة ويكفي قول الأزهري (٢) دليلا على ذلك فقد قال : الصفات هي الظروف ، فالخليل يسميها : ظروفاً والكسائي : المحال ، والفراء : الصفات وابن منظور يكثر من ذلك فنرى قوله مثلا (٣) : «والكوفيون يسمون الفعل المتعدي واقعاً ، ويسمى المجاوز أيضاً. و «الفصل عند البصريين بمنزلة العماد عند الكوفيين» (٤) وهذا الازهري يعدد المفعولات فيقول (٥) : والمفعولات على وجوه في باب النحو ،

---

(١) الصحاح ٧٨٥/٢ ، اللسان ٣٧٨/٦ .
(٢) التهذيب ٣٧٣/١٤ .
(٣) اللسان ٢٩٠/١٠ .
(٤) اللسان ٣٨/١٢ .
(٥) التهذيب ٤٠٥/٢ وينظر اللسان ٤٤/١٤ .

فمفعول به ومفعول له ومفعول من أجله ، ومفعول فيه على وجهين ، احدهما في الحال ، والآخر في الظروف ، ومفعول عليه ، ومفعول بلا صلة وهو المصدر .

وقد أحصينا عدداً كبيراً من المصطلحات التي أوردها ابن منظور في اللسان في مواضع متعددة نذكر منها هنا مصطلحات الكوفيين والبصريين أولا ، ثم نذكر مصطلحات مفردة أخرى :

(أ) مصطلحات الكوفيين والبصريين :

التمييز والتفسير ، والمفعول له والمفعول لأجله ، والمصروف وغير المصروف ، والصرف ومنع الصرف ، والاجراء وترك الاجراء ، والشرط والمجازاة ، وحروف الجر وحروف الخفض ، وحروف العطف والنسق ، ولام الملك و لام الاضافة ، والجحد والنفي ، والضمائر والكنايات ، والصفة والنعت ، والصفات والظروف والمحال .

(ب) مصطلحات مفردة :

النداء ، والمضاف ، والتحضيض ، والاستفهام ، والمبتدأ ، والخبر والحال ، والمصدر ، وما لم يسم فاعله ، والظروف المختصة ، وغير المختصة ، والصلة والموصول ، والنكرة ، وضمير الغائب ، والنصب على الذم والدعاء ، والاشارة ، واضمار الفعل المتروك اظهاره ، والعطف ، والظرف المبهم ، والتشبيه بالمفعول ، وحرف الشرط ، واسماء الافعال ، وضمير الشأن ، والاستثناء المنقطع ، وحروف الصفات ، والبدل ولام التبرئة ، والاغراء ، والمميز ، والاختصاص ، والخفض على الجوار ، والمسند والمسند اليه ، ولام التعقيب ، والتكرير والمردود .

٦ ـ الشواهد النحوية :

تختلف المعجمات عن بعضها في استخدامها الشواهد النحوية ، سواء كانت من القرآن الكريم ، أم من الحديث النبوي الشريف أم من الشعر العربي أم من أقوال العرب ، وتختلف أيضاً في طريقتها في استخدامها وتوجيهها ، وان كان معظم ما استشهدت به من السهل المفهوم الذي لايصعب فهمه لأنه كان يهدف لغة الناس ، وهي مفهومة واضحة غير معقدة ، في المراحل الأولى لوضع المعجم العربي ، ولكن بعد أن بعد الناس عن عصر الفصاحة ، وتعقدت حياتهم صاروا لايفهمون ما يراد من التعبير وصاروا يحتاجون الى

زيادة التوضيح والتبيين، فاذا ما نظرنا في المعجمات الأولى نجد شواهدها قليلة معروفة، بينما نراها في لسان العرب مثلا أو تاج العروس كثيرة منوعة، وقد يأتون بأقوال أخرى يتمثلون بها، ليوضحوا ما عسر فهمه، ولما كان النحو ركناً رئيساً في تلك المعجمات للاستفادة منه في توضيح المعاني واستخدام القاعدة في ذلك، صارت تستخدم كل ما يتعلق بالنحو من مصطلح أو خلاف أو شاهد فكانت كثيرة ومتعددة فيها، وابن منظور خاصة كان يستخدم ما جاء في المظان التي اعتمد عليها من تلك الشواهد، فاجتمع فيه كثير من الشواهد، وهو يمثل كثيراً من المعجمات في مناهجها وهذه أمثلة على ذلك مع اختصار طريقة استخدام الشاهد أو توجيهه :

(أ) الآيات القرآنية :

جاءت الآيات القرآنية الشريفة في المعجمات كثيرة، فانها كانت تذكر الآية، ثم تذكر تأويلاتها، وما فيها من معان، وقد تتطرق الى مافيها من قراءات ولكن ليس مفصلا، فمثلا قال ابن منظور (١) في قوله تعالى : «على الذي أحسن» والقراءة: «على الذي أحسن» بفتح النون، ويجوز : أحسن، على اضمار الذي هو أحسن، وأجاز الفراء : أن يكون «أحسن» في موضع خفض، وان يكون من صفة «الذي»، وهو خطأ عند البصريين لأنهم لايعرفون «الذي» الا موصولة، ولا توصف الا بعد تمام صفتها فهذه واحدة من القراءات التي تذكرها المعجمات، فانها لاتريد أن تتوسع فيها الا ما يفيد في توجيهها الوجهة التي يراها النحاة لتفيد في توجيهه المعاني، واذا ماستشهدت بالآيات لتوضيح قاعدة أو استنباط حكم نراها تكثر من ذلك، لهذا نرى الآيات الكريمة مستشهداً بها في كثير من المواضع، نذكر من ذلك :

١ — قال ابن منظور في قوله (٢) تعالى : «تلك نعمه» كأنه قال : يقال هذا استفهام كأنه قال : «أو تلك نعمة تمنها علي» ثم فسر فقال : ان عبدت بني اسرائيل، فجعله بدلا من النعمة، قال أبو العباس : وهذا غلط لايجوز أن يكون الاستفهام ملقى وهو يطلب، فيكون الاستفهام كالخبر، وقد استقبح رمحه «أم»، وهي دليل على الاستفهام استقبحوا قول امرىء القيس :

تروح من الحي أم تبتكر

قال بعضهم : أتروح من الحي ام تبتكر، فحذف الاستفهام أولى.

(١) اللسان ٣٣٥/١٤.
(٢) اللسان ٢٦١/٤.

٢ ــ وقال في قوله (١) : «هذا مالدي عتيد» في رفعها ثلاثة أوجه عند النحويين : أحدها أنه على اضمار التكرير ، كأنه قال : هذا مالدي هذا عتيد ، ويجوز ان ترفعــه على انه خبر بعد خبر ، كما تقول : هذا حلو حامض ، فيكون المعنى : هذا شيء لدي عتيد ، ويجوز أن يكون باضمار «هو» كأنه قال : هذا مالدي هو عتيد ، يعني : ماكتبه عمله حاضر عندي

٣ ــ وقال في : (٢) «وهذا بعلي شيخاً» قال الزجاج : نصب «شيخاً» على الحال والحال ههنا نصبها من غامض النحو ، وذلك إذا قلت : هذا زيد قائماً ، فان كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنه زيد ، لم يجز أن تقول : هذا زيد قائماً ، لأنه يكون زيد مادام قائماً ، فاذا زال عن القيام فليس بزيد ، وانما تقول للذي يعرف زيداً: هذا زيد قائماً ، فتعمل في الحال ... ومن قرأ : «هذا بعلي شيخ» ففيه وجوه : أحدها التكرير كأنك قلت : هذا بعلي هذا شيخ ، ويجوز أن يجعل «شيخ» مبنياً من هذا ، ويجوز أن يجعل : «بعلي وشيخ» خبراً من غيره «هذا» فترفعهما جميعاً لهذا ، كما تقول هذا حلو حامض .

(ب) الأحاديث الشريفة :

ويأتي الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف للأحكام النحوية في المعجمات معززاً استنباط حكم أو تقعيد قاعدة ، تبعاً للتعليل والتأويل ، نذكر أمثلة من ذلك :

١ ــ قال ابن منظور (٣) في حديث علي (رض) : «أتاه قوم فاستأمروه في قتل عثمان» (رض) فنهاهم وقال : ان تفعلوه فبيضاً فليفرضنه «أراد : ان تقتلوه تهيجوا فتنة يتولى منها شيء كثير . قال : قال ابن الاثير : ونصب «بيضاً» بفعل مضمر ، دل الفعل المذكور عليه ، تقديره : فليفرضن بيضاً فليفرضنه ، كما تقول : زيداً اضرب ضربت ، أي ضربت زيداً . فحذف الاول ، والا فلا وجه لصحته بدون هذا التقدير، لان الفاء الثانية لابد لها من معطوف عليه ، ولا تكون لجواب الشرط لكون الاولى كذلك.

٢ ــ وقال في (٤) : «من فاتته صلاة العصر فكأ نما وتر أهله وماله »ويروى بنصب الأهل ورفعه ، فمن نصب جعله مفعولا ثانياً لـ «وتر» وأضمر فيها مفعولا لم يسم فاعله

---

(١) اللسان ٢٦٩/٤ .
(٢) اللسان ٦١/١٣ .
(٣) اللسان ١١/٤ .
(٤) اللسان ١٣٦/٧ .

عائداً الى الذي فاتته الصلاة ، ومن رفع لم يضمر ، وأقام الأهل» مقام مالـم يسم فاعله لأنهم المصابون المأخوذون ، فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ، ومن رده الى «الاهل» «والمال» رفعهما .

٣ — وقال في (١) (كل ماأنهر الدم فكلْ ليس السنّ والظفر) معناه : إلا السن والظفر ، وليس من حروف الاستثناء كـ (إلا) والعرب تستثني بـ (ليس) فتقول : قام القوم ليس أخاك ، وليس أخويك وقام النساء ليسي هنداً ، وقام القوم ليسي ، وليس إياي . وانشد :

قد ذهب القوم الكرام ليسي

وقال آخر :

وأصبح ما فـــــي الأرض منـــي ثقيـــة

لناظره ليس العظـــام العواليـــا

قال ابن سيده : وليس من حروف الاستثناء ، تقول : أتى القوم ليس زيداً ، أي ليس الآتي لايكون الا مضمراً فيها .

٤ — وقال في(٢): «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل» قال ابن الاثير : أي ونعمت الفعلة والخصلة هي . فحذف المخصوص أو الفعلة يعني ، الوضوء ينال الفضل ، وقيل هو راجع الى السنة أي فبالسنة أخذ ، فأضمر ذلك .

(ج) الشعر :

واستشهادها بالشعر كثير ، وأسلوبها في ذلك كأسلوب كتب النحو ، اذ أن أحكامها وقواعدها مستنبطة من الشعر الفصيح ، من عصر الاستشهاد ، أو قد تتمثل بأبيات أخرى من غير ذلك العصر فتوثق رأيا أو تعليلا ، ولم تكن المعجمات لتقتصر على مذهب دون مذهب أو رأي عالم من علمائها لهذا كانت تأتي بشواهد البصريين أو بشواهد الكوفيين أو غيرهم ، مع تعليلاتهم وحججهم وسنأتي بنماذج منها :

١ — نقل ابن منظور (٣) عن أبي زيد قوله : «شتان» منصوب على كل حال ، لانه ليس له واحد ، قال رؤبة :

---

(١) اللسان ٩٥/٨ .

(٢) اللسان ٦٦/١٦ .

(٣) اللسان ٣٥٤/٢ .

شتـــان بينهمـــا في كـــل منـــزلـة   هذا يخاف وهذا يرتجى ابداً

فرفع «البين» لأن المعنى وقع له ، قال : ومن العرب من ينصب «بينهما» في مثل هذا الموضع ، فيقول : شتان بينهما ، ويضمر «ما» كأنه يقول : شت الذي بينهما ، كقوله «لقد تقطع بينهما» قال أبو بكر : شتان أخوك وأبوك ، وشتان ما أخوك وأبوك ، وشتان مابين أخيك وأبيك ، فمن قال : شتان ، رفع الاخ والأب ، ونسق الأب على الاخ ، وفتح النون من «شتان» لاجتماع الساكنين وشبههما بالادوات ، ومن قال : شتان ما أخوك وأبوك ، رفع الأخ بـ «شتان» ونسق «الأب» عليه ، ودخل «ما» صلة ، ويجوز على هذا الوجه : «شتان» بكسر النون ، على أنه تثنية «شتت» ومن قال : شتان مابين أخيك وابيك ، رفع «ما» بـ «شتان» على أنها بمعنى . الذي ، ومن صلة «ما» والمعنى : شتان الذي بين أخيك وأبيك ، ولا يجوز في هذا الوجه كسر النون . لأنها رفعت اسماً واحداً .

٢ ــ قال ابن منظور (١) : الصوت مذكر وقد أنث في قوله : سائل بني أسد ما هذه الصوت : وتأنيث المذكر قبيح ، لأنه خروج عن أصل الى فرع ، وانما المستجاز من ذلك رد التأنيث الى التذكير ، لأن التذكير هو الاصل ، بدلالة أن الشيء مذكر ، وهو يقع على المذكر والمؤنث ، فعلم بهذا أن عموم التذكير أنه هو الأصل الذي لاينكر ، ونظير هذا من الشذوذ قوله ، وهو من أبيات الكتاب :

إذا بعـــــض السنيـــن تعـــــرفتنـــا
كفى الأيتـــــام فقـــد أبي الوليد

قال : وهذا أسهل من تأنيث الصوت ، لأن «بعض» السنين وهي مؤنثة ، وهي من لفظ السنين .

وقال في (٢) :

ومنا الذي اختيـــر الـــرجال سماحـــة
وجوداً اذا هـــب الريـــاح الزعازع

أراد من الرجال ، لأن «اختار» مما يتعدى الى مفعولين بحذف حرف الجر ، تقول : اخترته من الرجال ، واخترته الرجال ، وفي التنزيل : «واختار موسى قومه سبعين رجلا

(١) اللسان ٣٦١/٢ .
(٢) اللسان ٣٤٩/٥ .

لميقاتنا » وليس هذا بمطرد ، قال الفراء : التفسير أنه اختار منهم سبعين رجلا ، وانما استجازوا وقوع الفعل عليهم اذا طرحت «من » لأنه مأخوذ من قولك : هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فلما جاوزت الاضافة مكان «من» ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا : أخترتكم رجلا ، واخترت منكم رجلا . وأنشد :

تحت التي اختار له الله الشجر

يريد : اختار له الله من الشجر ، وقال أبو العباس : إنما جاز لأن الاختيار يدل على التبعيض ، ولذلك حذفت « من »

٤ — وقال في (١) .

يا أقرع ابن حابس يا أقرع

إنك ان تصرع أخوك يصرع

وانما رفع « تصرع » وحقه الجزم على إضمار الفاء ، كما قال عبدالرحمن بن حسان :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

والشر بالشر عند الله مثلان

أي : فالله يشكرها ، ويكون مابعد الفاء كلاماً مبتدأ ، وكان سيبويه يقول : هو على تقديم الخبر كأنه قال : إنك تصرع إن يصرع أخوك ، وأما البيت الثاني فلا يختلفون أنه مرفوع باضمار الفاء .

(ﻫ) لغات العرب :

واستكمالا للتعرف على المنهج النحوي في المعجمات ، نستقري لغات العرب في الكلمات أو استعمالاتها فهي تذكرها في مواضع كثيرة ، بما يتعلق بالقاعدة النحوية. فقد قال ابن منظور في « رقاش» (٢) أهل الحجاز يبنون « رقاش» على الكسر في كل حال ، وكذلك في كل اسم على «فعال» بفتح الفاء معدول عن « فاعلة » لايدخل الألف واللام ، ولايجمع مثل : حذامِ وقطامِ وغلابِ ، وأهل نجد يجرونه مجرى مالا ينصرف نحو : « عمر» ، يقولون : هذه رقاش ، بالرفع وهو القياس ، لأنه اسم علم، وليس فيه الا العدل والتأنيث » .

(١) اللسان ١٣/٤٩ .

(٢) اللسان ٨/١٩٥ ، ١٥/٣٩١ .

وفي قوله (١) : «سحقاً وبعداً ، نصبوه على اضمار الفعل غير المستعمل اظهساره ... ولغة أهل الحجاز : بعد له وسحق له يجعلونه اسماً ، والنصب على الدعاء عليه يريدون به : أبعده الله ، وأسحقه سحقاً وبعداً .

وقال في قوله تعالى (٢) : «هلم شهداءكم» هلم في لغة أهل الحجاز يكون الواحد ، والاثنين والجمع والذكر والانثى بلفظ واحد، وأما في لغة بني تميم وأهل نجد فانهم يجرونه مجرى قولك : رد ، يقولون للواحد : هلم كقولك : رد ، وللاثنين : هلما كقولك : ردا ، وللجمع هلموا كقولك : ردوا ، وللانثى : هلمي ، كقولك : ردي وللثنتين كالاثنين ، ولجماعة النساء : هلمن ، كقولك : اردن ، والأول أفصح .

خاتمة :

وبعد فهذه دراسة مختصرة تشير الى المنهج النحوي في المعجمات العربية التي اخترناها لدراستنا ، ندعو من خلالها الى الاستفادة منها لتسد الفراغ الذي خلفته كتب أصول النحو المفقودة،وان كان «لسان العرب» أكثر مااستفدنا منه فيها فانه يمثل الكتب المتقدمة عليه أو قل هو جامع معظم الآراء المتقدمة ولكننا وثقنا تلك الاراء بالرجوع الى المصادر الأساسية التي اعتمد عليها : التهذيب والصحاح ، لتكون نماذج يستفاد من الاشارات التي وضحناها خلال الدراسة فتلقي الضوء على عمق القضايا النحوية التي أوردتها تلك المعجمات ، وقد صورنا للقارىء الخطوط العامة في المنهج ، فذكرنا أسماء الأعلام الذين نقلت عنهم ، وذكرنا آراءهم وتعليلاتهم وحججهم والمسائل الخلافية ونماذج من الحدود النحوية ، ومعاني الأدوات والحروف ، والمصطلحات والشواهد النحوية فالمعجمات مصادر أساسية يمكن أن يدرس النحو من خلالها ، ولو تصدى الدارسون لكل معجم منها فيوضحون منهاجه ، لشاركوا في الكشف عن قضايا جديدة ، وييسروا سبل فهم غامض قواعده ، فالأوائل قد وضعوه سهلا ميسوراً ، لأنهم وضعوه ليخدموا تركيب الكلام ، ولكن الذين ربطوه بالتعليلات الفلسفية عقدوه ، فعافه الدارسون المحدثون من بعدهم ، ولو عدنا به الى الغاية التي وضع من أجلها ، وهي خدمة القرآن الكريم وصون تركيب الكلام لخلصناه مما أثقله ، ودراسته من خلال القواعد التي أتت في المعجمات طريقة تسهل ربطه بتركيب الكلام .

---

(١) اللسان ١٩/١٢ .
(٢) اللسان ١٠١/١٦ .

المصادر

١ – تهذيب اللغة، الازهري، تحقيق عبد السلام هارون واخرون ، مصر .

٢ – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري تحقيق، احمد عبد الغفور مصر ١٣٧٥هـ .

٣ – اللسان – ابن منظور، طبعة بولاق ، مصر .

رواية الشعر العباسي وتدوينه

الدكتور : احمد جاسم النجدي
كلية الاداب / جامعة البصرة

المقدمة

قبل عدة سنوات خلت بدأت مشروعا لكتابة بحث عن مصادر الشعر العباسي بعد ان لاحظت ندرة الدراسات حول هذا الموضوع . وبعد ان قطعت شوطا كبيرا في جمع مادة هذا الموضوع تكونت لدي مادة لكتابة بعض اجزائه في حين لم تكتمل مادة اجزائه الاخرى . ورأيت ان سعة الموضوع قد تطيل امد اخراجه بشكل كامل سنوات اخرى قد لاتسمح الظروف لي بها ، ولهذا اثرت ان انجز ماكملت مادته من اجزاء الموضوع وانشره بحثا مستقلا واستمر في جمع مادة الاجزاء الأخرى منه ، فكان من حسن الحظ أن يكون اول هذه الموضوعات المكتملة اولها تسلسلا في دراسة مصادر الشعر العباسي، وهو موضوع الرواية والتدوين .

تناولت هذا الموضوع بالشكل الذي املته طبيعة المادة المتجمعة لدي ، وهو شكل قد يخالف مااستقر في اذهان كثير من الدارسين حول موضوع الرواية ، ذلك ان الحديث في هذا الموضوع بالنسبة إلى الشعر العباسي يختلف عنه قياسا إلى شعر العصور التي سبقته، فاذا كانت رواية شعر العصر الأموي وعصر ماقبل الأسلام مقتصرة على البيئات العلمية والعلماء الرواة ، فان الأمر بالنسبة إلى الشعر العباسي يتجاوز هذا كثيرا كما سنرى خلال هذا البحث ، اذ شارك في روايته اصناف عديدة كما كانت مجالات روايته عديدة متنوعة ايضاً . ومن هنا تضمن هذا البحث ثلاثة اقسام رئيسة ، اولها مجالات الرواية وبيئاتها، وثانيهما اصناف الرواة وعملهم ، وثالثهما المشكلات المرافقة لعملية الرواية .

وقد اثرنا الحديث ابتداء عن مجالس الرواية وبيئاتها قبل الحديث عن الرواة واصنافهم وقبل الحديث عما رافق عملية الرواية من مشكلات ، ومدى ماتركته هذه المشكلات من أثر في الشعر العباسي ، ذلك ان هذه المجالس والبيئات من الأمور المتميزة في رواية الشعر العباسي ، كما سيتضح هذا خلال الموضوع ، وكان لكل بيئة منها طابعها الخاص وصفتها الخاصة بها ، وهي صفات اثرت بشكل واضح على سير عملية الرواية وما افرزته من مدونات ومشكلات رافقتها ، ولهذا كله ابتدأنا بالمجالس ليكون في عملنا هذا توضيح كامل — فيما نحسب — للصورة التي نود أن نقدمها إلى القراء في هذا الموضوع .

والحقبة الزمنية التي يدور هذا البحث خلالها تشمل الحقبة الأولى للشعر العباسي الممتدة من بدء تدوين شعر الشعراء العباسيين المحدثين وروايته والمنتهية بنهاية القرن الثالث الهجري وهذه الحقبة — فيما نرى — تمثل حقبة متميزة مستقلة لانها شهدت بداية حركة الرواية والتدوين ونضجها ، ومن ثم فهي تؤدي بعد هذا إلى رصد ماأصاب هذه الحركة من تطور في الحقب التي تليها مما يمكن ان يكون موضوع بحث لاحق لنا او لغيرنا من الباحثين. ويضاف إلى هذا ان تتبع مثل هذه الحركة بالنسبة إلى الشعر العباسي في حقبه المختلفة امر صعب المنال، واسع المجال ، وقد يتشعب فيه الحديث بشكل لايتناسب وما نطمح اليه من تقديم صورة محددة المعالم لهذا الموضوع .

واخيراً نأمل ان نكون قد قدمنا في هذا البحث مايفيد وما يضيف جديدا إلى دراساتنا الأدبية ، كما نأمل من القراء والباحثين الذين يجدون فيه خللا او زللاً لايمكن ان يخلو منهما بحث ان يغتفروا لنا هذا ويقدموا الينا ملاحظاتهم التي تساعد مستقبلا على اخراجه بالشكل الذي نطمح اليه .

(١)

مجالات الرواية وبيئاتها

مجالس الشعراء :

يستطيع المتتبع لاخبار الشعراء العباسيين ان يميز بيئات ثلاثا كانت تعقد فيها مجالسهم وتدور فيها اناشيدهم وتعليقاتهم وكل مايصحب حركة الرواية من امور أخرى تعد من لوازمها.

واول هذه البيئات واكثرها اهمية هي مجالسهم في المساجد ، اذ تشير المصادر القديمة الى ان الشعراء كانوا يجتمعون بشكل مستمر منتظم في المساجد ، وكانت هنالك قبة خاصة بهم في بعض هذه المساجد . فقد ذكر ابو الفرج الاصفهاني ان الشعراء ، «كانوا يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون » (١) ، ونص الخطيب البغدادي على وجود قبة خاصة بهم في هذا المسجد سميت بقبة الشعراء (٢) واورد في موضع آخر من كتابه نقلا عن بعض الرواة قولا للشاعر العباسي علي بن الجهم يفيد بأن اجتماع الشعراء في هذه القبة كان في يوم معين من كل اسبوع ، أذ يقول «كان الشعراء يجتمعون كل جمعة في القبة المعروفة بهم من جامع المدينة فيتناشدون الشعر ويعرض كل واحد منهم على اصحابه مااحدث من القول بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها ، فبينما انا في جمعة من تلك الجمع ودعبل وابو الشيص وابن ابي فنن والناس يستمعون انشاد بعضنا بعضا ابصرت شابا في اخريات الناس ... فلما قطعنا الانشاد قال لنا : قد سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي . قلنا : هات ، فانشدنا .. فقلنا : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لمن انشدكموه . قلنا : ومن تكون ؟ قال : حبيب بن آوس الطائي .. (٣) .

والذي يهمنا في هذا النص جملة امور تمثل الميزات الخاصة بمجالس الشعراء المعقودة في المساجد . اما اولها ، فهو ان هذه المجالس كانت تواكب نصوص الشعر العباسي في مراحل نظمه المختلفة كافة ، اذ يطرح فيها كل مايجد لدى الشعراء العباسيين من نصوص

---

(١) الاغاني ١٧٩/٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٢٧/١٣ ، وقد ورد فيه ما يفيد بان هذه القبة كانت في جانب من المسجد ، اذ ذكر الخطيب ما نصه : «جاء بشر بن الحارث يوم الجمعة يدخل المسجد فطرده البوابون — ظنوه سائلا — فقعد في قبة الشعراء يبكي» .

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٩/٨ — ٢٥٠ ، وينظر ٩٥/١٢ — ٩٦ . وذكر ياقوت اجتماع الشعراء في مسجد الكوفة أيضاً . ينظر : معجم الادباء ٢٢٧/٥ ، ٢٣٩ .

وقصائد . واما ثانيهما فهو ان جمهور هذه المجالس عام متنوع يشمل جميع اصناف المثقفين وغيرهم ، اذ كانت مثل هذه المجالس مجالس مفتوحة — ان صح التعبير— لانها تعقد في مكان عام هو المسجد ، مما يجعلها مختلفة عما سواها من المجالس الأخرى ذات الصبغة الخاصة مما سنعرض له بعد قليل . واما ثالثها فهو ان هذه المجالس كانت تضم مختلف اصناف الشعراء مشهورهم ومغمورهم ، ويبدو ان الشعراء الشباب والمبتدئين كانوا يتوجهون اليها ابتداء طمعا في الأتصال بالشعراء المشهورين الذين يؤمونها مما يهيء لهم فرصة التلمذة والانشاد والشهرة فيما بعد .

وبسبب من تنوع جمهور هذه المجالس وتنوع اصناف الشعراء فيها وتعدد ما يلقى فيها من نصوص لم تكن الرواية فيها مقتصرة على الالقاء والانشاد ، بل كان هنالك تدوين للشعر الذي يلقى في هذه المجالس بغية نقله إلى الاخرين ، ونجد النص على مثل هذا الصنيع واضحا في قول لاحد الكتاب العباسيين يذكر فيه ان احد الشعراء العباسيين ذكر ابياتا في معنى اعجبه فعمد إلى تدوينه (١) وكان مثل هذا التدوين فيما يبدو عادة متبعة لدى جمهور هذه المجالس بحيث ان من كان يعدم ادوات التدوين احيانا كان يردد ما يعجبه من ابيات على نفسه لحفظها ، (٢) كما جرت عادة بعض الشعراء العباسيين على املاء شعرهم في المساجد اذ يذكر عن الناشيء الشاعر انه كان يملي شعره في المسجد الجامع بالكوفة ، (٣) ولكل هذا وذاك نرى ان هذه البيئة كانت من اخصب البيئات التي شهدت رواية الشعر العباسي وتدوينه سواء اكان هذا من حيث كمية الشعر العباسي الذي كان يطرح فيها ام من حيث توفر وسائل عديدة متنوعة لنشر هذا الشعر وذيوعه تتمثل فيمن كان يؤم هذه المجالس من اصناف عديدة من الناس عموماً والادباء خصوصاً.

وبيئة ثانية كانت خاصة بالشعراء مما يمكن ان يدرج ضمن مجالس الشعراء هذه ، وهذه البيئة هي المجالس الخاصة بالشعراء ، ونعني بها تلك المجالس التي كانت تعقد في دور الشعراء ومنازلهم أو في اماكن أخرى يكثر تردد الشعراء عليها ويكون جمهورها خاصاً بالشعراء ورواتهم ومن اليهم من الادباء والعلماء الذين كانوا يهتمون برواية الشعر العباسي وتدوينه .

---

(١) معجم الادباء ٢٢٧/٥ .
(٢) تاريخ بغداد ٩٥/١٢ — ٩٦ .
(٣) معجم الادباء ٢٣٩/٥ .

ومثل هذه البيئة لم تكن عامة كالبيئة السابقة التي تمثلت بمجالس الشعراء في المساجد، فجمهورها لم يكن يتعدى الشعراء ومن اليهم مما ذكرنا قبل قليل . وصور الرواية فيها عديدة الا انها لاتبلغ من الاهمية — سواء في الانشاد ام في وفرة مايروى فيها مبلغ ما لاحظناه في النوع السابق . فقد يقصد الادباء شاعراً مشهوراً في منزله ليستمعوا الى ما احدثه من قصائد أو يعلقوا عنه ماينشده من اشعار ، من مثل مانلاحظه في ذلك الخبر المذكور في معجم الادباء من ان خلفا الاحمر قصد منزل بشار بن برد فوجد جماعة كانت تجلس اليه ، فانشدهم بعد حين شعراً له في حادثة معينة (١) . وقد لايتعدى مايدور في هذه المجالس بعض الانشادات والمجاذبات بين الشعراء ، كأن يلقي أحدهم شعراً فيجيبه الاخرون معقبين متتبعين لما القاه من مثل مايذكره صاحب الورقة في معرض حديثه عن «عنان» جارية الناطقي ، أذ يذكر انها كانت «تجلس للشعراء ويجتمعون اليها فيلقي عليها كل رجل منهم الابيات الغريبة والمعاني النادرة فتجيبه بديها » (٢)

ومن الواضح ان صور الرواية في مثل هذه المجالس لاتقتصر على مثل هذا النوع من الانشاد والمجاوبات ، بل كانت تستدعي هذا الشعر وتعليقه سواء اكان هذا من قبل الشعراء ام من قبل رواتهم وتلامذتهم الذين يصاحبونهم ، ونجد الاشارات الى مثل هذا التدوين الذي كان يصاحب انشادات الشعراء في كثير من كتب الادب والتراجم ، من مثل مانجده في كتاب الامالي من ان ابا العيناء قال «انشدنا ابن ابي فنن في مجلس علي بن الجهم فكتبت لي» (٣)

وواضح أيضاً ان التعليقات النقدية كانت تصاحب هذا الانشاد والتدوين . اذ من الطبيعي ان يعجب بعض الحضور بما يسمعونه فيعربون عن اعجابهم هذا ، أو يتذكروا شعراً قريباً منه من حيث المحتوى فيشيروا الى هذا ، أو انهم يلاحظون ملاحظات تفصيلية تتعلق ببعض الفاظ الشعر وتراكيبه مما لايجدونه سائغا او مقبولا . وكل هذا وذاك نجده مبثوثاً في كثير من المصادر القديمة التي ترد فيها اخبار الشعراء ومجالسهم الخاصة هذه ، مما يشير الى ان مثل هذه التعليقات النقدية كانت تدون ايضاً اضافة الى تدوين الشعر . والاشارات الى مثل هذه التعليقات المصاحبة لانشاد الشعر وروايته كثيرة ، من مثل مانجده في كتاب الامالي من ان ابا العتاهية حينما سمع بيتاً لابي نواس قال : «لو نطقت الدنيا لما

(١) معجم الادباء ١٨٠/٤ .

(٢) الورقة ٤٢ .

(٣) الامالي ٧٠/١ وينظر : معجم الادباء ٢٧٣/١ — ٢٧٤ .

وصفت نفسها بفوق هذا الوصف » (١) وما يذكره صاحب الامالي ايضا عن مجلس استحسن فيه قول للبحتري فرد اخرون بانه مأخوذ من ابي تمام ، (٢) وما نجده في ذلك الخبر الذي يرويه الزجاجي عن مجلس ضم العتابي ومنصورا النمري فعلق فيه النمري على قصيدة للعتابي مبيناً بعض الاخطاء فيها (٣) ومايروى عن المبرد من انه قال : «تلاحن مسلم بن الوليد وابو نواس فقال مسلم : ما اعلم لك بيتا يخلو من سقط . فقال ابو نواس اذكر شيئا من ذلك قال : بل انشد انت اي بيت شئت ، فانشده ... فقال مسلم : قف عند هذا» (٤) .

والذي يهمنا من كل هذا الذي عرضناه في مجالس الشعراء الخاصة هذه ومايدور فيها انها لم تكن بيئة او مجالا خصبا للرواية كما ذكرنا قبل قليل ، فالذي كان يدور فيها لم يكن يتناول كمية كافية او نصوصاً مطولة من الشعر العباسي ، ذلك ان طبيعة هذه المجالس يغلب عليها اللهو والمرح احياناً والتعليقات الحادة على بعض الاشعار التي تنشد فيها احياناً اخر ، ومن ثم كانت الاشعار التي تنشد فيها لاتتعدى ذلك النمط من الانشادات الملائمة لطبيعة الموضوع او المجلس الذي يضمهم ، وقد مرت بنا قبل قليل الاشارة الى صور من محاوبات الشعراء في بعض مجالسهم ، او تعليقاتهم النقدية التي كانت تستوجب قطع الأنشاد احياناً والوقوف عند هذا البيت او ذاك مما يرون فيه خروجاً على المألوف ، ومن هنا وعلى الرغم من اهمية هذا النوع من مجالس الشعراء نرى ان نصيب الرواية فيها ضئيل قياسا الى نصيبها في النوع الاول .

وبيئة ثالثة كانت تشهد اجتماع الشعراء واناشيدهم هي دكاكين الوراقين . ومن المعروف ان هذه البيئة كانت مجمعا للشعراء والادباء والعلماء في تلك العصور ، الا ان طبيعتها — فيما نحسب — لاتتيح لها من مجال الرواية ماتتيحه البيئتان السابقتان اذ ان ماكان يعقد فيها من مجالس لم يكن يحمل طابع الاستمرارية والمجالس الطويلة كما هو عليه الحال في البيئتين السابقتين وانما كانت فيما يبدو — لاتتعدى مرور الشعراء والعلماء وجلوسهم الى هذا الدكان او ذاك واستماع بعض ماينشد وتدوينه ومن الطريف في هذا المجال ان بعض الشعراء العباسيين كانوا يدونون اشعارهم احيانا على بعض الكراريس

---

(١) ذيل الامالي ٩٣ ، وينظر ايضاً : زهر الآداب ٧٠٩ — ٧١٠ .

(٢) ذيل الامالي ٩٤ ، وينظر ايضاً : اخبار ابي تمام ٦٣ — ٦٤ .

(٣) مجالس العلماء ٢٣ .

والكتب التي تمتليء بها مثل هذه الدكاكين فيقرأها شاعر اخر ويدون بعدها ماكـــان في موضوعها من اشعار ، كما نلاحظ هـذا في ذلك الخبر الذي يذكره ابن المعتز عن ابي العتاهية وابي نواس (١) .

ويبدو ان عادة الانشاد والتدوين في مثل هذه الدكاكين ظلت متبعة خلال تلك العصور وماتلاها ، اذ ينقل عن الصنوبري قوله : كان بالرها وراق يقال له سعد وكان في دكانه مجلس كل اديب ، وكان حسن الادب والفهم ... وما كنا نفارق دكانه انا وابوبكـر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر ، وكان لتاجر بالرها .. ابـن اسمه عيسى .. يجلس الينا ويكتب عنا اشعارنا (٢) .

ومهما تتبعنا اخبار هذه المجالس المعقودة في دكاكين الوراقين لانجد غير هذا النمط من الانشاد والتدوين ، مما يجعل هذه البيئة قليلة الاهمية في مجال رواية الشعر العباسي ويجعل مجالس الشعراء في المساجد اهم بيئة من البيئات الخاصة بالشعراء التي اسهمت في روايـة الشعر العباسي .

مجالس العلماء :

ونعني بها تلك المجالس التي كان يعقدها علماء الادب واللغة ومن اليهم ممن كانت مجالسهم مقصداً للادباء وطلبة العلم على حد سواء .

وصور الرواية في هذه المجالس عديدة متنوعة وتكتسب في بعض الاحيان سمة مـن سمات هؤلاء العلماء من تدقيق وتوثيق ونقد وما شابه هذا من امور يمليها الطابع العلمي لهؤلاء العلماء ويعكسها على مجالسهم وما يدور فيها .

كان الشعراء العباسيون ينشدون اشعارهم في هذه المجالس كما كانوا ينشدون اشعاراً لغيرهم من الشعراء العباسيين ، واخبار مثل هذا الانشاد في مجالس العلماء كثيرة جدا من مثل مايذكره الخطيب البغدادي عن احد الرواة من قوله : «انشدنا ابو بكر المخزومي في مجلس ابي العباس يعني ثعلباً » (٣) ومايذكر عن المبرد من ان الشاعر العباسي «الحمدوي» انشدهم في طيلسان ابن حرب عشر مقطعات ثم جعلها خمسين فيما بعد (٤) .

(١) طبقات الشعراء ٢٠٧ .
(٢) معجم الادباء ٢/٢٣ – ٢٤ ، وينظر ٥/١٥٧ – ١٥٨ .
(٣) تاريخ بغداد ١/٦٠ .
(٤) زهر الآداب ٥٩١ ، وينظر : وفيات الاعيان ٢/٢٣٣ – ٢٣٤ .

ومن الطبيعي ان يرافق انشاد تدوينه في هذه المجالس ، فقد ذكر الصولي مانصه : «وانشدنا المبرد يوما ابياتا ولم يسم شاعرها وقال : لا اعرف في وصف أصحاب المعارف احسن منها وهي .. فكتبوها ولم اكتبها فقال لي : لم لاتكتبها ؟ فقلت : انا احفظ القصيدة ، فقال لي : لمن هي ؟ فقلت : لاشجع السلمي » (١) .

وقد استدعى هذا من العلماء احياناً ان يقوموا باملاء مالديهم من اشعار عباسية على الحاضرين في مجالسهم . فقد ذكر القالي ان ابا سعيد السكري املى ابياتاً لابي العتاهية يقولها في بعض اخوانه (٢) كما ذكر الآمدي ان المبرد كان على شدة حبه للبحتري وتفضيله اياه لايملي شعره لان البحتري كان مايزال حياً في زمانه (٣) ، مما يشير الى ان الاملاء كان عادة متبعة في مجالس العلماء ، وذكر الزبيدي ان الاخفش كان يحفظ اهاجي ابن الرومي فيه ويمليها فيما يمليه من الاخبار والاشعار (٤) .

وفي مواقف اخرى نلاحظ ان الامر يتجاوز الانشاد والتدوين الى عرض الشعر العباسي على هؤلاء العلماء لمعرفه رأيهم فيه وفي مدى صلاحيته من الناحية الفنية واللغوية ، كما نلاحظ هذا فيما ينقله صاحب الاغاني اذ يقول : «جاء مروان ابن ابي حفصة الى حلقة يونس فسلم ثم قال لنا : ايكم يونس ؟ فاومأنا اليه . فقال اصلحك الله : انسي ارى قوماً يقولون الشعر ... وقد قلت شعراً اعرضه عليك ، فان كان جيداً اظهرته ، وان كان رديئاً سترته ، فأنشده قوله : ..... فقال له يونس : ياهذا ، اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى .. (٥) .

ولاشك في ان منزلة هؤلاء العلماء كانت تستدعي مثل هذا الموقف وتستدعي بطبيعتها موقفاً اخر يصاحب الرواية والتدوين، وهو التعليق النقدي على الاشعار المقروءة عليهم من مثل مايلاحظه في قول الصولي : سمعت ابا محمد عبد الله بن الحسين .. القطربلي وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد وعنده المبرد .. وقد انشد البحتري شعرا في معنى قد قال ابو تمام في مثله : انت في هذا اشعر من ابي تمام .. (٦) ومثل هذه التعليقات النقدية

(١) اخبار الشعراء ٨٤ .

(٢) امالي القالي ١/٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٣) الموازنة ١/٢١ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ١١٥ — ١١٦ .

(٥) الاغاني ١٠/٨٢ .

(٦) اخبار البحتري ٥٧ .

على الشعر العباسي لاتقتصر على الشعر الذي يلقيه الشاعر العباسي الذي يرتاد هذه المجالس ويلقي شعره فيها ، بل تشمل نصوص الشعر العباسي التي تذكر في هذه المجالس على سبيل المذاكرة والرواية دون حضور صاحبها ، من مثل مانلاحظه فيما ينقله ابو الفرج الاصفهاني اذ يقول .. وسمعت العتبي يقول : ليس في عصرنا هذا احسن مذهبا في شعره ولا انقى الفاظا من السيد ، ثم قال لبعض من حضر : انشدنا قصيدته اللامية التي انشدتناها اليوم ، فانشده قوله : .. فقال العتبي : احسن والله ماشاء (١) ..

والصفة العلمية لمثل هذا النوع من المجالس تترك اثرها في رواية الشعر العباسي فيما نلاحظه من توثيق العلماء لما يروى ويدون من نصوص هذا الشعر . ونعني بهذا ان تشهد مجالس هؤلاء العلماء قراءة النصوص العباسية المروية في هذه المجالس على اصحابها للتأكد من صحتها وصحة نسبتها اليهم او مايتطلبه هذا الامر مما يتعلق بتوثيق الرواية وتدوينها. يقول الصولي: (اول مارأيت البحتري سنة ست وسبعين ومائتين ونحن في مجلس المبرد في مسجده ، وكان يجلس على دكان في المسجد قليل الارتفاع .. فسلم عليه شيخ .. فالتفت اليه وعظمه وقطع الاملاء ، وقام جماعة من اهل المجلس اليه وقمت معهم ، فسألوه ان يقرأوا عليه ابياتا من شعره فاجابهم ، وقرأ عليه واحد منهم (قصيدته في الفتح..) (٢) .

وقد يعمد العالم الى قراءة الشعر العباسي على عالم آخر للغرض نفسه وهو توثيق النص وتصحيحه ، فابو علي القالي يقول : «وقرأت على ابي الحسن علي بن سليمان الاخفش للعطوى :

اذا انت لم ترسل .. الابيات « (٣) مما يشير الى ان ظاهرة القراءة » كانت تصاحب الاملاء والتدوين اثناء رواية الشعر العباسي في مجالس هؤلاء العلماء ، وكل هذا وذاك يجعلها فيما —نحسب— من أوثق البيئات التي شاركت في رواية الشعر العباسي واكثرها دقة .

مجالس الحكام

من المعروف ان مجالس الخلفاء والوزراء والامراء في تلك العصور كانت ملتقى لكثير من الادباء من شعراء وعلماء كان هؤلاء الحكام يحرصون على جمعهم في مجالسهم . ومن هنا كانت مجالس الحكام هذه احدى البيئات المشاركة في رواية الشعر العباسي ، الا ان

(١) الاغاني ٢٤٧/٧ ، وينظر : امالي المرتضى ٤٣٧/١ — ٤٣٨ ، تاريخ بغداد ١١٤/٧ .
(٢) اخبار البحتري ٤٩ — ٥٠ ، ٥٢ — ٥٣ ، وينظر ٩٨ — ٩٩ .
(٣) الامالي ١٦٥/٢ .

الرواية في هذه البيئة لاترقى الى مرتبة الرواية في البيئتين السابقتين ، فاذا لاحظنا ان مجالس العلماء والشعراء كانت تستوعب معظم الشعر العباسي وتواكبه باستمرار ، فان الروايـة في هذه البيئة كانت تتأخر عن هذا كثيراً ، فكمية الشعر العباسي المروي فيها – ان صح التعبير – لاتصل الى كميته في البيئتين السابقتين ، يضاف الى هذا ان موضوع الشعـــر العباسي المروي في هذه البيئة كان اكثر تحديداً منه في البيئتين السابقتين .

اما مايتعلق بالشعر العباسي المروي في هذه البيئة وكميته فانه كان محكوماً بالعامل الزمني فقد كان الخلفاء لايستقبلون الشعراء اكثر من مرة في كل عام كما يشير الى هذا ابـــو الفرج الاصفهاني (١) ، ومعروف ان هذه المرة المتاحة للشاعر العباسي لاتتيح له سوى انشاد شعره في مديح هذا الخليفه او ذاك مما لايتجاوز في احسن الاحوال بضعة قصائد ان لم تكن قصيدة واحدة ، واذا كان هنالك شعراء متصلون بالبلاط باستمرار وهم اولئك الشعراء الذين يختارهم الخلفاء ويقربونهم ، فان عدد مثل هؤلاء الشعراء ضئيل جدا قياساً الى عدد الشعراء العباسيين ، وكذلك الحال بالنسبة الى الامراء والوزراء ومن اليهم ، اذ يذكر على سبيل المثال ان داود بن يزيد المهلبي كان يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً (٢)

واما مايتعلق بموضوع الشعر العباسي المروي في هذه البيئة فمن الواضح انه لايتجاوز موضوع المديح الا الى موضوع او موضوعين من اعتذار ووصف مجلس لهو وغناء وما شابه هذا ، اي ان الشعر العباسي المروي في هذه البيئة والذي يرويه من تتهيأ روايته عنهـا لايتعدى غير هذه الموضوعات المحددة من الشعر العباسي والشواهد التي تدل على هـذا التحديد الموضوعي وكون الشعر المروي في هذه البيئة شعر مناسبات اكثر من ان تحصى او ان يشار اليهـا (٣) . واذا صادفنا في بعض المصادر موضوعات اخرى لاتتعلق بشعـر المناسبات فامرها لايتجاوز تلك الموضوعات التي تعد من قبيل المناسبات ايضا لاتصالها بالحكام ولهوها ، كما هو معروف عن المتوكل مثلا من انه كان يوقع بين الشعراء ويطالب منهم ان يتهاجوا فيما بينهـم (٤) . وهذا كثير غيره من الاخبار المبثوثة في المصـــادر القديمة يشير صراحة الى هذا الذي قلناه من ان الشعر العباسي المروي في هذه المجالس لايتعدى بضعة موضوعات من الشعر العباسي .

---

(١) الاغاني ١٠/٨٧ .

(٢) الاغاني ١٠/٤٣ .

(٣) ينظر مثلا : الفاضل للوشاء ١٢٠ – ١٢١ ، الاغاني ٧/١٥٨ – ١٥٩ .

(٤) ينظر : جمع الجواهر ١١٩ – ١٢٠ .

وصور الرواية في هذه المجالس لاتختلف عن صورها في المجالس السابقة ، فالتدوين كان يصاحب الانشاد فيها ، اذ جاء في امالي المرتضى : وروي عن يحيى ابن البحتري قال : رأيت ابي يذاكر جماعة من امراء اهل الشام بمعان من الشعر فمر فيها ذكر قلة نوم العاشق .. فأنشدوا انشادات كثيرة فقال لهم ابي : قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال ... وكتبها عنه جماعة من حضر ،والابيات لابراهيم بن العباس الصولي (١)

والى جانب التدوين كان هنالك التعليق النقدي وما يصاحب الانشاد من استحسان هذا الشعر وذاك او استهجانه ، وتبيان سرقة الشعراء من بعضهم وما الى هذا من امور كانت تكثر في مثل هذه المجالس لكثرة الادباء والعلماء فيها ، وقد تصدر هذه التعليقات النقدية من قبل الشعراء انفسهم كما نلاحظ هذا في النص الاتي : .. كنا عند جعفر بن يحيىٰ وابو العتاهية حاضر في وسط المجلس فقال ابو العتاهية لجعفر : معكم شاعر يعرف بابن ابي أمية احب أن اسمعه ينشد فقال له جعفر : هو اقرب الناس منك ، فاقبل ابو العتاهية على محمد وكان الى جانبه وسأله ان ينشده ... ثم انشده ... فاقبل ابو العتاهية يردد البيت الاخير ويقبل رأس ابن ابي امية ويبكي ، وقال : : وددت والله انه لي بكثير من شعري (٢) ..

(١) امالي المرتضى ١/٤٨٣ .
(٢) الاغاني ٤/٨٧ — ٨٨ .

— ٢ —

الرواة واصنافهم

الاسرة الشعرية

لاسرة الشاعر دور معروف في رواية شعره منذ العصر الجاهلي ، وواضح ان هذا الدور له قيمته الكبرى في نقل شعر الشاعر وروايته بتمامه ، اذ ان الاسرة تواكب شعر شاعرها من اوله حتى اخره .

واكبر مظهر من مظاهر رواية الاسرة الشعرية هو رواية ابناء الشاعر او اقاربه لشعره، هذا المظهر الذي اوجد لنا منذ عصر ماقبل الاسلام اسرا شعرية عديدة كأسرة زهير ، وجرير ، اما في العصر العباسي فهناك اسماء لكثير من هذه الاسر الشعرية كأسرة اللاحقيين وآل ابي حفصة ، وآل ابي امية واليزيديين وغيرهم من الاسر الشعرية المعروفة في كتب التراث .

وشواهد رواية الاسرة الشعرية عند العباسيين ، وخصوصاً رواية الابناء لشعر ابائهم كثيرة جداً ، فهناك اشارات عديدة الى هذا كرواية حماد الموصلي لشعر ابيه اسحاق (١) ورواية ابن العطوي لشعر ابيه ابي عبد الرحمن العطوي (٢) ، ويحتل ابو الغوث يحيى بن ابي عبادة البحتري الشاعر العباسي المشهور مكاناً بارزاً في المصادر القديمة في رواية شعر ابيه البحتري (٣) .

ودور هؤلاء الابناء في رواية اشعار ابائهم كبير متميز ، اذ اوصلوا الى المؤلفين القدامى اشعار ابائهم كلها ، ونجد النص صريحاً احياناً على اول شعر قاله الاب واخره منقولا عن احد هؤلاء الابناء ، من مثل مانلاحظه في قول الصولي متحدثاً عن ابن البحتري « وحدثني ابو الغوث قال : من اول اشعار ابي قوله وهو حدث يفتخر (٤) وقول ابي

---

(١) ينظر : الامالي ١/٧١ ، ٢/١٢٧ — ١٢٨ .

(٢) ذيل الامالي ٩٢ .

(٣) ينظر : معجم الشعراء ٤٩٣ ، تاريخ بغداد ١٤/٢٢٨ ، وشبيه به ما يذكر من انشاد كشاجم لشعر ابيه (البخلاء للخطيب ١٧٧) ، وما ينقله المرتضى من اشعار للجاحظ مروية عن ابن اخته يموت بن المزرع (امالي المرتضى ١/١٩٧) اضافة إلى اشارات كثيرة جداً في هذا الموضوع .

(٤) اخبار البحتري ٥٥ .

الفرج الاصفهاني نقلا عن احد الرواة : « ... حدثني محمد بن ابي العتاهية قال : اخـر شعر قاله ابي في مرضه الذي مات فيه .. الابيات » (١) .

وهذا – فيما نحسب – أهم دور لعبته الاسرة الشعرية في روا ية شعر الشاعر العباسي اذ انها اوصلت كل شعره – فيما نظن – إلى العلماء وجامعي الشعر العباسي.

ولم يقف عمل الاسرة الشعرية عند هذا الحد ،بل تعداه إلى عمل آخر هو روايةالاخبار المتعلقة بالشاعر العباسي وكل ماله علاقة به مما يسهم في دراسة الشاعر وشعره والأدلة على هذا كثيرة نكتفي منها بما ينقله الصولي والخطيب البغدادي من اخبار تفصيلية عديدة تتعلق بالبحتري مروية عن ابنه ابي الغوث (٢) ، اضافة إلى بعض الاراء النقدية التي صدرت عن هؤلاء الابناء في شعر ابائهم، وهي آراء لانجد لها اهمية كبيرة في النقد الادبي من مثل ماينقله الصولي من آراء لابي الغوث في شعر ابيه (٣) . ومن هنا يظل اهم مـظهر لرواية الاسرة الشعرية هو رواية شعرالشاعربتمامه وما يتعلق به من اخبار غزيرة تسهم في دراسة شعره .

الرواة المتخصصون :

وهم أولئك الرواة الذين كانوا يختصون بالشاعر يروون شعره وينشدونه دون ان يكونوا من أسرته .وهؤلاء – كما هو معروف – على نوعين: النوع الاول هم أولئك الرواة الذين لازموا الشعراء وامتنهوا عمل الرواية دون أن يكونوا شعراء، والنوع الثاني هم أولئك الرواة الذين كانوا شعراء عباسيين وقد بدأوا بالرواية لشعراء عباسيين تقدموهم وسبقوهم في الشهرة. وقد آثرنا الفصل بين النوعين وسمينا الاول منهما الرواة المتخصصين في حين سمينا ثانيهما الرواة الشعراء لتباين عملهم كما سنرى بعد قليل.

ونستطيع ان نستنتج من الاشارات الكثيرة المبثوثة في كتب الادب انه كان هنالك صنفان من هؤلاء الرواة المتخصصين ،الصنف الاول منهم رواة متخصصون برواية الشعر العباسي عموماً وانشاده، وعدد هؤلاء الرواة واخبارهم والاشارات إلى عملهم أقل بكثير من أخبار الصنف الثاني الذي يمثل الرواة المتخصصين بشاعر معين .

---

(١) الاغاني ١٠٩/٤ .

(٢) ينظر مثلا : اخبار البحتري ٥٨ ، تاريخ بغداد ٤٤٦/١٣ .

(٣) اخبار البحتري ٨١ – ٨٢ .

ويبدو لنا ان هذا الصنف الاول من الرواة المتخصصين بالشعر العباسي عموما يشبه ذلك الصنف الذي وجد عند العرب منذ الجاهلية وهو رواة القبائل ، مع الفارق الواضح بين الصنفين ، اذ ان قسماً من هؤلاء المتخصصين بالشعر العباسي عموما عرف برواية اشعار مدينة او اقليم معين دون سواه، كالذي يذكره ابو الفرج الاصفهاني من رواية اسمه ابراهيم بن عبد الله الطلحي ويسميه براوية الشعراء بالكوفة (١) . ويختلف عنه في هذا المجال راوية ثان كان يروي للشعراء المحدثين عموما اسمه محمد الراوية المعروف بالبيدق الذي كان كما يذكر بعض رواة ابي الفرج الاصفهاني ينشد هارون اشعار المحدثين (٢)

واكثر الاشارات التي تواجهنا في المصادر القديمة الى اولئك الرواة المتخصصين بشعراء عباسيين معينين بحيث كان كل واحد منهم يختص بشاعر معين ، وقد يتعددون فتكون مجموعة منهم خاصة بشاعر واحد ، اذ يذكر لبشار بن برد عدد من الرواة اشهرهم ثلاثة هم يحيى بن الجون العبدي (٣) ، وثانيهما هشام بن الاحنف (٤) وثالثهما الشرواني محمد بن الحجاج (٥) .

اما ابو نواس فرواته عديدون منهم راوية يسميه ابن قتيبة بالدعلجي (٦) ، وراوية آخر يسميه حمزة الاصفهاني باحمد بن عثمان البري (٧) ، وثالث مشهور هو يوسف النخاس المعروف بابن الداية (٨) ، واشهر منه ابو هفان المهزمي الذي عرف بانه أحد غلمان ابي نواس ورواته (٩) ، ويبدو ان عدد رواة ابي نواس كثير بحيث اننا نجد الاشارة اليهم عامة في بعض المصادر اذ يقال رواة ابي نواس (١٠) .

---

(١) الاغاني ٧/٢٤٨ — ٢٤٩ .
(٢) الاغاني ١٣/١٤٦ — ١٤٧ .
(٣) الاغاني ٣/١٣٧ — ١٣٨ ، ١٦٤ .
(٤) الاغاني ٦/٢٤٥ — ٢٤٦ .
(٥) تاريخ بغداد ٧/١١٦ .
(٦) الشعر والشعراء ٢/٦٨١ .
(٧) ديوان ابي نواس (حمزة الاصفهاني) ١/٨ .
(٨) ديوان ابي نواس ١/٩ .
(٩) طبقات الشعراء ٤٦٠ .
(١٠) زهر الاداب ٢٨٦ .

ويذكر لابي العتاهية عدة رواة منهم محمد بن زياد (١)،وأبو جعفر القريشي(٢) كما يذكر للعتــــابي راوية اسمه محمد بن علي الصيني ، (٣) واخر اسمه احمد بن الحارث الخراز ، (٤) اما السيد الحميري فرواته عديدون ايضا منهم : اسماعيل بن الساخر (٥) وسليمان بن سفيان المعروف بالختزق (٦) ويزيد بن مذعور ، (٧) كما يذكر لابن الرومي راوية اسمه المسيبي(٨) وللعطوى راوية اسمه احمد بن القاسم(٩) ، ولابن ابي عيينة راوية اسمه ابو معاذ النميري (١٠) .

اما ابو تمام فرواته عديدون من اشهرهم ابو مالك عون بن محمد الكندي ، (١١) وراوية اخر يسميه الامدي بابي الوضاح (١٢) . وللعباس بن الاحنف راوية اسمه اسماعيل القراطيس. (١٣) اما الشاعر العباسي الشهير البحتري فرواته كثيرون ، ومن ضمن من يذكر منهم العالم العباسي الشهير ابو العباس المبرد ومحمد بن خلف الموزبان وابو عبد الله المحاملي ومحمد بن احمد الحكيمي ، (١٤)هذا إلى كثير جداً من اسماء هؤلاء الرواة وبمن اختصوا من الشعراء العباسيين مما يشير صراحة إلى ان هذه الطبقة من الرواة كانت في هذا العصر طبقة متميزة جداً ومهمة في مجال الرواية.

---

(١) طبقاء الشعراء ٢٢٩ .
(٢) تاريخ بغداد ٢٨٧/٣ .
(٣) معجم الشعراء ٣٥٨ .
(٤) معجم الادباء ٤٠٧/١ .
(٥) الاغاني ٢٣٠/٧ .
(٦) الاغاني ٢٣١/٧ .
(٧) الاغاني ٢٦٧/٧ .
(٨) وفيات الاعيان ٣٥٨/٣ .
(٩) تاريخ بغداد ١٣٧/٣ .
(١٠) الكامل ٣٩/٢ .
(١١) اخبار ابي تمام ٣١ .
(١٢) الموازنة .
(١٣) الورقة ١٠٨ .
(١٤) وفيات الاعيان ٢١/١ .

وأهمية هذه الطبقة تبدو في مظاهر شتى يتجلى فيها عمل هؤلاء الرواة المتخصصين . وابسط مظهر من مظاهر عمل هؤلاء الرواة المتخصصين هو انشاد شعر الشاعر العباسي الذي قد يكون نيابة عنه في بعض الاحيان ، اذ يذكر ان ابن هرمة حينما دخل على السري إبن عبد الله ليمدحه جعل راويته ابن زبنج ينشد مديحه بدلا عنه ،(١) كما يذكر ان مسلماً إبن الوليد الشاعر العباسي المشهور وجه إلى داود بن يزيد المهلبي راويته لينشده بعض ماقاله من مديح فيه ، (٢) وامر ابي تمام معروف مشهور في انه كان ينيب عنه راويته في معظم الاحيان لينشد عنه شعره ،(٣) ويبدو ان هذا الانشاد الذي كان يقوم به الرواة المتخصصون نيابة عن الشعراء الذين يلازمونهم كان يتعلق بمجالس الحكام التي كانت تستوجب فيما يبدو — القاء مناسبا لمنزلة الممدوح ومظهراً لائقا به اثناء انشاد الشعر ومن هنا اناب ابن هرمه راويته عنه لان ابن هرمه «كان» ذميماً وكان راويته جميلاً وسيماً(٤) ، ومن هنا عرف بعض الرواة الذين كانوا يجيدون الالقاء في مجالس الخلفاء وخصوا بهذه الصفة ، ومنهم محمد الراوية المعروف بالبيدق الذي كان كما يقولون « ينشد هارون اشعار المحدثين وكان احسن خلق الله انشاداً... وكان انشاده يطرب كما يطرب الغناء» (٥)

وعمل ثان كان يزاوله هؤلاء الرواة المتخصصون وهو تدوين شعر الشعراء العباسيين سواءاً كان هذا التدوين آنيا مباشراً ، كان يطلب الشاعر من راويته تدوين قصيدة أو مقطوعة نظمها حديثاً ، أم كان تدويناً في المجالس عن شعراء آخرين ، كالذي يذكره صاحب الاغاني عن احد رواة بشار من انه طلب منه ان يكتب له مقطوعة نظمها في عبدة صاحبته وان يرسلها اليها مع رسولها اليه (٦) وما يذكر في وفيات الاعيان من ان رجلاً كان ينشد اشعار عبد الصمد بن المعذل فمر به وباصحابه خالد الكاتب وانشد بيتين له ، فعدا هذا الرجل خلفه وكتب البيتين ، (٧) ونحسب ان من هذا القبيل ايضاً ما يصادفنا

---

(١) الاخبار الموفقيات ٤٩١ .
(٢) الاغاني ١٩/٤٣ .
(٣) ينظر : وفيات الاعيان ١/٨٥ .
(٤) الأخبار الموفقيات ٤٩١ .
(٥) الاغاني ١٢/١٤٦ — ١٤٧ .
(٦) الاغاني ٦/٢٤٥ — ٢٤٦ .
(٧) وفيات الاعيان ٢/٢٣٢ — ٢٣٣ .

كثيراً في كتب التراث من قيام هؤلاء الرواة المتخصصين بنقل شعر الشعراء العباسيين الاخرين إلى شعرائهم المختصين بهم وانشادهم اياه كالذي يذكر عن بشار من انه قال لراويته :

«انشدني قول حماد ...فانشده ...» (١) .

واسهم هؤلاء الرواة المتخصصون ايضاً في رواية كثير من الاخبار التي تتعلق بشعرائهم ونقل عن طريقهم إلى العلماء والمؤلفين كثير من هذه الاخبار التي كونت مادة غنية في تراجم بعض الشعراء العباسيين ،وقد كانت هذه الاخبار تتعلق حتى بأصغر الجزئيات المتعلقة بالشاعر كذلك الخبر المنقول عن احد رواة ابي العتاهية من ان ابا العتاهية جلس يوماً إلى قصار «فسمع صوت الكدين فقال باقتداره شعراً على ايقاعه » (٢) وذلك الخبر الذي يرويه يحيى بن الجون العبدي راوية بشار عن لقاء بشار بالمهدي وسؤالهاياه بعض الاسئلة قبل ان ينشده شيئاً من شعره ، (٣) وذلك الخبر الذي ينقله حمزة الاصفهاني عن احد رواة ابي نواس مما يوضح المناسبة التي استدعت ابا نواس لان يقول شعراً في موضوع معين ، (٤) وتلك الاخبار التفصيلية المتعلقة بنشأة اليسد الحميري منقولة عن رواته ؛(٥) .

واسهم هؤلاء الرواة المتخصصون بعمل قيم – فيما نحسب – وهو تبيان المنحول والزائف مما يروى لشعرائهم وينسب اليهم ، كالذي ينقله صاحب الاغاني عن بعض العلماء مرويا عن بعض رواة السيد الحميري من ان القصائد المنسوبة إلى السيد التي تشير إلى تحوله إلى مذهب الامامية موضوعة منتحلة (٦) .

وإلى جانب هذا ساهم هؤلاء الرواة في العملية النقدية والتعليق النقدي على ما يروونه وينقلونه من اشعار. يقول الامدي: «ووجدت – اطال الله بقاك – أكثر من شاهدته ورأيته من رواة اشعار المتأخرين يزعمون ان شعر ابي تمام ..لايتعلق بجيده جيد أمثاله

---

(١) اخبار ابي تمام ١٨١ ، وينظر : تاريخ بغداد ١٤٠/٩ .
(٢) طبقات الشعراء ٢٢٩ .
(٣) الاغاني ١٢٧/٣ – ١٢٨ ، ١٦٤ ، وتاريخ بغداد ١١٦/٧ .
(٤) ديوان ابي نواس (حمزة الاصفهاني) ٩/١ .
(٥) الاغاني ٢٣٠/٧ ، ٢٥٤ .
(٦) الاغاني ٢٣١/٧ ، ٢٣٣ .

وان شعر البحتري صحيح السبك حسن الديباجة وليس فيه اسفاف ولا رديء ولا مطروح ..« (١) . وشبيه بهذا ما ينقل عن احد رواة بشار من ان بشاراً لما قال بيته :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته .. البيت ، قال له راويته «قد قال سلم الخاسر بيتاً في هذا المعنى وهو اخف من هذا .. »(٢)، ومن كل ماتقدم يظهر بجلاء ان طبقة الرواة المتخصصين هذه كانت اهم صنف من اصناف رواة الشعر العباسي ، فقد استوعب عملهم في الرواية نقل الشعر العباسي إلى العلماء والمؤلفين وجامعي الشعر . اضافة إلى مانقلوه من أخبار تفصيلية وآراء نقدية شكلت الاساس لكثير مما كتب حول هؤلاء الشعراء العباسيين في كتب التراث .

الرواة الشعراء

هناك اشارات عديدة إلى رواية بعض الشعراء العباسيين لشعر غيرهم من الشعراء العباسيين دون ان يكونوا من تلامذتهم، فقد ذكر ابن المعتز شاعراً اسمه النمري ونص على انه كان كثير الرواية لشعر سديف(٣) كما ذكر الوشاء بعض الابيات لابي العتاهية مروية عن البحتري، (٤) في حين ذكر القالي ابياتاً لابن الرومي مروية عن الناجم ،(٥) كما ذكر الخطيب البغدادي ان احمد بن امية بن ابي امية روى عن ابي العتاهية ومنصور النمري (٦) . ونحسب ان مثل هذه الرواية هي من قبيل النقل أو الرواية الوقتية — ان صح التعبير — أو هي جانب من الجوانب التي تركتها مجالس الشعراء التي المحنا اليها فيما سبق فليس بعيداً ان يعجب شاعر عباسي بشعر غيره في مجلس من المجالس فينقله ويرويه، وهو في نقله هذا انما ينقل بعض الابيات أو القصائد لذلك الشاعر مما اعجب به دون غيره، ومن هنا نرى ان مثل هذه الرواية بين الشعراء العباسيين التي لم تكتسب طابع الديمومة والنقل المستمر هي من ابسط نماذج رواية الشعراء.

(١) الموازنة ٥/١ .
(٢) تاريخ بغداد ١٤/٩ .
(٣) طبقات الشعراء ٤٢ .
(٤) الموشى ١٠٣ .
(٥) الامالي ٨٤/١ .
(٦) تاريخ بغداد ٤٣/٤ .

ونستطيع القول بأن اهم مظهر لرواية الشعراء هو مانجده من ملازمة بعض الشعراء العباسيين وهم في أول حياتهم الادبية لشعراء سابقين تقدموهم في الشهرة، ينقلون شعرهم ويروونه. وهذه الظاهرة معروفة في تاريخ الشعر العربي، اذ كان هنالك عدد من الشعراء منذ العصر الجاهلي يلازمون من تقدمهم من الشعراء ويروون شعرهم بهدف التدريب والتلمذة على يد الشعراء الكبار . ومعروف أمر زهير بن ابي سلمى وروايته لشعرأوس بن حجر، ورواية عدد من الشعراء لشعر زهير نفسه بحيث اننا نلاحظ سلسلة من الرواة لشعره استمرت حتى العصر الاموي.

ووجد هذا الاتجاه عند الشعراء العباسيين ايضاً، بحيث اننا نستطيع ان نميز طبقة من الشعراء الرواة في هذا العصر اسهمت في رواية الشعر العباسي ،وكان لها دورها المتميز في هذا المجـــال . وكان الهدف الذي رمت اليه هذه الطبقة هو ذلك الهدف القديم نفسه وهو التلمذة على يد الشعراء الكبار يضاف اليه هدف آخر هو الشهرة والتكسب ذلك ان الشعراء المشهورين كانت لهم مراكزهم في قصور الخلفاء والوجهات وكانت كلمتهم مسموعة حين يقدمون شاعراً أو ينوهون به، ومن ثم كان توجه الشعراء المبتدئين إلى هؤلاء الشعراء الكبار يرمي إلى تحقيق هدفين اثنين أولهما التدرب وممارسة نظم الشعر وثانيهما ايجاد مجال للاتصال باصحاب السلطان عن طريق هؤلاء الشعراء الكبار. ونجد الاشارات إلى هذا صريحة في كتب التراث، من مثل قولهم عن منصور النمري: «وكان منصور النمري شاعراً من شعراء الدولة العباسية .وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته وعنه اخذ .. والعتابي وصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حين استقدمه من الجزيرة واستصحبه .. » (١) .

كانت التلمذة على يد الشعراء الكبار الهدف الثاني الذي رمى اليه الشعراء الرواة، وقد نص القدامى على هذا كثير فذكروا ان سلما الخاسر كان راوية بشار وتلميذه، حتى كان سلم يعترف بأنه «خريج بشار » (٢) ومثل هذه التلمذة كانت على مظاهر شتى منها عرض الشعر على الشعراء الكبار لمعرفة رأيهم فيه،فقد ورد في تاريخ بغداد ان مروان بن ابي حفصة كان يعرض على بشار اشعاره، (٣) وينقل الصولي عن البحتري انه قال:

---

(١) تاريخ بغداد ٦٦/١٣ .

(٢) الاغاني ١٩٩/٣ – ٢٠٠ .

(٣) تاريخ بغداد ١٤٥/١٣ .

«كان أول امري في الشعر ونباهتي فيه اني صرت إلى ابي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم » (١) .

ولم يكن عرض الشعر الوسيلة الوحيدة للتلمذة على الشعراء الكبار، بل كان هؤلاء الكبار انفسهم يقومون بين حين وآخر بتوجيه تلامذتهم هؤلاء إلى بعض سمات الفن الشعري وطريقة تناول المعاني وما إلى هذا من امور تقتضيها ممارسة الفن الشعري وتعلمه،وهناك جملة نصوص تشير إلى هذا منها نص قيم يورده الصولي فيقول :« .. سمعت البحتري يقول : انشدني ابو تمام يوماً:

وسابح هطل التعداء هتان ..الابيات

ثم قال لي: ماهذا الشعر؟ قلت :لاأدري .قال: هذا المستطرد او قال: الاستطراد. قلت :ومامعنى ذلك؟ قال : يرى انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء ... » (٢)

وفي خلال هذه التلمذة يروي الشاعر الكثير من شعر استاذه وينقله إلى الاخرين، اذ من الطبيعي ان يقوم الشاعر الراوية بما يقوم به الرواة الاخرون من تدوين هذا الشعر عن استاذه وروايته عنه بالطريقة نفسها التي لاحظناها عند الاصناف السابقة من الرواة .

وإلى جانب رواية الشعر العباسي وتدوينه اسهم هؤلاء الشعراء الرواة في رواية بعض الاخبار المتعلقة بالشعراء العباسيين اضافة إلى الشعر مما كون مادة غنية لمؤلفي التراجم وكتب الادب فيما بعد. كأن يذكروا المناسبة التي استدعت قول الشعر الذي يروونه، من مثل مانلاحظه في قول القالي: «...وحدثني جحظة قال: حدثني ابو العيناء قال: تعشقتني امرأة قبل ان تراني، فلما رأتني استقبحتني ،فانشدتها...» (٣) .

وكان لهؤلاء الشعراء الرواة بعض الاراء النقدية في الشعر العباسي الذي يروونه،مما كون مادة لابأس بها للمؤلفين القدامى في النقد الادبي، اضافة إلى ظاهرة اخرى سنشير اليها فيما بعد. ومثل هذه التعليقات النقدية تصادفنا كثيراً في كتب القدامى نكتفي منها بما أورده القالي اذ يقول:« ...ولما قال ابو نواس:

جريت مع الصبا طلق الجموح ...

---

(١) اخبار البحتري ٥٥ — ٥٦ .

(٢) اخبار البحتري ٥٨ — ٥٩ .

(٣) ذيل الامالي ٩٥ .

قال ابو العتاهية: لقد جمع في هذين البيتين خلاعة ومجونا واحسانا وعظه ... » (١) وفي احيان اخرى تصادفنا مثل هذه الاحكام النقدية عامة على شاكلة الاحكام النقدية العامة غير المعللة التي تصادفنا كثيراً في النقد العربي القديم، من مثل ماينقله ابن المعتز عن النمري الشاعر من انه كان يقول في شعر سديف: «ماكان في زمان سديف اشعر منه ولا اطبع ولا اقدر على مايريده من الشعر .... » (٢) وما ينقله صاحب الاغاني من ان احد الادباء طلب من سلم الخاسر ان ينشده شيئاً من شعره فقال: لا، ولكن انشدك لاشعر الجن والانس، لابي العتاهية » (٣) .

لقد لاحظنا سابقاً ان الرواة الاخرين من غير الشعراء شاركوا في العملية النقدية ايضاً الا ان الفارق كبير فيما يبدو بين هؤلاء الرواة والشعراء واولئك الرواة . اذ يبدو لنا ان هذه المشاركة النقدية التي قام بها الرواة الشعراء كانت من قبيل الاعجاب باشعار اساتذتهم اكثر منها عملية نقدية . ومثل هذا الامر فيما يظن ترك اثره السيء على رواية هؤلاء الشعراء الرواة، فليس بعيداً ان شاعر الراوية الذي كان يعجب بما يرويه من اشعار عباسية كان لايروي منها الا ماكان جيداً او مايقاربه ويسقط غيره . وهذه المسألة سنعرض لها في قسم ثالث من هذا البحث، وهو القسم المتعلق بالمشكلات المرافقة لعملية الرواية .

وقريب من هذا الذي استنتجناه نجد اثراً سلبياً اخر على الشعر العباسي كان نتيجة التلمذة التي زاولها هؤلاء الشعراء الرواة، وهو مسألة التأثر واحتذاء شعر السابقين بحيث اصبحت الكثير من النصوص العباسية لدى هؤلاء الشعراء الرواة مكررة معادة تعكس اشعار اساتذتهم، وقد نص القدامى على هذا صراحة فقالوا عن منصور النمري: «وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته وعنه اخذ ومن بحره استقى وبمذهبه تشبه (٤)

ومن هنا نرى انه على الرغم من اهمية هذه الطبقة من الرواة الشعراء ومشاركتها الكبيرة في رواية الشعر العباسي تظل روايتها قاصرة لاترقى الى قيمة رواية الاصناف السابقة بسبب من الاساس المكون لهذه الطبقة وهو التلمذة وماتركته من آثار سلبية في عدم رواية

(١) ذيل الامالي ٩٣ .
(٢) طبقات الشعراء ٤٢ .
(٣) الاغاني ٤/١١ .
(٤) الاغاني ١٣/١٤٠ .

النصوص كاملة وظاهرة التأثر والتقليد وما اوجدته من مشكلات اخرى جانبيه سندرسها في القسم الثالث من هذا البحث .

علماء الادب والرواية :

من الواضح اننا حينما نتحدث عن دور علماء الادب في الرواية ، فاننا نعني بهذا روايتهم للشعر العباسي المعاصر لهم،سواء كان الشاعرمعاصراً لعالم الادب والمؤلف فيه ام كانت وفاته قريبة عصر بالمؤلف في الادب ، اما شعر الشعراء العباسيين الذين يعد العهد بينهم وبين مؤلفي الادب فمعروف انه نقل الى هؤلاء العلماء عن طريق الرواة الذين عرضنا لهم في الصفحات السابقة . ومن هنا سنركز الكلام ضمن هذا الاطار محاولين تبيان قيمة رواية هؤلاء العلماء للشعر العباسي ومجال عملهم فيه .

واول مايلفت النظر في هذا المجال اننا نرى علماء الادب في روايتهم لشعر الشعراء العباسيين المعاصرين يروون لاكثر من شاعر ولا يختصون بشاعر واحد. وقد ينقل احدهم شعر هؤلاء الشعراء في كتاب يؤلفه ناصاً على ان هذا الشعر مما انشده اياه الشاعر نفسه، ومثل هذا الصنيع كثير عند علماء الادب ،اذ يصادفنا اول مايصادفنا من هؤلاء العلماء ابو عثمان الجاحظ الذي نجد النص واضحاً على روايته لبعض اشعار العباسيين في قول الخطيب البغدادي متحدثاً عن ابي يعقوب الخريمي :«وروى عنه شيئاً يسيراً من شعره عثمان الجاحظ واحمد بن عبيد بن ناصح وذكر انهما سمعا منه .. » (١) وقوله متحدثاً عن عبدالله بن ابي الشيص:«...روى عنه بعض شعره عمرو بن بحر الجاحظ...» (٢)

وفي كتب الجاحظ نقول عديدة عن شعراء عباسيين معاصرين له من مثل قوله في كتاب البيان والتبيين : ...«واما جعيفران الموسوس الشاعرفشهدت رجلاً اعطاه درهماً وقال له: قل شعراً على الجيم ، فأنشأ يقول ...» (٣)

وشبيه بالجاحظ كثير من علماء الادب في القرن الثالث ويكفي ان نذكر منهم ابن المعتز وابن داود الجراح وابن قتيبة قبلهما ، اذ تزخر كتبهم بالاشعار العباسية المنقولة عن معاصريهم من الشعراء .

---

(١) تاريخ بغداد ٣٢٦/٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٦٤/١٠ وينظر ٢٥٩/١١ إذ ينص على ان الجاحظ روي عن علي بن جبلة العكوك ايضاً .

(٣) البيان والتبيين ٢٢٧/٢ .

والذي يبدو لنا ان رواية علماء الادب هذه لاترقى إلى مرتبة رواية الاصناف السابقة من الرواة كرواة الاسرة الشعرية والرواة المتخصصين، سواء اكان هذا من حيث كمية الشعر المروي ام من حيث الحفاظ على النص المنقول وعدم التصرف به ودليلنا على هذا امران رئيسيان :

الاول منهما: ان هؤلاء العلماء في روايتهم لاكثر من شاعرعباسي وعدم تخصصهم بشاعر واحد انما يروون بعض شعر هؤلاء الشعراء لاجميعه كما هو واضح .وفارق كبير بينهم وبين أولئك الشعراء المتخصصين الذين كان كل واحد منهم يختص بشاعر واحد أو تشترك مجموعة منهم بالرواية لشاعر عباسي واحد فقط.واذا كنا قد لاحظنا ان أولئك الرواة المتخصصين قد رووا معظم شعر الشعراء العباسيين ، فان علماء الادب هؤلاء في روايتهم لاكثر من شاعر واحد انما كانوا يعتمدون الاختيار والاختصار لارواية النصوص المطولة ونتاج الشعراء العباسيين جميعه، وهو امر طبيعي اذ انهم لم يكونوا رواة متخصصين متفرغين لعمل الرواية وحده .

الثاني منهما: ان عمل هؤلاء العلماء وهو التأليف في الادب انعكس على طبيعة روايتهم للاشعار العباسية ،فكانت روايتهم محكومة بما اخذوا به انفسهم من خطة علمية خلال الكتب التي يؤلفونها، فهناك قيود كثيرة حدد هؤلاء العلماء انفسهم بها حينما كانوايؤلفون بعض كتبهم ، كاختصار بعض النصوص في حالة كون الكتاب الذي يؤلفونه مختصراً أو اسقاط بعضها لاسباب دينية وخلقية وما إلى هذا من امور تختلف من مؤلف إلى آخر. وكل هذا انعكس على طبيعة عملهم في رواية الاشعار العباسية، فلم ينقلوا الينا من هذه الاشعار — فيما نحسب — الا ماكان ملائماً لطبيعة عملهم في التأليف. ونظن ان نظرة واحدة في بعض مؤلفاتهم تعكس لنا هذا الجانب وتشير صراحة إلى ماهية روايتهم للاشعار العباسية، اذ لافرق لدينا بين ما هو مدون في كتبهم من هذه الاشعار ومايروونه من مثل مانجده عند ابن المعتز في حديثه عن بشار: « ومما يستحسن من شعره — وان كان كله حسناً — قوله :...وهذا معنى بديع لم يسبقه اليه احد ،وهذه قصيدة طويلة وقد قدمنا في كتابنا هذا انا نروم الايجاز والاختصار ..» (١) ويقول في موضع آخر: « فاما من ليس يوجد شعره الا عند الخواص فسنضمن الكتاب لهم قطعة صالحة .. وسنورد من شعر مروان وطبقته من المعروفين القصائد التي يقل وجودها عند أكثر الناس»(٢).

(١) طبقات الشعراء ٢٨ — ٢٩ .

(٢) طبقات الشعراء ٤٨ .

وصنيع ابن المعتز بالشعر العباسي واضح في ثنايا كتابه ، وهو واضح الدلالة على صنيع علماء الادب هؤلاء بالشعر العباسي وتصرفهم بما يتلائم والخطة العامة التي وضعوها لكتبهم. ويكاد علمــاء الادب ينحون منحى ابن المعتز هذا حتى من كان متأخراً منهم كياقوت الحموي اذ نجد في كتابه معجم الادباء من ضمن مانجده في مواضع كثيرة منه قوله : «وهجا خلف ابا محمد اليزيدي بقصيدة فائية تداولها الافواه والاسماع .. وهي طويلة نحو اربعين بيتاً اكتفينا بهذا المقدار منها... » (١)

واجاز علماء الادب ايضاً لانفسهم التصرف بالنصوص العباسية التي يرونها ، كترك بعض الابيات وحذفها لاسباب خلقية من مثل مانجده عند ابن المعتز في ترجمة احد الشعراء اذ يقول بعد ان يورد بعض ابيات من قصيدة لهذا الشاعر : «وهي طويلة الا انها فاحشة فتركناها » (٢) . كما تصرف بعضهم بالنصوص العباسية حذفاً واسقاطاً لاسباب دينية وسياسية من مثل مانلاحظه عند الصولي في ترجمة ابراهيم بن المهدي اذ يقول : «وهجاه قوم ...باهاج ترك ذكرها لموضعه من النسب والخلافة » (٣) .

ونحن بهذا لانعني ان جميع علماء الادب كانوا في روايتهم للشعر العباسي بهذا المستوى الا اننا نستطيع الادعاء بان هذا المنهج من التلاعب بالنصوص حذفاً واختصاراً كان منهج معظمهم ، ولا غرابة في هذا فقد سبق لنا القول ان هؤلاء العلماء كان التأليف الادبي همهم الاول والرواية همهم الثاني ولهذا لانتوقع منهم الالتزام بتقاليد الرواية وشروطها التزاماً كلياً. بل ان الالتزام بمنهج البحث والتأليف هو المقدم لديهم ، مما يجيز لنا أخيراً ان نكرر ماقلناه في بداية حديثنا عن علماء الادب والرواية وهو ان رواية هؤلاء العلماء لاترقى إلى مرتبة رواية الرواة الاخرين الذين سبقت الاشارة اليهم.

علماء اللغة والرواية :

يستبعد كثير من الدارسين المحدثين اهتمام علماء اللغة والنحو والرواة الاوائل بالشعر العباسي وروايته ، (٤) والسبب في هذا كما يرون ان هذا الشعر مغاير لطبيعة عملهم ولم تكن فيه المادة التي تفيدهم فيما يتصدون له من املاء وتدريس.

---

(١) معجم الادباء ٤/١٨٠ – ١٨١ .

(٢) طبقات الشعراء ٣٣٦ ، وينظر : معجم الادباء ٤/٨٩– ٩٠ ، ١٣٥ .

(٣) اشعار اولاد الخلفاء ٤٩ ، وينظر : الاغاني ٧/٢٤٣ (ترجمة السيد الحميري) .

(٤) ينظر على سبيل المثال : في الادب العباسي ٨٣ .

والذي رأيناه من خلال تتبعنا لهذا الموضوع ،ان عناية هؤلاء العلماء بالشعر العباسي لم تكن بالشكل الذي تصوره الدارسون المحدثون، فهناك نصوص صريحة تشير إلى انهم عنوا بهذا الشعر وتدارسوه وإلى جانبها نصوص صريحة اخرى يعزى نقل الشعر العباسي وروايته فيها إلى عالم من هؤلاء العلماء وسنعرض لبعض من هذا الذي وجدناه في الكتب القديمة للدلالة على مانقول.

فابو عبيدة والاصمعي، وهما من الرواة الاوائل كانت لهم عنايتهم بالشعر العباسي، اذ يذكر ابو علي القالي عن التوزي قوله: «سمعت ابا عبيدة يقول : يعجبني من شعر ابي نواس كله بيتان ... » (١) وفي قوله هذا دليل واضح على انه قرأ شعر ابي نواس وسمعه ولم يعرض عنه أو يطرحه،ولهذا كان كما يقولون: «يحب ابا نواس ويقدمه» . (٢).

اما الاصمعي فكان «يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه » ... (٣) ونجد له في بعض المصادر تعليقات على شعر ابي نواس ، (٤) واخباراً واشعاراً للعباس إبن الاحنف منقولة عنه (٥) .

وفي اخبار خلف الاحمر اشارة صريحة الى روايته للشعر العباسي ، اذ يذكرون ان خلف بن ابي عمرو بن العلاء وخلفا الاحمر كانا يأتيان بشاراً ويسلمان عليه .. ثم يقولان ياابا معاذ ماذا احدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه .. (٦) .

وهناك نصوص عديدة للشعراء العباسيين منقولة عن محمد بن سلام الجمحي المعروف بتعصبه للشعراء القدامى اوردها صاحب كتاب الورقة (٧) ، كما ينقل صاحب الورقة عن ابي العباس ثعلب قوله : قال ابن الاعرابي : ماسمعت في الشيب احسن من بيتي محمد بن حازم ... (٨) . وفي هذا اشارة صريحة الى عناية ابن الاعرابي بشعر محمد بن حازم الباهلي ومعرفته به معرفة دقيقة ، وشبيه بهذا ماينقله الشريف المرتضى من ان ابا

(١) ذيل الامالي ٣٩ .

(٢) وفيات الاعيان ٢/١٠٠ ، وتنظر : الوساطة ٥٥ .

(٣) الاغاني ٣/١٤٩ .

(٤) اخبار الزجاجي ٤١ .

(٥) نفسه ١٠١ - ١٠٢ .

(٦) الاغاني ٣/١٩٠ .

(٧) ينظر مثلا : الورقة ٥٠ .

(٨) الورقة ١١٨ .

عمرو الشيباني كان يقدم مروان بن ابي حفصة على بشار ومسلم (١) ، ويشير الزبيدي في ترجمة ابي عثمان المازني الى انه انشد المتوكل قصائد للشاعر العباسي عبد الصمد بن المعذل (٢) وفي هذا دليل على رواية هذا العالم اللغوي لشعر شاعر عباسي كان معاصرا له ، وفي اخبار الرياشي انه كان ينشد بيتين للحسين بن الضحاك ويستحسنها جدا (٣) .

واذا انتقلنا الى المبرد وثعلب شيخي البصرة والكوفة في النحو وجدنا لهما مشاركة واسعة في رواية الشعر العباسي تبدو في كثير من النصوص العباسية المنقولة عنهما .

فقد ذكر المبرد في كتابه الكامل كثيرا من النصوص العباسية التي يثبتها نقلا عن شعراء عباسيين مما يدل على عنايته بشعرهم (٤) وفي كتب الادب كثير من النصوص العباسية منقولة عن المبرد ، فقد ذكر ابن المعتز قصيدة طويلة لابي نواس وقال قبلها : انشدني المبرد هذه القصيدة وفسر لي هذا التفسير (٥) ... ونجد في كتاب الورقة نصوصا عديدة لاحمد بن اسحاق الخاركي وسلم الخاسر منقولة عن المبرد (٦) كما نجد في الموشى نصوصا لمطيع بن اياس وبشار وابي يعقوب الخريمي وجميعها منقولة عن المبرد (٧) وفي ذيل الامالي نصوص لعبد الصمد بن المعذل ودعبل الخزاعي منقولة عن المبرد (٨) كما نجد في المؤتلف والمختلف نصاً لابي الشمقمق في هجاء شاعر عباسي اخر وهو منقول عن المبرد (٩) وفي اخبار الزجاجي اخبار واشعار عديدة للشعراء العباسيين مروية عن المبرد (١٠) .

(١) امالي المرتضى ١/٥١٨- ٥١٩ .
(٢) طبقات النحويين ٩٠- ٩١ .
(٣) الاغاني ٧/١٥٤-١٥٥ .
(٤) ينظر مثلا : الكامل ١/٤٦ ، ١٦٨ ، ٢/٣ .
(٥) طبقات الشعراء ١٩٧ .
(٦) ينظر : الورقة ٦١-٦٢ .
(٧) الموشى ٢٦ ، ٣١ ، ٥٨ .
(٨) ذيل الامالي ١١٠- ١١١ ، ١٢٦ ——، ، ١٦٥ ، ١٧٠ .
(٩) المؤتلف والمختلف ٢٨٤ .
(١٠) اخبار الزجاجي ١١٢ — ١١٣ ، ١٤٥ وفي امالي المرتضى شبيه بما تقدم ايضاً . ينظر امالي المرتضى ٢/١٣٢ — ١٣٣ ، ١٣٤ ، وينظر المختار من شعر بشار ٨ (في روايته لبعض اشعار بشار) ، تاريخ بغداد ١٢/٢٨٢ (في روايته لعمارة بن عقيل) ، وامالي القالي في روايته لكثير من الشعراء العباسيين ، ينظر : امالي القالي ١/٣٢ ، ٧٩ ، ٨٤، ٨٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢٥٩ .

ودور ثعلب في رواية الشعر العباسي شبيه بدور ابي العباس المبرد ، ففي ديوان ابي نواس برواية الصولي نص صريح على رواية ثعلب لشعر ابي نواس (١) وفي الاغاني نجد له رواية لبعض اشعار الحسين بن الضحاك (٢) .

ولابي الحسن الاخفش مشاركة واسعة في رواية الشعر العباسي ، فقد روى نصوصا لابي نواس (٣) ، كما روى لابن الرومي (٤) وابن المعتز (٥) وكذلك الحال بالنسبة الى العلماء الاخرين الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري ، كابن السكيت الذي نص القدامى على انه شرح شعر ابي نواس وتكلم على معانيه في نحو الف ورقة (٦) .

ولكل هذا نرى ان ليس صحيحا القول بان علماء اللغة والنحو لم يهتموا بالشعر العباسي فقد قدمنا مايكفي لاثبات اهتمامهم بهذا الشعر وروايتهم له . على ان هذه المسألة تحتاج الى شيء من التفسير والتوضيح لاسيما اذا عرفنا ان بعض نصوص الشعر العباسي ان لم نقل معظمها لاتخدم الغرض الاساسي لعمل هؤلاء العلماء وهو التدريس والتأليف في اللغة .

اول مايبدو لنا في هذا المجال ذلك الموقف الذي وقفه بعض علماء اللغة ، وهو مايوافق ماذهب اليه الدارسون المحدثون من تعصب هؤلاء العلماء للقديم واطراحهم للشعر العباسي اذ يذكر الامدي عن احد الرواة قوله : كنا عند ابن الاعرابي فانشده رجل شعراً لابي نواس احسن فيه ، فسكت ، فقال له الرجل : اما هذا من احسن الشعر ؟ فقال : بلى ولكن القديم احب الي (٧) على اننا نلاحظ من جانب اخر ان مثل هذا الموقف من الشعر العباسي لم يكن ثابتا ، بل قد يتراجع العالم اللغوي عن موقفه احيانا حينما يسمع شعرا عباسيا يعجبه ، كالذي يرويه ابو هفان عن ابن الاعرابي نفسه اذ يقول : كان ابو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي يطعن على ابي نواس ويعيب شعره .. فجمعه مع بعض رواة شعر ابي نواس مجلس والشيخ لايعرفه ، فقال له صاحب ابي نواس : اتعرف اعزك الله — احسن من هذا ؟ وانشده .

---

(١) ديوان ابي نواس (الصولي) ١٧٦ .

(٢) الاغاني ٧ /١٧٤ — ١٧٥ ، وتنظر في روايته للشعراء العباسيين الكتب التالية : الخصائص ٢٤/١ ، تاريخ بغداد ٩٨/١٣ ، زهر الآداب ٥٢٥ ، معجم الادباء ٢٦٨/١ .

(٣) اخبار الزجاجي ١٧٢ .

(٤) امالي الزجاجي ١٧٠ .

(٥) اخبار الزجاجي ١٠٦ ، ١١٧ .

(٦) الوساطة ٥٥ ، معجم الادباء ٦٤/٣ ، وينظر : نزهة الالباء ٦٥ .

(٧) الموشح ٣٨٤ .

ضعيفة كمر الطرف ... الابيات

فقال : لاوالله ، فلمن هو ؟ قال : للذي يقول : ......

فطرب الشيخ وقال : ويحك لمن هذا ، فوالله ماسمعت اجود منه لقديم ولا لمحدث فقال لااخبرك او تكتبه ، فكتبه ، وكتب الاول ... فقال : للذي تذمه وتعيب شعره ابي علي الحكمي (١) ..

وقريب من هذا الموقف مانراه من استحسان بعض العلماء للشعر العباسي بسبب مايعرب عنه من معنى ، كالذي ينقل عن الاصمعي من انه كان يستحسن قول ابي العتاهية .

انت ماستغنيت عن صاحبك الدهر اخوه ... الابيات (٢) ، ومن ثم يمكننا القول بان الشعر العباسي فرض نفسه اخيرا على هؤلاء العلماء بسبب معانيه او طريقة تناوله للمعاني بحيث اصبح هذا الامر مسلما به بالنسبة الى علماء اللغة في القرن الرابع ومابعده ، ويكفي دلالة على هذا ان نذكر قول ابي الفتح عثمان بن جني : (المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ) (٣) .

ولكل هذا الذي قدمناه يمكن القول بان علماء اللغة لم ينصرفوا عن الشعر العباسي ، وروايته وتدوينه ، وما يستتبع هذا من امور اخرى تفرضها عليهم روايتهم للشعر العباسي وعنايتهم به .

كان اكبر مظهر من مظاهر عمل هؤلاء العلماء في رواية الشعر العباسي يتمثل في ظاهرة مشهورة في كتب الادب والنقد وهي ظاهرة النص على الاخذ والسرقة ، فكثير مانجد اقوالا في هذا الموضوع منسوبة الى علماء اللغة والنحو تثبت اخذ الشاعر العباسي من شاعر قديم ، من مثل ماينقل عن الاصبعي من ان قول ابي نواس .

فكأن سلمى اذ تودعنا وقد اشرأب الدمع ان يكفا

مأخوذ من قول عدي بن زيد (٤) ... وقد يكون في هذا مايشير الى ان هؤلاء العلماء

---

(١) زهر الآداب ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٢) الاغاني ٤/١١ .

(٣) العمدة ٢ / ٢٣٦ ، وينظر كتابه الخصائص ففيه استشهادات كثيرة بشعر المتنبي ، وفي احد هذه المواضع التي يستشهد فيها بقول المتنبي يقول : «ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وان كان مولدا – في اثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه .. فان المعاني يتنابها المولدون كما يتنابها المتقدمون .. » الخصائص ١/٢٤ .

(٤) اخبار الزجاجي ٤١ ، وينظر : ذيل الامالي : ٥ في رأي ابي الحسن الاخفش في شعر لعبد الصمد بن المعذل .

انما رووا الشعر العباسي للطعن عليه واثبات افضلية الشعر القديم ، الا ان هذا الافتراض لايثبت لاسيما اذا رأيناهم في هذا الموضوع ذاته لايقتصرون على اخذ الشعراء العباسيين عن الشعر القدامى ، بل يشيرون الى مواضع الاخذ والسرقة بين الشعراء العباسيين انفسهم من مثل مانجده في كتاب الورقة من قوله في ترجمة محمد بن حازم الباهلي : انشدني له المبرد :

لاحين صبر فخل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل

.... قال ابو العباس المبرد : اخذ معنى هذا البيت من النمري حيث يقول :

ماكنت اوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع (١)

ومن هنا يمكن القول ان من اهم مظاهر عمل هؤلاء العلماء في رواية الشعر العباسي هو هذا الذي اشرنا اليه قبل قليل وهو تبيان مواضع الاخذ والسرقة مشبهين في هذا غيرهم من اصناف رواة الشعر العباسي الذين تقدم الكلام عليهم .

وقريب من هذا مانجده عند بعض العلماء العباسيين من ملاحظات نقدية في الشعر العباسي ، فالاصمعي كان يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ويقول : «كان مطبوعاً لايكلف طبعه شيئا» (٢) وابو حاتم السجستاني كان يعجب ببشار كثيراً ويعده اشعر الناس (٣) وكان ابو عبيدة يعجب ببشار كثيراً ويستحسن من شعره قوله :

ضعيفة كر الطرف تحسب انها حديثة عهد بالاقامة من سقم (٤)

وفي كل هذا مايدل دلالة قاطعة على مشاركة علماء اللغة والنحو برواية الشعر العباسي وما يستتبع الرواية من امور اخرى لاحظناها عندهم وعند غيرهم من اصناف الرواة الاخرين ، الا اننا مع هذا نلاحظ على روايتهم هذه ملاحظة شبيهة بما لاحظناه على رواية علماء الادب ، وهي قلة مارواه هؤلاء العلماء من شعر عباسي . وتفسير هذه الظاهرة — فيما نحسب — ان هؤلاء العلماء لم يرووا الا لشعراء معدودين من شعراء العصر العباسي وما رووه او نقلوه من شعر لهؤلاء الشعراء العباسيين كان خاصاً بما يلائم طبيعة عملهم وذوقهم العلمي — ان صح التعبير — ومن ثم لم يكن مانقلوه غير مقطعات او اجزاء من قصائد. وما ينقل عنهم في كتب اللغة والادب من شعر عباسي يمثل هذه الظاهرة بوضوح .

---

(١) الورقة ١١٧ — ١١٨ .

(٢) الاغاني ٣/١٤٩ .

(٣) امالي المرتضى ١/١٤٠ — ١٤١ .

(٤) ذيل الامالي .

ويضاف الى هذا ان اهم مظهر من مظاهر روايتهم للشعر العباسي تمثل في الظاهرة النقدية وبيان مواضع الاخذ والسرقة ، وهذا يحملهم — كما هو واضح — على الاقتصار على بعض الابيات من الشعر العباسي المروي ، مما يؤكد هذه الظاهرة ويجعل رواية علماء اللغة للشعر العباسي شبيهة برواية علماء الادب لهذا الشعر ، والروايتان كلتاهما لاترقيان الى مرتبة ورواية الاصناف التي سبقتهم .

(٣)

الرواية والمشكلات

رأينا فيماسبق من صفحات ان مجالات رواية الشعر العباسي تعددت وتباينت اصنافها كما تعددت اصناف روايته وتباينت مشاربهم — وقد يحمل هذا الامر في ظاهره على الثقة بما وصل الينا من شعر عباسي مادامت قد تهيأت له كل طرق النقل والاداء ، وتهيأت لنقله ونشره كل المجالات التي سبق ان عرضنا لها ، كما قد يحمل على الثقة به مالاحظناه في الصفحات السابقة من عملية تدوين كانت ترافق رواية هذا الشعر في بيئاته المتعددة .

ومسألة التدوين المصاحب للرواية مسألة واضحة في نقل مواد الثقافة العربية الاسلامية في مختلف العصور ، لذا ارانا في غير حاجة الى اطالة القول في هذه المسألة او توكيدهما لانها فيما نحسب اصبحت من البديهيات (١) ، فكل مجلس للرواية والاملاء كان التدوين فيه يصاحب الاملاء والرواية الشفهية ، وكل مايمكن قوله في هذا المجال ان عملية التدوين المصاحب لرواية الشعر العباسي كانت اكثر نطاقاً ، لان هذا الشعر تهيأ له ان يسجل وان يدون مرتين — ان صح التعبير .

المرة الاولى تدوين الشاعر نفسه لشعره حالة نظمه ، وقد كان اكثر شعراء العصر العباسي من المثقفين قياسا الى ذلك العصر ، والمرة الثانية تدوين الراوية الناقل لهذا الشعر والمستملي منه ، او من ينقله عنه في مجالس الرواية ومجالاتها التي عرضنا لها في الصفحات السابقة .

ومع كل هذا كان لابد ان ترافق رواية الشعر العباسي مشكلات عديدة سبق لأستاذنا الجليل الدكتور علي الزبيدي ان عرضها فيما كتبه من مظاهر العبث والانتحال في الشعر العباسي ، وسنعرض آراء استاذنا الزبيدي في هذا الموضوع مؤيده بما لاحظناه خلال تتبعنا

(١) ينظر ما كتبه د. ناصرالدين الاسد في كتاب «مصادر الشعر الجاهلي» الباب الثاني .

لموضوع الرواية هذا محاولين قدر الامكان تعليل مثل هذه الظواهر وتبيان مدى اثرها في رواية الشعر العباسي الذي وصل الينا .

يرى استاذنا الزبيدي ان الدوافع التي كانت تدفع الرواة الى الوضع والتزوير ظلت مستمرة في العصر العباسي ، ومجمل هذه الدوافع في رأيه يرجع الى عدة اشكال اولها : دافع ادبي يقصد به الصراع بين القدماء والمحدثين الذي تمثل في اضراب العلماء والرواة عن رواية شعر المحدثين والاهتمام به (١) وثانيهما دافع ديني تمثل في تلك المعارك الدينية والمذهبية التي كانت سائدة في القرن الثاني مما ادى الى ضياع قسم كبير من الشعر العباسي وتعرضه للفوضى والاضطراب بسبب تلك المعارك (٢) .

اما ثالثهما فيرجع الى الاوضاع السياسية ، وقد ترتب على هذا ان اخبار الشعراء واشعارهم كانت مسرحا لكل عوامل العبث والانتحال بسبب الشعوبية ، وبسبب الصراع بين الاحزاب السياسية (٣) وقد ترتب على هذه العوامل مجتمعة ضياع معظم الدواوين الشعرية ووجود فوضى في نسبة الشعر الى اصحابه (٤) .

هذه هي اهم العوامل التي ذكرها استاذنا الزبيدي في تعليل وجود مثل هذه الظواهر السلبية التي رافقت رواية الشعر العباسي وتدوينه ، وعلى الرغم من ان العامل الاول منها غير وارد في رأينا بسبب ماقدمناه في الصفحات السابقة مما اثبتنا فيه مشاركة العلماء من مختلف اصنافهم في رواية الشعر العباسي ، الا اننا نرى ان العوامل الاخرى التي ذكرها استاذنا الزبيدي تركت اثرها السلبي في رواية الشعر العباسي وحملته بالكثير من المشكلات

واولى هذه المشكلات هي مشكلة الضياع والاضاعة التي سبق لاستاذنا الزبيدي ان اشار اليها . وقد يكون هذا الضياع للشعر العباسي متعمدا مما يمكن ان نسميه الاضاعة كالذي يذكر عن ابي محمد اليزيدي نقلا عن ابنه اسماعيل من قوله : كان لابي اشعار كثيرة في الرشيد وجعفر بن يحيى وغيرهما فقبل ان يموت احرقها واخذ علينا الا نخرج له غير المواعظ (٥) واذا كان بعض الشعراء العباسيين ينحون هذا المنحى في اخريات ايامهم تحرجا وتأثما ، فان الرواة — فيما يبدو — كانوا ينحون هذا المنحى ازاء رواية

---

(١) في الأدب العباسي ٨٣ .
(٢) نفسه ١٣٦ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه ٥٣ .
(٥) الورقة ٢٨ — ٢٩ ، وينظر : طبقات النحويين واللغويين ٦٤ — ٦٥ .

اشعار بعض الشعراء العباسيين للسبب الديني نفسه فقد يكون شعر الشاعر غير مقبول دينيا من حيث المضمون لما فيه من افراط في تناول الصحابة وما شابه هذا ، ولهذا يتحامى الرواة شعره ويضيع قسم كبير منه ، كالذي حدث مع السيد الحميري الذي يقول عنه ابو الفرج الاصفهاني : وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه في شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم فتحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتراقبا (١) .

وقد يكون سبب ضياع شعر الشاعر العباسي واحجام الرواة عن نقله كون ذلك الشاعر غير متصل بالمشهورين من الحكام الذين كانت مجالسهم مقصد الرواة والعلماء ، وكانت رواية يقال في مديحهم سببا في ذيوع ذلك الشاعر العباسي ، كالذي نلاحظه في قول ابي هفان متحدثاً عن الشاعر القصافي : «وكان لايمدح الا وضيعا مثل فرج الرخجي وطبقته فسقط كثير من شعره » (٢) .

واكبر مظاهرة سلبية رافقت رواية الشعر العباسي هي ظاهرة الانتحال واختلاط النسبة فهناك اشارات عديدة الى وجود مثل هذه الظاهرة في العصر العباسي ، ومن هذه الاشارات ماجاء عاما دون تعليل ، كالذي يصادفنا عند ابن قتيبة في معرض حديثه عن ابي نواس اذ يذكر قصيدة لوالبه بن الحباب فيه ثم يقول بعدها :«هكذا قال لي الدعجلي رجل صحب ابا نواس واخذ عنه ، على ان اكثر الناس ينسبون الشعر الى ابي نواس (٣) وشبيه به قول ابن المعتز بعد ان يورد شيئاً من قصيدة الخريمي الرائية : «وقد روى قوم هذه القصيدة لابي سعد قوصرة ، وليست بشيء وانما هي للخريمي ..» (٤)

والذي يلفت النظر في هذه الظاهرة انها تكثر بين الشعراء العباسيين المتعاصرين . واكبر نصيب لها في شعر ابي نواس الذي عني به اكثر من عالم واتفقوا على وجود مثل هذه الظاهرة في شعره ، ومعروفة صنعة الصولي لديوانه وفيها يكثر التنبيه على هذه الظاهرة وذكر الشاعر العباسي الذي تصح نسبة القصيدة اليه (٥) ، كما يكثر فيها التنبيه في نهاية

(١) الاغاني ٧/٢٢٩- ٢٣٠ .

(٢) الورقة ٨ .

(٣) الشعر والشعراء ٢/٦٨٠-٦٨١ .

(٤) طبقات الشعراء ٢٩٤ ، وينظر ٣٨٧ .

(٥) ينظر ديوان ابي نواس (الصولي) ١٧٦ - ١٧٧ .

كل قافية على ماجاء فيها من منحول كما نلاحظ هذه التنبيهات ايضاً في رواية حمـزه الاصفهاني للديوان نفسه . (١) .

وتصادفنا عند بعض المؤلفين تفسيرات لهذه الظاهرة احيانا ، اذ يعزون هذا الانتحال الى الشاعر نفسه احيانا والى الرواة احيانا اخر . فالشاعر الذي يشتهر بموضوع معين كان يعمد الى ادعاء ماأعجبه من قصائد في مثل هذا الموضوع ونسبتها اليه ، ويقع الرواة في الوهم فينسبون هذه القصائد الى ذلك الشاعر لشهرته بهذا الموضوع اكثر من غيره وحسبنا في هذا المجال ان نستشهد بنص واحد نجد فيه كفاية للتدليل على مانقول ، اذ ورد في كتاب الاغاني : سمعت الحسين بن الضحاك يقول : لما قلت قصيدتي :

بدلت من نفحات الورد بالاء ...

انشدتها ابا نواس فقال : ستعلم لمن يرويها الناس ، الي ام لك ، فكان الامر كما قال .. رأيتها في دفاتر الناس في اول اشعاره (٢) ...

واضافة الى هذا السبب الذي اشرنا اليه في تفسير ظاهرة الانتحال كانت هنالك اسباب اخرى اسهمت في وضع بعض نصوص الشعر العباسي والتلاعب فيها وفي نسبتها ، وهي اسباب سبق لاستاذنا الزبيدي ان ذكرها فيما اشار اليه من عصبيات دينية وطائفية كان لها دورها في وجود هذه الظاهرة في شعر العصر العباسي ، ونجد تأييدا لها في كتب القدامى من خلال نصوص عديدة ، كالذي يذكره ياقوت الحموي في قوله متحدثا عن تائية دعبل : ونسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن انها مصنوعة الحقها بها ناس من الشيعة ، وانا مورد هنا ماصح منها (٣) ..

وقد يكون السبب في الوضع خصومات شخصية بين الشعراء تؤدي الى ان يقال على لسان بعضهم مالم يقله ، ويشاع مثل هذا الشعر عنه بوساطة الرواة ، كالذي نلاحظه في قول ابن الجراح : ... بلغني انه قيل لدعبل : انت القائل في المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ....

فقال : لا والله ، ولكن من حشا الله قبره نار ابراهيم بن المهدي ، اشاط بدمي بسبب هجائي اياه (٤) ....

---

(١) ينظر ديوان ابي نواس (حمزة الاصفهاني) ١/٨ – ٩ .
(٢) الاغاني ٧/١٤٧ .
(٣) معجم الادباء ٤/١٩٤ .
(٤) اخبار الشعراء ١٤٠ – ١٤١ .

وكون الشاعر مغموراً قد يكون مدعاة لانتحال شعره وادعائه من قبل اخرين يملكون سبل رواية مايدعون ونشره ، كالذي يشير اليه الصولي في معرض حديثه عن هارون إبن المعتصم اذ يقول : « حدثنا عبد الله بن المعتز قال : حدثني جيران هارون بن المعتصم ان الهدادي غلب على اشعار له وانتحلها لان شعره مما لم يدر بين الناس » (١)

واختلاط نسبة الشعر بين شعراء الاسرة الواحدة ظاهرة قديمة وكان لها نصيب في الشعر العباسي أيضاً ، ونحسب ان لغفلة بعض الرواة دوراً كبيراً في وجود هذه الظاهرة اذ قد يتوهمون بين هذا الشاعر وذاك من الاسرة نفسها فينسبون شعر هذا الى ذاك كالذي يذكره الصولي في معرض حديثه عن اشجع السلمي : «وهنا اشعار نسبها أقوام الى أحمد ووجدتها في شعراء أشجع فجئت بها له ، اذ كان لسعة شعره وشهرته أولى بها ، ولست أذكر لاحمد الا ماجده بخط اثق به أو رويته .. (٢) وينص الخطيب البغدادي صراحة على هذه الظاهرة بقوله متحدثاً عن ال بني امية العباسيين : «وقد اختلطت اشعارهم واختلفت الروايات أيضاً في انسابهم الا ان محمد بن أبي امية أشهرهم ذكراً واكثرهم شعراً (٣) .

تلك هي اهم المظاهر السلبية التي رافقت رواية الشعر العباسي والتي تؤيد في معظمها ماشار اليه استاذنا الزبيدي من دوافع أدت الى وجودها . وقد رأينا ان أكثرها وجوداً هي تلك الظاهرة التي وجدت مصاحبة للشعر العربي القديم وروايته وهي الوضع والانتحال . ونحن مع تأييدنا لصحة تشخيص استاذنا الزبيدي لهذه الظواهر وتبيان اسبابها وخصوصاً الاخيرة منها نظن ان خطورتها في الشعر العباسي لاتوازي أبداً خطورتها في شعر عصر ماقبل الاسلام ولاتصل الى درجتها لجملة أمور :

الاول :

ان هذه الشواهد التي تؤكد وجود مثل هذه الظواهر السلبية قليلة جداً قياساً الى الكثرة الهائلة من نصوص الشعر العباسي واخبار شعرائه . وليس من الانصاف ان نعمم القول استناداً الى شواهد قليلة ونبالغ في تجسيم ماتدل عليه مثل هذه الشواهد كما اشار الى هذا الدكتور مصطفى هدارة . (٤) .

---

(١) اشعار اولاد الخلفاء ١٠٣ .
(٢) اخبار الشعراء ١٤٠-١٤١ .
(٣) تاريخ بغداد ٨٥/٢ .
(٤) اتجاهات الشعر العربي ١٢٨ .

الثاني :

سبق ان عرضنا خلال صفحات هذا البحث مايدل دلالة قاطعة على ان الشعر العباسي قد تهيأ له من وسائل الرواية والانتشار اضعاف ماتهيأ لشعر العصر السابق له ، فهناك بيئات عديدة اسهمت في روايته اضافة الى اصناف عديدة من الرواة قامت بمهمة روايته ونشره على خلاف شعر عصر ماقبل الاسلام الذي اقتصرت روايته على البيئات العلمية فقط وعني به الرواة المتخصصون والعلماء فقط ، ومن هنا كان الشعر العباسي كما يقول الدكتور هدارة «محل عناية أوساط كثيرة في المجتمع وليس محل عناية العلماء واللغويين وحدهم . (١) وواضح ان الشعر الذي تتهيأ له كل هذه الوسائل يكون انتشاره بين جميع طبقات المجتمع ومثقفيه كبيراً مما يحدد مثل هذه الظواهر السلبية في الارتحال والاختلاط النسبة .

الثالث :

ان هذا الشعر هو شعر عباسي ، وان اختلطت النسبة بين هذا الشاعر وذاك فهذا لايعني ان هذا الشعر ليس عباسياً على خلاف ماأثير حول هذه المسألة بالنسبة الى شعرماقبل الاسلام الذي رأى المتشككون فيه ان كثيراً من نصوصه وضعها عباسيون من أولئك العلماء والرواة الذين عنوا به وبجمعه ، ومن هنا تبقى الثقة بالشعر العباسي واردة ومؤكدة على اساس انه شعر نظم ووجد في العصر العباسي على الرغم من اختلاط النسبة بين بعض نصوصه وانتحالها ، وهذا يعني اننا نستطيع دراسة الشعر العباسي في اتجاهاته العامة والمختلفة حتى ان وجدت مثل هذه الظواهر فيه ، لانه يمثل العصر نفسه ، وتبقى خطورة المسألة اذن مقتصرة على الشعراء فقط وعلى من يحاول دراسة شاعر معين . اذ لاخفاء في ان الاختلاط والنسبة في هذه الحال اثره الخطير في النتائج التي يتوصل اليها الباحثون في شعر الشعراء العباسيين دون التأكد من صحة نسبة النصوص التي يدرسونها الى شعرائهم.

وفي هذه الحال ذاتها أيضاً لاتصادف الباحث خطورة كبيرة بالنسبة الى الشعر العباسي اذ سبق ان لاحظنا في كل ماأستشهدنا به من نصوص ومما لم نستشهد به لكثرته ان العلماء والمؤلفين الذين تصدوا لجمع الشعر العباسي ونقله في كتبهم اشاروا الى اختلاط

---

(١) نفسه ١٢٩ .

نسبة بعض هذه النصوص ونبهونا الى الصحيح النسبة منها ، ومن ثم نستطيع التأكد من صحة نسبة هذا الشعر الى الشعراء العباسيين بمراجعة العديد من هذه المصادر التي كثرت فيها الاشارات والتنبيهات الى هذا ، وفي هذا يقول الدكتور مصطفى هدارة : «وفيما عدا ذلك من تخليط في نسبة الاشعار نجد شيئاً يسيراً قليلا لايستوجب منا ان نقف موقف الشك والتحيز من شعر القرن الثاني خصوصاً ان الدارسين الاقدمين هم الذين نبهوا على هذه المواضع المختلفة فاثبتوا يقظتهم لما وقع من تخليط (١) ونضيف الى ماذكره الدكتور هدارة ان بعض العلماء والمؤلفين الذين اتيحت لهم فرصة معاصرة بعض الشعراء العباسيين كانوا يتأكدون من صحة نسبة بعض النصوص التي تنسب الى أكثر من شاعر بمساءلة الشعراء العباسيين انفسهم ، فقد ذكر ابن قتيبة مانصه : «وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل انه للبحتري ، فبعثت اليه اسأله عنه ، فاعلمني أنه ليس له ... (٢)

وظاهرة أخيرة رافقت رواية الشعر العباسي وكانت أثراً من آثار مجالس الرواية ، ورواتها عموماً ، وهي ظاهرة التصحيف والتحريف التي نرى انها ظاهرة طبيعية كانت ترافق عمليات تدوين الشعر العباسي في المجالس والبيئات التي ذكرناها ، من مثل مانراه في ديوان أبي نواس اذ يذكر الصولي قول ابي نواس :

يدور بها ساق اغن ترى له .... الابيات

ثم يقول بعده : «ويروي : يدير بها ، ويروي : اغر ، والاول اجود ..» (٣)
وما نراه في كتاب سر الفصاحة من قوله : «وبعض الناس يروي ان ابا عبادة البحتري انشد يوسف بن محمد .. الثغري قوله :

لك الويل من ليل تطاول آخره ... البيت

فقال له يوسف : الويل لك والحرب . والرواية المشهورة : له الويل . وهي أقرب ، واصلح (٤) ومن الجائز ان ابا عبادة البحتري هو الذي غير هذه اللفظة في شعره بعد ان أحس بعدم مناسبتها ، ورواها الرواة عنه بعد التغيير ، ومثل هذا الامر وهو تغيير الشاعر لبعض الفاظ شعره وتبديلها ونقلها عن طريق الرواة باشكالها المختلفة ، قبل ،

(١) اتجاهات الشعر العربي ١٢٣ .
(٢) عيون الاخبار ١٦١/٣ .
(٣) ديوان ابي نواس (رواية الصولي) ٩٤ .
(٤) سر الفصاحة ٢١٧ .

التغيير وبعده ، كان شائعاً فيما نظن ، وهو الذي يفسر لنا كثرة هذه الظاهرة في الشعر العباسي ، وهي ظاهرة تبدو بشكل واضح في شعر المشهورين المتميزين من شعراء العصر العباسي ، أولئك الذين عني بشعرهم أكثر من راوية وعالم كشعر أبي نواس الذي نجد آثار هذه الظاهرة واضحة في مواضع عديدة من ديوانه بمختلف الروايات . على ان هذه الظاهرة لم تكن دائماً بهذا الافتراض الذي افترضناه ، فتغيير الالفاظ وتبديلها قد يكون متعمداً لايقوم به الشاعر نفسه ، بل يقوم به الرواة العلماء والشعراء الاخرون وهناك اشارات صريحة تدل على هذا ، ومشهور ماقالوه عن بشار وبيته المشهور في هجاء حماد :

فادع غيري الى عبادة ربيـ ـن فاني بواحد مشغول

اذ يذكر ان حماداً غيره بقوله :

فادع غيري الى عبادة ربيـ ـن فاني عن واحد مشغول (١)

وينقل الصاحب بن عباد عن ابن العميد أنه انشد قول ابي تمام :

ابرزت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت اعهده كثير الطحلب

فقال له الصاحب : «زين سيدنا هذا الشعر باقامته الصفحة مقام الجلدة ، فقال : كذا يلزمنا لمثل ابي تمام ، اذا امكن صلاح بيت بلفظة وتهذيب قصيدة بكلمة (٢) .

ومثل هذا الصنيع — فيما نظن — قليل الخطر في مجال الشعر العباسي حتى وان كان كثيراً في شعر بعض كبار شعرائه ، فهو لا يغير في صياغة هذا الشعر ويبعده عن كونه شعراً عباسياً مثل العصر العباسي بكل قيمه وتقاليده ومن هنا نستطيع القول ان مثل هذه الظواهر التي عرضناها في هذا القسم الخاص بالمشكلات المرافقة لرواية الشعر العباسي انها كانت ظواهر لها وجودها الا أنها بسبب تنبيه العلماء عليها تظل ظواهر غير خطرة ولاتصل بأية حال من الاحوال الى درجة خطورتها في رواية شعر العصر السابق للعصر العباسي .

---

(١) ينظر : امالي المرتضى ١/١٣٣ .

(٢) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٣٨ .

المصادر والمراجع

١ ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ـ د. محمد مصطفى هداره ، القاهرة دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧٠ .

٢ ـ اخبار ابي تمام ـ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٣٥هـ) تحـ: خليل عساكر واخرون ، القاهرة ١٩٣٧(تصوير : المكتب التجاري ببيروت) .

٣ ـ اخبار البحتري ـ أبو بكر الصولي ، تحـ: د. صالح الاشتر ، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٥٨ .

٤ ـ اخبار الزجاجي ـ أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ) تحـ: د. عبدالحسين المبارك ، بغداد ، منشورات وزارة الأعلام ١٩٨٠ .

٥ ـ اخبار الشعراء ـ أبو بكر الصولي، تحـ : هيبورث دن، القاهرة ، مطبعة الصاوي ١٩٣٤ .

٦ ـ الأخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار (٢٥٦هـ) تحـ: د. سامي مكي العاني ، بغداد ـ مطبعة العاني ١٩٧٢ .

٧ ـ اشعار اولاد الخلفاء ـ أبو بكر الصولي ، تحـ: هيورث دن، القاهرة ، مطبعة الصاوي ١٩٣٦ .

٨ ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ) القاهرة ، دار الكتب المصرية .

٩ ـ الامالي (ومعه الذيل والنوادر) ابو علي القالي (٣٥٦)هـ تحـ: اسماعيل يوسف ذياب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

١٠ ـ امالي المرتضى ـ الشريف المرتضى (٤٣٦هـ) تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٥٤ .

١١ ـ البخلاء ـ الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) تحـ : . احمد مطلوب

١٢ ـ البيان والتبيين ـ ابو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) تحـ: عبدالسلام هارون ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢، ١٩٦٠ .

١٣ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣١ .

١٤ ـ جمع الجواهر ـ أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (٤٥٦هـ) تحـ: علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط ١ ، ١٩٥٣ .

١٥ – الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) تح: محمد علي النجار ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
١٦ – ديوان أبي نواس – رواية ابي بكر الصولي ، تح: د : بهجة الحديثي ، بغداد دار الرسالة ١٩٨٠ .
١٧ – ديوان ابي نواس – رواية حمزة الاصفهاني (٣٦٠هـ) تح: ايفالد فاجنر ،جـ١ القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ .
١٨ – زهر الاداب – أبو اسحاق الحصري ، تح: د. زكي مبارك تصوير ، لبنان. دار الجيل ١٩٧٢ .
١٩ – سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) تصحيح : عبدالمتعال الصعيدي، القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٩ .
٢٠ – الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٤.
٢١ – ضرائر الشعر – ابن عصفور الأشبيلي (٦٦٩هـ) تح: ابراهيم محمد دار الأندلس ١٩٨٠ .
٢٢ – طبقات الشعراء – عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) تح: عبدالستار احمد فراج ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٥٦ .
٢٣ – طبقات النحويين واللغويين – أبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣ .
٢٤ – العمدة – ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٢ .
٢٥ – عيون الاخبار – ابن قتيبة الدينوري ، القاهرة ، دار الكتب المصرية.
٢٦ – الفاضل في صفة الادب الكامل – الوشاء (٣٢٥هـ) تح: يوسف يعقوب مسكوني بغداد مطبعة شفيق ١٩٧١ .
٢٧ – في الادب العباسي – د. علي الزبيدي ،القاهرة ، دار المعرفة ١٩٥٩ .
٢٨ – الكامل – محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، السيد شحاته . القاهرة . دار النهضة – مصر ١٩٥٦ .
٢٩ – الكشف عن مساوىء شعر المتنبي – الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) تح: ابراهيم الدسوقي ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦١ (مطبوع مع كتاب الابانة للعميدي).

٣٠ ـ مجالس العلماء ـ أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ) تحـ: عبدالسلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ .
٣١ ـ المختار من شعر بشار ـ الخالديان (٣٨٠ ـ ٣٩٠) شرح التجيبي ، تحـ: محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد .
٣٢ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية ـ د. ناصر الدين الأسد، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٦٩ .
٣٣ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) تحـ: مرجيليوث ، القاهرة ، مطبعة أمين هندية (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
٣٤ ـ معجم الشعراء ـ محمد بن عمران المريزباني (٣٨٤هـ) تحـ: عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٠ .
٣٥ ـ الموازنة ـ الحسن بن بشر الامدي (٣٧٠هـ) تحـ: السيد احمد صقر ، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٦٥ .
٣٦ ـ المؤتلف والمختلف ـ الامدي ، تحـ : عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٦١ .
٣٧ ـ الموشى ـ الوشاء ، تحـ: كمال مصطفى ، القاهرة ، مطبعة الأعتماد ، ط ٢ ، ١٩٥٣
٣٨ ـ الموشح ـ المرزباني ، تحـ: علي البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥
٣٩ ـ نزهة الالباء ، أبو البركات بن الأنباري (٥٧٧هـ) تحـ: د. ابراهيم السامرائي ، نشر مكتبة الأندلس ببغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ .
٤٠ ـ الورقة محمد بن داود الجراح (٢٩٦هـ) تحـ: عبدالوهاب عزام ، عبدالستار فراج ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ .
٤١ ـ الوساطة ـ القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط ٤ ، ١٩٦٦ .
٤٢ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان (٦٨١هـ) تحـ: د. احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٨ ـ ١٩٧١ .

الغزل عند جرير

علي كمال الدين محمد الفهادي
كلية الآداب/جامعة الموصل

تمهيد

عندما قرأت الشعر الأموي وموضوعاته لفت نظري موضوع الغزل في هذا العصر، وهو موضوع تناوله الدارسون، بأساليب ومناهج متباينة، كل وفق منهجه واسلوبه ورؤيته، بيد أن هؤلاء تناولوا شعر الغزل المشهور وقسموه إلى ثلاثة أنماط: العذري والمطلق والتقليدي ثم درسوا اللونين الاول والثاني وتركوا الغزل التقليدي دون دراسة (١) وهذا مافعله الدكتور شكري فيصل في دراسته للغزل وتطوره بين الجاهلية والاسلام. حيث يقسم الغزل إلى أنماط ثلاثة: العذري والمطلق ويسميه العمري نسبة إلى عمربن ابي ربيعة والثالث التقليدي «وبين هذين اللونين من الغزل، في المنطقة المحايدة التي تفصل بينهما، كان غزل من نوع آخر، هو هذا الغزل التقليدي الذي يقوله اصحابه بحكم الاستجابة الفنية لتقاليد القصيدة العربية، أكثر مما يقولونه بحكم الاستجابة النفسية التي كانوا يحسونها، أو التناغم العاطفي الذي كانوا يجدونه.....والذي يرجع في اصوله إلى أعماق الحياة الادبية ويضرب فيها إلى ابعد حدودها الزمنية انه صورة لاستمرار الأنماط الجاهلية وتتاليها.» (٢) وفي الوقت الذي يخصص للونين الاولين فصولاً كاملة من كتابه يتناول اللون الثالث بسطور قليلة.

وكذلك فعل الدكتور عبد القادر القط في كتابه «في الشعر الاسلامي والاموي» حيث

---

(١) ينظر حديث الاربعاء للدكتور طه حسين ١٨٧ وتاريخ الآداب العربية إلى عصر بني أمية لكارلونالينو ١٧١ وعصر القرآن لمحمد مهدي البصير ١٢٨.

(٢) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ٢٨١ – ٢٨٢

خصص أكثر من ٢٤٠ صفحة لدراسة الشعر العذري والغزل الحضاري (١) وترك الغزل التقليدي دون دراسة لكنه عاد فأشار اشارات الى ذلك الغزل من خلال دراسته لشعر الفحول في العصر الاموي وبصورة خاصة شعر جرير والفرزدق والاخطل (٢) . وهكذا نرى أن حظ الغزل التقليدي ضئيل عند هؤلاء الباحثين ولما كان هذا الغزل يغطي مساحة واسعة لدى شعراء العصر وخصوصاً الشعراء الفحول فقد آثرت ان اكتب في هـــذا الموضوع وكان وقوع اختياري على غزل جرير لما للشاعر من براعة في نظمه ، وقدرة على التصرف فيه جعلته يتفوق على خصميه الاخرين الفرزدق والاخطل ، وقـــد كان للقدماء رأي في نجاح الشاعر في صوغ هذا اللون من الشعر ، اعترفوا له بالفضل في ميدانه خصوماً واصدقاء . إن الشهرة التي نالها الشاعر بسبب هجائه ونقائضه جعلت الدارسين يتوجهون بالعناية والبحث لدراسة هجائه أكثر من الاهتمام بغزله ومن هنا اجد ضرورة الكشف عن ابعاد هذا الموضوع الاخير .

وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الاولى المقدمة على سائر الشعراء في الاسلام (٣) وقد فضله على زميليه من الفحول الفرزدق والاخطل » (٤) . اذا قرأنا شعر جرير واستعرضنا قصائده التي شغلت ديوانه كله فاننا لانجد قصيدة كاملة في موضوع الغزل ، لافي مطولاته ولا في مقطوعاته ، ولكننا نجد هذا الموضوع يتصدر قصائد الشاعر سواء ذلك في نقائضه ام مدائحه وأهاجيه ، فالشاعر لم يقف شعره على هذا الموضوع كما فعل العذريون امثال جميل بن معمر وقيس بن ذريح ، ولم يوظفه لوصف المغامرات العاطفية والاجواء الصريحة للحب المادي كما فعل عمر بن أبي ربيعة ، لانه كان بريئاً من تلك المغامرات ولانشغاله بالمديح الذي اتخذه وسيلة للكسب والمعاش ، وبالهجاء الذي صب عليه طاقته وقدرته الشعرية . ولكنه اتخذ منه مادة لمقدمات قصائده في الهجاء والمديح ووظفه لخدمة هذين الموضوعين وكان يأتي به بعد وقوفه على الاطلال (٥) أو يبدأ به قصائده مباشرة ودون الوقوف على طلل .

(١) ٧١ – ٢٥٣

(٢) ينظر ٣٠٦ – ٣٥١ حيث أشار الدكتور القط إلى هذا اللون من الغزل عند دراسته للشعراء الذين أسماهم: المحترفون.

(٣) ٢٤٩

(٤) طبقات فحول الشعراء ٣٥٣

(٥) لقد تغنى الشاعر بالاطلال مايقرب من احدى وأربعين مرة. مقدمة القصيدة العربية. حسين عطوان ٥٠

ومع أن شعر الغزل عنده أقل نسبياً من شعره في الموضوعات الاخرى الا أنه شعر يكفي «للدلالة على مهارته في هذا الفن وتمكنه من التأثير في النفس» (١) .

والشاعر استاذ ماهر في صناعته فهو يبرع في الشكوى من الصد والجفوة ويتوجع من الشوق والبعد والهجران . ويتألم من الصبابة ، ويتحسر مـــن انصراف الغواني عنه بعد أن ودع الشباب وغطى الشيب سواد شعره ، وخبرته بفنون هذه الصنعة جعلته يكثر الحديث عن الرقباء والعذال واللوام ويتشاءم من غراب البين حيث ينعب يفرح للوصال . ويلتاع للماطلة والفراق وكثيراً مايطيل في هذا الغزل حتى يتجاوز التناسب بين المقدمة وموضوع القصيدة .

وأقول : انه استاذ ماهر بصناعة غزله لأنه لم يعشق قط ولم يكن يقصد إلى الغزل لذاته إنما ليوظفه في التقديم لقصائد المديح والهجاء، وهو يقرُّ بذلك وينفي عن نفسه الحب والعشق : «ماعشقت قط ،ولو عشقت لنسبتُ نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على مافاتها من شبابها» .(٢) وهذا القول يكرره جرير بصورة أخرى ينقلها لنا الرواة حيث ينسبون اليه : «لولاماشغلني من هذه الكلاب (يعني الشعراء الذين تناولوه بالهجاء)لشببتُ تشبيباً تحن منه العجوز إلى شبابها كما تحن الناب إلى سقبها(٣).فمن ذلك نرى أن جريراً يحاول نفي العشق عن نفسه في النص الأول وإنشغاله عن الغزل أو الابداع في الغزل بالرد على شعراء الهجاء في النص الثاني ولكن القولين يدلان على فخر جرير بالمقدرة الشعرية تلك المقدرة التي شهد له بها الخصوم قبل الأصدقاء حيث يقول غريمه الفرزدق : « قاتله الله : فما أخشن ناحيته وأشرد قافيته: والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على احبابها». (٤) هذه البراعة في الغزل هي التي جعلتني اقول بأنه أستاذ ماهر بسر بصناعته، فهو لم يعشق قط ولكنه أبدع لنا شعراً رائعاً في الغزل . فالشاعر يجيد الحديث عن الأحباب والمحبين وكأنه عاشق ذاق لوعة الحب وعرف طعمه،وقد جاءه ذلك من تجاربه الصادقة في علاقاته الزوجية وثقافته الشعرية حيث أفاد منهما إفادة كبيرة في صوغ هذا الغزل .

---

(١) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ٣٧٠

(٢) الأغاني ٨ : ٢٧٨٩

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٦٦

(٤) الأغاني ٨ : ٢٧٥٧

ان الشاعر في غزله قد امتلك ناصية القصيدة فوفق في مقدماته الغزلية فكان شعره رقيقاً عذباً منساباً وكانت لغته قريبة من النفس تؤثرها الأذن على سواها ويلذ الفؤاد إنسيابها حيث يرق الشاعر في الابيات المقبلة في مقدمة قصيدة هجاء ،يقف على الاطلال بسبعة أبيات ثم يبدأ الغزل ،يفدي الحبيب نفسه ويتحدث عن خياله وطيفه ويشير إلى كثرة المحبين الذين لاينالون وصلاً من هذه المرأة فهم ظمئون لروائها ولا رواء لهم ولو شارك الحمام جريراً شوقه لها لأصابه الهم والاكتئاب: (١)

بنَفْسي مَنْ تَجنبهُ عَزيزٌ
عَلَيَّ ومَنْ زيارتهُ لمامُ

ومَنْ أُمسي وأُصبحُ لاأراهُ
ويَطرقني اذا هَجَعَ النِّيامُ

أَلَيسَ لما طلبتُ فَدَتْكَ نفسي
قضاءٌ أو لحاجتي إنصرامُ

فدىً نفسي لنفسكَ منْ ضجيعٍ
إذا ما آلتجَّ بالسِّنةِ المنَامُ

أَتَنْسى إذْ تودِّعنا سليمى
بفرْعِ بَشامةٍ ؟سقيَ البشامُ

تركْتِ محلِّئينَ رَأوا شفاءً
فَحَاموا ثم لم يَرِدوا وحاموا

فلَو وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا
بسلْمانينَ لاكتأب الحمام

وهكذا شأنُ جرير في غزله يحن ويلين ويرقُ ، حتى اذا بلغ الهجاء صبَّ على مهجويه شواظاً من نار وسوط عذاب.

لقد أعجب القدماءُ كثيراً بغزل الشاعر وعدُّوه صاحبَ أغزل بيت قالته العربُ وهو قوله: (٢)

إنَّ العيونَ التي في طَرفها حَوَرٌ
قتَلْننا ثم لم يحيين قتلانا

---

(١) ديوانه ٦١٣. السنة :النوم. المحلأ: الشديد الظمأ.

(٢) طبقات فحول الشعراء ٣١٩.

وعدّه أبن سلام صاحبَ أنسب بيت لقوله : (١)

وَلَمّا التقـىَ الحَيـانِ أُلقيـتِ العصـا
ومات الهَوى لَمّا أُصيبت مقاتله

ويكاد يجمع القدماء على أفضلية جرير على معاصريه لأسباب في مقدمتها الغزل حيث يقول أبو عبيدة : « يحتجُّ من قدم جريراً بأنه كان اكثرهم فنون شعر وأسهلهم الفاظاً، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً » (٢). وعدّه ابن قتيبة « من أحسن الناس تشبيباً » (٣). وكان عامر شيخُ بكر بن وائل يقول: «كان جرير والله أنسبهما وأسبهما وأشبههما»(٤).

وقال الفرزدق حين سمع غزله يغنى وكان يجهل قائله «ماأرق أشعاركم ياأهل الحجاز وأملحها»(٥).وقد فضلته على الفرزدق السيدة سكينة بنت الحسين لحسن غزله ورثائه.(٦) كثيراً مايتخذ الشاعر من زوجاته موضوعاً لغزله الرقيق الذي يتصدر به قصائده فيذكرهن بأسمائهن صراحة أحياناً كما يذكرهن بكناهن أحياناً أخرى، ويذكر في شعره صواحب حقيقيات ومزعومات ويشير الى ذلك الدكتور شوقي ضيف بقوله : « ان علاقات الشاعر بزوجاته كانت تقوم على المحبة والمودة،واتخذهن الشاعر موضوعاً لغزله الرقيق. » (٧) ويرى ان غزله صادق لأنه استمده من واقع حياته الزوجية خصوصاً حين يتحدث عن زوجاته كما يرى هذا الصدق عند الغزل بغير زوجاته لأن الشاعر يعتمد في ذلك «على مشاعره واحساساته في غزله وينطلق في التعبير عن عواطفه ووجداناته .. ومن هنا كنا نحس عند جرير انه يتحول الى شعور وعواطف خالصة». (٨)

وهذا مايراه بطرس البستاني أيضاً حين يقول :« وانا ان قلنا ان جريراً لم يكن في عداد المتيمين ، لنأبى أن نجاري الرواة في زعمهم انه لم يعشق قط ، فمثل هذا الغزل الناعم لايصح صدوره الا عن قلب ملتاع... ولكنه أحب حباً صادقاً، وتغزل غزلا صادقاً

(١) نفسه ٣٢٠.
(٢) الأغاني ٨ : ٢٧٥١
(٣) الشعر والشعراء ١ : ٤٦٦
(٤) الأغاني ٨ : ٢٧٥٥
(٥) نفسه ٨ : ٢٧٥٨
(٦) نفسه ٨ : ٢٧٨٤ وينظر ٢٧٨٥
(٧) العصر الاسلامي ٢٨٦ — ٢٨٧
(٨) التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢١٠

لاتكلف فيه .» (١) غير أن محمد مهدي البصير يرى ان الشعر الذي يتحدث فيه الشاعر عن علاقاته بزوجاته أصيل وما سواه غير أصيل ولكن الشاعر اعتمد على إحساساته ومشاعره بحيث جاد غزله ورق نسيبه يقول: «غزل جرير رقيق جذاب على العموم ألا انه غير أصيل، وهو كذلك لان جريراً لم يكن عاشقاً عفيفاً شديد اللوعة كجميل بن معمر وقيس بن ذريح، ولم يكن غزلا ماجناً كعمر بن أبي ربيعة والعرجي، وانما كان –كما يستشف من شعره– رقيق الأحساس حي الشعور خصب الخيال ، ومن شأن هذه المزايا أن تهيء لصاحبها قدرة عجيبة على صوغ بدائع النسيب وروائع الغزل، وهذا ما حصل لجرير بالفعل فقد رق نسيبه وجاد غزله الى درجة يخيل لك معها ان قائله ممن ذاق مرارة الحب وتقلب على جمر الهوى.» (٢) ثم يضيف: «على أن في صدور بعض مدائحه وأهاجيه غزلا أصيلا هو هذا الذي يشبب فيه بزوجتيه خالدة المكناة بأم حزرة، وأمامة والدة إبنته زينب (٣) .

مما سبق نستطيع القول ان لجرير غزلا أصيلا صادقاً هو الذي إتخذ من زوجاته مادة له وغزلا آخر كان يندفع فيه ليجاري سنة القدماء اعتمد فيه على رقة إحساسه ومشاعره فصاغها بخياله الخصب.

فمن شعره الذي قاله في زوجته أمامة يذكر حبه وشوقه ولوعته قوله من مقدمة قصيدة مدح: (٤)

ودع أمـــامـــة حـــان مـــنـــك رحـــيـــل
إن الوداع الــى الحـبـيـب قـلـيـل

تـلـك الـقـلـوب صـواديـاً تيمتـهـا
وأرى الشـفـاء ومـا اليـه سـبـيـل

أعـذرت في طـلـب الـنـوال الـيـكـم
لو كـان مـن مـلـك الـنـوال ينيـل

إنْ كـان طـبـكـمُ الدّلالُ فـإنـهُ
حَسَنٌ دلالـك يـاأُمَـيـمُ جميلُ

(١) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ٣٧٦ وينظر جرير للدكتور جميل سلطان ٩٥
(٢) عصر القرآن ١٦٩
(٣) نفسه ١٧٠
(٤) ديوانه ٥٦٦

قال العواذلُ: قد جهلتَ بحبِّها
بَل مَنْ يلومُ على هَواكِ جَهولُ
كَنَقَا الكثيب تَهيّلتْ أعطافُهُ
والريحُ تجبرُ مَتْنَهُ، وتهيلُ
أمّا الفؤادُ فليس يَنسى ذكرَكُمْ
مادامَ يَهتفُ في الأراكِ هَديلُ
وكأنّ ليلي، منْ تذكريَ الهوى
ليلٌ، بأطولِ ليلةٍ موصولُ

أما شعره في غير زوجاته فمنه الذي يقول فيه: (١)

أمْسَى فؤادُكَ ذا شجونٍ مقْصَدا
لو أنّ قلبَكَ يَستطيع تجلّدا
علّقتها عَرضاً، ويلقى سرُّها
مَنْمَى الأنوقِ ببيْضها أو أبعدا(*)
مَنَعَ الزيارةَ والحديثَ اليكُمُ
غَيْرانُ حربَ دونكمْ فأستأسدا
باعدْنَ إنّ وصالهنّ خلابةٌ
ولقدْ جمعْنَ مَعَ البعادِ تَحقدا
انكرْنَ عهْدكَ بعدما عرّفْنَهُ
وفقدْنَ ذا القصَبَ الغدافَ الأسودا
واذا الشيوخ تعرّضوا لمودة
قلْنَ: الترابُ لكلّ شيخٍ أدردا
تلقى الفتاةُ من الشيوخِ بليّةً
إنّ البليةَ كلُّ شيخٍ أفندا

---

(١) ديوانه ٢١٥ – ٢١٦

(*) المنمى: المصعد. الأنوق: الرخمة يشير إلى المثل القائل: أعز من بيض الأنوق وذلك لأن أوكارها تكون في رؤوس الجبال والاماكن العالية الصعبة.

وتَـقـولُ عاذلـةٌ رَخِـيٌّ بـالـهـا
مابالُ نَومِكَ لايَزالُ مسَهّدا

لو تعلمين عَلِمتِ هَمّاً داخلاً
هماً طَوارِقُهُ مَنَعْنَ المَرقَدا

الحق اننا لانجد وراء هذه الأبيات امرأة أو حتى خيال امرأة ولكننا نجد شبحاً لأمرأة وهمية ،ونجد عاطفة مفتعلة في هذه القصيدة أشبه بهذه المرأة التي اختلقتها حاجة الشاعر لتقليد سنة القصيدة والتي تبدأ بالأطلال والغزل، غير أن هذه الأشعار التي لايذكر الشاعر فيها زوجاته لم تكن كلها بهذا البرود العاطفي وهذا الأفتعال المختلق بل نجد أشعاراً اخرى يجيد فيها الشاعر الغزل وينجح فيه ومن ذلك قوله: (١)

أَلاَ حَيِّ ليلى إذْ أَجَدَّ أجتنابُها
وهَرَّكَ مِنْ بَعدِ أئتلافٍ كلابُها

وكيفَ بِهِنْدٍ والنّوى أَجْنَبِيَّةٌ
طَموحٌ تَنائيها، عَسيرٌ طلابُها

فَلَيْتَ ديارَ الحيِّ لم يمْسِ أهلُها
بعيداً ولم يَشْحَجْ لبَيْنٍ غرابُها

أُحَلاُ عَنْ بَرْدِ الشرابِ وَقَدْ نَرى
مَشارِعَ للضمآنِ يجري حَبابُها

ونَخْشى مِنَ الأعداءِ أُذْناً سَمِيعةً
تَوَجّسُ أَو عَيناً يخافُ ارتقابُها

كأَنَّ عيونُ المجتلَينَ تَعرّضَتْ
لِشَمسٍ تجلى يَومَ دَجْنٍ سَحابُها

اذا ذُكِرَتْ للقَلبِ كادَ لِذِكرِها
يَطيرُ إليها ،وأعتراهُ عَذابُها

فَهَلْ مِنْ شَفيعٍ أو رَسولٍ بحاجَةٍ
إليها وإنْ صَدَّتْ وقَلَّ ثوابُها

بأَنَّ الصّبا يَوماً بِمَنْعجَ لم يَدَعْ
عَزاءً لِنَفْسٍ مايداوَى مصابُها

---

(١) نفسه ٧٤

وَيَوماً بسلْمانينَ كِدْتُ مِنَ الهَوىَ
أَبوحُ، وَقَدْ زُمَّتْ لبينٍ ركابها،
عَجبتُ لمحزونٍ تكلّفَ حاجةً
إليها فَلَمْ يردُدْ بشيءٍ جَوابها
حَتّى أهلها ما كانَ منّا فأصبحَتْ
سَواءٌ علينا نَأْيها وآقترابها

الابيات التي سلفت من قصيدة يهجو الشاعر بها الأخطل، ويتحدث في بدايتها عن حبه ومكابدته الشوق، ومواجعه وهجر حبيبته، وشوقه اليها، ويشير الى العذال والحساد ويتحدث عن حزنه الشفاف الرقيق الذي امتزج بحبه ومشاعره، وسر نجاحه في هذا الغزل هو نفسه التي انطوت على الأحزان والمواجع وثقافته الشعرية التي ألمَّ بهامن خلال معرفته بأشعار القدماء والمعاصرين وتجربته الصادقة في حبه لزوجاته وذكريات حب ربما يكون الشاعر قد عاناه فضلا عن حبه لزوجاته ورقة نفسه ولينها يقول الدكتور شوقي ضيف: «والغزل لاينجح فيه الاّ صاحب النفس اللينة الصافية، ولذلك تقدمه جرير إذ كانت نفسه لينة حقاً، صافية حقاً، ..... ولا نشك في أن هذا الحزن الذي كان يتسرب الى قلبه كان ذا أثر بعيد في صفاء نفسه وارهافها وتهيئتها لأن يتفوق في الغزل والتشبيب، لأن الحزن من عادته ان يجلوالنفس وجلو ما يصدرعنها، وخاصة اذاكان شكوى من حبيب» (١) ان الذي ينظر الى شعر جرير يجد أن غزله أقرب الى شعر العذريين فهو شعر عفيف طاهر يبتعد عن الأوصاف الصريحة التي استخدمها عمر بن ابي ربيعة والأحوص والعرجي في اشعارهم فجرير كثير الحديث عن اشواقه وبعد حبيبته وتمنيه الوصال ولا وصال وهو في شعره هذا رقيق العاطفة مشوب بالأسى يقول جرير : (٢)

وَرَبَّ الراقصاتِ الى الثَنايا
بشعْثٍ أيدَعوا حَجاً تَمَاماً
أُحِبُّكِ ياأُمامَ وكلَّ أرضٍ
سَكَنْتِ بها، وَانْ كانَتْ وِخَاما
كأنيَّ إنْ أُسامَةُ حَلأتْني
أرى الأَشْرابَ آجنَةً سِداما

(١) التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢١١
(٢) ديوانه ٦٤٣ - ٦٤٤ وينظر ٦٩٩

كَصَادٍ ظَلَّ مُحْتَمِاً لِشُرْبٍ
فَلاَبَ على شَرَائِعِهِ وحَامَا

وَلَوْ شاءَتْ أمَامَةُ قد نَقَعْنَا
بعذْبٍ باردٍ يَشفي السّقامَا

موقّاةٌ إذا ترمي صَيُودٌ
ملقّاةٌ اذا ترمي الكراما

ولو خرجَتْ أمامَةُ يَومَ عيدٍ
لمَدَّ الناسُ أيديهم قيامَا

كلاَ يَومَيْ أُمامَةَ يَومُ صدْقٍ
وَإنْ لم تَأْتِهَا إلاَّ لِمامَا

فإنّكِ يا أُمامُ ورَبِّ موسى
أَحبُّ إلـيّ منْ صلى وَصاما

واغلب شعر جرير من هذا النوع الذي يقترب فيه الشاعر من غزل العذريين فهو غزل عفيف وان كان الشاعر قد خالف هذا النهج، في قليل من الأحيان فنهج بغزله نهج شعراء الغزل الصريح من مثل قوله: (١)

وَلَقَدْ أَبِيتُ ضَجيعَ كلِّ مخضّبٍ
رَخْصِ الأنامِلِ طيبِ الأرْدانِ

عطِرِ الثيابِ منَ العبيرِ مذَيَّلٍ
يمْشي الهوَيْنا مشْيَةَ السكرانِ

صدَعَ الظعائنُ يومَ بنَّ فؤادَهُ
صدْعَ الزُّجاجة مالذاكَ تدانِ

ولعل أبياته الآتية أوضح في الدلالة على ذهابه مذهب شعراء الغزل الصريح حيث يشير الى تمتعه بأحدى صواحبه التي تحاوره محاولة الأتفاق على موعد تخيره بين الليل والنهار يقول: (٢)

---

(١) ديوانه ٦٧٧

(٢) ديوانه ٥٧٤

وَيَومٍ كابهامِ القطاةِ مزَينٍ
إلَيَّ صباهُ، غالبٍ ليَ باطلُهْ
لهوتُ بجنيٍّ عليهِ سموطُهُ
وَأنْسٌ مجاليْهِ وَأنْسٌ شمائلُهْ
فما مغْزِلٌ أدماءُ تحنو لشادنٍ
كطوقِ الفتّاةِ لم تشدَّدْ مفاصلُهْ
بأَحْسنَ منها يومَ قالتْ: أَناظرٌ
الى الليلِ بعضَ النيلِ أَمْ أَنْتَ عاجلُه
فلوْ كانَ هذا الحبُّ حبّاً سلوتُهُ
ولكنَّهُ داءٌ تعودُ عقابلُهْ

لكن هذا نادر في شعره وقليل واذا أردنا أن نبحث عن سبب هذا العفاف الذي غلب على غزل جرير فاننا نجد أنه يعود الى عفة الشاعر نفسه فليس في سلوكه وحياته الخاصة ما يدل على فسق وتتبع نساء وسيرته تنبض بالعفة التي كان سببها كما يرى الدكتور شوقي ضيف تأثره بالاسلام وصفاء نفسه وحزنه «واتاح له صفاء نفسه وانطواؤها على الحزن أن يبلغ من هذا الغزل كل مايريد من تصوير الحب الخالص الطاهر» (١) ويقول : «كانت نفسه (جرير) لينة حقاً صافية حقاً ، وقد جاءه ذلك من أنه كان متديناً يذوب في الاسلام ، فصفى الاسلام جوهر نفسه ، واعده لينبع في هذا الفن» (٢) .

ويرى ان سبب هذا الحزن الذي دفعه الى الاطالة بمقدمات النسيب هو نسبه الذي لا يعينه للوقوف أمام الفرزدق مفاخراً « وكل من يقرأ غزل جرير ومقدماته لنقائضه وقصائده يشعر أنه يقرأ لنفس غير مبتهجة . فليس له مايبتهج به في الاباء ، وانما له ما يؤذيه ، وما يشعر معه بالقصور والحزن ، ولعل ذلك ماجعله يطيل مقدمات نقائضه مع الفرزدق » (٣) .

والذي يدل على تدين جرير ترفعه عن هجاء الفرزدق وهو في طريقه الى الحج «التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان ، فقال الفرزدق لجرير :

---

(١) العصر الاسلامي ٢٨٦
(٢) التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢١١
(٣) نفسه ٢١١ — ٢١٢

فانك لاق بالمشاعر مـــن منـــى
فخاراً فخبرني بمن أنـــت فاخــر

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك» (١) .

ونرى ان جريراً كان ديناً عفيفاً في حياته اكثر من تدينه وعفافه في شعره وبصورة خاصة شعره في الهجاء إذ ان دائرة الشعر أوسع من أن يقيدها الدين وقد رأينا كيف ابت معاني الهجاء في مناقضات شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم أن تنصاع لتعاليم الاسلام انصياعاً تاماً وخصوصاً في شعر حسان بن ثابت ، فاذا قلنا بأن جريراً كان ديناً عـفيفاً في غزله فان ذلك لايعني خلو هجائه من الفحش وهتك الحرمات مما لايتماشى وتعاليم الاسلام التي تنهى عن القذف بأعراض الناس وحرماتهم وبهذا فأننا نخالف محـمد مهدي البصير فيما يراه بقوله : «المعروف أن جريراً كان متديناً عفيفاً ، ولكني أشك في أن يكون ذا عقيدة دينية راسخة تسيطر على نزعاته ، وتهذب من أخلاقه ، لانه لو كان كذلك لحمله دينه على البر بأبيه ونهاه عن التهجم على اعراض الناس واحسابهم واكبر الظن عندي انه كان يصطنع الدين لان الفرزدق لايتقيد به ، ويصطنع العفــة كذلك لان الفرزدق كان متجاهراً بالفسق » (٢) .

إن من الصعب جداً أن يلبس جرير لبوس العفة والدين ما لم يكن عفيفاً متديناً حـقاً ؛ لا شيء سوى لغلبة شاعر يهاجيه خصوصاً اذا علمنا ان الفترة التي تناجز فيها الشاعر الهجاء تقرب من أربعين سنة وكان بمقدور جرير بما أوتي من براعة شعرية في الهـجاء أن يغلب الفرزدق بشعره لابتظاهره بالتدين والعفة ، وعلى كل حال وما لم يكن جرير عفيفاً في هجائه فقد كان عفيفاً في غزله ولو لم يكن عفيفاً لما شهد له بذلك غريمه الفرزدق بقوله حين سمع شعره يغنى : « ماكان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري ، واحوجني مع شهواتي الى رقة شعره . » (٣)

الغزل في قصيدة جرير جزء صميم منها لايؤدي الى تفكك أجزائها ولا يجعل موضوعها مختلا غير مترابط بل تبدو مقدماته الغزلية ذات وحدة عضوية موضوعية كاملة تنبع من تجربته الشعورية الصادقة .

---

(١) وفيات الاعيان لأبن خلكان ٣٢٢
(٢) عصر القرآن ١٦٧
(٣) الأغاني ٨ : ٢٧٥٨

والشاعر يربط دوماً بين هذا الغزل وموضوع القصيدة سواء أكان موضوعها المدح أم الهجاء فالشاعر في قصيدة المدح يحاول – كونه شاعراً يتكسب بشعره – استعطاف ممدوحه بما يثير شفقته واعجابه فيقنعه بأنه محتاج يستحق الشفقة والعون ويمتعه بما يثير إعجابه ببراعة لفظ وشعر وموسيقى أو تصوير ولنأخذ لذلك مثالا في قصيدة المديح التي يمدح بها هشام بن عبد الملك حيث يقدم لها بالغزل فيقول (١) :

حَيُّوا أُمامةَ وأذكروا عهداً مَضى
قَبل التصدع من شَماليلِ النوى

قالت: بَليتَ، فما نَراكَ كعَهدنا
لَيتَ العهودَ تجدَّدَتْ بعد البلى

أَأُمامُ غيرني، وأنتِ غريرةٌ
حاجاتُ ذي أَرَبٍ، وهمٌ كالجوى (*)

قالتْ أُمامةُ: مالجهلك مالَهُ
كيف الصبابةُ بعدما ذَهَبَ الصبا؟

ورَأَتْ أُمامةُ في العظامِ تَحنياً
بعد أستقامتها وقَصْراً في الخطا

ورَأَتْ بلحيتهِ خضاباً راعَها
والويلُ للفتيات من خضبِ اللحى

وتقولُ: أني قد لقيتُ بَليةٌ
من مَسْح عَينكَ مايزالُ بها قَذَى

لولا أبنُ عائشةَ المباركُ سَيْبُهُ
أبكى بَنيَّ وأُمَهمْ طولُ الطوى

جرير هنا رجل ذكي يحسن استدرار العطف والشفقة، يبدأ القصيدة بارسال التحية لزوجته أمامة وتذكر عهدها قبل الفراق ، ثم يدخل معها بحوار جميل لطيف فيه رقة وفيه حزن وفيه اسى وحسرة ،فالحبيبة تسائل الشاعر عما ألم به من الهم والشيخوخة المبكرة التي جعلته يبدو شيخاً منحنياً ،فيما تبدو هي محافظة على شبابها ورونقها فيجيب: بأن الهموم والأحزان والحاجة والشوق كانوا سبباً في هذا العجز المبكر – وهذا يعني أن الشاعر

---

(١) ديوانه ١٧

(*) غريرة :لم تجرب الأمور .الأرب :الحاجة والمطلب.

لم يعد قادراً على الكسب حتى ان نظره قد ضعف وأصاب عينيه من القذى والدمع مماأصابها وكل هذا العجز والجوع والحزن، كل هذا أوشك أن يبكي هذه الحبيبة اللطيفة الأم، وأبناءها لولا هذا الرجل الممدوح المبارك ذو العطاء الكثير – ولولا هذه التي انتقل بها الى المديح هي التي أطلق عليها القدماء حسن التخلص والحق ان جريراً قد وظف هذا الغزل لخدمة المدح وأثار فيه الشاعر عطف الممدوح بما صوره من حاله وحال زوجه وأطفاله ، وأثار اعجابه – فاستحق المكافأة – بقدرة تصرفه في الألفاظ والموسيقى التي تولد جمالها من المجانسة الكثيرة بين الألفاظ: بليت، ليت، البلى–كعهدنا، العهود – غيرني، غريرة – الصبابة، الصبا – خضاباً، خضب – تقول، لقيت، كما انه كرر اسم حبيبته اربع مرات وطابق بين الألفاظ: بليت وتجددت، تحنياً واستقامتها وصور لنا ببراعة ماتفعله السنون ويد الزمان بالمرء، فتحني عظامه وقامته بعد انتصاب واستقامة وتحيل شعره ابيض بعد سواد ، وتسيل دموع عينيه ويلحقها القذى بعد صفاء وبريق وتعزف عنه النساء، هذه صورة يتعاطف معهاكل انسان لانها تمثل شعوراً انسانياً موحداً أمام عوامل الفناء الجسدي المتدرج من الشباب الى أرذل العمر وبهذا أفلح جرير.

أما في قصيدة الهجاء فيحاول بغزله أن يكسب إعجاب الآخرين ويكسبهم الى صفه خصوصاً في تلك القصائد التي سميت النقائض والتي كانت تلقى أمام جمهور من القبائل والموالي في سوق المربد ، فنجد الشاعر ذلك المحب الناجح في حبه، يبين عاطفة حب حقة وعلاقة ودية بينه وبين المرأة ويحدثها حديث مناجاة من القلب الى القلب، يقول في مقدمة قصيدة يهجو بها الفرزدق والأخطل: (١)

اجـــدّ رواحُ القـــوم أمْ لاتـــروحُ
نعمْ كلُّ مــنْ يعنى بجمل مترحُ

اذا ابتســمتْ ابدتْ غــروباً كأنهــا
عوارضُ مزنٍ تستهــلُّ وتلمحُ

لقــد هاجَ هذا الشوقُ عينــاً مريضــة
اجالت قذى ظلــتْ به العينُ تمرحُ

---

(١) ديوانه ١٢٦

بمقلةِ أقنى ينفضُ الطلَّ باكرٍ
تجلى الدجى عن طرفه حين يصبح(*)
واعطيتُ عمراً من امامة حكمهُ
وللمشتري منه امامة اربحُ
صحا القلبُ عن سلمى وقد برحتْ به
وما كان يلقى من تماضر ابرحُ
رايتُ سليمى لاتبالي الذي بنا
ولاعرضاً من حاجة لاتسرحُ
أذا سيرتْ اسماءُ يوماً ظعائنا
فاسماءُ من تلك الظعائن املحُ
تقولُ سليمى : ليسَ في الصرم راحةٌ
بلى انَّ بعضَ الصرم أشفى واروح
أحبك ان الحبَّ داعيةُ الهوى
وقد كاد مابيني وبينك ينزحُ
الما على سلمى فلم أر مثلها
خليل مصافاةٍ يزارُ ويمدحُ
وقد كان قلبي من هواها وذكرةٍ
ذكرنا بها سلمى على النأي يفرح
اذا جئتها يوماً من الدهر زائراً
تغيرَ مغيارٌ من القوم اكلحُ
فللهِ عينٌ لاتزال لذكرها
على كلِّ حالٍ تستهل وتسفح
ومازالَ عنّي قائدُ الشوقِ والهوىَ
اذا جئتُ حتى كاد يبدو فيَفضح

(*) يقول انه يبكي بعين بصيرة نافذة كعين الصقر الذي ينفض باكراً من الندى بعد ان انقشع عنه ظلام الليل

أصونُ الهوى من رهبةٍ أنْ تعزّها
عيونٌ وأعداءٌ من القومِ كشحِ

فما بَرحَ الوَجْدُ الذي قد تلبّستْ
به النفسُ حتى كاد للشوقِ يذبَحُ

لشتّانَ يومٌ بين سَجْفٍ وَكلّة
ومَرُّ المطايا تغتدي وتَروّحُ

يبدأ جرير قصيدته بذكر جمل،ويتساءل ان كانت مقيمة او راحلة ويصف روعة بسمتها وجمالها وشوقه الذي أقذى عينه ، ولكن هذا القذى غير قذى الشيخوخة في قصيدة المديح انه القذى الذي يفخر به المحب لأنه من الشوق بل هو قذى فيه قوة وسلاطة على العدو لأنه قذى صقر ينتفضُ من الصبح الباكر بعد زوال الظلام ، وهذه صورة يحاول جرير أن يثير أعصاب المستمعين بها يهدد مهجويه ثم يغيظهم بحب زوجاته وحبيباته بما فيه من رجولة جعلته محبوباً ومحضياً لديهن ويعددهن واحدة واحدة - جمل وأمامة وسلمى وتماضر وأسماء - وجرير هنا يتحدث عن حبه ولوعته لاعن شيخوخته وجوعه وسقمه ، فليس هنا مجال الشكوى والضعف ، بل مجال القوة والفخر والتهديد واثارة الغيظ لدى الخصوم ، ويفيد من الجناس (*) في تحقيق انسجام لفظي يعطي شعره انسياباً وجمالا كما أن الشاعر يفيد من التكرار ايضاً حيث كرر كلمة الشوق ثلاث مرات والهوى أربع مرات وذكر لنا أسماء زوجاته وحبيباته جمل وأمامة وتماضر وأسماء وسلمى وسليمى وكرر من هذه الأسماء أمامة وسلمى وأسماء .

يميل جرير الى إطالة الغزل في مقدمات قصائد الهجاء بينما يوجز في مقدمات قصائد المديح وتطول مقدماته خصوصاً اذا كان يهاجي الفرزدق ليعوض بالغزل عن الفخر الذي لايمتلك جرير مادته في الاباء والمناقب (١) .

وفي قصيدة المديح يقتصر جرير على ذكر زوجاته بأسمائهن وكناهن أما في قصيدة الهجاء فيذكر زوجاته وسواهن .

يميل جرير في غزله الى الأوصاف الحسية للمرأة ويصور شكلها الخارجي اسوة بشعراء عصره وسابقيه من الشعراء ، فهو يصور أستلاءها وطول عنقها بقوله: (٢).

(*) الكلمات التي تحتها خط تشير إلى الجناس والتكرار.
(١) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢١١ - ٢١٢
(٢) ديوانه ٩٠

أسيلَةُ مَعْقَدِ السمْطَينِ منها
وَرَيا حيثُ تعتَقدُ الحقابَا

ثم يصف ساقيها بقوله (١) :

لَها قَصَبٌ رَيانُ قد شَجِيَتْ بهِ
خَلاخيلُ سَلمى المصْمَتَات وسورها

ويصف ايضاً جسدها وعطرها فيقول (٢) :

زَوْرٌ أَلَمَّ بنا يمشي على وجَلٍ
في الخَصْرِ منه وفي الكشحين تَهضيمُ
حُيِيتَ مِنْ زائرٍ يعتادُ أرحُلَنا
بالمسْكِ والعنبرِ الهنديِّ مَلغومُ

ونجد هذه الأوصاف متناثرة في شعر جرير وقد يجمعها في ابيات متصلة كما في قوله (٣) (*) :

وَقَدْ حَلَتْ أُمامَةُ بطنَ واد
به نخلٌ ، وقابَلَتِ الرّغاما
تزَينَها النعيمُ به ، فتَمَّتْ
كَقَرْنِ الشمسِ زايَلَتِ الجهاما
كأنّ المرْطَ ذا الأنيارِ يُكسى
اذا اتزرت به عقدا ركاما
ترى القَصَبَ المُسَوَّرَ والمُبَرَّى
خدالاً تَمَّ منها فاستقاما
فلولا أنها تمشي الهُوَينا
كَمَشْي مُوَاعسٍ وَعْثاً هَيَاما

---

(١) نفسه ٣٥٨

(٢) نفسه ٦٢٩

(*) الجهام: الغمام. الأنيار: علم الثوب ،خيوطه. العقد : الرملة المنعقدة. المسور: الساعدان المسوران. المبرى : الساقان الملبسان ،البرى الواحدة برة: الحلقة أي الخلخال . الخدال الممتلئة .المواعس: الرمل الموطوء .الهيام: المنهال .

(٣) ديوانه ٦٤٤

اذاً لتَقَصمَ الحجْلانِ عنها
وظُنّا في مكانهما رُثاما

أما الأوصاف الخلقية والمعنوية فقليلة في شعر جرير ولكنها على قلتها ظاهرة في شعره وخاصة عند الغزل بزوجاته – فهو يعتز بنسب حبيبته وانتمائها وأهلها يقول (١) :

لَها في بني ذُبيانَ نَبتٌ بمَفْرعٍ
وفي منْقَرٍ عالي البناءِ كَنيفُ

ويقول (٢) :

تمَتْ الى حسبٍ مافوقه حَسَبٌ
مجْداً وزَينَ ذاكَ الحُسْنُ والطيبُ

وهذه الحبيبة لاتقيم علاقة صداقة مع النساء النمامات الثرثارات اللائي يَفشين أسرار أزواجهن كما أنها لاتشتم جاراتها يقول (٣) :

أُمامةُ ليستْ للتي شاعَ سرُّها
بألفٍ ، ولا ذاكَ المَريبُ خدين

ويقول (٤) :

أَناةٌ لا النمومُ لها خَدينٌ
ولا تَهدي لجارتها السبابا

ولاتمشي اللئامُ لها بسر
ولا تَهدي لجارتها السَبابا (٥)

ويشير جرير الى حسن سمعتها ورزانتها بحيث لم تدع مجالا لمن يحاول ان يقدح بشخصها (٦) :

فتلك التي ليستْ بذاتِ دَمامَةٍ
ولَمْ يَعرُها من منصبِ الحي قادحُ

---

(١) ديوانه ٦٩٥
(٢) ديوانه ٥١
(٣) ديوانه ٦٩٥
(٤) ديوانه ٣٠
(٥) نفسه ٩٠
(٦) نفسه ١٢٠

يقول ايضاً (١)

حَصَانٌ لا المريبُ لها خدين
ولا تفْشي الحَديثَ ولا تَرودُ

لقد عرف الغزل في عصر جرير القصة الشعرية وهي ظاهرة فنية تتضح بصورة خاصة عند عمر بن ابي ربيعة ورائيته مشهورة معروفة أما جرير فليس في شعره ظاهرة من هذا الفن ، ولكن في شعره الغزلي حوار كثير من قبل قوله (٢) :

لَقَدْ طَالَ كتماني أمامةَ حُبَّها
فَهذا أوانُ الحبِّ تبدو شَواكِلُه

إذا حُلِّيَتْ فَالحَلْيُ منها بمَعْقِدٍ
مَليحٍ ، والاّ لم تَشِنْها مَعاطِلُهْ

وقالَ اللواتي كُنَّ فيها يَلُمْنَني
لعلَّ الهَوى يَومَ المُغَيْزِلِ قاتِلُهْ

وَقُلْنَ : تَرَوَّحْ لا تكُنْ لكَ ضَيْعَةً
وقلبُكَ لا تَشغَلْ وهُنَّ شَواغِلُهْ

ويومٍ كأبهامِ القَطَاةِ مُزَيَّنٍ
إليَّ صِباهُ ، غالبٍ ليَ باطِلُهْ

لَهَوْتُ بجنّيٍّ عليهِ سُموطُهُ
وأنسٌ مَجاليه وأنسٌ شَمائِلُهْ

فَمَا مُغْزِلٌ أدماءُ تَحنو لِشادنٍ
كَطَوقِ الفَتاةِ لم تُشَدَّدْ مَفاصِلُهْ

بأَحْسَنَ منها يومَ قَالَتْ : أناظِرٌ
إلى الليلِ بَعضَ النيلِ أمْ أنتَ عاجِلُهْ

فلو كانَ هَذا الحبُّ حُباً سَلَوتُهُ
ولكنهُ داءٌ تَعودُ عَقابِلُهْ

---

(١) نفسه ١٨٩ .

(٢) ديوانه ٥٧٤

فمن الملاحظ ان جريراً يستخدم الحوار في هذه المقطوعة : فاللائماتُ يحاورن أنفسهنّ ويتوقعن ان يقتل جرير حباً بأمامة ، ويتوجهن للشاعر بالنصائح ، يطلبن منه ألاّ يشغل قلبه بها ، كي لا يضيع حياته في سبيلها ، ولكنه يسترجع ذكرياته الجميلة مع هذه الحسناء التي شغف بها يوم المغزل ويذكر بسعادة حوارها معه حول اللقاء ، ثم يعود إلى نفسه مخاطباً «فلو كان هذا الحب حباً سلوته ......» .

إن الحوار يتكرر في غزل جرير كثيراً فهو يحاور خليلته ويذكرها بأيام لهوه وصباه قبل ان يصبح شيخاً ، يقول (١) :

وتَقُولُ بَوزَعُ : قد دَبَبْتَ عَلى العصا :
هَلاّ هَزِئْتِ بغَيرِنا يا بَوْزَعُ

ولقد رأيتُكِ في العَذارى مَرّةً
ررأيتِ رأسي وهو داجٍ أَقْرَعُ

كيفَ الزّيارةُ والمَخاوِفُ دونكُمْ
ولكُمْ أميرُ شَنَاءَةٍ لايَرْبَعُ

لَما رأى صَحْبي الدُّموع كأنها
سَحُّ الرّذاذِ على الرِّداءِ اسْتَرجعوا

قالوا : تَعَزَّ ! فقلت : لَسْتُ بكائن
مني العَزاءُ وَصَدْعُ قلبي يُقْرعُ

هَلْ تذكُرينَ زمانَنَا بعُنَيْزَةٍ
والأبَرقَيْن وذاك مالا يَرجعُ

وأجمل من هذا الحوار حواره لحبيبته ، ذلك الحوار الذي يطول ويستغرق أبياتاً عدة من قصيدته التي يذكر فيها انتصاره على الشعراء ويهجو الأخطل وهي قصيدة طويلة يغطي الغزل ستاً وخمسين بيتاً منها ويتناول الفخر والهجاء اثني عشر بيتاً يقول : (٢)

هَلاّ تَحَرَّجْتِ مما تفعَلينَ بنا
ياأطيبَ الناسِ يومَ الدَّجنِ أردانا

قالَتْ : ألَمَّ بنا إنْ كنتَ منطلقاً
ولا إخالُكَ بعد اليومِ تَلقانا

(١) ديوانه ٤١٦

(٢) نفسه ٧٠٠

ياطَيْب : هَلْ مِنْ مَتَاعٍ تُمتعيْنَ به
ضَيفاً لكمْ باكراً ، ياطيب ، عجلانا

لا تَأْمَنَنَّ فأني غيرُ آمنة
غَدْرَ الخَليلِ ، اذا ما كانَ ألوانا

قد خُنتِ مَنْ لم يكن يخشى خيانتكُمْ
ما كنتِ أوّلَ موثوقٍ به خانا

لقد كَتَمْتُ الهوى حتى تَهَيمَني
لا أستطيع لهذا الحبَّ كتمانا

قالَتْ : تَعَزَّ ، فأنَّ القومَ قد جعلوا
دونَ الزيارةِ ، أبواباً وخُزّانا

يا أُمَّ عثمانَ : ما تَلْقَى رَوَاحلُنا
لو قستِ مُصْبَحَنا من حيث ممُسَانا

مَنْ ذا الذي ظَلَّ يَغْلي أَنْ أزورَكُمُ
أمْسَى عليه مليكُ الناسِ غَضْبَانا

وكما يكثر الحوار في غزل (١) جرير يكثر التكرار ايضاً فيكرر الشاعر ألفاظاً بعينها مثل قوله :

تَمتْ إلى حَسَبٍ ما فوقه حَسَبٌ (٢)

كَلِفْتُ مَنْ حَلَّ مَلحوباً فكاظمةً
أيهاتَ كاظمةٌ منها ومَلحُوب (٣)

يَقُولُ العاذِلاتُ : عَلاكَ شيبٌ
أهذا الشيبُ يمنعني مراحي (٤)

لَعَمْرُكَ إنَّ نَفْعَ سُعَادَ عَنّي
لَمَصْرُوفٌ ونَفْعي عَن سُعادا (٥)

---

(١) ينظر ديوانه ١٦، ٥١، ١١٥، ١٣٧
(٢) ديوانه : ٥١
(٣) نفسه: ٥٠
(٤) نفسه: ١١٥
(٥) : نفسه ١٥٩

أَلَسْتِ أَحسَنَ مَن يمشي على قَدمٍ
يا أَملحَ الناسِ كلَّ الناسِ إنسانا (١)

كاد الهوى يومَ سَلْمانينَ يقتُلُني
وكاد يقتُلُني يوماً ببَيْدانا (٢)

أَزْمانَ يَدعونَني الشيطانَ مِنْ غزلي
وكُنَّ يَهْوَيْنَني إذ كنتُ شيطانا (٣)

ويكرر الشاعر عبارة بعينها في شعره مثل قوله (٤) :

فبَعْضُ الماءِ ماءُ رَبابِ مُزْنٍ
وبعضُ الماءِ مِنْ سَبَخٍ مِلاحِ

وقد يكرر الشاعر شطراً كاملا من الشعر مثل قوله (٥) :

أَنَاةٌ لا النموُمُ لها خَدِينٌ
ولا تُهدي لجارتها السبابا

ولا تمشي اللئامُ لَها بِسرٍّ
ولا تُهدي لجارتها السِّبابا (٦)

وكذلك قوله (٧) :

لقد هاجَ هذا الشوقُ عيناً مريضةً
ونَوحُ الحَمامِ الصادحاتِ السواجع

لقد هاجَ هذا الشوقُ عيناً مريضة
أجالَتْ قذىً ظلَّتْ به العين تمرح (٨)

---

(١) نفسه : ٧٠٠
(٢) نفسه : ٧٠١
(٣) ديوانه : ٧٠٣
(٤) نفسه : ١١٦
(٥) نفسه : ٣٠
(٦) نفسه : ٩٠
(٧) نفسه : ٤٤١
(٨) نفسه : ١٢٧

ويوظف الشاعر هذا التكرار لتحقيق تناسق موسيقي في غزله بحيث تبدو مقطوعاته الغزلية اكثر رقة وانسياباً ولايكتفي الشاعر بالتكرار لتحقيق ذلك بل يضيف اليه الجناس الكامل والناقص والمشوش لتحقيق انسجام لفظي يجعل غزله اكثر تناسقاً واكثر رقة يقول (١) :

عَجِبْتُ لِمَا يَفْري الهوى يومَ منعج
ويوماً بأعلى عاقلٍ كان أعجَبَا

وأحْبَبْتُ أهلَ الغَورِ من حُبِّ ذي فَنَاً
وأحببتُ سُلمانَينَ من حُبِّ زينبا

يحيّونَ هنداً والحجابانِ دونها
بنَفسيَ أهلٌ أنْ تحُيا وتحْجبَا

ويقول (٢) :

هَلْ يَنْفَعَنكَ إنْ جرَّبتَ تجريبُ
أمْ هَلْ شبابُكَ بعد الشيبِ مطلوب

ويقول (٣) :

هاجَ الهَوى لفُؤادكَ المُهتاجِ
فانظُرْ بتُوضيحَ باكرَ الأحداجِ

ويقول (٤) :

ياصاحبيَّ هَلِ الصباحُ مُنيرُ
أمْ هَلْ للَومِ عواذلي تَفْتيرُ ؟

إنَّ العواذلَ لم يَجِدْنَ كوَجدنا
فلهنَّ منكَ تَعَبُّدٌ وزَفيرُ

ليتَ الزمانَ لنا يعودُ بيُسْرِه
إن اليسَيرَ بذا الزمانِ عَسيرُ

---

(١) نفسه : ٦٧

(٢) ديوانه : ٥٥

(٣) نفسه : ١١٠

(٤) نفسه : ٣٦٧

وكتمـــــتُ سرَّكَ في الفــــؤادِ مُجَمْجِمـــا
إنَّ الكَتُومَ لسرِّهِ لَجَدِيــــرُ
ولقـــــد ذكرتُـــكِ باليمامـــةِ ذَكْــرَةً
إنَّ المُحبَّ لمَنْ يحبُّ ذَكــورُ

وهكذا يعتمد الشاعر على الجناس لتحقيق انسجام موسيقي لغزله حتى أنني أستطيع القولَ بأن الجناس من أبرز الألوان البلاغية في شعره ولا تكاد تخلو منه أي من مقدماته الغزلية (١) .

وكان في شعره يحاول أن يقترب من ذوق العامة وهذا ما فطن اليه القدماء حيث قالوا جرير عند العامة أشعر والفرزدق عند العلماء (٢) ، ولعلَّ السبب في هذا الحكم ، رقة شعره ولينه وهذا ما جعل الدكتور أحمد كمال زكي يقول «وربما لو قيس به شعر جرير — وقد ترقق فيه — تبين فيه اللين حتى ليظنه بعضنا ضعفاً ، وحتى ليجمع القوم على أنه نزل به إلى العامة فكان شاعرُهم» (٣) .

إن هذه الظواهر هي التي جعلت غزله يطاوع الغناء ويتناوله المغنون في حفلاتهم وأغانيهم مما أدى بالشاعر إلى أن يعقد اتفاقاً مع أشعب لغناء شعره حيث ينقل لنا كتاب الأغاني حواراً حول هذا الأتفاق ، يقول أشعب لجرير : «أنا والله أنفعهم لك . فانتبه جرير فقال : كيف ؟ قال : إني لأُملح شعرك واندفع يغنيه قوله :

يا أخْــتَ ناجيــةَ السلامُ عليكُــمُ
قَبلَ الفراقِ وقبل لَوْمِ العذلِ
لو كُنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِكُمْ
يومُ الفراقِ فعَلتُ ما لم أفعلِ

قال : فأدناه جرير منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريباً منه ، ثم قال : أجل ! والله انكَ لأَنفعهم لي وأحسنهم تزييناً لشعري .... وكان يرسل اليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جرير شعره فيغنى فيه» (٤) .

في الختام أتمنى أن أكون قد وفقتُ في توجيه الأنظار إلى غزل جرير حتى لا ينسى في زحمة الأهتمام بهجائه والله الموفق .

---

(١) ينظر ديوانه: ١٧، ٢٧، ٣٠، ٣٤، ٥٠، ٧٤، ٨٥، ١١٠، ١٢٦، ١٣٧، ١٧٣، ١٨٥، ٣٦٧، ٤٥١، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٣

(٢) الأغاني ٨: ٢٨٢٥

(٣) الحياة الأدبية في البصرة ٢٤٥ .

(٤) الأغاني ٨: ٢٧٥٩ .

ـ المصادر والمراجع ـ

١ ـ ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ـ بطرس البستاني ط ٨ دار صادر بيروت ١٩٦٢ .

٢ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ـ دار الشعب ط ٢ تحقيق ابراهيم الأبياري ـ القاهرة ـ عن طبعة دار الكتب بمصر .

٣ ـ تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ـ كارلونالينو ط ٢ دار المعارف بمصر .

٤ ـ التطور والتجديد في الشعر الأموي ـ الدكتور شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف القاهرة ١٩٦٥ .

٥ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والأسلام ـ الدكتور شكري فيصل ط ٥ دار العلم للملايين بيروت .

٦ ـ جرير ـ للدكتور جميل سلطان ، سلسلة أعلام الفكر ٢٣ ط ١ دار المشرق الجديد بيروت ١٩٦٣ .

٧ ـ حديث الأربعاء ـ الدكتور طه حسين ط ٢ .

٨ ـ الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ـ الدكتور أحمد كمال زكي دار المعارف بمصر .

٩ ـ خزانة الأدب ـ عبد القادر البغدادي ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ج ١ ـ ١٩٦٩ .

١٠ ـ شرح ديوان جرير ـ ايليا الحاوي ط ١ دار الكتاب اللبناني بيروت ـ لبنان ـ مكتبة المدرسة بيروت ١٩٨٢ .

١١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر ج ١ .

١٢ ـ العصر الاسلامي ـ الدكتور شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف بمصر القاهرة .

١٣ ـ عصر القرآن ـ محمد مهدي البصير ط ١ مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٧ .

١٤ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام وشرح محمد محمود شاكر ط ١ دار المعارف للطباعة والنشر .

١٥ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت لبنان .

١٦ ـ مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي ـ الدكتور حسين عطوان ـ دار المعارف بمصر .

المسرحية التعليمية في العراق

الدكتور عمر محمد الطالب
كلية الاداب / جامعة الموصل

تمهيد :

اهتم الصينيون بهذا النوع من المسرحيات التعليمية ونتج ذلك عن اعيادهم الدينية التي كثرت فيها الشعوذة والرقص بالسيوف منذ الفي عام قبل الميلاد . ولعب الاطفال دوراً كبيراً في هذه الاحتفالات ، وهذا مانجده عند الهندوس في مهرجاناتهم الدينية وقد كانوا يقيمونها في الطبيعة تمجيداً منهم للالهة ، اما اليابانيون فقد اهتموا بمسرح العرائس وظهر لاعبو العرائس على المسرح امام النظارة .

واشترك الاطفال في مهرجانات الاله باخوس (اديونيسيوس) اله الخمر في بلاد اليونان القديمة ، وشاهد الاطفال مسرحيات اسخلوس وسوفوكلس ويوربيدس وارستوفان وعندما ضعف المسرح عند الرومان منذ القرن السادس وحتى القرن الحادي عشر وساد مكانه الرقص والغناء والبهلوان والشعوذة استمر الاطفال في مشاهدة هذه الفعاليات . واستهوى (المنشد الروماني) الاطفال بصورة خاصة (١) .

واهتم الاوربيون بالمهرجانات والمسرحيات الشعبية ، وترجع في اصولها الى الابتهاج بتتابع فصول السنة وخاصة باعياد الربيع . واصبحت رقصة (الموريس) وهي منحدرة عن رقصة السيوف اكثر الرقصات شيوعاً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وتستمد مادتها التعبيرية من بطولات اسطورية وشعبية يؤديها المهرجون بحركات مضحكة

---

(١) ونفريد وارد ،مسرح الاطفال ص ١٠ – ١٤

ثم اضيف اليها الحوار (١) . وصبغت بصبغة دينية تعرضت فيها للخوارق والاسرار والمواعظ الدينية ، وازدهرت ضمن اطار الكنيسة واستمدت مادتها من الكتاب المقدس وحياة القديسين مثل مسرحيتي (ذبح الابرياء في بيت لحم) حيث يطوف المنشدون بملابس بيضاء وامامهم حمل صغير في موكب حول الكنيسة ، ويأمر (حوربدس) بذبحهم ويدعوهم احد الملائكة للصعود الى السماء (٢) .

وكان الاطفال يشاهدون هذه المسرحيات ويعجبون بها اعجاباً شديداً .

وقد قدمت في البلاط الملكي الانكليزي بين عامي ١٥٣٧ – ١٥٥٣ مسرحيات تعليمية اشهرها مسرحية (غراب يعسوب) قدمتها الفرقة الملكية في البلاط . واعجبت الملكة اليزابيث بهذا النشاط المسرحي اعجاباً كبيراً . وقام الاطفال بادوار هامة في هذه المسرحيات لقلة عدد الممثلين المحترفين (٢) . وقام المدرسون بتأليف مسرحيات لتلامذتهم يقدمون فيها نقداً لاذعاً ساخراً من كبار المسؤولين مثل مسرحية (رالف رويستر دويستر) التي كتبها (نيكولاس بودال) ناظر مدرسة (ايتون) وقدمتها فرقة الهواة (٣) . وقدم الطلاب ملهاة بعنوان (بالميون واركيبت) امام الملكة اليزابيث وادوا ادوارها واعجبت بها الملكة .

وانتشر في ايطاليا مسرح الدمى والارجواز الذي اشتهر باسم (بانش وجودي) وترجع شخصية (بانش) الى الكوميديا الايطالية القديمة . وعرفت المانيا كذلك مسرحيات الخوارق والملاهي الشعبية ، في القرون الوسطى.وكانت الاحتفالات الدينية جزءاً من حياة الشعب الالماني كبارهم وصغارهم . وقد اولى الالمان الاطفال اهتماماً كبيراً حيث تقام مهرجانات في بلدة (دنكسبول) باسم (تقدير الاطفال في دنكسبول) ، ويقام هذا المهرجان اعترافاً من اهل البلدة بفضل الاطفال في انقاذ بلدتهم من حصار الجيش السويدي .

وقد اولت الدانمرك مسرح الاطفال اهتماماً كبيراً ، ويكفي تأكيداً انها موطن كاتب الاطفال (هانز كريستان الدرسن) ، وينتشر فيها المسرح المدرسي على نطاق واسع (٥) .

وتعد روسيا من اكثر البلاد اهتماماً بالاطفال ، فقد انشيء مسرح موسكو للأطفال

---

(١) جلن ليوز، قصة المسرح ، ص٣٢ .
(٢) مانتزيوس، تاريخ الفن المسرحي ص ١٠٦ .
(٣) مسرح الاطفال ص١٦ .
(٤) مانتزيوس ،تاريخ الفن المسرحي ص ١٠٧ .
(٥) مسرح الاطفال من ٢٠ – ٢٢ .

عام ١٩١٨ م برغم انتشار مسارح عدة للاطفال فيها . واهتمت المؤسسات الاجتماعية في الولايات المتحدة بمسرح الاطفال . وقد انشأت (المس مين هرتز) اول مسرح معروف للاطفال عام ١٩٠٣ سمي (مسرح الاطفال التعليمي) وقدم فيه الاطفال عدداً من المسرحيات الشهيرة مثل (العاصفة ، والامير الفقير ، والاميرة الصغيرة) . كما ساهمت رابطة الـدراما الامريكية بنصيب وافر في حركة مسرح الاطفال ، وعد أهم حدث فني في الولايات المتحدة مسرحية (ألس في بلاد العجائب) عام ١٩٥٠ والتي كتبها (الس جبرا ستمرج) ، وساهمت البلديات في الولايات المتحدة بالترويج لمسارح الاطفال . وانضوى عدد كبير من الاطفال تحت راية المسارح الاهلية على اساس ان تكون هذه المسارح نواة لمسارح الكبار . ولمعت اسماء احتلت دوراً كبيراً في المسرح والسينما الامريكيتين مثل (ديانادر بن وشيرلي تمبل وجودي جارلدومر جريت اوبراين) .

ولم يتبلور المسرح العربي الا في القرن التاسع عشر عندما بدأ ظهوره على مسرح الاعياد المدرسية وكتب النصوص المسرحية المدرسون واخذوا موضوعاتها من الكتاب المقدس ومن المسرح الكلاسيكي . وترجم محمد عثمان جلال ١٨٢٩ ـ ١٩٩٨ العديد من المسرحيات الكوميدية ومنها بعض مسرحيات (موليير)والدرامية كبعض مسرحيات(راسين) الى العربية وحصرها باللهجة العامية المصرية . وكانت مسرحية (البخيل) التي مثلت عام ١٩٤٨ اول مسرحية عربية تعرض على المسرح وهـي من تأليف مارون نقاش ١٩١٧ـ ١٨٥٥ . وقد واصل عمله كل من (طنوس الخوري ومحمد عثمان ونجيب حداد واديب اسحق وجميل ملور وخليل يازجي) الذي كتب رسالته الشهيرة (المروءة والوفاء) . وماقدمه احمد ابو خليل القباني منذ عام ١٨٦٥ على مسارح دمشق . ولم نجد عمـلا مسرحياً متبلوراً قبل هذا التاريخ ، فخيال الظل الذي بلوره (ابن دانيال الموصلي) المولود في الموصل عام ١٢٤٩ هـ والمتوفي في القاهرة عام ١٣١٠ هـ لايعد ضمن نطاق المسرح العربي الحديـث بل هو فـن مستقل في باباته الشهيرة (طيف الخيال وغريب وعجيب والميتم) . ولاتـدخل في اطار المسرح ايضاً اعمال القرهقوز قوز والالعاب الدرامية التي تعتمد على الفعل والحوار مثل (لعبة علم ومقادير ولعبة السماح ولعبة ابي جعفر ولعبة الشوني ولعبة الأوحدي ولعبة الحجيـة ولعبة التياترو) وماكان يدور في المقاهي من قراءة للقصص الشعبي مثل (عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن وابو زيد الهلالي) الى آخر ذلك من القصص الشعبي .

بدايات المسرح التعليمي في العراق : ـ

لعبت مدارس الارساليات المسيحية منذ القرن التاسع عشر دورا كبيرا في اذكاء النشاط المسرحي في الاقطار العربية ، وكان دورها فعالا في ظهور المسرحية في العراق . وهدفت من وراء ذلك الى اهداف تربوية وثقافية ، وكان للعلاقة الثقافية والدينية بين الكنائس والمدارس المسيحية بين سوريا والعراق الاثر الاكبر في هذا النشاط وخاصة في مدينة الموصل ثم تلتها مدينة بغداد .

وقد عنيت هذه المدارس ولا سيما المدرسة (الاكليركية) التي اسسها الآباء الدومنيكان في الموصل عام ١٧٥٠م بالفن المسرحي ضمن الاطار المدرسي ، وقدم مدرسو المدارس المسيحية المسرحيات التي يؤلفها زملاؤهم اللبنانيون ويؤلفون هم انفسهم البعض الآخر من المسرحيات . ومن الطبيعي ان يتأثروا بالاتجاه الذي سار عليه اؤلئك المؤلفون وبالاسس الفنية والادبية التي بنوا عليها نتاجهم المسرحي ويبين لنا تاريخ المسرحية العراقية تقدم ظهور المسرحيات الدينية والتاريخية والاخلاقية على سائر الانواع الاخرى من المسرحيات وكان الهدفان الديني والاخلاقي هما اللذان دفعا القسس في العراق إلى وضع المسرحيات التي تدور في اطار الاحداث الدينية المنتزعة من الكتاب المقدس .

واول عمل مسرحي قدم على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل عام ١٨٨٠ كتبه القس (حنا حبش) هو مسرحية (كوميدية ادم وحواء) وتلاها بمسرحيتين هما (كوميدية يوسف الحسن وكوميدية طوبيا) (١) . ثم قدم الخوري هرمز نورسو الكلداني الماردينلي مسرحية (نبوخذنصر) عام ١٨٨٨ على مسرح المدرسة ذاتها .

وتوالت المسرحيات التي الفها القسس ، وكانت البذرة الأولى في التأليف المسرحي العراقي عامة والمسرح التعليمي خاصة ولكنها لم تخرج عن نطاق التمثيل على المسارح المدرسية ، للمدارس الدينية المسيحية في الموصل وبغداد .

وقدم المعلم (نعوم فتح‌الله سحار) على مسرح المدرسة الاكليركية عام ١٨٩٣ مسرحية (لطيف وخوشابا) وهي مسرحية تعليمية صرفة (٢) . وقدمت مدرسة السريان الكاثوليك في بغداد عام ١٩٠٨ مسرحية (شهيد الدستور مدحت باشا) ، وقدمت المدرسة الكلدانية مسرحية (سلسترا) في العام ذاته . وانتشر تمثيل المسرحيات على مسارح المدارس الاهلية بعد اعلان الدستور العثماني . وتذكر صحيفة بابل البغدادية عدداً من المسرحيات التي

(١، ٢) للاستزادة ينظر/عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق.

مثلت في بغداد بين عامي ١٩٠٩ – ١٩١٢ مثل (ارثر البريطاني) التي مثلت على مسرح مدرسة الصنائع عام ١٩١٠ . ومسرحيتي (الاسيران الصغيران والافلون والغدر) التي مثلها شبان المحفل اللاتيني عام ١٩١٢ على مسرح كنيسة اللاتين . ومثلت مسرحيتا (البرج الشمالي والبنت الضائعة) عام ١٩١٣ على مسرح المدرسة الكلدانية من قبل طلاب المدرسة . وقدمت المدرسة الكلدانية في الموصل مسرحية (خراب بابل) عام ١٩١٣ للخوري انطون زبوني والقس حنا حبي ومسرحيتي(الاميران الاسيران والمار بهنام، والافعوان) للقس جرجس قندلا .

وكانت موجة التأليف من قبل المعلمين في المدارس هي الصيغة الطاغية على المسرحيات التي قدمت في مدارس الموصل المسيحية وبغداد الى جانب المسرحيات التي وضعها كتاب عرب كمسرحية (مجنون ليلى) لاحمد شوقي و (الذكرى) لعبد العزيز خانجي و (سقوط عبد الحميد وصوت قلب والرشيد والبرامكة) للاب رباط اليسوعي . وشاركت المدارس الاهلية في بغداد وخاصة مدرسة التفيض في هذا النشاط وقدمت مسرحية (فتح الاندلس) لمصطفى كامل ووضع فاضل الصيدلي الموصلي الحوار شعراً في المواقف العاطفية شديدة التأثير .

انواع المسرحية التعليمية في العراق .

تنقسم المسرحيات التعليمية في العراق الى أربعة اقسام :

(١) المسرحية المدرسية :

تقدمها المدارس في الاحتفالات المدرسية والمناسبات والاجتماعات وتكون في الغالب ملائمة للفترة المرحلية بالنسبة للمتلقين من الطلبة ، كما تأتي ملائمة للمناسبة التي تقدم فيها هذه المسرحيات ، وتراعى فيها البساطة وكثيراً ماتستخدم الستائر أثناء العرض بدلاً من الديكورات الفخمة وتراعى في حركتها ومواردها قدرة الطلبة على الاداء . وتنقسم من حيث اللغة المستخدمة في الحوار الى قسمين : نثرية وشعرية . اما من حيث الموضوع فيغلب عليها الطابع التعليمي الاجتماعي أو الاخلاقي أو القومي .

ويعد حنا رسام من المكثرين في هذا المجال ولد عام ١٨٩١ وتوفي عام ١٩٥٨ ، درس في المدرسة الاكليركية في الموصل وعمل معلماً فيها بعد تخرجه وتأثر باستاذه سليم حسون الذي كان معلماً في المدرسة ذاتها وقدم مسرحيتين تعليميتين من التاريخ المسيحي على مسرح المدرسة هما (استشهاد ترسيسيوس) ١٩٠٤ و (شعو) ١٩٠٥ (١) .

وقدم حنا رسام أولى مسرحياته (البريء المقتول) عام ١٩١١ على مسرح المدرسة ذاتها بمناسبة اليوبيل الفضي لاستاذه سليم حسون ، وقدم عام ١٩١٢ مسرحية (لوجه الله الكريم) ثم توالت مسرحياته التعليمية : (رسول الاكواخ ، القرط الذهبي ، فلسطين المجاهدة ، احدوثه الباميا — وقد كتبها بالعامية الموصلية — العواطف) (٢) . ولكنه اكثر من كتابة المسرحيات التعليمية الدينية القصيرة التي يمكن عرضها بسهولة من قبل الطلاب في المدارس وفي الاعياد والمواسم ونوردها على سبيل الحصر : (يسوع طفل براغ ، عيد الميلاد ، جهاد القديسين يوم التطهير ، استشهاد يوحنا المعمدان ، في السهرة الحسن المتستر ، الجرس السحري ، الثقة بمريم العذراء ، بطي السكران ، ورسالة غير منتظرة ، مريم العذراء ، تنزه في المرفع ، عصفوران بحجر واحد ، عيديات الميلاد ،

---

(١) للاستزادة ينظر ، عمر الطالب ، بدايات المسرحية المترجمة في العراق ، مجلة آفاق عربية العدد ١٠ ، ١٩٨٣ .

(٢) للاستزادة ينظر ، عمر الطالب ، (حنا رسام الرائد المنسي) مجلة بين النهرين ، العدد٣ ، ١٩٨٣

شعيلة الميلاد) ويكثر تمثيل مثل هذه المسرحيات في الاعياد الدينية . ووضع مسرحيات تعليمية أخرى في اطار تاريخي وقدمت على مسارح المدارس في الموصل : (سمو الكلمة مثال الوفاء والوطنية ، الرجل النموذجي ، ماوراء الستار ، الزباء ، اسامة) . كما ترجم العديد من المسرحيات الاجنبية ذات الفصل الواحد والتي لاتحتاج في عرضها على المسرح الى امكانات صعبة : (مرديس الجندي ، المحامي باقلان، الامير سيركلد ، البخيل ، في سبيل التاج ، ضحية سر الاعتراف ، البر في السر ، يوم الصدق، المدعي بالشرف ، المرسل ، الدكتور كامل ، اليتيم المنتقم) وقد عربها وحاول تعريب الاسماء كذلك . وقد مثل معظمها على مسارح المدارس في الموصل .

وقدم كل من القس حنا رحماني والقس سليمان صائغ مسرحيات تعليمية في اطار تاريخي ، طبعت مسرحية حنا رحماني (غفران الامير) عام ١٩٢٧ وطبعت مسرحيات سليمان صائغ (مشاهد الفضيلة) عام ١٩٣١ و (الزباء) عام ١٩٣٣ و (الامير الحمداني) عام ١٩٣٧ و (يمامة نينوى) عام ١٩٤٨. وقد اعيد تمثيلها عدة مرات على مسارح الموصل وفي المدارس والكنائس والاندية (١) .

وقد لعب المسرح الغنائي التعليمي الذي كتبه اسكندر زغبي في الثلث الاخير من القرن التسع عشر دوراً مهماً في الامتاع والتعليم معاً حيث قدم العديد من المسرحيات الغنائية القصيرة والتي مثلها طلبة المدارس وشارك فيها ابناء الطائفة المسيحية مثل مسرحيات : زبزونتي (٢) ، البناء ، بيالي (٣) وزوجها ، الخردة فروشي) (٤) وقد استخدم فيها اللهجة الموصلية العامية . وكانت تقدم بمصاحبة الالات الموسيقية والاصوات الغنائية (٥) .
تحتاج الكتابة للمسرح التعليمي الى فهم المتلقين وهم في الغالب بين العاشرة والخامسة عشرة ويجب عدم الاستخفاف بذكائهم ونزعاتهم وعلى الكاتب التعليمي الا يحلق فوق مستوى الاطفال عن طريق استخدام اساليب يصعب عليهم أدراكها لان الهدف من هذه المسرحيات بذر المثل الاخلاقية في نفوسهم ، الى جانب التربية الجمالية والفنية وخاصة اذا علمنا بأن الفن المسرحي هو اكثر الفنون تأثيراً فيهم وهم اكثر انجذاباً اليه .

---

(١) للاستزادة ينظر ، عمر الطالب ، سليمان صائغ وأدبه : مجلة بين النهرين ، العدد ٩ ، ١٩٧٥
(٢) بمعنى قطتي في اللهجة العراقية
(٣) أسم نسائي شائع في القرى المسيحية القريبة من الموصل
(٤) بائع الاشياء القديمة
(٥) للاستزادة ينظر /عمر الطالب، (المسرحية العربية في العراق)

وقد اعتمد كتاب المسرحية التعليمية في العراق في موضوعاتهم على الكتاب المقدس في في بداياتهم كما لاحظنا في حديثنا السابق ، وعلى التاريخ العربي ، وعلى القصص الشعبي وقل اعتمادهم عل الاساطير على عكس مانلاحظه في المسرح الاوربي الذي اعتمد بالاضافة الى الكتـــاب المقدس والتاريخ الاوربي على الاساطير ايضاً كما لاحظنـــا في استقرائنا لبدايات المسرحية التعليمية ندرة المسرحية الشعرية ، ولم نجد غير مسرحيتين شعريتين هما : (لهجة الابطال) ١٩١١ و (علي خوجة) ١٩١٣ . لسليمان غزالة ثم طبع مسرحية ثالثة عام ١٩٢٩ باسم (رواية الحق والعدالة) (١) .

وقد اعتمد كتاب المسرحية التعليمية في العراق في موضوعاتهم في البدايات على حكايات البطولة ، لان المتلقين في مثل هذا السن تستهويهم مثل هذه القصص ، فركز بعضهم على احداث البطولة المنتزعة من سير القديسين كما فعل جرجس قندلا وسليم حسون وحنا رسام وحنا رحماني بينما اعتمد البعض الاخر على احداث البطولة المنتزعة من التاريخ العربي كما فعل سليمان صائغ وعبد المجيد شوقي في مسرحية (فتح عمورية) ١٩٢١ وقد استمد حدثها من فتح عمورية على يد الخليفة المعتصم بالله ، ومن قصيدة أبي تمام المشهورة في تمجيد هذا الفتح ، ومسرحيات يحيى ق العبد الواحد الثلاث (فتح مصر) ١٩٢٢ و (فتح الشام) ١٩٢٣ و (القادسية) ١٩٣٥ التي استمدها من الفتوحات العربية الاسلامية ومحمد مهدي البصير في مسرحيته (دولة الدخلاء) ١٩٢٥ التي استمدها من التاريخ العربي في محاولة تسلط الفرس على الخلافة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد على يد البرامكة . كما سنرى في حديثنا عن مسرحيات الاندية .

* * *

نشط المسرح التعليمي المدرسي في العراق بعد قيام الحكم الوطني في المدارس الرسمية والاهلية. وغلب على هذه المسرحيات الطابع التعليمي القومي ، فدعت مسرحية (مثلنا الاعلى) ١٩٣٤ لعبد المجيد عباس الى الوحدة العربية ، ولكنها مسرحية ضعيفة من حيث البناء المسرحي كاغلب المسرحيات التعليمية في العراق. تنبعث منها الخطب والتعاليم الاخلاقية والدعوات للانضمام الى الجيش والدفاع عن الوطن . وما يميزها انها أول مسرحية عراقية عالجت موضوع الوحدة العربية في تلك الفترة المتقدمة : «الاستاذ : ان الوحدة العربية ليست وهما واذا كانت وهما فالحقيقة اذا بنت الوهم ، والخيال أول

(١) للاستزادة، ينظر، عمر الطالب، سليمان غزالة والمسرح الشعري، مجلة بين النهرين، العدد ٢٠، ١٩٧١ .

مرتبة من مراتب الحقيقة ، وبساط الريح بالامس طائرات اليوم ، مناطيد الحاضر ، اما الفوارق التي ذكرتها فليست ذات بال لان العرب كلهم شيء واحد في الخلق والعادات واللغة والدين والتاريخ ، واذا علمتم ان سويسرا ذات اديان بل وعدة اجناس ومع ذلك فقد اتحدت لتريكم هذه الفوارق التي تتوهمونها ... فاذا وحدة العرب حلمهم الاسمى ومثلهم الاعلى فاذا جعلوه قائماً على الوحدة تحققت امانيهم» (١) .

بمثل هذا الحوار الخطابي التعليمي تمتلىء المسرحية مما يضعف الموقف الدرامي فيها لطول الحوار وضعف الحركة، ولانه لايقوم على التفسير الحركي أو الصراع الحاد قدر قيامه على الخطابة الطويلة المملة . هذا بالاضافة إلى ضعف العقدة وعدم توفر عنصر التشويق. يرى آرجر. «ان متعة المتفرجين الدائمة بالمسرح هي تنبؤهم بالاحداث ووقوفهم من الشخصيات موقف العالم بما جرى وما سوف يجري لها ونحن حين نجلس في المسرح يساورنا الاحساس بأننا على علم بكل ما يدور حولنا، فنرى بعين بصيرتنا صراع البشر الفاني في السعي وراء السعادة ونضحك من اخطائهم واطماعهم التافهة واغراضهم التي لامكان لها ومخاوفهم التي تقوم على اساس اخفاء السر عنا ، معناه النزول بنا إلى مستوى الممثلين وحرماننا من حرية التنبؤ بالمستقبل»(٢). ومن هنا نستنتج ان التطوير الدرامي للمسرحية يزيد من اهتمام المتفرجين ومتعتهم ،وقد تدفع الحاجة إلى وضع مشاهد تمهيدية، وقد يكتفي بالاشارة عرضا إلى بعض الاحداث بينما ينبغي ان يعطي للذروة اهمية كبرى في المسرحية المدرسية لانها النقطة التي تنبع منها الازمة ويشتد فيها الصراع ،ولايمكن الوصول إلى ذلك الا عن طريق رسم الشخصيات رسما جيداً وواضحاً بحيث نستطيع التعاطف معها لا ان تكون مجرد دمى تتحرك على المسرح.

وتلعب الشخصيات الثانوية في المسرحية دوراً مهماً في توضيح ملامح الشخصيات الرئيسية. وعلى الكاتب المسرحي المدرسي الا يكتفي بالملامح الخارجية للشخصية بل عليه ان ينفذ إلى اعماقها البعيدة ،لان الاعماق هي التي تحدد الملامح الخارجية للشخصية. ويستحسن في هذا النوع من المسرحيات ان يقل عدد الشخصيات لان ذلك يساعد في عملية التوصيل بالنسبة للمتلقين من ناحية، كما يلائم امكانات المسرح المدرسي من حيث الملابس وامكانات التمثيل من ناحية أخرى ،ويوفر رشاقة الحركة على المسرح والدخول والخروج منه، ومن ثم يوفر تناسق الايقاع والنبض المسرحيين، مما يساعد المخرج في القدرة على

---

(١) عبد المجيد عباس مثلنا الاعلى ص١١.
(٢) آرجر ،تأليف المسرحية ص١٣٨.

اختيار القابليات الجيدة وتدريبها بصورة جيدة.وعلى الكاتب المسرحي عدم ارغام شخصيات المسرحية على اعمال يرى المتفرجون انها فوق امكانات تلك الشخصيات وعدم استطاعتهم انجازها ويتطلب الحوار المسرحي التركيز وحسن الاختيار والجمل القصيرة، فلا يقدم سوى العبارات الضرورية التي تقرب الشخصيات من الواقع وتولد قوة الصراع ورشاقة الحركة وتنفذ إلى اعماق المتلقين لتوفر المتعة والفائدة معا . وكلما كان الحوار اقرب الى البساطة وإلى طبيعة الشخصية المتحدثة كلما كان ذلك افضل لان الحوار يجب ان يحقق ثلاثة امور :

توضيح الموقف ، وسرد الحدث ،وابراز الشخصيات بالاضافة إلى المسحة الادبية الشاعرية الجذابة .(١) فمن الخطأ اذا استخدام العبارات الطويلة المملة والخطب الرنانة، كما لاحظنا في مسرحية (المثل الاعلى) مثلا لان الحوار السريع الناجح هو الذي يحقق هدفنا المنشود في المتعة والفائدة. والعامل الذي يوفر عنصر التشويق بالنسبة للمتلقي للمسرحية التعليمية ،الحكاية التي تعرضها المسرحية، لذا ينبغي ان يكون الحدث مفهوماً من قبل المتلقي ،وان تكون عقدة الحدث بسيطة قابلة للادراك من قبلهم لأنهم كثيراً ما يضيقون ذرعا بالاحداث التي تبعدهم عن عرض مشكلاتهم، ويجب ان نراعي الناحية النفسية لمن هم في هذا السن ، فهم كثيرو الميل إلى الحركة لذا يجب ان تكثر الحركة في المسرحية التعليمية لتزيد من تحفيز المتلقين وتشويقهم لكي لاتنتفي المتعة وتنتفي الفائدة تبعاً لذلك وكلما كانت المسرحيات التعليمية قادرة على حبس انفاس المتلقين وعلى ترقبهم واثارة عواطف متناقضة في نفوسهم من شفقة واحتقار وخوف واعجاب وفزع إلى آخر ذلك ،كلما كانت قادرة على تنمية الاحاسيس النبيلة والادراك السليم في نفوس المتلقين ومن هنا نجد ان الملهاة الساخرة أكثر قدرة على تحقيق ذلك وكذلك مسرحيات البطولة والفداء. وعلى الكاتب ان يهتم بالنهاية وفي تحقيق العدالة والعقاب الذي تحتاجه الشخصيات لان الحياة مليئة بالمظالم وعلى الطلاب ان يتعلموا نصرة المظلوم من اجل تحقيق السعادة للانسان دون الالتفات إلى الامتيازات الطبقية لتحقيق مستقبل أكثر اشراقاً وخاصة في البلاد النامية التي خضعت لبطش الاستعمار ردحا من الزمن ولطبقات الشعب الكادحة. التي استنفدت دماءها الطبقات العليا المستغلة في مثل هذه المجتمعات.

واذا نادت مسرحية (المثل الاعلى) بالوحدة العربية فان مسرحية (فلسطين المجاهدة) ١٩٤٩ لابن الشراة الدعوة نفسها في اطار الحس القومي الداعي إلى تحرير فلسطين ،

---

(١) ونفريد وارد، مسرح الاطفال، ص١٠٢

ودار الحوار باسلوب خطابي بعيد عن الفن كل البعد حيث يتوالى فيها الخطباء، وجاءت الشخصيات نموذجية (السوري، المغربي، العراقي المسلم) وبدت خالية من الحياة تماماً وحديثهايبعث على الملل والتثاؤب: «الغربي: لقد تيقظ هؤلاء الاقوام ولم يعودوا يخدعون بالكلام المعسول فلاترك هذه الأمة ولابحث عن غيرها. لعلي أبيع عليها ديمقراطيتي الزائفة وعدالتي الكاذبة».(١) وتقع المسرحية في مشهد واحد. وهي ضعيفة البناء ،نموذجية الشخصيات .كتبت في ساعة تدفق حماسي ابان الحرب الفلسطينية ،يتركز فيها الحدث حول محاولة (الفرجي تفريق العرب والمسلمين لابعادهم إلى اعماق الصحراء فيزيدهم عمله تكتلا ويصيحون صيحة واحدة (فلسطين عربية حرة). ويدرك الغرب بأن سيطرته على العرب قد انتهت، فيجدّ في البحث عن امة اخرى يستعبدها ويجد بغيته تلك في افريقيا.

وقد استعان الكاتب بالبناء التقليدي للمسرحيات العربية التي وضعت في أوائل القرن العشرين ، فاستعان بالشعر في ثناياها:

«إلى الصحراء لعل الله يجمعنا (ابشر بطول سلامة يامربع) (٢)

وتدور مسرحية (نداء الفجر العربي) **١٩٦٢** لعبد الباقي السعدي حول القضية الفلسطينية ايضاً ،وهي اقرب إلى احلام المراهقين منها إلى العمل الثوري البناء. يحلم (باسل) بأنه قد استعاد هو وزملاؤه فلسطين بعد تنظيمهم لكتائب التحرير. وتقع المسرحية في خمسة مشاهد قصيرة، جاء الانتقال فيها من مشهد إلى مشهد بأسلوب اقرب إلى الاسلوب الروائي منه إلى الاسلوب المسرحي (٣)، وهي مسرحية هتافية تحمل شعارات مباشرة : «ونهضوا جميعاً يرددون: فلسطين عربية وستبقى عربية الردى، دينها الاسلام ودينها الحق وهي عائدة بأذن الله » . (٤) وقد برز في المسرحية ضعف الاسلوب وتفاهته وكثرة الاخطاء اللغوية والاملائية الشائعة في الحوار.

وتقع مسرحية (كهف التحرير) (٥) لصلاح الدين الناهي في فصل واحد يضم اربعة مناظر، وهي تدور حول القضية الفلسطينية ايضاً. ويغلب على المسرحية الاسلوب التعليمي

---

(١) ابن الشراق، فلسطين المجاهدة ص٢٣ — ٢٤

(٢) م.س ص١٧ (٣، ٤) عبد الباقي السعدي ،نداء الفجر العربي ص ١٢، ١٧

(٥) مجلة المثقف العراقية، العدد ١٨، ١٩٦٠.

والنبرة الخطابية بالرغم من ان كاتبها استاذ جامعي وله مؤلفات عديدة في القصة القصيرة «الاسير الجريح : دعوني اموت لقد خنت بلادي وها انني اقتل جزاء ماصنعت ،لاخير في الحياة ،ان قاتلي من ابناء قبيلتي وان قبيلتي جميعاً متعطشة لدمي، لقد أدركت الحقيقة الان ايها الابطال المجاهدون ...»(١). ويتبين من هذا النص ان الخطابية هي العنصر الاساسي الذي تقوم عليه المسرحية القصيرة، وفيها ادانة واضحة للخيانة. وما يميزها عن امثال المسرحيات التعليمية ان لغة الحوار فيها سليمة ، والجمل فيها رصينة .

وقد تأتي الخطب على لسان اعداء العرب، حيث نجد (راشيل) الفتاة الصهيونية تدافع عن العرب فتقول في إجتماع صهيوني كبير يضم شخصيات حقيقية مثل (روتشلد وايزمان) وغيرهم من زعماء الحركة الصهيونية : « ولكنني أرى ان خير الوسائل هو الاندماج وطنياً كل في الشعب الذي هو فيه كما بدا يفعل عقلاء الصابئة والأرمن وغيرهم اما ان نعالج الاضطهاد والتكتلات الاستفزازية فذلك كمن يريد ان يطفيء النار بغاز الاوكسجين » (٢) .

ويأسر عدد قليل من الشباب فرقة اسرائيلية كاملة في معركة اقرب إلى لعب الاطفال منها إلى معارك المصير في مسرحية (عائدون) ١٩٦٠ لعبد القهار الكبيسي.

ومن كتاب المسرحية التعليمية الدائرة حول القضية الفلسطينية من جعل المسرحية وسيلة لعرض افكاره وآرائه كما فعل كامل ابراهيم الجبوري في مسرحية (الخطر الأكبر) ١٩٥٠ التي أوقف مؤلفها جميع الشخصيات لمهاجمة الافكار التقدمية وربطها بالحركة الصهيونية. وضحى بالفنية المسرحية من اجل تحقيق اهدافه فجعلها في تسعة فصول، وغلب الاسلوب السردي الروائي على البناء المسرحي في الفصول الثلاثة الاخيرة من المسرحية ،وهذا مافعله حسن احمد الاسدي في مسرحيته (مأساة فلسطين) ١٩٥٢ حيث جاءت اقرب إلى الابحاث التاريخية عن نشأة الصهيونية العالمية منها إلى المسرحية الفنية.

وقد اتخذ بعض المؤلفين من المسرحية وسيلة دعائية يحقق فيها اهدافه السياسية أو مصالحه الخاصة، حيث أوقف ميرزة حمزة شير علي مسرحيته (مأساة اخوين من اللاجئين) ١٩٤٨ منبراً يمدح من فوقه العائلة الهاشمية وما قدمته إلى اللاجئين الفلسطينيين ،وقد عمد إلى المبالغة والتهويل لتحقيق اهدافه الوصولية : « زرت بعض اللاجئين فاشهد انها احسن بكثير

(١) م.س.
(٢) حسن أحمد الاسدي ،مأساة فلسطين ص٣١

من القصور نظافة واثاثاً وطعاماً وشراباً اما العناية الصحية فحدث عنها ولا حرج » (١)

وتكثر الخطب الرنانة في مسرحية (نداء الفجر العربي) ١٩٦٢ لعبد الباقي السعدي؛ وبناؤها ضعيف يقرب من الاسلوب القصصي : «ينطلقون فرحين مستبشرين بالامل المقبل»(٢). ولا تقل مسرحية (الخطر الاكبر) ١٩٥٠ لكامل ابراهيم الجبوري في حوارها الخطابي عن المسرحيات التعليمية السابقة « ايها المواطنون الكرام عاملي القوميين والوطنيين . احذر ايها الشعب الكريم من الدعاية الصهيونية اليهودية» (٣) كما نقل لنا الجبوري خطبة كاملة لحاخام يهودي استغرقت سبع صفحات من المسرحية. وقدم لنا حسن احمد في مسرحية (مأساة فلسطين) ١٩٥٢ جلسة كاملة لمجلس العموم البريطاني نوقشت فيها القضية الفلسطينية، نقلها كما هي من بطون كتب التاريخ الحديث،وجعل شخصية اجنبية (راشيل) تتغنى بشعر عربي فصيح.

وتناولت المسرحية التعليمية المدرسية موضوع جلاء الاستعمار الفرنسي عن سوريا في مسرحية (يوم الجلاء عن سوريا)١٩٤٦ لعبد الجبار شوكت، وهي مسرحية نماذج ايضاً حيث تجتمع وفود جميع البلدان العربية في مقر الجامعة العربية لتهنئة سوريا بجلاء القوات الفرنسية عنها

ويستمر دخول ممثلي الوفود العربية : (العراق ، لبنان ، الاردن ، مصر ، السعودية ، اليمن) والكل يباركون لممثل سوريا بينما يستنكر ممثل فلسطين ابتهاجهم ويذكرهم بمأساة فلسطين فيتعهد الجميع على انقاذها من براثن اليهود ، وهي شبيهة بالمسرحيات السابقة من حيث ضعف البناء والأفتقار الى الفن الخطابي وارتفاع النبرة الخطابية فيها «فلسطين انا فلسطين الجريحة ، فلسطين الفريسة ، فريسة الاستعمار ، كيف ساغ لكم ان تفرحوا بحريتكم وتنعموا باستقلالكم وقد تركتم اختكم العزيزة فلسطين ضحية .. كيف ، تركتموها في ايدي الصهيونية الاثيمة .. ياأهل الحمية والنجدة يااصحاب الاباء والعزة القومية . لم يبق الا بنو صهيون يتلاعبون بمقدراتي ويمتهنون كرامتي» (٤) .

تناولت مسرحيات أخرى موضوع ثورات التحرر في الوطن العربي كثورات التحرر

---

(١) مزنة حمزة شير علي ،مأساة أخوين من اللاجئين،ص ٣٦

(٢) عبد الباقي السعدي، نداء الفجر العربي ص ١٨

(٣) كامل ابراهيم الجبوري ،الخطر الاكبر ص٨٨

(٤) عبد الجبار شوكت، يوم الجلاء عن سوريا ص١١.

في الجزائر وعمان والعراق ، مثل مسرحية (لتحيا الجزائر) ١٩٦٢ لمحمد ناصر الساعاتي وهي مفتعلة الحدث ميلودرامية الاتجاه خطابية الحوار : تحدث ام اولادها عن ابيهم واخوتهم الذين انضموا الى جيش التحرير وقدموا انفسهم فداءاً للوطن ، وبينما تسترسل الام في حديثها يدخل عليهم ثائر جزائري يتبعه جنديان فرنسيان ليقتلانه ، وعندما تنبري الام للدفاع عنه يقتلانها ايضاً . فينتزع ولدها الصغير المسدس من يد الجندي الفرنسي ويرديه قتيلا ، ويدخل ثوار جزائريون يقسمون على الاخذ بالثأر وتحرير الجزائر من الفرنسيين.

اما مسرحية (صبي من الجزائر) ١٩٦٠ لاحمد حمودي السامرائي فهي مسرحية شعرية قصيرة لم تخل من النبرة الوعظية والبناء الساذج ، تمجد بطولة طفل جزائري قاتل الفرنسيين بضراوة انتقاماً لابيه واخيه الشهيدين ، يطلق عليه اسم مجاهد . ويلعب الافتعال دوراً كبيراً في حدث المسرحية ، وتتدخل المواقف الميلودرامية بين اغتصاب وقتل واخذ بالثأر وانتقام وبطولة خارقة تنتهي نهاية سعيدة يختمها بنشيد الجزائر ، وهو نشيد ثوري تنشده الجوقة على نمط المسرحيات العربية التي كتبت في مطالع هذا القرن

«الضابط : ماسمك وما اسم ابيك ؟

الصبي : جهاد بن عبد الله

الضابط : جهاد ! جهاد ! آمال مجمعة واقوال والحيل

الضابط : من اين انت ؟

جهاد : انا من ارضي التي ديست باقدام الطغاة
انا من هذي الروابي ، أنا من هذي الفلاة
انا حر عربي يعربي ساعياً ابغي نجاتي
انا من تلك الصحاري صارخاً في كل عاتي
نحن ابناء الجزائر نصرنا لاريب آتي

الضابط : انت لجن تاه في وجه الحياة
انت غر جاء من دون حصاة ...» (١)

ويستولي عدد قليل من الثوار الجزائريين على معسكر كبير للفرنسيين في الجزائر في الوقت الذي ينفذ حكم الاعدام على بطلة المسرحية في مسرحية (استقلال الجزائر) ١٩٥٩ لعبد اللطيف الدليشي ومن الفرنسيين من يشيد بالعرب وينتقص من قيمة فرنسا في الوقت الذي

---

(١) أحمد حمودي السامرائي، صبي من الجزائر، ص٢٢

ينفذ أوامر قادته بقتل الجزائريين : « ان لديهم ايماناً عامراً ، لم يكن القصف الجوي المرهق ولا المدافع الرشاشة الجبلية ولا القذائف الصاروخية لتحد من غضب هؤلاء ؛ الجزائريين ولا لتقمع من جماح هؤلاء العرب المردة المكافحين . لقد شاهدنا النساء وهن يقاتلن ببسالة ومهارة مع الرجال جنباً الى جنب غيـر هيابات ولا متراجعات » (١) . وهدف هؤلاء الكتاب ان ينفذوا من خلال هذه المشاهد المفتعلة الى المواعظ والخطب السياسية وليندووا بوحشية المستعمرين وانانيتهم . بعيداً عن البناء المتماسك والبعدين الجمالي والفني .

وعالجت مسرحيتا (صرخة الحق) لعباس السيد علي و (عمان لن تموت) ١٩٦٧ لعبد الوهاب النعيمي ثورة عمان الوطنية . تتوالى في المسرحية الاولى وفود القبائـل العمانية لانتخاب الامام غالب بن علي وبعد ان يتم انتخابه تطالبه الوفود باتخاذ القرآن دستوراً يسير عليه ويحكم بموجبه . ويناصر سكان مدينة تنوف الثوار في الوقت الذي تطلب فيه اليهم القوات الانكليزية باخلاء المدينة . ولم تستطع (زدينا) الرحيل بسبب عاهتها ويحاول الانكليز استخدامها للتجسس فترفض ويأسر الانكليز (ثنيان) ويطلبون اليه ان يدلهم على مخبأ الثوار فيرفض ، يمنونه بالمال والمنصب والجاه ولكنه يصر على الرفض فيقتلونه ويمثلون به في الوقت الذي يهاجمهم الثوار ويسترجعون المدينة ثانية.وتكثر الاخطاء اللغوية والنحوية في ثنايا المسرحية (٢) .

وتدور المسرحية الثانية حول الثورة العمانية أيضاً . يعرض في الفصل الاول معسكراً للثوار حيث يحتدم النقاش بين القائد وبعض الثوار (أحمد،سعيد،خالد)،منهم من يقرر الهجوم ومنهم من يحجم عنه خوفاً وجبناً كسعيد.وفي الفصل الثاني يدور نقاش بين الشيخ هلال ، واتباعه (زيد ، علي ، عيسى) وجميعهم يحنقون على الثوار ويمالئون الانكليز . ويظهر المؤلف الشيخ هلال غبيا انياً يعمل بكل وسيلة لارضاء الانكليز ولا يتلقى منهم غير الضرب والاهانة ويتم الاتفاق بينه وبين الانكليز على مقاتلة الثوار باسلحة فاسدة تودي بجماعته الى التهلكة.ويدور الفصلان الثالث والرابع في مرابض الثوار عندما يستعدون لمهاجمة الشيخ هلال وجماعته.وتختفي في الفصل الرابع الشخصيات العديدة ولا يظهر منهم غير القائد واحمد ونسخة مصنوعة من المجاهدين (١ ، ٢ ، ٣) ويدور حوار بينهم اقرب الى الخطب

---

(١) عبد اللطيف الدليشي استقلال الجزائر ص٣٣

(٢) عباس السيد علي ،صرخة الحق ص٢٠،٣٠

منه الى الكلام العادي وترتفع فيه الشعارات البراقة : (القتال حتى الموت ، الحصول على الاستقلال ... الخ) وتنتهي هذه الخطب بخطبة عصماء لاحمد تصاحبها الموسيقى العسكرية وعلى الرغم من ضمور الحدث وتجزئته ، وضعف البناء وربط الخطب بعضها ببعض لتكون الهيكل العام للمسرحية ، نلمس تفككاً بين الفصول وكأن المسرحية تتكون من أربع مسرحيات قصيرة تدور جميعها حول الثورة العمانية . هذا بالاضافة الى وجود حوار لايناسب الشخصيات وقد يسيء الى الثوار العمانيين أكثر مما يؤازرهم ويظهر كفاحهم ضد الا ستعمار «أحمد : سوف ينهزم الاستعمار حتما .....

سعيد : الا تدري ان الاستعمار جرثومة يبحث دائماً لمص الدماء .

احمد : ولكننا سنحطمه قبل ان يدنو ليمتص دماءنا ...

سعيد: لتعلم ذئاب بريطانيا المسعورة في عمان والخليج العربي ان العمانيين نذروا انفسهم ضحايا على مذبح الفداء في سبيل الاستقلال والحرية في سبيل النصر» (١) .

واذا علت النبرة الحماسية الخطابية هنا فانها سرعان ما تخبو في اماكن أخرى من الحوار ويحل بدلاً منها الضعف والخور والاستسلام مما يولد التناقض في داخل الشخصية الواحدة «العائد الاول : لابد وان الانكليز قد رحلوا من هذه المنطقة وخير لنا ان نخرج الان من هنا .

سعيد: ولكن ماالذي سيحل بنا ان كانوا موجودين ؟ .

احمد: سيقتلوننا وهذا كل شيء .

سعيد: ان والدتي استحلفتني ان اعود اليها في المساء لكي أضيء لها السراج ولهذا فأني أخشى ان افارق الحياة فتبقى والدتي بانتظار عودتي وهي في غرفتها المظلمة» (٢)

ويخاطب التابع شيخه بهذا الاسلوب : «اطمئن ياسعادة الشيخ ... الخ» (٣)

ويحدث الشيخ هلال اتباعه عن الانكليز بقوله : «كلنا ابناءكم نحن والانكليز ويجب علينا ان نحكم البلاد بالرغم من اعدائنا .

عيسى : ولكن أرى ان الشعب كله ضدنا وضد ابناء عمومتنا الانكليز .

ويقف احياناً في الحوار بما لايلائم الارشاد المطلوب في المسرحيات التعليمية :

«القائد الانكليزي : هل من جديد عندك ياشيخ هلال ؟ .

الشيخ هلال : نعم عندنا ويسكي جديد وطعام جديد .

(١، ٢، ٣) عبد الوهاب النعيمي : عمان لن تموت ، ص١٧ - ٨ج، ج٣، ٣٢.

القائد الانكليزي : (بغضب) لم اقصد الويسكي أو الطعام قلت هل عندك اشياء جديدة تطرحها امامنا ؟

الشيخ هلال : فهمت يسعادة القائد عندي فراش سيعجبك كثيراً لقد جلبت قماشه من بلادكم »(١)

وقد حظيت ثورة الرابع عشر من تموز بأكثر من مسرحية تعليمية ،منها مسرحيتان شعريتان كتبهما شاعران مبتدئان ولابد ان الحماس الوطني وحب الظهور هما اللذان دفعاهما لنشرهما ويبدو انهما طالبا مدرسة وقد كتباها لتمثيلها في مدرستهما في فترة شاع فيها تمثيل المسرحيات الوطنية الحماسية في جميع مدارس العراق، هما مسرحية (الفجر والسلطان) ١٩٥٩ لمحمد النقدي، ومسرحية (ديمقراطية وسلام) ١٩٥٩ لعبد الغني الحبوبي.

وتدور المسرحية الأولى حول استيلاء الشعب على قصر الزهور وقتل الملك فيصل الثاني على يد الشعب الثائر «ولي العهد: الجيش يطوق منزلنا

وجموع الشعب تضج هنا
حتى الحراس تهددنا ...

رئيس الحراس : حراس الوطن
لم يبق سوى التسليم لنا.

السلطان : (بقنوط) حتى انتم؟

رئيس الحراس : (متحدياً) جند الوطن
الشعب ينادي فلنسرع

السلطان : عصيان !!

ولي العهد : بل امر مفجع .

السلطان : اخشى ان يشتد الامر ..فلنهرب.

ولي العهد : لكن نتمزق.

احد الثوار : اقمار طوقت الليل
امطار كالسيل

---

(١) م.س ص٣٥ — ٣٧

اعصار دمرنا الحصن

الجميع : ياويل الخائن ياويل» (١)

اما المسرحية الثانية فتحمل دعوة سياسية معينة شاعت بين شباب العراق في تلك الفترة وتوجد أكثر من مسرحية نثرية تدور حول الموضوع نفسه مثل مسرحية (الأمل الباسم) لعبد الباقي السعدي ،وهي تردد الدعوة التي جهر بها عبد الكريم قاسم ابان حكمه بضم الكويت إلى العراق . وفيها تهجم يعفو القلم عنه ،ويغلب عليها الاسلوب القصصي : «ثم ذهبوا بها إلى حيث ينتظرها رسول الاله في زنزانة الموت ولكن الشعب ظل في هيجانه يشمر عن ساعديه ويهتف عاشت الجمهورية العراقية الخالدة ».(٢) وتكثر الشعارات السياسية في المسرحيات التعليمية ذات الاتجاه القومي والوطني مثل «يسقط الاستعمار الفرنسي البغيظ ،يسقط الفرنسيون الجلادون،تحيا الجزائر حرة مستقلة، تسقط فرنسا (٣)». ولم يستطيعوا التعبير عن مشاعر تتصل بمواجهة الواقع المنتظر والاحداث المستقبلية لكي يدعوننا نتخيل الاحداث المتوقعة في ضراوتها وتوعدها من خلال بواطن الشخصيات ،فلم يتمكنوا من التعبير عن هذه المشاعر بل استدبروا الاحداث فبدت من جانبها الذي وقع وبذلك وقف الحدث تماماً فلم تحقق المتعة للمتلقين ولم تتمكن من استخلاص المشاعر أو الصبر أو العبر مما تم وقوعه من قبل ونقلت إلى المشاهدين الرثاء والخطب والصيحات والشعارات من دون قدرة على الغوص في صميم الفواجع بل عمت هذه المسرحيات مشاعر سطحية في صرخات مستمرة تنحى باللائمة على العصر أو القدر نفسه. وكشفت عن اليأس والقنوط ،وفقد فيها الحوار الدرامي كل وظيفة له وتورم في غالب الاحيان بما يشبه المناحة العامة ، جوهرها الهـــرب من مواجهة الواقـــع بما يستحقه في مثل هذه الحالات من صراحة وحزم،فلاعجب ان اتت مسرحياتهم مفككة لا ترتبط إلى الاحتمال بسبب حتى تبرز العظة والخطبة أو الهدف السياسي ، وان ظهر التنسيق الفني في هذه المسرحيات مفككاً وهزيلاً ينم عن جهل المؤلفين بشروط العمل المسرحي ،فهم يستخدمون الخطب الطويلة والرسائل والشعارات والحوار التافه العادي الذي لاقيمة له بالنسبة للحدث من دون ان ينمي الحدث أو يطوره، ومنهم من غلبت الصفة السردية القصصية عندهم على فنية البناء المسرحي. وتتسم شخصياتهم بميسم ابطولة

(١) محمد النقدي، الفجر والسلطان ،ص٤١ — ٤٣.

(٢) عبد الباقي السعدي، الامل الباسم، ص٤٢

(٣) عبد اللطيف الدليشي ،استقلال الجزائر، ص٧٠

والقوة والشجاعة والشرف وهي لاتنسى تأثرها بسهولة شأن شخصيات المسرحيات الرومانتيكية وتكاد تضحي بكل شيء في سبيل الدفاع عن شرفها وكرامتها ، وتتصرف تصرفات مبالغاً فيها ولا يتوقع حدوثها من انسان عادي . وتتجشم المصاعب وتركب الاهوال بما يتلائم وصفات البطولة الخارقة التي اضفاها عليها المؤلفون ، فنجد سلمى مثلاً بطلة مسرحية (استقلال الجزائر) تهجم بمفردها على معسكر الفرنسيين وتكاد تقضي على جنوده ، أما احمد في مسرحية (عائدون) فيقضي بمفرده على فرقة كاملة لجيش اسرائيل ، وهذا مايفعله مروان في مسرحية (لبيك يا فلسطين) .

وتنقسم شخصياتهم الى قسمين لا ثالثة لها شخصيات خيرة . وتتألف من المجاهدين الوطنيين العرب ، وشخصيات سوداء شريرة لاتتعدى الشخصيات الاجنبية الدخيلة من مستعمرين وصهاينة ، وقد اتخذ بعضهم شخصيات خيرة من الطرف الاخر مثل راشيل في مسرحية (مأساة فلسطين) وجانيت وبيير في مسرحية (المقاتلون) لجيان . ومن تباين هذه الشخصيات يتولد الصراع الذي تنهض به المسرحية لكنه صراع لايقوم في الغالب على تناغم التناقض لتحقيق الوحدة المنشودة في كل عمل فني . ويعتمد هذا الصراع على شخصية محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لايقنع بانصاف الحلول حتى يبلغ كل مايريد . وغالباً مايأتي التطور في هذه الشخصيات معدوماً ، فهي شخصيات بسيطة غير متطورة لانها تكون من البداية قد بلغت أوج كمالها ونضجها أو كادت .

* * *

لقد حظي تاريخ العرب القديم وتاريخ العراق بأهمية خاصة لدى كتاب المسرحية المدرسية في العراق وعدوها وسيلة مثلى لتدريس التاريخ للطلاب المبتدئين في التعلم : وضعت هذه المسرحيات التي استقيت موضوعاتها من تاريخنا العربي الاسلامي لغرض مؤازرة الفكرة الرامية الى اتخاذ التمثيلية وسيلة من وسائل تدريس التاريخ ولقد وضعتها بشكل ميسر يستطيع معه المعلم ان يخرجها بصورة فنية على المسرح ويمكنه في الوقت ان يمثلها في ساحة المدرسة كدرس في الهواء الطلق بمجرد حذف أو تغيير بعض الحركات المسرحية الصرفة ، ولقد جربت تمثيلها في كلتا الحالتين فأدت الغاية التي وضعت من اجلها بنجاح كبير» (١) . هذا ماسجله جميل الجبوري في مقدمة مجموعته المسرحية (نداء التاريخ) ١٩٥٨ وتضم المجموعة عدداً من المسرحيات التاريخية القصيرة التي انتزع احداثها من التاريخ العربي وحول الحدث التاريخي الى مسرحية من دون ان يضيف اليها شيئاً :

(١) جميل الجبوري، نداء التاريخ ص٧ .

(عام الفيل ، كرم العرب ، فتح اليمن ، اسلام عمر ، فتح الاندلس ، فتح الصين). وكلها وضعت لطلاب المدرسة الابتدائية ، وللكاتب مسرحية قصيرة أخرى تدور حول الاتجاه نفسه بعنوان (بدر الكبرى) وله مسـرحية ثالثة بعنـوان (الهدف الكبير).

وفي الاتجاه نفسه كتب عبدالستار القرەغولي مجموعتيه المسرحيتين (روايات من تاريخ العرب)١٩٤٨ و (مسرحيات الأحداث) ١٩٥٣ ومسرحيته (ابوعبدالله الصغير) ١٩٥٥ . وقد كتبت باسلوب شعري ، ووضح المؤلف في مقدمة مجموعته الأولى هدفه التعليمي من كتابتها وقد اجاد الكاتب نظمها بالفاظ وعبارات واضحة . ودارت موضوعاتها حول الشهامة العربية والاخلاق الفاضلة بالنسبة لرجال العرب ونسائهم وتحدث عن (أم عمارة) في معركة احد وعن خولة بنت الازور وبلائها في معركة اليرموك . وعن (الخنساء) وصبرها بعد استشهاد اولادها الاربعة في سبيل اعلاء الدين الحق . واورد صوراً مشرقة لرجال يقاومون العذاب بالصبر في سبيل المبدأ في مسرحية (عمار بن ياسر) . وتحدث عن الوفاء في مسرحية (السموءل) وعن (عدل عمر) . واحتوت المجموعة على ست عشرة مسرحية قصيرة : (قصة فراسة العرب) كرم العرب ، وفاء العرب ، حلم العرب ، رضاع النبي ، بناء الكعبة ، شهداء المبدأ ، غزوة احد ، تضحية نساء العرب ، فرسان العرب ، شجاعة العرب ، فتوحات العرب ، فتوة العرب ، سهر الخلفاء العرب ، عدل خلفاء العرب ، نخوة خلفاء العرب)

وتمكن القرەغولي من هزّ مشاعر الطلاب باسلوبه العذب الجميل ، وهو يعمد في كل مسرحية إلى فكرة واحدة يسعى إلى ابرازها ويتجاوز التفصيل إلى الايجاز ، وكل سطر في مسرحيته يقودنا إلى النقطة الهامة التي سعى إلى ابرازها ، هذا بالاضافة إلى حرارة الجيد والتفاتاته الحسنة ، واهمية الموضوعات التي تناولها :

«السموال : ولدي اراك تكبله
الحارث : هات الدروع جميعها واذا ابيت سأقتله
السموال : افعل به ما شئت لا اعطيك ما تتأمله
الحارث : انظر اذاً يا شقيقي (يشرع بقتله وابوه ينظر من على الحصن)
السموال : اواه ابن الامير
لكن اذا مات ولدي جميعهـم يا غبي
فانني سوف ابقى في الناس نعم الوفي» (١)

(١) عبد الستار القرەغولي ، روايات من تاريخ العرب، ص٢٩.

يمتاز القره‌غولي بشعره الرقيق القريب من نفوس الطلاب بجرسه الموسيقي ، وهو لا يخضع في شعره إلى الاتجاه التقليدي بل الى الاساليب الشعرية المتأثرة بالمسرح الشعري الحديث ، وهو حريص على الرشاقة اللفظية الشفافة والخيال الخصب ، ولولا هذه المقومات لما استطاع كتابة مسرحياته الشعرية القصيرة التي تنبيء عن سمو الادراك وقوة التركيب وصدق التعبير وجمالية التصوير .

ولكنه في مجموعته الثانية (مسرحيات الاحداث) ١٩٥٣ لم يرق إلى مستوى المجموعة الأولى من حيث البناء والإسلوب والموضوعات وهي لاتناسب غير الطلاب المراحل الأولى من الدراسة الابتدائية .

وتدور مسرحيته (ابو عبد الله الصغير) حول خروج العرب من الأندلس وتوديع إبي عبدالله الصغير آخر ملوك الاندلس لقصر الحمراء . وبكاء الخليفة لقائده موسى بن ابي غسان الذي قاتل حتى الرمق الاخير :

«ابكـــي علــى الحمراء مر بكـــاء   ابكي علـى غرناطـة بالدماء
يوسف بن عكاشة : هذا قضاء الله ياسيـــدي   فادرع بالصبر واجمل عزاءاً
ابو عبدالله : الموت يايوسف لي رحمـة   لست استطيع احتمال الشقاء
عائشة : (فابك فعل النساء ملكاً مضاعـاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال»(١)

وتدور مسرحية (عدل ملك) ١٩٥٣ لكمال الجبوري حول عدل المأمون . وقد استمد احداثها من بطون كتب التاريخ. ونقل لنا عفوه عن عمه ابراهيم بن المهدي وعفوه عن الغلام الذي شكاه ابنه ومحاكمته لابنه العباس عندما تقدمت امرأة بشكواها اليه . ومحاكمته لوزيره عندما هدم كوخ الحائك . وقد كتب مسرحيته بأسلوب شعري يضعف أحياناً (٢) ويقوى في أحايين أخرى مع تمسكه بالأهداف التعليمية التي دعا اليها في مسرحيته :

«الغلام : سيدي

المأمون : واستمع نصحي ولاتضل سبيل الهدى
ارع ابـــــاك واحفظـــن حقه   فأنت أولى فيه ممن رعى
واخفض له جنـــــاح ذل فهذا   امر الله العرش رب الورى...
يافضل صـــل بألف دينار لهذا الفتى

(١) عبد الستار القره غولي، أبو عبدالله الصغير، ص٢٤
(٢) كمال الجبوري، عدل ملك ،ص٩، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٠.

وليستفد من ريعهـــا لو يشا يزيدها بالبيع أو بالشرا
واكتب لهذا الشيخ ارضاً اكي يزرعهـا

الشيخ : شكراً ارب الندى
يـــاحاكـــاً ، بـــاعدل ياراحماً كل البرايا انك المرتجى(١)

وتقع المسرحية في ثلاثة فصول .

وكتب عبد الجبار شوكت مسرحيتين تاريخيتين استمدهما من فجر التاريخ العربي الاسلامي هما : (رسول النبي إلى هرقل) ١٩٤٧ وتقع في فصل واحد لم يلتزم فيها الفن المسرحي اطلاقاً ومسرحية (فتح مكة)١٩٤٥ وهو يعدهما وسيلة تعليمية كما ذكر في المقدمة :

«فما من شك في ان تأثير الحادثة التي يراها الانسان بعينه تكون اشد وقعاً في نفسه وأكثر رسوخاً في ذهنه من تأثير الحادثة التي يقرؤها او يسمعها وهذه الحقيقة لايمكن ان يستغني عنها معلمو التاريخ في المدارس الابتدائية ومدرس المدارس المتوسطة وقد لاحظت ذلك وأفدت منه في تدريس التاريخ . فأية حادثة لايفهمها الطلاب من التقرير والتوضيح اعمد إلى تمثيلها في الصف فيفهمونها بسرعة ورغبة شديدة وفي مدة قصيرة، فقد رأيت ان اكتب بعض الحوادث التاريخية بشكل مسرحيات قصيرة يمكن ان يمثلها الطلاب» (٢) .

وتقع مسرحية (فجر جديد) ١٩٥٥ لعطا رفعت ،في فصل واحد وتدور حول مولد الرسول (ص) وتفسير الكهان رؤيا تيماء بأن المولود الجديد الذي ولد في مكة لبني عبد مناف سيكون نبياً ، وقد كتبها مؤلفها لغرض التمثيل في المدارس كعمل متمم لدروس التاريخ . وامتازت باسلوبها الجيد الرصين : «الحارث : هذا البرق اللامع الذي تطرف عيونه وتجحظ محاجره على جبهة الأفق المتورد في أثر الرعد القاصف الا يكون اشبه بسهام مريشة او حراب تنثال على المنايا مع الصرصر» (٣) ومن الملاحظ ان المؤلف قد استخدم مفردات تصعب على طلاب المدارس ولا تناسب مداركهم اللغوية . ونجد ان جميع الشخصيات تتكلم بأسلوب واحد هو اسلوب المؤلف نفسه . وقد تأثر الكاتب بأسلوب القرآن الكريم : «الحارث : انه نور على نور كأنه كوكب دري ، انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم لمقتدرون ...الخ» (٤) .

(١) م.س ص٢٤
(٢) عبد الجبار شوكت، فتح مكة، المقدمة
(٣، ٤) عطا رفعت ،فجر جديد، ص٣٣، ١٩٠٠ -٥٣

وتمثل مسرحية (صقر قريش) ١٩٣٩ لعبد الله حلمي ابراهيم اوضح مثال لضعف المسرح التعليمي المدرسي في العراق . فهي عبارة عن مجموعة من العبارات والمواقف الخطابية ، يسهب فيها الخطباء بذكر امجاد الامة العربية . وتدور المسرحية حول قيام (عماد) وزوجته (سهاد) حفلة بمناسبة وطنية، وتقدم افضل الاطعمة وبعد الشبع والارتواء تجلجل خطبهم عالياً .

وتدور مسرحية (عودة سمير اميس) ١٩٥١ لعبد اللطيف الشهابي حول ملكة آشور سمير اميس وقتلها لزوجها الملك . وقد كتبت باسلوب رومانتيكي شعري . وساد فيها اسلوب السرد القصصي :

«وهناك في تلك البقعة النائية في هذه الهدأة الشاملة حيث روح الآلهة تطل عليها من عليين تبعث النور والحياة ويهبط فتى غض الاهاب مفتول العضل مع قطيع من الشيا . وهو يعزف على نايه الحان الربيع... الخ »(١) . وقد عمد في الحوار إلى اسلوب الشعر المنثور

«الراعي :سمير اميس .. انا الراعي حبيبك خليوس
ايتها الغارقة في احضان الخلود
المستحمة في فيض النشوات
ياذات الروح الطاهرة
والانوثة الطاغية الصارخة
كان حبك لي .. قاسياً كالهاوية
قوياً كالموت
واسعاً كالصدى» (٢)

* * * *

ظهرت إلى جانب المسرحيات القومية والتاريخية مسرحيات اجتماعية تعليمية وهي في الغالب تعالج مشكلات التعليم ، او تحاول تثبيت المثل الاخلاقية في نفوس الطلاب .

تعالج مسرحية (الضحية) ١٩٣٦ لحسين علي الاعظمي مشكلة الزواج غير المتكافيء ومحاولة بيع الآباء بناتهم إلى من هم أكثر غنى برغم فارق السن واختلاف البيئة والثقافة. فترتفع النبرة الخطابية بما لايناسب الحركة والصراع ويوقف تطور الحدث :

(١) عبد اللطيف الشهابي ، عودة سمير أميس ،ص٧

(٢) م.س ص٩

«احدى البنات : سلمى مظلومة . قاتل الله الظلم .

احدى البنات : سلمى بيعت إلى شيخ قاتل الله الطمع ...

الشيخ : مساء الخير ياعروستي سلمى اقتربي ياسلمى اراك تبتعدين ؟.

سلمى : نعم ياشيخ انا ابتعد واريد ان افاتحك بأمري علك ترحم شبابي . حضرة الشيخ ان نساء الحي كثيرات فاتركني وشأني واعلم بأن قلبي مشغول بحب فتى هو اقرب الناس الي وابن عمي الشاعر فؤاد . وانت تعرفه فتى من انبل شباب بغداد ، وبيني وبينه ميثاق لاأقدر على فصم عراه ... الخ » . وتستمر الخطبة على هذه النبرة حقلاً كاملاً من المجلة .

وتعالج مسرحية (عودة من الريف) ١٩٥٥ لحامد السعودي المشكلة السابقة ذاتها . وبينما تنتهي المسرحية الأولى بانتحار سلمى . يقتل ابن العم ابنة عمه في هذه المسرحية ليمنع زواجها من غيره . ونلمس بأن البناء في هذه المسرحية افضل مما هو عليه في المسرحية الاولى برغم ان الخطابة تنبعث قوية شديدة خلال الحوار : «كريم : اجل انا كريم ، انا الرجل الذي لم تهتم له رجال هذه العشيرة ، انا الرجل الذي لاتعيروني إهتماماً ولا تقيموا لي وزناً ، انا كريم الذي لاوجود له بين رجال عشيرتكم هذه ، تسلبون (فرحة) منه وهو لاينطق شيء ... الخ» (٢) .

وظهرت مسرحيات تهذيبية داعية للدخول إلى المدرسة ، والاجتهاد وترك اللعب واللهو وهي تقارن بين الطالب المجد والطالب الكسول ، وتعد (الرواية الايقاظية) ١٩١٩ لسليمان فيضي الموصلي اول نموذج لهذا النمط من المسرحيات (٣) . وتبدأ الرواية الايقاظية باقناع (خضر) صديقه باقل دخول المدرسة وموافقة والده على ذلك ومحاولة اصدقاء الاب الوقوف في سبيل تعلم باقل ولكنه ينجح في النهاية ويصبح طبيباً يعالج ابناء اصدقاء والده الذين اصيبوا بأمراض عديدة نتيجة لجهلهم وعبثهم وافراطهم في اغتراف الحياة .

وقد وضع معلمو المدارس مسرحيات قصيرة تمثل على مسارح المدارس في مناسبات معينة وقدم حنا رسام عدداً من هذه المسرحيات الفها وقدمت على مسارح المدارس في

(١) مجلة الصبح : الاعداد ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٩٣٦ .

(٢) حامد السعودي ، عودة من الريف ، ص٢٨

(٣) للاستزادة ينظر /عمر الطالب ، فن القصص عند سليمان فيضي ، بمجلة الجامعة العدد ٩ ، ٧٣

الموصل : (قاتل ابنه ، طبيب السقوط ، بلاعنوان ، امتحان بالجغرافية ، المغالبة في المبالغة ، يوم الامتحان ، المتطارش ، في سبيل شمسية ، في المحكمة ، ألبسة الأحد ، اجرة السارق ، اللصوص ، كلمة البواب ، خير صدفة ، من اجل بلبل ، في جوش المدرسة ، ملائكة الرحمة ، الطفولة ، رسالة ، الخدمة المتفرضة ، اختبار في اللغة العربية)

ولانستطيع حصر المسرحيات التي مثلت على مسارح المدارس في العراق لانها تتسم في الغالب بالبساطة والمحلية ، ومنها مايمتزج فيه الفن المسرحي بالاوبريت او الغناء او التهريج وتتسم بالارتجال ولكننا نستطيع حصر المطبوع منها ، فقد قدم عبدالرزاق القحطاني مجموعته المسرحية (هكذا المصير) ١٩٥٥ وتضم اربع مسرحيات تهذيبية :(من الوجيه ؟، اعداؤنا الثلاثة ، هكذا المصير ، البقاء للأصلح) . وتقع المسرحيتان الأولى والثالثة في ثلاثة فصول قصيرة ، وتقع الاخيرة في اربعة فصول قصيرة . وتقع الثانية في فصلين قصيرين فقط .

تشيد الأولى بدخول الأولاد الى المدرسة ، وتهدف الثانية الى محاربة المرض والجهل والفقر وتقارن الثالثة بين (رشيد) الذي بدد ثروة والده و(جميل) الذي نشأ عصامياً حتى استطاع ان يكون نفسه ويصبح محامياً بينما يموت رشيد في نهاية المسرحية في حادث اصطدام .

وتشبه المسرحية الاخيرة سابقتها حيث يقارن الكاتب بين نهايتي الاخوين الصالح والفاسد .

ونجد في هذه المسرحيات القصيرة تقدماً واضحاً في البناء والحوار والصراع عن المسرحيات التعليمية المدرسية التي ظهرت في الثلاثينات .

وقدم احمد منصور السعدي (تمثيليات تربوية) عام ١٩٦٠ . وقد ساعدت وزارة التربية على نشرها وتضم عدة مسرحيات قصيرة (العدل اساس الملك ، الصبي العاق ، ايثار ، عاقبة الوشاية ، عاقبة الطمع ، الاتحاد قوة ، الوطن ، الشيخ وبنوه ، الكذب ، الجليس ، الوفاء) . وتطغى التعليمية الوعظية على هذه المسرحيات :

«الحاكم : يابسام وصيتك بالناس خيراً ، احسن معاملتهم تجلب قلوب الخاصة والعامة . واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل لأنك راع ، وكل مسؤول عن رعيته ولايمنعك مانع من الرجوع الى الصواب بعد الخطأ لأن الرجوع الى الحق فضيلة واياك

ان تهمل شؤون الرعية ، فشؤونهم امانة في رقابنا ، والله ان الحساب لدقيق ، والله مطلع على مافي الصدور فكن رحيماً بالناس» (١) .

وقد وقع الكاتب في خطأ فني كبير في الفصل الأول من مسرحية الصبي العاق فلم يلتزم بعنصر الزمن وكان في امكانه ان يقسم الفصل الى مشاهد للتخلص من الوقوع في مثل هذا الخطأ : «الان استودعك الله لاني مسافر للالتحاق بالجامعة التي انوي انهاء تحصيلي فيها» (٢) .

ويأتي الحوار التالي في المشهد نفسه : «المدير : اهنئك ياسليم فقد صدر المرسوم الجمهوري بتعيني مديراً عاماً وصدر بتعيين ولدكم سمير مديراً للميناء » (٣) وفي مشهد واحد يذهب سمير الى انكلترا ويكمل دراسته ويحصل على الشهادة ويعين مديراً للميناء .

وقد استعان بالشعر يلقيه بمناسبة وبدون مناسبة على افواه شخصيات لاتحتمل قول مثل هذا الشعر :

«غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما ادني اليك وتنهل» (٤)

ويتلو عدة أبيات من قصيدة امية بن ابي الصلت ، ويعيد الكرة على لسان سعد (٥) . ويستعين بالايات الكريمة ايضاً كما نجد في الصفحة ذاتها على سبيل المثال لا الحصر .

وتقع مسرحية (الذبابة في قفص الاتهام) لشاكر محمود الهيتي ، في ثلاثة فصول ، يدور الفصل الأول في دار زهير الذي يعلم والديه النظافة وكيفية التخلص من الذباب لأنه يولد امراضا عدة . ويمرض زهير بالتيفوئيد في الفصل الثاني بسبب انتقال العدوى اليه عن طريق الذباب ويودي به الى الموت . وقد جاء هذا الفصلان قصيران بالنسبة للفصل الثالث حيث يقيم ابو زهير الدعوى الجنائية على الذبابة متهماً اياها بموت ابنه . ويمتلىء هذا الفصل بالخطب الرنانة وقد استغرقت خطبة واحدة للذبابة من صفحة ٣٩ الى صفحة ٤٤ وجاء قرار التجريم منهياً هذه المحاكمة من صفحة ٤٤ وحتى نهاية صفحة ٤٨ . ويغلب على المسرحية الطابع السردي مما يوحي بجهل المؤلف فنية البناء المسرحي . هذا بالاضافة الى سذاجتها وسذاجة الحوار ، والوعظية والمباشرة ، وكأن كاتبها اراد لها ان تكون دعاية صحية للتخلص من الذباب وعرض اضراره وطرق التخلص منه وادوار استحالته.

ودارت مسرحية (اخطاء الزواج) ١٩٦٩ ليلدا اقلا حول الزواج غير المتكافيء ايضاً ومحاولة الاهل بيع ابنتهم الى من يدفع مبلغاً اكبر دون الالتفات الى مشاعر الفتاة . وتقع

(١ – ٥) أحمد منصور السعدي، تمثيليات تربوية ، ص٧ ، ١٣، ١٥، ١٦، ٣٧.

المسرحية في اربعة مشاهد . وجاء الحوار فيها ساذجا بافكاره . اما لغته فهي اقرب الى الحديث اليومي لأناس اميين، وتنتهي المسرحية نهاية ميلودرامية بفشل الزيجة غير المتكافئة .

ومن هذه المسرحيات ماكتب بأسلوب شعري مثل مسرحية (المطلقة) ١٩٥٨ لعبد الكريم الآلوسي . وتدور حول الشاب الذي توفرت له اسباب الحياة ولكنه يشقى بزوجته (ليلى) ويخلص صديقه (هاشم) من ورطته حيث يزوجه بأخته (سعاد) بعد ان يشترط عليه طلاق ليلى ، ويزداد شقاؤه مع زوجته الثانية ويعود طالباً الغفران من زوجته الأولى المحتضرة :

«محمود : ليلى اناديك هيا ليلى تعالي اليا
هيا اسرعي لي

ليلى: تمهل

محمود : ياوجه البوم هيا

ليلى : ماذا تريد حبيبي أأنت تطلب شيئاً
ابغي رضاك عليا

محمود : ابطأت عنك فعذرا

ليلى : روحي فداؤك تأتي

محمود : لا لست اطلب عذرا
ماأنت الا عذابي قد ضقت بالامر صدرا
وطال فيها سهادي كأنما الليل قرا
غداً سيشرق فجري من بعد ماطال دهراً»(١)

وتدعو مسرحية (الدرس قبل اللعب) ١٩٦٢ لعلي الشوك إلى الاجتهاد وعدم قضاء الوقت في اللعب : يرفض (احمد) طلب صديقه (مصعب) اللعب معه الا بعد انهاء واجباته ويرفض قراءة قصص لاخته الصغيرة فتشكوه إلى والديه . ولكن الوالدين يعرفان الحقيقة بعد ذلك فيكافئان احمد . وتمتاز المسرحية بأسلوب شعري سلس والفاظ سهلة وعبارات واضحة :

«احمد : مساء الخير مصعب .
تفضل واسترح قربي لندرس

(١) عبد الكريم الآلوسي، المطلقة ،ص١٧ .

مصعب : اني متعب

احمد : ولكن درسنا اليوم مهم يأخي مصعب

مصعب : الا دعنا من الدرس وقم ياصاحبي نلعب
فما فائدة التحضير في البيت وفي المكتب
الا يكفيك ان تقرأ في الصف وان تكتب
وان تجلس كالمسجون لاتركض ولا تلعب
فهيا قم بنا هيا

احمد : سألعب يأخي لكن
سألعب عندما انهي دروسي » (١)

ونخرج مما تقدم ان المسرحيات التعليمية المدرسية تناولت في الغالب موضوعات بسيطة تناسب مدارك الاطفال ، ولكنها ضعيفة البناء والحوار الا في القليل منها . وهي تمثل ظاهرة ثابتة ، ولكن ليست لها تقاليد راسخة ، فكان المسرح ينشأ في اول الليل لكي يهدم في آخره ، ولم تشارك الطالبات في التمثيل الا بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ مما يضطر المشرفين على المسرحيات ان يسندوا دور المرأة لاحد الطلاب .

* * * *

مسرح المعسكرات

تقدم في معسكرات الجيش او المعسكرات الكشفية الطلابية مسرحيات تدعوا الى الخدمة في هذا المسلك الوطني الاجتماعي ، او تقدم مسرحيات ترفيهية تدفع الى السرور والبهجة بالاضافة الى الاحتفالات والمهرجانات التي تقدم في الهواء الطلق ، ويؤخذ بنظر الاعتبار في هذه المسرحيات ان تكون ممتعة باعثة على الحماس تمتاز بالبساطة والسهولة ، لأن مثل هذه المسرحيات تميل الى التلقين وملىء اوقات المتلقين بالمتعة والمنفعة ، ولايعني ذلك ان تقدم المسرحيات الهابطة التي تنخفض بمستواهم او تحرمهم من الوقوف على بواطن العمل الذي يقومون به ، كما يتوخى فيها الامكانات البسيطة للمسرح الكشفي او لمسرح المعسكرات فلا تحتاج عادة الى ديكورات فخمة وملابس باهضة التكاليف ، ويفضل ان تكون هذه المسرحيات قصيرة كي لاتتأثر بقلة عدد التدريبات ويفضل ان تجري في الهواء الطلق .

(١) علي الشوبكي ، الدرس قبل اللعب ص٣ - ٤

وقد عالجت المسرحية الكشفية موضوع الفتوة في الثلاثينات كمسرحية (الكشاف) ١٩٣٤ لمحمود لطفي ، وهي عبارة عن حوار بين اصدقاء ، حيث يمتنع ابراهيم من الانضمام الى الكشافة لانه يعتقد بانها قتل للوقت ومضيعة للدرس بينما يشيد اصدقاؤه لطفي وفائق والاخرون بها ويوضحون له فوائدها ، فيقتنع ابراهيم بوجهة نظرهم وينضم الى الكشافة ويشجعه على ذلك معلم المدرسة .

ويخرج طلاب الكشافة مع معلمهم في الفصل الثاني ليخيموا بعيداً عن المدينة ويوزعون بينهم الاعمال ويقوم ابراهيم بالحراسة ، ويعثر الكشافة على راع سقط من مرتفع فتهشم جسده ، يعملون على اسعافه ويطفئون الحريق الذي شب في المعسكر ويدعوهم (شيخ شمر) الى مضاربه وينقذ ابراهيم ابن الشيخ من كواسج النهر وتقام حفلة تكريم لأبراهيم تقدم له فيها الهدايا ويحضرها كبار الموظفين وتلقى فيها الخطب الرنانة التي يشاد فيها بالكشافة : « لطفي : الكشافة فرقة غايتها تعويد الشباب على الحياة الخشنة ليكون خير مدافع لوطنه اثناء الحروب وتعلمه المهن الأخرى .. وقد تأسست في سنة ١٩٠٨ بعد الحرب التي وقعت بين القوات البريطانية وبين البوير في مدينة مافكنج بجنوب افريقيا اسسها اللورد بادن باول وهو اليوم يلقب بقائد الكشافة الأعظم » (١) .

وتشيع فيها الاخطاء اللغوية وكأن كاتبها مبتديء في الكتابة . ونلمس فيها تغيراً مفاجئاً بالنسبة للشخصية فبعد ان كان ابراهيم يمقت الكشافة احبها بسرعة حبا جارفاً بعد نقاش سطحي تم بينه وبين زملائه . ويبدو ان هذه المسرحية واضرابها جاءت دعوة مباشرة ، للأنضمام الى الحركة الكشفية التي شجعها الملك غازي .

وتدور مسرحية (جنود الفتوة) (٢) ١٩٣٦ لحسين علي الأعظمي حول طبيب وطالب في مدرسة دار العلوم يرغب الانضمام الى التدريب العسكري في العطل ووقوف الأمهات موقفاً غير محبذ لهذا العمل في اول الإمر ثم التراجع عن موقفهن هذا وسط وعظية صارخة «ليلى : اللهم ايد هذه الروح منك وانصر رجال دولتنا المخلصين ووفق ابناءنا الى مافيه عزنا ومجدنا وحقق امانينا — تلتفت الام الى صغارها قائلة — متى تكونوا كباراً كأخيكم لتكونوا جنوداً الستم ابناء المجاهد الذي استقبل خالقه وهو يحمل وسام الدم .

الاطفال : — ماما نحن جنود ، اخونا جندي ، ابونا جندي ، اشتري لنا لباساً مثل لباس اخينا نحن كبار نحن نحب الوطن ، نحن جنود الوطن » .

---

(١) محمود لطفي ، الكشاف ص٧، ١٤، ١٥
(٢) مجلة الصبح العدد الرابع ، ١٩٣٦

وتعد مسرحية (في سبيل الوطن) ١٩٤٨ للظريفي ، خير مثال لهذا النوع من المسرحيات وهي غير مقسمة الى فصول او مشاهد مكتوبة باسلوب شعري بسيط قال المؤلف : «ألفتها باللفظ المتداول ... ووضعتها في ايسر شكل من التعبير السهل الجذاب وجعلتها ميسورة التمثيل لاتحتاج الى انفاق مال ولا اعداد مناظر خاصة» (١) . وتعتمد المسرحية كمثيلاتها من هذه المسرحيات على الوعظية والارشاد وجمالية الموسيقى الشعرية :

نعز الحقوق ببذل النفوس   اذا هي مست بأيدي الجناة
طريقان لا ثالث عندنا   فاما حياة واما ممات
وما نحن الا فداء الحمى   اذا مادعا فيه داعي الفداء
نخوض الحروب ونبلو الخطوب   ونبلغ ماعندنا من رجاء» (٢)

والشخصيات فيها غائمة غير واضحة او محدودة لاتعدو (معلم الكشافة ، احد الحضور ، واحد آخر ، تلميذ ، الجميع ، سرب الكشافة ، التلميذ الأول ، التلميذ الثاني) لانها مسرحية نماذج . وتمثل هذه النماذج شكلا واحدا اذ تلتقي كلها في نقطة واحدة هي الدعوة للعمل الكشفي ، ويبدو الحوار غير طبيعي اذ تغلب عليه الغنائية من ناحية وعدم الطبيعية من ناحية اخرى ، فمثلا يدور الحديث بين معلم الكشافة واحد الكشفيين عند التدريب حيث تجب الطاعة والصمت :

«معلم الكشافة : يس يم يس يم يس يم يس يم
احد الحضور : ضراغم من الاجم ذات اباء وشمم
نحمي الحمى ولا جرم اذا به الخطب ادلهم
معلم الكشافة : قف
واحد : وقفة تبدو بها مهذباً مؤدباً
آخر : ان الفتى من انتهى إلى المعالي نسبا
ومن يقوم عن يد بما عليه وجبا
ينفي الاذى عن الحمى وهو بريعان الصبا
يكاد من غيرته عليه ان يلتهبا»(٣)

* * *

(١) الظريفي، في سبيل الوطن، المقدمة .
(٢) م. س ص١٠.
(٣) م.س ص٢٠٦

وظهرت دعوة ثانية مشابهة للدعوة الأولى هي الانخراط في سلك الجندية . وقد كتبت مسرحيات عديدة للتجنيد والدعوة اليه مثلت في معسكرات الجيش مثل(روايةالجندي الباسل) ١٩٣١ لجميل رمزي القبطان ، وتقع المسرحية في سبعة فصول ، بدأها وأنهاها بنشيدي الافتتاح والختام واستخدم فيها الشعر على نطاق واسع جداً في معظم صفحات المسرحية .

يدور في الفصل الأول نقاش حاد بين (قحطان) الذي يريد التطوع في الجندية وبين محبوبته (ليلى) التي تريده ان يبقى إلى جانبها . وترى في العلم سلاحاً ، امضى من السيف لانقاذ المجتمع من الاعداء. ويلتقيان بجنديين يحكمان لقحطان ويعربان عن صداقتهما له ثم يتطوع قحطان في الجيش ويرسل في مهمة للاستطلاع على تنظيمات العدو ، وينجح في مهمته فيرقى إلى مرتبة رئيس عرفاء اعترافاً بجهوده . ويمتلىء الفصل الرابع بالخطب الرنانة وينتهي بخطبة حماسية يلقيها القائد على مسامع جنوده ثم يكشف قحطان في الفصل الاخير للقائد عن وجود اعداء في المعكسر فيقبض عليهم ويحكمون بالاعدام . تتطوع ليلى في صفوف الجيش وتتزوج من قحطان .

وتظهر في هذا الفصل الاخير شخصيات جديدة لم نتعرف عليها في الفصول السابقة تقوم بأدوار قصيرة لاأهمية لها مثل (عبد الحميد ، عبدالله ، سالم ، حسان ، سعيد) . ولم يلتزم الكاتب بأصول الفن المسرحي مما يدلل على حداثته في كتابة المسرح .

وتقع مسرحية (نداء الواجب) ١٩٣٨ لعبد الغفار العاني في فصلين بلغ (احمد) السن القانوني للانخراط في سلك الجندية . وتحاول الأم منعه من اداء الخدمة العسكرية بينما يقف الاب الى جانبه مشجعاً ولاتجد الام سبيلا لتحقيق هدفها غير رشوة مختار المحلة بالمال ، وعندما يعلم الاب بالامر يقدم المختار الى المحاكمة وينظم احمد الى الجندية ويطلب من حبيبته ان تشد من ازره .

ونجد في هذه المسرحية نفس الآفات السابقة من بدائية في التعبير وكثرة الاخطاء المباشرة «احمد : انني احمل بين ضلوعي لامتي حباً لاتزعزعه عاديات الدهر ، فكيف ايتها الام الجاهلة ، كيف تريدين ان تحولي بين الوطن وبيني .آه لوتعلمين بما يكنه هذا القلب للوطن ، للبلد العراقي من حب ووفاء ، فاين مني ساحات القتال لاخوض غمارها لانضم الى صفوف المحاربين فأقاتل بحدة وحماس وانادي لتحيا الامة العراقية وليحيا الوطن»(١).

(١) عبد الغفور العاني ، نداء الواجب ص١٦

وتضم (روايتان تمثيليتان) ١٩٣٩ لرسول عبد الوهاب العسكري مسرحيتين الاولى (صراع بين الحب والواجب) يتحدث فيها عن انضمام (سعيد) للجندية وحزن زوجته لفراقه ، ويبلي سعيد بلاء حسناً في القتال ويرقى الى رتبة عريف ويمنح اجازة يقضيها بين زوجته وامه ويعود للقتال ثانية ويرقى الى رتبة نائب ضابط ولكنه يفقد رجله اثناء القتال وهو سعيد بذلك ولكن سعادته لاتدوم لانه يفاجأ بموت امه .

والمسرحية الثانية (الضحية البريئة) قصة حب بين (ناهد) وابن عمها الضابط (مدحت) ويقف والدها (كمال بيك) حائلا دون تحقيق هذه السعادة ، ويدبر الخادم خدعة ليجبر فيها الاب على الموافقة من اتمام الزواج ، ولانجد في هاتين المسرحيتين أي جديد غير سيادة اللهجة العامية : «امرك ياكمال بيك انت تريدين كمال بيك رجال ... الخ . أي اريده وانت شعليك آه انا شيخ هيا « أدخل يازوجي الى الغرفة ، لقد قطع المهر ليذهب هذا السافل ، حقاً انه سافل يازوجتي» (١) .

ويبدو ان كاتب المسرحية جندي في الجيش يحب الادب قدم مسرحيته لتمثل امام رفاقه الجنود ايماناً منه برسالته .

وقد كتب في هذا اكثر من واحد في مطالع الخمسينات مثل مسرحية (الواجب) ١٩٥٢ لفاضل جميل وتقع في ثمانية مناظر قصيرة ، يدخل (فارس) الطالب الذي لم تستطع اسرته دفع بدل الجندية ، وترفض الاسرة تركه المدرسة والانضمام الى الجيش ، ولكنه يستطيع اقناع اسرته بعد محاولات جادة ، كما يقنع صديقه جمال وينخرطان معاً في الجيش ويعيشان في سرية واحدة حيث يتبادلان وجهات النظر ، ثم يستمران في دراستهما الليلية ويتزوج كل منهما اخت الاخر .

ونلمس في هذه المسرحية الوعظية والمباشرة ذاتها وضعف البناء المسرحي وشيوع الاخطاء اللغوية والنحوية وكثرة استخدام الايات القرآنية الكريمة والاقوال المأثورة: «..اتريد ان اتزوج بدون حب

فارس : ياأخي دعنا من هذه العقلية ويؤسفني انك لم تقف على تجارب العلماء الحديثة ان الحب بعد الزواج ارسخ من الحب قبله وانه سبحانه يقول : وخلق لكم

---

(١) رسول عبد الوهاب العسكري، روايتان تمثيليتان ص٦٩

من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، والمودة والرحمة تختلفان كثيراً عن الحب العاطفي» (١) .

واكتفى كاتب مسرحية (نداء الوطن) ١٩٥٣ بذكر اديب عراقي ولم يذكر اسمه الحقيقي . وتقع المسرحية في ثلاثة فصول مليئة بالخطب والافتعال مع تفكك الفصول وعدم وجود رابط بينها تهتم الام في الفصل الاول باسعار الخضر ويناقش زوجها (الحاج يوسف) ابنته (فاطمة) في موضوعات التعليم وحرية المرأة ، عندما يصل (نبيل) ابن أخيه . وتحاول ام نبيل في الفصل الثاني اقناع زوجها بتخليص ابنه نبيل من الجندية فترشي المختار لتخليص ابنها من الجندية وعندما يكتشف والده الامر يشي بالمختار لدى السلطات ، ويدخل نبيل في الخدمة العسكرية وهو سعيد بذلك وتشجعه حبيبته فاطمة . وتشبه المسرحية في احداثها وشخصياتها مسرحية (نداء الواجب) ، كما تشابهها في الاسم ولعل (الاديب العراقي) هو نفسه عبد الغفار العاني اعاد كتابتها من جديد بعد ان ادخل عليها بعض الخطب والمواعظ واقحم القضية الفلسطينية اقحاماً لتناسب الموقف السياسي انذاك : «كريمة : قلت لك انني الان لاعرف سوى ولدي واني سأوعز له بأن ينهزم الى جهة غير معلومة وانا امهده بكل مايريد»

الحاج حامد : وهل تعتقدين ان احداً يأخذ برأيك ويعمل بمشورتك هذه ، ثم ان الافلات من الاواصر والانهزام من العدالة من الامور التي يتحاشاها الشباب العراقي ونبيل لاينصاع لهذه الرغبة لان خدمة الوطن اسمى في نظره من أي شيء أخر .
محاسن : حسناً واذا لا سامح الله ارادت دويلة العصابات الصهيونية اللقيطة الرابضة في قلب بلدنا الثاني فلسطين العزيزة ، اذا ارادت هذه الدويلة مهاجمتنا أو مهاجمة أي بلد عربي أخر فمن الذي يلقي عليها درساً قاسياً » (٢) .

وجميع هذه المسرحيات متشابهة من حيث الموضوع والبناء المسرحي المفكك والحوار الضعيف وكثرة المواعظ والخطب والمباشرة وشيوع الاخطاء اللغوية وتفاهة الاسلوب وركاكته . وافضل مثال لهذا النوع من المسرحيات . مسرحية (انا الجندي) لعبد الله حلمي ، والتي ذكر في مقدمتها انها نالت استحسان الملك غازي فأنعم عليه بساعة ذهبية في ايلول عام ١٩٣٧ واذيعت المسرحية مرتين من محطة راديو قصر الزهور .

---

(١) فاضل جميل ، الواجب ص١٧
(٢) اديب عراقي ، نداء الوطن ص١٩

وكتب على الغلاف ان وزارة المعارف اشتركت في توزيع هذه المسرحية على مراكز مكافحة الامية وكافة المدارس الابتدائية .

وضمت المسرحية ستا وتسعين صفحة وعممت رئاسة اركان الجيش منشوراً على الوحدات العسكرية كافة تحث فيه الضباط والجنود على مطالعتها . وقدم لها ابراهيم حلمي العمر مدير الدعاية والنشر مقدمة أشار فيها الى توجه الكاتب الى الادب العسكري وضرورته وعد المسرحية فتحا في هذا الباب . وقدمت مرات عديدة على مسارح معسكرات الجيش .

وتتلخص المسرحية في ان ايادا يحب ابنة عمه وينافسه في حبها ابن خالها الثري . رغبت امها في زواجها من ابن خالها لغناه ، واحبت الفتاة ابن عمها ، فدبر ابن خالها مؤامرة شاركه فيها مختار المحلة بأن قدموا سنة ولادته ووافق ذلك دوره لخدمة العلم في الوقت الذي عزم فيه على الزواج من ابنة عمه . ومع انه كان في وسع اياد ان يحتج ويسعى الى اصلاح ماافسده المختار وابن الخال الا انه رفض ذلك على الرغم من الحاح ابنة عمه ان يفعل . ويذكرها اياد بما فعلته خولة بنت الازور في معركة اليرموك فتستجيب له الفتاة ويلتحق بالخدمة العسكرية ، ويبلغه ان ابنة عمه ماتت على اثر ضرب مبرح من ابن خالها لانها رفضت الزواج منه ، ويسمع رئيس الوحدة بالخبر فيبعث من ينوب عنه لتعزية الفتى كما يدخله دورة الضباط ويأمر بدفن ابنة العم بحفل جنائزي ضخم يليق بتضحيتها .

وتقع المسرحية في ثلاثة فصول ، ضم كل فصل منها ثلاثة مناظر . وحاول المؤلف اتخاذ المناظر والحوادث التي يمكن تهيئتها بسهولة على المسرح ، فهي لاتتعدى منظر غرفة استقبال صغيرة أو تهيئة تابوت يلفه العلم العراقي وخادم يقدم قهوة للضيوف وقد كتبها لتمثل في المعسكرات .

وقد أدخل المؤلف الرسائل (١) والمواعظ والخطب في صلب المسرحية (٢) . وخلا حوارها من جاذبية الحوار المسرحي الفني وهو كثيراً مايطول فيمل : «انه من المؤلم جداً ان يكون هذا مصير فتاة مهذبة متعلمة عرفت حقوقها ومـا عليها من وجائب ملقاة على عاتقها فلا ذنب لها سوى انها ابت الا تباع كالرقيق في سوق النخاسة في عصر

(١) عبد الله حلمي ابراهيم، انا الجندي، ص٣٥ – ٣٩، ٤٣– ٤٨، ٨٥ – ٨٦، ٧٢–٧٣

(٢) م.س ص٨٢–٨٥، ٨٧–٨٨، ٩٢–٩٦.

المدنية والنور تحقيقاً لجشع امهـا وطمعها ليس الا . ولم يرق لها التصرف المشين بمقدراتها الزوجية وميولها العاطفية باسم التقاليد الجائرة والعادات السخيفة... الخ» (١).

* * * *

(٣) مسرحيات الاندية :

اهتمت المؤسسات الثقافية والاندية وجمعيات الشباب بالنشاط المسرحي كامتداد لوجوه النشاط الثقافي والمدرسي فالبعض يقدم هذه المسرحيات لغرض تثقيفي والبعض يقدمها لغرض ترويحي ، وقد ساد في العراق النوع الاول في مطالع القرن العشرين بينما طغى النوع الثاني في الخمسينات ثم عاد الشكل الاول فانتعش بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ .

وقدمت في الغالب مسرحيات ضعيفة البناء من الناحية الفنية ولكنها تثقيفية في الغالب اما الترويحية فقد طغت عليها الصبغة الهزلية الساخرة ، وينبغي ان تكون المسرحيات التي تعرض في الاندية ذات قيمة حقيقية سواء بالنسبة للممثلين والمتفرجين ويجب ان يتشدد في اختيار المسرحيات المسلية ، كما ينبغي ان تكون هذه المسرحيات بسيطة رخيصة التكاليف لاتحتاج إلى بذل مبالغ كبيرة على اعداد الديكورات وشراء الملابس.

وتعد الجمعيات الادبية ثمرة من ثمرات النهضة ونتيجة من نتائج انتشار روح الحرية الشخصية واحترام الفرد وليس لها في تاريخنا قبل عصر النهضة وجود الا اذا اعتبرنا اسواق الادب ومجالسه في قصور الامراء وبيوت السادة من هذا القبيل. وقد ظهرت الجمعيات في العراق على أثر الاحتكاك بالحضارة الغربية وسيادة الشعور القومي بين المتعلمين في العراق، والشعور بالظلم واستعباد العثمانيين لعامة الشعب. وقد استطاعت هذه الجمعيات ان تكون شعباً وفروعاً في معظم المدن وراحت تبث دعوتها القومية تدريجياً في كل مكان وتسعى لتحقيق هذه الغاية. (٢) وقد تكونت جمعية الاخاء العربي العثماني عام ١٩٠٩ فالمنتدى الادبي عام ١٩٠٩ ايضاً. والندوة الخلاصية التي كان يجتمع فيها دعاة الفكر القومي والشعور الوطني، وجمعية البصرة الاصلاحية التي اسسها السيد طالب النقيب عام ١٩٢٠ .وجمعية العهد التي بذلت الجهود في سبيل ترسيخ فكرة الاستقلال

---

(١) م.س ص٨٧.

(٢) محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية ،ص١٦٧ – ١٦٨

وبذلت جهداً كبيراً في مجال الادب والعلم عن طريق جريدتها الاستقلال. وبعد احتلال الانكليز للعراق انشأ الادباء في الموصل جمعية ادبية اطلقوا عليها مقهى الحمراء الذي اصبح بصفة رسمية المنهل السائغ لرواد الأدب ومأوى المواطنين ومعهداً عاماً لسائرافراد الامة في مختلف الطبقات، (١) ثم توسع رؤوف الغلامي بهذا النادي فاسس ناد آخر اسماه نادي الانتباه العربي ،واسس ناد آخر في بغداد يحقق الهدف نفسه بأسم المعهد العلمي الذي اسسه ثابت عبد النور. ومن هذين الناديين انبعثت حركة مسرحية واسعة في الموصل وبغداد. (٢) واستمدت موضوعاتها من احداث التاريخ العربي الاسلامي لتبعث روح اليقظة القومية في نفوس الشباب وتطلعهم على سير اجدادهم الماضية. (٣) وتشكلت لجنة ادارية للتمثيل عام ١٩٢١ من خمسة اشخاص من اعضاء نادي الانتباه العربي وقررت اللجنة تقديم مسرحية (فتح عمورية) التي ألفها عبد المجيد شوقي البكري. ونظم اشعارها فاضل الصيدلي. وتدور المسرحية حول فتاة عربية تقع في أسر روماني يحبها ويعرض عليها الزواج ولكنها لاتبادله الحب وترفض الزواج منه فيسجنها في بلدة عمورية ويأخذ في تعذيبها ولا يتورع عن قتل طفلها امام عينيها فتستغيث بالخليفة المعتصم فيسخر منها القائد الروماني، وعندما يبلغ خبرها المعتصم ينهض من ساعته غاضباً وملبيا، ويحرر عمورية على خيول جنده البلق، وينقذ الفتاة العربية من الاسر ويعود إلى بلاده مثقلاً بالغنائم ومكللاً بالنصر، وتعد المسرحية سجلا لهذا الفتح ،مناسباته وظروفه وهي مسرحية احداث لامسرحية شخصيات. وقد كتبها عبد المجيد شوقي باسلوب سلس معبر وحوار قوي تارة وحماسي تقريري تارة أخرى.

ويورد الكاتب في نهاية المسرحية قصيدة ابي تمام بهذه المناسبة.

وتقع المسرحية في ستة فصول ،وكل فصل فيها مقسم إلى عدة مشاهد.

وقد شجع نجاح مسرحية فتح عمورية شباب الموصل على تنمية هذا الفن ،فقام يحيى العبد الواحد عام ١٩٢٣ بالتعاون مع بعض الشباب بتمثيل مسرحية (وفود النعمان إلى كسرى) لمنفعة المعهد العلمي الذي انشأه ثابت عبد النور في بغداد، ثم انشأ يحيى العبد الواحد دار التمثيل العربي في الموصل بالاشتراك مع بعض الهواة. وقد قدمت عدة مسرحيات عربية تاريخية.لاقت نجاحاً كبيراً، والف يحيى العبد الواحد للدار المسرحية (فتح مصر)

(١، ٢) عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل

(٣) محمد طاهر العمري، م.س ص٦٩ — ٩٧.

ومثلت عام ١٩٢٤. وتقع المسرحية في اربعة فصول، مقسم كل فصل فيها إلى عدة مشاهد ويدور موضوعها حول فتح العرب المسلمين لمصر بقيادة عمرو بن العاص وتعاون الاقباط مع المسلمين في اجلاء المستعمرين من الرومان عن مصر.

وقدم مسرحية (فتح الشام) عام ١٩٢٥ وكانت آخر مسرحية قدمها لدار التمثيل مسرحية (القادسية) عام ١٩٣٥. وقد عنيت مسرحيات يحيى العبد الواحد بالتاريخ عناية كبرى حتى انها قصرت العمل المسرحي فيها على عملية الفتح. ويوضح المؤلف عملية الفتح بفساد الحال في البلاد المفتوحة وانقسام اهلها ومحاربة بعضهم لبعض وغيرذلك مما يعرضه في كل مناسبة في فصول المسرحية ومشاهدها ليرينا أثر الزحف العربي على بلاد الروم في مسرحيتي (فتح مصر وفتح الشام) وعلى بلاد فارس في مسرحية (القادسية) . وقد وفق الكاتب في تنسيق الحوادث وبسطها على رقعة مسرحياته بدقة ونظام ، يؤخر ويقدم ما شاء له ،ويعزل الحوادث الرئيسة عما كان يشوبها من الحوادث غير الضرورية في رسم الجو أو اتمام الصورة العامة للحوادث والشخصيات وقد انسابت الحوادث والشخصيات انسياباً طبيعياً وتطورت تطورا متصلاً مما يثبت ان المؤلف قد ألم بأصول صناعته وعرف كيف يختار من احداث التاريخ مايلائم فنه ويخدم هدفه كما عرف انه لاضير عليه في ان يضيف إلى التاريخ مالايتنافى مع منطقه وروحه كما لايتنافى مع منطق الحياة. في نفس الوقت الذي يخلق الحركة الدرامية في مسرحه ويستخدم عنصر التشويق والمفاجأة ويوفر الصراع الداخلي والخارجي فيها فقد كان متقنا قبل ان نقع على ما يشابهه أو يدنو منه من اساليب الحوار في تلك الفترة، وقد كان طيعاً ليناً، وفق المؤلف فيه إلى تصوير الشعور الوطني ،واجاد في تصوير الانفعالات العاطفية، واستخدم الشعر لابرازها، وظهرت الشخصية الانسانية بكل ابعادها في مسرحه ، وعبرت التعبير الحر المنطلق عن خبيئة نفسها ومكنون عاطفتها وابراز الشخصية الانسانية الحية التي تتحرك وتنفعل وتتردد بدوافع خفية أو ظاهرة الاسباب واضحة أو مبهمة ، ويؤخذ على الكاتب انزلاقه في بعض المواقف الخطابية والمونولوجات الطويلة التي كانت تضعف من تأثير الحوادث وتلقي برشاش من الكلام الفاتر على الجو الحماسي، كما يؤخذ عليه حواره التعليمي المباشر. وبرغم هذه الملابسات فان اسلوب مسرحه يشفع بقوته. ورشاقة حواره وجميل شعره. وقدمت المنتديات الادبية العديد من المسرحيات العربية التاريخية في بغداد والموصل مثل:

(حرب البسوس، ابو عبدالله الصغير، عنترة العبسي، فتح الاندلس، شهداء الوطنية الهولنديين) كما قدمت مسرحية محمد مهدي البصير (دولة الدخلاء) عام ١٩٢٥، وتقع في خمسة فصول وتدور حول موضوع تاريخي قومي هـو موضوع الصراع بين العرب والبرامكة اثناء حكم الرشيد، والسمة الغالبة على المسرحية المباشرة والخطب الرنانة التي توقف سير الحدث وتمنع نموه، ويختلط اسلوب المسرحية احياناً بالاسلوب الروائي ويكثر المؤلف من استخدام الشعر – وهو شاعر ثورة العشرين – وابراز ماوضحه المؤلف فساد العمال الفرس الموالين للبرامكة. وكأن المؤلف اراد ان يقارن بين الفساد الذي انتشر في العراق بعد دخول الانكليز اليها، وما كان الحال في العصر العباسي بسبب تدخل الفرس بأمور الادارة، اما في تصويره للشخصيات فقد اخترق نطاق الخبر التاريخي وحاول ان يجلوها بحركة متواثبة وإن يبين لنا المعاني الوطنية التي كانت تضطرم في نفوسها، ودمجها بالحوادث الضخمة التي تحرك المسرحية: (مقتل جعفر، انتحار اسماء ومنصور) كل ذلك في شخصيتي (منصور واسماء) فقط. اما الشخصيات التي لم يبتكرها المؤلف وانتزعها من التاريخ فهي أكثر الشخصيات الثانوية في المسرحية، وهي شخصيات جاهزة مخططة حاول فيها ان يخترق نطاق الخبر التاريخي فجاءت كالرسوم الثابتة في لوحة ساعة دقاقة يمر عليها العقربان دون ان تلمسه هذه الصور أو تؤثر في حركته ومن المؤكد ان المؤلف لم يرد ان يكتب مسرحية ناجحة قدر اهتمامه بابراز الصور الوطنية والمواقف الخطابية.

وقد نشطت الجمعيات والاندية في تقديم المسرحيات بعد الحرب العالمية الثانية ولنأخذ على سبيل المثال النشاط المسرحي في الموصل برغم انه كان فاتراً نسبياً عن النشاط المسرحي في بغداد وبعض المحافظات الاخرى كالبصرة مثلاً. فقد تشكلت في الموصل جمعية اليقظة التمثيلية بين عامي ١٩٥٠ – ١٨٥٣، وقدمت مسرحيات عالمية وعربية ومحلية أهمها مسرحية (الزباء) لسليمان صائغ. (١) (وفي سبيل التاج) للمنفلوطي، «الاستعباد» ليوسف وهبي.

وقدم نادي الفنون في الموصل منذ تأسيسه عام ١٩٦١ العديد من المسرحيات المحلية البسيطة.

(١) للاستزادة ينظر /عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق، ص٧٤ – ٩١.

مثل مسرحية (فلسطين) لعبد الاله حسن والذي يتسم مسرحه بالطابع النضالي السياسي وعبد الجبار جميل الذي يتسم مسرحه بالفكاهة الاجتماعية التي تنحدر حينا الى الافتعال واحياناً الى التهريج مثل المسرحيات التالية : (عطس المرحوم ، عبوش افندي ، حيلة رزق ، انا والناس وحميتي) وهي مسرحيات كتبت باللهجة العامية . وشاع تمثيل المسرحيات التهريجية العامية مثل) ابو سبع ، مصلح الراديوات ، الما عنده فلس مايسوا فلس ، أبو الزعرور ، أبو سبع المصارع (كما قدم نادي الفنون مسرحيات عالمية مثل (اوديب ملكا ، القاعدة والاستثناء ، في انتظار اليسار) ومسرحية شعرية عـربية هي (مأساة جيفارا) لمعين بسيسو ، ومسرحية شعرية محلية (المسيح) لسالم الخباز .

ولم يتمكن المسرح التعليمي في العراق من بلوغ اهدافه كما يجب من انتقاد مظاهر البيروقراطية والجمود الفكري والتعبد في محراب الشعارات وتبسيط المظاهر المعقدة للحياة والوقوف ضد التجميل الزائف للحياة . بل غاص في تفاهات الحياة وزيفها عن طريق الخطب والمواعظ والشعارات الجوفاء التي طالما ترددت من دون ان تحقق أي هدف جاد ،ولم نلحظ سخرية لاذعة بناءة تهدم الخلق السيء لبناء صرح متين مكانه ولم يشارك اليافعين مشكلاتهم ولم يتناول قضاياهم في الصميم بل تناولها من السطح وبمباشرة فجة. لذا يجب ان نعمل من أجل بناء مسرح تعليمي فعال أو لنقتدي بالمسرح التعليمي الالماني الذي اسسه بريخت او بالمسارح التعليمية البناءة في الخارج .

المصادر والمراجع

١ ــ ابن الشراة ، فلسطين المجاهدة ، م . الهلال ، بغداد . ١٩٤٨

٢ ــ أحمد حمودي السامرائي ، صبي من الجزائر ، م . الحكيم ، بغداد ١٩٦٠

٣ ــ احمد منصور السعدي ، تمثيليات تربوية . م . العاني ، بغداد ، بلا

٤ ــ اديب عراقي ، نداء الوطن ، م . العربية ، بغداد ١٩٥٣

٥ ــ اسكندر زغبي ، الخردة فروشي ، مثلت على مسرح الاباء الدومنيكان ، الموصل ١٩٠٥

٦ ــ اسكندر زغبي ، مجموعة مسرحيات ، مثلت على مسرح الاباء الدومنيكان الموصل ، ١٨٩٥

٧ ــ الفونس جميل شوريز ، ضحية عيد الميلاد ، مجلة النجم ، العدد ١٠ ، الموصل ١٩٣٣

٨ ــ انطون زبوني ، خراب بابل ، مثلت ، الموصل ، ١٩١٣

٩ ــ جرجس قندلا ، الاميران الاسيران ، مثلت ، الموصل ١٩٢٥

١٠ ــ جميل الجبوري ، نداء التاريخ ، م . دار السلام ، بغداد ، ١٩٥٩

١١ ــ جميل رمزي القبطان ، رواية الجندي الباسل ، م . الشعب ، بغداد ، ١٩٣١

١٢ ــ حامد السعدي ، رفقا بالعذارى ، م . الفجر التجارية ، بغداد ، ١٩٥٦

١٣ ــ حسن احمد الاسدي ، مأساة فلسطين ، م . دجلة ، بغداد ، ١٩٥٢

١٤ ــ حسين الظريفي ، في سبيل الوطن ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٩٤٨

١٥ ــ حسين علي الاعظمي ، جنود الفتوة ، مجلة الصبح ، العدد ٤ ، بغداد ، ١٩٣٦

١٦ ــ حسين علي الاعظمي ، جنود الضحية ، مجلة الصبح ، العدد ٩ ، بغداد ١٩٣٦

١٧ ــ حنا حبش ، كوميدية آدم وحواء ، مثلت ، الموصل ، ١٨٨٠

١٨ ــ حنا حبش ، كوميدية يوسف الحسن ، مثلت ، الموصل ، ١٨٨٠

١٩ ــ حنا حبش ، كوميدية طوبيا ، مثلت ، الموصل ، ١٨٨٠

٢٠ ــ حنا رحماني ، غفران الامير ، م . الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٧

٢١ ــ حنا رسام ، البريء المقتول ، مثلت ، الموصل ، ١٩١١

٢٢ ــ حنا رسام ، لوجه الله الكريم ، مثلت ، الموصل ١٩١٢

٢٣ ــ حنا رسام العواطف ، م . عيسى محفوظ . الموصل ، ١٩٢٩

٢٤ — حنا رسام عيديات الميلاد ، مجلة النجم ، الموصل ١٩٣٠
٢٥ — حنا رسام، شعلة عيد الميلاد ، مجلة النجم . الموصل ، ١٩٣٠
٢٦ — رسول عبد الوهاب العسكري ، روايتان تمثيليتان ، م . الجزائر ، بغداد ، ١٩٣٩
٢٧ — رشيد حامد الامام ، انتقام ، م . الاهرام ، بغداد . ١٩٥٦
٢٨ — سليمان الصائغ ، مشاهد الفضيلة ، م . الكلدانية الموصل ، ١٩٣١
٢٩ — سليم حسون ، استشهاد ترسيسوس ،م . الاباء الدومنيكان ، الموصل ، ١٩٠٢
٣٠ — سليم حسون ، شعو ، م . الآباء الدومينيكان الموصل ، ١٩٠٥
٣١ — سليمان الصائغ . الزباء . م . النجم ، الموصل ١٩٣٣
٣٢ — سليمان الصائغ ، الامير الحمداني م . النجم ، الموصل ١٩٣٧
٣٣ — سليمان الصائغ ، يمامة نينوى ، مثلث ، الموصل ١٩٤٧
٣٤ — سليمان غزالة ، صيحة الابطال ، م . الشركة العثمانية ، القسطنطينية ، ١٩١١
٣٥ — سليمان غزالة ،رواية علي خوجة م . الشركة العثمانية، القسطنطينية ١٩١٣
٣٦ — سليمان غزالة ، رواية الحق والعدالة ، دار الكتب ، بغداد ، ١٩٢٩
٣٧ — صلاح الدين الناهي ، كهف التحرير ، مجلة المثقف ، العدد ١٨ ، بغداد، ١٩٦٠
٣٨ — عبد الباقي السعدي ، نداء الفجر العربي ، م . الامة ، بغداد ١٩٥٤
٣٩ — عبد الباقي السعدي ، الامل الباسم ، م . الامة ، بغداد ، ١٩٦٢
٤٠ — عبد الجبار شوكت ، رسول النبي الى هرقل، م . الزمان ، بغداد ، ١٩٤٦
٤١ — عبد الجبار شوكت ، يوم الجلاء في سوريا . م . الزمان ، بغداد ، ١٩٥٤
٤٢ — عبد الجبار شوكت فتح مكة ، م . العربية ، بغداد ١٩٥٤
٤٣ — عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة في العراق ، م . الزهراء ، بغداد ١٩٥٧
٤٤ — عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ، شركة الطبع والنشر الاهلية بغداد ، ١٩٥٩
٤٥ — عبد الستار القرهغولي ، روايات في تاريخ العرب ، م . المعارف ، بغداد ١٩٤٨
٤٦ — عبد الستار القرهغولي مسرحيات الاحداث ، م . النقيض ، بغداد ، ١٩٥٣
٤٧ — عبد الستار القرهغولي ، ابو عبد الله الصغير م . الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٥
٤٨ — عبد الغفار العاني ، نداء الواجب ، م . الفرات ، بغداد ، ١٩٣٨

٤٩ ــ عبد الغني الجبوري ، ديمقراطية وسلام ، م . سلمان ، بغداد ، ١٩٥٩
٥٠ ــ عبد القهار الكبيسي ، عائدون ، م . الجامعة ، بغداد ، بلا
٥١ ــ عبد الكريم الالوسي ، المطلقة ، م . العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٥٨
٥٢ ــ عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، م . المعارف ١٩٦٠
٥٣ ــ عبد اللطيف الدليشي ، استقلال الجزائر ، دار التضامن ، بغداد ، ١٩٥٩
٥٤ ــ عبد اللطيف الشيباني ، عودة سمير اميس ، مكتبة السامرائي ، بغداد ، ١٩٥١
٥٥ ــ عبد الله حلمي ، انا الجندي ، م . الصباح ، بغداد ، ١٩٣٨
٥٦ ــ عبد الله حلمي ، م . صقر هاشم م . النجاح ، بغداد ١٩٤٩
٥٧ ــ عبد الله زكي ، الى الجزائر ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، بيروت ، ١٩٦١
٥٨ ــ عبد الله زكي ، لبيك يافلسطين م . الامة ، بغداد ، ١٩٦٤
٥٩ ــ عبد المجيد شوقي البكري ، فتح عمورية . مثلث ، الموصل ، ١٩٢١
٦٠ ــ عبد المجيد عباس . مثلنا الاعلى ، م. الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٤
٦١ ــ عبد المنعم الغلامي ، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ، م . شفيق ، بغداد ١٩٥٨
٦٢ ــ عبد الوهاب النعيمي ، عمان لن تموت ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٧
٦٣ ــ عطا رفعت ، فجر جديد ، الشركة الاسلامية ، بغداد ، ١٩٥٥
٦٤ ــ علي الشوبكي . الدرس قبل اللعب ، م . المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢
٦٥ ــ عمر الطالب ، المسرحية العربية في العراق ، م . النعمان ، النجف ، ١٩٧١
٦٦ ــ عمر الطالب ، فن القصص عند سليمان فيضي ، مجلة الجامعة ، العدد ٩ ، ١٩٧٣
٦٧ ــ عمر الطالب ، حنا رسام الرائد المنسي ، مجلة بين النهرين ، العدد ٣ ، ١٩٧٣
٦٨ ــ عمر الطالب ، سليمان صائغ وادبه ، مجلة بين النهرين ، العدد ٩ ، ١٩٧٥
٦٩ ــ عمر الطالب ، سليمان غزالة والمسرح الشعري ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨
٧٠ ــ عمر الطالب ، بدايات المسرحيات المترجمة في العراق ، مجلة افاق عربية ، العدد ١٠ ، ١٩٨٣
٧١ ــ عيسى عبد الرزاق القحطاني ، هكذا المصير ، م . الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٥
٧٢ ــ فاضل جميل ، الواجب ، م . الخيرية ، بغداد ، ١٩٥٢

٧٣ — كامل ابراهيم الجبوري ، الخطر الاكبر . دار دجلة ، بغداد ١٩٥٠

٧٤ — كمال الجبوري ، عدل ملك . م . الجامعة ، بغداد ، ١٩٥٣

٧٥ — محمد ناصر الساعاتي ، لتحيا الجزائر ، م . النعيمي ، بغداد ، ١٩٦٢

٧٦ — محمد مهدي البصير ، دولة الدخلاء ، م . دار السلام ، بغداد ، ١٩٢٤

٧٧ — محمود لطفي ، الكشاف ، بلا ، بغداد ١٩٣٤

٧٨ — مرزة حمزة شيرعلي ، مأساة اخوين من اللاجئين ، م . الراعي ، النجف ١٩٤٨

٧٩ — مصطفى نعمان البدري ، يوم العروبة ، مكتبة العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٤

٨٠ — وينفر وارد ، مسرح الاطفال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦

٨١ — يحيي العبد الواحد ، فتح مصر م . الفلاح ، بغداد ، ١٩٢٤

٨٢ — يحيى العبد الواحد ، فتح الشام م . الفلاح ، بغداد ١٩٢٦

٨٣ — يحيى العبد الواحد ، القادسية م. الفلاح ، الموصل ، ١٩٣٥

٨٤ — هرمز نورسو الكلداني ، نبوخذنصر ، م . الاباء الدومنيكان ، بيروت ١٨٨٨

٨٥ — وينفرد وارد ، مسرح الاطفال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦

تشريف التعريب في تنزيه القرآن عن التعريب

د. عبدالله أحمد الجبوري
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالة

قال الله تعالى : «نَزَلَ به الرُّوح الأمين . على قَلْبك لتكون من المُنْذرين . بلسان عربي مُبين / الشعراء : ١٩٣ — ١٩٥» .

إنّ القرآن الكريم معجزة الدين الاسلامي الخالدة ، أنْزلَه الله — سبحانه وتعالى — هدًى ورحمة للعالمين . فيه حكمة وتشريع ، جلا بنوره ضلالات القلوب وغشاوات البصائر .

ففي ظلاله الوارفات قامت دولة المعارف والعلوم ، ولأجل تبيان كلمه الشريف نشأت الدراسات اللغوية . ونمت وترعرعت دوحها فأورقت وأثمرت ..

لقد نهد الجلة من علماء الأمة لوضع الاثار في معرفة تفسيره واعرابه وتبيان غريبه وتأويل مشكله . حيث استوت من كل ذلك مكتبة قرآنية عظيمة . وذلك بفضل ماعرف بـ (علوم القرآن) . ومن هـذه العلوم : علم لغات القرآن .. الذي تكفل بدراسة اللغات التي تضمنها القرآن الكريم . وأول من قال فيه : ابن عباس (رضي الله عنهما) .. الذي أثـرت عنه شذرات لغوية ضمتها رسالة منسوبة إليه (١) .

(١) ينظر : مفتاح السعادة لابن طاش كبرى زاده، ج٢/ ٤١٠ — ٤١١ وكشف الظنون (١٥٥٧)، واللغات في القرآن (المقدمة) .

ثم تتابع العلماء في التأليف في هذا اللون اللغوي من ألوان علومه . فخصّ بعضهم غريبه ولغاته بأثر . وبعضهم نشر مادته في مباحث عامة تناولت تفسيره وفنون بلاغته ..

ومن المباحث التي عُنّي بها علماء التفسير وجمهرة من أهل اللغة مسألة (المعرب في القرآن الكريم) .. حيث كانت وما زالت مدار جدل وموضع خلاف .

فمنهم من ذهب الى القول بوقوع المعرب في القرآن ، ومنهم من أنكر وقوعه ، وذهب طَرفٌ ثالث الى التوفيق بين القولَيْن .

وربما تمتد جذور حكاية (المعرب في القرآن الكريم) الى ابن عباس (رضي الله عنهما) واندست في مباحث تلامذته من المفسرين الأول ، أمثال: مجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة، وعطاء . الذين ذهبوا الى القول بوقوع المعرب (١) ..

وبقيت هذه الآراء متداولة بين أيدي أهل البحث ، تجول في مباحثهم وتعرض في دراساتهم .. حتى تلقفها مؤلفو كتب : «علوم القرآن» .. أمثال : السيوطي الذي كان له فضْل السبق في جمع وتنسيق هذه الحروف من (المعربات) وإفرادها برسالة كما صنع في «المهذّب» و «المتوكلي» .. أو كما صنع في «الاتقان» وفي : «المزهر» (٢) .....

وتأتي رسالة الشيخ النابلسي : «تشريف التعريب» جامعة لأظهر أقوال المنكرين ، وهي تؤلف سنداً جديداً من أسانيد أهل العلم الذين أنكروا وقوع المعرّب في القرآن الكريم بالتحقيق .

* * *

(١) ينظر : الصاحبي ص: ٤٤ - ٤٥ ، ومقدمتان في علوم القرآن ص: ٢١٢

(٢) ينظر : المهذب فيما ورد في القرآن من المعرب، ١٩٢ والمتوكلي : ٧ والاتقان ج٢/١٠٥ والمزهر ج١/٢٦٨ ،وابن عطية /مقدمة في علوم القرآن ص: ٢١٠ - ٢١٢ (مقدمتان في علوم القرآن).

— ٢ —

تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب

عثرت على هذه الرسالة النفيسة الصغيرة في مجاميع خزانة كتب جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض ، «عمادة شؤون المكتبات» (١) .

وهي ضمن مجموعة تحتفظ بها الخزانة المذكورة برقم (٣٥١٧) وعدد أوراقها : إحدى عشرة ورقة (٢٩ب — ٣٩أ .) كتبها : درويش الصالحي الشافعي في سنة /١٢٠٢هـ. وقياسها ١٢× ١٧سم

وخطها اعتيادي ..

أما مؤلفها : الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي المتوفى في سنة /١١٤٣هـ، فهو علمٌ ضخم من أعلام التراث العربي .. له أكثر من مائتي وخمسين كتاباً ورسالة.. طبع منها عدد غير قليل ..

وقد نشر الدكتور / بكري علاءالدين (مسرداً نقدياً) بأسماء مؤلفات النابلسي في مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق) .. فأحصى فيه (٢٢٢) عنواناً ، ثم ذكر في الملحق (٣٦) عنواناً أخرى ، وربما تكون هذه القائمة أكمل قائمة تناولت بالحصر والنقد آثار الشيخ عبدالغني النابلسي (٢) ..

ونسخة «تشريف التغريب» فريدة ، لم أجد لها ذكراً في أي فهرس من فهارس المخطوطات التي وصلت إليها يد البحث ، وقد أشار إلى اسمها فقط الدكتور بكري علاء الدين ..

---

(١) ينظر : فهرست المخطوطات المصورة، عمادة شؤون المكتبات، ج٢ص:٥٥،(التفسير وعلوم القرآن) ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢ م.

(٢) ينظر : المسرد النقدي بأسماء مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي، د. بكري علاء الدين، مجلة /مجمع اللغة العربية بدمشق (ج١م٥٩ ص:٩٧ — ١١٥ ربيع الأول ١٤٠٤هـ — كانون الثاني ١٩٨٤ موص: ٣٣٤ — ٣٦١ج٢ رجب١٤٠٤هـ — نيسان ١٩٨٤م).
والورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، تأليف /كمال الدين محمد بن محمد العامري الدمشقي الغزي (ت —١٢١٤هـ). مخطوط، ينظر عنه: مطيع الحافظ ،مجلة /التراث العربي — دمشق (ع/١٠ كانون الثاني ١٩٨٣م.
ود. زكي المحاسني، مجلة (المعرفة — دمشق ،س٢ع/٣ص:٥٢ — ٥٩، أيار ١٩٦٣م) قطب العلماء الصوفي ، الشيخ عبد الغني النابلسي ،

جعل النابلسي رسالته في قسمين رئيسين :

الأول : مسألة خلق القرآن الكريم ،

الثاني : عروبة القرآن الكريم ..

وأشار في أولها الى اساليب وَضْعها ، فذكر أنه كتبها بإشارة من أحد أصحابه الأعزة حيث قال : «عرض عليّ بعض الأعزّة من الأصحاب الموصوف بالفضائل والكمالات أولي الألباب تصريح العلماء بأنّ القرآن العظيم مشتمل على كلمات معرّبة من لغات العَجم بلفظ نظيم ، ويلزم من تعريبها أنها أصلٌ في غير اللغة العربية ، وقد تحوّلت عما كانت عليه من العجمية .» ..

ثم ألمح إلي أنّ وَضْع اللغة العربية هو من الله — سبحانه — وهو قولٌ قال به جمهور من علماء اللغة العرب ، وحاكاهم به غير واحد من علماء الأعاجم .

وقرّر بعد ذلك عروبة الأنبياء ، أخذاً من حديثه (صلىّ الله عليه وسلم) : «والذي نفسي بيده ماأنزل الله عزّ وجلّ وحياً قط على نبي من الأنبياء إلاّ بالعربية ، ثم يكون ذلك النبي بعد يبلغ قومه بلسانهم» ..

وأفاض بعد إيراده لهذا الحديث النبوي الشريف بذكر مسألة قدم كلام الله — سبحانه — وهل هو كلمات وحروف فقط ، أم هو معنى تضمه الكلمات والحروف .. وهذا المبحث من أخطر مباحث أهل التوحيد وعلماء الكلام .. وهو معروف في تاريخ الفكر الاسلامي بأسم : «مسألة خلْق القرآن الكريم» والتي كان بطلُها الإمام الزاهد الورع أحمد بن حنبل (رضوان الله عليه) . الذي نصره الله — سبحانه وتعالى — فتغلب على هوشات هذه الفتنة ، حيث وقف بثبات عزّ نظيره بوجهها ، وناله ماهو معروف عند المؤرخين ..

وقد فصلت القول فيها كتبُ أهل الكلام ودواوين التأريخ ..

هذا مجمل مادار في القسم الأول ..

اما القسم الثاني منها ، فقد احتجن أقوال علماء اللغة العربية وبعض المفسّرين و الفقهاء الذين أنكروا وقوع المعرّب في القرآن الكريم .

وقد أورد فيه الشيخ النابلسي ، جملة من الاراء العلمية التي تقوم حُجَجاً على تنزّه القرآن العظيم من المعرّبات .. وهو بذلك يكون أول عالم عربي يصرف القول في رسالة مستقلة بهذا الشأن ..

ومن هذه الآراء التي حفلت بها رسالة : «تشريف التغريب»

١ — قول للشيخ النابلسي ، أراه جديداً لم يسبق اليه سابق ، وهو : «فاللغة العربية سابقة متقدمة على جميع اللغات ، فكيف يكون فيها كلمات معرّبة من لغات العجم أو من غيرها من اللغات ، وإنّما هذه الكلمات التي قالوا أنّها معربة عن لغات العجم هم العجم تكلموا بها في لغاتهم محرّفات عن أصلها العربي المبين الذي هو أقدم من ألسنة العجم كلها » ..

فقد تحقق عند جمهور من علماء اللغة — من العرب والأعاجم — أن اللغة العربية من أقدم اللغات ، ولها تأريخ طويل مازال مجهول البداية ..

ثم إنهم أطبقوا على أنها أصلٌ لمجموعة ما عرف حديثاً بـ «اللغات السامية / العربية القديمة» (١) ..

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢) : «وكنعان بن سام بن نوح ، ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية»

وقال الإمام ابن حزم الأندلسي (ت — ٤٥٦هـ) : (٣) «إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً ، أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة — لا لغة حمير — واحدة ، تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس (٤) .. كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلس» ثم قال :

---

(١) ينظر :
أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، للعقاد ص١٤ — ٢٠ ومغامرات لغوية لعبد الحق فاضل ص: ٩ وغيرها وتاريخهم من لغتهم له أيضاً ص: ١٣٣ — ١٣٥ ، ودراسات في فقه اللغة ص: ٣٦ — ٣٨ ومابعدها ، والتذييل والتذنيب (المقدمة) ص: ٦ — ٧ ، وتاريخ اللغات السامية / ولفنسون ، ص:

(٢) ينظر : العين ج١ص٢٢٢ ، وفصول في فقه اللغة ص:٣٠

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ج١/ ٣٠.

(٤) الجرس : اختلاف اللهجة.

«.. فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيْقن أن اختلافها إنما هو من نحوما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم ، وأنها لغة واحدة في الأصل» . إذن ، فإنّ هذه اللغة الأصل «الأم» ما هي إلاّ اللغة العربية ، وأن هذه اللغات العربية القديمة هي التي يطلق عليها اسم : «اللغات السامية» (١) .

ومن هذه اللغات : العكدية (الأكدية) ، والثمودية ، والسريانية (الآرامية) ، والكنعانية ، والعبرانية (٢) وغيرها ..

فما رسب فيها من ألفاظ كانت دارجة في اللغة الأم / الأصل «العربية» فاختفت لطول العهد بها وتناسى اهلها لاستعمالها وعلى تراخي الزمن وتنائي الديار ، اصطبغت بصبغة اللغات التي احتضنتها واستعملها المتكلمون بها ، حسبها نَفرٌ من أهل اللغة أنها « معرّبة أعجمية» .. وذلك حينما عادت إلى أصولها الأولى ، إلى لغتها الأم «العربية» ..

ومن سَمْت الشعوبية ، أنها تعمل بشيء من البراعة والذكاء في كلّ لون من الوان أحابيلها على طول التاريخ العربي .. ومن براعتها هذه ، أنها عملت على توكيد ما نَفَر عن بعض علمائنا في حروف قليلة قالوا بعجمتها ، وأنهم حسبوها من معرّبات «كلام الله سبحانه / القرآن العظيم» ..

وتراهم يحاولون الدس في كل فنّ من فُنُون معرفتنا وتراثنا .. فإنهم بعد أن فرغوا من القول بالمعرّب في القرآن .. فزعوا إلى النيْل من لغة (٣) الوحي الأخرى (التي لم ينزل بها جبريل — عليه السلام — / لغة الحديث النبوي الشريف) .. حيث قالوا بالمعرّب فيها ..

فأذاعوا أنّ فيه شيئاً من اللغات : الحبشية ، والآرامية ، والكنعانية .. والفارسية ، والتركية ، والهندية ..

وبالرجوع إلى التحقيق العلمي ، والأخذ بالمنهج المعياري في درس اللغة ، يستطيع الباحث التقرير / باطمئنان — أن ما ذكره هؤلاء من معرّبات القرآن ، والتي هي حروف عربية .. ما هو إلاّ رَجْم بالغَيْب وقول ظني ليس الاّ ..

---

(١) التذييل ص : ٧ وينظر : لسان العرب ١/٣٢٠ – ٣٢١ و١٢/١٢٧

(٢) من المعلوم الثابت ، ان اليهود الموجودين اليوم هم ليسوا من العبرانيين ولا من بني اسرائيل.. ولا ينصرف الأمر إلى أن كلامي هذا يعزز مذهب بعض الأفاقين ان اليهود هم إخوان للعرب.

(٣) ينظر : التذييل ص : ٧

وقد انتهى من هذه المسألة علماء من كبار الأئمة في اللغة والتفسير والفقه والتأريخ ...

قال ابن عرفة (١) : «.. وإلاّ فليس في القرآن غير العربية» .. وقد وافقه عليه جمهور من ثقات الأئمة ، أمثال : الامام الشافعي (حجة لغة العرب) ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي بكر الباقلاني ، وابن جرير ، وابن فارس (٢) . لقوله تعالى (٣) : «قرآناً عربياً» وقوله : «ولوجَعَلْناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِلَت آياتُه أأعجمي وعربي» (٤).

وقد شدّد الامام الشافعي (٥) النكير على القائلين بوقوع المعرّب في القرآن العظيم

وقال أبو عبيدة (٦) : «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعْظَم القَول ، ومَنْ زعم أنّ كذا بالنبطية فقد أكبر القول» .

ويتوّج هذه الأقوال ، حديثه (صلىّ الله عليه وسلم) عند ردّه على الصحابة (رضوان الله عليهم) حينما عجبوا من فصاحته وهو يصف لهم السّحابة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «مايمنعني وإنما أُنْزِل القرآن بلساني ، بلسانٍ عربي مبين» (٧) .

* ....

وهناك علماء من أهل التفسير ، واللغة ، أرادوا التوفيق بين القولين ، بل راح بعضهم يقول بالوقوع إعظاماً للقرآن الكريم وذهبوا الى أنّ الله — سبحانه — «إنما ذكرها في كتابه ليكون جامعاً لأصول الألسنة ، وهذه أصول اللغات وماسواها فروع لها ، ولأنها كانت أقرب الى العرب دياراً ومنازل فاختلطوا بهم» (٨)

وإنهم أبعدوا عن (معرّبات القرآن) لغات : الهند ، والسند ، والترك «لبعد الدّيار وتنائي المزار» (٩) .

---

(١) لسان العرب ٣٢٠/١ و ١٢٧/١٢ ، والتذييل ص : ٧ .
(٢) الصاحبي ص : ٥٩ .
(٣) سورة يوسف ١ الآية : ٢ .
(٤) سورة فصلت/الآية : ٤٤
(٥) ينظر : الرسالة ص : ٤٦—٤٧
(٦) ينظر : مجاز القرآن ١٨/١ وجامع البيان ج ٧/١—٨ (ط/بولاق) . والمعرب ٤—٦ والمهذب ص : ١٩٢ ، والصاحبي ص : ٥٩ ، وتهذيب اللغة ٣٦٠/٢ ، والمزهر ٢٦٦/١ ، وابن عطية : ٢٧٧ ، ومفتاح السعادة ج٤١٢/٢—٤١٥ .
(٧) أمالي ثعلب ٤٥٤/٢ ، والتذييل ص : ٥ وينظر : المهذب ص : ١٩٥ .
(٨) مقدمتان في علوم القرآن ص : ٢١٣ ، والمتوكلي ص : ٥
(٩) مقدمتان : ٢١٤ و٢٧٧

ومن لطيف تعليل أحد العلماء (١) في وقوعه قوله : «إن الكلمة وإنْ أُصلُها من لغة أخرى ، فإنها اذا عرفت في العربية ، واستعملها أهلها ، فقد صارت عربية كسائر ما تتخاطب عليه العرب من كلامها ، لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب .

وذهب بعضهم الى أن المراد من قوله (صلّى الله عليه وسلّم) (٢) : «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كافٍ شافٍ » .

هو : أن معنى (٣) سبعة أحرف سبع لغات متفرقة في القرآن ، ليست مقصورة على لغات العرب ، وهي : الحبشية ، والنبطية ، والسريانية ، والفارسية ، والطحاوية والرومية والعربية .

ولعل مذهب أبي عبيد القاسم بن سلاّم الذي سعى فيه الى التوفيق بين القولين : بين الفقهاء وبين أهل العربية .. حيث قال (٤) : «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال ، الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعرَّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربيّة ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب ، فمن قال : أنها عربيّة فهو صادق ، ومَنْ قال : أنها أعجميّة فصادق» .

يقف في مقدمة أقوال العلماء الذين قالوا بسعة العربية وأن وقوع المعرَّب في كلامهم كان امراً طبيعياً ، تأسيساً على هذه السعة (٥) .

ومال الى هذا القول غير واحد من أهل العربية والتفسير ، أمثال : ابن جبير (في بعض

---

(١) مقدمة كتاب /المباني ص : ٢١٤ ، وينظر : المهذب ص : ١٩٤ .

(٢) مقدمتان ص : ٢١٥ ، والبرهان ٢٢٧/١ والطبراني (الكبير) ج١٨٥/٣ وج١٠ (الرقم ١٠٠٩٠ و١٠٢٧٣) ، ومسند الامام أحمد ٥ /٣٨٥ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ – ٤٠١ و٤٠٥ – ٤٠٦ ، ومجمع الزوائد ١٥٠/١ ، وفصل القول فيه الامام أبو شامة المقدسي ، في – كتابه : المرشد الوجيز ، بيروت ، ١٩٧٥م .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ٢١٢ .

(٤) الصاحبي ص : ٦١ والبرهان ٢٩٠/١ والاتقان ٢ / ١٠٨ ، والمهذب ص : ١٩٦ ، والمعرب ص : ٥ والمزهر ٢٦٩/١ ، وابن عطية : ٢٧٧ .

(٥) تفسير الطبري ٢١/١ ، والبرهان ٢٩٠/١ والاتقان ٢ /١٠٥ ، والمهذب ص : ١٩٣ ، وابن عطية : ٢٧٨ ، وفنون (ق/ ٢١ – ب) .

أقواله) ، والجواليقي ، وابن الجوزي (١) . وقال ابن عطية (٢) : «بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفار لهم ، فعلقت من لغاتهم ألفاظاً غيّرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن» .

وقد انخدع غير واحد من علمائنا بهذه الحكاية .. فذهب بعضهم (٣) إلى أن «ليس لغة في الدنيا إلاّ في القرآن» .. وقالوا : فهذه إشارة إلى ان حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن (٤) .

ونقل الجلال السيوطي (٥) قولاً لابن النقيب (٦) محمد بن سليمان المقدسي (ت ـ ٦٩٨هـ) أورده في تفسيره «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير» : أن القرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيىء كثير ...

ومرد هذا الاضطراب واللبس في تحديد وقوع المعرّب في لغة العرب بعامة ، وفي القرآن العظيم بخاصة ، يعود إلى جملة من الأمور :

الأول : انخداع بعض العلماء بأقوال الشعوبية وأوهام ما يعرف بـ «الاسرائيليات» في تفسير القرآن الكريم .

الثاني : بُعْد فهْم تحديد «المعرب» عند بعضهم .

الثالث : نقص معرفتهم بتاريخ العربيّة ، والوقوف على دراسة أصول اللغات العربية القديمة «الساميّات» ..

الرابع : غياب المنهج النقدي عند بعضهم ، في تلقفهم بعض الأخبار وأقوال المفسرين الأُوَل ..

---

(١) المهذب ص : ١٩٢ ــ ١٩٣ ، والمعرب ص : ٥ ، وفنون الأفنان (الورقة/ ٢١ ــ ب).
(٢) مقدمة في علوم القرآن : ٢٧٧ ، والبرهان ٢٨٩/١ ، والمهذب ١٩٣ ، والاتقان ١٠٦/٢ .
(٣) ينظر : المتوكلي ص : ٧ ونسبه إلى ابن جرير ، والمهذب ص : ١٩٤ ، وينظر : تفسير الطبري ٢١/١ والدر المنثور ٣٦٧/٥ ، والاتقان ١٠٦/٢ .
(٤) المهذب : ١٩٤ .
(٥) المهذب ١٩٤ ، والاتقان ١٠٦/١ ، وينظر : تفسير الطبري ٢١/١ .
(٦) ينظر عنه : طبقات المفسرين : ٣٣ ، والفوات ٢١٥/٢ ، وكشف الظنون ٣٥٨/١ .

وأخيراً .

أرى أن رسالة «تشريف التغريب» التي تنشر لأول مرّة ، هي وثيقة علميّة من وثائق النقد اللغوي والتي تقرر – بالتحقيق – أنّ القرآن العظيم عربّي ، وأن ليس فيه شيء من لغات الأعاجم .. وانه «قرآناً عربيّاً / يوسف : ٢» .. ومن زعم أن فيه شيئاً من لغات الأعاجم فقد أعظم القول على الله – سبحانه – وان القول بوقوعه هو (١) «قول ينبو عنه التحقيق ، وانما ذهب اليه من ذهب ، إعظاماً لما روى عن بعض الأقدمين في الفاظ قرآنية ، أنها معربة ، وعجزاً عن تحقيق صحّة الرواية ، وعن تحقيق صحة هذه الحروف في كلام العرب ، ثم تقليداً لأولئك القائلين وجمعاً بين القولين زعمَوا ..» .

وإنه من العبث (٢) القول بوقوعه في القرآن العظيم

والحمدلله الذي له الأمر والحمد في الأولى والاخرة ..

---

(١) الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمته للمعرب ، ص : ١١ .

(٢) ينظر : فصول في فقه اللغة د. رمضان عبدالتواب ، ص ٣١٨ .

تشريف القريب في تنزيه القرآن عن التعريب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل كلامه القديم وهو
القرآن العظيم بلسان عربي مبين
وهو حبل الله المتين وقد بهرت معانيه
وعباراته قال تعالى ولو جعلناه قرآنا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته والصلاة
والسلام على نبينا محمد بن عبد الله العربي
المبعوث الى العرب والعجم افصح من نطق
بالضاد فمن يباريه ادركه العي والبكم
وقد احاط باللغة العربية ما لا يحيط به
الغبي وما صدق من قال لا يحيط باللغة
الا نبي ورضوان الله تعالى على جميع الكرام
وسائر اصحابه السادة البلغاء العظام
ومن التابعين لهم وتابعي التابعين

مجر

بخير واحسان الى يوم الدين اما بعد فيقول
العبد الفقير الى مولاه الخبير محمد الغني المعروف
بابن انا بلي الحنفي عامله الله تعالى بلطفه
الخفي عرض علي بعض الاعزة من الاصحاب
الموصوف بالفضايل والكمالات من اولي
الالباب تصريح العلماء بان القران العظيم
مشتمل على كلمات معربة من لغات العجم
بلفظ نظيم ويلزم من تعريبها انها اصل
في غير اللغة العربية وقد تحولت عما كانت عليه
من العجمية وانما الواضع للغة العربية هو
الله تعالى على الصحيح وقال العلماء ما نزل
وحي على نبي الا بالعربية واللسان الفصيح
وبلغه كل نبي بلسان قومه على حسب مرادهم
في خصوصهم وعمومهم وكلام الله تعالى
قديم ازلي الحروف والكلمات على طبق

لا يحيط باللغة الا نبي وقال ابو المعالي
عزيزي بن عبد الملك انما وجدت هذه الالفاظ
في لغة العرب لانها اوسع اللغات واكثرها
الفاظا ويجوز ان يكونوا سبقوا الى هذه
الالفاظ انتهى ما ذكره الجلال السيوطي رحمه الله
تعالى في كتاب الاتقان في علوم القران وقد بسط
الكلام بما لا حاجة لنا بذكره في هذا المقام وقد
اشتملت رسالتنا هذه على امرين عظيمين مهمين
في الدين لا بد من اتقان معرفتهما بحيث اليقين
الامر الاول ان القران العظيم المنزل على نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم هو القديم الازلي الذي هو
صفة المتكلم به الحق تبارك وتعالى انما هو هذا
المكتوب في المصاحف المقروء بالالسنة المحفوظ
في القلوب المشتمل على المعاني والكلمات والحروف
المؤداة بالاصوات ومعانيه قديمة ازلية

وكذلك

وكذلك كلماته وحروفه المؤداة بالاصوات
قديما ازلية والامر الثاني ان هذا
القران العظيم المذكور كل كلماته عربيه
ليس فيه كلمة معربة من غيره من اللغات
ولا يليق ان يقال بذلك لانه قران عربي
لا عجمي وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه
هدي للمتقين والله ولي الهداية ومنه
التوفيق والعنايه وهو حسبنا ونعم
الوكيل والله يقول الحق
وهو يهدي
السبيل
تم

نموذج من المخطوطة المصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنْزلَ كلامه القديم ، وهو القُرآن العظيم بلسانٍ عربيٍّ مُبين ، وهو حبْلُ الله المتين . وقد بهرت معانيه وعباراته .

قال تعالى (١) : «ولو جعَلْناهُ قُرْآناً أعْجميّاً لقالُوا لولا فُصلَتْ آياتُه» .

والصلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمّد بن عبدالله العربّي المبعوث إلى العرَب والعَجم ، أفْصح من نَطَق بالضّاد . فمن يُباريه أدركه العيُّ والتجم . وقد أحاطَ باللغة العربيّة مالا يُحيط به الغبي ، ويا صدقَ من قال (٢) : «لا يُحيط باللغة إلاّ نبيّ» .

ورضوان الله تعالى عن جميع آله الكرام ، وسائر أصحابه السّادة البُلَغاء الفخام ، وعن التّابعين لهم وتابعي التّابعين (/أ) بخير وإحْسان إلى يوم الدّين .

أمّا بعد :

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير . عبدالغني المعروف بابن النّابلسي الحنَفيّ ، عامَلَه الله تعالى بلطفه الخَفيّ .

عرَض عليّ بعض الأعزّة من الأصحاب ، الموصوف بالفضائل والكمالات من أولي الألباب ، تصريح العلماء (٣) بأنّ القرآن العظيم مُشْتمل على كلمات معرّبة من

---

(١) سورة فصلت ، الآية /٤٤ .

(٢) هو الإمام الشافعي (رضي الله عنه) ، قاله في : الرسالة ، ص ٤٢ ، ونصه : «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسا غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها» .

(٣) هذا على رأي بعض العلماء ، ومنهم : ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة ، وعطاء .

ينظر : الصاحبي ص : ٤٤ — ٤٥ ، والمهذب للسيوطي / رسائل في الفقه واللغة ص : ١٩٢ ، وقال العبد بالوجهين (وقوع المعرب وعدم وقوعه) أبو عبيد القاسم بن سلام ، والامام ابن النقيب .

ينظر : المعرب للجواليقي ص : ٤ — ٥ ، ومقدمته للشيخ شاكر ص : ١٠ — ١٢ ، والمزهر ١/١٣٠ و٢٦٨ وأدب الكاتب ٣٨٤ .

لُغات العَجَم بلفْظ نَظيم ، ويلزم من تعريبها أنّها أَصلٌ في غير اللغة العربية ، وقد تحوَّلت عمّا كانت عليه من العَجميّة ، وإنّما الواضعُ (١) للغة العَرب هو الله تعالى على الصّحيح .

وقال العُلَماء (٢) : ما نَزَلَ وحيٌ على نبيّ إلاّ بالعربيّة واللّسان الفصيح، وبلّغه كلُّ نبيّ بلسان قومه على حسب عادتهم في خصوصه وعمومه ..

وكلامُ الله تعالى (٣) قديمٌ أزليٌّ ، والحروف والكلمات على طبق (١/ب) ماانزله تعالى بعلمه جامعاً للمعاني والآيات، وإنّا قرأناه بقراءتنا الحادثة بحروف وكلمات حادثة، واتصفت قراءتنا بالأحكام الشرعية من الواجبات والمكروهات والمحرّمات . لأنّ ما عندنا ينْفَدُ وما عند الله باقٍ في جميع الحالات . وكون كلام الله عند بعضهم هو المعنى القديم القائم بذات الله تعالى من غير حروف ولا أصوات .

لأنّ الحروف والأصوات لاتكون إلاّ حادثة مخلوقة فنقول لهم : المعنى هو أيضاً حادث مخلوق لايكون إلاّ حادثاً مخلوقاً . فكيف يكون قديماً ! وإنْ كان مرادُهم بالمعنى ، فالقائلُ الذّات ، أي : ليس هو بذات . بل هو صفَةٌ قديمة فيكون مشتركاً بين أنْ يكون عَرَضاً حادِثاً وأنْ يكون صفة قديمة ، فيساوي الحروف (٢ ــ أ) والكلمات التي نقول إنّها حادثة وقديمة ، عندنا حادثة وعند الله قديمة . فإنّه قديم عنده ، لأنّه الكل في علْمه وكلامه ، وعلْمه قديمٌ وكلامُه قديم ، ونحن حادِثون مخلوقون وعلْمُنا

(١) والمؤلف يشير بقوله المذكور إلى أن واضع اللغة ، هو الله / سبحانه وتعالى/ . وقد قال بهذه (النظرية) جمهور من العلماء .
ينظر : الصاحبي ص /٦ ، والخصائص ١/ ٤٠ ، وقد فصل القول فيها وفي غيرها من نظريات نشأة اللغة عند العرب غير باحث من المعاصرين . ينظر على سبيل المثال : المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبدالتواب ، ص /١١٠ ــ ١٢٤ ، ولغات البشر (لماريوباي) ص /١٧ ــ ٢٤ ، وعلم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ، ص/ ٧٤ ــ ٩٧ .

(٢) هذا القول أساسه من حديثه (صلى الله عليه وسلم) ورواه الحافظ العراقي ، ينظر : القرب في محبة العرب ص : ١٧٣ .

(٣) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية : ص /١٧٩ ــ ١٨٣ ، والحيدة للكناني ص /٤٢ ــ ٤٣ ، وشرح العقائد النسفية ص /٥٢ ، ونهاية الإقدام في علم الكلام ص / ٢٦٨ ، وخلق أفعال العباد للبخاري ، ص /٧٣ .

حادِثٌ مَخْلوق وكلامنا حادث مخلوق (١) .

والفَرْقُ بين كلامه تعالى القديم ، وكلامنا الحادث المخلوق مجرد قصدنا ونيّتنا . فإنْ قَصَدَ (٢) القاريء تلاوة كلام الله تعالى وَجَبَت عليه الطّهارة من الجَنَابة ، وإنْ قصد غير كلام الله تعالى فهو كلام المخلوق لا كلام الله تعالى ، فهي المنزلة بلسانٍ عربّي مبين وهي قديمة أزليّة وإنْ نسبت بالقَصْد والنيّة إلينا فهي حادثة مخلوقة . كما أن ذِكْر الله تعالى بأسمائه وصفاتة اذا نسب إلينا كان حادثاً . والمذكور هو الحق تعالى وأسماؤه وصفاته قديمة أزليّة (٢/ ب) .

قال في : «الأشباه والنظائر» (٣) «أن القرآن يخرج عن كونه قرآناً بالقَصْد ، فجوزوا للجُنُب والحائض قراءة مافيه من الأذكار بقصْد الذّكر والأدعية بقصد الدُّعاء .» انتهى

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى أهم مسألة من مسائل الأيمان في الاسلام ، وهي التي دار عليها محور الجدل في تاريخ الفكر الاسلامي ، وعرفت مسألة (خلق القرآن الكريم) الإمام المجاهد الزاهد أحمد بن حنبل – رضي الله عنه –
ينظر عنها :
الحيدة لعبدالعزيز الكناني ، وشرح العقائد النسفية ص /٥٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ – ١٨٥ ، ونهاية الإقدام ص /٢٦٨ – ٢٧٥ ، ومناقب الامام أحمد بن حنبل ص : ٤٧٤ .
وللعالم العامل الأستاذ عبدالفتاح أبي غدة ، رسالة فصل فيها القول في هذه المسألة ، وهي منشورة بعنوان : «مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل» دار القلم – بيروت ، ١٣٩١هـ .

(٢) صرح فقهاء الشريعة الاسلامية بحرمة قراءة الجنب والحائض والنفساء مس المصحف وقراءة شيىء من القرآن الكريم عن ظهر قلب . اللهم إلا إذا أراد هؤلاء قراءة آيات الدعاء والذكر بنية الدعاء فقط ، لا بنية التلاوة . ثم أجاز المالكية قراءة القرآن الكريم للحائض والنفساء فقط عن ظهر قلب ، وكذلك أجاز الامام ابن حزم قراءة القرآن ومس المصحف للجنب والحائض .
ينظر : المحلى ج١ ص ٧٧ ، والأشباه والنظائر ص : ١٧٠ لابن نجيم وروائع البيان تفسير آيات الأحكام ج٢ ص : ٥٠٧ – ٥٠٨ ، وبدائع الصنائع ٣٧/١ ، ومجمع الأنهر ٢/٥٢٥ ، والتبيان للنووي : ١١٤ ، والحواشي المدنية ٧٣/١ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ص : ٩٧ و٣١٦ .

(٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، للسيوطي ص : ٩٧ و٣١٦ وينظر : الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ص : ١٧٠ .

وقد أجمع العلماء على أَنَّ من أنكر كلمة أو حرفاً او معنىً لكلمة أو حرف من القرآن العظيم المتواتر أو نحو شيء من ذلك ، فهو كافرٌ بالله تعالى فكيف يكون المعنى فقط كلام الله تعالى دون الحروف والأصوات والكلمات مع إجماع العلماء على أنّ من أنكر شيئاً من ذلك يكفر .

والقائلون (١) بالمعنى فقط يلزمهم إنكار الكلمات والحروف والأصوات ويلزمهم أن يقولوا : انّ هذا القرآن المكتوب في المصاحف المَقْروء بالأَلْسنة المحفوظ في القلوب ليس كلام الله تعالى المُنْزَل ، وهو كفْرٌ .

والعلماءُ المجتهدون (٢) إنّما يأخذون الأَحكام من الكلمات والحروف (٣/ أ) والأصوات . فإنْ قيل إنّ مرادهم بالمعنى مدلول الحروف والكلمات والأصوات دون الحروف والكلمات والأصوات الدّالة على ذلك المعنى ، والمعنى (٣) قديم قائم بذات الله تعالى ، والحروف والكلمات والأصوات حادثة وهي الدّالة على ذلك المعنى القديم ، نقول : أنّ المعنى لايكون إلاّ عَرَضاً حادثاً ، وإنْ قالوا مرادهم بالمعنى مايقابل العين ، فإنّه ماسُمّي معنىً إلاّ لأنّه يعنى باللفظ أي : ينوي ويقصد . وهو عَرَضٌ من الأعراض الحادثة ، فإن كان عندهم قديماً بأعتبار أنّه صفةٌ لله تعالى ، كانت الحروف والكلمات عندنا قديمة أيضاً ، لأنّها صفاتٌ لله تعالى مثل المعاني سواء ، واذا كان المعنى مدلول الحروف والكلمات والأصوات فهو حادث أيضاً مثلها ، لأنّه متوقف (٣ / ب) عليها وهي متوقفة عليه وهو المقصود منها .

(١) وهذا القول منسوب لابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره . ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ص /١٨٠ ، ونهاية الإقدام ص /٢٨٨ .

(٢) ينظر : نهاية الإقدام ص /٢٨٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص /١٨٠ ، ونسبه إلى أبي منصور الماتريدي ، وينظر : نهاية الإقدام ص /٢٦٩ ، والأسماء والصفات للبيهقي ص /٢٣٩ — ٢٦٩ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٣ /٤ — ١٥ .

(٤) العرض الحارث :
ويعرف أيضاً بالعرض المفارق ، وهو : ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء وهو إما سريع الزول كحمرة الخجل وصفرة الوجل ، وإما بطيء الزوال كالشيب والشباب .
وهو من مقولات أهل الكلام والفلسفة والمنطق ..
ينظر : التعريفات ص : ١٢٩ ، واللسان (ع / ر / ض) ١٦٧/٧ ، والتاج (ع/ر/ض)

وإنّما سمّي معناها لنسبته اليها وتبعيته لها ، والتابع للحادث حادِث ، وتسمية معناها لدلالتها عليه فيعدل على أنّه حادث مثْلُها ، لأنّا نعنيه اذا ذكرناها ،ونحن اذا أردناه لابدّ أنْ نذكرها ، فهو حادِثٌ مثلها ومعنى دلالتها عليه اننا نعنيه بها من نقصده وننويه بها ليس غير ذلك . وكوننا نعنيه بها من أوصافنا كما أنّها من أوصافنا .

فالحاصلُ ، أنّ كلام الله تعالى هو عيْنُ ما أتينا به في وقت قراءتنا ليس غير ذلك عندنا ..

وأمّا عند الله تعالى فذلك قديم . ومثلُ ذلك أنّنا نذكر الله تعالى بلفظ : الله ، والرحمن والرحيم بالحروف والأصوات . وهو ذِكْرُ الله تعالى بقصْدنا ونيّتنا (٤ / أ) وهذا الذّكر حادِثٌ عندنا والمذكورُ به قديم (١) .

وحروفُ هذا الذِّكر وأصواتُه عنده قديمة أزليّة . لأنّها عنده في علْم القديم. ولولا نسبتها الينا بكونها ذكرنا له تعالى ماحكمنا بحدوثها عندنا ، فلو نسبت اليه تعالى بأنّها ذكرَه تعالى لنفْسه كذِكْره تعالى في القرآن ، لقلنا أنّها قديمة أيضاً أزليّة .

فالقرآن مشتمل على المعاني ، وهي مدلولات الحروف والكلمات والأصوات والكلُّ قديمٌ أزليّ اذا نُسب الى القديم الأزلي ، وهو الله تعالى وَحْدَه لاشريك له .

ولانقول أنّ كلام الله تعالى هو المعنى فقط دون الحروف (٢) والكلمات والأصوات بل هو الكُلُّ .

هذا مذهب (٣) السّلَف الصّالحين والخَلَف المُتّقين لانُؤمن بغير ذلك .

ولقد رأى في الواقعة الصّادقة من صنّفْنا هذه الرسالة (٤ / ب) برسْمه ، وقد أشرنا إليه فيما تقدمّ ، أنّه رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت هذه المسألة قد أشْكلت

---

(١) ينظر تفصيل مذهب المؤلف — رحمه الله تعالى — في : شرح العقيدة الطحاوية ص /١٨٠ ، ونهاية الاقدام ص /٣١٤ وكتاب / خلق أفعال العباد للامام البخاري ص ٧٣ (دهلي ١٣٠٦هـ) .

(٢) من قال : ان كلام الله — سبحانه وتعالى — هو حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما ، هم الكرامية وغيرهم .
ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠ .

(٣) ينظر : نهاية الاقدام ص /٣١٣ ، وخلق أفعال العباد /٧٣ ، والأسماء والصفات ص ٢٦٧ .

عليه بأنّه كيف يجوز أنْ يقال أنَّ كلمة (سجّيل) (١) الواقعة في القرآن العظيم معرّبة عن : (سنكْيل) (٢) من اللغة الفارسيّة . فرأى النّبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام مستقبل القبْلة وبيده الشّريفة مُصْحف واضعاً يَدهُ اليمنى على صَفَحات المُصْحَفوهو يمسّها بيده وكفّيْه يميناً وشمالا ويقول : «سبحانَ الله ، ماأبقوا القرآن على حاله ، ثم يقول منهم من يقول : إنَّ سجّيل معرّب (سنكيل) ، وهذا حشو» أو قال : «وهذا كَلام حشو» (٣) . ثم إنّه حفظَه الله تعالى جاء الى عندي وأخبرني بهذه الواقعة وطَلَب منّي الكتابة على ذلك ، فأجبْتُه وبالله المُسْتعان ، وعليه التكلان في هذا البيان ، (٥ /أ) نصرةً للحق في مقام الاسلام والإيمان . وسمّيتُه : «تَشْريف التّغْريب في تَنْزيه القرآن عن التعريب» .

والله المسؤول في تحقيق هذا المَطْلب والمَأْمول .

* * *

إعلم أنّي حيث مهّدْتُ لك أنَّ كلام الله تعالى إنّه هو المعاني والكلمات والحروف القديمة الأزليّة كما ذكر (ت) (٤) فاعلمه . إلا أنَّ معنى تعريب الكلمة المشتق ذلك من العُروبة . وأنَّ العَرَب بالتحريك وبالضّمّ (٥) ، خلاف العَجَم ، مؤنّث ، وهم سُكاّن الأمصار أو عام ، والأَعرابُ منهم : سُكّان البادية لا واحدَ له . ويُجْمع على : أعاريب ، وعَربٌ عاربة وعَرباء ، وعَرَبة : صُرحاء ، ومتعرّبة ومُسْتَعْرِبة : دُخَلاء .

وعربّي بيّنُ العُرُوبة والعُروبيّة . كذا في «القاموس» (٦) . وقال في «المصباح» (٧)

(١) وردت في الآية : ٤ من سورة الفيل . قال تعالى : «ترميهم بحجارة من سجيل» . ينظر : المعرب ص /٢٢٩ ، والمهذب ص /٢٠٩ ، والاتقان ١١٢/٢ ، وجامع التعريب (مخطوط ، الورقة /٧٥) والزينة ١٣٦/١ ، واللغات في القرآن : ٣١ ، ومعاني القرآن ٢٩٣/٣ .

(٢) كذا وردت في الأصل ، والصواب (سنك ، وكل) .

(٣) وينظر حديثه (صلى الله عليه وسلم) الآخر في هذا المعنى ، في : أمالي ثعلب ٤٥٤/٢ .

(٤) في الأصل (كما ذكر في فاعلمه) .

(٥) أي : العرب والعرب ، ينظر : الصحاح ١٧٨/١ ، واللسان ٥٨٦/١ ، والعين ١٢٨/٢

(٦) القاموس المحيط (ع/ر/ب) وينظر : تاج العروس ٣٤٠/٣ ، واللسان ٥٨٦/١ (ع/ر/ب) ، والعين ١٢٨/٢ .

(٧) المصباح المنير ص : ٦١٠ - ٦١٢ .

«العَرَبُ اسم مؤنّث . ولهذا يوصف بالمؤنّث فيقال : العرب (٥ / ب) العرباء ، والعرب البادية ، وهم خلاف العَجَم .

ورجلٌ عربيّ ، ثابت النّسَب في العرب وإنْ كان غير فصيح وأَعْرَب بالألف ، إذا كان فصيحاً وإن لم يكن في العرب . وأعربت الشيء ، وأعربت عنه وعرَّبْتُــــه بالتّثْقيل ، وعربت عنه ، كلّها بمعنى : التبين والإيضاح .

قال أبو زيد (١) : أعْربَ الأعجميُّ بالألف ، وتعرَّب وآستعرب ، كلُّ هــذا للأَغْتم إذا فَهِـم كلامَه بالعربيّة» (٢) .

ويقال: العرب العاربة (٣)،هم الذين تكلّموا بلسان العرب من قَحْطان وهو اللسان القديم (٤) . والعرب المُسْتَعْرِبة (٥) هم الذين تكلّموا بلسان إسماعيل عليه السلام ، وهي لغات الحجاز وما والاها . وأعربْتُ الحرف : أوْضَحْتُه . وقيل الهمزة للسّلب. والمعنى : أزلت عربه وهو إبهامه .

والاسمُ المعرّب (٦) الذي تلقّته العَرَبُ من العَجَم. فما أمكن حمله على نظيره من الأبنية العربية حملوه عليه (٦ /أ) . وربّما لم يحملوه على نظيره ، بل تكلّموا به كمـا تلقّوْهُ نحو : إبْرَيْسَم((٧) ، نكرة . وربّما تلعّبوا به فاشْتقّوا منه ، وإنْ تلقّوه علَماً فليس بمعرّب . وقيل فيه : أعجميّ . مثل (٨) : (إبراهيم) ، و (إسحق) .

---

(١) المصباح ص : ٦١٠ ، والتاج ٣/٣٤١ — ٣٤٣ ، واللسان (ع/ر/ب) ١/٥٨٦ .
ويـنظر : العين ٢/١٢٨ .

(٢) المصباح المنير ص : ٦١٠-٦١٢

(٣) في الأصل (العرب المعاربة) وهو تصحيف .

(٤) والعاربة : تأكيد لكلمة (العرب) . وفي المعاجم اللغوية العربية ، العرب العاربة : هـم الخلص من العرب .
ينظر : اللسان (ع/ر/ب) ١/٥٨٦ ، والصحاح ١/١٧٨ ، والعين ٢/١٢٩ .

(٥) المستعربة : أي هم الذين ليسوا بخلص وكذلك المتعربة . ينظر : الصحاح ١/١٧٨ ، والتاج ٣/٣٥٢ ، واللسان ١/٥٨٦ .

(٦) ينظر عن المعرب : المصباح المنير ص : ٦١٠ ، والقاموس المحيط (ع/ر/ب) وتـاج العروس ٣/٣٤٠ ، واللسان ١/٥٨٧ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٣/٩٤٤ ، والمعرب: ١١ — ١٢ ، والمزهر ١/٢٧٠ .

(٧) المعرب ص : ٨ و٢٧ .

(٨) كذا عد بعض اللغويين : (ابراهيم) و (إسحق) من المعربات .. ينظر : المعـرب ص : ١٣ ، و١٤ .

وقال في «الصحاح» (١) : «تعريب الاسم الأعجميّ ، أنْ تتفوّه به العرب على منهاجها تقول : عرّبَتْه العربُ وأعْربته أيضاً» . انتهى

نقول : إذا كان العرب قسمان ، العرَبُ العرْباء ، وهم أهل اللسان (٢) الأول القديم الذين كانوا يتكلّمون بلسان يعرب من قحطان . والعرب المُسْتَعْرِبة ، وهم الذين تكلّموا بلسان إسماعيل عليه السلام . وهي لغات الحجاز وما والاها . والقرآن العظيم القديم إنّما نزل بلغة العرب (٣) لغة أهل الحجاز . والنّبي (صلّى الله عليه وسلّم) نبيٌّ يعلم من لُغَة العَرب مالا يعلَمه العرب . فإذا كان فيه كلماتٌ لا يعرفونها في اللّغة التي نَزَل القُرآن بها ، وهي لغة قريش . لا نقول أنّها (٦/ب) كانت عَجَميّة فعرّبُوها ونَقلُوها من العَجميّة إلى العربيّة . وأنّ في القرآن كلمات معرّبة من لغة العَجَم . هذا مما لا ينبغي لنا أنْ نقوله في حقّ القرآن العظيم . بل نقول هذه الكلمات التي في القرآن العظيم ليست منقولة من لسان العَجَم . وإنّما أصلُها في لغة العرب العَرْباء اللغة القديمة ، ثم تكلّمت بها العَجمُ فغيّروها بسبب لسانهم الأعجميّ . ثم لمّا نَزلَت بالوحي على نبيّنا محمّد

---

(١) الصحاح ١٧٨/١ ، وينظر : أدب الكاتب : ٣٨٤ ، والبرهان ٢٨٧/١ والمزهر ١٣٠/١ .

(٢) التاج ٣٣٣/٣ و٣٤٩ ، وينظر : القرب ص : ٩٣ .

(٣) ذاع هذا الرأي وشاع عند جمهرة من العلم قديماً وحديثاً .. وفيه نظر .. إذ أن القرآن الكريم نزل باللغة المشتركة ، وهي تضم آثاراً من لغات (لهجات) عربية أخرى غير لغة قريش ..
وقد فطن إلى هذا المذهب غير واحد من علماء اللغة وأهل التفسير قديماً .. حيث قد فطن إليه أصحاب مؤلفات «لغات العرب» .. ومنهم : ابن عباس في رسالته (المنسوبة إليه) : «اللغات من القرآن» .. والقاسم بن سلام في : «ما ورد في القرآن من لغات القبائل» المنشور في احدى طبعات تفسير الجلالين (القاهرة ، ١٩٥٤م (ط/٣) .
وينظر : مقدمتان في علوم القرآن ، ص : ٢١٢ ، وقد أحصى باحث معاصر عدد اللغات (العربية / اللهجات) في القرآن الكريم ، فأوصلها إلى خمسة وأربعين لغة (لهجة) .. ينظر : مجلة (دعوة الحق ، ع/٢ س ٩ شعبان ١٣٨٥هـ – ديسمبر ١٩٦٥م ص : ٦٣) فقال : لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب / للراجي التهامي الهاشمي .
وينظر أيضاً : الاتقان ٢٣٠/١ ، وعد الواسطي أبو بكر في كتابه (الارشاد في القراءات العشر) أربعين لهجة من لهجات العرب وردت في القرآن الكريم .

(صلّى الله عليه وسلّم) النّبيّ العربيّ والقرشيّ . وتكلّمت بها العرب المُستعْرِبة (١) في بلاد الحجاز .

وقد وَجَد العلماء في لغة (العرب) (٢) من لغة الفُرْس ولغة الرُّوم ولغة الحبَشَة ولغة النَّبَط من يتكلّم بها محرّفة متغيرة لعدم إمكانهم النّطق بها فصيحة كما هي في لغة العرَب العَرْباء في قديم الزّمان . قالوا غيّرتها العرب (٧/أ) وعربوها .

وإنّما التغيير فيها من العَجَم لا من العرب خُصُوصاً . وعلى الصحيح أنّ واضع اللغة العربية هو الله تعالى كما قدّمناه .

فاللغة العربيّة سابقة متقدّمة على جميع اللغات (٣) . فكيف يكون فيها كلماتٌ معرّبة من لُغَات العَجَم أو من غيرها من اللّغات . وإنّما هذه الكلمات التي قالوا أنّها معرّبة عن لُغَات العَجَم هم العَجم ، تكلّموا بها في لغاتهم محرّفات عن أصلها العربيّ المُبين الذي هو أقْدم من ألْسنة العجَم كلّها ، حتى أنّ الوحي من الله تعالى لآدم عليه السّلام «ولكلّ نبيّ بعده (٤) ، بجبريل عليه السّلام كان (٥) بالعربيّة ، كما رُوِيَ عن سعيد بن المُسَيّب عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : «والذي نَفسي بيده ما أنْزلَ الله عزّ وجلّ وحْياً قطّ على نبيّ من الأنبياء إلاّ بالعربيّة ، ثم يكون ذلك النّبيّ (٧/ب) بعد يبلغ قومه بلسانهم» .

---

(١) هذا أبرع تفسير يصدر عن عالم عربي بشأن ما عرف بمعربات القرآن الكريم .. و ينظر : أدب الكاتب ٣٨٤ والمزهر ١/١٣٠ و٢٦٨ ، والمهذب : ١٩٢ – ١٩٣ .

(٢) بين معقوفين ورد في الأصل (في لغة العرب) .. وهو سبق قلم ..

(٣) هذا مذهب جمهرة من علماء اللغة العرب ، وقد برهن عليه باحث مسلم من الهند في كتابه Sanskrit Tracef bo Arabic
وينظر : العين ١/٣٣٢ ، ومعجم الطبراني (المعجم الكبير) ٧/٣٠٦ ، والتذييل ص : ٦ – ٩ .

(٤) كذا بالأصل ، ولعل المراد : بواسطة جبريل ..

(٥) ينظر : القرب ص : ١٧٦ .

رواه الطّبراني في «المعجم الأوسط» (١) وقال : حديثٌ حسن صحيح ، رجالُه كلُّهم ثقاتٌ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله (صلّى الله عليه وسلّم) : «أنا عربيٌّ ، والقرآن عربيٌّ ، ولسانُ أهل الجنّة عربيٌّ» .

أخرجه الطّبراني في «الأوسط» . وقال : حديثٌ حسن ، كذا في كتاب «محجّة القُرب في محبّة العرب» (٢) للحافظ عبدالرحيم العراقي .

فإذا حصَل القَطْع بأنّ لغة العرب هي الأصل قبل اللغات كلّها (٣) ، وأنّ الله تعالى هو الواضعُ لها وأنّ كلّ وحي أوْحاه الله تعالى إلى كلّ نبيٍّ من أنبيائه عليهم السّلام، إنّما كان باللغة العربية . وكلّ نبيٍّ يبلغ ذلك إلى قومه بلسانهم (٤) كما قال تعالى (٥) : «وما أرسلْنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم» .

فكلّ نبيٍّ يعلم اللغة العربيّة ، ولو تكلّم مع قومه (٨/أ) بلسان قومه .

ونقول كما قلنا أولاً ، إنّ كلّ لغة من اللغات العجميّة غير اللغة العربيّة متفرعة على اللغة العربيّة . وكلّ كلمة قالوا إنّها ليست في اللغة العربيّة ، وإنّما أصلها كلمة عجميّة عرّبتها العرب ليس الأمر كذلك . وإنّما تكلّم بها العَجَمُ فعجموها ، ثم إنّ العرب تكلّموا بها فأرجعوها إلى عربيّتها كما كانت ونَطَق بها لسانُ العرب على حسب ما هي عليه ، فقال من قال : إنّ العرب غيّروها عمّا هي عليه في لغات العجم .

---

(١) ورواه الحافظ العراقي في : المحجة وفي القرب . ينظر : القرب ص : ١٧٧ وينظر : أمالي ثعلب ٢/٤٥٤ ، والفائق ١/١١ والنهاية ١/١٧١ والتذييل ص : ٥ .
ويرى الذهبي أن هذا الحديث موضوعاً ، ينظر : الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ، لبرهان الدين الحلبي ، ص /٢٨٧ بغداد ١٩٨٤م ، تحقيق السيد صبحي السامرائي .

(٢) طبع مختصره بعنوان : القرب في محبة العرب ، والحديث فيه ، ص : ١٧٣ – ١٧٤ و ص : ٩٦ – ٩٧ .

(٣) ينظر :
والإحكام في أصول الأحكام ١/٣٠ .

(٤) ينظر : القرب ص : ١٧٣ .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٠ .

وليس الأمر كذلك ، وإنّما أرجعوها كما كانت في لسانهم خصوصاً والقرآن العظيم مشتمل على أفْصح الكلمات وأبلغ العبارات وكلّ مافيه كلامٌ عربّي ، وما أحاطَ بلغة العرب إلاّ نبيّ . كيف والعربيّة هي لغة كلّ وحْي مُنْزَل (٨ / ب) وكلّ حكم مشروع وكلّ سرّ مبثوث ، وإنْ ترجمه المترجمون بالألسنة المختلفة في الأُمم الماضية.

وهذا صريح الحديث الذي رويناه قريباً عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وذكر الجلال السيوطي في كتابة : (١) «الاتقان في علوم القرآن» في النوع الثامن والثلاثين منه ، وقال : «اختلف الأئمة في وقوع المُعرَّب في القرآن . فالأكثرون ومنهم الإمام الشّافعي (٢) رحمه الله تعالى ، وابن جرير (٣) ، وأبو عبيدة ، والقاضي أبا بكر (٤) (وابن فارس) (٥) على عدم وقوعه في القرآن لقوله (٦) تعالى : «قُرآناً عَرَبيّاً غير ذي عوج» ولقوله تعالى (٧) : «ولو جَعَلْناه قُرْآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصّلَتْ آياتُه أأعجميٌ وعَرَبّي » .

وقد شدّد الشافعي (٨) (رحمه الله تعالى) (٩) النكير على من قال بذلك .

وقال أبو عبيدة (١٠) : «إنّما أُنْزِل القرآن (٩ /أ) بلسان عربّي مُبين، فمن زَعَم أن

---

(١) الاتقان ج ١٠٥/٢ وينظر : المهذب ص / ١٩١ — ١٩٢ ، ومقدمة المعرب للشيخ أحمد محمد شاكر ص : ١٠ — ١٣ ، والمزهر ١٣٠/١ و٢٦٨ .

(٢) ينظر : الرسالة ص : ٤٦ — ٤٧ ، والتذييل ص : ٨ — ٩ .

(٣) ابن جرير ، هو الامام المفسر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠هـ . وينظر : جامع البيان (تفسير الطبري) ج٢١/١ ، وادب الكاتب ٣٨٤ ، ومعترك الأقران ١٩٥/١ ، والبرهان ٢٨٧/١ .

(٤) في الأصل : «أبو بكر بن فارس» .. وهو تحريف ، والصواب : أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب المتوفى سنة /٤٠٤هـ .
وينظر : اعجاز القرآن ص : ١٨ .

(٥) ابن فارس ، أحمد بن فارس ، ينظر : الصاحبي ص : ٦٢ .

(٦) الآية الثانية من سورة يوسف .

(٧) سورة فصلت ، الآية /٤٤ .

(٨) ينظر : الرسالة ص : ٤٦ — ٤٧ .

(٩) بين قوسين سقط من الاتقان .

(١٠) ينظر : مجاز القرآن ٨/١ ، والصاحبي ص : ٥٩ ، والمعرب ص ٤ — ٦ ، وفنون الأفنان (النسخة المخطوطة ، الورقة : ٢١ — ب) ، والمهذب ص /١٩٢ ، وأدب الكاتب ٣٨٤ ، واللسان ٣٢٠/١ — ٣٢١ و١٢٧/١٢ والتذييل ص : ٧ ، وأمالي ثعلب ٤٥٤/٢ .

فيه غير العربيّة فقد أعْظَم القول ، ومن زَعَم أنّ كذا بالنّبطيّة فقد أكبرَ القَوْل» .

وقال ابن فارس (١) : «لو كان فيه من (٢) لغة غير العرب شيء لتوهّم مُتَوهّمٌ ، أنّ العرب إنّما عَجزت عن الإتْيان بمثله لأنّه أتى بلغات لايعرفونها .» .

وقال ابن جرير (٣) : «ما وَرَد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وغيره من تفسير ألْفاظ من القرآن بالفارسية (٤) والحبشية والنبطيّة ونحو ذلك ، إنّما اتفق فيها تَوارد اللغات فتكلّمت بها العَربُ والفُرْس والحبشة بلفظ واحد .» .

وقال آخرون (٥) : «كلّ هذه الألفاظ عربيّة صرفة ، ولكن لغة العرب مُتّسعة(٦) جداً ، ولايبعد أنْ يَخْفَى على الأكابر الجلّة ، وقد خَفي على ابن عباس رضي الله عنهما معنى (فاطر) و (فاتح)

قال الشافعيّ رحمه الله تعالى في «الرسالة» (٧) (٩/ب) : لايحيط باللغة الاّ نبيّ .

وقال أبو المعالي عزيزي (٨) بن عبد الملك : « إنّما وجدت هذه الألْفاظ في لغة العرب لأنّها أوْسَع اللغات وأكثرها ألْفاظاً ، ويجوز أنْ يكونوا سبقوا الى هذه الألفاظ (٩) » انتهى ماذكره الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه : «الاتقان في علوم القرآن» .

وقد بسط الكلام بما لاحاجه لنا بذكره في هذا المقام .

وقد اشتملت رسالتنا هذه على أمرين عظيمين مهمّين في الدّين لابدّ من اتقان معرفتهما بكمال اليقين .

---

(١) الصاحبي ص : ٦٢ ، وينظر : المهذب ص : ١٩٢ .

(٢) كذا في الاتقان ١٠٥/٢ ، وفي : الصاحبي والبرهان ٢٨٨/١ : « لو كان فيه من غير لغة العرب شيىء لتوهم المتوهم..» .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان) ج٢١/١ ، وينظر : البرهان ٢٩٠/١ ، والاتقان ١٠٥/٢ ، والمهذب : ١٩٢ .

(٤) في الأصول الأخرى : «بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك » .

(٥) ينظر : مقدمة ابن عطية ص : ٢٧٧ ، والبرهان ٢٨٩/١ ، والمهذب ص : ١٩٣ ، وفنون الأفنان (الورقة ٢١ ــ ب) .

(٦) في الأصل (متبعة) وهو تصحيف . وينظر : تهذيب اللغة ٤/١ .

(٧) الرسالة ص : ٤٢ وفيها «ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي» .

(٨) ينظر عنه : طبقات الاسنوي ١٠٣/٢ ، وهو عزيزي بن عبدالملك المعروف بـ (شيدله) البغدادي المتوفى سنة ٤٩٤هـ .

(٩) ينظر : البرهان ٢٩٠/١ ، والمهذب ص : ١٩٣ ، وتهذيب اللغة ٤/١ .

الأمرُ الأول :

إنّ القرآن (١) العظيم المُنْزل على نبيّنا محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) هو القديم الأزليّ ، الذي هو صفةٌ للمتكلّم به الحقّ تبارك وتعالى ، إنّما هو هذا المكتوب في المَصاحف المقروءة بالألسنة المحفوظ في القلوب ، المشتمل على المعاني والكلمات والحروف المُؤداة بالأصوات . ومعانيه قديمه أزليّة (١٠/أ) وكذلك كلماتُه وحروفُه المؤداة بالأصوات قديمة أزليّة .

والامر الثاني :

إنّ هذا القرآن العظيم المذكور ، كلُّ كلماته عربيّة ليس فيه كلمة معرّبة من غيره (٢) من اللغات . ولايليق أنْ يقال بذلك لأنّه قرآن عَربيّ لاعَجَميّ .

وهذا هو الحقُّ الذي لاريْبَ فيه هُدًى للمتّقين .

والله وليُّ الهداية ومنه التوفيق والعناية ، وهو حسبُنا ونعْمَ الوكيل .

والله يقول الحق وهو يَهْدي السّبيل .

---

(١) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٧٩ — ١٨٣ ، وكتاب : الحيدة ص : ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، وشرح العقائد النسفية ص : ٥٦ — ٥٧ .
وينظر : مجاز القرآن ١/٢ — ٥ ، وتفسير غريب القرآن ص : ٣٣ — ٣٤ ، وتفسير الطبري ١/٩٦ ، واللسان (ق/ر/أ) ١/١٢٤ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص : ٢١ — ٢٦ ، والمحلي ١/١٣ ، وجمع الجوامع ١/٢٢٣ ، ومناهل العرفان ١/١٣ ، وتيسير التحرير ٣/٣ .

(٢) ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني ص : ١٦ ، و١٨ .

– جريدة المظان والاصول للدراسة والتحقيق –

١ – الاتقان في علوم القرآن ،

جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٢ – الإحكام في أصول الأحكام (١ – ٨)

ابن حزم الأندلسي ، بيروت دار الآفاق الجديدة/١٩٨٠.

٣ – أدب الكاتب .

ابن قتيبة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٤ – الأشباه والنظائر ،

ابن نجيم الحنفي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٥ – الأشباه والنظائر في فروع الشافعية ،

جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٣٥٩هـ .

٦ – إعجاز القرآن ،

أبو بكر الباقلاني . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤م . تحقيق : السيد أحمد صقر .

٧ – الأعلام (١ – ٨)

خيرالدين الزركلي ، بيروت .

٨ – البرهان في علوم القرآن (١ – ٤)

بدرالدين الزركشي ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٩ – بدايع البدائع (١ – ٧)

الكاساني أبو بكر بن مسعود ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .

١٠ — تاج العروس في شرح جواهر القاموس
السيد المرتضى الزّبيدي ، (الكويت، ١ — ٢١ ولم يكمل بعد) طبعة القاهرة .
١١ — التبيان في آداب حملة القرآن
محي الدين النووي ،القاهرة،
١٢ — التذييل والتذنيب على نهاية الغريب،
جلال الدين السيوطي ،تحقيق: عبد الله الجبوري ،الرياض الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، دار الرفاعي .
١٣ — التعريفات
الجرجاني علي بن أحمد، القاهرة — ١٩٣٨م، البابي الحلبي
١٤ — تفسير الطبري (جامع البيان)
ابن جرير الطبري ،القاهرة، تحقيق : المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ،دار المعارف ،صدر منه (١ — ١٥) جزءاً ولم يكمل .
١٥ — تفسير السيوطي (الدر المنثور)
الجلال السيوطي (١ — ٦) ،القاهرة، ١٣١٤هـ
١٦ — تهذيب اللغة (١ — ١٦)
الأزهري ابو منصور ،القاهرة، ١٣٨٤هـ تحقيق جماعة.
١٧ — جامع التعريب بالطريق القريب .
مصطفى المدني (مخطوط) ومصورة عن مخطوطة في تركيا
١٨ — الحيدة .
الكناني عبد العزيز، بن يحيى، دمشق، ١٣٨٤هـ. تحقيق د. جميل صليبا. — المجمع العلمي العربي.
١٩ — الخصائص (١ — ٣)
ابن جني ،تحقيق: الشيخ محمد علي النجار ،القاهرة ١٩٥٢/ ١٩٥٦م .

٢٠ ــ الرسالة.
الامام الشافعي محمد بن ادريس ،القاهرة، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ١٩٤٠م.

٢١ ــ روائع البيان في تفسير أحكام القرآن (١ ــ ٢)
الصابوني محمد علي، الرياض.

٢٢ ــ شرح العقيدة الطحاوية.
الطحاوي أحمد بن محمد، المكتب الاسلامي، بيروت١٣٩١هـ

٢٣ ــ شرح العقائد النسفية.
التفتازاني مسعود بن عمر، تحقيق: كلود سلامة ،دمشق ١٩٧٤م.

٢٤ ــ الصاحبي في فقه اللغة.
ابن فارس احمد، بيروت، ١٩٦٣م، تحقيق: د. مصطفى الشويمي.

٢٥ ــ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ١ ــ ٦
الجوهري اسماعيل بن حماد، بيروت، دار العلم للملايين تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

٢٦ ــ طبقات الشافعية (١ ــ ٢)
جمال الدين الاسنوي، بغداد، ١٣٩١هـ، تحقيق: عبد الله الجبوري، وطبع ثانية في الرياض، دار العلوم، ١٩٨١م

٢٧ ــ طبقات المفسرين.
الجلال السيوطي. (طبعة مصورة بالأوفست) عن طبعة ليدن ١٨٣٩م

٢٨ ــ العين.
الخليل بن احمد الفراهيدي. بغداد. تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. مهدي المخزومي. صدر منه سبعة أجزاء ولم يكمل بعد. (١٩٨٠ ــ ١٩٨٤م)

٢٩ ـ الفائق في غريب الحديث (١ ـ ٤)
الزمخشري محمود بن عمر، القاهرة ١٩٧١م، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم.
٣٠ ـ فصول في فقه اللغة.
د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧٣م.
٣١ ـ فنون الأفنان.
ابن الجوزي، (النسخة المخطوطة). وقد طبع في: المغرب ١٩٧٠م الدار البيضاء، مطبعة النجاح.
٣٢ ـ فهرست المخطوطات المصورة.
عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض ج٢، ١٤٠٢هـ.
٣٣ ـ القاموس المحيط (١ ـ ٤)
مجد الدين الفيروز آبادي، القاهرة، ١٣٠١هـ.
٣٤ ـ القرب في محبة العرب
الحافظ العراقي عبد الرحيم. تحقيق: ابراهيم القادري، ١٣٨١هـ
٣٥ ـ كشاف اصطلاحات الفنون
التهاوني محمد علي، (طبعة مصورة عن طبعة ـ كلكتة الهند).
٣٦ ـ كشف الظنون (١ ـ ٢)
حاجي خليفة، (طبعة مصورة عن طبعة تركيا).
٣٧ ـ لسان العرب (١ ـ ١٥)
ابن منظور بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦م.
٣٨ ـ لغات البشر.
ماريوباي. القاهرة، ترجمة د. صلاح العربي، ١٩٧٠م
٣٩ ـ اللغات في القرآن.
منسوب الى: ابن عباس، بيروت، دار الكتاب الجديد

٤٠ ــ مجاز القرآن (١ ــ ٢)
أبو عبيدة ــ معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، القاهرة، ١٩٥٤ ــ ١٩٦٢م .

٤١ ــ مجالس ثعلب (١ ــ ٢)
أبو العباس أحمد بن يحيى ــ ثعلب ، القاهرة ١٩٤٨ م ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٤٢ ــ مجمع الزوائد (١ ــ ١٠)
ابن حجر الهيثمي ، بيروت ١٩٨٣ م ، (طبعة مصورة) .

٤٣ ــ مجلة التراث العربي ، دمشق ، ١٩٨٣م

٤٤ ــ دعوة الحق ، الرباط ١٣٨٥هـ ، السنة التاسعة .

٤٥ ــ مجلة مجمع اللغة بدمشق ، المجلد ــ ٥٩ ، ١٩٨٤ م ..

٤٦ ــ المعرفة ، دمشق . ١٩٦٣ م ــ السنة الثانية .

٤٧ ــ مجمع الانهر (شرح ملتقى الابحر) الاستانة .

٤٨ ــ المحلى (١ ــ ١١) رمضان عبد الثواب ، دار الرفاعي ومكتبة الخانجي ، ١٤٠٣هـ القاهرة ابن حزم الاندلسي ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ .

٤٩ ــ المدخل الى علم اللغة

٥٠ ــ المرشد الوجيز أبو شامة المقدسي ، تحقيق : طيار التي قولاج ، بيروت ، ١٩٧٥م

٥١ ــ المزهر في علوم اللغة (١ ــ ٢).
الجلال السيوطي ، القاهرة ، تحقيق : علي البجاوي وزميليه .

٥٢ ــ المسند
الامام أحمد بن حنبل ، القاهرة ، ١٩٦٥ هـ . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف .

٥٣ ــ المصباح المنير
الفيومي ، أحمد بن محمد ، القاهرة ، ١٩١١ م .

٥٤ ــ المعجم الكبير

الطبراني سليمان بن أحمد ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، بغداد صدر منه (١ ــ ١٩) ١٩٧٨ ــ ١٩٨٤ م .

٥٥ ــ معاني القرآن (١ ــ ٣)

الفراء يحيى بن زياد . تحقيق : محمد علي النجار ، ونجاتي و د. شلبي القاهرة ١٩٥٥ ــ ١٩٧٢م .

٥٦ ــ معترك الاقران في اعجاز القرآن .

الجلال السيوطي،القاهرة ١٩٦٩م، تحقيق : البجاوي

٥٧ ــ مقدمتان في علوم القرآن

مؤلف مجهول، وابن عطية، القاهرة، تحقيق: آرثر جفري ١٩٥٤م .

٥٨ ــ المعرب من الكلام الأعجمي.

الجواليقي أبو منصور ،القاهرة، ١٣٦١هـ، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر.

٥٩ ــ مناهل العرفان في علوم القرآن

محمد عبد العظيم الزرقاني،القاهرة، ١٣٧٢هـ .

٦٠ ــ مناقب الامام ابن حنبل.

ابن الجوزي، تحقيق:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة .

٦١ ــ المهذب فيما ورد في القرآن من المعرب.

الجلال السيوطي، تحقيق: عبد الله الجبوري، (ضمن كتاب رسائل في الفقه واللغة) بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢م.

٦٢ ــ نهاية الاقدام في علم الكلام .

الشهرستاني عبد الكريم، تحقيق: الفردجيوم ، (طبعة المثنى مصورة) .

٦٣ ــ النهاية في غريب الحديث (١ ــ ٥)

ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

ملامح الأدب الفلسفي في النثر العربي

فائز طه عمر
كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

إن النضج الكبير الذي بلغته الحضارة العربية في نهضتها التليدة قد أثمر الكثير من الثمار اليانعة ذات التأثير الكبير والعميق في حركة التطور الحضاري للانسان ، فالعرب أثبتوا ، آنذاك ، أنهم بُناة مخلصون للمجد الشامخ ، ومدافعون أقوياء عنه ، إذ تفاعلت عقليتهم المبدعة بما نُقل اليهم من ابداعات الحضارات القديمة ، فكان هضمها وامتصاص النافع منها ، مقدمةً صلبةً لابتكار ماهو جديد ومعبر عن روح الأمة وأصالتها ، إنّ المعرفة الفلسفية المحضة ، عند العرب ، قد نضجت في وقت كان النتاج الادبي العربي قد تسابقت إلى خلقه والابداع فيه ، الاجيالُ المتعاقبة التي جادت قرائحها بما يدلُّ على تفوق في مجال الأبداع الأدبي ، فالشعر ، خاصةً ، ولد مع ولادة الذات العربية فهو ديوان العرب وسجل مفاخرهم ، منذ قديم الزمان .

والفلسفة نَضُجت ، عندهم ، بعد أنْ أمدتّهم الحضارات القديمة بما انتجته من ثقافات شكلت الفلسفةُ واحدةً من أهم ركائزها (١) ، فعرفوها بحدودها ومشكلاتها ، وطوّعوها لحلّ الاشكالات التي جابهت العقل العربي ، نتيجة التعقد الحضاري ، والتشابك الثقافي.

ولا نبغي ، هنا ، الخوض تفصيلاً ، في أصالة الفلسفة العربية ، بل مانهدف اليه هو ابراز العلاقة القوية ، بل التداخل الذي حققه المثقف العربي ، فيلسوفاً كان أم أديباً ، بين

(١) انظر ظهر الاسلام ١٢٧/٢ وما بعدها .

الأدب والفلسفة ، باعتبارهما شكلين متميزين من أشكال النتاج الانساني ، مما رافق نضجهما ونضج مايرتبط بهما من مفاهيم نقدية . ولا بد ، قبل الخوض في ذلك ، من تحديد الأشكال العامة للكتابة الفلسفية عند العرب .

الكتابة الفلسفية العربية :

ليس من السهل تحديد أنماط معينة في كتابة الفلسفة ،لأن الفكر الأنساني، بشتى ضروبه ،لم يتخذ شكلا تعبيرياً واحداً ،بل كانت الأشكال تتغير على وفق الحاجات والظروف والاهداف الملقاة على عاتق الفكر الفلسفي (١) ، ولكن ، على الرغم مما تقدم، من الممكن تحديد اسلوبين رئيسين في الكتابة الفلسفية ، تندرج تحتهما أنماطُ تعبيريةُ هي التي تجعل المتصدي لتحديد أشكال هذه الكتابة يقع في حيرةٍ من أمره ، إزاء ما يواجهه من تعددٍ فيها .

فالاسلوب الأول هو الاسلوب الدقيق والمحكم الذي يهدف إلى قول حقيقة فلسفية ، دون اهتمام بيّن باللفظ والصياغة ، الا بما يؤدي إلى ايصال هذه الحقيقة ، وان هذا الامر يتم على وفقِ سبيلٍ منظم تُعرض فيه الأفكار الفلسفية عرضاً منهجياً مفصلاً ، حيث تستخلص فيه النتائج المقنعة ، من المقدمات المؤسسة على البرهان الأكيد ، أو البديهيات الواضحة بنفسها ، وهذا يعني أنّ المنهج المنطقي (٢) هو السائد في هذا الاسلوب .

إنّ قراءةً في أيّ نصٍ فلسفي ، لأيٍّ من الفلاسفة العرب الكبار ، تقرّبُ هذه الحقيقة ، وتجعلها مستندةً إلى مايعززها ، فما كتبه أبو نصر الفارابي ، المتوفى عام ٣٣٩هـ عن الموجود الأول نقرأ : (الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها ، وهو بريء من جميع أنحاء النقص . وكلّ ما سواه فليس يخلو من أنْ يكونَ فيه شيءٌ من أنحاء النقص ، أمّا واحداً وإمّا أكثر من واحد . وأمّا الأول فهو خلوٌ من أنحائها كلّها ، فوجودُه أفضلُ الوجود وأقدم الوجود ، ولا يمكن أنْ يكونَ وجودٌ أفضلَ ولا أقدمَ من وجوده . وهو من فضيلة الوجود في أعلى أنحائه ، ومن كمال الوجود في أعلى المراتب . ولذلك لايمكن أن يشوبَ وجوده وجوهره عدمٌ أصلاً . والعدمُ والضدّ لايكونان الا فيما دون فلك القمر ...) (٣) .

---

(١) انظر في الأدب الفلسفي ٤٤ .
(٢) انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ٣٤٢ – ٣٥٠ .
(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة ٢٣ – ٢٤ .

ففي هذا النص يبرز المنهج المنطقي واضحاً ، في المقدمات والنتائج ، وتبدو الألفاظ شديدة الدلالة على معانيها ، وذلك من سمات اللغة العلمية التي هي (لغة «دلالية» محضة فهي تهدف إلى التطابق الدقيق بين الاشارة والمدلول) (١) . ولا يواجهنا أيُّ تفنن في أداء المعاني باللفظ ، ولا أية سمةٍ فنية واضحة من سمات العمل الأدبي ولا يضيف الاسهاب في تأكيد ماسلف ، جديداً ، حيث طغى هذا الاسلوب في الكتابات الفلسفية ذات الطابع العلمي والموضوعي .

أما الاسلوب الآخر فهو ماتظهر فيه نزعةٌ فنيةٌ للكاتب الفلسفي ، ومقدرة لغوية وبيانية ، يلاحظهما القارىء من خلال وفرة الألفاظ في الترادف والمطابقات والتكرار وأداء المعاني بعبارات عديدة ذات صيغ مختلفة ، كذلك في المحاورات والقصص ، والشعر وغير ذلك من الأنماط الأدبية التي لايمكن الاحاطةُ بها في هذا المجال المحدود .

إنّ ماتنبغي معرفتهُ ، هنا ، ان هذا الاسلوب في الكتابة الفلسفية ، أطلق عليه الدكتور محمد شفيق شيا مصطلح «الأدب الفلسفي» وعرّفه بقوله : (الأدب الفلسفي هو ذلك الأدب المشبع بهموم الفلسفة وتساؤلاتها والذي يبقى مع ذلك ، أو ربمّا لذلك ، أدباً جميلاً مؤثراً ومتميّزاً) (٢) ، إن هذا التمازج بين الأدب والفلسفة يبرره أنهما شكلان متجاوران من أشكال النتاج الفكري (يترابطان ترابط جوانب مختلفة لانسان واحد ، وأنماط مختلفة من حضارة واحدة ، أو ترابط صيغ متنوعة لقضيّة واحدة) (٣) ، انه أدبٌ مضمونُه الفلسفةُ ومشكلاتها .

ومن الجدير الاشارةُ إلى أنّ هذا الباحثَ لم يكن أولَ من أطلق مصطلح أدب فلسفي على هذا الاسلوب في كتابة الفلسفة ، غير أنّ من سبقه لم يستخدم هذا المصطلح ، فلا يوجد بحثٌ آخرُ عالج هذه القضية في الأدب العربي ، بمستوى البحث المشار اليه في الهامش.

وإذا كنّا قد ركزنا على تسمية كتابة الفلسفة بالاسلوب الأدبي ، بالأدب الفلسفي ، فان الاستاذ مدني صالح قد آثر تسميةً أخرى هي (الأدب الرمزي المُفلسِفُ) في أثناء حديثه عن حي بن يقظان لابن طفيل ، حيث قال : (هذا ، وانه قد ظل في أشعاره مثله في قصة «حي بن يقظان» سيداً من سادة الأدب الرمزي المفلسف : الأدب الذي كان منه للثقافة

---

(١) نظرية الأدب ٢٣ .

(٢) في الأدب الفلسفي ١٣٣ .

(٣) م.ن ٧٩ .

العربية مالم يكن قطُّ لأيٍّ من ثقافات الأمم) (١) ، فعلى الرغم من أنّ هذا الكلام قد قيل على قصة حي بن يقظان لابن طفيل ، الا انه يُفهم منه أنه يعني جميع الأنماط الأدبية الفلسفية، بما فيها القصصية، ومن الممكن أنْ نتفق مع صاحب هذا النص في اطلاق تسمية (أدب رمزي) على القصَص الرمزي ، مع تساؤلنا عن دلالة لفظة (مفلسف) وجدوى استعمالها ، فلماذا لاتكون (فلسفي) ، فتكون أكثر دلالةً على المعنى؟ .

إنّ الأدب الفلسفي نَضُجَ مع نضج المعرفة الفلسفية وشيوعها ، من جهة ، ومع سمو الأدب واستيعابه هموم الفكر والفلسفة ؛ فلقد عرُف هذا النمط الأدبي في كتابة الفلسفة عند اليونان ، حتى أن بعضَهم كان يكتبها بالصورة الشعرية لتتفق مع موضوعات الميتافيزيقيا (٢) ، التي تتطلب لغة أدبية للتعبير عنها ، وتُعَدّ محاورات افلاطون صورة فنية فريدة في بابها ، تألفت من هيئة الحوار الذي يجري في مكان معين ، وزمان معين ، ويدور بين شخصيات معروفة يرسمها افلاطون بريشة قلمية أروع من ريشة المصور بالالوان (٣) ، إنّ ذلك عرف ابان نضج الفلسفة عند اليونان ، مما سنجده عند العرب أيضاً .

ولا بد ، هنا ، من تتبع مفهوم الأدب الفلسفي ومدى وضوحه عند المثقفين العرب أدباء وفلاسفة ، لكي نكون على بينة .

إنّ ملامح من هذا المفهوم تتضح عند البعض من الادباء ؛ فلقد أشاروا إلى ظاهرة كتابة الفلسفة بالأسلوب الأدبي ، ولكن ليس بدقة ووضوح ، ذلك انهم لم يجعلوا لها مصطلحاً جامعاً لكل أبعادها ؛ غير أنهم فهموا هذه الظاهرة على أنها طريقة في كتابة الفلسفة ، أي في تصنيف الكتب الفلسفية .

ففي ترجمة أبي زيد البلخي ، المتوفى عام ٣٢٢ هـ ، ذكر ابن النديم في فهرسته عنه أنه (مصنف فاضل في سائر العلوم القديمة والحديثة ، وطريقته في ذلك طريقة الفلاسفة ، الا أنه بأهل الأدب أشبه واليهم أقرب) (٤) ، فابن النديم يوضح اسلوب البلخي في التأليف

---

(١) ابن طفيل ، قضايا ومواقف ١٠٣ .

(٢) الميتافيزيقيا : مصطلح فلسفي استعمل في القرن الأول ق.م ، وهو تعبير عن جزء من تراث ارسطو الفلسفي ، الذي يدعى (الفلسفة الأولى) التي تدرس المبادىء (الاعلى) لكل ما هو موجود ، والتي لا يستوعبها الا العقل المتأمل : عن الموسوعة الفلسفية ٥١٤ .

(٣) انظر افلاطون ٢٣ .

(٤) الفهرست ١٥٣ ، وانظر معجم الأدباء ١٤١/١ .

الفلسفي ، ذلك الاسلوب الذي كان مشابهاً لطريقة أهل الأدب وقريباً من اسلوبهم ، والكتابة التي بهـذا الشكل ، تظهر فيها المقدرة اللغوية والابداعية الفنية واضحة ، مما انصفت به مؤلفات البلخي ، كما يبدو ، ولو بقي شيء من مؤلفاته لأعاننا على معرفة هذا الاسلوب .

كما ان ثمة اشارة ذكية تعبر عن فهم القدماء طبيعة التداخل بين الأدب والفلسفة نجدها عند ياقوت الحموي(١) ، في اثناء ترجمته لأبي حيان التوحيدي، المتوفى بعد عام ٤٠٠ هـ ، حيث وصفه بـ (فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة) ، وهي توضح فهم ياقوت ظاهرة الأدب الفلسفي التي جسدتها كتابات التوحيدي الفلسفية ، ذلك انه أشار الى تداخل طبيعة التوحيدي ، أو نزعته ، الفنية ، بثقافته الفلسفية الواسعة والعميقة ، حتى أنهما ظهرا صورة واحدة منسجمة ألوانها : شكل أدبي ذو مضمون فلسفي . ويبدو أن أبا حيان قد عرف بهذه المزية اكثر من سواه ، على الرغم من أن كتاباته الادبية الفلسفية لم ترق الى مستوى القصص الرمزية مما سنتحدث عنه في صفحات آتية فلقد أشار اليه آخر بقوله : (.. إن أبا حيان تغلب عليه الخطابة والفصاحة ، وهو مركب من فنون أدبية وفلسفية وكلامية وغير ذلك) (٢) ، ان هذه الكلمات عبرت عن تعدد الروافد الثقافية للتوحيدي ، ومع ذلك فانه تمكن من تركيبها في شكل متلاحم ومنسجم ، وقد أحسن الكاتب في استعماله كلمة «مركب» ففيها دلالة قوية على ذلك التمازج بين مكونات الثقافة الادبية والفلسفية ، والكلامية ، وغيرها التي ركب منها التوحيدي نمطاً فريداً في التعبير استغرق جميع كتاباته .

ان ماتقدم ذكره هو كل مااستطعنا ايجاده من اشارات القدماء الى ظاهرة كتابة الفلسفة بالاسلوب الأدبي ، وهي قليلة وعارضة ؟ ولعل ذلك يعود الى قلة الدراسات النقدية المتعلقة بالنثر في الادب العربي .

محاولة تفسير كتابة الفلسفة بالاسلوب الأدبي :

إنّ الفلسفة ، عامة ، تكتب بالاسلوب العلمي المنطقي ، الذي لاتتحمل ألفاظه التأويل ولاتجر تراكيبه الى التخيل ، والذي عرفنا دعائمه العامة ؛ ومع هذا فقد وجدنا من يكتب الفلسفة بالاسلوب الأدبي ؛ فلا بد ان نتساءل عن الدوافع التي جعلت عددا من الفلاسفة يلجأون الى اعتماد الأدب في كتابة الفلسفة ، أحياناً ، بل ان منهم من استعمل الأدب وما

---

(١) معجم الادباء ٥/١٥ .

(٢) شرح العقيدة الاصفهانية ١٢٤ .

يتميز به من أناقة في الاسلوب ووفرة في الألفاظ وعناية بهـا وبالتراكيب ، في جميع كتاباته الفلسفية .

إن كتابة الفلسفة بالأسلوب الادبي تقوم على وجود أمور معينة لدى كاتب الفلسفة الذي ينحو هذا المنحى ، تمثل الدوافع الحقيقية له ، وهي دوافع تتضافر وتتفاعل في ذات الكاتب الفلسفي لتجعله يكتب بهذا الاسلوب ؛ ونحن لانتمكن من أنْ نغلبَ دافعاً على آخر ، فهي تتفاوت في تأثيراتها تبعاً لقوة هذا العامل أو ذاك عند هذا الكاتب أو ذاك ... وأن ماأتينا به من ترتيب لهذه الدوافع لايعبر عن قوة ماتقدم على سواه .

ولعل ماا كتسبه هؤلاء الكتاب من ثقافة أدبية ولغوية واسعة وعميقة ، مكنهم من امتلاك ناصية اللغة وأمدهم بمقدرة فائقة على التعبير عن أدق المعاني ، وأي معنى أدق من المعنى الفلسفي الذي هو ، بطبيعته ، عميق ، ويتسم بالتعقيد ، أحياناً ؛ ولن نعـدم الدليل على امتلاك هؤلاء الكتاب تلك الثقافة اللغوية والأدبية ، ذلك انك (لاتلقى الفيلسوف العربي الا وتجده لغوياً فقيهاً في اللغة ، ومنشئاً من الطراز الأول ، أديباً بارعاً في الشعر وفي النثر وفي النقد) (١) .

ان نظرة سريعة الى مصادر ثقافة الكتاب الفلاسفة الذين كتبوا نصوصهم الفلسفية كلها او بعضها ، بالاسلوب الادبي ، ترينا أنها تعتمد ، في اساسها ، على معرفة دقيقة بالقرآن الكريم وبأشعار العرب وأخبارهم ، مما نجده عند أبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي(٢). المتوفى عام ٢٦٠ هـ ، وعند أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٣) المتوفى عام ٣١٣هـ وعند أبي حيان التوحيدي (٤) ، وعند أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا (٥) ، المتوفى عام ٤٢٨ هـ ، وعند أبي حامد الغزالي (٦) ، المتوفى عام ٥٠٥ هـ ، وعند محمد بن عبدالملك ابن طفيل (٧) ، المتوفى عام ٥٨١ هـ ، وعند شهاب الدين السهروردي المقتول (٨) ،

---

(١) ابن طفيل ، قضايا ومواقف ١٠٣ .
(٢) انظر الكندي فيلسوف العرب ٣١ ، ٣٩ — ٥٨ .
(٣) انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤٣/١ .
(٤) انظر أبو حيان التوحيدي ، سيرته وآثاره ١٢٣ — ١٢٧ .
(٥) انظر ابن سينا ١٩ ؛ كما ان لابن سينا ديوان شعر مطبوعاً ، بتحقيق د. حسين علي محفوظ — مطبعة الحيدري ، طهران ١٩٥٧م ، وهناك طبعة أخرى .
(٦) انظر الاخلاق عند الغزالي ٥١ — ٧٨ .
(٧) انظر ابن طفيل ، قضايا ومواقف ٨٥ وما بعدها .
(٨) انظر عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٤٤ — ٦٤٦ (أبيات شعرية له دليلا على ثقافته) .

المتوفى عام ٥٨٧ هـ ، وعند محمد بن عمر الفخر الرازي (١) ، المتوفى عام ٦٠٦ هـ ؛ هؤلاء جميعهم ، وغيرهم ، نجد لديهم كتابة فلسفية أدبية ، وترتكز ثقافتهم على معرفة دقيقة بالقرآن الكريم ، وبذخيرة العرب الأدبية ، من شعر وغيره .

إن الثقافة القرآنية ، و الادبية ، واللغوية ، تعد مادة أساسية في البناء الثقافي والفكري ، ليس للأدباء فقط ، وانما للعلماء العرب الذين يشتغلون بالعلوم الصرفية ، أيضاً ، ولعل ماضمه كتاب «عيون الانباء في طبقات الاطباء»من أشعار تنسب الى الاطباء (٢) ، خير دليل على ماقلناه .

إن هذه المعرفة العميقة في اللغة والادب ، قد أمدّت هؤلاء المثقفين بوفرة كبيرة في الالفاظ ، وملكة في التعبير ، ومقدرة على أداء المعاني الدقيقة باسلوب رشيق قوي ،محكم البناء ذي تأثير في النفوس ، كما انّ هذه المعرفة قد حركت نزعة فنية موجودة في النفوس ذات الحس المرهف ، ومن اكثر النفوس رهافة حس نفس المثقف الفيلسوف الذي تدهشه الظواهر ، وتثير تساؤلاته الدائمة التي تدفعه نحو المعرفة ومحاولة اكتشاف الكون والحياة. ان هذه النزعة الفنية تعدّ واحدة من العوامل التي دفعت بهؤلاء الكتاب الى أنْ يكتبوا عدداً من أفكارهم الفلسفية بالاسلوب الأدبي ؛ والنزعة الفنية هذه هي طبع الأديب ، كما هو في عرف القدماء الذين عدّوه (العمود) (٣) بالنسبة للأديب .

ونحن لاندعي أن هذه النزعة الفنية قد خلقتها المعرفة اللغوية والادبية ، الا انها تثيرها وتساعد على انضاجها ؛ لأن كاتب الفلسفة ، وهو يقرأ النماذج الأدبية الكثيرة والمؤثرة ترسخ في نفسه . فيحاول ، أحياناً ، الأفادة منها في الحديث عن فكرة عنّت له ، ليس بامكان الاسلوب العلمي والمنطقي أن يوفيها حقها ، فطبيعة الفكرة هي التي تدفع كاتب الفلسفة ، الى أن يكتبها بالأسلوب الأدبي ، مما يجعلنا نشير الى عامل آخر من عوامل كتابة الفلسفة بالأدب ، ذلك هو طبيعة الموضوع ، أو الفكرة الفلسفية ، فليس جميع أفكار الفلسفة تتحمل الاسلوب الأدبي في التعبير عنها ، بل ان الكثير منها يتطلب كتابة علمية منطقية بحتة ، بيد أن منها مايتطلب اللغة الأدبية في التعبير التي تكون أكثر انسجاماً معها .

---

(١) انظر فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ٤١ .

(٢) انظر عيون الانباء ١٧١ — ١٧٥ ، ٣٨٠ — ٤٠١ ، ٤٠٧ — ٤٠٩ ، ٦٢٨ — ٦٦٤ مثلا .

(٣) انظر الامتاع والمؤانسة ٦٤/١ .

ولانتمكن من تحديد تلك الموضوعات ، مطلقاً ، الا اننا عندما ننظر في هذه الموضوعات المكتوبة ، أحياناً ، بالاسلوب الادبي ، نجد أن لها طبيعة مشتركة ، ففي الفلسفة اليونانية اشتركت في انها لايستوعبها الا العقل المتأمل والتي تندرج تحت تسمية الميتافيزيقيا (١) ، ولو بحثنا عنها في الفلسفة العربية فسوف نعثر على طبيعة مشتركة لها ، أيضاً ، فهي تتسم بالمثالية المرتكزة على التصورات والخيال ، والتي تتطلب لغة شاعرية ترمي الى ايصال القاريء درجة النشوة الروحية ، اكثر مما تقوم على اقناع العقل بالحجة المنطقية وبالبرهان الواضح الرصين (٢) .

ولكن بعض الفلاسفة قد عبر عن موضوعات فلسفية ، تتميز بما سبق ذكره بالأسلوب العلمي والمنطقي ، مما وجدناه عند الفارابي وهو يتحدث عن الموجود الأول ، في صفحة سابقة ، وعند أبي بكر الرازي في رسائله (٣) ، مما يدل على ان طبيعة الموضوعات هذه لاتكفي وحدها ، مالم تتضافر مع نزعة فنية ، ورغبة في استخدام الأسلوب الأدبي ، في التعبير عن الفكرة الفلسفية

ولعل من الدوافع التي لاتقل أهمية ، عما ذكر ، في صياغة الفلسفة أدباً جميلا ، شيوع الفلسفة في الاوساط الثقافية ، بل في الاوساط الشعبية ، كذلك ، حتى ليبدو انها (قد أصبحت في القرنين الرابع والخامس للهجرة ، قوتاً أو غذاءً عاماً للشعب ، بحيث لم تقتصر على الطوائف العليا والوسطى في المثقفين بل اتسعت حتى احتوت الطوائف الدنيا وذكرنا دليلا على ذلك هو ان جماعة اخوان الصفا السرية التي كانت تدعو في البصرة الى المذهب الاسماعيلي لجأت الى الفلسفة والعلوم في صنع رسائل اتخذتها وسيلة لنشر هذا المذهب ، ولو انه استقر في نفسها أن العلوم والفلسفة معاً يرتفعان عن مدارك العامة مالجأت الى هذه الوسيلة ولعرفت ، منذ أول الأمر ، أنها وسيلة قاصرة فكفت عنها ، أما وقد تمادى اخوان الصفا فيها ومضوا يدسون في دكاكين الوراقين ببغداد والبصرة فان ذلك دليل حي على تعلق العامة بمعرفة الفلسفة) (٤) .

ومن الممكن اضافة عامل اخر دفع الفلاسفة الى كتابة افكارهم باسلوب أدبي ، ذلك هو عنصر العاطفة ، الذي يعني وجوده ايمان الفيلسوف بما يكتبه ، فالفرد عندما يعبر

(١) انظر افلاطون ٢٣ ، والموسوعة الفلسفية ٥١٤ .
(٢) انظر المقابسات ، مقدمة المحقق محمد توفيق حسين ١٨ .
(٣) انظر رسائل فلسفية ١١٣ — ١٣٤ ، ١٦٥ — ١٨٥ مثلا .
(٤) تأريخ الأدب العربي ٥٠ . عصر الدول والامارات ٤٣١ .

عن فكرة ما مازجت مشاعره وآمن بها عميقاً ، فانه يستخدم اللغة بعناية واضحة ، ، وبأهتمام جلي بصياغة العبارات ، مؤثراً اللفظ المؤثر والموحي ، مستعملا فنون البلاغة، بما يؤدي الى تأكيد الفكرة واظهارها قوية ، ممانجده ، مثلا ، عند أبي حيان التوحيدي(١) في كتاباته الفلسفية .

الاشكال الفنية للأدب الفلسفي في النثر :

إن محاولة تحديد أشكال فنية للأدب الفلسفي في النثر العربي مسألة مرتبطة بطبيعة النثر نفسه ، ذلك ان الادب الفلسفي فيه مـاهو الا نصوص فلسفية صيغت صياغة أدبية بينت ثقافة الكاتب الأدبية ومقدرته على العناية بما يكتبـه مرتكزاً على تلك العوامل التي دفعته للتعبير عن الفلسفة بالأسلوب الأدبي .

إن النثر العربي قد تطور تطوراً حقاً وأصبح كتابه يبتدعون أشكالا فنية جديدة للتعبير عن أفكارهم ، كالمقامة وغيرها ، والنثر الذي حمل فكراً فلسفياً قد تعددت أشكاله الفنية فكان هناك التساؤل والمحاورة والمقالة والقصة ، أشكال عبر بها الكاتب الفلسفي عن همومه الفكرية الكبيرة والعميقة ، مما سنتحدث عنه ، مستقين مانقوله مما وصل الينا من نصوص تجعل كلامنا مستنداً الى مايعززه .

وسوف نرى أنّ الأشكال هذه ، يتفاوت نضجها الأدبي والفني تبعاً لقوة العوامل الدافعة لكتابة الفلسفة بالاسلوب الأدبي ، عند هذا الكاتب أو ذاك .

التساؤل :

إنّ التساؤل هو التعبير عن الخطوة الأولى التي يقطعها المعنيّ بالفلسفة كي يتمكن من الولوج إلى الحقيقة من خلال امكاناته العقلية والثقافية وظروفه الموضوعية ، والتساؤل هو التعبير عن الدهشة التي تداخل تلك النفس المرهفة أمام ظواهر الكون والمجتمع والانسان (٢).
ولقد تساءل الفلاسفة العرب المسلمون عن الظواهر التي أدهشتهم وأثارت اهتمامهم ، فعبروا ، بذلك ، عن شغف قويّ إلى معرفة الحقيقة .

إنّ التساؤلات الفلسفية قد صيغت بأساليب مختلفة ، ولكن مايهمنا هنا هي الصياغة الأدبية لها ، التي نجدها واضحةً عند أبي حيان التوحيدي في واحدٍ من كتبه، «الهوامل والشوامل» الذي ألفه مع الفيلسوف الاخلاقي مسكويه أبي علي أحمد بن محمد، المتوفى

(١) انظر ابو حيان التوحيدي ، د. احسان عباس ١٣٨ .
(٢) انظر مع الفيلسوف ٤٩ – ٥١ .

عام ٤٢١هـ ، والذي هو مسائل كتبها التوحيدي في الكون والحياة والاجتماع والطبيعة والانسان واللغة ، وغيرها ؛ تولى الاجابة عنها مسكويه . ولقد اتسمت اكثر هذه المسائل بصياغتها الادبية الرائعة والمشوقة ، أما ماسوى ذلك فانها مسائل شديدة الايجاز ، حتى أنّ عدداً منها لم يتعدّ بضع كلمات (١) .

وقبل قراءة نماذج من هذه المسائل الادبية الفلسفية ، لابد من الاشارة إلى أنّ مسكويه قد تصرف بعدد منها ، بعدم ذكره عدداً من الحكايات التي أوردها التوحيدي في سؤاله هذا أو ذاك ، مع اشارة مسكويه اليها ، اشارةً يصرح بها ، أحياناً ، بحذفه شيئاً منها أو بعدم ذكره السؤال كاملاً كما كتبه كاتبُه (٢) ، مما ضيّع علينا فرصة الاطلاع على كثير من المسائل الفلسفية ذات الاسلوب الأدبي الجميل ؛ ومع هذا فما وصلنا ، من هذه المسائل كاملاً ، يكفي لمعرفة خصائصَ الأدب الفلسفي فيها .

ومن المفيد أن نشير إلى ملاحظة مسكويه على مسائل التوحيدي التي يقول فيها : (ان صاحبها يسلك مسلك الخطابة ، ولا يذهب مذهب أهل المنطق . في تحقيق المسألة ، وتوفيتها حظها على طرقهم..) (٣) ، أي أنّ التوحيدي لم يكتب مسائله وفق الاسلوب العلمي المنطقي بل كتبها بالاسلوب الأدبي مما سيتضح فيما نأتي به من أمثلة ؛ أولها مسألته عن تواصي الناس بالزهد ، فتراه يطيل فيها وفي وصف أحوال الناس وتعلقهم بالدنيا ، مستخرجاً من هذه المسألة اسئلة عديدة يتفرع الواحد عن الآخر ممّا يدل على قدرة كبيرة على توليد المعاني ، وعلى الدقة في التفكير ، وهو يأتي بالمعنى الواحد بصيغ متعددة تدل على وفرة خزينه اللغوي ، وعلى براعته في اختيار اللفظ ، وفي تأليف التراكيب ؛ يقول : (لمَ تواصى الناسُ في جميع اللغات والنحل وسائر العادات والملل ، بالزهد في الدنيا والتقلل منها ، والرضا بما زجا به الوقت ، وتيسّر مع الحال ، هذا مع شدة الحرص والطلب ، وافراط الشدّة والكلب ، وركوب البر والبحر ، بسبب ربح قليل ، ونائل نزر ، حتّى أنك لاتجد على أديمها الا متلفتاً إلى فانيها حزيناً ، أو هائماً على حاضرها مفتوناً ، أو متمنياً لها في المستقبل معنّى ، وحتّى لو تصفحتَ الناس لم تجد الا متحسّراً عليها ، أو متحيّراً فيها ، أو مُسكّراً منها ...) (٤) ؛ فالعناية بتوازن العبارات واضحة مع ظهور السّجع ؛ ومهارة في تنويع حروف الجر ، وفي استعمال الترادف ، والمجاز

(١) انظر الهوامل والشوامل ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٢٨٦ مثلا .
(٢،٣) الهوامل والشوامل ٢٠٨ .
(٤) م.ن ٢٤ .

وغير ذلك من ملامح أدبية جميلة ، أضفت جاذبية وقوةً على عمق الفكرة الفلسفيــة المتعلقة بطبائع البشر وأحوالهم ، ممّا يدخل في الفلسفة ، في ذلك الزمان .

وتحمل بعض مسائله عاطفة قوية تجسد معاناته الصادقة ، وتبرهن على شدة انفعاله بما ترتبط به من هموم شغلت تفكيره وأرّقتْه طويلاً ؛ ولعلّ من أقوى المسائل التي تضمنت من العاطفة الشيء الكثير ممانقرأ شيئاً منها ، مخاطباً مسكويه : (حدثني عن مسألة هي ملكة المسائل ، والجواب عنها أمير الأجوبة ، وهي الشجا في الحلق ، والقذى في العين ، والغصّة في الصدر ، والوقر في الظهر ، والسل في الجسم ، والحسرة في النفس ، وهذا كله لعظم مادهم الناس منها وابتلى الناس به فيها وهي حرمان الفاضل وادراك الناقص ولهذا المعنى خلع ابن الراوندي ربقة الدين ، وقال أبو سعيد الحصيري بالشك ، وألحد «فلان» في الاسلام ، و أرتاب «فلان» في الحكمة..) (١) ، فنجد قوة انفعاله قد اوصلته إلى تبرير الالحاد والقول بالشك ، ولولا انه استدرك في نهاية هذه المسألة برواية قول الشيوخ ، له : (من ان القسمة عدلٌ ، والقاسم منصف..)(٢) ، لكان أمامنا منفذ لتأييد من قال بزندقته (٣) . ولا شك في أنّ الطابع الأدبي هو السائد في هذه المسألة ، فمع قوة العاطفة ، نجد قوة الالفاظ والعناية باختيارها ، وكثرة الترادف ، والمجاز ، وتوازن العبارات ، كما ان اسلوب الخطاب أضاف اليها مزيّة أدبية أخرى .

ومن مسائله الأخرى عددٌ ضمّ حواراً (٤) تمكن من خلاله أنْ يوزع الافكار على المتحاورين مما يضفي على التساؤل حيوية دافقة ، مع ما يضمّه من سمات أدبية أخرى، كقوله : (رأيت سائلاً سأل فقال : مابالُ أصحاب التوحيد لايخبرون عن الباري الا بنفي الصفات ؟ فقيل له : بيّن قولك وابسط فيه ارادتك . قال : إنّ الناس في ذكر صفات الله — تعالى — على طريقتين : فطائفة تقول : لاصفات له كالسمع والعلم والبصر والحياة والقدرة ، لكنه مع نفي هذه الصفات موصوف بأنه سميع بصيرحيّ قادر عالم وطائفة قالت : هذه أسماء لموصوف بصفات هي العلم ، والقدرة ، والحياة ، ولا بد من اطلاقها وتحقيقها . ثم انّ هاتين الطائفتين تطابقتا على أنه عالمٌ لا كالعالمين ، وقادر لاكالقادرين ، وسميع لاكالسامعين ، ومتكلم لاكالمتكلمين .

---

(١) الهوامل والشوامل ٢١٢ .

(٢) م.ن ٢١٤ .

(٣) انظر المنتظم ١٨٥/٨ ، وطبقات الشافعية ٢٨٧/٥ .

(٤) انظر الهوامل والشوامل ١٣٤ — ١٣٦ ، ٢٦٦ ، ٢٩٣ . مثلا .

ثم عادت القائلة بالصفات على أن له علماً لاكالعلوم ، واتكأت على النفي في جميع ذلك ..) (١) .

وبعدُ ، فان أكثر المسائل الموجودة في «الهوامل والشوامل» تتميز بالاسلوب الأدبي مع إحتوائها على العمق الفلسفي .

وهناك كتب أخرى فلسفية (٢) ، ضمت مسائل في الفلسفة ، ولكنها لاتتسم بالطابع الادبي ، وانما يغلب عليها الاسلوب العلمي والمنطقي ، كما انها قصيرة لاتظهر فيها براعة لفظية أو أدبية ، لها يجعلنا نستبعدها مكتفين بما نقلناه من التوحيدي .

المحاورات :

إنها التعبير عن الفكرة بالكلام المتبادل بين أشخاص ، يجمعهم مكان واحد ، وزمان واحد ، بسؤال وجواب ، أو بأستدراك وتعقيب وغير ذلك ، مما يخلق جواً جميلا اساسه الحوار الذي يعمق الفكرة ويغنيها بالحديث عن جوانبها كافة ، وبوجهات نظر مختلفة ، يقولها المتحاورون الذين يحرصون على أناقة لغتهم ، وبراعة أساليبهم ، وقوة حججهم ، مما نجده بجلاء في محاورات افلاطون الشهيرة ، عند اليونان ، كما تقدم ذكره .

ولاتخلو الفلسفة العربية من محاورات جميلة ومشوقة ، ذات بعد فلسفي ، يغلب عليها اللفظ القوي ، والتركيب الجزل ، وتظهر فيها سمات أدبية جميلة تتمثل بالحوار وباللغة المؤثرة ، وبأستعمال الاساليب البلاغية الجميلة ، كالتشبيه والمجاز وغيرهما ، مما يجعلنا نشير الى أن هذه المحاورات على أنها شكل من أشكال الأدب الفلسفي عند العرب .

وقد عرفت المحاورة عند العرب ، غالباً ، بأسم المناظرة التي تعني ان تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه..ويقال ناظرت فلاناً أي صرت له نظيراً في المخاطبة(٣) والمناظرة قد عرفت في وقت مبكر ، فمن الممكن ارجاع جذورها الى عصر ماقبل الاسلام حيث تتجسد أشكالها البسيطة في المنافرات والمفاخرات النثرية التي كانت تدور بين رجال القبائل ثم في العصر الاسلامي متجسدة في محاورات القرآن الكريم مع المشركين ، وفي مجادلات الرسول محمد — ص — معهم أيضا ؛ ثم انها ازدهرت عند احتدام النزاع

---

(١) الهوامل والشوامل ٢٨٧ .

(٢) انظر المجموع من مؤلفات ابي نصر الفارابي ٩٠ — ١١٣ ، ورسائل ابن سينا (٢) ٢ — ٩ ، ١٠ — ٣٠ ، ٣١ — ٣٦ ، ٧٣ — ٧٥ ، ٧٦ — ٨٢ ، ١٥٥ — ١٥٩ .

(٣) انظر لسان العرب ٥/٢١٧ — ٢١٩ .

السياسي بين فرق المسلمين ابان فتنة عثمان ، وبعد ثورة معاوية على علي بن أبي طالب وتشتت المسلمين فرقاً وأحزاباً ، فلقد كانت أبرز تلك المناظرات المناظرة التي حدثت بين علي بن ابي طالب وابن عباس من جهة وبين الخوارج من جهة ثانية (١) .

ثم انها اتسعت كثيرا ، واتسمت بسمات عقلية جديدة ، في نهاية العصر الاموي وفي بدء العصر العباسي ، على يد كبار المعتزلة ، كواصل بن عطاء المتوفى عام ١٣١ هـ ، وعمرو بن عبيد المتوفى عام ١٤٤ هـ ، فقد كانت هذه المناظرات تنعقد ، أحياناً ، في موضوع من الموضوعات فتظل أياما (٢) ، مما يدل على تحمس الناس لها ورغبتهم فيها ؛ ثم تعمقت هذه المناظرات ، بعد ذلك وأخذت أبعاداً جديدة ، غلبت عليها الفلسفة .

وقد شهدت مجالس القوم ، ولاسيما مجالس الخلفاء والوزراء ، مناظرات شهيرة ، حفظها لنا الزمن ، منها المناظرة المعروفة بين أبي سعيد السيرافي المتوفى عام ٣٦٧ هـ ومتى بن يونس القنائي المتوفى عام ٣٢٨ هـ عن النحو العربي والمنطق اليوناني (٣) ، في مجلس الوزير أبي الفتح بن الفرات المتوفى عام ٣٢٧ هـ ؛ وهي مناظرة طويلة ، مما يجعلنا نعزف عن الاقتباس منها .

وهناك مناظرات أخرى ، لاتقل أهمية ، من الناحية الفلسفية ، عن المناظرة المذكورة تتميز برشاقة الاسلوب ، وقوة اللغة وفصاحتها ، مع فنون بلاغية تزيدها روعة وجاذبية مما يجعلنا ننظر اليها على أنها شكل من أشكال الأدب الفلسفي ؛ منها تلك المناظرات التي حدثت بين أبي حاتم محمد بن أدريس الرازي المتوفى عام ٢٧٧ هـ وأبي بكر الرازي (٤) لابأس في أن نقتبس شيئاً منها : قلت (٥) أخبرني ألست تزعم أن النفس اشتهت أن تتجبل في هذا العالم فاضطربت في إحداثه على ماحكيت من القول فأعانها البارىء رحمة منه لها؟ قال (٦) : نعم . قلت : فهل علم البارىء أنْ يلحقها في ذلك ، الوبال إنْ تجبلتْ فيه قال : نعم . قلت : أليس لو لم يعاونها على إحداث هذا العالم ، ومنعها من التجبل فيه كان اولى بالرحمة لها من أنْ أعانها وأوقعها في هذا الوبال العظيم على زعمك ؟

---

(١) انظر العصر الجاهلي .شوقي ضيف ٤١٠ — ٤١١ والعصر الاسلامي ١١١ ، ٤٠٩ ، ٤٣٩ — ٤٥٠ ، والفن ومذاهبه في النثر العربي ، ٦٦ — ٦٧ ، ٧٨ — ٨٠

(٢) انظر الفن ومذاهبه في النثر العربي ١٢٧ — ١٢٩.

(٣) انظر الامتاع والمؤانسة ١/١٠٧ — ١٠٨

(٤) انظر رسائل فلسفية ٢٩١ وما بعدها (٥) قلت : أي أبو حاتم (٦)قال : أي أبو بكر

قال : لم يقدر على منعها من ذلك . قلت : قد ألزمت الباريء العجز ؟

قال : لم ألزمْه العجز . قلت : ألست تزعم أنه يقدر على منعها ؟ فقولك (لم يقدر) أليس هو عجزاً ؟

قال : لم أعنِ أنه لم يقدر لأنه عجز من منعها ، ولكني أضربُ لك مثلا تعرف منه صواب ما أوردته : انما المثل في هذا كمثل رجل له ولد صغير يحبه ويرحمه ويشفق عليه ويمنع منه الآفات . فتطلع ولده في بستان فرأى مافيه من الزهر والغضارة ، وفي البستان شوك كثير وهوام تلسع ، والصبي لايعرف مافيه من الآفات ، إنما يرى الزهرة الغضارة فتحركه الشهوة وتنازعه نفسه الى الدخول الى هذا البستان ، ووالده يمنعه ، لعلمه بما في هذا البستان من الآفات ، وهو يبكي وينزع الى ذلك جهلا منه بما يلحقه من الوبال ، من جهة الشوك والهوام . فيرحمه والده وهو يقدر على منعه من الدخول ولكن يعلم أنه لاينتهي حتى لايدخله ، فتشوكه شوكة أو تلسعه عقرب ، فعند ذلك ينتهي وتزول شهوته وتستريح نفسه فخليه حتى يدخله فإذا دخله لسعته عقرب فرجع ، ثم تنازعه نفسه بعد ذلك ، على العود اليه ، واستراح . فهكذا مثال النفس مع الباريء جلّ وتعالى . وهذا معنى قولي لم يقدر على منعها ، ولم ألزمه العجز .

قلت : وهذا أيضاً منكر من جهات . قال : كيف ؟ قلت ...) (١) .

لاشك في أن أبرز مافي هذه المناظرة تلك الصورة الرائعة التي أتى بها أبو بكر الرازي ، والتي تقوم على تشبيه الجسم الفكرة ويعرضها في صورة مركبة ، متخيلة ، الا انها تبدو قريبة من الأذهان ، حيث تتضح الفكرة من خلالها . كما ان الحوار يأخذ مساحة كبيرة من السمات الأدبية في هذا النص الفلسفي ، مع اللغة البسيطة الفهم .

وقد ترك أبوحيان التوحيدي عدداً من المحاورات التي تجسدت فيها سمات الأدب الفلسفي ، بفضل ماعرف عنه من روعة في الاسلوب ، وبراعة في التعبير الأدبي عن أفكاره ، وعما ينقله من أفكار الاخرين ، أيضاً .

والمحاورات ، عند التوحيدي ، على قسمين : الأول ، محاوراته مع الفلاسفة (٢) وخاصة مع شيخه أبي سليمان ، والثاني ، المحاورات التي دارت بين الفلاسفة (٣) . دون اشتراكه في الحوار على الرغم من حضوره ؟ غير أنه نقلها باسلوبه .

---

(١) رسائل فلسفية ٣٠٩ — ٣١٠.

(٢) انظر المقابسات ٩٠، ٩٥، ١١٠، ٢٣١. والصداقة والصديق ٢ — ٦.

(٣) انظر الأمتاع والمؤانسة ٢٠٧/١ — ٢٠٨، ١١/٢، ١٨ مثلا

وحسبنا أن نشير الى هذه المحاورات ، دون اقتباس نص منها ، لأننا قد عرفنا خصائص اسلوبه الأدبي في التعبير عن الأفكار الفلسفية ، عند قراءتنا اعدد من تساؤلاته ، في صفحات سابقة .

وحفظ ، لنا ، الفخر الرازي مناظرات جرت بينه وبين آخرين ، في بلاد ماوراء النهر كبخارى وسمرقند وخجند وغيرها (١) ، تجسد أمثلة رائعة على المحاورات الفلسفية المصاغة باسلوب أدبي جميل .

وقبل أن نأتي بمثال من هذه المناظرات ، لابد من الاشارة الى ان الفخر الرازي ، وهو يتحدث عن المناظرة وماجرى فيها من أحاديث ، يصف الرجل الذي يناظره مبيناً صفاته ومقدار علمه، نحو قوله : (.. فالمرة الأولى تكلمت مع الرضي النيسابوري ، رحمه الله وكان رجلا مستقيم الخاطر بعيداً عن الاعوجاج ، الا انه كان ثقيل الفهم كليل الخاطر محتاجاً الى الفكر الكثير في تحصيل الكلام القليل ..) (٢) ، كذلك فقد كان يبين مزاجه النفسي أثناء المناظرة ، ومزاج من يناظره ، كقوله . (ضاق قلبي في بعض تلك الأيام جداً فدخلت على الشرف المسعودي ...) (٣) ، وقوله : (فلما سمع المسعودي هذا الكلام قوي غضبه جداً بحيث اختل فهمه ونطقه ..) (٤) .

وبعدُ ، فلابد من قراءة نصٍّ من مناظراته يبين براعته في الحوار ، قال : (لما ذهبت الى سمرقند وكان قد وصل الي الصيت العظيم من الفريد الغيلاني رحمه الله ، ولعمري لقد كان رجلا مستقيم الخاطر حسن القريحة الا انه كان قليل الحاصل ، وكان بعيداً عن النظر ورسوم الجدل . فلما دخلت سمرقند ذهبت الى داره وجلست مع أصحابي بقيت زماناً طويلا في انتظاره ... وكنت قد سمعت أن الناس يقرءون عليه تصانيفي كالملخص وشرح الاشارات والمباحث الشرقية ، وسمعت أيضاً أنه صنف كتاباً في حدوث العالم . فلما شرعنا في الحديث . قلت : سمعتُ أنك صنفتَ كتاباً في حدوث الاجسام .

فقال : إنّ أبا علي ابن سينا صنّف رسالةً في الجواب عن الدلائل المذكورة في إبطال حوادث لاأول لها ، واني أجبتُ عن تلك الرسالة وبيّنت أن كلامه ضعيف .

---

(١) انظر مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ماوراء النهر ٧
(٢) م.ن ٧ وانظر م.ن ٥٩.
(٣) م.ن ٣٢
(٤) م.ن ٣٤ وانظر م.ن ٣٦، ٣٩

فقلت : ياسبحان الله ! القول بأن الجسم قديم يحتمل وجهين : الأول أن يقال : الجسم في الأزل كان متحركاً وهو قول ارسطوطاليس وأتباعه ، والثاني أن يقال : الجسم في الأزل كان ساكناً ثم تحرك . فهب أنك أبطلت القسم الأول كما هو مذهب أرسطوطاليس وأبي علي ، الا انه بمجرد ابطال ذلك القسم لايثبت حدوث الجسم ، فما الدليل على فساد القسم الثاني ؟ وهو القول بأن تلك الاجسام كانت ساكنة

فقال الفريد الغيلاني : إني لاأتكلم في هذه المسألة الا مع أبي علي . فلما أبطلت قوله في الحركات الازلية كفاني ذلك في إثبات حدوث الأجسام .

فقلت له : فاذا جاء محمد بن زكريا الرازي ، وقال : اشهدوا عليّ بأني لا اعتقد كون الاجسام متحركة في الأزل ...) (١) .

وهكذا نجد الفخر الرازي يسرد لنا الحدث الذي أفضى الى هذه المحاورة ، بأسلوب قصصي جميل ، فيه وصف للشخص الذي تحاور معه ، وتصوير لظروف المحاورة ، مما يمنحنا المتعة التي نجدها عند قراءة نص أدبي جميل .

المقالات الفلسفية :

قد لايبدو هذا المصطلحُ مقنعاً عندما نضعه للدلالة على الكتابات الفلسفية التي كتبها القدماء ، من الذين برعوا في صوغ أفكارهم صياغةً أدبيةً ، فالمقالة، مصطلحاً أدبياً ونقدياً ، لم يعرف في ذلك الزمان ، بمعناه الاصطلاحي الحديث ...

ولكن ، ماذا نطلق على النصوص الفلسفية التي كتبت باسلوب أدبي ، وتضمنت فكرة عميقة ، واتسمت بطولٍ يكاد يقارب طول المقالة الحديثة ، التقريبي .

ولعلّ هذه التسميةَ مقبولةٌ ، في هذا المقام ، إذا ما علمنا أنّ أحد أبرز الباحثين العرب الذين تصدوا لدراسة فن المقالة ، قال إنّ بذور المقالة قد ظهرت في أدبنا العربي، منذ القرن الثاني الهجري ، وتمثلت في الرسائل الاخوانية والعلمية ، وضربَ أمثلةً عليها، أبرزها صفة الامام العادل للحسن البصري ، ورسالتا عبد الحميد الكاتب ، إلى الكتّاب ، وإلى وليّ العهد ، ورسالة سهل بن هارون إلى بني عمه في مدح البخل وذم الاسراف ، ورسالة الصحابة لابن المقفع ، ورسائل الجاحظ وفصول كتبه ، ومقابسات التوحيدي ورسائله ، جميعُها عدّها نماذج رائعة عكستْ خصائص المقالة (٢) ، مما يدفعنا إلى الاطمئنان إلى اطلاق مصطلح (مقالة) على ماوصلنا من نصوص فلسفية لاتتسم بالحوار،

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي ٥٩ — ٦١

(٢) انظر فن المقالة ١٧ — ٢٤

ولا بالطابع القصصي ، ولا بالتساؤل ، ولكنها تحتوي على جميع هذه الاشياء التي لا تطغى على السمة البارزة لها ، وهي انها ذات فكرة عميقة ، وطول مناسب ، واسلوبها رشيق وقوي ، في تعبيره عن الفكرة ، شأنها شأن المقالات الحديثة ، كما ان القدماء قد استعملوا لفظة مقالة في الكثير من كتاباتهم الفلسفية (١) ؛ وهي بما تضمه من سمات وخصائص أدبية تجسد لنا الأدب الفلسفي بجلاء ، مما نجده عند فلاسفة كثيرين تميزوا بثقافتهم اللغوية والأدبية ، وبنزعاتهم الفنية التي تجعلهم يميلون إلى العناية بالاسلوب ؛ مع ماتوفر في موضوع المقالة من طبيعة تتطلب التعبير عنه بالأدب ، مما ذكرناه في حديثنا عن دوافع كتابة الفلسفة بالاسلوب الآدبي .

إنّ هذا الشكل الأدبي ، في كتابة الفلسفة ، قد ظهر شيء منه عند الفيلسوف الكندي ، في رسائله الفلسفية ، من ذلك قوله : (.. إنّ في الظاهرات للحواس ، أظهر اللهُ لك الخفيات ، لأوضح الدلالة على تدبير مدبّر أول ، أعني مدبراً لكل مدبّر ، وفاعلاً لكلّ فاعل ، ومكوّناً لكل مكون ، وأولاً لكلّ أول ، وعلة لكل علة ، لمن كانت حواسُه الآلية موصولةً بأضواء عقله ، .... ، فانّ من كان كذلك انهتكت عن أبصار نفسه سجوف سدف الجهل ، وعافت نفسه مشارب عكر العجب ، وأنفت من ركاكة معالجة الفخر ، واستوحشت من تولّج ظلم الشبهات ، وخرجت من الوقف على غير تبيّن ، واستحيت من الحرص على اقتناء مالا تجد وتضييع ماتجد ، فلم تضادّ ذاتها ولم تتعصّبْ لأضدادها...) (٢) .

وقد بيّنَ أحدُ الباحثين مافي هذه القطعة من مهارة بيانيّة ؛ فذكر أنها لاتقف عند فصاحة التعبير ، بل تعدتّها إلى ادخال تلاوين من التكرار ومن الصور البيانية ، والترادف واداء المعنى بصيغ متنوعة (٣) ، مما يُعزى إلى اتقان الكندي أسرار العربية وفقهه لها فقهاً جيداً .

وقد عرف عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ ، اخضاعُه المسائل الفلسفية والعلمية للاسلوب الأدبي ، في مقالاته ، في رسائله وفصول كتبه ، ولا نريد الاطالة في أنْ نأتي بمثال على ذلك ، فكتبه ورسائله جميعها تشهد له بهذه البراعة .

---

(١) انظر رسائل فلسفية لابي بكر الرازي ، في مواضع متعددة.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية ٢١٤.

(٣) انظر العصر العباسي الثاني ٥١٦

ولعلّ ، من اكثر الذين جسدوا الأدب الفلسفي في مقالاتهم ، أبا حيان التوحيدي الذي ترك لنا ، مع اسئلته ومحاوراته ، مقالات أدبيةً ذاتَ محتوى فلسفي ، منها مايمثل أفكاره ، وأكثرها يمثل أفكار غيره ، كتبها التوحيدي باسلوبه مما يجعل هذه المقالات له صياغةً وتعبيراً ، ولغيره فكرةً .

فعندما نقرأ في كتابه «المقابسات» نجد عدداً كبيراً من هذه المقالات الفلسفية المصاغة بأسلوب أدبي ، في غاية الروعة والاتقان ، ولعلّ قراءةً في احدى المقابسات تُعنينا على ادراك ذلك ، ففي قوله ناقلاً فكرة افلاطون التي سمعها من أبي سليمان المنطقي ، في أن الحقّ لم يصبْهُ الناسُ من كلّ وجوهه ولا أخطاؤه من كل وجوهه ، نقرأ : (سمعت أبا سليمان يقول : قال افلاطون : انّ الحقّ لم يصبه الناس في كلّ وجوهه ، ولا أخطاؤه من كل وجوهه ، بل أصاب منه كلُّ انسان جهةً ، قال : ومثالُ ذلك ، عميانٌ انطلقوا إلى فيل ، فأخذ كلُّ واحد منهم جارحةً منه ، فجسّها بيده ، ومثّلها في نفسه ، ثم انكفأوا . فاخبر الذي مسّ الرجلَ : انّ خلقةَ الفيل طويلة ، مدورة ، شبيهة بأصل الشجرة والنخلة ؛ وأخبر الذي مسّ الظهر : انّ خلقتَه شبيهةٌ بالهضبة والرابية المرتفعة ؛ وأخبر الذي مسّ مشفره : إنه شيءٌ ليّنٌ لاعظمَ فيه . وأخبر الذي مسّ اذنيه : انه منبسطٌ ، رقيق ، يطويه ، وينشره . فكلُّ واحد منهم قد أدّى بعض ماأدرك ، وكلُّ يكذبُ صاحبَه ، ويدّعي عليه الخطأ والغلط والجحد فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر إلى الصدق كيف جمعهم ، وانظر إلى الخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم...) (١) ؛ ففي هذه المقالة تتضح ملامح الادب الفلسفي في اللغة الرشيقة ،وفي التشبيه الجميل الذي يجسّم الفكرة فيوضحها ويقربها إلى ذهن السامع ، كذلك في اسلوب السرد القصصي ، حتى كأنّ التوحيدي يقصّ علينا قصةً ممتعة ، مما نجده في مقالات أخرى ،من مقابساته(٢).

إنّ «المقابسات» تضمُّ من الأدب الفلسفي الشيء الكبير والكثير ، فما هي الا أفكار فلسفية صيغت بأسلوب أدبي ، قوامه مقومات العمل الأدبي كلها ، فتجد قوة اللفظ وحسن اختياره ، وقوة التركيب وجزالة تأليفه، وفنون البلاغة من تشبيه واستعارة وطباق وجناس وتكرار وغير ذلك ، مع قدرة بارعة في اداء المعنى الواحد بوجوهه كافة ، والدقة في الوصف ، والاسلوب القصصي ، بارزان أيضاً ، ناهيك عن الدفء في التعبير ،

---

(١) المقابسات ٢٦٩

(٢) انظر م.ن ١٠٩، ١١٢

والعاطفة ، مما نجده في كتاب «الامتاع والمؤانسة» (١) ، وفي رسائله ، التي نجد ، في بعضها ، نبرةً صوفيةً تغمرنا بفيضٍ من الخشوع ومهارةً فنية تلفّنا بشعور جمالي أخّاذ (٢) ، مما لايتسع المجال ، هنا ، للتمثيل لها بنص .

وفي رسائل اخوان الصفاء نجد الكثير من الملامح الواضحة للأدب الفلسفي ، حيث أمتاز هؤلاء ، في رسائلهم ، (بسهولة التعبير والوضوح ، والاستعانه بالخيال ..) (٣) . فعند قراءة احدى رسائلهم تواجهك التشبيهات ، والحكايات التي تحمل مغزى وعبرة يراد قولهما (٤) ؛ ففي رسالة عن النفس الانسانية وقواها ، نقرأ : (واعلمْ يأخي أنّ للنفس الانسانية قوى كثيرة لايحصي عددها الا الله جلّ ثناؤه ، وان لها بكل قوة ، في عضو من أعضاء الجسد ، فعلا خلاف عضو آخر . وقد بينا طرفا من ذلك في رسالة تركيب الجسد ، وطرفاً في رسالة الحاس والمحسوس،وطرفا في رسالة الانسان عالم صغير ووصفنا فيها أنّ نسبة القوى الحساسة الى النفس فيما يأتون به اليها من أخبار محسوساتها كنسبة اصحاب الأخبار للملك قد ولى كل واحد منهم ناحية من مملكته ليأتوه بالأخبار من تلك النواحي . وذكرنا أيضا أنّ لها خمس قوى أخرى نسبتهن اليها كنسبة الندماء الى الملك ... واعلم أن القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ ، من بين هذه القوى ، كالملك ، وسائرها لها كالجنود والأعوان والخدم والرعية ، ينصرفون بأمرها ونهيها فيما يفعلون من أعضاء الجسد من الحركات ...) (٥) ؛ فعلى الرغم من أن هذا الاسلوب الأدبي الذي كتب به اخوان الصفاء رسائلهم ، جعلهم يبتعدون عن تنسيق أفكارهم ، فجاءت مباحثهم وآراؤهم متراخية مفككة ، منتشرة هنا وهناك ، فيها عودٌ وتكرار ، تختلط فيها الفلسفة التقليدية والعلوم الرياضية والطبيعية بخرافاتٍ من السحر والتنجيم (٦) الا ان اناقة الاسلوب ، وسهولة لغة الرسائل ، أضفتا عليها طابعاً خاصاً ، مشوقاً وجذاباً .

---

(١) انظر الأمتاع والمؤانسة ١/١٤٨ – ١٤٩،٢/٣ – ٢٢، ١٥٣، ١٥٥،١٦٠ – ١٦١ ٣/١٢١ – ١٢٢

(٢) أنظر ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي ٦١ — ٦٢

(٣) دراسات في تاريخ الفلسفة الاسلامية وآثار رجالها ٤٠١ .

(٤) انظر رسائل اخوان الصفاء ١/١٤، ٢٠ – ٢٣ مثلا

(٥) م.ن ١/٢٤١ – ٢٤٢

(٦) انظر م.ن ١/المقدمة ١٩ واعلام الفلسفة العربية ٤٩١.

وفي الكثير من كتابات الفيلسوف ابن سينا نجد أناقة في اللغة ، ورشاقة في الاسلوب واستعمالا لفنون البلاغة ، مما يجسد الأدب الفلسفي ، لاسيما في مؤلفاته الأخيرة كالاشارات والتنبيهات ؛ ولاغرابة في ذلك فهو أحد الفلاسفة الذين تمكنوا من التعبير عن أفكارهم الفلسفية بالقصص الرمزية ذات الدلالة الرائعة على الفكرة ، مما سنتحدث عنه في القسم الأخير من هذا البحث .

ومن مقالاته الفلسفية ذات الأداء الأدبي مانقرؤه مما قاله عن الذات الالهية : (أجل مبتهج بشيء ، هو الأول ، بذاته ، لأنه أشد الأشياء ادراكاً ، لأشد الأشياء كمالاً ، الذي هو بريء عن طبيعة الامكان والعدم . وهما منبعا الشر . ولاشاغل له عنه.والعشق الحقيقي هو الابتهاج بتصور حضرة ذات ما . والشوق هو الحركة الى تتميم هذا الابتهاج ، إذا كانت الصورة متمثلة من وجه كما تتمثل في الخيال .

غير متمثلة من وجه ، كما يتفق أنْ لاتكون متمثلة في الحس ، حتى يكون تمام التمثيل الحسي ، للأمر الحسي . فكل مشتاق : فانه قد نال شيئا ما وفاته شيء ما . وأما العشق فمعنى آخر والأول عاشق لذاته ، معشوق لذاته ؛ عشق من غيره ، أو لم يعشق . ولكنه ليس لايعشق من غيره . بل هو معشوق من غيره . بل هو معشوق لذاته . من ذاته . ومن أشياء كثيرة ، غيره) (١) .

القصص الرمزية الفلسفية :

إن أفضل تعبير عن ظاهرة الادب الفلسفي في النثر العربي ، نجده في تلك القصص الرمزية التي تحمل فكرة فلسفية عميقة تؤدى بأسلوب قصصي جميل ومشوق ، فيه جميع سمات القصة ومقوماتها ، من حدث واشخاص وخيال وسرد ، ولكن بنضج متفاوت عند هذا الفيلسوف أو ذاك ؛ كما ان مايعطي لهذه القصص قيمة أدبية ، مع قيمتها الفلسفية هو الاستعمال الرائع للرموز ، حيث انهم قد رمزوا بشخوص هذه القصص ، الانسانية والحيوانية ، وبأحداثها ومشاهدها ، الى أشياء ومفاهيم وأفكار فلسفية ، معروفة ، لدى الفلاسفة العرب ، آنذاك ؛ ولكن رموزهم كانت ، غالباً ، غامضة وصعبة الفهم وتحتاج لكشف مدلولاتها الحقيقية ، الى الاستعانة بالمختصين بالفلسفة الاسلامية ، مما سنقدم عليه في هذه الصفحات ، إنّ هذه القصص تجسد مقدرة فذة ، على أداء المعاني ، ترتكز على سعة الخيال ، والمقدرة على الأبداع ، وعلى حيوية دافقة في التعبير الأدبي الذي يتسع مع

---

(١) الا شارات والتنبيهات ٧٨٢ — ٧٨٤.

الفكرة ومداها ويتحدد في تصوير الفكرة الفلسفية تصويراً دقيقاً ومجسداً في أشخاص وأحداث ومشاهد ذات مدلولات رمزية :

وسنرى ، في هذه القصص ، ان هدفها الأساس هو قول فكرة فلسفية ، هذا الهدف قد يجعل الفيلسوف يضحي بالمستوى الفني القصصي ، وبنضج هذا المستوى ، لذا فانه أحياناً ، متفاوت النضج ، ولو كان هذا الشكل القصصي مقصوداً لذاته ، لتجلى في تطور وانضاج هذا الفن ، بيد أنه لم يكن أكثر من وسيلة الى التعبير عن الفكرة وجعلها أكثر تأثيراً ووضوحاً ، بتجسيمها مادياً ، ومع هذا فقد خلف الفلاسفة العرب قصصاً ذات مستوى فني طيب عبر عن تباور ظاهرة الأدب الفلسفي ، وتجسدها القوي والواضح .

وسنحاول في هذه الصفحة ، أن نعرض لهذه القصص ، ونوجز ابرز احداثها مشيرين الى محاولات الباحثين في تفسير الرموز التي استخدمت للتعبير عن الفكرة ، موضحين طبيعة البناء القصصي في تلك النماذج القصصية التي وجدناها عند الفلاسفة العرب .

نبدأ بما تركه ابن سينا من نصوص قصصية ، استندت الى فكرة واحدة دلت (على أن النفس لاتنال السعادة الحقيقية الا بأعراضها عن الدنيا ، ومعنى ذلك كله ان سعادة النفس في اتباع الفضيلة لافي اتباع الشهوة) (١) .

أول هذه القصص ، قصة (سلامان وأبسال) التي تختلف عن (قصة سلامان وابسال) اليونانية ، التي ترجمها ، الى العربية ، حنين بن اسحاق العبادي (٢) المتوفى عام ٢٦٠ ه ولايجمعهما الا الاسم الذي يعبر عن تأثر سطحي بالنص اليوناني من ابن سينا ، بالاسم فقط ، ذلك ان احداث القصتين تختلف كثيراً ولا رابط بينها ، اللهم الا في الدلالة الرمزية .

ملخص قصة ابن سينا ؟ سلامان وأبسال شقيقان ، ابسال هو الصغير ، نشأ عفيفاً ذا قيم سامية ، فقد تربى في كنف أخيه سلامان الذي كان ملكاً والذي كانت له زوجة عشقت أبسال ، وكانت هذه المرأة تريد أن تقترب من أبسال الذي أذن له أخوه سلامان بمخالطة النساء ، بوحي من زوجته التي أظهرت لأبسال ، عشقها ، مما أغضبه حيث لم يرض بذلك ، فراحت تبحث عن حجج أخرى لتظفر به ، فاشارت على زوجها أن يزوج أبسالا بأختها ، التي قد أخبرتها أنها سوف تشاركها به ، وفي ليلة الزفاف نامت زوجة سلامان بدلا من اختها العروس ، وعند دخول أبسال راحت هذه المرأة الكائدة تضمه

(١) من افلاطون الى ابن سينا ١٣٩، ١٤٢

(٢) انظر تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ١٥٨ - ١٦٨

الى صدرها ، مما أثار ريبة ابسال ، ثم ان برقاً ، لاح في السماء ، أشرق في وجهها مما كشفها ، فأزعج أبسال وخرج منها قاصداً مفارقتها بعيداً ، فطلب من أخيه أن يرسله على رأس جيش يفتح له البلدان ، ففعل ، ثم انه عاد وكان يظن أنها قد صرفت أهتمامها عنه ، بيد أنها لم تزل متعلقة به .. ثم ظهر لسلامان عدو فوجه اليه أبسالا الذي لم يلق عوناً من قادة جيشه الذين أغوتهم هذه المرأة بمالها ، ثم ان الاعداء ظفروا به وجرحوه ثم تركوه ظناً منهم أنه قد مات .. غير أن حيوانةً ألقمته ثديها فتغذى من لبنها حتى نال العافية ، فعاد الى أخيه الذي كان حزيناً لفقده ، ولهزيمته ، ثم راح أبسال ، بعد عودته ، على رأس جيش يقاتل أعداء أخيه فهزمهم ، مما أعاد ، لسلامان ، هيبته .

غير أن زوجة سلامان بقيت حاقدة على أبسال فراحت تعد للأنتقام منه ، فوضعت له السم ، متواطئة مع الطابخة والطاعمة ، فمات ... وبعد حين أوحى الرب الى سلامان بحقيقة الامر ، فماكان منه إلا أن قتل زوجته ومن عاونها على الغدر بأخيه (١) ، إن سلامان وأبسال وزوجة سلامان والاخرين ، كذلك الأحداث ، ماهي الا رموز على أفكار محورها ان السعادة لاتنال الا باعراض النفس عن الشهوات ، كما ذكرنا . وقد ورد تأويل لها نقتبس جزءاً منه : (وتأويله) ان سلامان مثل للنفس الناطقة وأبسال للعقل النظري المترقي الى ان حصل عقلا مستفاداً وهو درجتها في العرفان ان كانت تترقى الى الكمال . وامرأة سلامان القوة البدنية الأمارة للشهوة والغضب ، كما سخرت سائر القوى لتكون مؤتمراً في تحصيل مآربها الفانية ، واباؤه انجذاب العقل الى عالمه . وأختها التي أملكتها القوة العملية المسمى بالعقل المطيع للعقل النظري وهو النفس المطمئنة .. والبرق اللامع من الغيم المظلم هو الخطفة الالهية التي تسنح في أثناء الاشتغال بالأمور الفانية وهي جذبة من جذبات الحق ....) (٢) . ومن الممكن تخيل تأويل آخر لهذه القصة ، كما يؤكد أحد اساتذة الفلسفة (٣) ، ولا نريد الاطالة في ذلك ، مع ظننا أن ما نقلناه من تأويل كاف لألقاء ضوء على طبيعة استخدام الرمز .

أما بناء هذه القصة فهو متماسك من حيث توفر عناصرها الفنية وتلاحمها ، كما ان الخيال الشخصي للمؤلف واضح في الاحداث ، مع استعانته بالخيال الشعبي في شفاء ابسال على صدر الحيوانة التي وجدته جريحاً .

---

(١) انظر تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ١٧٣ — ١٧٥

(٢) م.ن ١٧٥ — ١٧٧

(٣) انظر من افلاطون الى ابن سينا ١٣٩

لقد نجح ابن سينا في خلق قصة جميلة ذات مضمون فلسفي، مستعيناً بأمكاناته على الابداع ،ومستفيداً من التراث اليوناني في اطلاق اسمي سلامان وابال على قصته؛ ومن التراث الشعبي كذلك.

ولابن سينا قصة أخرى عبرت عن فكرة (سلامان وابال) نفسها، تلك هي قصة الطير ذات اللغة الجذابة القوية، والحبكة القصصية المتماسكة ،والفكرة الفلسطينية العميقة، المُعبّر عنها بالرمز الذي أضفى عليها قيمة كبيرة.

لايبدأ ابن سينا بسرد أحداث القصة مباشرة،وانما يبدأ بخطاب اخوان له، أسماهم بأخوان الحقيقة، طلب منهم سماعه : (هل لاحد من اخواني في انْ يهب لي من سمعه قدرَ ما ألقي اليه طرفاً من اشجاني ،عساه أن يتحمل عني بالشركة بعض أعبائها..) (١)، والاخوانَ هؤلاء هم اخوانٌ (جمعتهمْ القرابةُ الا لهية وألفتْ بينهم المجاورة العلوية)(٢) فهم أخوةٌ في الله تعالى.

والخطاب ،هذا يحوي الكثير من الوعظ المؤثر المكتوب بلغةٍ جميلة، تزينها التشبيهات والترادف والطباق،يقول : (ويلكم اخوانَ الحقيقة انسلخوا عن جلودكم انسلاخ الحيّات ودبوا دبيب الديدان، وكونوا عقارب اسلحتها في أذنابها، فأنّ الشيطان لن يراوغ الانسانَ الا من ورائه ...) (٣)،وهكذا حتى يبدأ، في قص حكايته، متخيلاً نفسه طيراً في جماعة طيورٍ وقعوا في شرك صيادين، حيث تعلقت الحبال بأرجلهم، فحاولوا الافلات فما استطاعوا،فأخذ كلٌ طير يحاول التخلص مشغولاً عن الاخرين حتى أنهم ،بعد طول مكثهم في الشرك نسوا ماهم فيه وأطمأنوا إلى الاقفاص ... فبينما هو يراقب، من خلال القفص ،رأى طيوراً قد أخرجت رؤوسها وأجنحتها من الاقفاص وفرّت طائرةً، ولكن بقايا من الحبال كانت في أرجلها، فلا يستطيعون منها فكاكاً ولاهي تعصبهم بقوة ..هذا المشهد ذكرّه بحاله ،فعاد إلى احزانه ،وراح يخاطب تلك الطيور الهاربة طالباً منها المساعدة ،فناشدهم بالخلة القديمة وبالصحبة المصونة وبالعهد المحفوظ ... فساعدوه على تنحية الحبال عن رقبته والشرك عن جناحيه، وفتحوا له باب القفص طالبين منه النجاة بنفسه، لكنه سألهم تخليص رجله مما يحيطها من حبل ،لكنهم

(١) رسائل ابن سينا ٤٢
(٢) م.ن ٤٢
(٣) م.ن ٤٣

أجابوه انهم لو قدروا على ذلك لخلصوا أرجلهم منها، (وأنّى يشفيك العليل) ، فطار وطلبوا منه أنْ يطير معهم ليهدوه سواء السبيل فطار معهم عابرين ودياناً معشبة ومجدبة ثم انهم عبروا ثماني شواهق ،قبل أنْ ينتهوا منها ، كانوا قد توقفوا عند الجبل السابع ليرتاحوا ،ثم عاودوا الطيران حتى بلوغهم الجبل الثامن الذي يعانق عنان السماء،وتسكن جوانبه طيور ذات جمال وصوت عذب، وذات تلطف واحسان وايناس ؛ فدلوهم على مدينة الاله الاعظم ، خلف الجبل، ليخلصهم مما هم فيه، فتوجهوا اليها، ودخلوا قصر الاله ،ثم دخلوا حجرته، فشاهدوه فانعقد لسانهم ،أولّ الأمر، لهيبته ؛ لكنهم بعدها ،تكلموا واطلقوا شكواهم، فأجابهم الملك ان هذه الحبال التي في أرجلهم لا يستطيعُ حلّها الاّ عاقدوها ،وانه سيرسل معهم رسولاً ليساعدهم على ذلك .(١)ويومي ابن سينا إلى البعد الرمزي من قصته هذه، في نهايتها، حيث يذكر ان ماأحدٍ سمع قصته هذه الاّ وقال له إنّ عقلك قد مُسّ (والله ماطرت ولكن طار عقلك وما اقتنصت بل اقتنص لبك أنى يطير البشر أو ينطق الطير .) (٢) .

وتتسم هذه القصة بغموض رموزها التي حاول بعض الباحثين حلها، فقال احد أساتذة الفلسفة عنها:(يصور لنا بن سينا في هذه القصة، كيف تهيم النفوس (الطيور) في ضلالاتها، فتقع في الشراك (الاخطاء) المنصوبة لها. ولكنها لاتني تجاهد محاولةً التخلص من هذه الشراك، وتتعاون على هذا التخلص، حتى تتوصل إلى التخلص شيئاً فشيئاً، دون أن يكون ذلك تاماً، اذ أنّ أرجلها تظلُ عالقة، مع ذلك ،بهذه الشراك. ولكنها تكون قد خلصت رؤوسها واجتنحها فتطير والشراك عالقةُ بأرجلها، وتقصد الملك (العقل الفعال)،لينصفها من ظلامتها، ولكنه يجيبها قائلاً ... اني منفذ اليهم رسولاً (العقل المستفاد) ..وهذا يعني ،أنه لابد للنفوس الانسانية — لكي تتجنب الخطأ — من أن تلجأ إلى العقل المستفاد ،الذي يجعلها تتحلل من الاخطاء....)(٣)؛ ويعني بالعقل المستفاد بأنه الغاية القصوى للعقل النظري الذي يخدمه العقل العملي نفسه، وللعقل العملي الذي تخدمه النفس الحيوانية وقواها؛والعقول تهيم في ضلالاتها إذا ظلت بمعزل عنه(٤). ويحاول باحث أخر ، أيضاً ، فك رموز هذه القصة بقوله : فالطائر هو النفس والقفص هو البدن والجبال الثمانية هي الافلاك السيارة والثابتة ، والطيور اللطيفة هي النفوس

(١) انظر رسائل ابن سينا ٤٢ — ٤٨

(٢) م.ن ٤٧

(٣) ابن سينا ١٢٤ — ١٢٥، وانظر م.ن ١٧٩

(٤) انظرم.ن ١٢٣، ١٢٤

المفارقة ، والملك الاعظم هو العقل . والرسول الذي يرسله الملك مع الطيور ليفك قيدها هو ملك الموت(١) .

ومهما اختلفت التأويلات فهي تدل على شدة غموض هذه القصة ، ولا يغرينا هذا الغموض الى تصور تأويل أخر قد لايكون حظه لحظ التأويلات الاخرى،ولكننا نكتفي بالتنويه الى ما دللت عليه هذه القصة وسواها عن مقدرة ابن سينا على التعبير عن افكاره بالقصص الرمزي الذي هو نتيجة ثقافته (٢) ، ونزعته الفنية كذلك ، بالاضافة الى طبيعة الموضوع الذي يتطلب اسلوباً أدبياً للتعبير عنه .

ولابن سينا قصتان أخريان ، هما (حي بن يقظان) و (رسالة القدر) ، لايرقيان الى مستوى القصتين السالفتي الذكر (سلامان وابسال) و (رسالة الطير) من حيث البناء القصصي ، وما الاحداث البسيطة التي تضمهما هاتان القصتان الا مقدمة لحديث طويل قد احيط بطابع قصصي ، لايرقى الى البناء القصصي الناضج، على الرغم من انضوائهما على شخصية رئيسة هي (حي بن يقظان) ، مع حدث بسيط هو لقاء الجماعة بحي ثم شروع حي في حديث طويل عن مسألة فلسفية . بيد أن مايعطي قيمة لهما هو دلالتهما الرمزية،لاسيما(حي بن يقظان)،مما يدعونا الى عرضها وتبيان دلالتها الرمزية.يبدأ (قصة حي بن يقظان) بحديثه الى جماعته ، يخاطبهم بـ (معشر اخواني) ، الذين طلبوا منه شرح هذه القصة ، وهو يستعمل لفظة(قصة) هنا، كما اننا نلاحظ استخدامه اسلوب المتكلم ، وكأنه طرف فيها ، رأينا عند سرده قصة الطير ، وكما نلاحظه في (رسالة القدر) مما يضفي على القصة جواً يقربها من الواقع ، على الرغم من ارتكازها على الخيال . تبدأ القصة بقوله انه خرج للنزهة مع بعض رفقائه في بلاده (برزة) ، فلاح لهم شيخ بهي الطلعة ، طاعن في السن ، لكنه لايزال قوياً مما رغبهم في أن يكلموه .. فسألوه عن اسمه ونسبه وبلده واحواله ، فعرفهم بذلك ، وبأن اسمه حي بن يقظان ..

ثم راحوا يطارحونه المسائل العلمية حتى انتهوا الى الحديث عن علم المنطق الذي اطلق عليه اسم علم الفراسة (٣) ، ثم تشعب الحديث الى أمور أخرى انست القاريء أنه يقرأ قصة (٤) .

---

(١) عطار نامة ٥٢٣، الصفحة نفسها هامش ١٧، ١٩

(٢) انظر ابن سينا ٢٣

(٣) انظر حي بن يقظان لا بن سينا وابن طفيل والسهروردي ٤٤، هامش (١).

(٤) انظر م.ن ٤٣ – ٥٣ .

وابرز رموز هذه القصة ، حي بن يقظان هو العقل ، والرفقاء هم الشهوات والغرائز والغضب وسائر الملكات الانسانية ، والمجادلة بينهم وبين حي بن يقظان هي عبارة عن المجادلات التي تحدث عادة بين غرائز الانسان وشهواته ، وضميره وعقله (١) ، وغير ذلك ، وقد أجمل باحث معنى هذه الرموز بقوله ان ابن سينا (يبين ، في قصة حي بن يقظان بوسيلة الرمز ، عروج النفس من عالم العناصر ، مجتازة عالم الطبيعة والنفوس والعقول حتى تبلغ عرش الواحد القديم) (٢) .

أما رسالة القدر فتبدو مشابهة لقصة حي بن يقظان في الحدث القصصي ، كذلك في تسمية الشخصيات ، حيث يستعمل فيها شخصية حي بن يقظان للدلالة على العقل أيضاً (٣) وما فيها من حدث بسيط ماهو الا مقدمة للدخول في حديث فلسفي طويل عن القدر يتميز بقوة الاسلوب ومتانة اللغة وبالنبرة الشاعرية . وهو يستخدم اسلوب المتكلم ، أيضاً ، في هذه الرسالة ، مما وجدناه في (رسالة الطير) و(حي بن يقظان) ، حتى أنه يصور لك نفسه شخصية محورية بين شخوص هذه القصص ، مما يدل على سعة خياله كما انه قد كرر شخصية (حي بن يقظان) في قصتين ، ويبدو أنه هو الذي ابتكر هذه الشخصية الرمزية التي سنجد لها صدى في القصص الاخرى .

وتنسب الى الامام أبي حامد الغزالي رسالة باسم (رسالة الطير) ، وهي قصة رمزية ذات فكرة فلسفية أراد كاتبها أن يعبر عنها بأسلوب قصصي ، وملخصها : انّ طيوراً من اصناف مختلفة ، أجتمعوا واتفقوا على أن لابد لهم من ملك، ولا يصلح لذلك الا العنقاء التي يعرفون مكانها ، فاستجمعوا قواهم ، يدفعهم الشوق الى السفر اليها ، بيد أن منادياً من الغيب راح يحذرهم من مغبة هذا السفر ومشاقه ، لكنهم ازدادوا اصراراً فشرعوا في السفر مجتازين الصعاب والجبال الشاهقة ، والبحار المغرقة ، لكن كثيراً منهم مات في الطريق ، ولم ينج الا جماعة منهم نزلوا في جزيرة الملك الذي هو في حصنه المنيع ، وقد أخبروا من سألهم عن سبب مجيئهم الى هذه الجزيرة ، أنهم جاءوا لينصبوا العنقاء ملكاً ، لكنهم فوجئوا بمن يقول لهم ان العنقاء هي الملك ، وانها تقول لهم : (لاحاجة اوجودكم فأنا الملك شئتم أم ابيتم) ، مما بعث الخيبة في نفوسهم .. ولم

(١) انظر حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي ١٧ – ٢١ ، والكتاب الذهبي ٢٤٥

(٢) عطار نامة ٥٤١ – ٥٤٢ ، وانظر ابن سينا ١٧٩ .

(٣) انظر رسائل ابن سينا ١ – ٢٥.

يكن ثمة أمل في رجوعهم لتخاذل القوى، فأصابهم اليأس، لكن الملك بعث في نفوسهم الامل اذ قبل ايواءهم عنده . ثم ان هذه الطيور ، بعد ذلك ، سألوا عن رفاق لهم ، يبدو انهم قد سبقوهم الى السفر ، وطلبوا مشاهدتهم ، فلم يستجب لهم ، لانهم لايزالون معلقين باستار البشرية ، فاذا فارقوا ماهم فيه فسوف يتزاورون ويلتقون معهم ... ثم انهم ، بعد ذلك ، أطمأنوا في تلك الجزيرة وعرفوا الحقائق اليقينية (١) .

إن هذه القصة تتسم ببنائها الفني المتماسك ، وبالسرد الجميل للاحداث، كما انها ذات مدلول رمزي ، محوره ان من يرد الوصول الى الله وبلوغ السعادة ، من ذلك فلا بد له من التجرد من الشهوات ، ومما يربطه بالحياة ، وبالتمسك بالفروض الاسلامية ، وبالطقوس الصوفية ، فذلك بين من تعليق الغزالي على هذه القصة ففيه يبين ما ذكرناه ويؤكد غموض رموزها ، في قوله : (فكلام الطيور لا يفهمه الا من هو من الطيور وتجديد العهد بملازمة الوضوء ، ومراقبة أوقات الصلاة ، وخلوة ساعة للذكر ..) (٢) ويلاحظ ، في هذه الرسالة ، الاكثار من الاقتباس من آيات القرآن الكريم ، ومن ، التضمين الشعري ، كذلك وجود الالفاظ الصوفية الخاصة (٣) ، مع جمال السرد القصصي ، كقوله : (فلما استأنسوا بعد أنْ استيأسوا ، و انتعشوا بعد أن نعسوا ، ووثقوا بفيض الكرم ، واطمأنوا الى دور النعم ، سألوا عن رفقائهم فقالوا ما الخبر عن أقوام قطعت المهامة والاودية ..) (٤) .

وقد ترك لنا الفيلسوف ابن طفيل قصةً فلسفية رائعة ، تعدّ من أكثر القصص الرمزية نضجاً، وأبلغها تأثيراً في الأدب العالمي؛ تلك هي قصة (**حي بن يقظان**) ، التي يبدؤها بحمد الله والصلاة على رسوله ، ثم يأخذ في خطاب شخص سأله أنْ يبينَ له أسرار الحكمة المشرقية (٥)، وقد يكون هذا الشخص خيالياً أو حقيقياً ، لايهم . ويبدو أن هذا السؤال قد حرك في نفسه خاطراً أفضى به الى مشاهدة حال لم يشهدها من قبل،

(١) انظر القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي ٢٢٨ — ٢٣٢

(٢) م.ن ٢٣٢

(٣) انظر م.ن ٢٣١

(٤) م.ن ٢٣١ — ٢٣٢

(٥) الحكمة المشرقية : الحكمة المبنية على الأشراق الذي هو الكشف ، وهي عين حكمة المشارقة، وهذا المعنى يرجع الى المعنى الأول ، لأن حكمة المشارقة أيضاً ، ذوقية وكشفية ، ولا فرق بين حكمة الاشراف والحكمة المشرقية التي تكلم عنها ابن سينا، عن المعجم الفلسفي ١/٩٣ — ٩٤ .

مثل تلك التي شهدها كالحلاج، والبسطامي، والامام الغزالي، تلك هي حال الفناء الصوفي التي قال فيها، وفي الحكمة المشرقية، آراءهم، فراح ينقدها، كرأي ابن ابي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة، وابن سينا، والفارابي، والغزالي؛ ثم يصرح بأنه سيصف مذهبه في الحكمة المشرقية، من خلال «قصة حي بن يقظان» و «سلامان وأسال» اللذين سماهما الشيخ أبو علي، ويقصد به ابن سينا.

يبدأ بوصف الجزيرة التي عاش بها حي بن يقظان، ثم يتكلم عن حي وعن كيفية وجوده في هذه الجزيرة، فيذكر أنه قيل إنّ حياً قد ولد ولادة ذاتية من باطن أرضها بفعل عوامل طبيعية، اتصفت بها؛ وقيل ايضاً إنه ولد لامرأة هي أخت ملك لم يشأ تزويجها من أحد غير أنها أحبت قريباً لها يدعى (يقظان) فتزوجا سراً، وحملت به ووضعته، ثم انها خافت أن يفتضح أمرها، فوضعته في تابوت، ورمته في البحر حتى وصل الى هذه الجزيرة فرسى التابوت على الشاطىء، وبفعل المد استقرّ على أرضها، حتى فتُح مع الزمن؛ ثم انّ الطفل قد اصابه الجوع مما جعله يبكي ويستغيث، فسمعته ظبية قد فقدت ابنها، فظنت انه هو ابنها، فتتبعت الصوت حتى وصلت اليه، ورأت الطفل فحنت عليه، واعطته ثديها، وأروته لبنا، وبقيت تتعهده بالغذاء، وتدفع عنه الأذى.

بعد ذلك عاد الى شرح طريقة التولد الطبيعي التي قال بها آخرون، وفي حديث طويل، ثم عاد الى حديث حي بن يقظان مع الظبية، فذكر أنها بقيت تغذيه بلبنها وتدافع عنه، كأبنها، حيث ان الخصب زاد، والمرعى كثر، ولبنها راح يدر.. وكبر حي في كنف هذه الظبية الحنون التي أخذ يقلد صوتها، وأصوات الطيور وسائر حيوان الجزيرة... وشيئاً فشيئاً أخذ الضعف يدبّ في الظبية حتى أدركها الموت مما بعث الحزن في نفسه، فراح يفكر في سبب موتها، حتى اكتشف العلة كامنة في قلبها المتوقف، بطريقة التشريح ثم انه اهتدى الى ضرورة دفن جسد الظبية الذي نتن، من مشهد غرابين اقتتلا، فصرع احدهما الآخر، فأخذ الحي يحفر حفرة في الأرض دفن فيها الغراب الميت. ثم يستمر ابن طفيل في حديث طويل، يستغرق معظم القصة، بشرح مراحل تطور حي، مع مرور الزمن وتعاقب السنين، حتى وصوله الى اكتشاف علة الوجود، واجب الوجود الذي تكون السعادة في مشاهدته، كما انه ادرك الحقائق الكلية في الكون، كالروح والحركة والفيض وغيرها.. حتى وصل مرحلة الفناء فلم يرَ في الوجود الا الواحد الحيّ القيّوم في حالة شبيهة بالسكر، فاصبح من السهل عليه مشاهدة العالم الروحاني والدوام عليه مدة طويلة؛

بعد ذلك يأخذ ابن طفيل في سرد قصة صحبة حي وسال ؛ حيث يبدأ بذكر ماكانت عليه الجزيرة المجاورة، التي يسكن فيها آسال وسلامان، وكأنه يبدأ بفصل جديد من فصول هذه القصة الرائعة، فيذكر أن هذه الجزيرة كانت تأخذ بملة أحد الانبياء، المتقدمين، وفيها فتيان من اهل الفضل والرغبة في الخير، هما آسال وسلامان اللذان أخذا هذه الملة وقبلاها ، وتآخيا على ذلك ، فقد وصفهما قائلا : (أما اسال فكان أشد غوصاً على الباطن ، واكثر عثوراً على المعاني الروحانية ، واطمع في التأويل وامـــا سلامان صاحبه فكان أكثر احتفاظاً بالظاهر واشد بعداً عن التأويل ، واوقف على التصرف والتأمل ، وكلاهما مجد في الاعمال الظاهرة ، ومحاسبة النفس ، ومجاهدة الهوى . وكان ،في الشريعة أقوال تحمل على العزلة والانفراد ، وتدل على أن الفوز والنجاة فيهما ، واقوال أخر تحمّل على المعاشرة ، وملازمة الجماعة) (١) ، وقد تعلق اسال بالعزلة ، وطلبها في الجزيرة المجاورة حيث يسكن حي بن يقظان،فأبحر اليها،وهو يظن أن لاأحد فيها ، وبقي فيها زمناً ، لايرى حياً ، ولاحي يراه ، حتى شاهده صدفة فظن أنه من العباد المنقطعين فلم يقترب منه ، غير أن حياً عندما رآه لم يدر ماهو !

فهو لم يرَ انسياً من قبلُ، مما جعله يقف متعجباً منه، ثم أنّ آسالاً هرب منه، فتتبعه حي ، ثم رآه مرةً أخرى يتعبد ، فاقترب منه ، غير أنه هرب ، فلحقه حيّ فأمسك به ،فكان لقاؤهما.. فعلمَ آسال حياً النطق، ومبادىء الشريعة؛ كذلك ذكر له حي ماتوصل اليه من حقائق طابقت مبادىء الشريعة التي يؤمن بها آسال. ،ثم اتفقا ،بعد حين على الرحيل الى جزيرة آسال ليعلما أهلها الطريق الصحيحة في العبادة .. وعند وصولهما أخذ حي بتعليم الناس علم الباطن ، وبثهم أسرار الحكمة ،غير انهم نفروا منه لأنه ترك الظاهر الذي يتبعونه، وحاول معهم مراراً دون جدوى — مما جعل حياً وآسالا يعودان الى الجزيرة ،حتى أتاهما اليقين (٢)، أي الموت ؛ فتنتهي القصة. وتقوم فكرة هذه القصة على نظرية قال بها ابن طفيل وهي (انّ في وسع الانسان أنْ يرتقي بنفسه من المحسوس الى المعقول بحيث يستطيع بعقله أنْ يصلَ الى معرفة العالم ومعرفة الله) (٣)

(١) حي بن يقظان .طبعة د. البيرنصري نادر ٨٩ .

(٢) لهذه القصة طبعات كثيرة منها، حي بن يقظان لا بن سينا وابن طفيل والسهروردي بتحقيق أحمد أمين .وحي بن يقظان، بتحقيق د. البيرنصري نادر، وحي بن يقظان ، بتحقيق فاروق سعد ،وغيرها مما سنشير اليه لا حقاً.

(٣) حي بن يقظان لا بن سينا وابن طفيل والسهروردي ٢١

حيث إنّ حي بن يقظان قد سلك ،في سبيل ذلك، طريقي المعرفة بالحواس، وبرياضة النفس، اذ تنكشف لها الحقائق كأنها نور واضح يومض اليه حنيناً ثم يخبو (١).

وقد استخدم ابن طفيل هذا الاسلوب القصصي الرمزي لطبيعة الموضوع التي تطلبت ذلك (٢)، كما انه تنبه الى مايمكن أن يؤديه الفن في التعبير عن فكره الفلسفي (٣)،مما جعله يستخدم شخصية حي بن يقضان واضعاً اياها في اطار من الحوادث المرتبطة بزمان ومكان معينين، لعرض فكرته؛ مع ملاحظة أنّ حوادث القصة جميعها مرتبطة بشخصيتها المحورية ويذكرنا اسم حي بن يقظان بشخصية حي بن يقظان في رسالتي (حي بن يقظان) و(القدر) اللتين سبقت الاشارة اليهما؛ ولكن هذا التشابه هو في الأسم فقط ،كما هو واضح في عرض القصص المذكورة. كما ان اسمي سلامان وآسال الواردين في هذه القصة ،قد وردا في قصة ابن سينا (سلامان وأبسال) آنفة الذكر ،وهذا التشابه مقتصر على الأسماء فقط ،مع اختلاف بسيط بين اسمي (ابسال) و(آسال) كما هو واضح انّ هذا التشابه بين هذه الاسماء قد جرّ عدداً من الباحثين الى عقد مقارنة بين قصتي (حي بن يقظان) لابن سينا، ولابن طفيل (٤)، مما لانحتاج اليه في هذا البحث، ولكن ماالذي دفع ابن طفيل الى تسمية اشخاص قصته بأسماء اشخاص قصص ابن سينا ؟ أما كان يستطيع تسميتهم بأسماء أخرى، مع اختلاف المدلولات فيها؛ ومع ان هذا التشابه قد يؤدي الى الالتباس لدى القارىء (٥) يبدو لي ان استعمال ابن طفيل اسماء قصص ابن سينا هو اعتراف ضمني بريادة ابن سينا هذا المجال في التعبير عن الفكر الفلسفي بالاسلوب الأدبي القصصي الرمزي، بنضج واضح. إن حي بن يقظان، في قصة ابن طفيل، هو انسان يتطور، وتنمو معارفه، مع السنين، بطريقة ذاتية، دون اللجوء الى أية وسيلة، حتى أنه كان يفكر دون معرفته اللغة !، حتى بلوغه مرحلة معرفة الذات الالهية وفنائه فيها، وهي مرحلة يصلها الصوفية بعد طول مجاهدة وعناء ؛ كما أن لقاءه بآسال هو لقاء بين (متصوف متطور ذاتياً ، من جهة حي ، ومتصوف متطور بالطريقة المنهجية التقليدية من جهة آسال) (٦) ، لا كما ذهب بعض الباحثين الى أنه تعبير

(١) انظرم.ن ٢١ – ٢٢، وحي بن يقظان.ط. فاروق سعد ٦
(٢) انظر فلسفة ابن طفيل ٣١
(٣) انظر حي بن يقظان .ط – فاروق سعد ٥٨
(٤) انظر حي بن يقظان لا بن سينا وابن طفيل والسهروردي ٢٢،٣٥. وفلسفة ابن طفيل ١٧ – ١٩. وابن طفيل ،قضايا ومواقف ١٣٨
(٥) انظر حي بن يقظان.ط . فاروق سعد ١٩ .
(٦) ابن طفيل، قضايا ومواقف ١٣٨

على اتفاق الحكمة والشريعة، أو الفلسفة والدين (١) .

واظنّ أنّ وجود شخصية آسال، بكل خصائصها، أمرٌ قصده ابن طفيل، لتأكيد فكرة مقدرة الانسان على المعرفة الذاتية، دون حاجة لأحد فلقاؤه بحي واقراره بالأشياء التي توصل اليها، دليل على ذلك. أما سلامان فهو يمثل العامة في تمسكهم بالظاهر فقط.

أما من حيث بناؤها القصصي، فانها قصة مترابطة في حوادثها التي تدور حول محورها شخصية حي بن يقظان، غير أن هذا الترابط يبدو، أحياناً، مفككا بما يأتي به ابن طفيل أحاديث فلسفية وطبيعية عميقة، وطويلة مما يدور في ذهن حي، وكأنه، بذلك يترك العنان لتفكير حي ليقول ماعنده، في معالجة قصصية تقوم على السرد المباشر للأحداث من جهة، وعلى مايدعى بتيار الوعي، او المنولوج الداخلي، من جهة ثانية . وقد قسم بعض الباحثين هذه القصة الى اقسام (٢)، افترضوها، بيد أنّ هذا التقسيم ليس مهماً، ولكن القصة هذه تحتوي على مقدمة لااظنها تدخل في البناء القصصي لها .

وقد استفاد ابن طفيل من القرآن الكريم في مسألة اهتداء حي الى دفن الظبية، بعدما رأى الغرابين اللذين تقاتلا، وذلك من قوله تعالى: « فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتا أَعجزْتُ أنْ أكون مثل هذا الغراب، فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين» (٣)؛ مع استفادته من القصص القرآني. كما انه أخذ بعض المشاهد من قصة ابن سينا (سلامان وابسال)، خاصة في مسألة تبني الظبية لحي بن يقظان .

ولهذه القصة تأثير كبير في الآداب العالمية، بينه كثير من الباحثين (٤) .

ولشهاب الدين السهرودي قصة رمزية غامضة، عرفت باسم (حي بن يقظان) لدى الكثيرين (٥)، بيد ان السهروردي نفسه يسميها بـ (قصة الغريبة الغربية) (٦)، والتي يبدو

---

(١) انظر حي بن يقظان. ط. د. جميل صليبا ٢٧، وحي بن يقظان ط البيرنصري نادر ١٤ .

(٢) انظر حي بن يقظان. ط. جميل صليبا ٣٩، وحي بن يقظان ط. البيرنصري نادر ١١ وحي بن يقظان ط. فاروق سعد ٦ .

(٣) المائدة ٣١

(٤) انظر حي بن يقظان – ط – فاروق سعد ٣٣ – ٥٦، وابن طفيل، قضايا ومواقف ١٤٧ وما بعدها.

(٥) انظر حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي ١٣٥، وعطار نامة ٥٤٢ .

(٦) انظر م.ن ١٣٥، وانظر شخصيات قلقة في الاسلام ١١٨، ١٢٥، ١٢٦ حيث يطلق عليها د. عبد الرحمن بدوي اسم (الغربة الغربية) .

انه قد كتبها عما لم تذكره قصة حي بن يقظان لأبن سينا ،من (تلويحات تشير الى الطور الأعظم الذي هو الطامة الكبرى المخزون في الكتب الالهية المستودع في الرموز ،المخفي في قصة حي بن يقظان ،فهو الذي يترتب عليه مقامات الصوفية واصحاب المكاشفات)(١).

يسرد السهروردي هذه القصة بصيغة المتكلم، مثل ابن سينا ،ليصور لنا أنها قد جرت عليه ،مما يُضفي عليها جواً من الواقعية ، بيد أن مضمونها يدلها على قوةخيال القاص وبراعته في ابتكار الرموز الدالة على مايريد قوله، على الرغم من غموضها الشديد، كذلك ماتتميز به من وصف مثير لأجواء غريبة وصور غير مألوفة ،يضاف الى المقدرة الخيالية للكاتب.

يقول: إنه قد سافر مع أخيه (عاصم) من ديار ماوراء النهر، ليصيدا (من طيور ساحل لجة الخضراء)، فوقعا، فجأة، في مدينة القيروان (الظالم أهلها) ،حيث أحاط بهما قومها، بعد أن أحسوا أنهما (أولاد الشيخ المشهور بها دي بن أبي الخير الليماني) فقيدوهما بسلاسل وأغلال، وحبسوهما في قعر بئر لانهاية لمسلكها ،وكان فوق البئر قصر مشيد عليها ابراج عالية ،فقالوا لهما إنكما اذا أمسيتما تستطيعان صعود القصر، واذا اصبحتما فلا بد من العودة الى قعر البئر الحالكة الظلمة... وكانا ، كلما صعدا الى القصر، يأخذان بالنظر من فتحة، فربما تأتيهما حمامات من اليمن، أو ربما يشاهدان برقاً يومض من جهة نجد مما يزيد حنينهما الى الوطن.. وفي احدى صعداتهما رآهما الهدهد، فقال لهما انه يحمل من أبيهما رسالةيد عوهما فيها الى القدوم اليه، ويخبرهما بما ينبغي فعله ليصلا اليه. فشرعا في السفر يصحبهما الهدهد ، راكبين السفينة تجري بهم في الموج العالي ليصلوا الى طور سينا ،ثم انهم اغرقوا السفينة لكي لايستولي عليها أحدٌ سواهم.

ثم يأخذ في وصف مشاهد مثيرة شاهدها في طريقه، نحو: (ورأيت في الطريق جماجم عاد وثمود، وطفت في تلك الديار وهي خاوية على عروشها) (٢)، وقد مروا ،كذلك بمدينة يأجوج ومأجوج، ورأوا مارأوه من كواكب وأجرام علوية تعلم منها أشياء لم يفصح عنها، ثم انه قد رأى الغمام ينقشع ،والمشيمة تتمزق، ورأى الحوت.. فتوجه الى عين الحياة فرأى الصخرة العظيمة على قلة الطور الأعظم، فسأل عما رآه فأخذ احد الحيتان قائلا له: ان هذا الجبل هو طور سيناء والصخرة هي صومعة أبيك، وهؤلاء

---

(١) م.ن ١٣٥

(٢) حي بن يقظان لا بن سينا وابن طفيل والسهروردي ١٣٦ .

الحيتان وأنت من اب واحد، وقد وقع لهم شبه ماوقع لك، فهم أخوانك ،ثم انه عانقهم وفرح بهم؛ فصعدوا الى الجبل ورأى أباه الشيخ الكبير الذي تكاد السموات والأرض تنشق به من تجلي نوره ،فوقف أمامه تائهاً متحيراً منه، ثم سلم أبوه عليه، ثم سجد لأبيه ،محملقاً في نوره الساطع ،فبكى أمامه وشكى اليه من حبس القيروان، فأخبروه إنه قد تخلص ،ولكن لابد أن يرجع الى السجن الغربي ،غير أنه حزن لسماع هذا الخبر فتضرع الى ابيه طالباً الخلاص. غير أن اباه قال له: إن العود ضروري لك الان، ولكنك تستطيع أن تأتي هنا متى شئت وأنت متخلص من الاسر، تاركاً البلاد الغربية بأسرها مطلقاً ، مما أفرحه ،ثم انه قال له: إن هذا جبل طور سينا ،وفوقه (جبل طور سينا مسكن والدي(الذي هو أبو الجميع ولاجد له ،وكلنا عبيده (١).

إن الرمز في هذه القصة غامض جداً، مما جرّ الى تفسيرات عديدة،تبدو متناقضة(٢). بعضها ذو بعد فلسفي عميق (٣) ، وسنحاول استخلاص تفسير يأخذ من جميع تلك الاراء ، ولا ندعي اننا نبتكره ، بل هو يستند الى الآراء السابقة ، يكون منسجماً مع الذوق الادبي . إن أخاه (عاصم) رمز العقل الذي يعصم من يتبعه من ضلال الحواس والقيروان هي الدنيا ، ورحلتها اليها هو هبوط الانسان من الاعلى الى العالم الدنيوي والبئر المظلمة هي الحياة المظلمة التي تتحكم فيها الشهوات والغرائز ، والهدهد هو الالهام العقلي الذي هو من الله ، والرسالة التي حملها هي الشريعة الالهية ، أو هي الحكمة التي فيها النور الذي يكشف الظلام ، وفيها موعظة الى من يريد النجاة فعليه الا يني في السفر مبتعداً عن الشهوات ، وفي أثناء الرحلة الى الله تعالى راح الموج الذي يرمز الى هوى النفس ، يمنعهم من الوصول ، لكنهم واصلوا ، أما جماجم عاد وثمود فهي رمز الى الناس الذين هم صرعى شهواتهم وضحايا أهوائهم .. ثم أنه تغلب على هذه العقبات حتى وصل ، ان الحوت (رمز النفس الخيرة) قد دلته على مبتغاه ، أي أنه قد وصل الى درجة روحية كاشفة ، لكنه يعود أحياناً الى محبه أي الى بدنه وحسه حتى يسهل عليه الخروج منها والاتصال بالعالم الاعلى .

---

(١) انظر م.ن ١٣٥ – ١٣٨

(٢) انظر م.ن ١٣٥ – ١٣٨، والأدب المقارن ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٣) انظر شخصيات قلقة في الاسلام ١٢٥ – ١٢٨

لاندعي أن هذا هو أصح التفسيرات ، ذلك ان الادب الرمزي يحتمل أكثر من تأويل والبناء القصصي متماسك ، غير أنه موجز جداً ، لاسيما عندما يصف تلك الرحلة ، حيث تزدحم أمام القاريء صور ومشاهد مثيرة ، ومتشابكة ، مما أفقد القصة شيئاً من محاسن السرد الذي يسلسل الاحداث.. وتتميز هذه القصة بالخيال القوي حتى أنه يدخلك في أجواء غريبة .

وللسهروردي قصص رمزية أخرى (١) ، لاتقل غموضاً عن القصة المذكورة ، الا انها كتبت بالفارسية ، مما لايجعلنا ندخلها في هذا البحث .

وبعد ، فأن ماضمه هذا البحث ماهو الا محاولة لتحديد الملامح الرئيسة للتعبير الادبي عن الافكار الفلسفية ، عند العرب الذي يطلق عليه اسم الادب الفلسفي ، في النثر ، فقط ، ولاندعي قد شملنا النثر العربي كله به ، بل اننا حاولنا البحث عن الادب الفلسفي لدى الفلاسفة أنفسهم ، أو لدى أغلبهم ، وحسبنا ان هذا البحث محاولة .. أولا وأخيراً.

(١) انظر م٥٠ ١٣٦-١٥٦ ، واصول الفلسفة الشرقية عند السهروردي ١٨٩-١٩٢ .

فهرست المصادر والمراجع :

١ — آراء أهل المدينة الفاضلة . أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي . تحقيق : د. البير نصري نادر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٩ م .

٢ — ابن سينا ، تيسير شيخ الأرض ، أعلام الفكر العربي — ٢٢ . دار الشرق الجديد بيروت ، ط ١ ١٩٦٢ م .

٣ — ابن طفيل ، قضايا ومواقف ، مدني صالح ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م

٤ — أبو حيان التوحيدي ، د. احسان عباس ، دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت ١٩٥٦ م .

٥ — أبو حيان التوحيدي ، سيرته — آثاره . د. عبد الرزاق محي الدين — المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ١٩٧٩ م .

٦ — الاخلاق عند الغزالي ، د. زكي مبارك ، بيروت ، بلاتأريخ .

٧ — الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ، ط ٥ ، بلاتأريخ

٨ — الأشارات والتنبيهات ، أبو علي بن سينا ، تحقيق : د. سليمان دنيا ، ذخائر العرب — ٢٢ — دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .

٩ — اصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، د. محمد علي أبو ريان دار النهضة العربية للطباعة والنشر — بيروت ١٩٧٨ م .

١٠ — أعلام الفلسفة العربية . كمال اليازجي — بيروت ١٩٥٧ م .

١١ — افلاطون ، د. أحمد فؤاد الأهواني ، نوابغ الفكر العربي — ٥ — دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

١٢ — الامتاع والمؤانسة ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين : لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥٧ م .

١٣ — تأريخ الأدب العربي — ٥ — عصر الدول والأمارات ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر — القاهرة ١٩٨٠ م .

١٤ — تأريخ الأدب العربي — ٤ — العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، دار — المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٣ م .

١٥ — تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، أبو علي بن سينا ، مطبعة هندية بالموسكي . بمصر ١٩٠٨ م .

١٦ — ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، ١٩٥١ م .
١٧ — حي بن يقظان ، أبو بكر بن طفيل . قدم له وعلق عليه د — البير نصري نادر ، المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ط ١ ١٩٦٣م .
١٨ — حي بن يقظان . لابن طفيل الاندلسي . قدم له بدراسة وتحليل : د — جميل صليبا ود — كامل عياد . مطبعة جامعة دمشق . ١٩٦٢ م .
١٩ — حي بن يقظان . ابن طفيل. قدم له وحققه فاروق سعد . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط ١ ١٩٧٤م .
٢٠ — حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي ، تحقيق وتعليق . أحمد أمين . دار المعارف بمصر — القاهرة ١٩٥٢م .
٢١ — دراسات في تاريخ الفلسفة واثار رجالها . عبده الشمالي . دار صادر . بيروت ط ٤ -١٩٦٥م
٢٢ — ديوان ابن سينا . أخرجه د — حسين علي محفوظ . مطبعة الحيدري . طهران ١٩٥٧ م .
٢٣ — رسائل ابن سينا (٢) ، عني بنشره : حلمي ضيا أولكن . استانبول ١٩٥٣م.
٢٤ — رسائل ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية . تصحيح : ميكائيل بن يحيى المهرني مطبعة بريل ليدن ١٨٩٩ م .
٢٥ — رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء . تحقيق : بطرس ، البستاني — دار بيروت ، دار صادر . بيروت ١٩٥٧ م .
٢٦ — رسائل فلسفية ، أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي ، جمع وتصحيح : ب كراوس مطبعة بول باربيه — القاهرة — بلا تاريخ .
٢٧ — رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة. دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد . بمصر ١٩٥٠ م .
٢٨ — شخصيات قلقة في الاسلام ، دراسات الف بينها وترجمها عبد الرحمن بدوي دراسات اسلامية — ٣ — دار النهضة العربية . القاهرة . ط ، ٢ ، ١٩٦٤
٢٩ — شرح العقيدة الاصفهانية ، أبو العباس تقي الدين بن تيمية . تحقيق . حسنين محمد مخلوف . دار الكتب الحديثة — مصر ١٩٦٦ م

٣٠ — الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : علي متولي صالح . مكتبة مكتبة الاداب ومطبعتها ه ١٩٧٢ م .
٣١ — ظهر الاسلام ، أحمد أمين ، سلسلة أحمد أمين الاسلامية ، دار الكتاب العربي بيروت . ط ٥ ١٩٦٩ م .
٣٢ — طبقات الشافعية : تاج الدين أبو نصر السبكي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاه ١٩٦٦م .
٣٣ — عطار نامة: او كتاب فريد الدين العطار النيسابوري وكتابه «منطق الطير» احمد ناجي القيسي، مطبعة الارشاد، بغداد ط١ — ١٩٧٨م.
٣٤ — عيون الانباء في طبقات الأطباء، ابن ابي اصيبعة ،تحقيق وشرح :د. نزار رضا دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م .
٣٥ — فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية محمد صالح الزركان. دار الفكر بيروت — ١٩٦٣م .
٣٦ — فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان) تأليف وتحقيق : د. عبد الحليم محمود مكتبة الانجلو مصرية القاهرة بلا تاريخ.
٣٧ — فن المقالة د. محمد يوسف نجم دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٧م
٣٨ — الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف . مكتبة الدراسات الأدبية — ١٩ دار المعارف بمصر القاهرة ط٦ ١٩٧١م .
٣٩ — الفهرست. ابو الفرج بن النديم . تحقيق رضا تجدد طهران ١٩٧١م .
٤٠ — في الأدب الفلسفي، محمد شفيق شيا مؤسسة نوفل بيروت ١٩٨٠م .
٤١ — القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة بلا تاريخ.
٤٢ — الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا، بغداد من ٢٠ — ٢٨ — مارس ١٩٥٢ ص ٢٣٢ — ٢٤٥ النفس الانسانية عند ابن سينا د. البيرنصري نادر. جامعة الدول العربية الادارة الثقافية — مطبعة مصر — القاهرة ١٩٥٢م .
٤٣ — الكندي فيلسوف العرب — د. احمد فؤاد الأهواني اعلام العرب — ٢٦ — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة بلا تاريخ.
٤٤ — لسان العرب — ابن منظور .دار صادر ودار بيروت — بيروت ١٩٥٦م.
٤٥ — المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي — مطبعة السعادة — مصر ط١ ١٩٠٧م

٤٦ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي. سلسلة الموسوعات العربية دار المأمون مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه مصر. ١٩٣٦م.
٤٧ ـ المعجم الفلسفي د. جميل صليبا. دار الكاتب العربي بيروت ـ ١٩٧٣م.
٤٨ ـ مع الفيلسوف د. محمد ثابت الفندي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٤م .
٤٩ ـ المقابسات ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : محمد توفيق حسين ، مطبعة الارشاد بغداد ـ ١٩٧٠ م
٥٠ ـ مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ماوراء النهر . تحقيق : د. فتح الله خليف دار المشرق ـ بيروت ١٩٦٧م .
٥١ ـ من افلاطون الى ابن سينا . جميل صليبا . دار الاندلس . بيروت ط ٤ ١٩٥١م .
٥٢ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم . أبو الفرج بن الجوزي ـ مطبعة دار المعارف العثمانية ، بعاصمة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٥٩م .
٥٣ ـ الموسوعة الفلسفية . لجنة من العلماء والاكاديميين السوفيتيين .ترجمة سمير كرم . دار الطليعة ـ بيروت . ط ٣ ١٩٨١م .
٥٤ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة ،نقلها عن الانكليزية فؤاد كامل وآخرون الالف كتاب (٤٨١) مكتبة الانجلو مصرية ١٩٦٣م .
٥٥ ـ نظرية الادب . أوستن وارين ، ورينيه ويليك ، ترجمة محيي الدين صبحي مراجعة . د. حسام الخطيب . مطبعة خالد الطرابشي ـ دمشق ١٩٧٢م .
٥٦ ـ الهوامل والشوامل ، أبو حيان التوحيدي ومسكويه ، نشره أحمد أمين وأحمد صقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥١م .

الأتجاه القومي

في أدب علي أحمد باكثير

محمود جواد المشهداني
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

إن ماكتب عن الأديب الشاعر «علي أحمد باكثير» قليل جداً يبلغ حدّ الندرة ، مع أنّه علم من أعلام الأدب العربي الحديث له مكانته في مجالات الأدب ابداعاً وخلقاً . فهو الأديب (١) الجيد والشاعر المبدع ، والمسرحي البارع ، والقصصي الهادف ، وهو قبل ذلك كلّه العربي المناضل ، والمجاهد الصادق ، وآية ذلك ماألفه في كل هذه الفنون .

ونظراً لكونه من شعراء اليمن المعاصرين الذين لم يعرف ترجمة حياتهم أكثر القراء والمثقفين العرب ، لجأت الى كتابة ترجمة موجزة عن حياته في بداية البحث ، علماً بأن البحث قد إنصبّ على دراسة «الاتجاه القومي في أدبه» بصورة مفصلة وموسعة ، وباذن الله ستكون لي عودة اليه للكتابة عن جوانب أخرى من أدبه ، ولاسيما شعره المسرحي .

وقد تناولت في هذا البحث قضية إهتمامه الكبير باللغة العربية ودفاعه عنها ،ومتابعته لأحداث الوطن العربي ، ولاسيما قضية فلسطين ، وملاحقته للاحداث في مصر واليمن والعراق ، والأجزاء الأخرى من الوطن العربي .

وكلّي ثقة بأن يكون هذا البحث جديداً في بابه ،وإضافة الى تأريخ الأدب العربي المعاصر ، وخطوة على طريق التقارب الفكري بين أرجاء وطننا العربي ، وقد بذلت فيه ماأستطيع من جهد ، فإن أكن قد وفقت فذلك ما أسعى اليه ، وإن أكن قد قصّرت في بعض المواطن فتلك سنة الله في خلقه وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب .

(١) انظر من أدباء الاسلام المعاصرين ص ٩٠

حياته

فتح علي أحمد باكثير عينيه على نور الحياة «في بلد بعيد عن أرض العروبة، ولكنه قريب كل القرب من الاسلام»(١) حيث ولد في أندونيسيا في سورا بايا من أبوين عربيين سنة ١٩١٠ وأرسل الى حضرموت وهو صغير لينشأ في وطن آبائه على عادة الحضارمة في المهاجر (٢) ليتلقى ثقافته العربية في مدينة «سيئون» بحضرموت والتي تعد الآن من أكبر محافظات الشطر الجنوبي لليمن . وفي بلد الاباء والأجداد حفظ الكثير من القرآن الكريم ، وتلقى أصول العربية على بعض الشيوخ ، وقرأ الكثير من الشعر ، وتأثر به .

خاض باكثير تجربة الزواج في حضرموت مرتين ، وكان زواجه الأول مبكراً جداً ، وقصير الأجل ، قليل الأثر ، ولهذا لم يتحدث عنه باكثير على الاطلاق ، أما زواجه الثاني فهو زواجه الحقيقي حيث عده زواجه الأول ، وقد تمّ عن وعي وحب لفتاة أسمها «نور» لكن هذا النور إنطفأ بالموت السريع لحياة زوجية قصيرة ، وأسدل ستاره سنة ١٩٣٢ م .

وكانت ثمرة هذا الزواج طفلة تدعى «خديجة» ماتت هي أيضاً غرقاً في بركة ماء بعد وصول والدها الى مصر بشهور سنة ١٩٣٤ ، وقد جاوزت الثالثة من عمرها (٣) .

غادر باكثير «حضرموت» بعد وفاة زوجه ، وتوجه صوب «عدن» ليبعد عن نفسه الأحساس بالغربة، وليعالج جراحات قلبه الا أنه لم يستطع أن يعالج ماهو فيه من وحشة وانكسار في القلب ، وبعد أن طوف في الحبشة والصومال أحس «أن أحزانه لن تهدأ وان جروحه لن تشفى الا حين يغرق نفسه اغراقاً في هذا الجو الروحي الذي يزدحم في مكة ، ويتألق في المدينة ، ويزدهر في الطائف، ويهوم في كل الجزيرة العربية»(٤) .

وفي عام ١٩٣٤ رحل باكثير الى جمهورية مصر العربية والتحق بكلية الاداب قسم اللغة الانجليزية في جامعة فؤاد سابقاً ونال الليسانس فيها سنة ١٩٣٩ ثم دخل معهد التربية للمعلمين وتخرج فيه سنة ١٩٤٠ . وفي السنة نفسها عين مدرساً في مدرسة الرشاد الثانوية

---

(١) حوليات كلية الاداب / جامعة الكويت ص ٩
(٢) انظر شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٢٧
(٣) انظر جريدة القبس الكويتية عدد ٣٢٣٥ في ١٦/٥/٩٨١
(٤) حوليات مجلة كلية الاداب / الكويت ص ١٢

بالمنصورة ، واستمر يشتغل بالتدريس حوالي أربعة عشر عاماً قضى منها سبعة بالمنصورة وسبعة بالقاهرة ثم نقل الى مصلحة الفنون قسم الرقابة على المصنفات الفنية في وزارة الثقافة . وكان عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب في مصر.

وحينما صدر قانون التفرغ كان باكثير أول أديب نال منحة التفرغ لكتابة ملحمة مسرحية عن عمر بن الخطاب (رض) . وكان قبل ذلك قد تزوج من سيدة مصرية (١).

وفي سنة ١٩٥٤ سافر الى فرنسا في بعثة دراسية . وكان عضواً في الوفد المصري الذي زار رومانيا والاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٦ بدعوة من اتحاد كتاب القطرين المذكورين ، وفي سنة ١٩٥٨ مثل مصر أيضاً في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الأول المنعقد في طاشقند(٢).

وبعد أن قضى باكثير ردحاً من الزمن موظفاً في وزارة الثقافة أصبح مدير المكتب الفني للرقابة على المصنفات الفنية ، واستمر في عمله هذا حتّى فقدته العروبة في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩٦٩ بعد رحلة ثرية سار فيها على الشوك ليثمر لنا الورود التي لاتفنى مع الدهور (٣) .

رحم الله باكثير فقد «أعطى ولم يأخذ .. وظلم ولم يظلم . مع أنه عاش أعواماً نحسات لم يجب فيها أحد دعاءه ، ولم يكشف إنسان السوء الواقع به» (٤) .

(١) انظر شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٢٧
(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٧
(٣) المصدر نفسه ص٢٢٧
(٤) حوليات مجلة كليه الآداب/ الكويت ص ٤٧

اهتمامه باللغة العربية ودفاعـه عنهـا

إنّ ممّا يؤكد اصالة عروبة باكثير هو إهتمامه العظيم باللغة العربية ودفاعه عنها ، «وكان يرى أننا كما نتكلم اللغة فانها هي الاخرى تتكلمنا » (١) . ولقد كان يردد دائماً حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم «من يحسن أن يتكلم العربية فلا يتكلم بالعجمة ، فإنها تورث النفاق» .

ويرى باكثير أن اللغة العربية هي دعامة كبرى من دعائم الوحدة العربية ، وقد نافح دونها (٢) ماوسعه الجهد ، وأسعفه اللسان ، والتزمها في مؤلفاته جميعاً حتّى ماكان منها في الفكاهة ، وكان يرى أن الآفة ليست آفه اللغة وإنّما النّاس آفة اللغة ، وانهم إبتدعوا بدعة خبيثة بتقسيم اللغة لغة خاصة ولغةّ عامةّ لينقلوا بذلك معنى الطبقية اليها وهم يريدون أن يدمروا ماضياً فيجعلوه ركاماً يسد أمامنا الطريق فيشلوا حاضرنا ويبلبلوا مستقبلنا.

وكان يرى في العامية مسخاً يصدع الرؤوس والقلوب والأسماع فتصبح الأمة مجردة من الأدوات التي تحرك العواطف وتنبه الخواطر ، وتذكي العقول ، وتلهب المشاعر والأحاسيس ، وتثير أشرف مافي النفس الانسانية من حمية تنافح عن أمتها اذ جدّ الجدّ وكان يرى كلما اشتد الهجوم المسعور على اللغة من الخارج ومن الداخل أنه إنما يراد بذلك القضاء على العروبة ووأد الوحدة العربية ، وقد بذل في سبيل الحفاظ على اللغة العربية وتراثها المجيد الكثير من الجهد والجهاد .

ولعل من الأمور التي تؤيد إهتمامه الكبير باللغة العربية وحرصه عليها هي إستهلاله قصصه ومسرحياته بآيات من القرآن الكريم تتسق في هدفها مع مضمون قصته أو مسرحيته فهو في «سلامة القس» يستهلها بقوله تعالى «ولقد همّت به وهـمّ بها لولا ان رأى برهان ربه» (٣) وفي مسرحيته «همام أو في عاصمة الاحقاف» يقدمها بقوله جل شأنه« واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف» (٤) وفي «الفرعون الموعود» يجعل شعارها قوله تعالى «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» (٥) وهكذا اذا تتبعنا قصصه ومسرحياته وجدناه يقدم لها بآيات من القرآن الكريم .

(١) حوليات مجلة كلية الآداب/ الكويت ص ٣٥
(٢) أنظر من أدباء الاسلام المعاصرين ص ١٠٠
(٣) سورة يوسف ص ٢٤
(٤) سورة الاحقاف اية ٢١
(٥) سورة الشمس آية ٧

وحينما كان طالباً في كلية الآداب بجامعة القاهرة حاول أحد الأساتذة الانجليز أن ينتقص من اللغة العربية خلال إلقائه المحاضرة بقوله ان لاوجود للشعر المرسل في اللغة العربية ولا يمكن أن ينجح فيها ، وأن اللغة الانجليزية إختصت بالبراعة فيه والتفوق على سائر اللغات، فما كان من شاعرنا باكثير إلاّ أن اعترض عليه قائلا: «أمّا أنه لاوجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية. ولكن ليس هناك مايحول دون ايجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . فاكتفى بأن أعرض عنّي وشعرت عندئذ بأن علي ان اتحدى هذا الزعم وأدحضه بالبرهان العملي، وانصرفت من الدرس ورأيت أن خير ماأبدأ به هو آن أترجم فصلا من شكسبير على هذه الطريقة.» (١) ومن ثمّ فقد كتب مسرحية « أخناتون ونفرتيتي» بعدما إنكشف له أن البحور التي تصلح لهذا الضرب من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة ومن تلك الابحر الكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل.

وقارىء مقدمة مسرحيته «أخناتون ونفرتيتي» يجده يحرص على أن يطل على القراء بعروبته الأصيلة وإعتزازه بها فيقول «أردت بها أن أسجل مجداً من أمجاد هذا الشرق العربي في تاريخه القديم وأصور شخصية عظيمة رائعة عاشت تحت سماء وادي النيل العزيز قبل زهاء ثلاثة وثلاثين قرناً وقامت بجهاد روحي نبيل ورسالة فكرية سامية يشهدان بأن هذا الجزء من الأرض «الوطن العربي» اليوم لم يزل منذ الازمنة الموغلة في القدم مهد الرسالات الانسانية العظمى ومطلع شموس الفكر والحضارة والعرفان اولحكمة والبيان» (٢) .

ويهمنا من هذا كله أن باكثير «يؤمن بطاقات اللغة العربية ، وانها ليست عنده مجرد أداة للتعبير ، ولكنها معجزة قومه ، ولسانهم ، والقوة التي تستطيع أن تجمع الناس من الشتات ، فهي في الاساس لغة منزلة ، ونصيب الناس فيها مشاهد ، ومن هنا فهي لغة لايحكم عليها بالقصور في جانب من الجوانب فالقصور في القوم لا في اللغة » (٣).

ومن هنا يمكن القول بأن شعر باكثير يموج فخراً باللغة العربية من ذلك قوله .

ثمانون مليوناً يباهون كلهم ... بخير لغات الارض والذكر شاهد

(١) فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص ٥

(٢) مقدمة مسرحية «اخناتون ونفرتيتي» ص١١

(٣) حوليات كلية الاداب ، الكويت ص ٣٦ .

«الا كــل شيء ما خلا الله باطـــــل» الا كــل شـــيء ماخلا العرب بائد

كما أنه لايجري الزهو بالعربية على لسان العرب، وانما يجريه على لسان(ليليان)(١) في قصيدته الحوارية الكبيرة «قصة صفي وليليان» فهي تقول :

لاتحاول مثــل القــديم خــداعــي انــي اليــوم قــد عرفت الصـــوابا
قــد درست التاريخ فصـــلا ففصـــلا ثم فقه اللغـــات بـــابـا فبـــابـا
لــم أجد في الشعوب كالعرب أخـــلا قا . وفضـــلا ، وهمـــة واحتسابـا
لا ولا في اللغـــات كالضـــاد حسنـا وكمالا ، وروعـــــة ، وشبابـــاً
هــي أم اللغات لايـــذكر الـــدهر صباها ومـــا تـــزال كعاباً (٢)

ومما تجدر الاشارة اليه بعد أن وضحت موقف باكثير من اللغة العربية وإهتمامه بهـا أنه قال الشعر وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وإستمر يصب جل اهتمامه عليه مطالعة ونظماً ، وانه لم يترك ديواناً للاقدمين وقع تحت يديه إلا قرأه وكان مثله الأعلى في الشعراء الأقدمين المتنبي ، وفي الشعراء المحدثين شوقي .

ويرى الدكتور سعد مصلوح أن باكثير يعد إمام المجددين في الشعر العربي ، فهو يقول «والشاعر الوحيد الذي استخدم بحراً واحداً في العمل كله مع عدم الانتظام في طول الأبيات هو علي أحمد باكثير ، فبعد تجاربه مع النظم المرسل المنطلق والنظم الحر في ترجمته لمسرحية شكسبير «روميو وجوليت»إنتهى باكثير إلى ان طريقة البيت ذي الشطرين والعدد التقليدي الملتزم من التفعيلات ، وطريقة مزج البحور ليست بالتكنيك المثالــي للمسرحية ؛ ومن ثم فقد استخدم في أول مسرحياته(اخناتون ونفرتيتي) بحراً واحداً فقط هو بحر المتقارب بعدد غير منتظم من التفعيلات في كل بيت . ومع ذلك ظل يطلق عـلى هذه الطريقة من النظم اسم الشعر المرسل وذلك لأنه لم يحتفظ بالقافية . وبهذا سبـــق باكثير الشاعرة العراقية نازك الملائكة والمرحوم بدر شاكر السياب اللذين لم ينشرا قصائد تعتمد على عدم الانتظام في طول الأبيات والتقفيه إلا في عام ١٩٤٧» (٣) .

---

(١) عن كتاب شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٣
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٤ .
(٣) حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ص١٢٧
وانظر كذلك كتاب الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور د. جلال الخياط ص١١٩.

فلسطين في أدب باكثير

كان لقضية فلسطين حصة الأسد في أدب علي أحمد باكثير حتّى بلغ معها إلى مصاف الشعراء الفلسطينيين الذين وقفوا حياتهم دفاعاً عن القضية وفداء لتحرير الأرض السليبة. وقد أرهقه وهزّ كيانه ما فكر ورأى في قضية فلسطين فاذا به يكتب لنا مسرحية ثلاثية هي مسرحية «إله إسرائيل» التي إستوعبت هذه القضية من أقدم عصورها إلى أن إنتهت بالحركة الصهيونية في العصر الحديث ، وقد إستطاع أن يكشف عمّا تضمره هذه الحركة من عداء لبني البشر عامة ، ومن سعي لتحطيم قواهم المعنوية وإمتصاص قواهم المادية، وقد جسّد باكثير هذه المعاني جميعاً في الصراع الطويل بين الأنبياء عليهم السلام وإبليس ومعه بنو إسرائيل .

وكان من أوائل الكتاب العرب الذين إهتموا بقضية فلسطين حيث نشر عام ١٩٤٥ مسرحية (شيلوك الجديد) وتنبّأ فيها بقيام دولة اليهود في فلسطين ، وطالب الأمة العربية بمقاطعتها إقتصاديّاً لوأدها في مهدها إلاّ أن دعوته هذه لم تجد الأذن الصاغية لسماعها ثم كتب بعد ذلك مسرحية (شعب الله المختار) وبيّن فيها ما تفشى من إنحلال وفساد في الدولة اللقيطة ، وكيف تستطيع الأمة أن تقضي عليها ،وأخيراً كانت مسرحيته العملاقة بعد النكسة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ بعنوان (التوراة الضائعة) وقد كان يرى «أن قضية فلسطين تنتظر العمل الأدبي الذي يتكافأ مع خطرها العظيم وعنده أنه من الطبيعي — وهو لا يؤمن بالفصل بين العاطفة والعقل في الأعمال الأدبية — ان تركز الأعمال الشعرية في قضية فلسطين على العاطفة لأن أولئك الشعراء يصفون الجراح الغائرة التي في قلوبهم والرسالة التي يحملها هؤلاء الشعراء هي أن يعمقوا إحساس الأمة بالمأساة ويذكروها بأنها قضية حياة أو موت أي «قضية مصير » (١) .

ويلجأ باكثير إلى الشعر ليؤجج مشاعر العرب ، ويلهب الحماس في قلوبهم نحو قضيتهم الكبرى قضية فلسطين ، ولهذا نجده في هذه المقطوعة الشعرية يحزن لواقع الحال التي تعيشها الأمة «ويصرخ صراخاً حاداً يندر وجود مثله في الشعر الحديث» (١)

يا بني الشام والعراق ولبنا ن ونجد .. أليس فيكم رشيد ؟
أين أنتم لا درّ درّ أبيكم هل لكم في الزمان بعد وجود؟

(١) حوليات كلية الآداب/ الكويت ص٢٧

ليت شعري – ما خطبه – أين أنتم ... أقصور تضمكم أم لحود ؟
عرب أنتم ؟ كذبتم ! كذبتم ... إنّما أنتمو يهود . يهود
أمن المسلمين أنتم كذبتم ... إنما أنتموا يهود . يهود
لتمنيتُ لو نميت إلى الزنج ... ومارمت بي إليكم جدود
يامسوخ الرجال ! ياسبة الأجيال ... موتوا على الهوان وبيدوا
إذهبوا للجحيم تطهر بلاد الضاد منكـ ... ـم . ويأتِ خلق جديد
لعنات من السماء عليكم ... تحتويها صواعق ورعود
إن أصلاب يعرب لبراء ... منكم أيها العبيد . العبيد (١)

ويدعو أمته الى الاقتداء بـ (صلاح الدين الأيوبي) ، واللجوء الى القوة في مقارعة الصهيونية وأعداء الأمة ، وترك الخطب والأقوال التي لاتؤدي الى تحرير الأرض من أدناس الصهاينة المجرمّين .

لاقول بعد اليوم يافلسطين ... لكن فعال كفعال حطين
هذا صلاح الدين من سمائك ... يستنفر العرب الى ميدانك
وأينا يُدعى فلا يجيب ... صوت صلاح الدين إذ يهيب ؟
كفى كفى قولا كفى كفى ... هذي بلاد يعرب على شفا
لامصر تبقى ولا العراق ... ان طار من يميننا البراق
..وانما صهيون ملكٌ من ورق ... إن مسّه عزيمة العرب إحترق(٢)

ويحز في نفسه أن يرى المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى يدنسه أوباش الأرض وأرجاس الخليقة ، ويتألم للحالة المزرية التي وصل إليها هذا الجزء من الامة العربية ،أسمعه يقول : –

فلسطين – ياأعظم المصاب – إستحلها ... مناكيد من رجس الخليقة أشرار
كسا المسجد الاقصى اليوم ذلة ... وعاث بآثار النبيين فجار
وأجلى أهلوها فأضحوا يروعهم ... شقاء وتشريد وذل وإعسار
أذل شعوب الأرض صار لهم بها ... كيان وسلطان وطبل ومزمار
فإن لم يعنها المسلمون بنجدة ... صلاحية تروي لها الدهر أخبار

(١) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب/ الكويت ص٢٧ وشعراء اليمن المعاصرون ص ٢٥٤
(٢) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب/ الكويت ص ٣٢

يعود بها الحق الصريح لأهله   وتمحى خطيئات وتغفر أوزار
فلن يرتجى للمسلمين كرامة   وان ينمحي عنهم الى الأبد العار (١)

ويطالب القادة العرب بكشف الخونة والعملاء من زعماء الأمة ، الذين طالبوا بعقد صلح مع الكيان الصهيوني والأعتراف به . فيقول :

ياقادة العرب لاتخفوا المصاب سدى   هيّا إبتروا ذلك العضو الذي فسدا
القيحُ والدودُ فيه ، لاشفاء له   لاتتركوه يُعلّ الروح والجسدا
هيّا اقطعوه وألقوه علانية   في وجه صهيون رجساً خالداً أبدا
رجساً إلى رجسه لافرق بينهما   لتطوينهما نار الجحيم غدا
قد جاء في الذكر ملعوناً أبو لهب   وكان في هاشم أعلى الرجال يدا (٢)

ولم ييأس باكثير مما أصيبت به الأمة العربية من هزائم في معاركها مع العدوّ الصهيوني ومع أنه كان يتمزق جسدياً ونفسياً لما حلّ بالعرب ، إلاّ أنه لم يفقد الثقة أبدا فيهم حتى في أوقات السقوط ، وما بعد السقوط ! (٣) وها هو يقول في مطولته بعد حرب عام ١٩٦٧

المسلمون إنهزموا يوم حنين وأحد
في غفلة بالمسلمين وإغترار بالعدد
والمصطفى يذود عنهم ويصول كالأسد
هل ضعف الاسلام من بعد حنين وأحد
وأنجز الرحمن ما وعد
وآنتشر الهدى !؟
ليفعل اليهود ماشاء الحرب
ليضربونا بالعمد
وليشربوا من دمنا وليأكلوا منّا الكبد
فلن نقول غير ماقال(بلال) وهو في الرمضاء
مضروب الجسد
هيهات أن نخضع أو نرتعد

(١) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب/ الكويت ص ٣٦
(٢) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٤٨
(٣) حوليات كلية الآداب /الكويت ص ٢٩

إمّا نكون أبدا
أو لانكون أبدا
غداً وما أدنى غداً لو تعلمون
إمّا نكون أبدا أو لانكون (١)

لقد تابع هذه المشكلة الخطيرة منذ بدايتها واقفاً عند أحداثها الكبرى ومنحنياتها الخطيرة لدرجة تجعل أدبه فيها سجلا تاريخيا لهذه القضية ينبع من داخل وجدان عربي يغار على ارض العرب ومقدساتهم التي دنسها اليهود ، واغتصبوها عنوة بعد أن شردوا أهلها في الآفاق تتقاذفهم الأرض وتهلكهم الأيام .

(.. ومهما يكن من شيء فباكثير كان أقوى صوت غنّى للعرب ، وآمن بقدرتهم حتى حين سقط الظلام على الظهيرة ، وحين تشكك الذين لم يسبق أن خطر الشك على صحيفة أنفسهم ،إن العروبة لم تكن موقفاً من مواقف باكثير ولكنها كانت باكثير نفسه(٢).

(١) من شعره المنشور في حوليات مجلة كلية الآداب ص ٢٩
(٢) حوليات كلية الآداب/ الكويت ص ٣٠

مصر في أدب
علي أحمد باكثير

أحبَّ باكثير مصر حبّاً فاق حبّ المحب لمن أحب ، وكانت لها مكانة كبيرة في قلبه ولهذا اثرها على بلده «حضرموت» وأقام فيها طويلا بعد أن «أصيب بشرخ عاطفي كسر قلبه ، وأفقده توازنه حين فقد زوجه الشابة في «حضرموت» بالموت بعد داء وبيل» (١) ، وكان هذا الحدث هو الذي جعله يؤثر الاستقرار في مصر ، ولاسيما اذا ماعلمنا أن من الأمنيات التي كان يتمنّاها في شبابه هي الهجرة اليها . اسمعه يقول :

سأرحل من بلاد ضقت فيها   تلازمني بها أبداً شحوب
وأعبر مصر حيث العلم حيث   الحضارة حيث يحترم الأديب
وحيث الشعر خفاق لواه   وحيث الضاد مرعاها خصيب(٢)

لقد كان لمصر نصيب عظيم في أدبه ، فهو لم يتناولها في قصيدة أو قصيدتين ، وإنّما واكب أحداثها في معظم المسرحيات التي كتبها أو القصائد التي نظمها . ففي مقدمة ، مسرحيته الشعرية «أخناتون ونفرتيتي» يتحدث عن مكانة مصر ، ودورها في قيادة الأمة العربية فيقول : «ولعلنا أبناء العرب نتعظّ فيما نتّعظ به من أحداث تأريخنا الأكبر وسير رجاله وأبطاله بحياة جدنا هذا العظيم وما اصابه في جهاده من نجاح ومن إخفاق فنتعلّق بأسباب الأول ونتقي مهاوي الثاني ، نزداد في الوقت ايماناً بوحدتنا الكبرى تحت زعامة مصر الناهضة ، موئل الفصحى وملتقى آمال العرب» (٣).

وفي قصته «واسلاماه» يجلو لنا صفحة رائعة من صفحات التأريخ المصري في عهد من أخصب عهوده وأحفلها بالحوادث الكبرى ، والعبر الجلى يطل منها القاريء على المجتمع العربي وهو يستيقظ من سباته الطويل على صليل سيوف المغيرين عليه من تتار الشرق وصليبيي الغرب فيهب للكفاح والجهاد والدفاع عن أنفس ماعنده من تراث الدين والدنيا ويشاء الله أن تحمل مصر لواء الزعامة في هذا الجهاد الكبير فتحمي تراث الأمة العظيم بيومين من أيامها عظيمين كلاهما له مابعده يرم الصليبين في فارسكور ويوم التتار في عين جالوت (٤) .

---

(١) صحيفة القبس الكويتية عدد ٣٢٣٦

(٢) نفس المصدر عدد ٣٢٣٧

(٣) اخناتون ونفريتي ص١٢

(٤) مقدمة قصة واسلاماه ص٧

ثم نرى باكثير يؤكد كرهه وحقده للاستعمار الانجليزي من خلال مسرحيته (مسمار جحا) و (امبراطورية في المزاد) ، ولاسيما بعد أن استغل الانجليز قناة السويس قبل ثورة يوليو (تموز) عام ٩٥٢ فكان يكتب ساخراً تارة وجاداً أخرى وفي الحالتين يلقي على هذا الاستعمار البغيض شواظاً من نار لأنه يحس إحساساً عميقاً أنه بذلك يذود عن عروبته . فان المستعمر المعتدي الباغي لايستهدف إلاّ القضاء على العروبة وحاملي لوائها .

ويرى باكثير أن مصير الوطن العربي مرتبط إرتباطاً كليّاً بمصر ، فاذا ما عزّ موئلها وعلا شأنها إنعكس هذا على الوطن العربي كله . اسمعه يقول

فاذا الكنانة عزّ موئلها عزّت بها من يعرب الدول (١)

ولعل ممّا يؤكد ما ذهبنا إليه قوله أيضاً :

هناك تبلغ مصر أوج عزتها ويشمخ العلم المصري خفاقا
وتجمع العرب والاسلام في نسق وتنشر العدل بين الناس مشتاقا (٢)

ونجده يتحدث عن الوحدة بين مصر والسودان ، ويرى في هذه الوحدة عزّة العرب ، وإعادة ماضيها المجيد ، ويتهم من يرم فصلهما بالضلالة والغواية ، وهذا ما قاله في وقت مبكر :

نت والسودان قطر عربي واحد والتاج تاج علوي
من يَرُمْ فصلكما فهو غوي فصل ما قد وحد الله العلي
ما لمخلوق به الدهر يدان
دون هذا أمة العرب تبيد يهلك الطارف منها والتليد
فرويداً أيها الباغي العنيد بطل الكيد الذي كنت تكيد

مصر والسودان لا ينفصلان (٣)

وتحدّث عن شخصيات مصر الوطنية ، والدور الذي قامت به في تأجيج مشاعر المصريين ، ويظهر ذلك في قصيدته التي خص بها الدكتور أحمد ماهر ، ومنها قوله :

هنالك أحمد هز اللواء وصال وجال بميدانها

(١) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٥
(٢) حوليات كلية الآداب/ الكويت ص ٢٢
(٣) حوليات كلية الآداب /الكويت ص ٢٢

ومصر تباركه في الجهاد وتزهو بفارس فرسانها
وما مصر إلاّ ملاك العروبة في عزها عز أوطانها

وفيها أيضاً يقول :

إذا استعرضت مصر أقطابها فسيد أقطابها ماهر (١)

وحينما قامت ثورة تموز (يوليو) عام ٩٥٢ وقف باكثير مع الثورة وقادتها محيّيا إياها بالنصر العظيم ، ومهنئاً الشعب والجيش بقضائهما على الخونة والعملاء ، وازالة الوجود الاجنبي من البلاد إسمعه يقول :

حيّ جمهوريةً كالشمس بل أسنى وأبهر
ولدتها ثورة مثل الندى بل هي أطهر
قادها جيش كحد السيف بل أمضى وأظهر
حاطه بالنصر والتأييد شعب ليس يقهر
قاوم البغي قديماً ، وعلى القيد تكبر !
هو للشعب وبالشعب من الشعب مؤمر
عهده من سنّة (الصديق) لاسنة «قيصر»
يخدم الشعب ويعليه ويدعو «الله اكبر»(٢)

وفي قصيدته الرائعة التي رثى فيها (محمود سامي البارودي) «يطيل فيها الحديث عن وحدة العرب ولغتهم » ، ثم يختم قصيدته على لسان البارودي قائلا :

وددتُ لو أني عدت للأرض بينكم لتشهد محيا أمة العرب أجفاني
لأحمل سيفي في طليعة جيشها بأرض عمان أو بأنحاء وهران
لعلي إذا فارق العز أمتي تفارقني ذكرى هواني بسيلان
.. متى ظفرت بالعز أقطار يعرب جميعاً فعندي الخلد والأرض سيان(٣)

ويثني في قصيدته «بني العرب» على مصر وجيشها العظيم في الذود عن حياض الأمة وعزتها وكرامتها ، ويصب جام غضبه على بعض الحكام العرب الذين خانوا أمتهم ، ووقفوا وقفة المتفرج من معارك الأمة العربية مع أعدائها من صهاينة ومستعمرين

(١) نفس المصدر ص ٢٢ .
(٢) من شعره المنشور في حوليات مجلة كلية الآداب/ الكويت ص ٢٣
(٣) من شعره المنشور في حوليات مجلة كلية الآداب الكويت ص ٢٣

وفي هذا يقول :

يابني العرب ، يابني العرب لا أسمع غير الصدى إليّ يعود
أين أنتم لادر در أبيكم أقصور تضمكم أم لحود ؟
أتركتم جيش الكنانة يحمي دونكم وحده وعنكم يذوذ ؟
ايه يامصر لايذل لك الدهر لواء ولا يفل حديد
أنت أنت الرجاء حين طغى اليأس علينا والهم والتسهيد (١)

ويقول أيضاً

ياقوة الظلم استبدي، واغشمي، وتحكمي
فستعلمين غدا من الأنباء مالم تعلمي
وستندمين على خطاك . ولات ساعة مندم
إذ ينهض الجبار من إقعائه والمجثم
يرمي برأس في (كنانة مصر) صوب الأنجم (٢)

ولعل ممّا يحمد عليه باكثير أنه وقف كالطود الشامخ بوجه دعاة الاقليمية ، ولاسيما الشعراء الذين حاولوا تأصيل النظرة التي تدعو الى فصل مصر عن بقية أجزاء الوطن العربي فحين كتب الشاعر المصري (كمال عبد الحليم) قصيدته التي بعنوان (رقصة مقدسة) والتي يقول فيها :

كيف تدعوني إلى رقصتنا أنا لا أملك ساقاً ثانية
أفلا تذكر من قصتنا هذه الساق ، وحرباً دامية
يوم عاشت في سماء القاهرة وسمائي وشبابي طائرة
لم أفق إلاّ على عكازة ودموع كاليتامى حائرة (٣)

نجد باكثير يسفه آراء ومفاهيم هذا الشاعر ، ويتحدث عن أمجاد الأمة وماضيها المجيد ، وتآمر الغرب والشرق على هذه الأمة ، ويفند مزاعمه وأقاويله الداعية إلى الهزيمة واليأس إذْ يقول :

لست أدعوك إلى رقصتنا نحن لا ندعو إليها الضعفاء
أنت لا تذكر من قصتنا يوم كنا نملأ الدنيا ضياء

(١) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٤٣
(٢) حوليات كلية الآداب/ الكويت ص ٢٥
(٣) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب/ الكويت ص٢٤

لا ولا يعنيك يوم إتحدت   كتلتا السوفيت والغرب علينا
ساقتا «الرجس» إلى محرابنا   بفلسطين ليغزو عنصرينا
ثم يبني امبراطورية   من ربى النيل إلى اعلى الفرات
حلم للرجس وما أهوله   أن بقينا في سبات وشتات
كيف أدعوك إلى رقصتنا   رقصة الأبطال للثأر المقدس ؟
والذي يعنيك من قصتنا   هو أن نلعق بلوانا ونيأس
نقبل الذل قبول الراغبينا   ونشيع اليأس فينا والأنينا
لم لا ؟ أسلام العالمينا   سوف يودي إن وثبنا ثائرين!(١)

ويستمر باكثير في تعنيف وزجر هذا الشاعر المتخاذل المهزوم ، وكيف سمح لنفسه بالدعوة إلى السلام والصفح عن أولئك الذين سرقوا الأرض ، ودنسوا العرض ، وانتهكوا الحرمات ، ويبين له أن ما أصابه من أذى بقطع ساقه لا يساوي ولا ينسجم مع هذا الذل ، والتنازل الذي يدعو اليه ، ويتمنى باكثير لو أنه يمتلك مليون ساق ثم تُقطع الواحدة تلو الأخرى في سبيل النصر والكرامة لأمته . وفي هذا يقول :

أيها الهائم في وادي الخيال   لم تضع ساقك بل ضاع وجودك
تتغنى اليوم بالسلم المحال   شدّ ما يدعو إلى الموت نشيدك!
لست أدعوك إلى رقصتنا   رقصة الموت إلى وادي الحياة
رقصة تفضل في شرعتنا   وقفة الخاشع في قدس الصلاة
أيها الباكي على ساقك مهلكْ   قبل أن تقطع كانت زائفة!
أنا أيضاً تلفت ساقي مثلكْ   غير أني لست أبكي التالفة
في سبيل الله من أجل بلادي   جُدْت بالأولى وبالأخرى أجود
دون أن أفسد بالمن جهادي   أنا لله .... ولله أعود !
ليت لي مليون ساق جيدة   أنبرى رقصا بها في المعمعة
ثم لاتسلم منها واحدة   لترى نعشي .... والنصر معه(٢)

(١) من شعره المنشور في مجلة كلية الآداب/ الكويت ص ٢٤
والبيت لم لا ؟ أسلام العالمينا – سوف يودي إن وثبنا ثائرينا (كذا في الأصل) مختل
(٢) من شعره المنشور في مجلة كلية الآداب/ الكويت ص٢٥

والمتأمل في شعر باكثير يجده دائماً يتحدث عن اصالة عروبة مصر ، فهي رجاء العرب وأملهم المشرق .

صلوات الله يامصر عليك وتحيات ملايين القلوب
كلها ينبض تحناناً اليك ويفديك على رغم الخطوب
يارجاء العرب من قاص ودان
جمعتهم روضة فيك ندية أينعت فيها الأماني العربية
وزكا فيها غراس العبقرية ياابنة المجد وأم المدنية
مالنا غير أمانيك أماني (١)

كما يرى ان مصر هي الأمل والرجاء لهذه الأمة التي إبتلاها الله سبحانه وتعالى بأعداء كثيرين . لنقرأ قوله :

ايه يامصر لايذل لك الدهر لواء ولا يفل حديد
أنت أنت الرجاء حين طغى اليأس علينا والهم والتسهيد
الأعادي شتى ! خنازير حمر ومن العالم الجديد قرود
وكلاب من كل قوم وقطر جمعتهم الى اليهود النقود
اعملي في رقابها السيف ينسخ زور صهيون سيفك المجرود
والبغي العجوز لاتغفلي يا مصر عنها فهي العدو اللدود
.. لؤمت أنفس وشاهت وجوه ومحياك ناصع ومجيد (٢)!

إن حبّ باكثير لمصر ، وعشقه لها ، وتفضيلها على ماسواها دفعه الى أن يتمنى أن يموت فيها ، ويدفن في ارضها الطيبة ، وقد تحقق له مايريده . والأبيات الآتية تؤكد ماذهبنا اليه . فهو يقول :

من يرى مصر ولا يعشق مصرا جنة في الأرض للرحمن أخرى
وترى في كل شبر منه ذكرى كبدي من حب مصر الدهر حرى
ماشفاها ماتعب الشفتان
أنا أهوى الصخر ملقى في ثراك وأحب السحب تسري في سماك
وأرى موتي حياة في رضاك لااللين أو نعيم في حماك

---

(١) نفس المصدر .

(٢) من شعره المنشور في مجلة كلية الآداب/ الكويت ص ٢٦

بــل لتــاريــخ وديـــن وبيـــان

آه يـــــامصـــــر أحبـــك!

ليــت شعــري أن يحــن فيــك حمامي ترتــوي مـن حبـك العـذب عظامي!

أم يظـل الـدهـر لهفـي وأوامـــي آه إن طــال بواديـك منــامــي

هــل تضمّيـــن رفــاتي بحنـــان

آه يامصـــر أحبــك (١)

(١) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب / الكويت ص ٢٦

حضرموت في أدب باكثير

حضرموت بلد عربي ، وشعبه شعب عربي صميم تجري في عروقه دماء قريش وهمدان وحمير وكندة ، وهي الآن جزء من اليمن الجنوبي ، وأديبنا باكثير من أبناء هذا البلد العربي العريق ، وفي السنوات الأولى من شبابه وبالتحديد عام ١٩٣٢ عاش معاناة بلده بكل مشاعره وأحاسيسه ، وتظهر هذه المعاناة في مسرحيته (همّام أو في عاصمة الأحقاف) إذ يقول في مقدمتها (كلنا يعلم أنّ في حضرموت بدعاً في الدين يجب أن تنكر وتُزال مافي ذلك شك .

وأن فيها جهلا يجب أن ينار بمصباح العلم مافي ذلك مرية وأن فيها جموداً يجب أن يدك صرحه .

وأن فيها إمتيازات أدبية وحقوقية للبعض يجب أن تبطل .

وأن فيها عادات سيئة يجب أن تصلح . وأن فيها فوضى وقطعا للسبل وسفكاً للدماء من طبقة القبائل يجب أن يفكر في إصلاحها والضرب على أيدي المفسدين .

هذه أمور تراها العين ، وتسمعها الأذن وتلمسها اليد يجب على الشعب الحضرمي أن يتعاون على إصلاحها فاذا مادعا داع اليه أو عمل عامل له فليس من العقل أن يتهم بأنه يبغض أهل البيت ! فالمسألة مسألة وطن بائس يلزم إنقاذه وشعب مريض يجب علاجه وليست مسألة بغض قوم وحب آخرين) (١).

ويرى باكثير أن سبب جهل شعبه ناتج من جهل المرأة ، فهو يريدها متعلمة ، حرّة عارفة لمكانتها في نهضة وتقدم بلدها ، وفي هذا يقول :

صار فرضاً عليك أن تنشري ... هذا الهدى في جماعة النسوان
فهدى الشعب من هدى أمهات ... الشعب في كل موطن وزمان
وبنات الأحقاف أولى بأن ... يحذقن شتى العلوم والعرفان
وبأن يطهرن من لوث الاهـا ... م ممّا يخل بالايمان
نيرين الحياة من غير معنى ... غير تلك الحياة وهي معاني (٢)

---

(١) أنظر مقدمة مسرحية (همام أو في عاصمة الاحقاف) ص١٨
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧

ودعا باكثير الى ترك الجمود ، والتقليد الأعمى ، والعودة الى المنابع الصافية ويتضح هذا في ايمانه بالدعوة الى الاصلاح والقضاء على الجمود، والجديد يجب أن يحيا ، وتؤمن به الأمة ، وتعمل به في حياتها اليومية . فيقول :

فلا سلمت كتب الجامدين ولا فاز قارئها بالوطر
صحائف لا روح فيها ولا يجول بها ذكر خير البشر
يصوّر فيها محالُ الأمور ، ويُترك فيها مُهمّ الصُّور !
فتلك الجواهر أين الرّمال منها وأين حسيس الحجر؟ (١)

وممّا يُعرَف عن باكثير أنه لم يتعصب لفئة أو مذهب من المذاهب الدينية أو السياسية، وطالب الأمة أن تبتعد عن كلّ ما يفرّق شأنها ، ويُوحّد جهودها لأصلاح العقول والنفوس وتحريرها من كلّ ما يؤدي بها إلى التهلكة ، وإقتدى بذلك بموقظ الشرق «جمالُ الدين الأفغاني» وتلميذه «محمد عبده» وفي هذا يقول :

أنا لا أعرف إلاّ دعوة (لجمال الدين) شقت غلفا
تندب النّاس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفا
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الحنفا
ليكونوا سادة الدنيا كما وعد الله عليها خلفا
ولقد أيّدها تلميذه (عبدة) فيما دعا أو ألفا
بثّ روح الحق في أتباعه فعدوا فينا غيوثا وكفا
يا بني الأحقاف توبوا للهدى واتبعوا الذكر ولوذوا بالسنن
وتناسوا ما مضى وامتزجوا وأرحضوا الأحقاد عنكم والأهن(٢)

ونجده في ختام هذه المسرحية يتوجه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يوحّد هذه الأمة ويجمع شملها ، ويعيد ماضيها التليد ومكانتها السامية ، وهكذا يكشف أديبنا باكثير في هذه المسرحية الشعرية عن جوهر تلك النفس الموهوبة لرفعة الأمة ، كما تكشف عن عروبته الأصلية ، فانه لاعروبة تحيا إلاّ برفعة الأمة ، فهو يبتهل الى الله بهذا الدعاء :

(١) همام أو في عاصمة الأحقاف ص ٢٦
(٢)المصدر نفسه ص ٤٤

يارَبِّ ارفع (أمة الاسلام) واقذف بها الى المقام السامي
حتّى تُرى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام
ووحّد (العُرْب) ، فانّ الوحدة تحيي لها ماضيها وعهده
تعيد بعد الاندراس مجده والله لايُخلف يوماً وعده(١)

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المسرحية نظمها دون المام سابق بفن المسرحية ، فكانت عبارة عن قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها غرض واحد ، ولايجوز لنا أن نسميها مسرحية إلاّ على سبيل التجوّز لافتقادها للمقومات الأساسية للمسرحية من بناء وحركة ورسم شخصيات وهي أولى المسرحيات التي نظمها ، وقد اعترف باكثير بما ذهبنا اليه في كتابه (فن المسرحية) (٢)

كما وقف باكثير موقفاً مشرفاً من ثورة اليمن عام (١٩٤٨) فحيّاها من أعماق قلبه قائلاً :

ملك يموت وأمة تحيا ! بشرى تكاد تكذب النعيا
ماكان أبعد أن نصدقها سبحان من أردى ومن أحيا !
اليوم تبعث أمة أنف تبنى ليعرب قبة عليا
موؤدة ثوت الثرى زمناً سبحان مخرجها الى الدنيا !
شعب نضا الأكفان عنه وقد بليت فأهداها الى يحيى !
أهداه أثمن ماحوت يده هل كان يملك غيرها شيئا ؟ (٣)

ونجده في قصيدته (أعداء الحياة) يزف البشرى لصنعاء ويطالبها أن تشق طريقها في الحياة ، وتنسى ماضيها البغيض . فيقول :

إنزاح عنك البلاءُ والداءُ فابتسمي للحياة صنعاء
إبتسمي للحياة إنّ لها حقاً أبته عليك أرزاء
واطرحي أمسك البغيض فما أمسُكِ إلاّ ظُلم وظلماء (٤)

وحينما زار جمهورية اليمن الشعبية الجنوبية ، ووقف على مشارف وطنه العزيز ، أخذ يهتف من أعماق قلبه بالنصر والعزة والسؤدد لوطنه الذي عاش بين أحضانه أيام

---

(١) همام أو في عاصمة الأحقاف ص ١٢٥
(٢) أنظر كتاب(فن المسرحية)لباكثير ص ٣
(٣) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٢٩
(٤) نفس المصدر ص ٢٤٧

الطفولة والصبا ، وممّا زاده فرحاً وبهجة هو إنضمام بلده (حضرموت) الى هذه الجمهورية وقد حيّاها بنشيده (دولة الجنوب) قائلا :

يادولة الجنوب ... يابلسم الجراح
في ظلمة الخطوب ... أشرقت كالصباح
في حومة الجهاد ... والحرب والضرم
ولدت في مهاد ... العز والشيم
وافى بك القضاء ... لأمة العرب
بشرى من السماء ... للنصر والغلب
عيشي مع اليمن ... في دارة الشرف
والوحدة الثمن ... والسؤدد الهدف
لواؤك الجديد ... يمن على العرب
فاليمن السعيد ... ميلاده اقترب (١)

وبهذا يمكن القول أن باكثير عاش أحداث وطنه ، مع أنه تركه منذ نعومة أظفاره ، وإستقر في مصر جُلّ حياته مدافعاً عن الأمة العربية ماوسعه الجهد ، وأسعفه اللسان .

(١) من أدباء الاسلام المعاصرين ص ١٠٧

تفاعله مع بقية أحداث الوطن العربي

إنّ المتتبع لنتاج باكثير يستطيع أن يرى بوضوح إهتمامه الكبير بأحداث العراق والأجزاء الأخرى من الوطن العربي ، فحينما لم يحالف النجاح حركة مايس ١٩٤١ في العراق ، وتم إعدام الضباط الاحرار ، وقف باكثير في القاهرة يرثي الشهيد (صلاح الدين الصباغ) أحد هؤلاء الضباط الأحرار قائلاً :

فيم إحتشادكم هذا لتأبيني ... أنتم أحق بتأبين الورى دوني
فما الشهادة إلاّ ميتة كرمت ... عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إني نزلت بدار الخلد في رغد ... بين الخمائل فيها والرياحين
في جنة مابها خوف ولا حزن ... لولا رثاء لحال العرب يشجيني
قامت عليهم وحوش البغي قاطبة ... من ثعلبان ومن دبّ وتنين
فما إنتظاركم والحق حقكم ... يعدي عليه ليعطى للملاعين
لاتطابوه إحتكاماً في مجامعهم ... بل استردوه قسراً في الميادين (١)

وكتب باكثير في عام ١٩٥٩ مسرحيته (الزعيم الأوحد) وكان العراق يتخبط في معارك شعواء وسط التيارات المتضاربة والتناقضات السياسية وكان الأدباء الشعوبيين يشنون هجمات منكرة على العروبة ومفكريها والداعين إليها .

في تلك الحقبة السوداء أسهم باكثير بعمله المسرحي ذاك ، فكان إسهامه على ما قاله الأديب هلال ناجي — : «يمثل قمة من قمم الايمان القومي الأصيل ، ويعبر عن الوجدان العربي المتفتح ، المتجاوب مع آلام هذه الأمة في أرجاء وطنها الكبير» (٢) .

ونلاحظ أنّ باكثير ينتهي في بعض مسرحياته إلى نتائج يسبق بها حوادث التاريخ مما يدل على بعد نظره السياسي ، وإنه ليفخر بذلك ويشير إليه وكأنه يراه دليلاً على عمق إيمانه . وقد ذكر ذلك في مقدمة مسرحيته «الزعيم الأوحد» قائلاً «.. ليرى القراء ويعجبوا كيف أن الأقدار إختارت للزعيم الأوحد في عالم الواقع نفس النهاية التي رسمتها له المسرحية منذ أكثر من ثلاثة أعوام ...» (٣) .

---

(١) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب / الكويت
(٢) مقدمة مسرحية «الزعيم الأوحد» بقلم هلال ناجي ص٢
(٣) المصدر نفسه ص ٣

وحينما جاهر الزعيم اللبناني «أميل إده» بعدائه لفلسطين ، وحبّه للصهاينة المجرمين، هاجمه باكثير بقصيدة عصماء مبيّناً فيها عمالة وخيانة هذا الزعيم اللبناني ، ومطالباً اللبنانيين الفتك به ، قائلاً :

عارٌ على لبنان أن   يحيا اللعين «أميل إده»
فليبرأنّ الأرز منه   بكل رابية ووهده
ولينقشنّ بجذعه   «لعن الأله أميل اده»
حتّى اليهود أحبهم   ليغيظ أمته المجدّه
أيظلّ هذا المسخ ينفث   كيده في كل بلده
أين الشباب شباب   لبنان الأبي .. يشق كبده !
ويجزها منه ... ويسلخ   مثل سلخ الشاة جلده ! (١)

ونجدّه «بدافع من تقدميته وعدائه للرجعية وبحافز من شعوره القومي الوحدوي الأصيل ، أقول بدافع من كل هذا يحيى كل ثائر عربي تشت به أحداث الجهاد عن وطنه الصغير إلى رقعة أخرى من وطنه الكبير» (٢) . فحين ينفى الزعيم المغربي علاّل الفاسي إلى «جابون» يخاطبه قائلاً :

ذكرتك يا علاّل والناس هُجّع   وليس سوى جفني وجفنك ساهدُ
وللهم حزٌ في فؤادي قاطع   ولليأس فتك في أماني حاصد
تكاد الدُجى تقضي عليّ لأنها   دُجى العُرب تاهت في عماها المقاصدُ
تداعت على قومي الشعوب فما ونت   مصادرها عن حوضهم والموارد
إذا خاننا وغد من الغرب سافل   تحيّفنا نغل من الشرق حاقد
فآه كلانا شاعر غير أنني   مقيم على ضيم وأنت مجاهد !
ولكن كلانا دينه دين يعرب   وفي دمه سعد،وعمرو ، وخالد(٣)

وبعد أن يتحدث باسهاب عن بطولات علاّل الفاسي ، ومقارعته لأعداء أمته ، وقيادته للحركة التحررية في المغرب الأقصى ،يتمنى لو أنه يثور ضد أعداء أمته ، ويفعل بهم كما فعل هذا القائد العظيم .

---

(١) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب ص ٢٨

(٢) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٤

(٣) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٥

وَدِدْتُ لو أنّي في فلسطين ثائر لأهلي تنعاني الظبى لا القصائد
أو أني في «اسكندرونة» شاهر حسامي عليه من دم الوحش حاسد
وفي برقة أو في الجزائر قاصم ظهور العدى والباترات رواعد
فتلك بلادي لا أفرق بينها لها طارف في مجد قومي وتالد !
عليك سلام الله ما ثار ثائر وماذاد عن مجد العروبة ذائد (١)

ومما يحمد عليه باكثير أن شعره خلا مما إمتلأ به شعر شعراء آخرين من مداهنة ورياء ونفاق . ففي شعره نجده يحبُّ من يحب العرب ، ويكره من يكرههم ، وإذا كان السخط يجيء في مقدمة مصادر الكوميديا ، فاننا نراه يرسم صوراً مضحكة في مسرحياته لأعداء العروبة على نحو ماصوّر الكثير منهم ، ولنتأمل قوله في «تشرشل» (٢) في إحدى قصائده :

نبا تشرشل اذ يعير قومه بالضعف يندبهم لأخذ الثار
ويل له أبيطنه أم شدقه يكفيهم البلوى أم السيجار
عبد اليهود لهم يعفر خده ويذيل كل كرامة ووقار
من كان في رق الأسار فكاذب في وعد أمته بفك إسار (٣)

لقد وقف باكثير الى جانب كل المجاهدين العرب ، ودافع عنهم بكل إمكاناته الأدبية فلقد حيّا المجاهد الجزائري الكبير (الفضيل الورتلاني)حين جاء الى مصر بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

أفضيل ، هذي مصر تحتفل بلقاك ، فانعم أيّها البطل!
أنظر تجد مصراً محررة مذ تمَّ فيها الحادث الجلل
بعثت إليك لكي تراك وقد نلت المنى وتحقق الأمل
وأنجاب عنها البغي وانفسحت للمكرمات أمامها السبل
وطن العروبة كله وطن لك ، ظلت بين رباه تنتقل
تغشاه من بلد الى بلد يحدوه منك القول والعمل
تبغي له عزاً ومكرمة لله لا غنم ولا نفل

(١) نفس المصدر ص ٣٢٦
(٢) حوليات مجلة كلية الآداب ص ٣٠
(٣) من شعره المنشور في حوليات كلية الآداب /الكويت ص ٣١

تسعى فلا سأم ولا كلل شيحان ، لاخوف ولاوجل
تغشى المخاطر غير مكترث حتى كأنك دونها الأجل
حتى امتحنت بما امتحنت به وبنت عليك السفن والإبل
أمسيت لاأهل ولا وطن وغدوت لاسفر ولا نزل!
لم تقترف جرماً تدان به كلاّ ولكن هكذا البطل!
إن الفساد إذا اعترى بلداً فالمجرمون به هم الرسل !

ويحقّ لي بعد أن استعرضت أدبه أن أقول : لقد علا صوته مادحاً للعروبة ورجالها ، وذائداً عن العرب ومقدساتهم ، وداعياً الى الوحدة العربية ، ومندّداً بالمستعمر في كل مكان ، ومتناولا للاحداث التي وقعت في هذه الأمة بشكل لم يعالجها شاعر غيره بهذه الدرجة من العزيمة والاخلاص .

المصادر والمراجع

(أ) باكثير ، علي أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتي ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢ ــ إله إسرائيل ، الطبعة الأولى ، دار العلم ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣ ــ إمبراطورية في المزاد، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة، القاهرة، بدون تار

٤ ــ التوراة الضائعة ، الطبعة الأولى ، دار البيان ــ الكويت ، ١٩٧٠ .

٥ ــ الثائر الأحمر ، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٦ ــ دار ابن لقمان ، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، بدون تاري

٧ ــ روميو وجوليت ، مترجمة، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة ، القاهرة، ب
تاريخ .

٨ ــ الزعيم الأوحد ، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة ،القاهرة ، بدون تار

٩ ــ سيرة شجاع ، الطبعة الأولى ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ .

١٠ ــ شعب الله المختار ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

١١ ــ شيلوك الجديد ، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة ، بدون تأريخ .

١٢ ــ فن المسرحية ، الطبعة الأولى ، المطبعة الكمالية ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٣ ــ مسرح السياسة ، الطبعة الأولى ، دار مصر للطباعة بدون تاريخ .

١٤ ــ همام أو في عاصمة الاحقاف ، الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ١٩٦٥

١٥ ــ واسلاماه ، الطبعة الأولى ، دار البيان / الكويت ١٩٧٢ .

(ب)

٢ ــ د. جلال الخياط
الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور ، دار صياد، بيروت

٣ ــ د. سعد مصلوح
حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ،
عالم الكتب ط١ ١٩٦٩ .

٤ ــ د. عبده بدوي

حوليات مجلة كلية الآداب / الكويت /١٩٨١ .

٥ ــ علي الجمبلاطي

من أدباء الاسلام المعاصرين/مطابع الاهرام / القاهرة ١٩٧٠.

٦ ــ محمد ابو بكر حميد

صحيفة القبس الكويتية ، الاعداد ٣٢٣٦ ، ٣٢٣٧ ، ٣٢٣٨
لعام ١٩٨١ .

٧ ــ د. محسن اطيمش

الشاعر العربي الحديث مسرحيا،دار الحرية للطباعة/١٩٧٧
وزارة الاعلام / الجمهورية العراقية .

٨ ــ هلال ناجي

شعراء اليمن المعاصرون ط ١ مؤسسة المعارف ،بيروت ١٩٦٦.

العُلُومُ الاجتماعيَّة

مشكلات الشباب في العراق وطرق علاجها

الدكتور احسان محمد الحسن
كلية الاداب / جامعة بغداد

الدكتور خالد فرج الجابري
كلية الاداب / جامعة بغداد

الشباب هم العنصر الاساسي الذي يتحمل اعباء ومسؤوليات البناء والنهوض والتنمية والتقدم الشامل خصوصاً في مجتمعنا العربي الذي تشكل فيه نسبة الشباب أكثر من ثلثي السكان اذا اعتبرنا فئتهم العمرية تتراوح بين ١٥ — ٣٦ سنة (١) . والشباب هم من أسرع الفئات السكانية تكيفاً للظروف والملابسات والمشكلات المستجدة التي تظهر في مجتمعهم نتيجة تحوله وتطوره المطرد في جميع المجالات الحياتية . فكما يقول الرفيق القائد صدام حسين في كتابه الموسوم : «نكسب الشباب لنضمن المستقبل» ان استعداد الشباب لعملية التكيف والتطور مع تأثيرات المباديء والافكار الجديدة في عملية التغير يكون بدرجة أعلى من استعداد الاخرين الذين هم أكبر منهم عمراً . فالشباب بحكم شخصياتهم وافكارهم وميولهم واتجاهاتهم المرنة والديمقراطية يستطيعون بسهولة ، وبسرعة قبول الاوضاع والمناسبات والظروف الجديدة التي تدخل الى مجتمعهم (٢) . زد على ذلك أن الشباب يخدم المجتمع ويستفيد من ثمرات خدمته وجهوده أكثر من بقية الفئات السكانية ، لان الفترة الزمنية التي يعيشها أطول من الفترات الزمنية التي يمكن أن تعيشها الفئات السكانية الاخرى خصوصاً متوسطو العمر والمسنون .

واخيراً يتميز الشباب عن غيرهم من الفئات السكانية بالحركة والفاعلية والداينميكية والنشاط والقابلية على اكتساب الافكار والممارسات والتجارب الجديدة بسرعة متناهية

الأمر الذي يساعدهم على أحتلال الدور الريادي في تطوير وتنمية المجتمع (٣) . لجميع هذه الايجابيات التي يتمتع بها الشباب نستطيع القول بأن الشباب هم الفئة الطليعية التي ينبغي أن تتحمل مسؤولية التحول المادي والاجتماعي الذي يحتاجه مجتمعنا العربي ، هذا التحول الّذي يعتمد على نشر وترسيخ الافكار والقيم والممارسات القومية والاشتراكية والانسانية، والتحرر السياسي والتخلص من التبعية الاقتصادية والسياسية، والتصنيع ونقل التكنولوجيا والتنمية الشاملة .

لهذا كنه تحمل حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي منذ مجيئه الى السلطة بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز المسؤولية الأولى والطليعية في قيادة الشبيبة وتربيتهم على أسس المبادىء والأهداف القومية والتقدمية وبث روح الأيمان والحماسة بين صفوفهم للمشاركة الواسعة والفعالة في بناء الوطن وفي الدفاع عنه ضد المعتدين والتوسعيين الأشرار (٤). كما انه حقق لهم الكثير من المكاسب والمنجزات الي كان لها الدور ..الفاعل في تنمية وتطوير أحوالهم الأجتماعية والاقتصادية والتربوية والترويحية .

لكنه بالرغم من الجهود المثمرة والبناءة التي بذلتها قيادة الحزب والثورة في تحسين ظروف الشباب ورفع مستوياتهم وتطوير بيئتهم الأجتماعية وصقل قدراتهم الفكرية والأبداعية الا أنهم كبقية الشباب في البلدان النامية والمتحولة يعانون من بعض المشكلات والتحديات المطلوب تشخيصها في هذه الدراسة وتوضيح مظاهرها ونتائجها السلبية ثم معالجتها معالجة علمية هادفة (٥). لكن المشكلات التي يعاني منها الشباب على اختلاف انحداراتهم الاجتماعية ومستوياتهم المهنية والثقافية أنما هي وليدة المرحلة الحضارية التأريخية التي يمرون بها ووليدة الأدوار الوظيفية والمجتمعية التي يحتلونها في المجتمع الجديد .

ان الدراسة الاستطلاعية التي أجريناها عن مشكلات الشباب في عام ١٩٨٣ والتي من خلالها قابلنا عينتين عشوائيتين من الشباب والشابات تتكونان من (٢٠٠) شاب وشابة ينحدرون من خلفيات وظيفية وأجتماعية مختلفة تشير الى أن الشباب يعانون من ست مشكلات أساسية هي:

(أ) المشكلات الاجتماعية.
(ب) المشكلات الاقتصادية .
(ج) مشكلات الفراغ والترويح .
(د) المشكلات الثقافية والتربوية .

(هـ) مشكلات الاختلاط.

(و) المشكلات القيمية.

والآن نقوم بشرح طبيعة ومظاهر هذه المشكلات بالتفصيل لكي نكون مؤهلين على معالجتها والتصدي لآثارها السلبية.

(أ) المشكلات الأجتماعية :

تتجسد المشكلات الأجتماعية التي يعاني منها الشباب بمسألتين رئيسيتين هما مسألة التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الشباب من عائلاتهم واقاربهم وابناء مجتمعهم المحلي ، ومسألة الضغوط المتعارضة التي تؤثر في شخصيات الشباب تأثيراً سلبياً بحيث لايستطيعوا التكيف مع المجتمع والتعامل معه بطريقة ايجابية هادفة. نعني بالتنشئة الاجتماعية عملية التربية والتقويم والصقل والتهذيب التي يمر بها الاطفال والصغار ومن في حكمهم والتي من خلالها يكتسبون قيم وعادات وتقاليد ومقاييس المجتمع ويتعلمون صيغ السلوك الجيد ويؤهلون لاشغال الادوار الوظيفية التي عن طريقها يخدمون المجتمع ويؤدون الواجبات الاساسية الملقاة على عاتقهم (٦) . ومصادر التنشئة الاجتماعية للنشيء الجديد كثيرة ومتعددة أهمها الاسرة والمدرسة والمجتمع المحلي ووسائل الاعلام والقيادة والمنظمات الجماهيرية والشعبية (٧) . غير أن الاسرة والقرابة تعتبران من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية نظرا لملازمتها للفتى أو الفتاة منذ بداية الحياة وقدرتها على التأثير في الحدث أكثر من أية وسيلة تربوية أخرى .

أن هنالك مؤشرات احصائية تدل على أن عملية التنشئة الاجتماعية التي تتبناها الاسرة تعاني من عدة سلبيات وتناقضات . وهذه السلبيات والتناقضات تنعكس فيما بعد على شخصية واتزان وعلاقات الشباب بحيث يضعف تأثيرهم ويقل أداءهم وتقتل عندهم روح المثابرة والعمل والابداع . أن عوائل المجتمع تحتاج الى ثقافة ووعي وادراك كامل لخطورة واهمية اساليب التنشئة الاجتماعية التي تعتمدها عند تربية وتقويم أبنائها .

فهي بحاجة الى معلومات مفصلة عن كيفية تعليم وتلقين أبنائها بالافكار والقيم والممارسات الايجابية التي تجعل منهم مواطنين صالحين يعتمد عليهم المجتمع في نهوضه وتقدمه كما يتطلب منها تشجيعهم على أكتساب التربية والتعلم والتزود بالمهارات والاختصاصات التي يحتاجها مجتمعنا الجديد. اضافة الى تزويدهم بأسس المواطنة الصالحة وزرع قيم الايثار والتضحية في سبيل الاخرين وتعزيز الثقة بالنفس والاخلاص في العمل وتحمل

المسؤولية والتواضع والصدق فيهم حيث تؤثر في سلوكيتهم تأثيراً أيجابياً ، ومن الجدير بالذكر ان افتقار الكثير من العوائل لهذه المعلومات والقيم والممارسات المتعلقة بأصول واساليب التنشئة الاجتماعية يؤدي الى عدم استقامة سلوك وعلاقات الشباب في المجتمع ويعرضهم الى الكثير من المشكلات والتحديات .

كذلك لاتعتمد معظم العوائل العراقية أساليب الثواب والعقاب في تنشئة أبنائها ، فهي لا تثمن ولا تثني ولا تمدح الصغير اذا قام بالفعل الجيد ولا تعاقبه ولا تؤنبه إذا قام بالفعل الشين أو الرديء (٨) . ومن جهة ثانية تعتمد معظم العوائل الوسطى الأساليب القاسية والمتشددة في تربية أبنائها وتقويمهم وتهذيبهم . فهي لا تتورع عن استعمال أساليب الضرب والطرد والتهديد والوعيد والتوبيخ أزاء صغارها إذا ارتكبوا الأعمال الخاطئة كالرسوب في الامتحانات والاختلاط مع أبناء السوء أو الكذب والسرقة وعدم إطاعة الوالدين ... الخ . ومن جهة ثانية تستعمل معظم العوائل العمالية الأساليب اللينة والمتساهلة في تربية وتأنيس أبنائها ، فهي لا تنصحهم ولا ترشدهم إلى إعتماد الخصائل السلوكية الفاضلة ولا تحاول زرع المفاهيم والقيم الأيجابية فيهم ولا تهتم بتقييم السلوك والعلاقات التي يكونونها مع الآخرين ولا تحثهم على الدراسة والسعي والأجتهاد (٩). ومثل هذه الأمور تضر بحياتهم وتجعلهم أقل كفاءة على أداء مهامهم وأقل تكيفا لحاجات ومتطلبات المجتمع المعاصر . إن خير طريق يمكن أن تنتهجه العوائل في تربية وتقويم أبنائها هو طريق الجمع بين أساليب الشدة واللين . فالشدة يجب أن تعتمد من قبل الوالدين في وقتها المحدد وكذلك اللين والتساهل ينبغي أن يعتمدا في الظروف والمناسبات الداعية لهما .

ومن المشكلات الأجتماعية التي يتعرض لها الشباب مشكلة الضغوط المتعارضة التي تتأتى من إنتمائهم إلى عدة جماعات مرجعية في آن واحد . فالشباب ينتمون ويتأثرون في عدة جماعات مرجعية كالعائلة والمدرسة وجماعة اللعب والمجتمع المحلي ووسائل الأعلام والطبقة أو الشريحة الأجتماعية والجامع أو الكنيسة والحزب والنادي الرياضي أو الأجتماعي . وهذه الجماعات تؤثر في أفكار وقيم وممارسات الشباب بحيث يعتبرونها جماعات مرجعية أي جماعات يرجعوا اليها في تقييم أفكارهم وعلاقاتهم وممارساتهم اليومية (١٠) . ولكن هذه الجماعات تفتقر إلى التعاون والتنسيق فيما بينها وذلك لعدم إتصالها الواحدة بالأخرى وعدم معرفتها لفلسفة وقيم وأهداف بعضها البعض . لذا والحالة هذه يعاني الشباب من مشكلة الضغوط المتعارضة المفروضة عليهم من قبل هذه

الجماعات فالمدرسة مثلا تريد من الشاب أداء الواجبات البيتية بينما جماعة اللعب تريد منه الذهاب إلى المقهى ولعب الشطرنج مثلا خلال الساعات المخصصة لأداء الواجبات البيتية . وهنا لا يعرف الشاب أي جماعة يطيع المدرسة أم جماعة اللعب . ومثل هذه الحالة تسيء إلى إستقرار وسلامة شخصيته وتؤثر على قابلياته وإمكاناته تأثيراً سلبياً .

(ب) المشكلات الأقتصادية:

ومن المشكلات الاخرى التي يعاني منها الشباب المشكلات الاقتصادية . فالشباب بحكم دورهم الأجتماعي الوظيفي غير المتكامل وبحكم إعتمادهم إقتصادياً على آبائهم وأولياء أمورهم خلال فترة تأهيلهم الوظيفي وتحصيلهم العلمي يعانون من مشكلات إقتصادية ومادية كثيرة كمشكلة عدم قدرتهم على اقتناء الكثير من حاجياتهم ومشكلة إعتمادهم الأقتصادي على أولياء أمورهم ، هذه المشكلة التي تتعارض مع رغبتهم بتحقيق الاستقلالية والأعتماد على الذات ، ومشكلة عدم قدرتهم على اكمال دراستهم العليا إذا كانت عوائلهم فقيرة الحال ، ومشكلة عدم قدرتهم على ممارسة أنشطة الفراغ والترويح التي يرغبون في ممارستها بسبب ظروفهم الصعبة ، ومشكلة عيشهم في بيوت لا تتوفر فيها أبسط الشروط الأجتماعية والصحية الجيدة ... (١١) الخ . ومثل هذه المشكلات تلعب دورها الفعال في منع الشباب عن قيادة حياة طبيعية يستطيعون من خلالها التعامل الأيجابي مع المجتمع الذي يعيشون فيه ويحتكون معه .

ونتيجة لمشكلات الحاجة الأقتصادية والعوز المادي يضطر الكثير من الشباب إلى الدخول في معترك العمل والكسب المادي خلال فترة دراستهم وتحصيلهم العلمي . لذا نشاهد في هذه الفترة من الزمن الالاف من الطلبة والطالبات يعملون خلال فترة الدراسة . علماً بأن العمل يؤثر تأثيراً سلبياً في المسيرة الدراسية للطالب ذلك من الصعوبة بمكان الجمع بين متطلبات الدراسة والتحصيل العلمي ومتطلبات العمل والكسب المادي. فأما الدراسة والتحصيل العلمي أو العمل والكسب المادي . إن إنشغال الطلبة في العمل الأقتصادي مهما يكن نوعه ودرجته يؤثر سلبياً على مسيرتهم العلمية والتربوية . فوقت العمل غالباً ما يكون على حساب وقت الدراسة والسعي والأجتهاد . وهنا تنخفض درجة الأداء العلمي للطلبة وفي أحيان كثيرة تقتل عندهم روح السعي والأجتهاد والمثابرة إلى درجة أنهم يتركوا الدراسة كلياً ويتفرغوا إلى العمل الأقتصادي .

وتتجسد المشكلات الأقتصادية التي يعاني منها الشباب في عدم قدرتهم على الحصول على العمل المناسب وتعرضهم للبطالة في بعض الأحيان والتناقض بين تدريبهم وتحصيلهم

العلمي وبين العمل الذي يمارسونه . إضافة إلى تعقد الحياة وإرتفاع مستويات المعيشة مع إستقرار الأجور والرواتب مما يؤدي إلى انخفاض القوة الشرائية وعدم قابلية الشباب على تحقيق المستويات المعيشية اللائقة بهم . أما أسباب المشكلات الأقتصادية التي يعاني منها الشباب فهي التضخم النقدي وتشعب الحياة وإرتفاع تكاليفها . وكبر حجم العائلة مع محدودية مدخولاتها الشهرية أو السنوية . إضافة إلى رغبة الكثير من الشباب في ممارسة الأستهلاك المظهري وتبذير الأموال في شراء أشياء كمالية وهامشية . وأخيراً إرتفاع تكاليف الزواج والسكن وعدم تعاون أفراد العائلة الواحدة في سد حاجات أبنائها إلى المواد الأساسية والكمالية .

(ج) مشكلة الفراغ والترويح:

ويعاني الشباب من مشكلة أخرى وهي مشكلة الفراغ والترويح . وهذه المشكلة تعبر عن نفسها في عدة مجالات أهمها عدم احترام واستثمار الزمن من قبل العديد من الشباب ، وعدم التمييز والفصل بين وقت العمل ووقت الفراغ ووقت الدراسة والسعي ووقت الفراغ وعدم تحويل الوقت الحر الى وقت فراغ يمارس خلاله الشباب الأنشطة الترويحية والأبداعية التي تطور الشخصية وتؤدي الى تنمية مؤهلاتها وقدراتها . واخيراً ميل العدد الكبير من الشباب الى ممارسة أنشطة الفراغ والترويح السلبية (١٢) . والان نود شرح هذه الجوانب المهمة من مشكلات الفراغ والترويح .

تشير نتائج بحثنا الميداني الى أن أغلبية الشباب مهما تكن خلفياتهم الأجتماعية ومستوياتهم الثقافية والمهنية لايعيرون أهمية للزمن ولايعرفون كيفية استثماره أستثماراً مبدعاً وخلاقا . فوقت العمل والدراسة غالباً مايهدر في ممارسة أفعال وأنشطة لاتمت الى العمل أو الدراسة بصلة . فأثناء وقت العمل يميل بعض الشباب الى عدم ممارسة العمل الأنتاجي أو الوظيفي أو ممارسته بصيغ ضعيفة ومتقطعة . أذ بدلا من أن يكرسوا جهودهم وأوقاتهم للأنتاج والعمل المثمر يحاولوا أضاعة وقت العمل في قراءة الصحف والتحدث مع الاخرين وتناول الشاي أو الذهاب الى النادي أو المطعم ... الخ من الفعاليات التي ليست لها صلة من قريب أو بعيد بفعاليات العمل ومتطلباته . كذلك يضيع بعض الشباب أوقات دراستهم بممارسة فعاليات ليس لها علاقة بطلب المعرفة والتعلم والتحصيل العلمي.

أضافة الى أن النسبة الكبرى من الشباب لاتميّز بين أوقات العمل والدراسة وأوقات الفراغ والترويح . علماً بأن أوقات العمل هي الأوقات التي تصرف على ممارسة فعاليات العمل التي لها مردوداتها الأقتصادية بالنسبة للأفراد الذين يمارسونها (١٣) ، وأوقات

الفراغ هي الأوقات الحرة التي تستثمر في ممارسة أنشطة ترويحية لايتقاض الأفراد عليها أجوراً أو ... مكافآت ماديةمطلقاً ويكونون أحراراً في اختيار أنماطها وأماكن ممارستها (١٤) أن نسبة كبيرة من الشباب تمزج بين فعاليات العمل والدراسة والفراغ فهي تمارس أنشطة فراغها خلال ساعات عملها وتمارس أنشطة العمل خلال الاوقات المخصصة للفراغ والترويح . وهذا الأمر يشكل مشكلة كبيرة للشباب لاتساعد على تطوير ذاتيتهم واستثمار طاقاتهم ومواهبهم ومؤهلاتهم في افادة أنفسهم ومجتمعهم الكبير . أن على الشباب في هذه الحالة اعتماد جدول زمني يستثمر الزمن استثماراً كاملا ومفيداً من خلال تحديد ساعات العمل وساعات الراحة والنوم وساعات الفراغ والتسلية وساعات الدراسة والتحصيل العلمي . ومثل هذا الجدول ينبغي أن لايوضع ويحدد فقط بل ينبغي ترجمته الى واقع عمل ملموس أيضا يسهم في تطوير أمكانات الشباب وتفجير طاقاتهم المبدعة والخلاقة .

كما تشير الأدلة الأحصائية لبحثنا الميداني الى أن عدداً كبيراً من الشباب لايمارسون أنشطة الفراغ الأيجابية كالمطالعة الخارجية وزيارة الأماكن الإثرية والتأريخية والأنتماء الى النوادي والجمعيات الرياضية والأجتماعية وممارسة الهوايات المفيدة وممارسة الأنشطة الرياضية والفنيه ... الخ . بل يمارسون أنشطة الفراغ السلبية كالتسكع في الأزقة والشوارع ومضايقه الجيران وأبناء المجتمع المحلي والمكوث في البيت والنوم لساعات طويلة لايحتاجها الجسم والتحدث في أمور روتينية رتيبة ومشاهدة التلفزيون لساعات طويلة والدخول في معترك النزاع والخصام مع الاخرين والنفاق والوشاية ضدهم . وفي بعض الحالات التدخين في سن مبكر ولعب القمار وتناول المشروبات الكحولية وسماع الموسيقى الصاخبة والتردد على محلات الديسكو . ومثل هذه الأمور قد تؤدي الى انحراف الشباب وعدم قابليتهم على أداء التزاماتهم تجاه الوطن والأمة وفشلهم في حياتهم الدراسية والوظيفية والأجتماعية . لذا والحالة هذه يتطلب توجية الشباب نحو ممارسة أنشطة الفراغ الأيجابية التي تطور شخصياتهم وتنمي مواهبهم وقدراتهم التي يحتاجها الوطن حاجة ماسة . وفي نفس الوقت أرشادهم ونصحهم على الأمتناع عن ممارسة أنشطة الفراغ السلبية والضارة .

(د) المشكلات التربوية :

تنبع المشاكل التربوية من طبيعة المجتمع ذاته سواء كان ساكنا او ذا حركة بطيئة أو سريع الحركة .

ان الاسلوب الاساس للتربية في مجتمعنا هو اسلوب القبيلة فالمفروض ان يفرض الأب سيطرة دكتاتورية على أبنائه، وكذلك على ابنائه ان يتعلموا اساليب السلوك التقليدي الذي

يؤمن بها والدهم ولكن نمو شخصية الطفل داخل المدرسة حيث ان التعليم والترتيب تسير باساليب أكثر ديمقراطية وربما يتعلم الشاب معلومات في التأريخ والجغرافية وعلوم الطبيعة هي أكثر بكثير مما يعرفه والده وكذلك قد يحتل مواقع قيادية مدرسية أو عمالية أو وظيفية كل ذلك يجعل الطفل واقعاً بين نوعين من الواقع وهما الواقع الضاغط الدكتاتوري الضيق الذي لا يعترف به والذي يريد منه أن يكون نسخة من المجتمع التقليدي أو نسخة من عقلية والده وبين الواقع الديمقراطي الحركي المرن . ان هذين الواقعين يعرضان الطفل والشاب إلى عمليتين متعاقبتين احداهما تضغط وتكبت شخصيته والثانية تقطع اغلال الكبت عنه . ان سبب ذلك هو ان مجتمعنا معرض لهذين النوعين من التربية بسبب انه يمر بمرحلة انتقالية وهذا يخلق شخصية غير متوازنة هي نفسها تؤمن بمزيج من الدكتاتورية والديمقراطية ، ولكن المزيج غير المتوازن يقع على طرفي المعادلة وقد يستعمل احدهما الآخر في مواقع واوقات وظروف متضاربة .

ولكن ليس بالشكل المطلوب المتوافق مع هذه الظروف وقد يوجه الانسان ذاته ومصيره آخذاً نفسه احياناً بالديمقراطية واحياناً بالدكتاتورية ليس بالشكل المتوازن وانما بالشكل الذي يتلائم مع ميوله أو انه يوظف الجانب الدكتاتوري احياناً كالتأنيب أو اللوم أو معاقبة ذاته أو يوظف الجانب الديمقراطي كوسيلة للسماح لنفسه بالأعتداء أو الاستغلال .

ولعل من أقسى الظروف التربوية التي يواجهها شبابنا هي ظروف اولئك الذين هم من عوائل تقليدية مهاجرة من الريف وساكنة في اطراف المدينة . ان الأب يفرض نوعاً من التربية القبلية على الفتاة التي تذهب إلى الجامعة وتجلس إلى جانب زميلها الطالب على مقاعد الدراسة وكذلك تشاهد برامج التلفزيون وتشاهد المودات وفي كل يوم تنتقل بين مجتمعين أو حضارتين احدهما ريفي قبلي متعصب والثاني حضري ديمقراطي متمدن. ان مما لا شك فيه ان هذا يولد كثيراً من التأزم والتمزيق النفسي وكثيراً من الضغوط .

من المشكلات التربوية الأخرى ان الظروف الأجتماعية والأقتصادية المتجسدة والمتغيرة بسرعة تجعل العائلة تحاول ان تخطط مستقبلا قد لايلائم رغبات وقابليات ابنائها فهذه عائلة ريفية لاتريد ان تذهب ابنتها للدراسة في معهد الفنون الجميلة أو في معهد المعلمات أو معهد التمريض الموجود في محافظة أخرى ، وتلك عائلة تريد لابنها أن يكون عاملا واخرى تريد ان تلبس ابنتها العباءة وأخرى تريد ان تلبس زيا معينا حتى وان كانت

موظفة . هناك تصادم بين رغبات الشباب وظروفهم وتحصيلاتهم ورغبات وظروف وعقليات والديهم .

من المشكلات الأخرى هي مشكلة عدم التوافق بين الواقع والطموح فالشاب والشابة قد يكون لهما طموحاً معيناً حفزته العائلة ولكن انواعا من الواقع تقف حائلا امام تحقيقه وقد يحدث العكس فهنالك انواع من الطموح الشخصي تقف التربية العائلية وارادة العائلة ضده.

وفي دراسة عن واقع الشباب العربي وجد الدكتور نجاتي ان هنالك ارتباطا موجبا له دلالة احصائية بين درجة التعرض لتأثيرات المدنية وبين تسامح الوالدين ، اذ وجد ان الآباء في الاسر المتمدنة يميلون الى اعطاء الابناء قدرا اكبر من الحرية في التصرف الشخصي ووجد انه كلما كان الاباء اكثر تعليما كانوا اكثر تسامحا في معاملة ابنائهم وقد ظهر ايضا بأن اسر الطالبات اكثر تعرضا لتأثير المدنية الحديثة وبالتالي اكثر عرضة للتغيير الاجتماعي من أسر الطلاب . ووجد أيضا بأن الاباء يعاملون ابناءهم بوجه عام بقدر من التسامح اكثر مما يعاملون به بناتهم وان الاباء المسيحيين بوجه عام اكثر تسامحا في معاملة ابنائهم من الاباء المسلمين ، ووجد الباحث ان الطالبات المسلمات يعانين اكثر مما تعانيه الطالبات المسيحيات من شدة وطأة التقاليد المحافظة في الاسر العربية لأنهن يخضعن لكثير من القيود على حرياتهن الشخصية من قسوة الحرمان من كثير من حقوقهن الأجتماعية (١٥) . من هذا يتبين ان التغيير الاجتماعي خلق نوعين من العوائل نوع محافظ ونوع متأثر بالتغيير ونوعين من الواقع واقع العوائل المسيحية التي هي اكثر تسامحا مع ابنائها بالمقارنة بالعائلة المسلمة المتشددة وكذلك افرز التغيير نوعين من التعامل مع مقطعين من الشباب فالاباء اكثر تسامحا مع الاولاد منه مع البنات .

إن الشاب والشابة في العراق لهما طموحاتهما ولكن ذلك دائماً خاضع للواقع الأجتماعي والتربوي وواقع العائلة . في دراسة خاصة قام بها الدكتور البعلي بين طالبات الكليات في العراق وجد ان الطموح التعليمي لدى طالبات الكليات في بغداد يترابط ترابطاً ايجابياً مع المنزلة الأجتماعية الأقتصادية ، اذ وجد ان الطالبات ذوات المنزلة الأجتماعية الاقتصادية العالية يطمحن لتحصيل اكبر بعد التخرج من الكلية بالمقارنة بالطالبات من ذوات المنزلة الأجتماعية الأقتصادية الواطئة . وقد ظهر بأن الطالبات اللواتي يحصل اباؤن على تعليم عال يتجهن الى ان يكن اكثر طموحاً في التعليم بالنسبة للطالبات اللواتي احرز اباؤهن تعليماً واطئاً .

كذلك اظهر البحث الترابط الايجابي بين انماط السلطة العائلية والطموح التعليمي للطالبات اذ يتبين ان الطالبات اللواتي لهن علاقة ديمقراطية مع ابائهن يتجهن الى ان يكن اكثر طموحاً في التعليم وذلك بالمقارنة بالطالبات اللواتي لايتمتعن بالعلاقات الديمقراطية مع ابائهن .

وفي الخلاصة ان الواقع العراقي يمثل معادلة غير متوازنة بين الطموح (طموح .... الشباب) الذي تقابله كشيء منطقي مطالبه بـ (حقوق وواجبات(من قبل الشباب ومن قبل المجتمع . ان طموح الشباب في المنزلة والشهادة العلمية والثروة وارتفاع نوع الحياة العائلية والمعاشية هو اعلى بكثير مما هم عليه من واقع ومما يوفره المجتمع في مرحلته الحاضرة . فطموح الشباب هو غير متناسب بل غير معقول بالنسبة للواقع العراقي فيجب أما تعقيل وترشيد هذا الطموح أو الأرتفاع بأمكانيات المجتمع العراقي في مختلف الاتجاهات والابعاد وعلى مستوى جديد من الوتائر ليتلاقى مع طموحات شبابه .

(هـ) مشكلات الاختلاط :

يعاني شبابنا من مشكلة تعد من أشد المشكلات تعقداً وتأزماً الا وهي مشكلة الأختلاط بين الشباب والشابات تلك المشكلة التي تعاونت على خلقها عوامل متعددة ومتضاربة ، منها عوامل تأريخية ومنها عوامل اجتماعية ناشئة عن الفرق بين القديم والحديث والتقليدي والجديد والريف والمدينة وعوامل الثبات أو الستاتيكية الأجتماعية وعوامل التجديد أو الحركية الاجتماعية فبينما نجد ان المجتمع التقليدي يؤكد على انعزال المرأة عن الرجل بينما نجد هنالك ضرورات ومستلزمات تقتضي ان تتواجد الانثى الى جانب الذكر في المدرسة الثانوية وعلى مقاعد الدراسة في الكلية ، أو في الدوائر الحكومية أو المعامل . ان المشكلة ليست فقط قائمة في عملية المنع والتشديد من قبل الابوين .انما قائمة بين الشاب والشابة خلال التواجد المشترك ففي الوقت الذي يثير فيه تواجد الانثى الى جانب الذكر انواعاً من الهواجس والاحاسيس والانفعالات العاطفية نجد أن كلا من الفتى والفتاة متأزمين وان محاولات اللقاء والاختلاط غالبا ماتكون متعثرة مرتبكة متأزمة ولاتصبح طبيعية الا بعد مرور أشهر أو سنوات مثلا خلال الدراسة أو خلال الاختلاط في العمل الوظيفي . مما لاشك فيه أن مجتمعنا أصبح الآن في مرحلة وسطى تتميز بنوع من الأزمة فهو ليس ذلك المجتمع القبلي الذي يسوده العزل التام مابين الرجل والمرأة وهو من ناحية أخرى ليس المجتمع الحديث التكنولوجي الغربي مثلا والذي يعتبر فيه اختلاط الرجل

والمرأة واقامة العلاقات العاطفية شيئا طبيعيا . نحن الآن في مرحلة يلتقي فيها متعارضان وهما المنع القبلي والسماح المدني الذي تفرضه ظروف المدنية الحديثة في الدائرة والمعمل والمدرسة .

ان المشكلة تبدو واضحة جداً وذات آثار سلبية على طلبة الجامعات . فهناك بعض الطلبة يهتمون بتكوين علاقات عاطفية مع الطالبات اكثر مما يهتمون بدراستهم وتحصيلهم العلمي وهذا ماقد يحرفهم عن الدراسة ويقود بهم الى الرسوب وعدم أكمال الدراسة . زد على ذلك أن مثل هذه العلاقات العاطفية بين الطلبة والطالبات تلزم بعض الطالبات على ترك الدراسة بعد تدني مستوياتهن العلمية نتيجة الانغمار في الاجواء الرومانتيكية التي تبعد كل البعد عن الحياة العلمية والأكاديمية .

هنالك مشكلة اخرى خلقتها هذه المرحلة المتعارضة وهي ان الشاب والشابة يجدان امامهما فرص الخروج من البيت اما الى الكلية أو الدائرة او النادي الرياضي أو الحديقة ، وكذلك وفرت بعض المطاعم والشقق الفرص للقاء بين الشاب والشابة ان هذا اللقاء لم يعد بريئا وخاليا من الاخطار على مستقبل الفتاة . ومن ناحية اخرى يجب ان نعترف ايضا بأنه بالرغم مما قدمته الحضارة الحديثة من آثار التلفزيون والفلم السينمائي ومجلة وموديات الملابس المثيرة في العالم اجمع وبالرغم مما قدمه التقدم الاجتماعي في قطرنا من فرص اللقاء الايجابية سواء في المدرسة او الجامعة او المعمل أو الدائرة فان الشد الاجتماعي اصبح عاملا يعقد موضوع العلاقة بين الشاب والشابة ويعقد موقف الرجل من المرأة .

ولقد بينت الدراسات التي اجراها عدد من الباحثين الموقف الاجتماعي من الاختلاط وكما يلي : —

لقد وجد الدكتور نجاتي ان الاسر المتمدنة تميل الى اعطاء الابناء قدرا اكبر من الحرية الشخصية وفي اختيار الاصدقاء والخروج معهم ، وكذلك في الاختلاط بالجنس الآخر ، وفي اختيار المهنة وقد وجد كذلك بأنه كلما ارتفع المستوى الأقتصادي للأسرة تسامح الاباء في معاملة الابناء وخاصة فيما يتعلق بالاختلاط بالجنس الاخر (١٦) .

وقد وجد الباحث صباح باقران الطالبات في مجال الدراسة والعلاقة بالاساتذة أكثر شكوى من الطلاب بوجود مشكلات تتعلق بعلاقاتهم بالاساتذة والمواد الدراسية وان الطالبات اكثر اهتماماً بالمكتبة والحصول على المصادر من الطلاب . وفي مجال العلاقة بين الطلاب والطالبات كزملاء وزميلات بعضهم مع البعض الاخر والنشاط

الاجتماعي وجد ان الطالبات اكثر شكوى من الطلاب من وجود مشكلات تتعلق بظاهرة الاختلاط وان الطالبات اكثر حرصاً من الطلاب على التقاليد الاجتماعية وتمسكاً بالقيم الخلقية والدينية ، وكذلك ظهران هناك علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين سمة المشاركة الاجتماعية ومشكلات الطلبة في علاقاتهم بعضهم مع البعض الاخر والنشاط الاجتماعي ومشكلات الفراغ (١٧) .

اما عن موانع الاختلاط فقد بينت دراسة قام بها الباحث كامل سرحان حسن بأن الاسباب الاجتماعية والحضارية تأتي في مقدمة الاسباب التي تمنع الشباب عن الأختلاط(١٨).

(و) المشكلات القيمية:

ان المجتمع الساكن ليس فيه مشكلات قيمية فمثلا المجتمع البدائي المنعزل الذي يعيش في احدى الغابات والذي درج على نوع من التقاليد يعتبرها جزء من الدين المقدس ، ان هذا المجتمع يعيش في توافق تام مع قيمية ولكن التعارض مع القيم ونشوء المشكلات القيمية ينتج عن التغير الاجتماعي ولقد تعرض علماء الاجتماع الى التغير الاجتماعي وما يحدثه من مشكلات اجتماعية ونفسية .

ان مجتمعنا هو احد تلك المجتمعات التي شملها التغير التكنولوجي فلقد ظهرت الالات والمكائن والمعامل والسيارات والطائرات والقطارات وكلها تتطلب تكيفا اجتماعياً جديداً في العلاقات وتكيفا تجاه المهنة ومانتطلبة التكنولوجية الحديثة . فمثلا تتطلب ظروف العمل الوظيفي واتساع المدينة وقلة الوقت ان تسوق الامرأة السيارة أو الدراجة للوصول الى محل عملها وقد تتطلب ظروف العمل ان يعيش الفرد بعيداً عن اقاربه وعن قبيلته وقد لايفي بالتزاماته القبلية وقد يضطر ذلك الذي يلبس العقال والصاية ان يلبس السترة والبنطلون والقبعة الحديدية بسبب ظروف العمل .

أما شبابنا فلا شك انهم واقعون بين فكي الرحى بسبب وجود الواقع التقليدي إلى جانب الأثر التكنولوجي والتغيير السريع في الحياة وانماط السلوك فيها .

فالفتى والفتاة محاسبان امام العائلة والقبيلة والمحلة حول السلوك والمظهر الذي تتطلبه مستلزمات الحياة العصرية وكثيراً ما تتعرض الفتيات إلى الضرب والعقاب من قبل عوائلهن بسبب مخالفة التقاليد العائلية وكذلك فان كثير من الفتيات يعانين الامرين لسبب فرض ذويهن نوعاً معيناً من الملابس والمظهر السلوكي عليهن وكذلك تحديد مجالات دراستهن الجامعية أو محاولة منع من يتقدم للزواج بهن من زملائهن في الجامعة أو في

الدائرة لانه غريب عنهن أما بالنسبة للفتى فانه يعاني من اضطراره لأن يسلك نوعين من السلوك احدهما هو ذلك السلوك الذي تفرضه القبيلة والعائلة والمحلة والآخر هو ذلك السلوك العصري الذي تفرضه الجامعة والمعمل والدائرة والمقهى وما يأتي به التلفزيون والمجلة والكتب المختلفة .

مما لا شك فيه أن أي تصادم قيمي هو نوع من الشدّ الذي يتمزق فيه الانسان بين نوعين من القيم المتضاربة ومما لا شك فيه أيضاً ان هذا الشد يخلق انواعاً من التأزم النفسي والقلق الذي يصل إلى حد المرض أحياناً .

أما الدراسات العلمية حول المشكلات القيمية فقد بينت ما يلي : —

لقد وجد الدكتور جابر عبدالحميد جابر ما يلي : —

١ — ان الاتجاه نحو التحرر متفق عليه بين الطلاب والطالبات بالنسبة لأختلاط الجنسين .

٢ — اما بالنسبة لتعليم المرأة فقد وجد الباحث ان اتجاهات الرجال في هذا المجال تدل على انحسار التيار المحافظ والاقبال على التيار التقدمي الذي يساوي بين الجنسين .

٣ — اما بالنسبة إلى حق العمل فقد وجد ان ٦١٪ من الرجال يوافقون على وجوب مساواة المرأة بالرجل في الأجور في نفس العمل ، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٩١٪ عند الاناث .

٤ — وفيما يخص الحقوق السياسية للمرأة فقد وجد الباحث ان نسبة تزيد على النصف من الرجال توافق على اعطاء المرأة حقوقها السياسية وتزيد هذه النسبة عند الاناث حيث أظهر التحليل الاحصائي وجود فروق ذات دلالة احصائية بين الجنسين .

٥ — اما بالنسبة لطبيعة الزواج واجراءاته فقد وجد الباحث ان اتجاه الفتيات في هذا الشأن اكثر محافظة من الفتيان .

٦ — اما بالنسبة الى مركز المرأة في الأسرة فقد وجد الباحث ان الاناث أميل الى رفض الدور التقليدي للزوجة وتدعيم الدور العصري لها من الذكور (١٩) .

وفي دراسة أخرى للدكتور جابر توصل الباحث الى النتائج التالية : —

١ — ان الطلاب والطالبات تتغير قيمهم مبتعدين عن القيم التقليدية ومقتربين من القيم المنبثقة .

٢ ــ ان تغير قيم الطلاب في الدراسة المستعرضة كان اكبر من تغيير قيم الطالبات الأمر الذي خالفته الدراسة الطولية .

٣ ــ ان هذا التغير يصدف على طلاب الجامعات بغض النظر عن الفروق الحضارية والثقافية .

٤ ــ ان معدل التغير في الصفين الاول والثاني كان اكبر من معدل التغير بعد ذلك يرى الطلاب والطالبات الذين درسوا دراسة طولية من النواحي الأكاديمية اكثر أهمية في تغيير قيمهم من انواع النشاطات الأخرى (٢٠) .

(أ) المقترحات والتوصيات لمعالجة المشكلات الأجتماعية:

١ ــ العمل على تطوير أساليب وفنون التنشئة الأجتماعية التي تمارسها الأسر وذلك من خلال زيادة معلوماتها وثقافتها بأصول التنشئة الأجتماعية وعملياتها وقيمها ومراحلها والمسؤولين عن أدائها .

٢ ــ ضرورة مبادرة المنظمات الجماهيرية والشعبية ووسائل الأعلام والبحث الأجتماعي بتوعية الأسر وارشادها حول أنجح الصيغ التي يمكن أن تعتمدها في تربية أبنائها وتقويم سلوكهم .

٣ ــ على الاسر استعمال أساليب العقاب والثواب في تنشئة أبنائهم وصقل مواهبهم كما يتطلب منها أنتهاج أساليب تأنيسية تجمع بين الشدة واللين في تربية الأبناء والاشراف عليهم .

٤ ــ على الجماعات المرجعية التي ينتمي اليها الشباب ويتفاعل معها كالاسرة وجماعة اللعب والنادي والمدرسة والحزب والجامع أو الكنيسة ووسائل الأعلام والمجتمع المحلي . تنسيق برامجها وفعالياتها وأسلوب عملها بحيث لاتشكل ضغوطا متعارضة على الشباب . فالمدرسة مثلا ينبغي أن تنسق مطاليبها مع الاسرة والحزب والمجتمع المحلي بحيث لايرهق الشباب ولا يكلفوا بواجبات من قبل جماعة مرجعية معينة تتناقض مع الواجبات التي يكلفوا بها من قبل جماعة مرجعية أخرى .

(ب) المقترحات والتوصيات لمعالجة المشكلات الاقتصادية:

١ ــ ضرورة تحسين الاوضاع الأقتصادية والمعاشية للشباب من خلال زيادة مخصصات الأسرة والحفاظ على مستويات الأسعار مع رفع الأجور والرواتب .

٢ ـ ضرورة تقديم المساعدات المالية والسلف النقدية للشباب الجامعي أو الشباب الذي هو في مرحلة أعداده العلمي والمهني والتكنولوجي . مع منح الشباب بعض الحوافز والمكافآت المادية لقاء عملهم وتحصيلهم العلمي .

٣ ـ على الشباب الابتعاد عن الاستهلاك المظهري وأعتماد مبادىء التقشف والاقتصاد في النفقات وترشيد الأستهلاك .

٤ ـ الكف عن المزاوجة بين العمل والدراسة في آن واحد . أي على الشباب عدم الجمع بين العمل والدراسة .

(ج) المقترحات والتوصيات لمعالجة مشكلات الفراغ والترويح:

١ ـ ضرورة قيام الشباب بأحترام الزمن والعمل على استثماره استثمارا عقليا يخدم المسيرة التنموية والحضارية في المجتمع .

٢ ـ الفصل بين أنشطة العمل وأنشطة الفراغ والترويح . أي أن وقت العمل ينبغي أن يستثمر في نشاطات الانتاج ووقت الفراغ ينبغي أن يستثمر في ممارسة الانشطة الترويحية الأيجابية .

٣ ـ على الشباب ممارسة الأنشطة الترويحية الأيجابية والابتعاد عن الانشطة الترويحية السلبية .

٤ ـ يتطلب من الشباب وضع جدول زمني يحدد ساعات العمل والانتاج وساعات الفراغ والترويح وساعات الراحة والنوم . كما يجب عليهم ترجمة هذا الجدول الزمني الى واقع عمل ملموس يسهم في تحقيق ذاتيتهم وتطوير شخصياتهم نحو الاحسن والأفضل.

(د) المقترحات والتوصيات لمعالجة المشاكل التربوية:

١ ـ توعية العائلة بالوسائل الاعلامية كالتلفزيون والراديو وعن طريق المنظمات الشعبية كالاتحاد النسائي وبقية الاتحادات التي يمكن ان تؤدي دورا بأن العالم في تغير وان هنالك ظروف ومستجدات تحدث في القطر وان التربية التقليدية لها محاسنها وايجابياتها ولكننا يجب ان لانخسر ايجابيات التغير أيضا .

٢ ـ توعية العائلة بان طموحات ابنائها ليس من الضروري ان تتفق مع طموحاتها أو وجهات نظرها في تخطيط مستقبلها .

٣ — توعية الشباب بان طموحاتهم قد لاتتوافق مع الواقع والظروف المحيطة بهم وعليهم ان يوفقوا بين طموحاتهم والظروف الموضوعية المحيطة بتلك الطموحات وبان عدم تحقيق الطموحات يجب ان لايكون مصدرا للاحباط .

٤ — العمل على التخطيط الجاد المدروس للانتقال بالشباب من الاثر البيتي غير المتوافق مع الظروف الموضوعية والتغير الاجتماعي الى الاثر المدرسي والمحيطي انتقالا تدريجيا وعقلانيا .

٥ — التخطيط الجاد لمستقبل الشباب بما يتلاءم مع رغباتهم واستعداداتهم والتخطيط لمستقبلهم منذ المراحل الدراسية الاولى .

٦ — العمل على ايجاد مجالات المهنة في حدود التخصص الذي حصل عليه الشاب حتى لاتبقى البطالة سببا للمشاكل النفسية والأجتماعية .

(هـ) المقترحات لمعالجة مشكلة الاختلاط :

ان المرحلة الدراسية التي تسبق الدراسة الجامعية يمكن ان تسهم مساهمة فعالة اذا ماأحسن استغلالها فيجب ان يكرس المختصون بعلم النفس والتربويون ومدراء ومديرات المدارس بتقديم دراسة جادة ومعمقة لوضع ضوابط وأسس فعالة لاستغلال هذه المرحلة التمهيدية للاختلاط وكذلك من الممكن مراقبة اسباب سلبياتها .

٢ — ان يشغل الشباب من الذكور والاناث بنوع من الفعاليات التي تتعلق بالمصلحة العامة أو بمصلحة المكان الذي يلتقون فيه سوء كان مدرسة أوكلية بحيث ان وجود الشاب والشابة في ذلك المكان واستمرار عضويته فيه يعتمد على انجازه الجيد في هذه الجوانب الى جانب انجازه الجيد في مجال عمله وتخصصه وان تتكون لجان حريصة مهمتها التقييم .

٣ — ان تقوم الجهات المعنية كالاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق وكذلك الأتحاد العام لنساء العراق والمشرفون التربويون والمدرسون بعملية التوعية فيها يتصل بضرورة فهم الشاب والشابة لدوره في المجتمع ومستقبله هو بالذات وضرورة تفهم العلاقة والاختلاط على أسس أيجابية .

وكذلك يجب ان توظف المسرحيات والتمثيليات التلفزيونية وبرامج التلفزيون والراديو الاخرى لخدمة هذا الغرض أيضاً .

(و) المقترحات لمعالجة المشكلات القيمية :

١ — توظيف وسائل الاعلام المختلفة لتوعية العائلة .

٢ — محاولة تقليل الفجوة مابين العائلة التقليدية وواقعها العصري بالوسائل المختلفة كالتعليم وكذلك استغلال مدارس محو الامية والمنظمات الشعبية للوصول الى هذا الهدف .

٣ — توعية الشباب بأن هنالك تعارضاً فعلياً موجوداً مابين القيم القديمة والقيم الجديدة وافهامهم بأن حل الاشكال لايأتي عن طريق التأزم أو الحيرة أو التمرد وانما عن طريق التكيف الأيجابي العقلاني . وانا لانسان السليم هو الانسان الذي يستطيع أن يتكيف لبيئته الطبيعية والحضارية والاجتماعية .

الهوامش والمصادر :

(1) United Nations, Demographic Year book New york, 1978. See the section on Asia.

(٢) صدام حسين (رئيس الجمهورية العراقية). نكسب الشباب لنضمن المستقبل ،بغداد، ١٩٧٧، ص٧ — ٨ .

(٣) الحسن ،احسان محمد (الدكتور). الثورة والقادسية الجديدة، مطبوعات مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣٩ .

(٤) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الأشتراكي ،بغداد ،١٩٧٤، مطابع دار الحرية، ص١٦٨ .

(٥) حسن كامل سرمك. بعض المشكلات الأجتماعية والحضارية التي يعاني منها الشباب في العراق وطرق علاجها، أطروحة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ،الجامعة المستنصرية ،١٩٨٢، ص٤.

(6) Johnson, H. Sociology: A Systematic Introduction, New york Harcourt press 1960 P. 110.

(٧) الحسن ،احسان محمد (الدكتور). التنشئة السياسية وقنواتها الفكرية والتربوية ،مجلة آداب المستنصرية ،العدد ٣٤، ١٩٨٤، ص ٥٢٧.

(٨) العكيلي، منى حميد. التنشئة الأسرية وأثرها في أحداث القلق العصابي ، أطروحة ماجستير غير منشورة في علم الأجتماع ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨١، ص١٧٥.

(٩) نفس المصدر السابق ،ص ١٥٨ .

(10) Mitchell, D. A; Dictionary of Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1973, P. 145.

(١١) الحسن، احسان محمد (الدكتور). مشكلات الشباب الجامعي، دراسة منشورة في جريدة الاعلام، العدد ١٣ السنة السادسة، ١٩٨٢/١١/١٥. ص٣.

(١٢) حسن، كامل سرمك .بعض المشكلات الأجتماعية والحضارية التي يعاني منها الشباب ،ص٢٤٧

(13) Anderson, N. Work and Leisure, London Routledge and Kegan Poul 1961, P. 182.

(14) Ibid., P. 184.

(١٥) الدكتور نجاتي، محمد عثمان ، اتجاهات الشباب ومشكلاتهم التقرير الاول والثاني دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٦٣.

(١٦) الدكتور نجاتي، محمد عثمان، أتجاهات الشباب ومشكلاتهم،التقرير الأول والثاني دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣ .
(١٧) صباح باقر، مشكلات الطلاب والطالبات في كليات جامعة بغداد وعلاقتها ببعض سمات شخصياتهم، رسالة ماجستير ،بغداد ١٩٦٨ .
(١٨) كامل سرملك حسن، بعض المشكلات الأجتماعية والحضارية التي يعاني منها الشباب في العراق وطرق علاجها ،بغداد، ١٩٨٢.
(١٩) الدكتور جابر عبد الحميد جابر، الاتجاهات النفسية للشباب نحو مركز المرأة في المجتمع العراقي، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الثالث، المجلد السابع١٩٧٠.
(٢٠) الدكتور جابر عبد الحميد جابر، التعليم الجامعي في العراق وتغير القيم الاجتماعية، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الأول، المجلد الخامس،١٩٦٨.

دراسة في سكان الوطن العربي

الدكتور خطاب صكار العاني

كلية التربية — جامعة بغداد

لقد بلغ عدد سكان الوطن العربي في عام ١٩٨٢ ، حوالي (١٧٥) مليون نسمة ، بعد ان كان حوالي (١٤٠) مليون نسمة في عام ١٩٧٥ وحوالي (١٢٧) مليون نسمة في عام ١٩٧٠ . ومن المتوقع ان يرتفع العدد الى حوالي (٢٢٧) مليون نسمة في عام ١٩٩٠ . ويعتبر معدل النمو السكاني في المنطقة العربية واحدا من اعلى المعدلات في العالم ، حيث يبلغ (٣٠) بالالف في كل عام ، بينما هو (١٧) بالالف في العالم ككل ، وحوالي (١٠) بالألف في الاقطار الاكثر تقدما ، مثل اقطار غرب اوربا .

وعند دراستنا للزيادة الطبيعية للسكان في الوطن العربي ، نجد انها اخذت في الارتفاع خلال السنوات الاخيرة ، وبصورة خاصة بعد زيادة عوائد النفط في بعض الاقطار العربية اضافة الى التقدم الحاصل في قطاع الخدمات الصحية والاجتماعية ونمو السكان في اقطار الوطن العربي يرتبط بعاملين اساسيين هما : الزيادة الطبيعية والهجرة منها واليها . وكما هو معلوم ، ان الزيادة الطبيعية هي الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات ونلاحظ على نمو السكان في الوطن العربي مايلي : —

١ — ان معدل المواليد في القسم الاعظم من اقطار الوطن العربي يتراوح مابين ٣٥ — ٥٠ بالألف وهي نسبة مرتفعة تجعل الوطن العربي يصنف ضمن المناطق المرتفعة المواليد اذا ماقيس بالمعدل العالمي . وقد اثبتت الدراسات ، ان مرجع هذه الزيادة يعود الى مايلي : —

(أ) الرغبة في زيادة عدد افراد الاسرة في بعض المناطق البعيدة عن السلطة المركزية كما هو الحال في اطراف المناطق الصحراوية ، اي ان الزيادة في هذه المناطق لها وظيفة دفاعية . وقد قلت اهمية هذا العامل خلال السنوات الأخيرة بعد استتباب الامن في تلك المناطق .

(ب) الزواج المبكر الذي يعتبر هو الاخر ، عاملا في هذه الزيادة.

(ج) اعتبار الاطفال جزء من القوى العاملة في بعض الاقطار العربية ، وبخاصة الزراعية منها ، مثل مصر والسودان .

ولهذا ، فان البنية الديموغرافية للاقطار العربية ، تعتبر بنية شابة ، لان الذين هم في سن الخامسة عشرة وما دونها تصل الى اكثر من ٤٨٪ من مجموع السكان في معظم هذه الاقطار (١) . والواقع ، اننا عند دراسة جدول معدلات المواليد الخام في اقطار الوطن العربي نجد أنها تكاد تكون متجانسة فيما بينها ، سواء كانت في القسم الآسيوي أو في القسم الأفريقي .. الا ان متوسط معدل الوفيات يختلف بين الأقطار المتقدمة نسبيا والاقطار المتخلفة فيما تبلغ النسبة (٥،٤) بالألف في تونس ، نجدها ترتفع الى (٢٠،٩) بالألف في موريتانيا .. كما يظهر من الجدول التالي : —

(١) الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا، النشرة السكانية ، العدد ١٦، حزيران ١٩٧٩، صفحة ٤٨.

جدول رقم — ١ —

معدلات المواليد الخام والوفيات ونسبة الزيادة السنوية في الأقطار العربية لعام ١٩٨٢ .

الأقطار العربية	متوسط معدل المواليد (في الألف)	متوسط معدل الوفيات (في الألف)	متوسط الزيادة السنوية (في الألف)
جمهورية مصر العربية	٣٦,٩	١٠,٣	٢٦,٦
تونس	٣٢,٩	٥,٤	٢٧,٥
الجزائر	٤٧,٠	١٠,٥	٣٦,٥
المملكة المغربية	٤٤,٠	١١,٥	٣٢,٥
ليبيـــا	٤٢,٢	٥,٦	٣٦,٦
السودان	٤٥,٩	١٧,٤	٢٨,٥
موريتانيـــا	٥٠,١	٢٠,٩	٢٩,٢
الصومال	٣٨,٨	١٣,٩	٢٤,٨
المملكة الأردنيـــة	٤٤,٩	٨,٤	٣٦,٥
سوريـــة	٤٥,٧	٥,٩	٣٩,٨
لبنان	٢٩,٣	٨,٨	٢٠,٥
العـــراق	٤٤,٩	١٠,٧	٣٤,٢
المملكة السعـــودية	٤٣,٠	١٢,١	٣٠,٩
اليمن الشمالية	٤٨,٥	٢١,٦	٢٦,٩
اليمن الجنوبية	٤٧,٦	١٨,٨	٢٨,٨
البحـــرين	٣٢,٣	٥,٣	٢٧,٠
الكويت	٣٤,٧	٣,٢	٣٠,٥
عمـــان	٤٧,٣	١٥,٩	٣١,٤
قطـــر	٣٠,١	٤,٦	٢٥,٥
الامـارات العربية	٢٧,٠	٤,٠	٢٣,٠

المصدر : —

World Health Organization, World Health Statistics Annual, 1984, Pp.–28–29 .

ونتيجة لأرتفاع نسبة زيادة السكان في اقطار الوطن العربي ، فقد ارتفع المجموع من حوالي (١٢٧) مليون نسمة في عام ١٩٧٠ الى اكثر من(١٧٤)مليون نسمة في عام ١٩٨٢ كما يظهر من الجدول التالي : —

جدول رقم (٢) تقديرات السكان في الوطن العربي
(بالمليون نسمة)

الاقطار العربية	١٩٧٠	١٩٨٢	١٩٩٠
الجزائر	١٤٤٠٠	٢٠٢٩٣	٢٧٧٤٠
العراق	٩٥٠٠	١٣٩٩٧	١٨٣٥٠
الامارات العربية المتحدة	١٩٠	٧٩٠	٨٦٠
السعودية	٧٧٤٠	٩٦٨٤	١٤٠٩٠
قطر	١٢٠	٢٥٨	٣١٠
الكويت	٧٤٠	١٥٦٢	٢,٢٣٠
ليبيا	١٩٤٠	٣٢٢٤	٣٥٩٠
الاردن	٢٣٠٠	٣٤٨٩	٤٤٠٠
البحرين	٢١٠	٣٣١	٤١٠
تونس	٥١٣٠	٦٧٢٦	٨٦٣٠
سوريا	٦٣٠٠	٩٦٦٠	٨٦٣٠
عمان	٦٦٠	٩٤٨	١٢٢٠
لبنان	٢٤٧٠	٢٧٣٩	٤٦٤٠
مصر	٣٣٨٠٠	٤٤٦٧٣	٥٢٦٤٠
المغرب	١٥٣١٠	٢١٦٦٧	٢٧٦٣٠
السودان	١٥٧٠٠	١٩٤٥١	٢٩٤٢٠
الصومال	٢٧٩٠	٥١١٦	٤٩١٠
موريتانيا	١١٦٠	١٧٣٠	١٨٠٠
اليمن ج.ع	٥٧٧٠	٦٠٧٧	١٠٤٤٠
اليمن د.ش	١٤٤٠	٢٠٩٣	٢٦٠٠
المجموع	١٢٦٧٠٠	١٧٤٥٠٨	٢٢٧٦٣٠

المصدر — الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية — القوى العاملة في الوطن العربي ص ٢٤

UNESCO, Statistical year book, 1984, pp. 1–8 and — — 9 .

توزيع السكان في الوطن العربي:

ان توزيع السكان في اقطار الوطن العربي يتأثر بعدة عوامل ، اهمها العوامل الطبيعية وبخاصة المناخ والتضاريس الارضية ، ولربما كان لتوفر الماء او عدمه ، الاثر الاهم في هذا التوزيع لان القسم الاعظم من اراضي الوطن العربي يسيطر عليه الجفاف . لذا ، فقد شغلت الصحراء القسم الاعظم من مساحته في كلا القسمين الآسيوي والافريقي . وقد اثبتت الدراسات التي أجريت حول تركز السكان في الوطن العربي، ان خط المطر المتساوي (٢٥٠) مليمتر يلعب دوراً هاماً في هذا التركز . فعندما تقل كمية الامطار عن (٢٥٠) مليمتراً في السنة ، تصبح الزراعة معتمدة على الري وتتركز حول احواض الأنهار ، كما هو الحال في العراق ومصر والاردن ولبنان واقطار المغرب العربي .اما المناطق التي لاتوجد بها انهار دائمة الجريان، ولا يسقط فيها من الامطار مايكفيها(أي مابين ٢٥٠ – ١٠٠ملم) فتنمو فيها اعشاب قصيرة عند سقوط الامطار الشتوية ، كما هو الحال في الاقسام الشمالية من الوطن العربي ، او اعشاب غنية – نسبيا – عند سقوط الامطار الصيفية في الاقسام الجنوبية منه ، كما في السودان واليمن ، والظروف في هذه المناطق لاتساعد على تركز السكان بشكل كثيف ، بل ان القسم الأكبر منهم يعيش في مجموعات متباعدة بعضها عن بعض .

اما المناطق التي يقل فيها سقوط المطر عن (١٠٠) مليمتر ، فيعود فيها المناخ الصحراوي وتظهر الصحراء الواسعة بكل صفاتها من جفاف ونقص في الموارد المائية ، وينعدم وجود الحشائش التي لاحظنا نموها في المناطق السابقة ، والتي كانت عوناً للسكان على تربيـة الماشية ... وتنتشر الصحارى في كل اقطار الوطن العربي تقريباً ، الا انها تتفاوت في مساحتها من قطر الى آخر .

ولو تفحصنا خارطة توزيع المطر في الوطن العربي ، لوجدنا ان خط المطر المتساوي (٢٥٠) مليمتراً يمر خلال المناطق الشمالية منه في كل من لبنان وسورية واقطار المغرب العربي والعراق وفلسطين ، كما يمر في بعض اجزائه الجنوبية في كل من اليمن والسودان ويكاد ينطبق توزيع السكان ، باستثناء مناطق الاودية النهرية وحقول البترول ، مع توزيع المطر . فالقسم الاعظم منهم يتركز في المناطق القريبة من سواحل البحر المتوسط ، وخاصة مابين دائرتي عرض ٣٠° و ٣٧° شمالا .

ويدخل ضمن ذلك سورية ولبنان وفلسطين والجهات الشمالية الشرقية من العراق وأجزاء من دلتا النيل في مصر والجبل الاخضر في ليبيا ومناطق التل وجبال الاطلس في اقطار المغرب العربي. وتشمل هذه المساحة حوالي ١٧٪ من مساحة الوطن العربي ، اي مايقارب من مليوني كيلو متر مربع .ويسكن هذه المنطقة حوالي نصف سكان الوطن العربي ،اذا مااستثنينا دلتا النيل اما اذا دخلناها فتصل النسبة الى حوالي الثلثين. اما القسم الاكبر من بقية سكان الوطن العربي فيسكن في مناطق الاودية النهرية وبعض مناطق الامطار الصيفية في الجنوب.

هذا ولاينكر ماللعامل الاقتصادي من اثر في توزيع السكان ، فقد اخذ السكان يتركزون في مناطق البترول في كل من العراق والكويت والسعودية وليبيا والجزائر، على الرغم من عدم صلاحية هذه المناطق من الناحية الطبيعية ؛ لان القسم الأكبر منها عبارة عن صحاري قاحلة والقسم الآخر معقد من حيث تضاريسه. ولقد كانت هذه المناطق خالية من السكان قبل اكتشاف البترول، اما الآن فقد ازدحم فيها السكان نظراً لوفرة الاعمال والخدمات..

والى جانب العامل الاقتصادي، هناك العوامل التاريخية والسياسية التي كانت سبباً في تجمع السكان .فما تجمع السكان في جبال لبنان وفي جبال العراق وجبال الاطلس الا بسبب هذين العاملين. فالمنطقة الجبلية قد وفرت لهم حماية وأمناً خلال القرون الماضية لم تتمكن السهول من توفرها لهم عندما يداهمهم الخطر.

ويلاحظ على توزيع السكان في الوطن العربي مايلي:

١ ــ ان حوالي ٧٠٪ من مجموع السكان يسكنون في القسم الافريقي وحوالي ٣٠٪ في القسم الآسيوي.

٢ ــ ان مايقرب من ٣٧٪ من السكان يسكنون وادي النيل في كل من مصر والسودان وهي ذات موارد محدودة ــ حالياً ــ لاتكفي لهذا العدد الكبير من السكان (حوالي ٦٥مليون نسمة) .

٣ ــ ان بعض مناطق الوطن العربي تتمتع بموارد اقتصادية كثيرة ، لكنها قليلة السكان وخير مثال على ذلك، العراق وليبيا وبقية الأقطار النفطية، وهي بحاجة الى القوى العاملة من الأقطار العربية ذات الفائض السكاني.

٤ ــ ان تجزئة الوطن العربي من قبل القوى الاستعمارية ووضع الحدود المصطنعة بين اقطاره قد عرقل عملية انتقال الايدي العاملة بينها .

٥ — تدل احصائيات السكان لعام ١٩٨٢ ،على ان عدد سكان الاقطار النفطية يبلغ حوالي (١٦) مليون نسمة فقط ، اي انهم يمثلون حوالي ٩٪ من سكان الوطن العربي ، اما سكان الاقطار نصف النفطية فيقدرون بحوالي ٣٥ مليون نسمة ، اي حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان ، ويبلغ عدد سكان الاقطار الاخرى حوالي (١٢١) مليون نسمة ، اي حوالي ٧١٪ من مجموع السكان .

وتدل الدراسات على ان الاقطار غير النفطية هي التي تعاني من ضغط السكان ، في حين ان الاقطار النفطية ونصف النفطية بحاجة الى الايدي العاملة ، وانها قادرة على استيعاب اعداد كبيرة منها ، لهذا ، فمن الضروري فتح مجال العمل امام هذه الزيادة من الايدي العاملة . ان تنقل الايدي العاملة العربية ضرورة أمنية واقتصادية في آن واحد ، لانها سوف تحافظ على التوازن السكاني بين اجزاء الوطن العربي وتسد الطريق امام تدفق الايدي العاملة الاجنبية ، وهي ضرورة اقتصادية ، لانها سوف تخفف من الضغط السكاني في الاقطار ذات الفائض بالايدي العاملة على مواردها الاقتصادية المحددة ، وبخاصة على القطاع الزراعي والارض الصالحة للانتاج الزراعي . فقد دلت الاحصائيات على ان في مصر بطالة مقنعة في هذا القطاع تقدر بحوالي ٤٥٪ من القوة الزراعية من الذكور ، اي حوالي ١,٥ مليون عاطل ، اما في القطر المغربي ، فهناك بطالة واضحة تقدر بحوالي ١١٪ من القوة العاملة ، اي حوالي (٥٥٠) الف عامل في عام ١٩٧٧ ، بل ويذهب البعض الى أبعد من ذلك ، ويقدرها بحوالي ١,٢ مليون عاطل (١) . وهذا مايجعل التكامل البشري بين الاقطار العربية ضرورة ملحة . والجدول التالي يعطينا صورة عن التوزيع النسبي للسكان في الاقطار العربية (أعددناه بتقسيم عدد سكان القطر على عدد السكان الأجمالي للوطن العربي مضروباً في مائة) : —

---

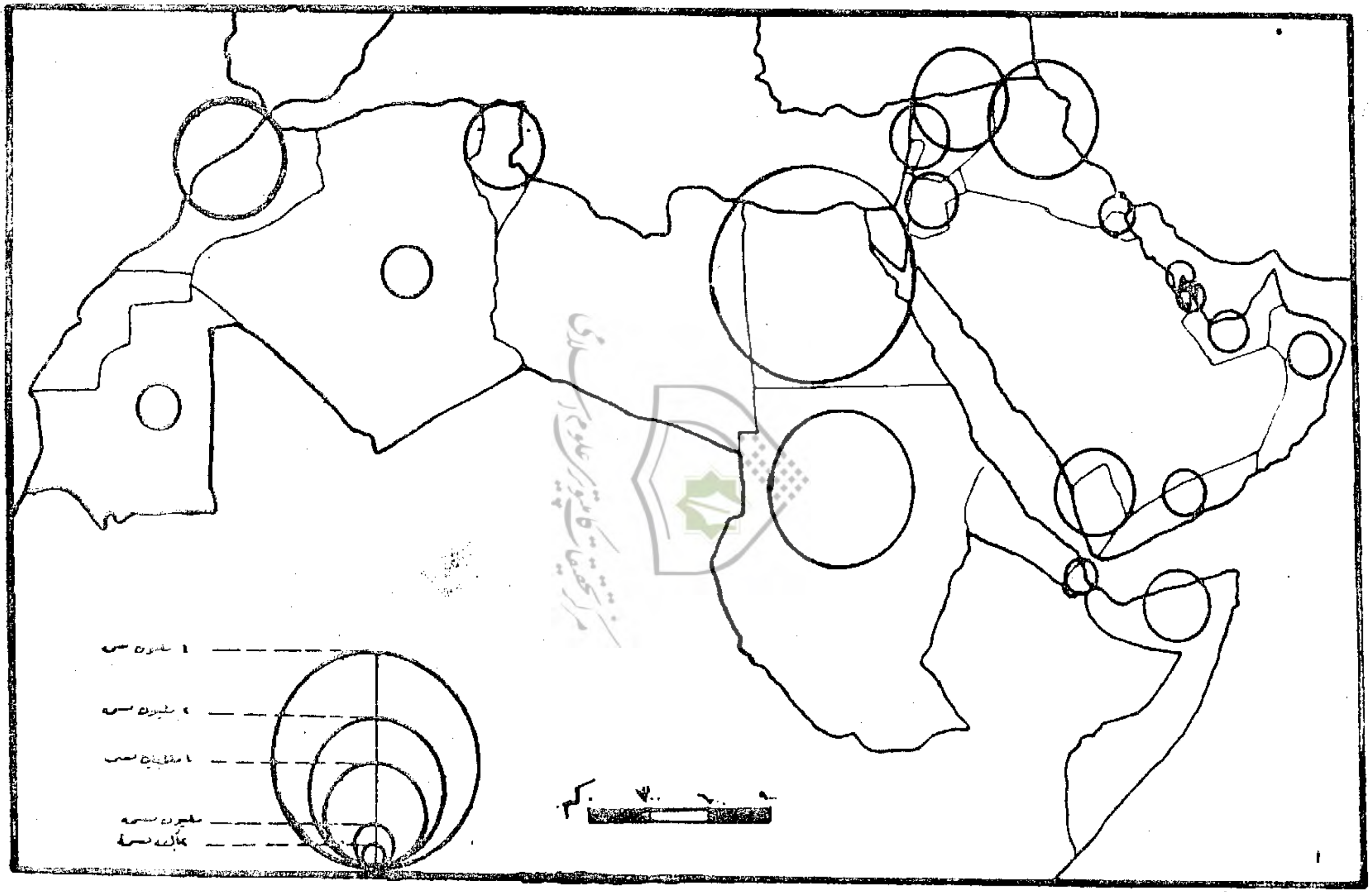
(١) محمد الأمين فارس، التعاون والتكامل الأقليمي للموارد البشرية العربية، استراتيجية الهجرة ، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، المجلد ١١ ، العدد٢، ١٩٧٩، ص ١١١.

جدول رقم (٣)

التوزيع النسبي للسكان في الأقطار العربية

الأقطار العربية	النسبة في المائة ١٩٧٠	النسبة في المائة ١٩٧٥	النسبة في المائة ١٩٨٢
الجزائر	١٠٫٩	١١٫٢	١١٫٤
جيبوتي	٠٫١	٠٫١	٠٫١
مصر	٢٧٫٣	٢٦٫٥	٢٥٫٩
ليبيا	١٫٦	١٫٧	١٫٨
موريتانيا	١٫٠	١٫٠	١٫١
المملكة المغربية	١٢٫٤	١٢٫٤	١٢٫٤
الصومال	٢٫٣	٢٫٣	٢٫٣
السودان	١١٫٦	١١٫٤	١١٫٣
تونس	٤٫٢	٤٫١	٣٫٩
البحرين	٠٫٢	٠٫٢	٠٫٢
العراق	٧٫٧	٧٫٨	٨٫١
الاردن	١٫٩	٢٫—	٢٫١
الكويت	٠٫٦	٠٫٧	٠٫٨
لبنان	٢٫٠	٢٫٠	٢٫٠
عمان	٠٫٥	٠٫٥	٠٫٦
قطر	٠٫١	٠٫١	٠٫١
المملكة العربية السعودية	٥٫١	٥٫٢	٥٫٢
سوريا	٥٫١	٥٫٣	٥٫٣
دولة الأمارات العربية	٠٫٢	٠٫٤	٠٫٥
الجمهورية العربية اليمنية	٤٫٠	٣٫٩	٣٫٧
جمهورية اليمن الديمقراطية	١٫٢	١٫٢	١٫٢
الاجمالي	١٠٠٫—	١٠٠٫—	١٠٠٫—

ولربما تكون الصورة اكثر وضوحاً في الخارطة القادمة (رقم – ١) :



خارطة رقم — ١ —

حجم السكان في الاقطار العربية (١٩٨٠)

النمو الحضري في الوطن العربي:

تمر حركة التحضر في الوطن العربي بمرحلة سريعة جداً ، وسببها تزايد عدد السكان واستمرار انتقال سكان الريف الى المدن ، وارتفاع مستوى معيشتهم ، فقد ادى توفر فرص العمل وتحسين مستوى المعيشة في المدن الى اندفاع المهاجرين نحوها. وتدل الدراسة على ان مدينة عمان في الأردن تضم أكثر من ٩٠٪ من المؤسسات الصناعية في الأردن وفيها أكثر من ٩٠٪ من مؤسسات الخدمة الأجتماعية . وتتركز في بيروت ٧٥٪ من المؤسسات الصناعية في لبنان وتتركز في القاهرة حوالي ٤٠٪ من مجموع الصناعات المصرية .... لهذا ، فان الزيادة السكانية الحضرية في الوطن العربي تسير بمعدلات اعلا من زيادة السكان العامة . فقد تضاعف عدد السكان الحضر اربع مرات تقريباً مابين ١٩٥٠ و ١٩٧٣ . وفي العراق والمغرب تضاعف السكان الحضر ثلاث مرات ، خلال تلك الفترة .. ويلاحظ ان النمو الحضري السريع في الوطن العربي لايسير على وتيرة واحدة في جميع المدن ، بل ان نصيب العواصم اعلى من بقية المدن . فقد زاد عدد سكان عمان مابين ١٩٥٠ و ١٩٧٥ ، حوالي ست مرات ، وتضاعف عدد سكان مدينة الكويت اكثر من عشر مرات خلال تلك الفترة ، ويعيش حوالي ٧٠٪ من السكان الحضر في لبنان في بيروت.. ويبين الجدول التالي توزيع السكان بين الريف والحضر في الوطن العربي :—

جدول رقم (٤) توزيع نسبة السكان بين الريف والحضر في أقطار الوطن العربي لعام ١٩٨٠.

الأقطار	الريف	الحضر
الامارات العربية	١٦,١	٨٣,٩
البحرين	١٩,٩	٨٠,١
الجزائر	٤٦,٣	٥٣,٧
السعودية	٧٨,٠	٢٢,٠
العراق	٣٩,٠	٦١,٠
عمان	٩٤,٦	٥,٤
قطر	١٢,٠	٨٨,٠
الكويت	١١,٠	٨٩,٠
ليبيا	٦٩,٣	٣٠,٧
الاردن	٤٠,٠	٦٠,٠
تونس	٥٠,٦	٤٩,٤
السودان	٨٨,٢	١١,٨
سوريا	٤٩,٢	٥٠,٨
الصومال	٧٧/٣	٢٢,٧
لبنان	٣٥,٠	٦٥,٠
مصر	٥٥,٠	٤٥,٠
المغرب	٥٥,٦	٤٤,٤
موريتانيا	٩٠,١	٩,٩
اليمن الشمالي	٩١,١	٨,٩
اليمن الجنوبي	٦٦,٧	٣٣,٣

المصدر – الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية – القوى العاملة في الوطن العربي ص٢٠.

أما بالنسبة للهجرة من وإلى اقطار الوطن العربي ، فيظهر النوع الاول في هجرة الكوادر العلمية إلى الاقطار الاجنبية ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية واقطار غرب اوربا ويظهر النوع الثاني في هجرة العناصر الاجنبية إلى اقطار الخليج العربي . فبالنسبة للهجرة الاجنبية إلى اقطار الخليج العربي . أظهرت الدراسات على ان نسبة هذه العناصر إلى المنطقة بلغت أكثر من نصف السكان الاصليين ، وان القسم الاكبر منهم قد دخل البلاد بصورة غير شرعية خلال النصف الاول من هذا القرن.

وعند دراسة احصائيات السكان لمنطقة الخليج العربي ،ندرك الخطر المحدق بهذه المنطقة في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب ، اذا لم تتخذ الاجراءات اللازمة نحو هذا الخطر ،لان ذلك سيطمس الهوية القومية للسكان العرب ، وذلك بجعلهم اقلية سكانية لاتستطيع تقرير مصير المنطقة .. والواقع ، ان لهذه الهجرة الاجنبية إلى منطقة الخليج العربي مخاطر كبيرة على المستقبل السياسي والاقتصادي والاجتماعي لهذه الاقطار. لهذا ،فمن الضروري تشجيع عملية انتقال الايدي العاملة العربية من الاقطار العربية المزدحمة بالسكان إلى هذه المنطقة. ويكون ذلك عن طريق ابرام اتفاقيات جماعية أو ثنائية وان يوضع تنفيذها بأسرع وقت ممكن.هذا ، والخطوة التالية لذلك ، تكون طرد القوى العاملة الاجنبية وابدالها بقوى عاملة عربية. والواقع ، ان هناك اتفاقية عربية لتنقل القوى العاملة أصدرها وزراء العمل العرب في الكويت بدورتهم الثالثة المنعقدة في عام ١٩٦٧ ، والتي ادخلت عليها تعديلات في عام ١٩٧٥ ، تحت أسم «الاتفاقية العربية رقم٤ لعام ١٩٧٥» (١) . الا أنه من المؤسف حقاً ، ان تطبيقها لايزال يواجه بعض الصعوبات ، نرجو ان تزال في المستقبل القريب ،والجدول التالي يوضح نسبة العناصر الاجنبية إلى السكان الاصليين في اقطار الخليج العربي : —

(١) امين عز الدين، انتقال القوى العاملة في الوطن العربي، اتجاهاتها وتنظيمها، مجموعة محاضرات دورة علاقات العمل واثرها في التنمية، مكتب العمل العربي، بيروت، ١٩٧٧ ص ٧ .

جدول رقم (٥)

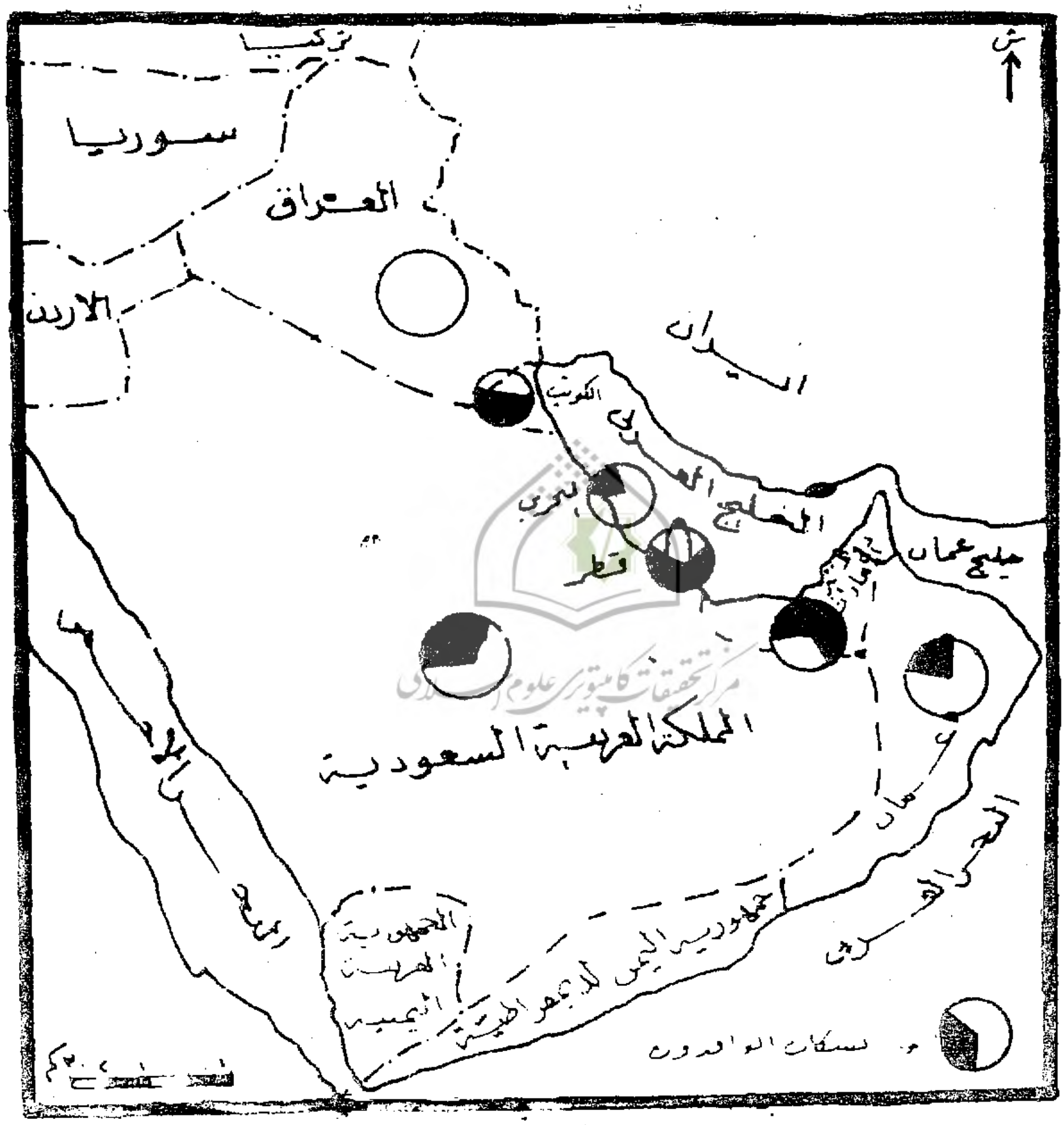
نسبة السكان الوافدين والأجانب إلى مجموع السكان العاملين في منطقة الخليج العربي لعام ١٩٧٧ (١).

القطـــر	نسبة السكان الوافدين من مجموع السكان	نسبة الاجانب إلى مجموع السكان	نسبة العاملين الوافدين من مجموع العاملين
الكـــويت	٥٣	١١	٧٣
المملكة العربية السعودية	٩ و ٢٥	٤	٤ و ٣٦
البحـــرين	٥ و ١٧	٦ و ٩	١ و ٣٧
قطـــــر	٥٩	٥٥	٧ و ٨٣
دولة الامارات العربية	٦٥	٥٦	٥ و ٨٢
عمـــــان	٢٥	٨ و ٢٢	٨ و ٦١

ومن الارقام المذكورة اعلاه، يتبين ان الهجرة الاجنبية لمنطقة الخليج العربي تهدد التركيب السكاني الاصلي، الامر الذي سوف تكون له مخاطر حقيقية آنية ومستقبلية على الطابع العربي لهذه المنطقة ،ان هذه الهجرة ،في الحقيقة، ماهي الا محاولة للقضاء على الهوية القومية للسكان العرب، وذلك بجعلهم أقلية سكانية تكون فيها السيطرة المطلقة لتلك العناصر الدخيلة ،كما حصل في فلسطين مع الشعب العربي والهجرة الصهيونية. وهذا يتضح من ان هذه الجاليات الاجنبية تحاول اضعاف الروابط القومية التي تشد المواطن العربي بأمته العربية، لان هذه الجاليات تعتبر الرابطة القومية بين السكان العرب في منطقة الخليج العربي من ناحية والامة العربية من ناحية أخرى، تهديداً لمصالحها الاقتصادية في هذه المنطقة .ولربما تعطينا الخارطة القادمة(رقم ـ ٢ ـ) صورة أكثر وضوحاً عن تغلغل السكان الوافدين في المنطقة.

وتظهر الدراسة حول الهجرة الاجنبية إلى اقطار الخليج العربي وان الغالبية العظمى من هذه العناصر الاجنبية كان مصدرها الاقطار الاسيوية وخاصة الهند والباكستان وايران كما يظهر من الجدول التالي : ــ

(١) الدكتور صبري فارس الهيتي، الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية (رسالة دكتوراه مطبوعة) بغداد، ١٩٧٨، ص١٦٣.



خارطة رقم — ٢ —

نسبة السكان الوافدين من مجموع السكان في منطقة الخليج العربي ١٩٧٧

جدول رقم (٦)

توزيع القوى العاملة الاسيوية حسب الأقطار المستقبلية وبلدان المنشأ لعام ١٩٧٥ (١)

الاقطار المستقبلة		بلدان المنشأ الآسيوي					المجموع
		باكستان	الهند	ايران	كوريا	أخرى	
الامارات العربية	العدد	١٠٠٠٠٠	٦١٥٠٠	٢١٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٨٦٥٠٠
	النسبة	٥٥,١٨٪	٤١,٣٠٪	٣١٦٧٪	٥,١٣٪	١٣,٤٩٪	٤١,٤٢٪
قطر	العدد	١٦٠٠٠	١٦٠٠٠	٤٠٠٠	—	٢٠٠٠	٢٨٠٠٠
	النسبة	٨,٨٣٪	١٠,٧٤	٦,٠٣٪	—	١٣,٤٩٪	٨,٤٤٪
عمان	العدد	٣٢٥٠٠	٢٦٠٠٠	٤٠٠	—	٢٠٠	٥٩,١٠٠
	النسبة	١٧,٩٣٪	١٧,٤٦٪	٠,٦٪	—	١,٣٥٪	١٣,١٣٪
البحرين	العدد	١٦٨٠	٨٩٤٣	١٩٨٢	—	٩٨١	١٨٥٨٦
	النسبة	٣,٦٩٪	٦,٠١٪	٢,٩٩٪	—	٦,٦٣٪	٤,١٣٪
الكويت	العدد	١١٠٣٨	٢١٤٧٥	٢٨٩٣٣	٧٠٠٠	١١٤٠	٦٩٥٨٦
	النسبة	٦,١٩٪	١٤,٤٢٪	٤٣,٦٣٪	١٧,٩٥٪	٧,٦٩٪	١٥,٤٥٪
السعودية	العدد	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	١٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٨٥٠٠	٧٨٥٠٠
	النسبة	٨,٢٨٪	١٠,٠٧٪	١٥,٠٧٪	٧٦,٩٢٪	٥٧,٣٥٪	١٧,٤٣٪
المجموع	العدد	١٨١٢١٨	١٤٨٩١٨	٦٦٣١٥	٣٩٠٠٠	١٤٨٢١	٤٥٠٢٧٢
	النسبة	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

(١) قيس المؤمن – الهجرة الآسيوية الوافدة الى الخليج العربي ودورها وتأثيرها على عروبة الخليج العربي، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي. مجلة الخليج العربي، المجلد الحادي عشر ،العدد (٢)، ١٩٧٩، ص ٥٤.

ومما يزيد من خطورة هذه الهجرة ان اعداد هؤلاء الأجانب تزداد سنة بعد أخرى كما يظهر من الجدول التالي : —

جدول رقم (٧)

تطور القوى العاملة الأجنبية من مختلف المناشيء خلال الفترة

١٩٧٥ — ١٩٨٠ (١)

الأقطار المستقبلة		١٩٧٥	١٩٨٠	الزيادة
الكويت	اسيويون	٦٩٥٨٦	٨٧٦٧٨	١٨٠٩٢
	اجانب اخرون	٢١٣٥	٢٦٤٠	٥٠٥
البحرين	اسيويون	١٨٥٨٦	٢٢٩٩٠	٤٤٠٤
	اجانب اخرون	٤٤٩٩	٥٥٦٢	١٠٦٣
قطر	اسيويون	٣٨٠٠٠	٦١٠١٦	٢٣٠١٦
	اجانب اخرون	٨٤٦	١٣٨٢	٥٣٦
دولة الامارات العربية المتحدة	اسيويون	١٨٦٥٠٠	٢٤٣٠٠٩	٥٦٥٠٩
	اجانب اخرون	٥٠٠٠	٦٦٠٥	١٦٠٥
المملكة العربية السعودية	اسيويون	١٨٥٠٠	١١١٤٧٠	٣٢٩٧٠
	اجانب اخرون	٢٥٠٠٠	٢٩٠٠٠	٤٠٠٠
عمان	اسيويون	٥٩١٠٠	٧٤١٠٠	١٥٠٠٠
المجموع	اسيويون	٤٥٠٢٧٣	٦٠٠٢٦٣	١٤٩٩٩١
	اجانب اخرون	٣٧٤٨٠	٤٥٦٨٩	٨٢٠٩
الاجمالي	مجموع الاجانب	٤٨٧٧٥٢	٦٤٥٩٥٢	١٥٨٢٠٠

(١) المصدر : نفس المصدر ، ص ٥٧ — ٥٨ ، وغالب ناصر عبد العزيز ، المقومات الجغرافية للوحدة العربية ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٢ .

هذا، وقد اصبح وضع السكان في اقطار الخليج العربي في عام ١٩٨٠ كما يلي:

جدول رقم (٨)

التراكيب في اقطار الخليج العربي ونسبة الايدي العاملة الوافدة الى نسبة الايدي العاملة المواطنة. حسب احصائيات سنة ١٩٨٠* .

أ – السكان

الدولة	العدد	مواطنون	النسبة ٪	وافدون	النسبة٪
الكويت	١,٣٥٥,٨٢٧	٥٦٢,٠٦٥	٤١,٠	٧٩٣,٧٦٢	٥٩,٠
قطر	٢٠٠,٠٠٠	٥٢,٢٠٠	٢٦,٠	١٤٧,٨٠٠	٧٤,٠
الا مارات العربية	٥٥٧,٨٨٧	٩٦,٦٣٠	١٧,٥	٤٦٠,٢٥٧	٨٢,٠
البحرين	٣٥٨,٨٥٧	٢٤٢,٥٩٦	٦٧,٦	١١٦,٢٦١	٣٢,٤
السعودية	٧,٢٣٥,٠٠٠	٥,١٥٠,٦٧٥	٧٠,٠	١٣٤,٣٢٥	٣٠,٠

ب – العمال

الدولة	المجموع	مواطنون	٪	وافدون	٪
الكويت	٤٨٧,٨٨٠	١٠٩,١٧٠	٢٢,٤	٣٧٨,٧١٠	٧٧,٦
قطر	٥٠,١٤١	١٠,٣٤١	٢٠,٦	٣٩,٨٠٠	٧٩,٤
الأمارات	٣١٥,٢١١	٥٥,١٦٢	١٧,٥	٢٦٠,٠٤٩	٨٢,٥
البحرين	١٤٦,٣١٧	٩٨,٧٦٤	١٧,٥	٤٧,٥٥٣	٣٢,٥
السعودية	٣,٢٠٨,٢٠٣	١,٢٦١,٣٩٣	٣٩,٣	١٩٤٦,٨١٠	٦٠,٨

* لم نتمكن من الحصول على احصائية عن عمان لهذا العام .

المصدر : الدكتور احمد الظاهر : العمالة الوافدة في دول الخليج العربي، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة، تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي، المجلد ١٦ العدد ٢، ١٩٨٤ ص ٧٧ .

ومما يدعو الى التفاؤل ان دول الخليج العربي قد ادركت الخطر المحدق بها، نتيجة استمرار هذه الهجرة ، فأخذت وخاصة بعد عام ١٩٨٠ ، تضع الخطط اللازمة للحد منها، او بالاحرى لأيقافها ولقد كان الدرس القاسي الذي تعلّمه سكان الكويت من دور هذه العناصر المخربة في الأعوام ١٩٨٣و ١٩٨٤ و ١٩٨٥ ، اقوى دافع للاسراع في ايقاف هذا الخطر قبل ان يستفحل امره .

اما الهجرة من اقطار الوطن العربي الى الأقطار الخارجية ، فيأتي في مقدمتها هجرة الكفاءات التي تترك آثاراً سلبية على الوطن العربي وذلك بحرمانه من هذه الكوادر العلمية المتقدمة.

وتدل الدراسات التي اجريت حول هذا الموضوع على أن مجموع الاختصاصيين والعمال الفنيين العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية وحدها في عام ١٩٧٩، بلغ (١٤١٥) اختصاصياً وعاملا فنياً.. اما العناصر الفنية وذات الشهادات العالية التي هاجرت الى فرنسا في عام ١٩٧٩، فقد بلغت رقماً يتراوح مابين ٢٥ — ٣٥ الف مهاجر. وبالطبع فان القسم الاعظم من هؤلاء كانوا من اقطار القسم الافريقي من الوطن العربي، اي من تونس والجزائر والمغرب. هذا، وهناك اعداد أخرى هاجرت الى كل من بريطانيا والمانيا الاتحادية والاقطار الاسكندنافية وكندا وبعض اقطار امريكا اللاتينية.

ويوضح الجدول التالي الخطورة الناشئة من هجرة العناصر الفنية الى الولايات المتحدة الأمريكية.

جدول رقم (٩)

مجموع الكوادر العربية المهاجرة الى الولايات المتحدة خلال السنوات ١٩٦٢ – ١٩٧٦ (١).

الأقطار العربية	الأختصاصيون والعمال الفنيون	المهندسون لمختلف الأختصاصات	الاختصاصيون في العلوم الطبيعية	الأطباء
العراق	١٤٥٠	٢٠٠	٨٠	١٧٠
الاردن وفلسطين	٢١٠٠	٢٦٠	٩٠	٢٦٠
الكويت	٣٠٠	٨٠	٥	٧٠
لبنان	٣٧٠٠	٦٠٠	٥٠٠	٨٤٠
سورية	١٤٠٠	٢٠٠	١٠	٥٣٠
مصر	٥٢٠٠	٧٥٠	٣٤٠	٩٧٠
ليبيا	٢٠٠	٣٠	١٠	٨٠
المملكة المغربية	٤٠٠	٣٠	١٠	٣٠
الاقطار الأخرى	١٧٠٠	١٦٠	٤٠	٣٠٠
المجموع	١٦٤٥٠	٢٣١٠	١٠٨٥	٣٢٥٠

المصدر : امين عزالدين مصدر سابق، ص ٣٥ .

ويمكن اجمال أسباب ودوافع هذه الهجرة بما يلي : ـ

١ ـ التشريعات الجديدة التي سنتها الاقطار المهاجر اليها، وهي تشريعات سهلة ومشجعة ،وفي مقدمة هذه الأقطار الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا .

٢ ـ المغريات المادية، اذ ان تلك الاقطار تدفع لهذه العناصر المهاجرة رواتب عالية قياساً الى الرواتب التي تدفعها لهم اقطارهم.

٣ ـ دور الجامعات الاجنبية التي تعمل في الأقطار العربية واغراؤها للطلبة على المهاجرة

٤ ـ الزواج من الأجنبيات.

٥ ـ عدم اعطاء الخريجين مراكز تتناسب وشهاداتهم واختصاصاتهم .

٦ ـ صعوبة التكيف بعد قضاء سنوات عديدة في الخارج..

٧ ـ عدم تقدير العلم والعلماء في بعض اقطار الوطن العربي .

٨ ـ الأفتقار الى المناخ العلمي، في بعض أجزاء الوطن العربي ،اي قلة المختبرات والمكتبات وتسهيلات الأبحاث العلمية.

٩ ـ عدم ثقة بعض الحكومات العربية بالخريجين ،نظراً لما يحملون من آراء وافكار لاتتماشى وفلسفة تلك الحكومات.

١٠ ـ التخلف العلمي وتخلف النظم التربوية وعدم الأستقرار السياسي في بعض اجزاء الوطن العربي ،وخاصة في النصف الأول من هذا القرن عندما كان عدد كبير من الأقطار العربية لم يحصل على استقلاله التام .

لقد أصبحت ظاهرة هجرة الكوادر الفنية الى خارج اقطار الوطن العربي موضع اهتمام عدد من الحكومات العربية ،بعد ان ادركت تأثيراتها السلبية على التقدم الاقتصادي والعلمي فيها، فالعراق مثلا،قد أصدر عدداً من القوانين التي تشجع الكفاءات العلمية الموجودة في الخارج على العودة الى وطنهم وقرر منحهم امتيازات عديدة. فقد اصدرت حكومة الثورة قانون اصحاب الكفاءات تحت رقم (١٥٤) لسنة ١٩٧٤، منحت بموجبه العائدين منهم عدداً من الأمتيازات كان من نتائجه ان عاد منهم (٧٠٥) شخصاً الى الوطن.وتدل الدراسات ايضاً،على ان مجموع الأيدي العاملة المهاجرة الى اقطار غرب اوربا بلغ حوالي مليوني مهاجر (١) منهم ٨٠٪ في فرنسا وحدها.وان هذا العدد الكبير من العمال العرب

---

(١) تدل التقديرات التي صدرت في عام ١٩٨٣، على ان الكفاءات المهاجرة في البلدان الغربية المتقدمة يبلغ متوسطها (١٥٠) الف كفاءة عربية تشمل (٢٤) الف طبيب و(١٧) الف مهندس و(٧٥٠٠) عالم طبيعة، وتقدر الخسارة الرأسمالية في هذه الكفاءات المهاجرة بحوالي (١٠,٧) مليار دولا ر . (مجلة شؤون عربية شباط ١٩٨٣ ، ص ٩١).

يواجه شتى انواع المشاكل ومنها التهديد بالطرد وسد باب فرص العمل. ويظهر الجدولان القادمان خطورة وجود هذا العدد الكبير من المهاجرين العرب الى الأقطار الأوربية: —

جدول رقم (١٠)

توزيع القوى العاملة المهاجرة من بلدان المغرب العربي الى اوربا حسب بلدان الاستخدام وحسب بلدان المنشأ كما كان في عام ١٩٧٨ (١٠٠٠ عامل).

بلدان المنشأ / بلدان الاستخدام	الجزائر	المغرب	تونس	الجملة	النسبة
١ — فرنسا	٣٦١,٠	١٨١,٤	٧٣,٧	٦١٦,١	٨٥,٩
٢ — بلجيكا	٣,٠	٣١,٢	٤,٢	٣٨,٤	٥,٣
٣ — هولندا	—	٣١,٠	١,٢	٣٢,٢	٤,٥
٤ — المانيا	١,٥	١٥,٣	١٠,٠	٢٦,٨	٣,٧
٥ — انكلترا	٠,٦	٢,٠	٠,٢	٢,٨	٠,٤
٦ — الدانمارك	٠,٢	١,٠	٠,١	١,٣	٠,٢
الجملة	٣٦٦,٣	٢٦٢,٠	٨٩,٣	٧١٧,٦	١٠٠
النسبة	٥١,٠	٣٦,٥	١٢,٥	١٠٠	

المصدر: مجلة شؤون عربية، شباط ١٩٨٣ ص٩٣ ولكي نعطي فكرة عامة عن الجالية العربية المهاجرة من اقطار المغرب العربي إلى اوربا نورد الجدول التالي:

جدول رقم (١١)

جالية المغرب العربي في اوربا الغربية حسب احصاء عام ١٩٦٩ (بالآلاف).

	بلجيكا	فرنسا	المانيا	هولندا	الجملة
الجزائر	٩,٧	٨٨٢,١	٤,٩	٠,٤	٧٩٧,١
المغرب	٨١,٠	٤٠٠,٠	٣١,٩	٧٣,٨	٥٨٦,٧
تونس	٤,٧	١٨٣,٨	٢٠,٧	٢,٣	٢١١,٥
الجملة	٩٥,٤	١٣٦٥,٩	٥٧,٥	٧٦,٥	١٥٩٥,٣

المصدر: أعد هذا الجدول استناداً الى منظمة التعاون والتنمية الأقتصادية (OCCE)، التقرير السنوي لجهاز نظام ملاحظة الهجرة الدولية (Sopemi) (تقرير ١٩٨٠).

الكثافات السكانية في الوطن العربي:

١ ـ الكثافة الحسابية:

تبلغ الكثافة الحسابية (وهي قسمة عدد السكان على المساحة) في الوطن العربي ، حسب احصاءات عام ١٩٨٢، حوالي (١٣) نسمة في الكيلو متر المربع. وهي نسبة منخفضة اذا ماقيست بالكثافة الحسابية في العالم البالغة (٣٣) نسمة في الكيلو متر المربع ، وفي قارة آسيا (٨٢) نسمة وقارة أوربا (٩٧) نسمة في الكيلو متر المربع. ويرجع سبب انخفاض هذه النسبة في الوطن العربي إلى ان القسم الاكبر منه عبارة عن صحاري لايسكنها الا عدد ضئيل جداً من السكان. ويعطينا الجدول التالي فكرة عن الكثافة الحسابية في الوطن العربي

جدول رقم (١٢)

الكثافة الحسابية في الأقطار العربية (نسمة في كم٢) حسب احصاء عام ١٩٨٢ .

اقطار الجناح الآسيوي	الكثافة الحسابية	اقطار الجناح الأفريقي	الكثافة الحسابية
العراق	٣٢	الجزائر	٩
الأردن	٣٦	ليبيا	٢
الكويت	٨٨	المملكة المغربية	٤٩
لبنان	٢٦٣	السودان	٨
المملكة السعودية	٥	تونس	٤١
سورية	٥٢	مصر	٤٥
اليمن الشمالية	٣١	الصومال	٨
اليمن الجنوبية	٦	موريتانيا	٢
البحرين	٦٤٣	جيبوتي	٦
عمان	٤		
الأمارات العربية	٩		
قطر	٢٣		
الكثافة في الجناح الآسيوي	١٥,٣	الكثافة في الجناح الأفريقي	١٢,٢

المصدر : UNESCO, Statistical yearbook, 1984, P. 1–8.

أما الكثافة الانتاجية والتي تتمثل بالعلاقة بين عدد السكان الزراعيين ومساحة الارض المستغلة فعلاً فتبلغ حوالي (١٥٧)نسمة في الكيلو متر المربع الواحد من الارض المزروعة فعلاً (حسب احصاء عام ١٩٧٩). وفيما يلي جدول يوضح هذه الكثافة في الاقطار العربية التي توفرت عنها معلومات كافية :—

جدول رقم (١٣)

الكثافة الا نتاجية في الأقطار العربية لعام ١٩٧٩ .

الأقطار العربية	الكثافة الأنتاجية نسمة/كم٢	الأقطار العربية	الكثافة الأنتاجية نسمة/كم٢
مصر العربية	٧٦٩,٨	العربيةالسعودية	٤٧٣
السودان	١٨٥,١	العراق	٥٨,٨
المملكة المغربية	١٣٦,٩	سورية	٧٧,٠
الجزائر	١٣٢,٧	عمان	١٤٩٤,٤
موريتانيا	٦٨٩,١	اليمن الشمالية	٢٨٧,٠
الصومال	٢٧١,٦	اليمن الجنوبية	٤٤٤,٥
تونس	٥٨,٢	الكويت	٣٦٦,٧
ليبيا	٢٠,٠	لبنان	١٣٨,٨
		الأردن	٦٩,٥
متوسط الكثافة الأنتاجية في الوطن العربي			١٥٦,٧

ويظهر من الجدول ان هناك اختلافاً كبيراً بين الكثافة الانتاجية في الاقطار العربية، وذلك لان بعضها يمتلك مساحات واسعة جداً تحتاج إلى من يستغلها. بينما نجد البعض الاخر لايمتلك الامساحات محدودة جداً تعاني من ضغط السكان عليها، كما هو الحال في جمهورية مصر العربية التي تصل فيها هذه الكثافة إلى(٧٧٠) نسمة في الكيلو متر المربع الواحد ،بينما تكون الكثافة الحسابية فيها (٤) فقط. .ومما تجدر ملاحظته، ان المملكة العربية السعودية تمتلك مساحات واسعة صالحة للانتاج الزراعي، الا ان ندرة المياه وقلة الامطار الساقطة حالا دون استغلالها .

لهذا ، فقد ارتفعت فيها النسبة ،وكذلك الحال بالنسبة لعمان وموريتانيا....

اما من حيث الكثافة الزراعية (وهي العلاقة بين عدد السكان الذين يعملون في الزراعة ومساحة الأرض الصالحة للأستغلال الزراعي) فتبلغ في الوطن العربي حوالي(٦٢) نسمة في الكيلو متر المربع الواحد. هذا، ويلاحظ ايضاً ان هذه الكثافة تختلف من قطر عربي الى آخر) وذلك للدور الكبير الذي تلعبه العوامل الطبيعية، الى جانب العوامل الأقتصادية التي تؤثر في انتاجية الأرض فهي في مصر وعمان اعلا مما في بقية الاقطار العربية ، واقل ماتكون في ليبيا والصومال والعراق وفيما يلي جدول (رقم١٤) يبين الكثافة الزراعية في الاقطار العربية (حسب احصاء ١٩٧٩) :

جدول رقم (١٤)
الكثافة الزراعية في الأقطار العربية .

القطر	الكثافة الزراعية	القطر	الكثافة الزراعية
مصر	٦٣٧,٥	الاردن	٥٥,٣
عمان	٧٤٧,٢	لبنان	٥٦,٦
اليمن الديمقراطية	٢١٣,٥	سورية	٥٠,٣
الكويت	١٨٣,٣	تونس	٣٥,٩
اليمن الشمالية	١٤١,٢	السودان	٣٠,٤
السعودية	١٢٥,٧	العراق	٣١,١
المملكة المغربية	٦٦,٤	الصومال	٣٠,٠
الجزائر	٦٣,٤	ليبيا	١٧,٢
متوسط الكثافة السكانية في الوطن العربي			٦٢,٣

** لقد تم احتساب متوسط الكثافة الزراعية في الأقطار العربية باستخدام المعادلة التالية:

$$\frac{\text{عدد سكان الأرياف}}{\text{مجموع الأرض الصالحة للاستغلال الزراعي}}$$

واذا مااستعرضنا الكثافة الفيزيولوجية (وهي العلاقة بين عدد السكان ومساحة الأرض القابلة للأستثمار الاقتصادي) فسنجد ان معدلها في الوطن العربي يبلغ (١٢٢,٣) نسمة في الكيلو متر المربع. وهي كذلك تختلف من قطر الى آخر ، اذ تبلغ اقصاها في مصر وعمان وموريتانيا وادناها في كل من الصومال والسودان والعراق ،كما يظهر في الجدول التالي:

جدول رقم (١٥)

الكثافة الفزيولوجية للأقطار العربية (نسمة /كم٢ لعام ١٩٧٩) .

الا قطار العربية	المساحة المستثمرة كم٢	عدد السكان (الف نسمة)	الكثافة الفيزيولوجية نسمة/ كم٢	
السودان	٤٥٤٨٦٠	١٨٣٧١	٤٠,٤	
المملكة المغربية	١٥٢٨٦٠	٢٠٢٩٦	١٣٢,٨	
الصومال	٩٥٠٠٠	٣٦٤٥	٣٨,٤	
الجزائر	١٤٣٣٥٠	١٨٥٩٤	١٢٩,٧	
تونس	٧١٤٥٠	٦٣٦٣	٨٩,١	
مصر	٣٢٦١٠	٤١٩٩٥	١٢٨٧,٨	
ليبيا	٢٨٢٠٠	٢٩٧٧	١٠٥,٦	
العراق	١٦٥٩٥٠	١٣٠٨٤	٧٨,٨	
سوريا	٦٩٥٤٠	٨٦٤٤	١٠٨,٧	
جمهورية اليمن الديمقراطية	٥١٠٠	١٨٩٠	٣٧٠,٦	
المملكة العربية السعودية	٣٩٢٠٠	٨٣٦٧	٢١٣,٤	
لبنان	٥٨٨٠	٣١٦١	٥٣٧,٦	
الاردن	١٤٨٢٠	٣١٩٠	٢١٥,٢	
الجمهورية العربية اليمنية	٣٠٩٠٠	٥٩٢٦	١٩١,٨	
عمان	٧٢٠	٨٩١	١٢٣٧,٥	
موريتانيا	١٩٥٠	١٦٣٤	٨٣٧,٩	
الأجمالي	١,٣٢٢,٩٥٠	١٦١٨٣٧	المعدل ١٢٢,٣	— —

المصدر :غالب ناصر، مصدر سابق، ص ١٥٦.

ملاحظة:لم تظهر اسماء بعض الأقطار العربية في الجدول وذلك لتعذر الحصول على معلومات عن مساحة الأرض المستثمرة اقتصاديا فيها.

وتدل هذه الأرقام الواردة في الجدول على ان الأقطار التي تنخفض فيها الكثافة الفيزيولوجية بحاجة الى الأيدي العاملة كي تقوم باستغلال اراضيها القابلة للاستغلال، على عكس تلك الأقطار التي ترتفع فيها هذه الكثافة والتي تشكو من ضغط سكاني ، نظراً لصغر المساحة فيها، ومن احسن الأمثلة على ذلك، العراق الذي يتمتع بمساحة كبيرة جداً صالحة للاستغلال تقدر بحوالي(١٦٦) الف كيلو متر مربع ولا يقطنه من السكان سوى (١٤) مليون نسمة، عكس مصر التي لاتمتلك سوى (٣٢) الف كيلو متر مربع ويزيد سكانها على (٤١) مليون نسمة.

أما من حيث الكثافة الأقتصادية العامة (والتي يمكن حسابها عن طريق معرفة نصيب كل فرد من السكان من مجموع الدخل القومي) فتبلغ في المتوسط العام في الوطن العربي حوالي(١٩١٥) دولاراً وهي كذلك ، تختلف اختلافاً كبيراً من قطر الى آخر كما يظهر في الجدول التالي :

جدول رقم (١٦)

نصيب الفرد العربي من الدخل القومي (بالدولار الأمريكي) كما هو في عام ١٩٨٣.

القطر	نصيب الفرد	القطر	نصيب الفرد
قطر	٢٧٩٩٠	مصر العربية	٦٥٠
الكويت	٢٠٩٠٠	المملكة المغربية	٠٦٨
الأمارات العربية	٢٤٦٦٠	السودان	٣٨٠
السعودية	١٢٦٠٠	ليبيا	٨٤٥٠
البحرين	٩٨٧٦	موريتانيا	٤٦٠
عمان	٥٩٨٨	اليمن الشمالية	٤٧٠
العراق	٣٤٥٠	اليمن الجنوبية	٤٦٠
لبنان	١٩٢٠	الصومال	٢٨٠
سورية	١٥٧٠	تونس	١٤٢٠
الأردن	١٦٥٠	جيبوتي	٤٨٠
الجزائر	٢١٤٠		

المصدر: مجلة المنار، العدد الثالث، السنة الأولى، آذار - ١٩٨٥، ص ٧٩ - ٨٠، استناداً الى تقديرات البنك الدولي لعام ١٩٨٣.

ريظهر من هذا الجدول ان الكثافة الأقتصادية العامة مرتفعة جداً في الأقطار النفطية وخاصة دول الخليج العربي، يليها في ذلك الأقطار نصف النفطية كالعراق وليبيا والجزائر وتمثل الأقطار غير النفطية اوطأ معدل ، كما يظهر في جيبوتي والسودان والصومال..

الخلاصة:

– يظهر لنا مما تقدم في دراسة سكان الوطن العربي، ان هذا العدد الكبير في امكانه ان يلعب دوراً هاماً في تنمية موارده الطبيعية المتعددة وان يكون قوة رادعة امام الطامعين في ارضه. فوجود بعض أجزاء الوطن العربي التي لاتزال تعاني من التخلف،على الرغم من غنى ارضها بالموارد الاقتصادية،يستدعي قوة بشرية كبيرة مسلحة بسلاح العلم والتكنولوجيا الحديثة.. واستناداً الى ماتقدم من هذه الدراسة،فان سكان الوطن العربي يتميز بعدة ميزات منها :

١ – ان عدد كبير يقارب ال (١٧٥) مليون نسمة.

٢ – ان نسبة نموه الطبيعي مرتفعه ، مقارنة بالأقطار المتقدمة، اذ تصل الى حوالي (٣٠)بالألف.

٣ – ان الفئة العمرية الشابة فيه تبلغ حوالي ٥٠٪. وهذا معناه إنها قادرة على القيام بدورها اقتصادياً وعسكرياً.

٤ – ان الوحدة الطبيعية والبشرية المتكاملة قد خلقت منه عنصراً متماسكاً.

٥ – ان مساحة الأرض التي يعيش فوقها والبالغة حوالي (١٤)مليون كيلو متر مربع تسهل له المناورة هجومياً ودفاعياً.

٦ – ان عدده الكبير يتيح له ان يهيء حوالي (٢٠) مليون مقاتل عند المواجهة مع الأعداء وحوالي (٥) ملايين مقاتل في حالات السلم.

٧ – هذا من حيث الأيدي العاملة الضرورية لأغراض استثمار وتنمية موارده الأقتصادية ،ففي امكانه ان يوفر مالايقل عن (٥٠) مليون عامل.. مع ملاحظة ان استغلال هذه الميزات لايتم الا بعد تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

مصادر البحث

١ – احمد الظاهر، العمالة الوافرة في دول الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي، المجلد١٦، العدد ٢، ١٩٨٤.

٢ – الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا، النشرة السكانية، العدد ١٦، حزيران ، ١٩٧٩.

٣ – الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية – القوى العاملة في الوطن العربي ١٩٨٠ ،

٤ – أمين عز الدين، انتقال القوى العاملة في الوطن العربي ، اتجاهاتها وتنظيمها، مجموعة محاضرات دورة علاقات العمل وأثرها في التنمية ، مكتب العمل العربي بيروت ، ١٩٧٧.

٥ – صبري فارس الهيتي، الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية، بغداد١٩٧٨

٦ – غالب ناصر عبد العزيز، المقومات الجغرافية للوحدة العربية (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ١٩٨٢.

٧ – قيس المؤمن ، الهجرة الاسيوية الوافدة إلى الخليج العربي ودورها وتأثيرها على عروبة الخليج العربي ، جامعة البصرة مركز دراسات الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، ، المجلد ١١، العدد ٢، ١٩٧٩.

٨ – محمد أمين فارس، التعاون والتكامل الاقليمي للموارد البشرية العربية استراتيجية الهجرة، جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، ١٩٧٩.

٩ – مجلة شؤون عربية ، شباط ١٩٨٣.

١٠ – مجلة المنار ، العدد الثالث، السنة الاولى، آذار، ١٩٨٥ .

١١ – منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (Occe) التقرير السنوي لجهاز نظام ملاحظة الهجرة الدولية (تقرير ١٩٨٠) .

١٢ –

١٣ – UNESCO, Statistical year book, 1984,

١٤ – World Health Organization, World Health Annual, 1984,

التحديات الفارسية على الأمة العربية عبر التاريخ وخاصة في أواخر الدولة الأموية « مروان بن محمد »

د. رمزية الخيرو
كلية الآداب / جامعة بغداد

واجهت الأمة العربية تحديات كثيرة، تعود الى فترات سبقت ظهور الاسلام وازدادت حدة بعد ظهوره وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا .

لقد تولت الدولة العربية حمل رسالة الاسلام وعملت على تحرير البلاد العربية من النفوذ الساساني والبيزنطي وتقدمت خارج الأرض العربية تبشر بالاسلام وتسعى لهداية البشرية فواجهت تحديات كثيرة واصطدمت بشعوب كثيرة أيضاً. وكان أشدها في البلاد الأيرانية حيث كانت لهذه البلاد مصالح وأطماع واسعة في العراق واليمن(١). انتهت اثر عملية التحرير العربية.

وتتعدد التحديات وتكثر الا أن اخطرها هو التحدي الحضاري.

كما ان التحديات الفارسية كانت اخطر هذه التحديات لانها واصلت المعركة الى مداها الاخير :

١ — ان الامة العربية كانت على درجة من الاستعداد الذهني والتقدم الحضاري والايمان الديني بحيث نستطيع ادراك الرسالة والايمان بها والعمل بأسسها تأكيداً لقوله تعالى : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» (٢).

---

(١) البلاذري: فتوح ص٢٤٢، ٢٥٥.
اليعقوبي: تاريخ ج١ط، ص ١٦٥، ١٧٦.

(٢) المسعودي: مروج ج(١) ص ١٦٣ — ٦٥، اليعقوبي: تاريخ ج(١) ص ٥٤ — ٢٥

٢ – ان الامة العربية قبيل ظهور الاسلام تعتبر الوريثة لحضارات قامت في ارجاء الوطن العربي وعبرت عن حيوية الامة (١) واذا ماتذكرنا بان معظم ، أو كل، الرسل و الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم قد ظهروا في الأرض العربية وخاصة العراق ومصر، بلاد الشام والحجاز (٢). لذلك كان الميراث الديني كبيرا مما خلق وعياً واستعدادا لقبول الرسالة الجديدة .

٣ – ان المرحلة الحضارية التي كانت عليها الامة العربية كانت موزعة الى حالتين ، متناقضتين حالة النهوض والتقدم من النواحي الدينية والاجتماعية والادبية والاقتصادية ، الى جانب حالة متخلفة. وكان هناك صراع بين الحالتين وهذا الصراع هو القاعدة والارض التي تنبع فيها الحضارة وتتفجر بين صورتها عمليات التغير، ان حالة الوطن العربي الاقتصادية والاجتماعية كانت على درجة من الرخاء بحيث ترنو اليها جميع شعوب المنطقة المجاورة فهناك حالات من التحدي بين اوضاع الشعوب المجاورة (٣) والحالة الاقتصادية في الوطن العربي اذ نجد الى الشرق منه تقوم الهضبة الفارسية، وهي هضبة قاحلة كما تمتد شمالها هضبة وجبال وهذه الجبال تجعل الحياة فيها صعبة قياسا الى السهول الخصبة في وادي الرافدين(٤). بالاضافة الى وادي النيل وبلاد الشام . ذلك نجد أن هناك اطماع واضحة دفعت البعض الى النزوح والاعتداء من هذه المناطق الى المنطقة العربية.

اسفرت هذه العمليات الى حروب مستمرة بين سكان الوطن العربي وشعوب البلاد المحيطة .

فاحتلت الدولة الساسانية الجناح الشرقي من الوطن العربي وبلاد اليمن، (٥) كما احتلت الدولة البيزنطية بلاد الشام ومصر (٦) .

ومنذ ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية فان حالة جديدة من التحدي قامت على ساحة الوطن العربي، وكانت طبيعة هذا التحدي تحررية تستهدف اخراج وطرد الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين من البلاد العربية (٧) .

---

(١) ابو الفداء: المختصر من أخبار البشر ص ٨٣ – ١٠١.
(٢) المسعودى: مروج (١) ص ١٦٣ – ٥ ابو الفداء: المختصر ج(١) ص ٢٨ – ٤٩
(٣) انظر وصف ابن حوقل في كتابه صوره الأرض للعراق وخيراته ص ٢١٠ – ٢١١
(٤) ابن حوقل: صوره الأرض ص ٢٣٥ .
(٥) اليعقوبي: تاريخ ج١ ص ١٧٦، البلاذرى : فتوح ص ٢٤٢ و ٢٦٢.
(٦) اليعقوبي: تاريخ ج١ ص ١٨٧ .
(٧) الطبرى : ٢٤٥١/١، ٢٥٨١/١، ابو الفداء :المختصر ج٢ ص ٦٧ – ٦٨.

ولما كانت الحضارة الساسانية تقوم على الديانة الثنوية «الالهي» لذا برزت حالة عنيفة من النزاع نشبت بين الحضارتين استمرت فترات طويلة لان الدولة الساسانية كانت قد احتلت اجزاء من الوطن العربي استطاعت الدولة الاسلامية اخراجها وطردها منها (١) .

اما بخصوص الصراع مع الحضارة البيزنطية، فان الحضارة البيزنطية ودولتها كانت قد احتلت طرف آخر من الوطن العربي ،استطاعت الدولة العربية الاسلامية اخراجها منها لذلك نجد ان معركة عنيفة نشبت بين الحضارتين العربية الاسلامية والبيزنطية.

ولكن نجد الصراع بين الدولة العربية الاسلامية والحضارة الساسانية كان اشد واعمق من الصراع مع الدولة البيزنطية وذلك لعدة اسباب اهمها: ــ

١ ــ ان الاسلام دين سماوي موحد في حين ان الديانة الرسمية للحضارة الساسانية دين ثنوي فكان هناك حالة من التحدي عنيفة بين مبدأ الوحدانية والثنوية ، في حين ان الديانة البيزنطية المسيحية تعتبر سماوية موحّدة لذلك يعتبر النزاع بينهما اقل درجة من النزاع مع الثنوية (٢) .

٢ ــ ان الديانة الثنوية مرتبطة بالدولة الساسانية ارتباطاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وذلك اصرت الدولة الساسانية على رفض الاسلام حفاظاً على قوتها السياسية والعسكرية، واعتبرت قبول الاسلام والدخول في دائرته يعني سقوطها سياسياً لذلك نجد كسرى عند استلامه رسالة الرسول الكريم (ص) مزقها وضربها الارض لانه كان يعتقد بان قبول الاسلام يعني انتهائه سياسياً (٣).

بينما الدولة البيزنطية عندما خرجت من بلاد الشام استطاعت ان تجمع قواها وتبقى على وجودها السياسي فترة طويلة حيث لم تسقط الدولة البيزنطية في السنوات الاولى من عمليات التحدي والفتح ولم تسقط القسطنطينية الا في ١٤٥٣م في حين العاصمة الشتوية للدولة الساسانية «المدائن» تحررت وطرد منها الفرس عام ١٦ هـ،(٤) والعاصمة الصيفية بعد ذلك بسنوات (٥) .

---

(١) اليعقوبي: تاريخ جـ١ ص ١٥٠ .

(٢) المسعودي: مروج جـ١ ص ١١٠، اليعقوبي: تاريخ جـ١ ص ١٥٩ .
الشنتناوي : الحكماء الثلاثة ص ٨، الزرادشتية تعتقد بالمهين اله النور واله الظلام.

(٣) الطبري: ١/١٥٧١

(٤) الطبري: ١/٢٤٥١، البلاذري: فتوح ص ٢٦٢، بينما يذكر ابن خياط١ ــ المدائن فتحت سنة خمسة عشر هجرية، جـ١ ص ١٠٣ .

(٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبيين ص ٩.

٣ ـ ان نسبة الذين دخلوا في الاسلام من الشعوب التي كانت تحت النفوذ الساساني كبيرة، وهؤلاء اعتنقوا الاسلام بدوافع متباينة فمنهم من دخل الاسلام حباً بالاسلام وايماناً به،وفريق دخل الاسلام رغبة في الكسب والمنافع، وقسم دخل الاسلام في سبيل محاربة الاسلام من الداخل تحت ستار الدين ووجد هذا الفريق بالاسلام مباديء واحكام عمل على اعتمادها من اجل مطالبة الدولة العربية الاسلامية وناشدها أو عمل بموجبها.

اضاف الاسلام مادة أخرى لدى هؤلاء للتحدي بها ضد الدولة العربية الاسلامية، كان تحدياً قوياً تحول إلى اعتداء وحروب وتشويه .

لذلك نجد حركة الشعوبية والغلو والزندقة قامت معظمها في بلاد فارس، كما ان الذين قادوا هذه الحركات وانظموا اليها من بقايا الحضارة الساسانية ومن شعوبها (١) .

بينما نجد ان الدولة البيزنطية تركت انصار ومؤيدين ومجاميع ليست قليلة مازالت على الديانة المسيحية ولم تشعر بأنها خسرت المعركة كلياً ومازالت على صلة بها وبشعوبها وان حضارتها مابرحت متمثلة في ارجاء مختلفة من بلاد الشام ومصر.

٤ ـ استمر التحدي الفارسي في ظل الاسلام وتصاعد بعد انهزامهم في نهاوند سنة ٢١هـ الذي وضعت حداً للسيطرة الساسانية على العراق وانسياح المسلمين في اراضي الدولة الساسانية في ايران (٢) .

اجتمع في نهاوند القادة الفرس من دهاقين وحكام وقضاة لرسم خطة التآمر وكانت خلاصة هذه الخطة هو محاربة الاسلام والسعي لضرب السلطة العربية متمثلة بشخص الخليفة والقادة وكانت النتيجة دخول ابو لؤلؤة المجوسي في الاسلام ظاهرياً والنزوح إلى المدينة والعمل على اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (٣) .

واستمرت المعارك في ضوء اجتماع نهاوند تسير في اتجاهين اتجاه يحارب الاسلام فكرة عقيدة، (٤) واخر يحارب السلطة خلافة ونظاماً وقد استمرت هذه المعارك وبلغت ذروتها في أواخر الدولة الاموية حيث نشطت الدعوة العباسية (٥) .

---

(١) الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية ص٩، ١٤، ١٥.

(٢) الطبري: ٢٥٩٦، ابن خياط، تاريخ ج١ ص ١٢٠ — ١٢٦.

(٣) الطبري : ٢٦٠٩/١. ابو الفداء المختصر ج٢ ص ٧٤.

(٤) الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية ص ٩، ١٢، ٣٨ .

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٧٢.

وقد رفعت الدعوة العباسية شعارات اسلامية واكدت على اهمية هذه الشعارات وفتحت الابواب لقبول المسلمين في صفوفها ،فوجد «الموالي»وخاصة موالي الفرس الطريق مفتوحاً للمشاركة فاندسوا بالدعوة العباسية محاولين العمل من خلالها لضرب الدولة الاموية،كما بقى فريق آخر يعمل على محاربة الاسلام مثل حركة الغلو والزندقة،وكان نتاج هذا التحدي قيام الثورة العباسية التي انتصرت على الدولة الاموية (١) .

لقد احدثت الدعوة العباسية في ايران رجة فجرت لدى الايرانيين تحمساً جديداً كانت نتائجه ظهور حركات شعوبية متعددة تدعو إلى اعادة مجد فارس القديم بتقاليده ودياناته الموروثة فكانت حركات سنباذ والمقنع مظهراً من مظاهرها .

وليس غريباً ان نجد ان الدعوة العباسية تنتشر وتتوسع في منطقة خراسان حيث التحدي كبير، فقد كان اهل خراسان اميل لكل من يتمرد على الدولة الاموية من قبل الثأر للنفس الملكومة فهي ذات ملك زحزحه العرب واباده (٢) .

ادارة خراسان :

تقع خراسان في اقصى الطرف الشمالي الشرقي من الدولة العربية الاسلامية ولها حدود طويلة مكشوفة غير محصنة ومعرضة لهجمات سكان اواسط اسيا المعروفون بقدرتهم على القتال وهي بعيدة عن قلب الامبراطورية وعاصمتها (٣). والواقع ان هذه الأوضاع الخاصة كان لها أثر في تكييف اداره خراسان منذ عهد الساسانيين الذين كانت عاصمتهم طيسفون في اواسط العراق (٤) حيث كانوا يعتمدون بصورة خاصة على اقليم فارس وكان بينها وبين خراسان المفازة الواسعة التي ليس فيها الا مسالك محدودة .

كما كانت خراسان ملجأ للكثير من الفرق المعارضة للساسانيين كالمزدكية والمانويه لهذا لجأ الساسانيون الى تنظيم ادارة خراسان بشكل يحقق الطمأنينة والسيطرة في تلك الظروف الصعبة فكانوا يولون من اولادهم ممن يرشحونه لولاية العهد لمجابهة مشاكلها فهي خير تدريب على حكم الامبراطورية كما كانوا يضعون فيها حامية عسكرية قوية ويجمعون فيها من الاداره المدنية والعسكرية، كما كان يحكمها عدة مزاربه فضلا عن الملوك والامراء،

(١) فاروق : العباسيون الاوائل جـ١ ص ٢٨٢ – ٣.
(٢) القاضي سعيد ابو حبيب: مروان بن محمد واسباب سقوط الدولة الاموية ص ٥٣ .
(٣) المقدسي: احسن التقاسيم ص ٣٢٢ ابن حوقل: صوره الأرض ص ٣٥٨ – ٣٦٠ العلي: ادارة خراسان ص ٣١٤ .
(٤) الطبري: ١/٢٤٤٥ .

المحليين الذين كانت لهم سلطات واسعة (١) .

فتح العرب خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) على يد القائد عبد الله بن عامر بين عامي ٢٩ – ٣٥هـ بعد سلسلة من المعارك الفاصلة التي انهكت الجيش الساساني(٢).

لقد واجه العرب كثيراً من المشاكل في خراسان لذا وضعوا فيها حاميات عسكرية وابقوا على الكثير من الامراء والمتنفذين والنظم (٣).

وقد عني العرب باختيار الولاة لخراسان فقد كان يعتمد على بصيره الخليفة فهو المسؤول الأول عن اختياره ففي بعض الفترات كانت مرتبطة بالخليفة مباشرة وفي فترات اخرى بامير العراق (٤) ففي سنة ٤٥هـ عين معاوية بن زياد والياً على البصره وضم اليه خراسان وسجستان وعندئذ قسم زياد خراسان الى اربعة مقاطعات مستقلة وهي مرو، نيسابور، مرو الروذ، وهراة وترك الادارة المحلية بايدي الدهاقين كما عين بعض الرؤساء القبليين الى جانب الحكام المحليين ولكن بعد مدة ادرك زياد خطر ترك الحرية للقومية الفارسية في الشرق فعاد ووحدها تحت امرة الحكم بن عمر الغفاري (٥) .

كانت خراسان بحاجة الى ولاة ذو كفاءات عسكرية وادارية لذلك نرى الذين اختيروا لولاية خراسان لم تجمعهم صفة خاصة واحدة يشتركون فيها سوى كونهم جميعاً عرب اما فيما عدا ذلك فقد كانوا متباينين في أصولهم وخبراتهم وكانوا من قبائل متفرقة فمنهم عبيد الله بن زياد وسعيد بن عثمان وسلم بن زياد وقد اثبت الثلاثة كفاءة في الادارة والتوسع الحربي (٦) .

كما اختير بعض الولاة بناء على ماقاموا به من انجازات عسكرية وادارية سابقة كشفت عن مواهبهم في الادارة مثل المهلب بن ابي صفرة وابنه يزيد اللذين أظهرا كفاءة في قتال الخوارج مدة طويلة (٧) .

---

(١) العلي : ادارة خراسان ص ٣١٥ .
(٢) ابن خياط : تاريخ جـ١ ص ١٤٠ – ١٥٨. البلاذرى فتوح ص ٣٩٤ الطبرى : ٢٨٨٥/١.
(٣) العلي/ ادارة خراسان ص ٣١٥ فاروق : طبيعة الدولة العباسية ص ١٣٦ .
(٤) البلاذري / فتوح ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .
(٥) البلاذرى فتوح ص ٤٠٠ عبد الحي شعبان، الثورة العباسية ص ٨٠
(٦) ابن خياط تاريخ جـ١ ص ٢٠٦ – ٢١٢ البلاذرى فتوح ص ٤٠٢ – ٤٠٣.
(٧) البلاذري : فتوح ص ٣٠٧. عبد الحي شعبان : الثورةالعباسية ص١١١.

كما اختير كل من قتيبة بن مسلم الباهلي وأسد بن عبد الله القسري في ولايته الثانية بعد ان ولي كل منهما مناصب ادارية الاول على الري والثاني على خراسان اثبتت خلال ذلك كفاءة رشحته مرة اخرى لولاية خراسان (١).

واستمر الوضع في خراسان على هذه الصورة حتى مجيء مروان بن محمد اخر خلفاء الدولة الاموية (٢) .

كان مروان رجل حرب من الطراز الأول وكان قائداً من اعظم القواد توفرت لديه عناصر القيادة وجرب الميدان وخاض المعارك فكان فارسها وقائدها الهمام خطرا على النضال فيه شجاعة وصبر على القتال كما ان لديه مرونة في التخطيط الحربي يختار مايناسب جو كل معركة، كل هذه الصفات اكسبته صفة القائد العظيم.

لقد كثرت في ايام مروان الفتن والحروب فواجه فيها اعنف التحديات للامة العربية، وخاصة من الأقاليم الشرقية، وقد قام بصد تلك التحديات كما انه لم يهمل الداخل حيث حاول اصلاح الأوضاع الادارية والمالية في الدولة (٣) .

لقد عين مروان يزيد بن عمر بن هبيرة لادارة العراق وكان مركزه في واسط وكان من الشخصيات القيادية . اما خراسان فقد كان واليها نصر بن سيار الذي اعترف بخلافة مروان بن محمد وهذا الذي اعاد الثقة إلى نصر. كانت خراسان في هذه الفترة ولاية تابعة إلى العراق أي ان واليها مسؤول عن ادارة خراسان (٤) .

ان نصر بن سيار من الشخصيات المتميزة في تاريخ الدولة الاموية ،لقد اثبتت ايام ولايته بخراسان انه قائد كبير واداري حازم يضاف إلى هذا انه الوحيد الذي ولي ادارة خراسان وهو من عربها (٥).

ان محاولته الاصلاحية التي قام بها في خراسان هي اصلاحاته لنظام الضرائب كانت هناك ضريبة واحدة في خراسان تؤخذ على الرؤوس فلا هي ضريبة جزية ولا هي ضريبة خراج، فقام نصر بن سيار بمسح الاراضي الزراعية وقسم خراسان إلى مناطق زراعية

(١) البلاذرى: فتوح ص ٤٠٩، ٤١٧. الطبري : ١٤٨٥/٢

(٢) الطبري : ١٨٩١/٢.

(٣) القاضي سعيد ابو حبيب: مروان بن محمد وسقوط الدولة الاموية ص ٨٤ — ٨٥.

(٤) كان هشام بن عبد الملك قد عين نصر بن سيار واليا على خراسان بعد موت واليها اسد بن عبد الله القسرى وجعله تحت اشراف والي العراق. الطبرى: ١٦٣٦/٢ ، ١٦٦٠/٢ ١٦٦٢

(٥) البلاذرى: فتوح ص ٣٩٩ — ٤٠٠. الطبرى: ١٦٥٩/٢.

(٦) الطبرى: ١٥٤٦/٢ العلي/ ادارة خراسان ص ٣١٦ — ٣١٧.

وفرض على كل منطقة مقداراً معيناً من الضريبة كما انه وجد ان هناك عدداً كبيراً من المشركين معفويين من ضريبة الجزية في حين يدفعها الموالي الذين اسلموا إن الاجراء الذي اتخذه نصر هو انه اعفى المسلمين من الجزية وفرضها على المشركين (١) .

ان هذه الاصلاحات وجدت مقاومة عنيفة وخاصة من قبل الدهاقين ورجال الدين — الزرادشت لانهم اخذوا يدفعون ضريبة الخراج لكونهم اصحاب الملكيات والاقطاعيات الكبيرة وكانوا سابقاً معفوين منها مقابل قيامهم بوظيفة الجباية كما ان هؤلاء جميعاً لم يكن من مصلحتهم انتشار دين مثل الدين الاسلامي فيه روح المساواة لذلك كان تحديهم لنصر بن سيار عنيفاً(٢)هذه الاصلاحات التي قام بها نصر في خراسان لم تغير شيئاً من نفسية المجتمع الخراساني (٣) حيث كان يكثر الغلاة واتباع بقايا الحركات الاجتماعية الفارسية فقد كانت بخراسان مرتعاً خصيباً لاعداء الدولة الاموية (٤) .

وسط هذا المجتمع ترعرت الدعوة العباسية حيث تمكن دعاة العباسيين من دخول مرو أول رمضان سنة ١٢٩هـ واستعدوا لقتال نصر بن سيار . عندما شعرت القبائل العربية بالخطر فاتحدت وتعاقدت على قتال الثوار العباسيين وكتب نصر بن سيار إلى الخليفة مروان بن محمد يعلمه عن خراسان وكثرة الدعاة العباسيين حيث انهم يدعون إلى ابراهيم إبن محمد وكتب له بأبيات شعر (٥) .

اری بین الرماد ومیض جمر	یوشك ان یكون له ضرام
فان النار بالعودین تزكي	وان الحرب اولها الكلام
فان لم تطفئوا تجن حرباً	مشمرة يشيب لها الظلام
أقول من التعجب ليت شعري	أأيقاظ اميه أم نيام
فان هبوا فذاك بقاء ملك	وان رقدوا فاني لا ألام
ففري عن رحالك ثم قولي	على الاسلام والعرب السلام (٦)

---

(١) الطبرى : ١٦٦٥/٢. عبد الحي شعبان : الثورة العباسية ص٢١٢ .

(٢) البلاذرى : فتوح ص ٣٩٧ .

(٣) ابوحبيب مروان بن محمد ص ٥٤ .

(٤) الدودي : الجذور التأريخية للشعوبية ص ٨

(٥) الطبري : ١٩٥٢/٢ ، ١٩٦٥/٢ ، ١٩٧٣/٢

(٦) فاروق : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٣٦ .

فكتب اليه الخليفة وكان مشغولا بحرب الخوارج الشاهد يرى مالايرى الغائب فاحسم الامر بمعرفتك ، فكتب الى والي العراق يزيد بن هبيرة يخبره بحال خراسان ويستنجده فكان الجواب لايختلف عن جواب الخليفة (١).

لقد كان نصر بن سيار والياً قديراً وقد تنبه بخطورة الوضع في خراسان واليه يعود الفضل في تنبيه العرب ودعوتهم الى التكاتف للقضاء على الخطر المشترك وسعى لتوحيد العرب في خراسان في قصيدته المذكورة .

دارت معارك عنيفة بين الجيش العباسي ونصر بن سيار انتقل فيها نصر من هزيمة الى هزيمة أشد وتمكن الثوار من دخول الامارة في حرو وفر نصر من امام الجيوش الزاحفة حتى وصل مدينة «ساوة» القريبة من همدان وهناك مات عن عمر ناهز الخامسة والثمانين وكان ذلك في عام ١٣١هـ (٢) .

وما ان حل عام ١٣١هـ حتى استطاع العباسيون ان يسيطروا على خراسان ثم اتجهوا نحو شمال العراق واقبل مروان بن محمد للقائهم في معركة فاصلة هي النتيجة المحمومة فلم تطل ايام مروان حتى فرقته الجيوش العباسية واتبعته الى بلاد مصر فقتل في قرية بوصبر عام ١٣٢هـ (٣) .

ان قيام الدولة الجديدة يعد استمرار للدولة الاموية العربية في كثير من نظمها وتقاليدها ولكن دخول العناصر الفارسية بكثرة في الدولة العباسية فسح المجال للحاقدين منهم للدس ضد الدولة العربية ومحاولة النيل من الكيان العربي ، ونشط هؤلاء الحاقدين ايام العباسيين .

وهكذا قدر لهذه الدولة العربية الاموية التي استطاعت أن ترفع راية الحق واعلام العرب والمسلمين من كابل شرقاً حتى اسبانيا غرباً ان تنتهي .

---

(١) الطبري : ١٩٨٨/٢، ٣/٣. المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ١٨٩.

(٢) الطبري : ١٩٨٨/٢. ٣/٣.

(٣) المسعودي : مروج ج٢ ص ١٨٢. ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية ص ١٣٨

المصادر والمراجع

١ ــ البلاذري: احمد بن يحيى « ت ٢٧٩هـ ــ ٨٩٢م» ١ ــ فتوح البلدان مصر ١٩٥٩م ٬
ابن حوقل: ابو القاسم بن حوقل النصيبي «ت ٣٦٧ هـ ــ ٩٧٩م» .
٢ ــ صورة الأرض، بيروت بلا تاريخ.
ابن خياط «ت ٢٤٠هـ ــ ٨٥٤م» .
٣ ــ تاريخ إبن خياط ،بغداد ١٩٦٧ .
الطبري: محمد بن جرير «ت ٣١٠هـ ــ ٣٩٢٣م» .
٤ ــ تاريخ الرسل والملوك، مصر ١٩٦٢م .
ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا .
٥ ــ الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية.
ابو الفدا :عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر «ت ٧٣٢هـ ــ ١٣٣١م» .
٦ ــ المختص من اخبار البشر ،بيروت ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م .
الجهشياري ــ ابو عبد الله بن عبدوس الجهشياري.
٧ ــ كتاب الوزراء والكتاب.
المقدس: محمد بن احمد «ت القرن الرابع ــ القرن العاشر».
٨ ــ احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط٢ لندن ١٩٠٦ .
المسعودي: ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي «ت ٣٤٦هـ»
٩ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣ أجزاء ١٣٨٦ ــ ١٩٦٦م.
اليعقوبي احمد بن يعقوب «ت ٢٨٤ هـ / ٩٧»
١٠ ــ تاريخ اليعقوبي
٣ اجزاء ،دار صادر بيروت .
١١ ــ الدوري: عبد العزيز الدوري،الجذور التاريخية للشعوبية ط٢ ،دار الطليعة بيروت.
١٢ ــ فاروق:فاروق عمر فوزي ١ ــ العباسيون الأوائل ٢ ــ طبيعة الدعوة العباسية مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٧ .
١٣ ــ العلي: صالح العلي :١ ــ ادارة خراسان .
١٤ ــ فلهاوزن: يوليوس فلهاوزن الدولة العربية وسقوطها دمشق ١٣٧٦هـ .
١٥ ــ ابو حبيب: القاص سعيد ابو حبيب: ــ مروان بن محمد واسباب سقوط الدولة
١٦ ــ الاموية،الدكتور؛ عبد الحي شعبان: الثورة العباسية.
١٧ ــ احمد الشنتناوي : الحكماء الثلاثة ــ دار المعارف مصر .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري

الدكتور سوادي عبد محمد
كلية التربية / جامعة البصرة

مقدمة :

يقدم هذا البحث محاولة لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لبلاد المغرب الاسلامي في الحقبة من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع (من القرن الثامن الميلادي حتى القرن العاشر) وهي فترة تبلور سياسي لهذه المنطقة من العالم الاسلامي ظهرت ابعادها في الاستقطاب السياسي لثلاثة بلدان هي : المغرب الادنى والاوسط والاقصى .

ان استقصاء البحث بالصورة التي عرضها ، يرتدي اهمية في البحوث التاريخية التي تقوم على التفهم التحليلي لتاريخ المجتمعات الاسلامية ، وفي هذا الصدد يمكن القول انه ليس هناك مايعين على تقديم تفصيلات كثيرة في موضوعات التاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي ، ويبدو أن شحة المعلومات وندرتها في هـــذه الجوانب وغموض المتوفر منها ، هي صعوبة تواجه الباحثين والمؤرخين عند تصديهم للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المشرق أو المغرب على حد سواء .

وازاء عدم استيعاب النصوص والحقائق التاريخية التي تهتم بهذه الموضوعات أو تبعثرها وتشتتها بين المصادر المختلفة ، يلاحظ طغيان طابع التاريخ السياسي على اعمال كثير من هؤلاء الباحثين والمؤرخين ، ولكن باعتقادنا ، ان الاتجاه الصـــحيح ، ينبغـي ان يكون في ميدان الابحاث الاقتصادية والاجتماعية للتاريخ الاسلامي ، وان تحتل

هذه الابحاث الاولوية في اعمال المؤرخين ، حتى يمكن التسليم بأن تحليل التاريخ السياسي واستيعابه استيعاباً علمياً وموضوعياً ، وفهم مسار الاحداث في سلم التطور التاريخي فهماً صحيحاً ، لايتم أو تستكمل صورته وابعاده الا بعد دراسة الاسس والعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي انطلق منها .

والحق ان هذا البحث، عني بما يتوفر من النصوص والمعلومات التاريخية بتسليط بعض الأضواء الجديدة على جوانب معينة في التاريخ الأجتماعي والاقتصادي من بلاد المغرب الاسلامي واولى اهتماماً يسيراً لتوضيح هذا التطور ؛ ولا غرو ان يتمخض عن نشوء دولة الرستميين وظهورها في منطقة المغرب الاوسط، تحولات اقتصادية في مجال الزراعة والري والصناعة والتجارة والنظام النقدي واجتماعية وتتمثل في نمو الطبقات والفئات الاجتماعية وتطورها، وهذه التحولات التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط لم تبدأ بمناصرة بعض قبائل البربر للرستميين فحسب بل كذلك عند تحولها من حياة البداوة والترحال الى حياة التمدن والاستقرار واسهمت في نصيبها في التقدم الحضاري، وبالتأكيد فان ذلك ينطبق على ظهور دولتي بني مدرار والادارسة في منطقة المغرب الاقصى ودولة الاغالبة في المغرب الادنى حيث شهدت مثل هذه التحولات.

واخيراً ، ليس هناك من شك في ان البحث هو إضافة متواضعة لاسهامات بعض المتخصصين وذوي الاهتمام ممن كتبوا عن المغرب الاسلامي وخاصة بما جرى التأكيد به على الأحوال الأقتصادية والأجتماعية، معتمدين على بعض المصادر المتوفرة لدينا؛ كما اننا لم ندخر وسعاً في ان يكون هذا البحث موضوعياً في معالجته واستنتاجاته وآرائه ، وفي استيعابه وتعمقه في تقديم الاحكام والتفسيرات، او تحليله لبعض القضايا السياسية التي وردت فيه وكان لها تأثيرها في التاريخ الاقتصادي او الاجتماعي.

وعلى الرغم من ان المظاهر الفكرية هي جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية واستكمال لها سواء في المغرب او المشرق، فانني ارجأت الكتابة عنها لحاجتها على مااعتقد— الى دراسة خاصة بها.

(١)
بلاد المغرب الأوسط (١)
أ ـ الاحوال الاجتماعية

تمخض عن قيام دولة الرستميين (٢) في منطقة المغرب الاوسط وتأسيس مدينة تاهرت حاضرة لها ، تحولات اجتماعية ملموسة في حياة السكان (٣) ، فقد ترتب عليه الانتقال من حياة البداوة والترحال الى حياة التمدن والاستقرار فالقبائل التي ناصرت الرستميين وخصوصاً لمّاية ولواتة وهواره وزواغة ومطماطة وزناتة ومكناسة ، استقرت في المدينة وضواحيها ، أما قبائل مزاتة وسدراتة فكانت تنتجع من مواطنها في مواسم معينة الى مدينة تاهرت لاصابة الماء والكلأ وفيما يتعلق بقبيلة نفوسة ، فقد فضّلت البقاء في المنطقة الجبلية قرب طرابلس .

وعلى اية حال ، فان ماينتقل من القبائل المنتجعة او من نفوسة يصبح بمرور الزمن جزءاً من سكانها ويتحول بالتدريج الى الحياة الحضرية ، كما انه الى جانب هؤلاء ، هنالك عناصر سكانية أخرى نزحت من الامصار الاسلامية واستقرت في مدينة تاهرت وعلى الرغم من ان حكام تاهرت ، كانوا يجنون فوائد من هذا الخليط الاثنولوجي غير المتجانس ، ليحولوا دون ظهور فئة تستأثر بالامتيازات او تحاول التمويه لصالحها في الحكم دون غيرها ولكن نلمس ، ظهور التعقيدات في طبيعة العلاقات بين السكان المتحضرين ، بكل مظاهر الترف والبذخ ، وبين القبائل الضاعنة امام ابواب المدينة ، حيث احتفظت بطبيعتها القبلية (٤).

ولاغرو ، فان ذلك ، يشكل عبأ على هؤلاء الحكام ، ينبغي عليهم معالجته فينجم عنه مشكلات سياسية واجتماعية ، تواجه الدولة الرستمية . ويبدوان أولى المشكلات يتمثل في عدم الاستقرار وجنوح بعض القبائل إلى الاضطرابات والفوضى واثارة الفتن والثورات أو الدخول في صراع بينها يؤدي إلى تقليص سلطة الدولة أوضياعها.

---

(١) ومركزه مدينة تاهرت بالقرب من منطقة تياريت (Tiaret) في وهران (Oran) في الجزائر الحالية .

(٢) قامت هذه الدولة سنة ١٤٤ ـ ٢٨٤هـ بالقرب من وهران التي تقع غرب الجزائر

(٣) انظر للاستزادة عن تأثير تطور الحركة العمرانية في مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة تاهرت د. الحبيب الجنحاني، المغرب الاسلامي (الدار التونسية للنشر ـ ١٩٧٧) ص١١١

(٤) د. الحبيب الجنحاني، المغرب الاسلامي ص ١١٣.

والظاهر ،ان تاهرت ،مثل غيرها من المدن الاسلامية ،ظهرت فيها طبقة جديدة من السكان،حازت على الثراء والعقارات ،شأنها شأن المدن الاخرى سواء في المشرق أو في المغرب،لعبت فيها الارستقراطية دوراً مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية واستحوذت على قدر كبير من النفوذ والامتيازات في الدولة والحكومة .(١) ولابد ان المؤرخ ابن الصغير المالكي يشير باطلاع إلى ذلك من طرف خفي (٢) . ولعل من المفيد ان نستنتج بما جاء عند هذا المؤرخ بأن هذه الطبقة الاجتماعية كانت تسعى لضمان مصالحها ، وديمومتها وعليها ان تتطلع إلى السلطة وتنتزع لها صلاحيات داخلها وتعمل على تكريس نفوذها وزيادته ، وكان لهذا أثره الواضح في نشوب الثورات والانتفاضات وحدوث دوامة من الفوضى السياسية ومزيد من الصراع المصحوب بالمؤثرات داخل سلطة الدولة. وغني عن البيان ،ان الانصراف إلى الزراعة والصناعة والتجارة قد ترتب عليه قيام حركة التطور الاجتماعي فادى إلى حياة مترفة وباذخة ، تحولت غدامس وورجلان وودان وزويله من مجرد قرى صغيرة مغمورة على حافة الصحراء إلى منافذ وثغور داخلية آهلة بالحركة والنشاط ، كما غدت المدن مراكز حضارية متألقة تزدان بالعلم والثقافة والسياسة والفن (٣).

ونقرأ الى جانب القبائل البربرية التي كانت تمثل السواد الاعظم من السكان وجود عناصر من الفرس والعرب الذين نزحوا الى تاهرت بسبب شهرتها التجارية ، وقد شكلوا على مايبدو قوى اجتماعية ، لعبت دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتركت تأثيرات عميقة في المجتمع الرستمي ، ويذهب الدكتور محمود اسماعيل ، الى ان العناصر الاباضية الوافدة لعبت هي الاخرى دوراً ملحوظاً في هذا الشأن . باعتبارها أكثر تحضراً ورقياً من القبائل البدوية ، سكان البلاد الاصليين ، ومن مظاهر ذلك تحول البلاط الرستمي من حياة الزهد والتقشف الى حياة الترف والدعة(٤).

ولدينا معلومات ، عن التحولات التي اصابت الرستميين في مضمار الحضارة ، وعن تشبههم بالمشارقة في امتلاك القصور والضياع والمنازل والحصون واقتناء الجواري والغلمان والعبيد والحشم ، والانصراف الى حياة الترف والولع بالفنون والاداب

---

(١) سيرة الأئمة الرستميين (باريس – ١٩٥٨) ص ٢٦ – ٣١

(٢) المصدر نفسه ص ٣١ .

(٣) د. محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢١٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٢١٧ – ٢١٨.

واقامة الاسمطة والمآكل للاطعام في ايام الاعياد ونصب الاحتفالات والمهرجانات التي كانت تحضرها الوفود من انحاء الدولة ، سواء من العامة والاجناد أو من الخاصة والامراء ورجال الجيش والبلاط أو من وفود الدول الاخرى وسفاراتهم (١) .

والحق ، ان البربر ، قد أصابوا ، في ظل الرستميين ، كثيراً من الامتيازات والنفوذ مما ترتب عليه انتقالهم الى حياة حضرية واقامتهم في الحواضر ومراكز المدن والمستوطنات المستقرة فبنوا «قصوراً منظمة وابنية مبهجة وقباباً مرتفعة واسواقاً مزدحمة ومساجد متعددة بمنارات عالية وحمامات متقنة واتخذوا الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة وتنوعت الالبسة وتعددت اللغات والازياء » (٢) .

ولعل من التطورات التي شهدها المجتمع الرستمي ، بل والمغربي عامة ، ظهور المرأة على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية ، فقد كان لبعضهن دور في النشاط السري الخاص بالتنظيم والدعوة الأباضية (٣) ؛ كما اسهم بعضهن الآخر في النواحي الفكرية والثقافية حيث كن يحضرن الدروس والمناظرات التي كانت تقام في المساجد ، ففي كل مسجد قسم خاص بالنساء يفصله عن قسم الرجال جدار مخرم يستر النساء ولايحجب صوت المقرىء او المدرس . ومن النساء اللاتي برزن في السياسة (غزالة) ام شبيب بن يزيد الشيباني و (غزال) زوجة ابي اليقضان محمد بن ابي اليقظان التي ارغمت زوجها على تقليد أبنها يوسف ولاية العهد و (دوسر) أبنة يوسف بن محمد بن ابي اليقظان ، التي كان لها دور معروف في الاحداث التي اودت بالدولة الرستمية (٤) . اما من برزن في علم الفلك والنجوم منهن اخت الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، حيث فاقت أخيها افلح في تتبعه واهتمامه بهذا العلم (٥) .

واخيرا ، فلا بد لنا ، ان نذكر ، المعالم الحضارية لدولة الرستميين التي تتمثل بمخلفاتهم المادية والآثارية مثل دور الامارة والقصور والمباني والضياع والمنشآت العامة كالفنادق

---

(١) النفوسي، الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضيه حـ٢ ص١١ ، ٢٥، ٤٨؛ ابن الصغير، المالكي، سيرة الأئمة الرستميين ص ٣١، ٣٤، ٤٩، ٥٢.

(٢) ابن الصغير المالكي، سيرة الأئمة الرستميين ص ٢١؛ النفوسي : الازهار الرياضية حـ٢ ص ٨٩.

(٣) الشماخي، السير ص ١٠٨، ١٠٩ .

(٤) للاستزادة انظر: د. محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢١٨؛ دبوز، المغرب الكبير حـ٣.

(٥) الشماخي، المصدر نفسه ص ١٩٣ .

والحمامات والمساجد ومراكز العبادة والتصوف وهـــذه المعالم تقدم صورة فيها كثير من الوضوح عن النشاط الاجتماعي الذي كان يضطلع فيه سكان المدن ، وعن الحياة الأجتماعية وطبيعتها ونشير بصورة خاصة الى عهد افلح بن عبد الوهاب الذي (شمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ لها ابواباً من الحديد ،وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنـى الناس القصور والضياع واجروا الانهار اليها) (١) ومن الجدير بالذكر ان الرستميين قـد تأثروا ببناء منشآتهم وقصورهم بالتقاليد المعمارية السورية والعراقية ، فقد كان نظام البناء فيها أشبه بالقصور التي شيدها الخلفاء الامويون في بلاد الشام ومـن ثم العباسيـون في العراق (٢) . وكذلك علينا ان ندرك مدى التأثيرات الاجتماعية العميقة التي خلفها المشرق الاسلامي في مجمل الحياة العامة للناس واتجاهاتهم وميولهم واسلوب عيشهم وطبيعة العلاقات السائدة بين السكان في جميع انحاء المغرب الاوسط ، وخصوصاً في حواضر الدولة الرستمية ومدنها ومراكزها .

---

(١) ابن الصغير المالكي، المصدر نفسه ص ٢٦؛ النفوسي، المصدر نفسه ص ٤٢.

(٢) لم يتبق من هذه المنشآت ،شيء يذكر، حيث تخربت عمائرها واصبحت اطلالا ، وان اكثر الاستنتاجات تقوم على المصادر التاريخية بهذا الخصوص، وينبغي علينا ان نعتمد المصادر المغربية اولا ومن ثم الاستعانة بالمصادر المشرقية.

(ب) الأحوال الأقتصادية:

١ ـ الزراعة والري (*)

يمكن القول ، بأطمئنان ، ان الزراعة ، قد شهدت ازدهاراً ملحوظاً في جميع ربوع المغرب الاوسط ، ولعل اوضح صورة للنشاط الزراعي منذ قيام الدولة الرستمية في منتصف القرن الثاني الهجري ، ماتشير اليه المصادر بهذا الصدد . فيذكر الاصطخري «ان مدينة تاهرت كبيرة خصبة واسعة البّرية والزروع والمياه»(١) والمقدسي «ان تاهرت عاصمة الرستميين قد احدق بها الانهار ، والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين»(٢) ويشير معاصرهما ابن حوقل الى ان اهل تاهرت ««لهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين ، وهي احدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال ويكثر عندهم العسل والسمن»(٣) كما يلقي البكري ضوء مفيداً على زراعتها فيقول عن تاهرت «وهي في سفح جبل على نهر يسمى «مينه» ونهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى «تاتش» ومنه شرب أهلها وأرضها وفيها جميع الثمار ، وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسناً وطعماً ومشمّاً»(٤) ويتحدث كذلك صاحب كتاب الاستبصار فيؤكد المعلومات التي جاءت عند البكري ، بأن تاهرت في منطقة بساتين كثيرة فيها جميع الثمار (٥) وعن قلعة هوارة بضواحي تاهرت فيقول «وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب»(٦) .

اما اذا استعرضنا وديان الانهار التي كانت تخترق الدولة الرستمية امكننا ان ندرك حجم النشاط الزراعي بشيء من الدقة ، واهم هذه الوديان وادي تلف الذي يتفرع منه وادي مينا ويمتد مجراه حتى يصل إلى تاهرت من جهة الجنوب ووادي سوفجج يتجه شرقاً فيلتقي بوادي الفرعا ثم بوادي الوحش . كما ان كمية الامطار التي تسقط بغزارة تؤثر في تكوين السهول الخصبة واهمها سهل أرسو وسهول وادي شلف وسهول

(*) انظر د. الحبيب الجنحاني، المغرب الاسلامي ص ١٣٠ ـ ١٣٢

(١) المسالك والممالك (القاهرة ـ ١٩٦١) ص ٣٤

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٢٢٨

(٣) صورة الأرض (بيروت ـ ١٩٦٢) ص ٨٦

(٤) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٦ ـ ٦٧

(٥) مجهول ، كتاب الاستبصار ص ١٧٨

(٦) مجهول كتاب الاستبصار ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

الساحل ، وفي جميع هذه الوديان والسهول والواحات تزرع الحبوب والفواكه(١).

ويبدو أن الدولة الرستمية التي كانت تهيمن على معظم المغرب الاوسط احتفظت بازدهارها الزراعي حتى سقوطها بأيدي الفاطميين في اواخر القرن الثالث الهجري، ويستفاد من اشارة النفوسي وهو مؤرخ نقل معلوماته عن الرستميين من مصادر موثوقة قوله «ان الرستميين اختاروا موقع عاصمتهم في مكان جيّد الهواء كثير المياه ، خصب الارض»(٢) ولعلهم افادوا كثيراً من هذه المياه «فشقوا القنوات وزرعوا الكتان والسمسم وسائر الحبوب وغرسوا الاشجار واقاموا البساتين» (٣) .

ولعل من المفيد ان نشير الى المناطق الزراعية في الدولة الرستمية التي ذكرها بحاز ابراهيم بكير واهمها منطقة الجانب الغربي من الدولة الرستمية وشمالها التي تعتبر من المناطق الاساسية في زراعة الحبوب ومنطقة الجانب الشرقي وهي بلاد نفوسه منطقة كروم وأعناب وتين وحبوب ومنطقة جربه الشهيرة ببساتين الزيتون والنخيل والكروم ومنطقة الجنوب موطن النخيل ومنطقة بلاد الجريد المتمثلة بقسطيلية ونفطه تنتج التمور والحبوب(الحنطة والشعير) ومنطقة الواحات ومنطقة وارجلان الكثيرة الزرع والضرع من الحبوب والنخيل(٤)

٢ ــ الصناعة

كانت الصناعة في المغرب الأوسط ، تقوم على خبرة الصناع المهرة واصحاب الحرف الذين جاءوا من الامصار والاقطار واستوطنوا حوافر المدن وخصوصاً تاهرت ، فبرزت صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والقطنية او الحريرية والزرابي المزركشة وصناعة القوارير الزجاجية والاواني الخزفية البراقة والملونة والحلي الذهبية والفضية واواني النحاس الاحمر والاصفر المنقوش والخشب المحفور والمموه والاقفال والاواني والتحف المعدنية وكذلك صناعة الافاوية والعطور والأدوية المركبة والعقاقير الطبية وانواع الصبغة ذات الالوان الزاهية (٥) وصناعة ضرب النقود من الذهب المجلوب من بلاد السودان (٦) .

(١) د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير حـ٢ ص ٥٧٦ — ٥٧٧
(٢) الأزهار الرياضية ص ٩
(٣) د. محمود اسماعيل ،الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢٠٥ — ٢٠٦
(٤) بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية الورقة ١٥٠ — ١٦٨.
(٥) النفوسي، الازهار الرياضية ص ١٣٧
(٦) بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية (رسالة ماجستير لم تطبع بعد — ١٩٨٣) الورقة ١٩٣ — ١٩٥ (ويشير الباحث الى ان بعثة آثارية فرنسية اكدت وجود مجموعة من النقود الرستمية عثرت عليها في موضع تيهرت .

وهناك صناعات مرتبطة بالزراعة والماشية ، مثل صناعة المحاريث والمناجل والفؤوس وغيرها من الالات الزراعية البسيطة ، كما توجد معاصر الزيتون ومطاحن القمح الموزعة على الانهار العديدة (١) .

وتدخل الصناعة في مظاهر العمران والبناء مثل تشييد المباني والقصور واقامة الأسواق وفي بناء المساجد واتخاذ قبابها ومآذنها ومنائرها العالية والمزخرفة بانواع من الحجر المصنوع والمنحوت ، وفي بناء المنازل والمساكن والبيوت والخانات والفنادق والحمامات واتخاذ شبابيكها وابوابها من الخشب او الحديد أو النحاس (٢) .

ومن الجدير بالذكر ، ان وفرة المناجم والمحاجر في هذه المنطقة قد ساعد كثيراً على ظهور معظم الصناعات وارتفاعها وتطورها وكثرة المشتغلين فيها من العناصر غير المغربية مثل اليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشارقة ، هؤلاء الذين كانوا يقيمون في تاهرت(٣) او في المدن والمراكز الأخرى . وجاء عند الدكتور الجنحاني ، ان الحفريات التي اجريت في منطقة تاهرت ، عثرت على قطع من الخزف والاواني دللت على وجود صناعات يدوية فيها ، كما ان هذه المدينة عرفت معامل كانت تنتج الاواني وماتحتاجه حركة البناء ، ولاسيما القصور من خزف ومنقوشات (٤) .

٣ — التجارة

يقوم المغرب الأوسط بدور رئيس في النشاط التجاري في جميع انحاء المغرب الاسلامي وتلعب الدولة الرستمية دور الوسيط التجاري في هذا النشاط بين المشرق الاسلامي والمغرب عموماً طوال فترة القرن الثالث الهجري (٥) ، حيث كانت التجارة تنقل عبر الصحراء من بغداد والبصرة مارة بالانبار وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبريه والرملة والفسطاط والاسكندرية ومنها الى برقة ثم الى المغرب الاوسط وبلاد الرستميين ونقل الرستميين تجارتهم الى بلاد الاندلس حيث اتصلوا بموانئها المهمة مثل شاطبه وتدمير ومرسى أقلة (٦) . كما استقبلوا التجار الاندلسيين في بلادهم . ويمكن القول ، ان منافذ

(١) م.ن. الورقة ١٧٥ — ١٧٦

(٢) النفوسي، م.ن ص ٨٩

(٣) د.محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢٠٦

(٤) المغرب الاسلامي ص ١٣٥

(٥) د. الحبيب الجنحاني ،المغرب الاسلامي ص ١٣٣ — ١٣٥ .

(٦) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٦٨ .

الدولة الرستمية ، اصبحت محطات لرحيل القوافل من دول المشرق والمغرب والاندلس على السواء ، ويبدو ان طائفة من التجار العراقيين ، كان لهم مساجدهم ومنازلهم واسواقهم الخاصة (١) ،مما يشير الى اهتمام الرستميين بتجارة المشرق وايلاء التجار المشارقة رعايتهم فكفلوا لهم الحماية والأمان في طرقهم وبلادهم (٢) .

ومن مظاهر الحركة التجارية ، ماكان يفد من تجار القيروان الى تاهرت وماكان يخرج منها الى القيروان من القوافل التجارية ، تنقل مختلف السلع والمتاجر ،وذلك نتيجة للتسهيلات التي كان يقدمها الرستميون للتجار وتأمينهم على نقل التجارة . وكثيراً مآثر بعض التجار والحرفيين من الاندلسيين والمدراريين والعراقيين وغيرهم الاقامة في تاهرت او في مدن المغرب الاوسط الأخرى والعمل في اسواقها وحوانيتها .

وكان الرستميون يستوردون كثيراً من السلع والامتعة من بلاد السودان اهمها الذهب الخام وريش النعام وجلود الحيوانات والأبنوس ، كما استوردوا السلع الاندلسية عن طريق الموانيء في تنس و ستغانم ووهران ومنها الثياب القطنية والكتانية والحريرية التي كانت تشتهر بها قرطبة (٣) .

وتصدر الدولة الرستمية الى السودان ، المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والأواني الزجاجية والخزفية والاصواف والتحف المعدنية والعطور والبخور والافاوية (٤) اضافة الى الملح والنحاس والودع (٥) ، كما خرجت قوافل الرستميين الى بلاد الاندلس ، حاملة القمح والعاج والجلود المصنعة التي كانت تحصل عليها خاماً من السودان وغانة (٦)

ومن الجدير بالذكر ان اهم مظهر في التجارة الداخلية ماكان يتمثل باستبدال البدو الضاربين في الصحراء بصناعاتهم من الغنم والصوف والجلود والشحم والسمن والالبان المجففة والتمور المجلوبة من اسواق الواحات ببضائع العاصمة او التل مثل الحبوب من قمح وشعير ، اضافة الى بعض المواد الضرورية مثل الملح والسكر والزيت والعسل وبعض الفواكه والالبسة والافرشة (٧) .

---

(١) ابو زكريا ، السيرة واخبار الأئمة ،الورقة ٣٧، ٤١، ٤٢
الدرجيني ،طبقات الا باضية ح١ الورقة ٤٧ .

(٢) الدرجيني ، طبقات الا باضية ح١ الورقة ٤٢ .

(٣) ابن عذارى ،البيان المغرب ح١ ص ٢٠١

(٤) النفوسي، الا زهار الرياضية ح٢ ص ١٣٧ .

(٥) القلقشندي، صبح الا عشى في صناعة الا نشا (القاهرة – ١٩٢٢) ح ٥ ص ١٦٤

(٦) م.ن ص ١٣٧؛ الباروني، مختصر تاريخ الا باضية ص ٤٣ .

(٧) بحاز ابراهيم بكير ،الدولة الرستمية الورقة ١٨٨ .

وارتبطت تاهرت بمدينة سجلماسة بطريق تجارية تسير فيه القوافل ، حيث كانت المسافة بينهما تقرب من خمسين مرحلة (١) ، فتبادلت معها السلع والمنتجات ، وانتقل التجار والمسافرون بين المدينتين بحرية ناقلين تجاراتهم وامتعتهم ومتمتعين بالتسهيلات التي كانت تقدمها الدولتان اليهم على الرغم من العلاقات السياسية بين الدولتين والتي كانت تتسم بالتباعد وعدم الوضوح احياناً وبالعداء والتأليب ضد بعضهما البعض في احايين اخرى .

ومن الجدير بالاشارة الى ان منطقة ورجلان ومدينة ورجلان في الصحراء التي تكون الجزء الاكبر من المغرب الاوسط ، تعد من اكبر القواعد التجارية في المنطقة وتتركز تجارتها مع السودان ، فيذكر النفوسي بهذا الصدد قائلا «وكان اكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من اهل مدينة ورجلان وهواره» (٢) كما اتضح بان قبيلة هواره كانت من اكثر القبائل نشاطاً في التجارة وخاصة في منطقة طرابلس وشرقها وفي المغرب الاوسط عموماً وفي الصحراء وفي جبال اوراس ، حيث تخصصت في التجارة مع بلاد السودان (٣) فضلا عن ان اهل جبل نفوسه — وهم من رعايا الدولة الرستمية ، قد تولوا مهمة النشاط التجاري مع السودان أيضاً . اما الاتجار مع مصر ، فقد تولتها قبيلتي هواره ونفوسه وبعض القبائل الاخرى ، ناقلة بضائعها وشرائها عبر صحراء سرت ، ومارة بالمراكز التجارية في المغربين الادنى والاوسط (٤) .

ولاغرو ، فان النشاط الاقتصادي التجاري في المغرب الاوسط ، ترك آثاراً اجتماعية في المدن والحواضر ، ونجد كثيراً من التفصيلات عند المؤرخين والجغرافيين عن مظاهر العمران والرفاهية وتنوع الحضارة في هذه المراكز ، فيشير ابن الصغير المالكي الى ان اهل تاهرت «علت وجوههم سيماء الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى» (٥)

(١) الاصطخري ، المسالك والممالك (القاهرة — ١٩٦١) ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) الأزهار الرياضية ص ١٧٤
(٣) وجاء كذلك ان قبيلة هواره انشأت مدينة «هفار» وجعلتها مركزاً لتجارتها مع السودان (انظر : محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير جـ٣ ص ٣٤٨.
(٤) م.ن ص ٣٥١ .
(٥) سيرة الأئمة الرستميين ص ١٣ .

(٢)

بلاد المغرب الأقصى (١)

١ – منطقة دولة بني مدرار

(أ) الأحوال الأجتماعية:

تهيمن دولة بني مدرار (٢) على الاجزاء الشرقية ومنطقة الصحراء من المغرب الأقصى وقد ظهرت هذه الدولة ، بتأسيس مدينة سجلمامة سنة ١٤٤هـ حاضرة سياسية وعلمية واجتماعية لها ، وأصبحت بمرور الزمن ، بوتقه تجمع عناصر مختلفة من قبائل البربر ، وخاصة بطون مكناسة وصنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة وزويلة ، ويشير لسان الدين بن الخطيب إلى ذلك بقوله : «ان أمير سجلماسة ، اليسع بن ابي القاسم بن مدرار ١٧٤ – ٢٠٨هـ ، بنى سور المدينة – اي سجلماسة – وقسم داخل السور على القبائل»(٣) فضلاً عن احتواء المدينة على جماعات من السودانيين وبعض الاندلسيين واليهود ؟ وقد اسهم هؤلاء في عمران المدينة وظهورها كمركز تجاري ممتاز ، ويؤكد اليعقوبي ازدهارها وظهورها كحاضرة لدولة بني مدرار ().

ولا ريب في أن هجرة قبائل البربر إلى سجلماسة واختلاطها بجماعات السودان والاندلسيين المتحضرين نسبياً ، ترك أثراً في احوالها واستقرارها واحدث تغيرات ملموسة في عاداتها وتقاليدها واساليب حياتها ؟ وينقل لنا ابن حوقل صورة عن حياة هذه القبائل قبل استقرارها في سجلماسة او في مدن أخرى ، فيها كثير من التباين ، حيث كانت تنتقل في البوادي الصحراوية وبراري سجلماسة واودغست ونواحي لمطة وتادمكة ونواحي فزان ، ففيه مياه عليها قبائل من البربر المهملين الذين لايعرفون الطعام ولارأوا الحنطة ولا الشعير ولا شيئاً من الحبوب والغالب عليهم الشقاء والأتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم»(١) .

وتدريجياً هجرت القبائل حرفة الرعي وأتجهت للاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة أن هذا النشاط ، خلق حافزاً للتطورات الاجتماعية وأوجد موازين جديدة تقوم عليها

---

(١) وهو امتداد لمنطقة المغرب الأوسط ، ويفصل بينهما نهر ملوية الذي تقع على احد فروعه Moulouya مدينة تاهرت ، ويتمثل المغرب الاقصى اليوم بالمملكة المغربية الحالية.

(٢) قامت في مدينة سجلماسه سنة ١٤٠ – ٣٥٤هـ/ ٧٥٧ – ٩٦٥م في منطقة المغرب الأقصى.

(٣) اعمال الأعلام قسم ٣ ص ١٤٣

(٤) كتاب البلدان ص ٣٥٩ .

(٥) صورة الأرض ص ٨٤ .

القوى الاجتماعية داخل المدن ، مما أدى إلى نمو العلاقات الاجتماعية بين السكان وتنوعها وكذلك ترتب عليه اتساع المدن وازدياد عمرانها .

ومن المفيد أن نقول ، كذلك ، أن استقرار الفئات والجماعات التي نزحت إلى مدن المغرب الاقصى ، وخاصة سجلماسة ، من مدن المشرق بغداد والكوفة والبصرة ودمشق وخراسان ، نقل إلى سكان المدن طباع سكان المدن الكبرى المزدهرة ، وحثهم على ممارسة حياة الترف والرفاهية ، وقد أحسّ ابن حوقل بمنزلة اهل سجلماسة ورفاهيتهم بقوله «وسجلماسة مدينة حسنة الموضع ، جليلة الأهل» وقوله : «واهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر ، مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة»(١) . اما البكري فيتحدث عن غنى اهلها وكثرة اموالهم»(٢) ويصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري بقوله : «سجلماسة قصبة جليلة واهلها قوم جياد بها علماء وعقلاء»(٣) .

ولعلنا نستطيع ان نستنتج ، انه لما كانت مدينة سجلماسة مدينة تجارية ، كما هو الحال بالنسبة للمدن الأخرى فلا بدّ ان يظهر فيها النفوذ الاجتماعي للفئات التي كانت تدير النشاط التجاري ، وعندئذ تبرز مظاهر الترف والثراء ، تلك المظاهر التي اشار اليها غير واحد من المؤرخين والبلدانيين ، كما اكدوا على وجود معالم التمدن الاجتماعي مثل الحمامات والقصور والفنادق والمصانع والمنشآت ودور العلم ، إضافة إلى مستلزمات الحضارة الأخرى .

ويتوضح لدينا من خلال المعلومات والحقائق التاريخية ، ان اهل الذمة وخاصة اليهود قد لعبوا دوراً مهماً في نطاق العلاقات الاجتماعية فقد سيطروا على الحياة الاقتصادية بسبب استحواذهم على تجارة الذهب (٤) . كما نشأت علاقات بين الفئات التي كان

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٠ .

(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٤٨ .

(٣) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٣١ .

(٤) يذكر صاحب كتاب الاستبصار ، ان سكان سجلماسه، نقموا على اليهود بسبب سيطرتهم على الاقتصاد ، فاستعدوا عليهم داعية الفاطميين ابى عبد الله الشيعى ، للانتقام منهم ، فأمر هذا الأخير بقتل اغنيائهم واخذ اموالهم وفرض عليهم امتهان احدى الحرفتين الكنافة او البناء — وكانت هاتين الحرفتين من الحرف الرذيلة في نظر المجتمع ؛ غير ان اليهود مالبثوا ان عادوا الى مزاولة ادوارهم في الحياة الاقتصادية بعد فترة من الزمن (الاستبصار في عجائب الامصار ص ٢٠٢) .

يمثلها التجار الذين وفدوا من المدن الاسلامية المشرقية والمغربية واستقروا في المدن ، وهم مايعبّر عنهم بـ «الجاليات» وبين السكان الاصليين والاقليات ، هذه العلاقات تقوم على الانتماء إلى مهنة واحدة او صنعة واحدة .

ويبدو ان السجلماسيين والسجلماسيات ، اكتسبوا كثيراً من المهارات والصنائع بسبب هذا الامتزاج ، ومن هذه المهارات مايشير اليها الحميري في الآداب العامة ، ومنها مهارة الطبخ التي تعلموها من السودانيات الماهرات في عمل الاطعمة الطيبة ولا سيما أصناف الحلاوات مثل الجوزينيات واللوزنيجات والقاهرات والكنافات والقطائف والمشهيات(١) .

(ب) الأحوال الأقتصادية :

١ ـ الزراعة:

تقوم الزراعة في دولة بني مدرار على المياه التي يوفرها نهر ملويه الذي تقع على منحنياته مدينة سجلماسة ، حيث يحوّل هذا النهر الذي يسميه اليعقوبي نهر زيز (٢) ، جميع المناطق التي تحيط بالمدينة إلى سهول فيضية صالحة للانبات الزراعي ؟ ويشير لسان الدين بن الخطيب إلى مايفيد بالاكثار من الأراضي الزراعية وتوسيع رقعتها بحفر الخلجان وشق القنوات والترع قائلاً : «لما نزل عيسى بن يزيد بجلماسة فاتقن اسوارها وقسمّ مياهها فيخلجان بقدر موزون وصرف إلى كل ناحية قدرها من مائه وأمر بغرس النخل والاستكثار منه»(٣) كما يوضح البكري ، النظام المتبع في ري الاراضي والبساتين وسقيها وتشبه في الوقت الحاضر الاحواض الزراعية ، حيث يقول : «وهي على نهرين ــ أي سجلماسة ــ عنصرهما من موضع واحد يسمى أجلف تمده عيون كثيرة ، فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها ، وشرب زروعهم من النهر في حياض كحياض البساتين»(١) ومجمل القول ان منطقة سجلماسة هي واحة تعمر بالبساتين والغروس مقسمة إلى احواض ترويها مياه وادي نهر الملوية بفرعيه الشرقي والغربي .

ولكن ابن حوقل يلقي ضوءاً مفيداً على طبيعة النشاط الزراعي والمواسم الزراعية ، بمقارنته مع زراعة مصر التي كانت تتم بواسطة الارواء على ضفتي نهر النيل ، فيذكر

---

(١) الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٩٤؛ البكرى، المغرب ص ١٥٨ .

(٢) كتاب البلدان (ليدن – ١٨٩١) ص ٣٥٩ .

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٩ .

(٤) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٤٨ ثم انظر مجهول ، كتاب الاستبصار ص ٢٠١ يقول : «ولهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر في حياض كحياض البساتين»

ان سجلماسة فاخرة العمل ـ اي الزراعة ـ على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة ، وربما زرعوا منه عن بذر وحصدوا ماراع من زرعه ، وتواترت السنون بالمياه فكلما اعذقت تلك الارض في عقب اخرى ، حصدوه إلى سبع سنين»(١) .

وكان المزارعون في المغرب الأقصى عامة وفي دولة بني مدرار بصورة خاصة يستكثرون من غرس اشجار النخيل والاعناب ، حتى ان البكري يشير إلى وفرة الزبيب الذي يؤخذ من عنبها المعرّش ويعرف بالزبيب الظلي (٢) . وتمثل التمور اشهر انتاج لواحة سجلماسة وهي على انواع ، حيث بلغت ستة عشر صنفاً ، يذكر ياقوت من اصنافها ، العجوة والدقل ويقول بأن «اكثر اقوات اهل سجلماسة من التمر»(٣) . ويضيف ابن حوقل بأن لهم رطباً «اخضر من السلق في غاية الحلاوة»(٤) .

كما زرعوا الحبوب مثل القمح والشعير وعرفت لديهم انواع منها ، ليست قمحاً ولا شعيراً وهو بسنبل لايشبه سنبل الحنطة ولا الشعير ، صلب المكسر لذيذ المطعم وخلقه بين القمح والشعير (٥) ، يسميه البكري الصيني (٦) .

والى جانب زراعة الاشجار والحبوب ظهر اهتمامهم بزراعة القطن والكمون والكروياء والحناء (٧) وانواع الخضر والثمار والنبات والرمان وجميع الفواكه والمحاصيل بحسب فصول السنة . ويبدو انهم يوسعون رقعة المراعي مما يدل على اعتنائهم بتربية الماشية والاغنام والابقار لذلك وصفوا بانهم «يبيحون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الأبل والماشية » (٨)

---

(١) صورة الأرض ص ٩٠ .
(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٤٨ .
(٣) معجم البلدان جـ٣ ص ١٦٢ .
(٤) صورة الأرض ص ٩٠ .
(٥) ابن حوقل ،صورة الارض ص ٩٠ .
(٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥١ يقول: وقمحهم رفيف صيني .
(٧) الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان (قطعة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) (ليدن ـ ١٨٩٤) ص ٦٠ .
(٨) ابن حوقل، المصدر نفسه ص ١٠٠ .

٢ ـ الصناعة:

أما في مجال الصناعة والحرف التي تقوم عليها ، فليست لدينا معلومات كثيرة ، ولكن مع ذلك فان المدراريين لايعدمون وجود بعض الصناعات اليدوية ، ويبدو ان المناجم والمحاجر التي تقع في منطقة درعة والغنية بمعدني الذهب والفضة ، هي التي تمد هذه الصناعات بالمواد الأولية اضافة الى الذهب الذي يستورد من بلاد السودان التي وصفت بانها باب تبرها (١) ومعدن الفضة الذي كان يستخرج أيضاً من جبل مجاور لمدينة سجلماسة .

وقد ساهمت العناصر غير المغربية مثل اليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشارقة في هذه الصناعات فأحترفت استغلال المناجم وتصنيع الذهب والفضة ، ويبدو ان وفرة هذين المعدنين ، دفع هؤلاء للاحتراف في صناعتهما ، فيؤكد البكري انها بلاد مشهورة بالذهب(٢) كما يذهب الاصطخري الى القول بانها بلاد قريبة من معدن الذهب بينها وبين ارض السودان وارض زويله ، ويقال بانه لايعرف معدن للذهب اوسع ذهباً ولا اصفى منه» (٣)

وهنالك صناعة النسيج التي تعتمد على القطن الذي ينتج محلياً وعلى الصوف الذي توفره منطقة تافيلت حيث يشير اليها البكري قائلا بان صوفها من اجود الاصواف ويعمل منه بسجلماسة ، ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا (٤) مما جعل التجار المشارقة ، والاندلسيين فضلا عن المغاربة يقبلون على الاتجار به الى بلدانهم (٥) ويشيع هناك مايعرف «باللباس السجلماسي» الذي تكثر الاشارات اليه في اغلب المصادر التاريخية المحلية .

ويفيدنا ياقوت بما ذكره عن مهارة النساء السجلماسيات في صناعة النسيج وتفوقهن في صناعة الأزر بصورة خاصة فقال ان «لنسائهم يد صناع في غزل الصوف ، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذي بمصر ، يبلغ ثمن الأزر خمسة وثلاثون ديناراً واكثر كارفع مايكون من القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بانواع الأصباغ» (٦) .

---

(١) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ١٧٥ .

(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥١ ؛ يقول : ان الذهب عندهم جزاف عدد بلا وزن .

(٣) المسالك والممالك ص ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٧ ..

(٥) وهذا اللباس يشبه اللباس الدرجيني في ثوبه ولونه، ولكنه يفوقه جودة «والدرجيني نسبة الى درجين مدينة قرب نفطه آخر بلاد الجريد »
انظر : د. الحبيب الجنحاني المغرب الاسلامي ص ١٧٤ .

(٦) معجم البلدان جـ٣ ص ١٩٢ .

وتشيع في هذه المنطقة حرف تتصل بالبناء والتشييد ولا شك ان في مقدمة هذه الحر ، الحدادة والنجارة لعمل الشبابيك ذات الستر المتدلية او الأبواب من الاخشاب تصنع في غاية المهارة ، وتصبغ ويعمل لها الاقفال وهي على نوعين ؛ ابواب المدن الكبار من خشب متين وابواب القصور والمنازل من اخشاب مقطعة ،او تتخذ الابواب والشبابيك من الحديد والسلاسل .

ولدينا اشارات مهمة إلى صناعات تتبدّى اهميتها في هذه الفترة التاريخية مثل صناعات السكر وتكرير الملح وتنقيته(١) وصناعة الاحذية(٢) إلى جانب صناعة الاواني الخشبية من شجر يعرف «تانجاثت» باسم المنطقة التي يؤخذ منها(٣) وصناعة المصوغات الذهبية والفضيّة التي مهر بها صاغة في مدينة سجلماسة وبعض المدن الأخرى ، أغلبهم من اهل الذمّة(٤) .

٣ ـــ التجارة :

يلعب المغرب الأقصى دوراً بارزاً في نطاق التجارة ، ويتركز أغلب النشاط التجاري في مدينة سجلماسة حيث تحتل دولة بني مدرار مكانة مرموقة بين دول المنطقة بسبب فعالياتها الاقتصادية وفي مقدمتها التجارة ، وقد اصبحت سجلماسة على حد قول احد الباحثين ، مركزاً تجارياً عالمياً في تلك الفترة ، ويعزو تجمع الثروة الذهبية فيها إلى مزاولة اهلها للتجارة على نطاق واسع ؛ حيث اصبحوا من اغنى الناس واكثرهم مالاً (٥).

ان الاتجار بالذهب كان يحتل المنزلة الأولى بين تجارات دولة بني مدرار ، ويفهم مما جاء عند البكري وياقوت بأن حصول السجلماسيين على الذهب تتبدى اهميته دون البضائع والتجارات الأخرى،حتى أصبح هذا المعدن عند السكان«جزافعددبلاوزن»(٦)

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الأنشا جـ٥ ص ١٦٤ .

(٢) الشماخي ، السير ص ٢٤٨ .

(٣) يصفه البكري بقوله «وهو شجر يعظم ورقه هدب كورق الطرفاء ومنه آنية سجلماسة ودرعه وما والاهما» المغرب ص ١٥٦ .

(٤) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ١٧٥ (انظر هامش رقم ٦٥ — جاء فيه بما يفيد ، ان الصياغة كانت من الصنائع التي احترفها اهل الذمة ؛ نقلا عن محمد بن محمد اليماني ، سيرة الحاجب جعفر .

(٥) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ١٧٦ .

(٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥١ ؛ معجم البلدان جـ٣ ص ١٩٢ .

ولا غرو فان النشاط التجاري كان يتمثل بجميع الفعاليات المتصلة بالتجارة والبضائع والسلع التي كانت تنقلها القوافل التجارية المتجهّة إلى سجلماسة او المنطلقة منها ، ولعل اهم السلع التي كانت تصدرها سجلماسة إلى بلاد السودان وغانة وتكرور ومدينـــة اودغست هي القمح والتمور والزبيب والثمار المجففة والخرز والملح والحناء والماشية (١) أما وارداتها من اودغست فهي اشجار الصمغ ومن السودان الذهب والرقيق (٢) ، كما يستورد التجار السجلماسيون ، الفستق من مدينة قفصه ويحملون السكر والكمون والكراوية والاحذية إلى القيروان (٣) .

وتبادل بنو مدرار مع أمويي الاندلس ، السلع والمتاجر ، فكان المدراريون يصدرون القمح والسكر والكروم والتمر ، في مقابل الثياب والمطرزات القطنية والكتانية والحريرية التى عرفت بها قرطبة (٤) .

ونتيجة لتطور صناعة النسّيج القطني في سلجماسة ، فقد استوردت القطن الاشبيلي الخام الشهير في جميع انحاء العالم الاسلامي ، ويشير ابو عبدالله الحميري ، الى مايفيد بجودة القطن في اشبيلية وتجهيزه الى سجلماسة (٥) ، وقد استتبع ذلك تطور في العلاقات الاقتصادية بين الطرفين ، ونمو في التبادل التجاري ، فقدمت التسهيلات للتجار الاندلسيين والمدراريين في جلب السلع والبضائع التي كان يروق لهم المتاجرة فيها .

ومعروف ، ان دولة بني مدرار ، عقدت أوثق الصلات ببلاد التكرور وغانه ، التـي كانت تعرف ببلاد السودان الغربي ، واحتلت العلاقات التجارية ، مكانة متميزه بين هذه الصلات ، واصبحت سجلماسة مركز الاتصال بين بلاد المغرب الاسلامي وعموماً وبيـن بلاد السودان ، حيث كانت تتجمع القوافل التجارية في مدينة ورعة عند خروجها من دولة بني مدرار . وهذه المدينة كانت تشرف على المناطق القريبة والداخلة في بلاد السودان (٦) ،

---

(١) البكري المصدر نفسه ص ١٥٨ — ١٥٩ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٦٠ .

(٢) البكري ، المصدر نفسه ص ١٥٩ .

(٣) د. محمود اسماعيل ، المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

(٤) ابو زكريا ، السيرة وأخبار الائمة ، الورقة ١١٧ ، علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ص ١٥٤ .

(٥) الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٥٩ .

(٦) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥٥ ، ١٦٣ .

ويؤكد البكري بأن منطقتي «امطلوس» و «تاليوين» هما اولى المراكز السودانية التي كانت تتوقف عندها القوافل الخارجة من المغرد الأقصى (١) .

ويسلك التجار القادمون او الخارجون من دولة بني مدرار مع قوافلهم طرقاً برية وبحرية واهمها طريق تربط سلجماسة بوجده ، تبدأ من هذه الاخيرة الى صاع ومنها الى تافيللت ثم الى جبل بني يرنييان ثم الى فيرو ومنها الى الاحساء والى لامسلى منتهياً بسجلماسة (٢)

ويبدو ان هذه الطريق تتصل بطريق آخر في موضع معين تأتيها من المشرق الاسلامي ، مبتدئة من بغداد والبصرة مارة بالانبار وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وهي من مدن الجزيرة الفراتية ثم الى حلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ومنها الى برقة ثم الى المغرب الاقصى ودولة بني مدرار وعاصمتهم سلجماسة . والطريق الثانية ، هي التي تربط المغرب الاوسط بالمغرب الاقصى وتبدأ من سلجماسة وتنتهي بوارجلان (٣) ، والثالثة تربطهم بدولة الادارسة من مدينة فاس الى سلجماسة (٤) .

اما الطرق البحرية ، فهي التي تنتهي عند موانيء دولة بني مدرار على ساحل (الأطلنطي) وترتبط بموانيء الاندلس واشهرها أشبيلية وشاطبة ، ولعل ميناء (تابحريت) الذي يقع على شواطيء البحر المتوسط كان من الموانيء الشهيرة ، وقد حظى باشارات البكري ، وقصر الاهتمام بتصدير البضاعة الى سجلماسة ، كما جاء عنه ان مدينة تابحريت مدينة مسورة على ساحل البحر وهي محط للسفن ومقصد للقوافل سلجماسة (٥) .

ولابد من التنويه ، الى ان حركة التبادل التجاري في دولة بني مدرار كانت تتم بمقايضة الذهب الى جانب العملة ، التي وجدت اشارة صريحة لها في عهد الشاكر لله من أواخر امراء بني مدرار ، حيث اتخذ السكة باسمه ولقبه وكانت تسمى بالدراهم الشاكرية (٦) . ويقول

(١) البكري ، المصدر نفسه ص ١٦٤ .

(٢) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٧ «ثم يذكر مدينة مصكاك على شاطيء البحر أيضاً وهي أقدم من تابحريت ، وكانت هذه المدينة ترتبط بوجده وتلمسان وفي الاولى يسكن التجار ، ومن وجره إلى سجلماسة مارة بمدينة صاع ثم إلى تاملت وتتصل بالطريق الذي ينتهي بسجلماسة .

(٦) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٦ ص ٢٧٠ .

السلاوي عن عملة الشاكرلله بأنها «طيبة للغاية» (١) وان العملة التي ضربها سنة ٣٦٦ هـ ، كان وزنها ١٩ غم والتي ضربها سنة٣٤٠ هـ كان وزنها ٢١ غم .

وتحدثت المصادر عن العملة السلجماسية واهميتها في محيط التداول في هذه الفترة ، حيث اقتنى امراء الاندلس منها كثيراً واتخذوها وسيلة للتبادل والبيع والشراء (٢) ، وربما كان ذلك بسبب محافظتها على قيمتها النقدية او لانها ضربت «من الذهب الأبريز» (٣)

٢ – منطقة دولة الأدارسة:

(أ) الأحوال الأجتماعية:

تسيطر دولة الأدارسة (٤) على الجزء الممتد من السوس الأقصى الى مدينة وهران من بلاد المغرب الأقصى ، وكانت حاضرتهم مدينة فاس ثم تحولوا الى بلاد الريف واتخذوا البصرة عاصمة لهم . ويمكن القول بأن ادريس الثاني هو المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة فقد بايعته جميع القبائل من زناته واوربة وصنهاجه وغمارة ، ويبدو ان قوة الدولة ومنعتها واستتباب الأمن فيها أقنعت الكثيرين من العرب والافارقة والبربر بالنزوح الى مدينة وليلى(٥)

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ١ ص ١١٩ .يوجد هناك صورة لدينار وضرب في عهد الشاكر لله : الكتابة دائرية : بسم الله ضرب هذا الدينار ست وستون وثلثين وثلثمائة : الوجه الاول : الامام – محمد – رسول الله – الشاكر – لله . الوجه الآخر ، غير واضح ويصعب قراءته وهناك شكوك تحوم حوله.ونجد ديناراً آخر ضرب سنة ٣٤٥هـ الوجه : عبدالله – لا اله الا الله وحده لا شريك له – امير المؤمنين الوجه الآخر : الامام – محمد رسول الله – الشاكر لله . بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس واربعين وثلثمائة . (انظر : د . محمود اسماعيل – الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٣٠٤ هامش رقم .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب جـ٢ ص ٢٣١ .

(٣) واغلبه يجلب من مدينة اودغست «البكري» ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥٩ .

(٤) اقام دولة الادارسة ادريس بن عبدالله عم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ابن ابي طالب سنة ١٧٢هـ في مدينة وليلى التي اتخذها مقراً له ولجيوشه بعد ان بايعته القبائل البربرية من اوربة ومغيلة وصرينه وقبائل زناته وهي زراوه ولواته وسدراتة ونفزه ومكناسة وغمارة .

(٥) وهي مدينة فولوبيليس Volubilis الرومانية القديمة ، وتقع على سفح جبل زهرون وكانت مركزاً لقبيلة أوربة التي ناصرت ادريس بن عبدالله العلوي الذي اقام دولة الادارسة في منطقة المغرب الاقصى بعيداً عن العباسيين .

التي اتخذوها منطلقاً لهم ، حيث اخذت هذه المدينة تستقبل الوافدين من جميع انحاء المغرب والاندلس وبلاد المشرق ، فأنشأوا الروابط بينهم وبنوا الاسواق والميادين واصبح لهم احياء تعرف بأسمائهم . ولكن بمرور الزمن ، اصبحت المدينة تضيق بسكانها فعزموا على الانتقال الى مدينة جديدة هي مدينة فاس التي اسست سنة ١٩٢ هـ ، فبنوا الدور فيها وغرسوا الغروس والأشجار واقاموا سورها وانزلوا الوافدين عليهم من الاندلس بالعدوة الشرقية التي سميت «بعدوة الاندلس» وانزلوا الوافدين من القيروان بالعدوة الغربية التي اطلق عليها اسم «عدوة القرويين» وقد اصبح لهذين العدوتين شأن كبير في تاريخ المدينة السياسي والأجتماعي .

ومن الجدير بالاشارة إلى أن قيام دولة الادارسة يمثل في جانبه الاجتماعي اتجاهاً يبلور صيغة لحركة جديدة في التاريخ الاجتماعي، هي حركة ذات طابع قومي — اذا صح التعبير— فدولة الادارسة ، قامت على اكتاف البربر وجهودهم وكان إنتصارهم لدعوة الادارسة قد تم بأختيارهم منطلقين من مبدأ احقية آل البيت في خلافة المسلمين لانهم ورثوا علم النبوة واسس الحكم . وكان لحكم الادارسة آثاراً مهمة في كيان المجتمع في جميع بلاد المغرب فقد اعتمدوا مثل الاسلام وشريعته ومبادئه وافكاره ، قوانين أساسية تنظم حياة المجتمع وتسيّره ، فتحولت حياة القبائل البربرية إلى الاستقرار الاجتماعي والبشري في داخل المدن واسهمت في التحولات الاجتماعية والاقتصادية واحدثت تطورات واضحة في تقاليدها وعاداتها .

وتتميز الحياة الاجتماعية في مدينة فاس بعدويتها ، عدوة الاندلسيين وعدة القرويين بالاستقرار والأمن وانصراف الناس لمزاولة اعمالهم فادى ذلك إلى العمران والازدهار وقد جذبت هذه المدينة اليها كثيراً من بطون القبائل والوافدين فأصبحوا من سكنتها . ولعل ارساء الحكم على أسس قوية ومتينة كان يشجع هؤلاء وغيرهم على الاستيطان في المدينة ، فيشير الجزنائي إلى أن استقامة الأمر لادريس بن ادريس في المغرب الاقصى وتوطد ملكه وعظم سلطانه وقوة عسكره . جعل وفود الناس اليه من سائر البلدان»(١).

وإلى جانب القبائل البربرية من زناته وأوربا وصنهاجة وغمارة ، فقد ضمت المدينة نحواً من خمسمائة فارس من افريقيا والاندلس وهم من العرب واغلبهم من القيسيين والازد والخزرج ومدلج وبني يحصب ، ويذكر ابن خلدون أن ادريس بن أدريس قد

(١) زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ١٣ .

سرّ بوفادتهم عليه ونزوعهم إلى بلاده فأجزل لهم ووصلهم وقرّبهم منه وجعلهم بطانته واستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي الملقب بالمجوم (١) .

وشهدت فاس ازدهاراً في العمران في عهد يحيى بن محمد بن أدريس فبنيت فيهـا الحمامات والفنادق للتجار وبنيت الارباض واسست ام البنين فاطمة بنت محمد الفهري، المسجد الجامع بعدوة القرويين (٢) . ويلقي الجغرافيون ضوءاً مفيداً على الحياة الاجتماعية في مدينة فاس ، فيصفها اليعقوبي بأنها كثيرة العمارة والمنازل (٣) ويشير ابن حوقل إلى الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل بين اهل العدوتين في المدينة (٤) ولعل هذا المؤرخ يعني الاحداث والفتن التي وقعت فيها نتيجة تدخل الاغالبة او الفاطميين او أمويي الاندلس بشؤونها الداخلية واستعداد السكان بعضهم على بعض . ويبدو ان ذلك استمر حتى القرن الخامس الهجري ، فيذكر الادريسي ، الفتن والمقاتلات بين المدينتين (أي العدوتين) حتى يخلص إلى القول « ان اهل مدينتي فاس يقتل فتيانهما بعضهم بعضاً»(٥).

وضمت مدينة فاس ، إضافة إلى البربر المتحضرين والعرب الوافدين والافارقة والاندلسيين من العرب وغيرهم ، عدداً من اليهود ، حتى ان البكري يؤكد بأن «فاس اكثر بلاد المغرب يهوداً ، يختلفون منها إلى جميع الآفاق» (٦) .

ولعلنا نستطيع ان نستنتج مما جاء عند بعض المؤرخين حول قيام أدريس ابن عبدالله مؤسس دولة الادارسة ، بفتح بلاد تامسنا وشاله وتادلا وماسه التي كان اكثر سكانها على دين النصرانية واليهودية والمجوسية بأن بعض هؤلاء اليهود ربما هاجروا الى مدينة فاس واستوطنوها غير ان اي من المصادر المتوفرة لدينا لاتشير الى وجود النصارى والمجوس في هذه المدينة الا من طرف خفي ، فقد جاء ان هناك قوم من قبيلة زواغة يعرفون ببني الخير وقوم زنانة يعرفون ببنّي يرغش ، كانوا يدينون بالمجوسية والاخر باليهودية وبعضهم بالنصرانية ، يستوطنون المناطق التي اقيمت فيها مدينة فاس ؟ وقد نزل بنو الخير في عدوه

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٤ ص ٢٦ وانظر : الجزنائي ، زهرة الآس ص ١٣ .
(٢) ابن خلدون ، المصدر نفسه ج٤ ص ٢٩ .
(٣) كتاب البلدان ص ٣٥٧ .
(٤) صورة الارض ص ٩٠ .
(٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٧٥ — ٧٦ .
(٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٥ .

القرويين وبنو يرغش في عدوة الاندلسيين ؛ ومما يذكر انهم كانوا على خلاف دائم لتباين اديانهم واختلاف نزعاتهم (١) .

(ب) الأحوال الأقتصادية:

١ ــ الزراعة :

أسهمت القبائل البربرية الى جانب الفئات الاخرى من السكان التطورات السياسيه والاجتماعية التي شهدتها في ظل دولة الادارسة بقسط كبير في عملية التحولات الاقتصادية وتتضح الاثار التي احدثها هؤلاء في مجالات الزراعة فيما كانوا يقومون به في النشاط ، الزراعي بتحويل وتمهيد المناطق التي بسطوا عليها سيطرتهم الى ارض صالحة للزراعة وطالما نسمع عن مزاولة السكان وانصرافهم الى الزراعة والاهتمام بمتطلباتها (٢)فيتحدث اليعقوبي عن النهر العظيم الذي يقال له فاس ، وهو اعظم من جميع انهار الارض »(٣) وربما تكمن اهميته في الاعتماد عليه في الأرواء ، ويؤكد ابن حوقل ، ان هذا النهر كبير غزير المياه (٤) مما ساعد على تحويل منطقة مدينة فاس الى اراضي خصبة صالحة للزراعة وتبدو مظاهر الاهتمام بالزراعة ، فيما كان يقوم به الناس من العناية ببساتينهم التي كانت تحوي انواعاًمن الثمر ، فيقول البكري في معرض حديثة عن مدينة فاس «وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخرق داره » (٥) ولعل المعلومات التي جاءت عن بناء مدينة فاس حاضرة للادارسة تفيدنا في الاستنتاج بان هذه المنطقة كانت منطقة زراعية ، حيث جاء ان المكان الذي اختير لاقامة المدينة فيه عيون كثيرة تزيد على الستين عيناً وأن مياهها تفيض على الأرض فسيحة ، فتروي الغياض ذات الأشجار الملتفة المطردة العيون والأنهار وان هناك قوم من القبائل ينزلون هذا الموضع (٦)

٢ــ التجارة

أما في مجال التجارة فلابد ان تكون لدولة الادارسة بحكم موقعها في المغرب الأقصى على طرق القوافل التي تربط فاس بعواصم بلاد المغرب ومنها تاهرت والقروان وسجلماسة

---

(١) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير جـ٢ ص ٤٩٠ .
(٢) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٥ .
(٣) البلدان ص ٣٥٧ .
(٤) صورة الارض ص ٩٠ .
(٥) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٥ .
(٦) انظر : د. السيد عبدالعزيز سالم ، استنتاجه الذي توصل اليه من قراءة بعض النصوص المتعلقة بتأسيس مدينة فاس (المغرب الكبير جـ٢ ص ٤٩٠) .

ذور ملموس في النشاط التجاري ، حيث كان لها نصيب من تجارة المشرق التي كانت تصل من بغداد والكوفة والبصرة ومن حلب ودمشق وطبرية والفسطاط والسكندرية وكذلك لم تعدم وجود صلات تجارية مع دول الخوارج فتشير المصادر الى انتظام سير القوافل بين فاس وسجلماسة حيث كان الطريق ممهداً بين المدينتين ، ويبدأ من فاس الى صفروي فقلعة مهدي فتادله ثم الى وادي شب الصفا ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد مدينة سجلماسة ، وكانت القوافل ترتاد هذه الطريق فتخرج من باب الغواره في مدينة فاس الى مدينة سجماسة . ويؤكد المؤرخون توافد الكثيرين من التجار وطلبة العلم من فاس الى سلجماسة ، ونشاط التجار المدارريين الواسع في اسواق فاس (١) .

وعلى الرغم من ان معلوماتنا عن السلع والمتاجر التي كانت تصدرها دولة الادارسة الى المراكز التجارية في المغرب او عن طريقها الى الشرق معدومة تماماً ، ولكن السلع التي كانت ترد الى فاس هي نفسها التي كانت تصدرها تاهرت وسجلماسة والقيروان واهمها الفستق من مدينة قنصه والسكر والكمون والكراوية والأحذية من سجلماسة وكذلك القمح والكروم والتمر اضافة الى الثياب والمطرزات القطنية والمنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية، كما كانت تأتيها القوارير الزجاجية واواني الخزف والتحف المعدنية والعطور من تاهرت وذلك على الرغم من ان العلاقات التجارية بين فاس وتاهرت كانت في نطاق محدود (٢)

وتوجد لدينا معلومات قليلة ومشتتة عن عملة الادارسة من الدراهم والدنانير (٣) ولكن الاستاذ ليفي بروفنال يغني هذه المعلومات ويعززها بآرائه واستنتاجاته ، فقد وجد في المكتبة الأهلية بباريس درهم ضرب في مدينة فاس سنة ١٨٩هـ وفي متحف مدينة خاركوف درهم آخر ضرب في مدينة فاس سنة ١٨٥هـ ، كما عثر على عملات يظهر فيها اسم «ادريس الثاني» ضربت في مدينتي وليلى وتدغه ، تحمل التواريخ المتعاقبة لسنوات ١٨١هـ ، ١٨٢هـ ، ١٨٣هـ ، واستنتج كذلك بأن معظم العملات التي تحمل

(١) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج١ ص ٥٣ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ص ٦٠ ؛ الجزنائي ، زهرة الآس ص ٢٩ ؛ انظر أيضاً : د. محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢٠٨ .

(٢) د. محمود اسماعيل ، المصدر نفسه ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٤ ص ٤٢٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ق٣ ص ١٧ .

اسم ادريس بن ادريس ضربت في مدينة العالية أي عدوة الاندلسيين في سنوات ١٩٨هـ ٢٠٧هـ ، ٢٠٨هـ، ٢٠٩هـ ، ٢١٠هـ ، ٢١٤هـ (١) ويشير ابن خلدون الى ان فاس كانت مركزاً لسك العملة وصناعتها (٢) ولكن للأسف لايوجد لدينا مايشير إلى حجمها أو عيارها أو أقيامها .

٣ ـ الصناعة:

لاتوجد لدينا تفصيلات مهمة عن الصناعة عدا بعض الاشارات التي تدل عليها مثل وجود ثلاثة آلاف رحى تطحن منصوبة على نهر فاس الذي تقع عليه المدينة (٣) . وهذه الرحى تطحن الحنطة بثمن قليل (٤) ، كما توجد الارحاء لرفع المياه من النهر إلى الدور والمساكن او الى البساتين والاراضي للارواء ، ويبدو ان هذه المطاحن والارحاء كان يشغلها الصناع والمهرة بواسطة قوة جريان الماء .

ويخيل الينا ، أن القرويين او الاندلسيين المقيمين في فاس ، كان اغلبهم من الصناع وأصحاب الحرف وقد تركوا تأثيراتهم في الحياة الاقتصادية ، حيث انشأوا الاسواق والحوانيت واقاموا دوراً للبيع والشراء كما انهم زاولوا بعض الصناعات المرتبطة باعمال البناء والعمران .

اما المعلومات التي اوردها الجزنائي فيما يتعلق بوجود صناعة الأطرزة بواسطة الانوال التي كانت تعمل النسيج وصناعة الصابون ودباغة الجلود والصباغة وتشبيك الحديد والنحاس وعمل الزجاج وصناعة الورق والطابوق في مدينة فاس في عصر دولتي المرابطين والموحدين (٥) . ان هذه الصناعات لابدّ ان تكون استمراراً لما كانت عليه في عهد الادارسة .

---

(١) الاسلام في المغرب والاندلس (القاهرة – ١٩٥٨) ص ١٥ – ١٩ .

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٤ ص ٤٢٢ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٥٨ .

(٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ص ٧٥ .

(٥) زهرة الآس ص ٣٣ .

(٣)

بلاد المغرب الأدنى: (١)

(أ) الأحوال الأجتماعية:

تركزت دولة الاغالبة (٢) في منطقة المغرب الأدنى واتخذت من القيروان (٣) عاصمة لها ، ولكنها مالبثت ان شرعت سنة ١٨٥هـ في ابتناء مدينة القصر القديم «العباسية»(٤) التي لاتبعد عن القيروان كثيراً واتخذتها حاضرة لها أيضاً ، وهذا لايعني اهمال القيروان فقد غدت لهم حاضرتان تتنافسان اجتماعياً وثقافياً .

ويبدو ان اتخاذ بني الأغلب لحاضرة جديدة لم يغيّر في البناء الاجتماعي لمدينة القيروان ، فلاتوجد لدينا معلومات عن هجرة مؤثرة منها إلى هذه المدينة الجديدة ، سوى ماوقع اختيارهم على بعض الجماعات والفئات والعناصر التي تؤيدهم سياسياً ، بل يمكن القول ، ان القيروان احتفظت بكيانها الاجتماعي حتى وصفت بأنها «أم امصار وقاعدة اقطار وكانت اعظم مدن الغرب قطراً واكثرها بشراً واوسعها احوالاً (٥)».

وحسب المعلومات التي بين ايدينا ، فان البربر لايشكلون نسبة عالية من السكان في دولة بني الاغلب ، على الرغم من انهم يؤلفون السواد الاعظم من سكان المغرب الاسلامي عامة (٦) ، ومن الملاحظ ، ان العرب هم الاكثرية في سكان مدينة القيروان ، وهم الاقلية الكبيرة في رعايا دولة الاغالبة .

---

(١) يسمى افريقية أيضاً ومركزه مدينة القيروان في عهد الأغالبة ثم المهدية في عهد الفاطميين ثم تونس في عهد بني حفص وفي الوقت الحاضر يشمل البلاد التونسية وبعض اجزاء من الجزائر

(٢) قامت دولة الاغالبة سنة ١٨٤هـ حين ولي الخليفة هارون الرشيد ابراهيم بن الأغلب منطقة تونس ، ثم نشرت سيطرتها على جميع المغرب الآدنى واحتفظت بتحالفها مع الخلافة العباسية حتى سقوطها سنة ٢٩٦هـ .

(٣) اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ/٦٧٠م وكانت عاصمة لافريقية ومركزاً لها (البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٢٢ — ٢٦ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ق ٣ ص ٩ هامش رقم (١) .

(٤) وقد ابتاعوا مواضعها من قبيلة بني طالوت ونقلوا اليها في عهد الامير زيادة الله بن ابراهيم ، سلاحهم وعددهم واستوطنوها مع عبيدهم ورجالهم الذين يثقون بهم واصبحت دارهم ومستقرهم (ابن الاثير ، الكامل ج٦ ص ٥٦).

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ص ١١٠ .

(٦) ان اشارة ابن عذاري إلى طاعة القبائل البربرية لابراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة تعني على اغلب الاحتمال دخول هذه القبائل تحت نفوذه حيناً ثم خروجها عليه في احيان أخرى مما يجعل استقرارهم الاجتماعي متأثراً إلى حد كبير بحوقفهم السياسي (البيان المغرب ج١ ص٩٢)

ولا غرو ، فان قيام هذه الدولة ترك آثاره الاجتماعية في منطقة المغرب الادنى وخاصة مايتعلق بتركيب السكان ، فالاغالبة ينتمون إلى عرب تميم ، مما يوفر فرصة لهؤلاء في ان يحتلوا مكانة لاتدانيها مكانة العناصر الأخرى ، ثم ان الصراع الدائر هناك منذ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب اقنع الاغالبة بضرورة الاحتفاظ بعناصر احتياطية في الجيش (١) يمكن استخدامها عندما تحين معارضة البربر او اندلاع حركاتهم وخاصة في الظروف التي كان يواجهها الاغالبة والناجمة عن تحالفهم مع العباسيين . غير ان العرب الذين استوطنوا مدينة بلزمة وبعضهم كان من اعقاب العرب الفاتحين وهم قيسيون (٢) تعرضوا على يد الاغالبة إلى نكبات كثيرة في مواطنهم او في مناطق اخرى أدت الى تصفياتهم (٣)

ويشير ابن عذاري الى ان تصفية الجند العرب البلزميين كان من اسباب «انقطاع دولة بني الاغليب ، اذ كان أهل بلزمة في نحو الف رجل من ابناء العرب والجند الداخلين الى افريقية عند افتتاحها وبعدها ، وكان اكثرهم من قيس ، وكانوا يذلون كتامه فلما قتلهم ابراهيم استطالت كتامه ووجدت السبيل للقيام مع الفاطميين ضد بني الاغلب»(٤)

ويبدوان مادفع الاغالبة قتل هؤلاء وغيرهم من عرب تميم الذين يستقرون في تونس ويتمتعون بأمتيازات كثيرة ، انهم كانوا وراء الاحداث السياسية التي كانت تقوم بها عناصر من البربر ضد حكم الاغالبة او تأجيج الخارجين عليهم والتحريض ضدهم واحياناً الاشتراك معهم او قيادتهم في الثورات التي كادت ان تودي بكيان دولتهم (٥).

ولعل الجند العرب الذين استكثر منهم الأغالبة في جيوشهم كانوا يشكلون طبقة متميزة ونظامية وبعضهم كان يستنفر للحرب ، وهم يشعرون باستعلائهم على العناصر الاخرى وينبغي في نظرهم ان تكون لهم امتيازاتهم دون غيرهم ، فأذكى حركاتهم ضد

---

(١) ابن عذاري ، م.ن. ص ٩٢ .

(٢) وبعضهم من العرب الشاميين الذين دخلوا البلاد في الحملات العسكرية التي كانت ترسلها الدولة العباسية لاخماد الثورات والاضطرابات .

(٣) في ٢٨٠هـ استقدم الأغالبة منهم سبعمائة من أبطالهم في القيروان وابتنيت لهم داراً كبيرة وضعوا فيها ثم قتلوا جميعاً (ابن عذاري ، البيان المغرب ج١ ص ١٢٣) .

(٤) م.ن ص ١٢٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ج٥ ص ١٠٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٤١٩ .

الاغالبة وعمالهم في القيروان والمدن الأخرى (١) وأصبحوا خطراً على دولتهم وخاصة في عهد الأمير زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب حتى وصل بهم الامر إلى درجة انهم كتبوا اليه ان «أرحل عن افريقية ولك الأمان في نفسك ومالك» فقاتلهم زيادة الله وقضى عليهم (٢) .

أما الفئة الاجتماعية الاخرى في دولة بني الاغلب منهم المشارقة الفرس الذين قدموا من خراسان ، وكان بعضهم جنداً في الجيش (٣) ويعيش غالبية هؤلاء المشارقة في القلاع البيزنطية القديمة في قابس والقيروان وبونة وباجة ومجانة او في القلاع القديمة باقليم توميديا الروماني مثل قلاع طبنة وباغاية والاربس (٤) ومن المحتمل ان هؤلاء تركوا تأثيراتهم في الحياة الاجتماعية وخاصة في مدينة القيروان ، حيث كان بعضهم من العلماء والفقهاء او كانوا من اصحاب الحرف والمهن والصنائع .

وهناك إلى جانب الجند العرب والبربر والمشارقة من الفرس الروم القدم (٥) من اعقاب سكان قرطاجنة ، وكانوا يقيمون في القلاع البيزنطيه القديمة مثل طبنة وباغاية وفي مدن الجريد الصغيرة التي يبدو انها اتخذت ملاذاً لغير العرب من اهل البلاد ايضاً . كما اقام بعضهم في مدينة القيروان باعتبارها حاضرة البلاد أملاً في الحصول على عمل يتعيشون منه (٦) ونقرأ كذلك عن وجود الافارقة وهم نصارى من بقايا الفينيقيين واللاتين استوطنوا اقليم الجريد ومدنه قفصة وتوزر ونفطة وتقيوس والحامة واقامت طائفة منهم في طبنة وباغاية وفي السهول الساحلية (٧) وقامت سياسة بني الاغلب على التسامح معهم وقد فوتح البعض منهم باعتناق الاسلام فرفض (٨) .

(١) من حركات الجند ، حركة عمرو بن معاوية القيسي في القصرين سنة ٢٠٨هـ ، حركة منصور الطنبزي بتونس سنة ٢٠٩هـ ، وحركة عامر بن نافع في سبيبة سنة ٢١٠هـ، والحركات في مدينة بلزمة . وقد أثار قمع الاغالبة لهذه الحركات عرب تميم وعرب الجزيرة والاربس وباجة وقمودة (ابن عذاري ، المصدر نفسه ص ١٢٣) .

(٢) ابن عذاري ، المصدر نفسه ص ١٠١ .

(٣) من المعروف ان القاضي الفقيه اسد بن الفرات الذي قاد الحملة إلى صقلية في عهد الأمير زيادة الله بن ابراهيم كان خراسانياً ..

(٤) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ج٢ ص ٤١٧ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ١٣٥ .

(٦) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المصدر نفسه ص ٤١٩ .

(٧) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المصدر نفسه ص ٤١٩ .

(٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ص ١٢٢ .

اما الفئة الطارئة على المجتمع فهم العبيد السود الذين جلبوا من منطقة الصحراء او من بلاد السودان وقد اتخذهم الاغالبة حرساً لهم او جنداً إضافة الى العبيد البيض (الصقالبة) الذين حملوا من صقلية وسردانية وقلورية ومالطة ، ويذهب الدكتور السيد عبدالعزيز سالم الى القول بأن هؤلاء الذين سموا بالفتيان ، لعبوا دوراً مهماً في دولة الاغالبة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية (١) .

ويستنتج احد الباحثين بان أهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة القيروان في هذه الفترة هو الثراء ، فقد تجمعت لدى السكان الثروة الذهبية التي كان الحصول عليها ميسوراً بواسطة الأتجار ، ويخصص الباحث ، ان مظاهر الثراء كانت واضحة في الاسرة الحاكمة وفي بعض الفئات الاجتماعية وفي طليعتها فئة التجار ويقول ان ذلك يظهر في بناء المنازل الرفيعة وفي التفنن في اللباس (٢) .

وعنى الكاتب المذكور بتقسيم المجتمع في مدينة القيروان الى فئات اجتماعية وضع على رأسها فئة التجار التي تطورت واصبحت تمثل فئة بارزة في المجتمع ومحظوظة اجتماعياً ويلاحظ بأن عدد من علماء القيروان كانوا من هذه الفئة حيث اشتغلوا في ميدان التجارة فحازوا على اموال كثيرة . وهناك فئة الجند وكذلك فئة العلماء الذين تعرض عدد كبير منهم الى الاضطهاد نتيجة لمواقفهم من السلطة في مسائل تتصل بالدين او بالحياة العامة . اما فئة اهل الذمة التي استقرت في القيروان فتتبدى اهميتها في الحياة الاجتماعية يكونها فئة. منظمة مهنياً ودينياً. ويضع الباحث فئة الرقيق او العبيد في المقام الاول كدعامة أساسية من دعائم دولة الاغالبة غير ان دورها يبرز في الحياة الاقتصادية ، فهي القوة المنتجة الاولى (٣) ودورها يشبه الى حد كبير دور الطبقة العاملة في الوقت الحاضر .

---

(١) كان بعضهم يشرف على دار السكة فسجلت اسماؤهم على العملات كما نقشت اسماء البعض منهم على النقوش التاريخية والمنشآت ومن هذه الاسماء المسجلة : اسم مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله بن ابراهيم واسم خلف الفتى ونصر وفتح الله نقشت جميعها على قبة المحراب بجامع الزيتونة (د. السيد عبدالعزيز سالم م.ن ص ٤٢٠ — ٤٢١) .

(٢) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ٨٣ — ٨٥ .

(٣) وقد تعدد اختصاصهم فشمل عمل الجواري في المنزل مثل الرضاعة وتربية الأطفال وشؤون الطحن والطبخ وجلب الماء وهناك فئة منهن خصصت للزواج (د. الحبيب الجنحاني ، م.ن ص ٩٢) .

اما الطبقة الاكثر عدداً من مجموع السكان فهي طبقة العامة او طبقة السواد ، وهي تتألف من عناصر العبيد والاجراء والنازحين من الريف ، كما ضمت اليها عدداً من افراد النخبة المثقفة، وهذه الطبقة قد نالها في عهد الاغالبة من البؤس ماجعلها وراء اغلب الانتفاضات السياسية والدينية والحركات الاجتماعية في مدينة القيروان (١) .

---

(١) م.ن ص ٨٥ — ٩٤ .

(ب) الأحوال الأقتصادية :

يزودنا الجغرافي اليعقوبي ، بمعلومات مهمة عن الجوانب الأقتصادية لمنطقة المغرب الادنى في عهد الاغالبة، الزراعة والصناعة والتجارة ، ويمكننا ان نستكمل بهذه المعلومات معرفة الازدهار الاقتصادي الذي اتسم به عصر الاغالبة منذ الربع الاخير من القرن الثاني الهجري وحتى نهايات القرن الثالث فيما ورد عنها من معلومات واشارات قليلة في المصادر الأخرى .

١- الزراعة :

يبدو ان قيام دولة الأغالبة في هذه المنطقة الذي رافقه نوع من الاستقرار السياسي والاجتماعي ،دفع الكثيرين من السكان الى مزاولة الزراعة والاهتمام بمتطلباتها ، مما توجب عليه الزيادة في المحصولات الزراعية ويمكن ان نستدل على ذلك من اشارة ابن عذاري الى انتشار المجاعة بالمشرق والمغرب والوباء والطاعون الذي رافقها سنة ٢٦٠ هـ (١) وفترة، قصيرة من سنة ٢٦٦ هـ (٢)، وفيما عدا هاتين الفترتين ، فاننا لانقرأ شيئاً عن الازمات الاقتصادية او ظهور المجاعات والأوبئة نتيجة الاهتمام الدائب في الزراعة والعناية بها وتوفير المياه والتطوير في زراعة البستنة وغيرها .

ويحدد اليعقوبي ، المناطق الزراعية في بلاد الاغالبة ، وهي المنطقة الواقعة بين قموده والساحل ،حيث البساتين والقرى المتصلة ومنطقة بلاد الجريد جنوب مدينة قمودة ثم منطقة بلاد باجه الخصبة الى الشمال منها (٣) .

وقد ابدى دهشته لمظهر الخضرة وكثافة الأشجار في هذه المناطق وخاصة الاولى واهم اشجارها الزيتون والنخيل وانواع اخرى من الفواكه واهمها العنب (الكروم) (٤) والمنطقة الثانية التي كانت تعمر بزراعة اشجار الزيتون) والكروم والنخيل اما المنطقة الاخيرة فكانت متخصصة بزراعة الحبوب وخصوصاً القمح وكذلك الفواكه وقصب السكر، واشهر مدن هذه المنطقة هي مدينة جلولا التي تقع بالقرب من القيروان واغلب زراعتها

---

(١) البيان المغرب جـ١ ص ١١٦ .
(٢) م.ن ص ١١٧ .
(٣) البلدان ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٤) البلدان ص ٣٥٠ .

قصب السكر الذي ينتج بكميات وفيره (١) ومدينة تونس التي وصفت بانها اطيب ثمر وأنفس فاكهة من جميع مداين افريقية ، فمن ذلك اللوز الفريك والرمان الضعيف ، والاترج الجليل والتين الخارمي والسفرجل المتناهي والعناب الرفيع والبصل القلوري(٢) ومدينة قفصة التي كانت اكثر بلاد القيروان فستقاً وثمرها مثل بيض الحمام وفيها انواع الفواكه والثمر (٣)

ويذهب الدكتور الحبيب الجنحاني الى ان الانتاج الزراعي في بلاد المغرب الادنى كان ضعيفاً خلال هذه الفترة؛ ويعلله بارتباط الزراعة ارتباطاً وثيقاً بالتجارة ،فكثيراً من المواد الزراعية ، اصبحت بضائع اساسية في قائمة التبادل التجاري ولاسيما بالنسبة للتجارة الصحراوية مثل الحبوب والتمور والزبيب والصوف وقصب السكر (٤) .

ويحاول الباحث هنا ان يصل الى استنتاج مفاده ، ان النشاط التجاري يغذي الانتاج الزراعي ويدعمه ، وعندئذ نكون امام تناقضات واضحة ، فاذا أردنا ان نخرج من دائرتها ، فعلينا الأجابة عن التساؤل التالي : لماذا كان الانتاج الزراعي ضعيفا في ظل تجارة مزدهرة وخاصة في مدينة القيروان (٥) ؟ ومدن المغرب الأدنى الأخرى ؟ ولكن باعتقادنا ، ان التجارة الخارجية لمدينة القيروان وفي غيرها من المدن خلال هذه الفترة ، لاتعتمد بالاساس على الانتاج الزراعي ، فلا غرو ان تكون المحصولات الزراعية والغذائية مثل الحبوب والثمار والكروم والزيتون والتمور سلعاً للتجارة الداخلية ، وعندئذ تصبح الزراعة من الضرورات التي تتطلبها الحياة الاقتصادية بما فيها التجارة وليس أدل على ذلك من المعلومات والاشارات التي جاءت عند بعض المؤرخين (٦) والجغرافيين والبلدانيين (٧) .

---

(١) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٢ .

(٢) البكري ، المصدر نفسه ص ٤١ .

(٣) البكري ، المصدر نفسه ص ٤٧ .

(٤) المغرب الاسلامي ص ٣٤ — ٣٥ .

(٥) د. الحبيب الجنحاني ، المصدر نفسه ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ق٣ .

(٧) اليعقوبي ، البلدان ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، الاصطخري ، المالك والممالك ؛ البكري ، المغرب ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم .

٣ ـ الصناعة:

يمكن القول على ضوء النصوص القليلة المتوفرة لدينا ، بوجود بعض الصناعات المتقدمة في منطقة المغرب الادنى التي تبسط دولة الاغالبة سيطرتها عليها ، منها صناعة السفن في تونس ، حيث استمرت دار الصناعة التي أمر بانشائها الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان لغرض تكوين اسطول بحري دفاعي لمواجهة الاخطار المتأتية من الامبراطورية البيزنطية ، وقد استعين بأقباط مصر الذين كانوا يمتلكون الخبرة في صناعة السفن (١) . وفي عهد الاغالبة تطورت هذه الدار في صنع المراكب العسكرية التي استخدمت في التوسع البحري (٢)

ويؤكد ابن عذارى وجود دار الصناعة في تونس (٣) ؛ كما وقعت الاشارة الى قيام صناعة الآلات الحديدية اللازمة لصناعة السفن التي كانت تعتمد على مايبدو على معدن الحديد الذي كان يجلب من مناطق استخراجه في مدينة مجانة (٤) ؛ والبكري لايقدم لنا تفصيلات عن دار الصناعة التي اشار اليها في مدينة سوسة التي كانت تدخل اليها المراكب وتخرج ولكن من المرجح انها اقيمت لبناء السفن وتصليحها او كانت مرفأ لرسو المراكب والسفن الحربية والتجارية (٥) .

---

(١) يذكر البكري بناء المسلمين في عهد الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان في مدينة (ترشيش) التي هي (تونس) فقد كتب الخليفة إلى اخيه عبدالعزيز وهو وال على مصر آنذاك ان يوجه إلى معسكر تونس الف قبطي من اقباط مصر بأهلهم واولادهم ويوصلهم إلى تونس وكتب إلى حسان بن النعمان يأمره ان يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب ليكون ذلك جارياً عليهم إلى آخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمسلمين وتحصيناً لشأنهم فوصل القبط إلى حسان بن النعمان وهو مقيم بتونس فأجرا البحر من مرسى رادس إلى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارتها» المغرب ص ٣٨ ـ ٣٩ ؛ ٩٩

(٢) ومن مظاهره الاستيلاء على جزيرة صقلية فأصبحت جزءاً من البلاد الاسلامية في عهد الأمير زيادة الله بن ابراهيم ٢١٤هـ .

(٣) البيان المغرب جـ١ ص ٩٩ ثم انظر : البكري المغرب ص ٣٧ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٤٩ .

(٥) المغرب ص ٣٤ .

اما الصناعات الأخرى التي كانت تقوم على الحديد ، فهي صناعة السيوف ولجم الخيل ، ومن المحتمل جداً ان تكون صناعة الآلات والعدد الحديدية المرتبطة بالبناء والعمران مثل ابواب الدور والمنشآت والقصور والمساجد والاسوار والحصون والمحارسْ والخانات وكذلك آلات القطع والحفر وبعض انواع من الاسلحة من هذه الصناعات ايضاً .

ويذكر اليعقوبي الى جانب توفر معدن الحديد ، معادن الفضة والكحل والمرتك والرصاص (١) التي قامت عليها صناعات مختلفة مثل صناعة التحف الذهبية والفضية ، كما يؤكد ابن عذارى ، اقتناء الأمراء والوجهاء في قصورهم للتحف والسروج المفضضة واللجم المذهبة والسيوف المحلاة وصنوف الآنية من الذهب والفضة (٢) .

اما صناعة الزجاج الذي هو مظهر من مظاهر المدنية ومستلزماتها فهناك مايشير إلى وجودها في مدينة القيروان ، وينهض حي الزجاجين في المدينة دليلاً على ازدهار هذه الصناعة ، وكذلك صناعة الخزف المتأثرة بالتقاليد المشرقية والعراقية بصفة خاصة ، حيث كان الصناع العراقيون يستخدمون لتزيين واجهات محاريب المساجد وابواب القصور بزخارف التربيعات الخزفية ذات البريق المعدني (٣) .

وكان لمدينة القيروان تراثها في صناعة المنسوجات الحريرية الرفيعة والثياب (٤) كما ان الحياكة في مدينة سوسة كانت كثيرة وكان يغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب (٥) وكانت منتوجات مدينة القيروان من المنسوجات التي ترسل اليها لاجراء عملية القصر وجعلها ناصعة البياض (٦) وعرفت مدينة طرافي بنوع من الالبسة يسمى «الكساء الطرافي»(٧) وهناك صناعة السجاد المحلية التي اشتهرت بها القيروان وبعض المدن الاخرى عرفت منذ العصر الروماني (٨) .

---

(١) البلدان ص ٣٤٩ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب جـ١ ص ١٣٨ ، ١٤٨ .
(٣) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير جـ٢ ص ٤١٠ .
(٤) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٦ .
(٥) م.ن ص ٣٦
(٦) البكري ، المصدر نفسه.ص ٣٦ .
(٧) م.ن ص ٤٧ .
(٨) د. السيد عبدالعزيز سالم ، المصدر نفسه ص ٤١٠ .

ومن الصناعات المتخصصة التي كانت تعتمد على الانتاج الزراعي ، صناعتان الاولى صناعة زيت الزيتون باستخراجه من الزيتون الذي ينتج في المناطق الساحلية وفي الاقاليم الزراعية ، ومن الجدير بالذكر ، أن اشجار الزيتون والنخيل تسود زراعتها في السهول الرملية (بالقرب من مدينة سفاقس الحالية) ، ففي هذه المنطقة الساحلية ، بساتين وقرى متصلة كل منها تضم معصرة للزيت (١) . اما الصناعة الثانية ، فهي استحضار النبيذ او الشراب واستخلاصه من الكروم التي تكثر زراعتها جنوب اقليم قموده واقليم قسطيلية (٢) ، هذا فضلاً عن صناعة السكر من القصب الذي تنتجه مدينة جلولا وانتاج العسل الجيد ، وانفراد تونس بصناعة آنية الماء من الخزف تعرف بالريحية (٣) .

اما صناعة السكة ، فقد ارتقت على مايبدو في عهد الاغالبة ، وكانت تضرب في دار السكة في القيروان والعباسية ، ويلاحظ بأن الدنانير الذهبية حافظت على وزنها وحجمها وعيارها طيلة عهد الاغالبة ، اما الدراهم الفضية فكانت تضرب صحاحاً او اجزاءاً من قطع معدنية صغيرة (٤) .

٢ ـ التجارة :

وتشكل التجارة في اجزاء المغرب الادنى التي تهيمن عليها دولة الاغالبة ، حجر الزاوية في النشاط الاقتصادي ، فقد كانت القيروان مركزاً من مراكز التجارة العالمية ونقطة لقاء بين المغرب والمشرق من جهة وبين التجارة المتوسطة وقوافل التجارة الصحراوية من جهة أخرى (٥) حيث استقبلت قوافل التجارة من سائر انحاء المغرب ومن مراكزها في تاهرت وسجلماسة وفاس وقرطبة واودغست فضلا عن بلاد المشرق الاسلامي وبلاد السودان . ولم تكن العلاقات السياسية غير الودية بين هذه الدول والامارات لتحول دون توطيد صلاتها التجارية ، فمن جهة ترتبط القيروان بخط سير القوافل الخارجة من تاهرت

(١) البكري ، المصدر نفسه ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) حتى ان امراء الاغالبة كانوا يدمنون على شرابه ومنهم العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم ٢٢٦ – ٢٤٢هـ وزيادة الله بن عبدالله ٢٩٠ – ٢٩٦هـ (م.ن ص ٢٧) .

(٣) وهي شديدة البياض رقيقة في منتهى الشفافية ليس لها نظير في جميع الاقطار وعامة الامصار (م.ن ص ٤٠ – ٤١) .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ج١ ص ١٢٠ – ١٢١ .

(٥) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ٦١ .

الى القيروان وهاز والمسيلة وادنة وطبنة وباغاية ومجانة وسبيبة (١) ، كما يربطها خط آخر يخرج من سجلماسة الى تاهرت ثم الى القيروان (٢) . اما التجارة التي كانت تحصل عليها دولتا الخوارج الرستميون والمداريون ودولة الادارسة من الاندلس فينقلها التجار الى القيروان بواسطة القوافل التي اعتادت السير على الطرق المعتادة ؛ ومن جهة ثانية فان نصيب القيروان ومدن المغرب الادنى الأخرى كبير في تجارة المشرق التي تأتي من بغداد والبصرة مارة بحلب ودمشق والرحلة والفسطاط والاسكندرية ؛ فضلا عن توطد الصلات التجارية بين بغداد حاضرة العباسيين ودولة الأغالبة ، تلك الصلات التي تعكسها علاقات التحالف بين الطرفين .

وتجني القيروان من التجارة الخارجية وبكونها احدى مراكزها ، بضاعات وسلع كثيرة ، فحصلت من سجلماسة على السكر والكمون والكراوية والأحذية ؛ وعن طريق تاهرت وسجلماسة حصلت على السلع السودانية والاندلسية . ولاشك فان الذهب كان في مقدمة السلع السودانية التي كانت تتبدى اهميته على البضائع والمواد الأخرى ، اما الثياب القطنية والكتانية والحريرية والانسجة المطرزة فكانت تفد اليها من قرطبة التي احرزت فيها شهرة واسعة (٣) .

ويبدو ان تجار القيروان كانوا نشطاء في نقل تجارتهم بين مراكز التجارة في العالم الاسلامي ، فكانوا يختلفون الى عواصم دول المغرب ومراكزه التجارية المهمة فضلا عن بغداد ومدن المشرق الأخرى ؛ ويشير بن الصغير المالكي الى حرية المتاجرة التي كان يحظى بها تجار القيروان في اسواق تاهرت ، حيث كانوا يفدون اليها باعداد كبيرة (٤)

ومن المفيد ان نذكر ، ان المواد التي كانت تتخذ سلعاً للتصدير وينشط التجار القيروانيون وغيرهم في دولة بني الاغلب للمتاجرة فيها هو الزيتون وزيت الزيتون والآلات المصنعة من الذهب والفضة والسيوف ولجم الخيل وبعض المنسوجات السوسية والسجاد والنبيذ ، وربما الآلات الحديدية المستخدمة في صناعة السفن والمراكب ، ولكن التجارة التقليدية هي تصدير فستق مدينة قفصه الذي ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة

(١) البكري ، المغرب ص ١٤٣ – ١٤٦ .
(٢) الاصطخري ، المسالك والممالك ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس (القاهرة – ١٩٣٧) ص ٢١ .
(٤) سيرة الأئمة الرستميين ص ١٣ .

واثواب مدينة طراف (١) وتمور مدينة توزر التي هي اكثر بلاد افريقية تمراً ويخرج منها في اكثر الايام الف بعير موفورة تمراً (٢) وتتسرب تجارة هذه السلع والبضائع عن طريق القيروان (٣) وتونس ومدينة سوسة (٤) اوجلولا (٥) اما بّراً او بحراً (٦) عن طريق موانيء تونس وسوسة اللتان تمتلكان مراسٍ كبيرة على ساحل البحر وميناء قصر ابن عمر الاغلبي .

وليس لدينا مايدل على متاجرة الاغالبة في السفن التي كانت تصنع في تونس أو في سوسه أو انها تستخدم في نقل التجارة بصورة مستمرة ، ولكن أغلب السفن التي كانوا يصنعونها تصبح جزء من الاسطول البحري العسكري الذي غدى من الاساطيل المعروفة ويستخدم في حركة التوسع التي أصبحت السياسة الرسمية التي كان يعتمدها الاغالبة .

اما في نطاق التجارة المحلية لدولة الاغالبة ، فيسود نشاط في تبادل المحصولات الزراعية وبعض المنتوجات الصناعية المحلية ، ويشير البكرى الى تزويد مدينة جلولا لمدينة القيروان بقصب السكر واحمال كثيرة من الفواكه والبقول (٧) ومدينة سوسه بكثير من الامتعة والثمر واللحوم والفواكه (٨) ومدينة قفصة بالتمر وبأنواع الفواكه والثمر (٩) .

وتعكس اسواق القيروان واسواق المدن الاخرى صورة عن النشاط التجاري الذي يتسم بالازدهار الاقتصادي وبحركة التطور العمراني في منطقة المغرب الادنى . وقد نظمت الاسواق في المدن على غرار اسواق القيروان ، ولعل أهم هذه الاسواق هو السوق الكبير الذي يسمى «سماط القيروان» وسوق البزازين والسراجين وسوق الضرب وسوق الجزارين وسوق الزجاجين وسوق النحاسين وسوق القطانين وسوق الدجاج وسوق الغزل وسوق الخرازين وسوق الاحد وحوانيت الردهاونة (١٠) .

---

(١) والملاحظ ان «الكساء الطرافي ، كانت تختص به التجارة إلى مصر (البكري ، المصدر نفسه ص ٤٧) .
(٢) البكري ، م.ن ص ٤٧ .
(٣) م.ن ص ٢٤ .
(٤) م.ن ص ٣٤ «سوسه مرفأ في منطقة تونس» .
(٥) م.ن ص ٣١ — ٣٢ .
(٦) البكري ، م.ن ص ٣٤ .
(٧) م.ن ص ٣٢ .
(٨) م.ن ص ٣٤ — ٣٥ .
(٩) م.ن ص ٤٧ .
(١٠) د. الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ص ٦٧ — ٦٨ .

الخلاصة

يستعرض البحث التحولات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الاسلامي بأجزائه الثلاثة ، المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى . وفيما يتعلق بالجزء الاول الذي قامت فيه دولة الاغالبة واتخذت من القيروان حاضرة لها ، لم يكن للبربر الدور الحاسم في انشائها حيث احتل العنصر العربي مكان الصدارة في المجتمع والجيش والدولة ويمكن ان نعد التحولات التي احدثها الاغالبة في هذه المنطقة من المغرب الاسلامي وفي صقلية بعد فتحها على أيديهم أقتصادياً واجتماعياً ذات أهمية في التطورات اللاحقة وفي أسس الحضارة العربية الاسلامية .

وفي المغرب الاوسط قامت دولة الرستميين الخوارج في منتصف القرن الثاني الهجري واختطت مدينة تاهرت عاصمة لها ، وانتقلت اليها عناصر البربر من لماية ولواته وهواره وغيرها واستوطنتها مما ترتب عليه حدوث التطورات في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ونشوء المراكز الحضرية وظهور الطبقات والفئات الاجتماعية التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

أما في المغرب الاقصى ، فقد ظهرت دولتان ، أولاهما دولة بني مدرار وهم من الخوارج الذين أسسوا عاصمتهم سجلماسه التي أصبحت بمرور الزمن بوتقة تجمع عناصر مختلفة من قبائل البربر من مكناسة وصنهاجة اللثام ومسوفه ولمتونه وزويله، وقد ترك هؤلاء تأثيرهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة ، حيث اتجهت هذه القبائل بعد استقرارها للاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة مما خلق حافزاً للتطورات الاجتماعية . كما ظهرت في منطقة المغرب الاقصى دولة الادارسة التي كانت تسندها قبائل البربر من زناتة واوربة وصنهاجة وغمارة ، واسست مدينة فاس عاصمة لها ، واصبحت مركزاً سياسياً وفكرياً واجتماعياً ، وقد ضمت المدينة اضافة الى البربر عناصر من العرب القيسيين والازد والخزرج وغيرهم ، فضلا عن الافارقة والمشارقة والاندلسيين

ان هذا الخليط السكاني ترك تأثيراً واضحاً في طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية حيث اسهمت جميع هذه القبائل في عملية التحولات وخاصة في مجالات الزراعة، والتجارة والصناعة ، وقامت المؤسسات العلمية والمراكز التجارية والاقتصادية ، ليس فقط في هذه المنطقة ، بل في جميع انحاء المغرب الاسلامي .

لقد كانت الفترة من القرن الثاني الهجري حتى أواخر القرن الرابع منه فترة مهمة في تاريخ المغرب ، الاقتصادي والاجتماعي والفكري ، حيث وضعت الاساس الذي تستند عليه حضارته المادية وارست دعائم نهضته وتمدنه ، وافسحت امام تقدمه العلمي والفكري .

Summary

This paper is intended to clarify the socio–economic changes in Morrocoduring the Islamic rule. In mid second century the AL–KHAWARIG established their state of AL–Rustamieen in central Morroco with Tahart city as its capital. Inevitably, Tahart lured most of the Barberian tribes around–Lemaia, Luwate, Huwara–ro settle in and finally laid the genesas of its socio–economic structure.

In western Morroco Beni Medrar founded their state whose capital was sejlmessa. The latter became the main urban nucleus where other Barberian tribes – namely luiela, lemtuna Muswata–started to dwell and flourish.

Also, AL-adarressa state appeared simul–taneausly in this region and consequently had to attract the population with its environ. What is different in this state and particularly its capital is that it was a cosmopolitan in which beside the Barberians, Arabs from Azed and Kusrej tribes, Andelusians lived in harmony to produce a distinguished cultural and economic institutions.

If we look at to Eastern Morroco the Agaliba State and its well–known capital, AL–Qeurewan was so eminent. The Arabs were elite in this state and occupied the high posts, provided the Barberians, with no real apportunity of advancement. It seems undeniable to assume that this state was one of the gateways through which the civilization of Islam passed onto Africa, Sicily and other part around.

To sum up, it should be noted here that Morroco during the period 2nd–4th century of Al–Hijra witnessed its hey–day and the cementation of its cultural, economic and social institutions.

مصادر البحث

ملاحظة : رتبت المصادر بحسب ورودها في البحث .

الدكتور الحبيب الجنحاني

(١) المغرب الاسلامي (الدار التونسية للنشر ـ ١٩٧٧)

ابن الصغير المالكي (ت نهاية القرن الرابع الهجري)

(٢) سيرة الائمة الرستميين (باريس ـ ١٩٥٨) .

الدكتور محمود اسماعيل

(٣) الخوارج في المغرب الاسلامي (دار العودة ، بيروت ـ ١٩٧٦) .

النفوسي ، سليمان بن عبدالله الباروني (ت ١٣٥٩هـ) .

(٤) الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية جـ٢

الشماخي ، احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨هـ)

(٥) السير (القاهرة ـ الطبعة الحجرية)

محمد علي دبوز

(٦) المغرب الكبير جـ٣ (القاهرة ـ ١٩٦٣)

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم (ت ٣٤٦هـ)

(٧) المسالك والممالك (القاهرة ـ ١٩٦١)

المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٣٨٨هـ)

(٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ـ ١٩٠٩)

ابن حوقل ، ابو القاسم بن حوقل (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)

(٩) صورة الارض (بيروت ـ ١٩٦٢)

البكري ، ابو عبيد (ت ٤٨٧هـ)

(١٠) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الجزائر ـ ١٨٥٧)

مجهول ــــــ

(١١) كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (الاسكندرية ـ ١٩٥٨)

الدكتور السيد عبد العزيز سالم

(١٢) المغرب الكبير حـ٢ (القاهرة – ١٩٦٦)
ابو زكريا ، يحيى بن ابي بكر (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)
(١٣) السيرة واخبار الأئمة – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٠٣٠ح.
بهاز ابراهيم بكير (١٤) الدولة الرستمية ١٦٠ – ٢٩٦هـ – ٧٧٧ – ٩٠٩م دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية (رسالة ماجستير لم تطبع بعد – 1983 جامعة بغداد
الدرجيني ، ابو العباس احمد (ت منتصف القرن السابع الهجري)
(١٤) طبقات الاباضية حـ١ (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٥٦١ح)
القلقشندي ، ابو العباس احمد (ت ٨٢١هـ)
(١٥) صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة – ١٩٢٢)
لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن الخطيب السليماني (ت ٩٤٠هـ)
(١٦) اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام (بيروت – ١٩٥٦)
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ)
(١٧) كتاب البلدان (ليدن – ١٨٩١)
الحميري ، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت القرن التاسع الهجري)
(١٨) الروض المعطار في خبر الاقطار (بيروت – ١٩٧٥)
ياقوت ، شهاب الدين ابو عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٣٦هـ)
(١٩) معجم البلدان (طهران – ١٩٦٥)
الادريسي ، الشريف محمد (ت ٥٥٨هـ)
(٢٠) صفة المغرب وارض السودان (قطعة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) (ليدن – ١٨٩٤)
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)
(٢١) العبر وديوان المبتدأ والخبر (القاهرة – ١٩٥٧)
السلاوي ، احمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٩هـ)
(٢٢) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (الدار البيضاء – ١٩٥٤)
ابن عذارى ، محمد بن عذارى المراكشي (نهاية القرن السابع الهجري)

(٢٣) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب (ليدن ــ ١٩٤٨)
الجزنائي ، ابو الحسن علي الجزنائي (ت اواخر القرن الثامن الهجري)
(٢٤) زهرة الآس في بناء مدينة فاس (الجزائر ــ ١٩٢٢)
ابن ابي زرع ، ابو محسن بن عبدالله بن ابي زرع الفاسي (ت ٧٢٠هـ)
(٢٥) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ــ ١٩٣٦)
ليفي بروفنسال ، المستشرق
(٢٦) الاسلام في المغرب والاندلس (القاهرة ــ ١٩٥٨)
ابن الاثير ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)
(٢٧) الكامل في التاريخ (القاهرة ــ ١٣٠٣هـ)

أبرز التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العراق في ظل ثورة ١٧ - ٣٠ تموز المجيدة

صبرية احمد لافـي
معهد الدراسات الاسيوية والافريقيـة

المقدمــة

العراق جزء من الامة العربية ويقع جنوب غرب قارة آسيا ويشكل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي ، تبلغ مساحته «٤٣٨٤٤٦» كم٢ ،عدد سكانه «١٥،٠٧» مليون نسمة حسب توقعات عام ١٩٨٤ وان معدل النمو السنوي للسكان هو ٣،٣٪ وقد ارتفع توقع الحياة للفرد عند الولادة من (٥٦،٥٠) سنة في عام ١٩٦٨ إلى (٦٣،٨) سنة في عام٩٨٢ نتيجة للتطور في المستوى المعاشي والصحي للسكان بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨.

يبلغ عدد سكان بغداد (العاصمة)٣،٩٨ مليون نسمة حسب تقديرات عام ١٩٨٤(١).

بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ طرحت الثورة مفهوماً جديداً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال اعتمادها الاسلوب العلمي للتخطيط الاشتراكي بهدف احداث تنمية سريعة وشاملة في القطر.

فقد عمدت الثورة إلى تطوير قوى الانتاج والارتفاع بانتاجية العمل واستخدام الاساليب العلمية لبناء اقتصاد وطني وتوسيع الاستثمار المادي والبشري لتأمين التطور السريع والمتوازن في عملية التنمية.

(١) العـراق — وزارة التخطيط . التخطيـط والتنمية مؤشرات وارقـام . بغداد ، تموز ، ١٩٨٤ . ص ٩ .

ولقد شهدت السنوات الثلاث الاخيرة توجهاً جاداً وفعالا في تطوير العملية التخطيطية وتعميق الجوانب العلمية والواقعية فيها وتوسيع القاعدة الديمقراطية والجماعية في اعداد الخطط التنموية ومتابعة تنفيذها وتقييم نتائجها، كما تصاعدت الجهود المكثفة لاستكمال وتطوير كافة ابعاد العملية التخطيطية وبما يخدم الاسهام الفعال في تحقيق التنمية لقطرنا العراقي .

وكان للسيد الرئيس القائد صدام حسين دور كبير في اغناء الفكر التخطيطي من خلال رصده وتحليله العلمي للظواهر الاساسية في مسيرة التنمية والبناء الاشتراكي واكتشاف الحلول الثورية والعلمية للمشكلات التي افرزتها المسيرة، ووضع اطار نظرية العمل البعثية في ميدان التطبيق الاشتراكي.

وقد كان لقرار التأميم التاريخي دوراً كبيراً في زيادة الثروة الوطنية بمعدلات كبيرة مما انعكس ايجابياً على مسيرة التنمية في قطرنا والتسريع بها لتحقيق التطور المنشود لقطرنا.

ان مسيرة التنمية في العراق في ظل قيادة الحزب والثورة اصبحت تجربة متميزةونموذجاً رائعاً بالنسبة لكثير من بلدان العالم الثالث، وخاصة البلدان المنتجة للنفط . اذ ان خطط التنمية بكاملها وظفت لتوسيع وتطوير القطاع الاشتراكي في الصناعة والزراعة والثقافة والخدمات العامة ومن اجل زيادة رفاهية الشعب ،انها تنمية اشتراكية تماماً وهي تختلف اختلافاً جذرياً عن المناهج المتبعة في بلدان العالم الثالث ومنها البلدان المنتجة للنفط والتي تتبع المنهج الرأسمالي في التنمية.

اضافة إلى ان الطبيعة الوطنية والاشتراكية لعملية التنمية في العراق وربطها بالأهداف والمصالح الوطنية والقومية جعلها ذات سمة شمولية وسعت كل فروع الأقتصاد وكل ميادين الحياة وشملت جميع مناطق القطر.

لذا فان هذه الدراسة تضمنت على مدخل، استعرضت فيه المؤشرات الاساسية لخطط التنمية القومية ودورها في البناء الاشتراكي ،وقسمت إلى فصلين. :

الفصل الاول: تناول جميع التطورات الاقتصادية التي حدثت في العراق مابعد قيام ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ إلى الوقت الحاضر.

اما الفصل الثاني: فقد تناول التطورات الاجتماعية والثقافية في القطر العراقي.

المدخل

التنمية والبنـاء الأشتراكي

شهد العراق بعد قيام ثورة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨ ثلاث خطط للتنمية القومية ترجمت بكل امانة طموحات قيادة الحزب والثورة في تحقيق تنمية شاملة وسريعة واحداث التغييرات التي تؤمن مستلزمات البناء الاشتراكي ولذلك فقد روعي في استراتيجية الخطط اعلاه تحقيق التعبئة القصوى والكفوءة لجميع الموارد والامكانات المتاحة ضمن الاطار القومي والانساني ، لاحداث التطور السريع والمستمر في رفاه المواطن العراقي اقتصادياً واجتماعياً في ظل علاقات انسانية ديمقراطية حضارية تجسد المنطلقات القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ورغبة القطر في تعزيز اتجاهات التكامل بين اقتصاده واقتصاديات الاقطار العربية الاخرى ، وخلق عوامل الترابط والاعتماد المتبـادل فيما بينها . وقد صيغت الاهداف الموضوعة للخطط اعلاه بالشكل الذي يساعد على بناء مجتمع متطور يتمتع بمستوى معيشي مرتفع .

فخطة التنمية القومية للسنوات (١٩٧٠ — ١٩٧٤) سعت الى تحقيق الاهداف التالية : —

١ — تنمية الدخل القومي بمعدل ١و٧٪ سنوياً وهو يفوق ضعف معدل نمو السكان ويؤدي الى مضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات .

٢ — التركيز على تنمية القطاعات السلعية وخاصة قطاعي الصناعة والزراعة .

٣ — الاستغلال الوطني للموارد المعدنية غير المستغلة وذلك بتنويع الانتاج وتقليل الاعتماد على الموارد النفطية .

٤ — مراعاة التوزيع الجغرافي لمشروعات الخطة .

٥ — تحقيق التنسيق والتكامل الاقتصادي مع الاقطار العربية .

٦ — زيادة الخدمات المقدمة للمواطنين .

٧ — ارساء دعائم المجتمع الاشتراكي عن طريق فرص العمالة والتنسيق مابين مستويات الاجور وربط الاجر بالانتاجية وضمان مستوى معيشي كريم لذوي الدخول المحدودة .

٨ – تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال توسيع قاعدة التوزيع وجعل الفئات محدودة الدخل مستفيدة من ثمار عملية التنمية (١) .

اما خطة التنمية القومية للسنوات (١٩٧٦ – ١٩٨٠) فاستهدفت تحقيق معدل نمو اجمالي في الدخل القومي قدره ١٦,٨٪ ومعدلات نمو تتراوح مابين ٧,١٪ سنوياً لقطاع الزراعة و ٣٢,٩٪ سنوياً لقطاع الصناعة التحويلية ، كما واستهدفت الخطة تعميق التحولات الاشتراكية في أربعة اتجاهات رئيسية هي :

١ – زيادة حصة القطاع الاشتراكي وجعله يحتل دوراً قيادياً موجها وتوسيع علاقات الانتاج الاشتراكي .

٢ – مواصلة بناء الهياكل الاقتصادية كقاعدة اساسية لاستيعاب متطلبات عملية التطوير اللاحقة .

٣ – التوسع في الخدمات الاجتماعية بما يضمن نموها بنسبة ٨,٥٪ سنوياً وخاصة في مجالات التعليم والصحة والتنمية البشرية والتربية الاشتراكية .

٤ – الاهتمام بمشاريع الخدمات المخصصة للمحافظات والمناطق الريفية كمشاريع الاسكان ومياه الشرب والكهرباء والتي تؤدي الى الالغاء التدريجي للتفاوت بين المدينة والريف .

وعلى الرغم من ان ظروف الحرب فرضت اعداد مناهج استثمارية سنوية ابتداءاً من عام ١٩٨١ ، الا ان هذا الواقع لم يحل دون اعداد مشروع لخطة التنمية القومية للسنوات (١٩٨١ – ١٩٨٥) استهدفت تحقيق تطور كبير في شتى الميادين الاقتصادية والاجتماعية (٢) .

ويمكن القول بأن خطط التنمية القومية قد حققت الكثير من الانجازات في مختلف الميادين وارست المعالم الاساسية للبناء الاشتراكي في ظل الثورة وسمات الرفاهية والتقدم التي تحققت في ميادين عديدة في المجتمع .

لذا سنتناول أهم التشريعات التقدمية الهادفة الى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الموضوعة على أسس جديدة ، وما تحقق على طريق التنمية في قطرنا الحبيب بعد ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ .

---

(١) العراق – وزارة التخطيط . التخطيط والتنمية مؤشرات وارقام ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

(٢) وزارة التخطيط . التخطيط والتنمية مؤشرات وارقام . مصدر سابق ، ص ٢٢

الفصل الأول

التطورات الأقتصادية ما بعد عام ١٩٦٨

اولا : الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد :

استهدفت حكومة الثورة مابعد عام ١٩٦٨ زيادة حجم الدخل القومي ورفع معدلات نموه بالشكل الذي يحقق معه زيادة في متوسط دخل الفرد ورفع مستوى معيشته، ولقد تجسد هذا الهدف في جميع الخطط الاقتصادية ، ومنها خطة ١٩٧٦ — ١٩٨٠ والتي استهدفت تحقيق نمو في الدخل القومي بمعدل ١٧ ٪ .

ولو تتبعنا نمو حجم الدخل القومي خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٨٢ لتبين لنا بان الدخل القومي وبالاسعار الجارية قد ازداد من (٨١٢،٥) مليون دينار في عام ١٩٦٨ إلى (١٢٣٣٤و٦) مليون دينار عام ١٩٨٢ وذلك بزيادة مطلقة قدرها (١١٥٢٢،١) مليون دينار وبمعدل سنوي يبلغ ٢١،٤٪ بالاسعار الجارية خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٨٢.

ولا ريب ان هذه الزيادة الكبيرة في الدخل القومي، لاتعزى الى التطور الاقتصادي الحاصل في القطاعات الانتاجية (زراعة وصناعة) بل تعزى الى الزيادات الكبيرة في اسعار البترول الخام بعد تصحيح اسعاره في تشرين الاول ١٩٧٣ وزيادة صادرات البترول الخام بالاضافة الى زيادة انتاج مختلف القطاعات الانتاجية المؤلفة للدخل القومي (١). وارتفع تبعاً لذلك نصيب الفرد من الدخل القومي بمقدار (١٧،٥٪) سنوياً بالاسعار الجارية خلال الفترة المذكورة فاصبح (٨٧٤و٢) ديناراً للفرد في عام ١٩٨٢ مقارنة بـ(٩١و١)دينار في عام ١٩٦٨ .بزيادة مطلقة قدرها ٧٨٣،١ دينار. وكما موضحة في الجدول التالي :

وقد اقترن هذا الارتفاع في معدل دخل الفرد العراقي برفع معدلات الاجور والرواتب للعاملين في اجهزة ومؤسسات الدولة .فارتفع متوسط الراتب سنوياً من ٤٩٢ ديناراً عام ١٩٦٨ إلى ١٥١٧ ديناراً عام ١٩٨١ اما متوسط الاجر فقد ارتفع وللسنوات نفسها مـــن

(١) السامرائي ، سعيد عبود . الاقتصاد العراقي الحديث — دراسة تحليلية في هيكل الاقتصاد العراقي وآفاق تطوره — بغداد . جامعة بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ ، ص ٢٢ .

جدول رقم (١) تطور متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي (بالاسعار الجارية)

المؤشر	السنوات ١٩٦٨	١٩٨٢	الزيادة الاجمالية	معدل النموالمركب٪
الدخل القومي (مليون‌دينار)	٨١٢٫٥	١٢٣٣٤٫٦	١١٥٢٢٫١	٢١٫٤ (١)
متوسط دخل الفرد (دينار)	٩١٫١	٨٧٤٫٢	٧٨٣٫١	١٧٫٥ (٢)

٢٢٨ ديناراً الى ١٦١٧ ديناراً ، وبذلك ارتفع الرقم القياسي لتطور الرواتب والاجور من ١٠٠ الى ٤٧٤ للفترة نفسها (٣) .

ان هذه الزيادات في مداخيل الافراد قد خلقت حالة ملموسة وشاملة من التقـــدم في المستوى المعاشي ومن الرفاهية .

(١) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٣ ، ص ١١٦ .

(٢) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٣ ، ص ١٢٠ .

(٣) التقرير المركزي المؤتمر القطري التاسع ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٩٤ .

ثانيا – القطـاع الأشتراكي :

أكد التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي على ضرورة توسيع وتطوير القطاع الاشتراكي بالشكل الذي يشمل جميع مرافق الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات، واعتبر هذا التوسع مهمة مركزية لانه يترجم مباديء الحزب إلى واقع حي (١). وضرورة اقتصادية لانه المصدر المرغوب به اقتصادياً واجتماعياً لرفد التنمية بما تحتاجه من المدخرات الوطنية والتي من شأنها ان تساهم في تقليل الاعتماد على الايرادات النفطية كمصدر وحيد لتمويل التنمية الاقتصادية في العراق وبه يضمن العراق مستقبله الاقتصادي في ظل نفاذ الثروة النفطية.

احتل القطاع الاشتراكي مكانة بارزة في الاقتصاد العراقي بعد ان مر بسلسلة من التطورات والتحولات الاشتراكية، وتعتبر الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٧٢ من ابرز الفترات التي تم فيها توسع نطاق هذا القطاع. فخلال هذه الفترة تم تأميم الشركات الصناعية والتجارية المملوكة من قبل رأس المال الوطني الخاص اساساً وكذلك تأميم المصارف التجارية وشركات التأمين المختلطة ما بين رأس المال الوطني الخاص والاجنبي، وكذلك فقد تم توسيع نطاق هذا القطاع وعلى حساب القطاع النفطي الاجنبي في عام ١٩٧٢، حيث تم تأميم جميع عمليات الشركات الاجنبية النفطية العاملة في العراق (٢).

ولقد ارتفعت مساهمة القطاع الاشتراكي في الناتج المحلي الاجمالي من ٢٤,٥٪ في عام ١٩٦٨ الى ٦١,٢٪ في عام ١٩٨٢، واستطاع هذا القطاع في ضوء ذلك ان يؤدي دوره القيادي في تنمية وتطوير الاقتصاد الوطني وعملية البناء الاشتراكي.

ويمكن ملاحظة التطور الحاصل في المساهمة النسبية للقطاع الاشتراكي في مختلف القطاعات الاقتصادية من خلال الجدول رقم (٢) (٣).

ونتيجة لذلك تعززت مكانة القطاع الاشتراكي في الاقتصاد العراقي واخذ يحتل دوراً قيادياً فيه. ولعل خير مؤشر يمكن من خلاله معرفة مكانة هذا القطاع هو حصة هذا القطاع

---

(١) ثورة ١٧ تموز التجربة والافاق. التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي. بغداد، ١٩٧٤، ص ٩٠.

(٢) المهداوي، وفاء جعفر. دور المدخرات الوطنية في تمويل التنمية الاقتصادية في العراق ما بعد ١٩٦٨. (اطروحة، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٤١).

(٣) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية مؤشرات وارقام، مصدر سابق، ص ٢٩.

جدول رقم(٢) المساهمة النسبية للقطاع الأشتراكي في الناتج المحلي الاجمالي للانشطة الأقتصادية الرئيسية : —

القطاعات	١٩٦٨ ٪	١٩٨٢ ٪
الزراعة	٣و ٠	٧و ٥٢
التعدين والمقالع	٣و ٠٠	٧و ٩٨
الصناعة التحويلية	٥و ٤١	٢و ٥٩
التجارة	١و ١٢	٢و ٥٦

من اجمالي الاستثمارات ،ومقدار مساهمته في توليد الناتج المحلي الاجمالي (بالاسعار الجارية)للانشطة الاقتصادية فاقد اشارت البيانات إلى ان حصة القطاع الاشتراكي في اجمالي الاستثمارات قد ارتفعت من ٣٥٪ في عام ١٩٦٨ إلى ٨٠٪ ،في عام ١٩٨٠(١).

اما عن مدى مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي (بالاسعار الجارية) لسنتي ١٩٨١و ١٩٨٢ فهي موضحة بالجدول رقم (٣).

جدول رقم (٣) الناتج المحلي الاجمالي حسب القطاع الاشتراكي بالاسعار الجارية (مليون دينار)(٢)

القطاعات	١٩٨١	١٩٨٢
الزراعة والغابات والصيد	٥و ٤٩٠	٦٧٤
التعدين والمقالع	١و ٣٢٥٠	٩و ٢٩٢٤
الصناعة التحويلية	٨و ٣٩١	٨و ٥١٧
التجارة	٦٢٥	٨٣١

(١) وزارة التخطيط ، «العراق ١٣ عاماً من التقدم» دار الحرية للطباعة ١٩٨٠ ، ص ١٠.
(٢) وزارة التخطيط ، المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص ١٢١ .

لقد استهدفت الخطط الاقتصادية في العراق اقامة جملة من المشاريع الحيوية التابعة للقطاع الاشتراكي والتي تتمكن من خلالها التوصل إلى تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية المرسومة لها وخاصة الاهداف التمويلية والتي تمكنها من استخدام الارباح المحققة في منشآت القطاع الاشتراكي كمصدر تمويلي للميزانية الاستثمارية، وقد ظهر هذا التوجه ولاول مرة في خطة التنمية القومية ١٩٨٧٠ — ١٩٧٤. ووفقاً لهذا التوجه فقد تم البدء بتنفيذ عدد كبير من المشاريع التي تم البدء بتنفيذها قبل عام ١٩٦٨. ومن هذه المشاريع تصنيع النفط الخام، ارساء اسس الصناعات البتروكيمياوية والطاقة الكهربائية والسمنت والاسمدة والحديد والصلب والصناعات الهندسية وغيرها من المشاريع التي ستحقق ايرادات مضاعفة وتساهم في تمويل التنمية، كما اقيمت مشاريع هادفة إلى رفد التنمية بالعملات الاجنبية وتقليل الاعتماد النسبي على القطاع النفطي كمصدر رئيسي لتوريد تلك العملات والتي تقدر نسبة مساهمته في ذلك بحوالي ٩٥٪ ومن هذه المشاريع الصناعات الهندسية في الاسكندرية ومعمل الادوية في سامراء ومعمل سكر القصب في ميسان ومعمل النسيج القطني في واسط (١).

وبعد الانتهاء من تنفيذ العديد من المشاريع التابعة للقطاع الاشتراكي وفي مختلف القطاعات الاقتصادية، اخذت هذه المشاريع تسعى الى تحقيق الاهداف الاقتصادية المرسومة لها والمتمثلة بزيادة حجم الفائض الاقتصادي المتولد فيها، وبالفعل فلقد استطاعت بعضاً منها ان تحقق تطوراً في حجم الفائض.

(١) غيلان، بدر، دراسات في تنمية الموارد المالية. مطابع دار الثورة بغداد، آذار، ١٩٧٨، ص ١٣.

ثالثاً ـ الأستثمارات :

وجهت الموارد المالية المتاحة بصورة اساسية لبناء العراق بناء حضارياً جديداً من خلال احداث تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة لصالح جماهير الشعب وخدمة الاهداف القومية ودعم اقتصاديات الاقطار النامية وحركات التحرر في العالم .

لقد أكدت سياسة الاستثمار لخطط التنمية القومية ١٩٧٠ – ١٩٧٤ و ١٩٧٦ – ١٩٨٠ على ضرورة رفع كفاءة الاستثمار بحيث يتم تحقيق الزيادات المستهدفة في الدخل القومي أكثر من الاعتماد على الزيادة في مبالغ الاستثمار ، وذلك من خلال التأكيد على تطوير اساليب رفع معدلات الانتاجية والتغلب على حالة الهدر في الموارد واستغلال الطاقات المتاحة بأفضل صورة ممكنة ، بالاضافة الى توجيه الاستثمارات بشكل يؤمن تنويع الاقتصاد العراقي وتطوير القطاعات الأكثر انتاجية بغية استمرار الزيادة في الانتاج والدخل بحيث تكون هذه القطاعات قادرة على خلق تراكم حقيقي في الاقتصاد القومي يساهم في تقليل الاهمية النسبية للعوائد النفطية ودورها في احداث التطور الاقتصادي مجسدة في ذلك الهدف الستراتيجي المتمثل بزيادة المدخرات الوطنية وتنمية دورها في تمويل الانفاق الاستثماري .

فقد بلغ مجموع الاستثمارات المخصصة لخطتي التنمية القومية الاولى (١٩٧٠ – ٩٧٥١) والثانية (١٩٧٦ – ١٩٨٠) مبلغ (١٨٢٠٢) مليون دينار أي بمعدل سنوي حوالي (١٦٥٥) مليون دينار ، بينما بلغت كافة المبالغ المستثمرة لجميع الخطط والبرامج السنوية التي وضعت قبل الثورة وعلى مدى عشرين عاماً حوالي (١٨٩٦) ديناراً أي بمعدل سنوي قدره (٩٥) مليون دينار تقريباً .

أما بعد الحرب فقد استمرت وتاثر الاستثمارات بالارتفاع اذ بلغت تخصيصات الخطة الاستثمارية لعام ١٩٨١ حوالي (٦٧٤٣) مليون دينار ، أما الخطة الاستثمارية لعام ١٩٨٢ فقد بلغت تخصيصاتها (٧٧٠٠) مليون دينار (١) . وقد وزعت هذه التخصيصات على القطاعات الاقتصادية الرئيسية بشكل متوازن وبما يخدم ظروف المرحلة الاقتصادية في القطر ويعزز صموده وهو يواجه العدوان .
وهي كما موضحة في الجدول الاتي :

(١) وزارة التخطيط . المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .

جدول رقم (٤) تخصيصات خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٠–١٩٨٣

(بالاف الدنانير) (١)

الخطة أو المنهاج	السنة	المجموع العام	الزراعة	الصناعة	النقل والمواصلات	المباني والخدمات	التربية والتعليم والبحث العلمي	مجموع القطاعات الا قتصادية	تخصيصات اخرى
خطة التنمية القومية	١٩٧١	١١٦٥٣٠	٢٠٠٠	٢٨٠٠٠	١٥٢٦٨	١٣٠٠	—	٨٤٢٦٨	٣٢٢٦٢
١٩٧٠–١٩٧٤	١٩٧١	٢٠٢٠٠٠	٦٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٢٨٠٠٠	٢٨٠٠٠	—	١٦٦٠٠٠	٣٦٠٠٠
	١٩٧٢	١٣٤٥٠٠	٢٣٢١١	٢٨٠٠٠	١٥٠٠٠	٢٢٠٠٠	—	٨٩٢١١	٤٥٢٨٩
	١٩٧٣	٣١٠٠٠٠	٦٥٠٠٠	٦٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٥٠٠	—	٢١٠٠٠	١٠٠٠٠
	١٩٧٤	١١٦٩٠٠٠	١٩٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠	١٢٠٠٠٠	١٧٥٠٠٠	—	٧١٠٠٠٠	٤٥٩٠٠٠
المجموع		١٩٣٢٠٣٠	٣٦٦٢١١	٣٩١٠٠٠	٢١٩٢٦٨	٢٨٣٠٠٠	—	١٢٥٩٤٧٩	٧٢٥٥١
المنهاج الاستثماري	١٩٧٥	١٠٧٦٠٠٠	٢٠٧٥٠٠	٤٤٨٠٠٠	١٦٦٠٠٠	١٨٨٠٠٠	—	١٠٠٩٥٠٠	٦٦٥٠٠
المنهاج الاستثماري	١٩٧٦	١٤٩٣٥٠٠	٢٦٨٠٠٠	٧٠٩٠٠٠	٢٤٢٥٠٠	٢١٣٢٠٠	—	١٤٣٢٧٠٠	٠٨٠٠
المنهاج الاستثماري	١٩٧٧	٢٣٧٧٠٥٥	٣٨٩٨٧٧	٩٦٦٠٠٠	٣٥١٦٠٠	٢٨٨١٠٠	٧٩٩٠٠	٢٠٧٥٤٧٧	٣٠١٥٧٨
الخطة السنوية	١٩٧٨	٢٨٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٤٣٨٠٠٠	٣٨١٠٠٠	١١٩٠٠٠	٢٢٣٨٠٠٠	٥٦٢٠٠٠
الخطة السنوية	١٩٧٩	٣٢٨٣٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٨٤٢٠٠٠	٤٣٦٠٠٠	٤٦٢٠٠٠	١٨٥٠٠٠	٢٤٢٥٠٠٠	٨٥٨٠٠٠
الخطة السنوية	١٩٨٠	٥٢٤٠٠٠٠	٥٠٥٠٠٠	١١٧٣٠٠٠	٨٥٠٠٠٠	١١١٤٠٠٠	٢٩٨٠٠٠	٣٩٤٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠
الخطة السنوية	١٩٨١	٦٧٤٢٨٠٨	٦٨١٠٠٠	١٢٤٦٠١٥	١٢٨٤٥٣٨	١٨٩٩١٣٠	٢٧٢١٢٥	٥٣٨٢٨٠٨	١٣٦٠٠٠٠
الخطة السنوية	١٩٨٢	٧٧٠٠٠٠٠	٧٦٨٤٢٥	١٣١٥٦٧٥	١٣٨٦٩٠٠	١٦٥٣٣٤٠	١٨٢١٧١	٥٣٠٦٥١١	٢٣٩٣٤٨٩
			(٤)	(٣)	(٢)	(١)	(٤) -		

(١) وزارة التخطيط . المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .

من الجدول يتضح ان التخصيصات المقررة للقطاعات الاقتصادية آخذة بالارتفاع طوال الفترة الممتدة من ١٩٧٠ — ١٩٨٢ ، وبرز هذا الارتفاع بشكل خاص مابعد عام ١٩٧٣، اذ احتل القطاع الصناعي والقطاع الزراعي المقام الاول من حيث حجم هذه التخصيصات باعتبارهما يمثلان القطاعات الانتاجية الرئيسية في الاقتصاد العراقي، فازدادت حجم التخصيصات الاستثمارية المقررة للقطاع الزراعي من ٢٨ مليون دينار في عام ١٩٨٠ الى ٧٦٨ مليون دينار في عام ١٩٨٢ وذلك بزيادة مطلقة قدرها ٧٦٠ مليون دينار . أما القطاع الصناعي فازدادت حجم تخصيصاته الاستثمارية المقررة من ٢٨ مليون دينار الى أكثر من ١٣١٥ مليون دينار للفترة الزمنية ذاتها أي بزيادة مطلقة قدرها ١٢٨٧ مليون دينار بين سنتي ١٩٧٠ و ١٩٨٣ .

وكذلك الحال بالنسبة لقطاعي النقل والمواصلات الذي أزدادت تخصيصاته من ١٥ مليون دينار الى ١٣٨٦ مليون دينار ، بزيادة قدرها ١٣٧١ مليون دينار ، وقطاع المباني والخدمات الذي ارتفعت تخصيصاته من ١٣ مليون الى ١٦٥٣ مليون دينار ، أي بمقدار زيادة ١٦٤٠ مليون للفترة الممتدة من ١٩٧٠ — ١٩٨٢ .

اما قطاع التربية والتعليم فلا تظهر له أي تخصيصات استثمارية تذكر الا في سنة ١٩٧٧ التي شهدت هي الاخرى تطوراً ملحوظاً خلال السنوات الاخيرة اذ ارتفعت من ٧٩ مليون دينار وبزيادة قدرها ١٠٣ مليون دينار للفترة ١٩٧٧ الى ١٩٨٢ .

وبالرغم من ان حجم التخصيصات الاستثمارية ازداد لجميع القطاعات الاقتصادية الا أن قطاع المباني والخدمات أخذ حصة الاسد في حجم التخصيصات وبشكل خاص خلال سنوات الحرب ، ثم يأتي قطاع النقل والمواصلات ليحتل المرتبة الثانية في حجم تخصيصاته الاستثمارية ومن ثم يأتي بالمرتبة الثالثة في حجم التخصيصات الاستثمارية قطاع الصناعة ، ثم يليه القطاع الزراعي ، ومن ثم قطاع التربية والتعليم .

رابعاً ـ النفط

يحتل العراق المرتبة الثانية في قائمة الدول المنتجة للبترول في منطقة الشرق الاوسط فقد بلغ الانتاج عام ١٩٧٩ (٢٨٨ ، ١٧٦)مليون طن . ارتفع الى (٤١٧ ، ٣٦٩) مليون طن في عام ١٩٨٢ (١) .

وقد استتبع زيادة انتاج البترول الخام ارتفاع صادراته اذ بلغت (٤٦٣ ، ١٦٠) . مليون طن سنوياً في ١٩٧٩ ، ارتفع الى (٨٥١ , ٢١٩) مليون طن سنوياً في ١٩٨٠(٢)

وقد انعكست الزيادة في انتاج العراق من النفط الى جانب ارتفاع مستويات اسعاره على عائدات النفط واستناداً الى التقديرات التي نشرتها منظمة الاوبك فقد قدر مجموع عائدات العراق من صادرات النفط الخام عام ١٩٧٩ حوالي ٢٠,٥٠٠,٠ مليون دولار امريكي ، وهذا المبلغ يقل بنسبة ١,١٪ عن عائدات عام ١٩٧٧ / ١٩٧٨ والبالغة ٢,٧٣٥,٠ مليون دولار . وتشير تقديرات منظمة الاوبك الى ان اعلى مستوى لهذه العائدات قد بلغ عام ١٩٧٦ / ١٩٧٧ ، اذ بلغت ٢١,٨٣٧,٠ مليون دولار (٣) : وفي خلال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٨٠ وصلت عائدات النفط الى ٢٥ بليون دولار (١) . اضافة الى ذلك يحتل العراق المرتبة الخامسة بين الدول المنتجة للنفـط في العالم ، الا انه بالرغم من هذا الوضع الذي يحتله بقي ولفترة طويلة عاجزاً عن استخـدام ثروته النفطية في تغيير بنيته الاقتصادية والاجتماعية للخروج من اطار التخلف الى الاستقـلال السياسي والاقتصادي والتخلص من سيطرة الاحتكارات العالمية على هذه الثروة .

كانت المواجهة الجادة والحاسمة للاحتكارات النفطية من المهام الرئيسية لثورة (١٧ — ٣٠) تموز ١٩٦٨ ، حيث كانت معركة تأميم النفط المعركة الفاصلة بيـن ، الثورة والقوى الاستعمارية والاحتكارية في هذا الميدان ، التي تمت فيها الانتصار الحاسم في الاول من حزيران عام ١٩٧٢ . لسيطرة العراق على موارده النفطية في الشمـال ،

---

(١) OPEC. Annual statistical Bulletin, 1982.

(٢) وزارة التخطيط . المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص ٢٩٤ .

(٣) السامرائي . سعيد عبود ، الاقتصاد العراقي الحديث ، مصدر سابق ، ص ٨٨ .

(٤) مركز البحوث والمعلومات . الحرب العراقية الايرانية — آثارها الاقتصادية ٤/٢٣/ ١٩٨٤ ، ص ٨ .

ثم اعقبها بسيطرته على حصتي هولندا والولايات المتحدة الامريكية بعد حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، وكذلك حصة كولبنكيان البالغة ٥ ٪ واخيراً بتأميم الحصص الباقية في شركة نفط البصرة .

لقد شهدت فترة التأميم وما بعدها تلاحماً متيناً بين السلطة وجماهير الشعب وقواه الوطنية واستعداداً شاملا لتحمل اعباء التقشف التي فرضتها ظروف التأميم من أيامه الاولى تحسبا للطوارىء وللاحتمالات السيئة التي قد تنجم عن ردود فعل الشركات والدول المالكة لها .

وبنجاح المعركة الحاسم والشامل انتقلت بالعراق من عصر التبعية الاقتصادية للقوى الاستعمارية الاحتكارية والتأثر السلبي المباشر لهذه القوى الى عصر الاستقلال الاقتصادي الذي اصبح متيناً وحقيقياً بفضل سياسات الحزب والثورة التي سبقت معركة التأميم والتي تلتها .

ولاستكمال مقومات الاستقلال الاقتصادي لقطرنا تم انجاز المشاريع النفطية ذات الطبيعة الستراتيجية مثل الخط الاستراتيجي الذي افتتح في أواخر كانون الاول ١٩٧٦، ليشكل حلقة الوصل بين شبكتي التصدير الشمالية والجنوبية لنقل النفط بطاقة (٤٤) مليون طن / سنة من الرميلة إلى حديثة وبطاقة ٥٠ مليون طن/ سنة في الاتجاه المعاكس ، اضافة إلى مينائي البكر والعميق وانبوب النفط المار عبر تركيا الذي يعتبر مشروعاً ستراتيجياً كبيراً وواحداً من أكبر خطوط النقل في العالم، فهو يمتد من محافظة التأميم حتى ميناء كيهان التركي على البحر المتوسط وغيرها من المشاريع التي تسهم في توطيد دعائم استقلالنا الاقتصادي وتؤمن للعراق حرية واسعة في التصرف بثرواتة النفطية بعيداً عن محاولات الابتزاز والاستغلال التي تحاول فرضها عليه القوى الاستعمارية والاحتكارية الرجعية.

وكانت سياسة العراق في ميدان النفط سواء بالتعامل المباشر مع الدول أو من خلال منظمتي (الاوابك) و(الاوبك) نموذجاً للسياسة الوطنية الحقيقية التي تضع المصالح الوطنية والقومية في المقام الاول مع التفهم الجديد لمتطلبات التعاون الدولي الذي عزز الدور المسؤول للعراق في السياسة النفطية على الصعيد الدولي .

وقد عمل عراق الثورة على اجراء تغييرات جذرية في هيكله الاقتصادي لتحويله وفق خطوات متوازنة ومدروسة من اقتصاد وحيد الجانب يعتمد النفط كمصدر اساسي للتمويل الى اقتصاد متنوع الموارد ذي قاعدة صناعية وزراعية متينة عن طريق اتباع سياسة ربط عائدات وانتاج النفط باحتياجات التنمية من جهة وخلق مصادر جديدة لها صفة الديمومة، وتقع ضمن السيطرة الكاملة لقرارات الدولة .

خامساً — التنمية الزراعية :

عملت الثورة على احداث تغييرات جذرية في الريف العراقي شملت مختلف الميادين والحقول، وخطت خطوات واسعة على طريق بناء وتعميق الاسس العلمية الزراعية الحديثة وتوفير مستلزمات نهوضها ويمكن اجمال ابرز نواحي التقدم بما يلي: —

اولا — التحولات الأشتراكية في الريف .

انجزت الثورة مهمة الاصلاح الزراعي الجذري والشامل وشرعت ببناء القاعدة الاشتراكية في ميدان الزراعة حيث ركزت على انشاء المزارع التعاونية والجماعية ومزارع الدولة ، وضمن هذا الاطار تحقق مايلي : —

١ — الاصلاح الزراعي :

لقد شرع القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ نظراً لما احتواه القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ من ثغرات وما اعترضه من عقبات، اذ ان مهمة تحقيق اصلاح زراعي جذري في الريف العراقي هي من أولى المهمات التي واجهتها الثورة، ومنذ وقت مبكر، وقد تم بموجبه تخفيض الحد الاعلى للملكية ووضعت فيه قواعد جديدة لتوزيع الارض أكثر انطباقاً على ظروف الانتاج الزراعي ومتطلباته. وأكثر ضماناً لحقوق الفلاحين الفقراء .وقد تم انجاز عمليات الاستيلاء والتوزيع في كل انحاء القطر (١) .

ووفقاً لهذا القانون فقد تم الغاء حق الاختيار وحق التعويض عن الاراضي المستولى عليها،والتي كان يمنحها القانون الاول — وهذا يعني سيادة ملكية الدولة على جميع الاراضي الزراعية مع اعطاء حق التصرف للافراد فيها .

كما اقر القانون خطوة متقدمة في مجال تغير واقع الريف العراقي لصالح بناء العلاقات الاشتراكية فيه ، اذ وضع اللبنة الاولى لتشكيل المزارع الجماعية باخذه بمبدأ التوزيع الجماعي للارض ، وانشاء الجمعيات التعاونية الزراعية .

٢ — الجمعيات التعاونية الزراعية :

وهي عبارة عن جمعيات تعاونية زراعية متعددة الاغراض وتعتبر عضويتها الزامية على من وزعت عليهم الارض بموجب قانون الاصلاح الزراعي وتخضع هذه الجمعيات للاشراف الحكومي مرحلياً .

---

(١) ثورة ١٧ تموز التجربة والافاق . التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، مصدر سابق ، ص١٠٢.

وقد تطور عدد الجمعيات التعاونية تطوراً سريعاً حتى بلغ عدد الجمعيات الفلاحية التعاونية المحلية والمتخصصة (٨٨٨) جمعية في عام ١٩٨٣ عدد اعضائها (٣٩٣,٤) الف ومساحة مناطق عملها ٢٧ مليون دونم مقابل (٤١٠) جمعية عام ١٩٦٨ عدد اعضائها ٥٥ الف ومساحة مناطق عملها ٢,٨ مليون دونم (١).

٣ ــ المزارع الجماعية :

يعد أول ظهور للمزارع الجماعية في نهاية عام ١٩٦٩ (٢) في محافظة بابل وبمنطقة الشافعية بمحافظة القادسية عام ١٩٧٢ ، وقد قامت المزارع الجماعية في بعض مناطق الاصلاح الزراعي الجديدة التي لم تؤسس بها تعاونيات زراعية من قبل.

وبعد أن تبلور اسلوب الزراعة الجماعية وانتشر في الريف أزدات أهمية دورها في التحول الاشتراكي بعد ان أزدادت الرقعة الزراعية التي تضمها المزارع الجماعية في مختلف مناطق الدولة وما تضمه من مزارع فقد بلغ عدد المزارع الجماعية (١٠) مزارع عام ١٩٨٣ وبلغ عدد اعضائها (٤٤٨) عضواً ومساحتها (٢٩,٨) الف دونم (٣).

وقد حقق هذا الاسلوب بعض النجاحات منها ادخال الدورة الزراعية في المزارع ووضع خطة مالية وانتاجية تنظم عمل الفلاحين على مدار السنة بالاضافة الى تنفيذ سياسة الدولة بالنسبة للقطاع الزراعي كذلك مقدرتها على توفر مستلزمات الانتاج مما يؤدي الى أرتفاع أنتاجية الارض وزيادة دخل الفلاح وتحسين الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي في قطاع الزراعة (٤).

٤ ــ مزارع الدولة :

وهي عبارة عن الوحدات الانتاجية التي تقيمها الدولة في بعض المناطق حيث تمثل استغلال الدولة المباشر للارض وبقية العناصر الانتاجية الاخرى المرتبطة بالزراعة.

---

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية ــ مؤشرات وارقام ،مصدر سابق، ص ٤٥.
(٢) الداهري. عبد الوهاب مطر ــ أسس ومباديء الاقتصاد الزراعي ، بغداد ، ١٩٦٩، ص٢٨٢.
(٣) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٨٣.
(٤) السامرائي. سعيد عبود. الاقتصاد العراقي الحديث، مصدر سابق، ص ١٢٤.

وبالرغم من ان اهداف المزارع الحكومية اقتصادية بالدرجة الاولى وهو تحقيق زيادة الانتاج وتحسين نوعيته واستعمال الطرق الحديثة لزيادة الكفاءة الانتاجية للعناصر المشتركة في العملية الانتاجية ، الا أن هناك اهدافاً أجتماعية وسياسية لاتقل أهمية عن الاهداف الاقتصادية .

وتعتبر مزرعة بكره جو بمحافظة السليمانية من أقدم المزارع الحكومية في العراق حيث اسست عام ١٩٣٣ ، وفي ١٩٣٧ اسست مزرعة حكومية أخرى في أبي غريب ، وفي ١٩٦٠ اسست مزرعة اللطيفية وازداد عددها الى ٢٣ مزرعة ، مساحة مناطق عملها (٧٦٧) الف دونم بعد أن كان عددها لايتجاوز الـ (٥) ، وانشئت في حينها لاغراض الزراعة التجريبية ومساحتها آنذاك لم تتجاوز الـ (١٦٧) الف دونم (١) .

ويجب ان يؤخذ في الاعتبار نجاح هذا النوع من التنظيم ، فهذه المزارع هي عبارة عن نماذج تطبيقية للفكر الاشتراكي في مجال الزراعة ولا يمكن أن تنشأ وتنمو الا في الاطار الاشتراكي الذي ينتهجه المجتمع ويخلق الظروف الموضوعية والمناخ الملائم لبقاء هذه المزارع .

(١) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، مصدر سابق ، ص ١٣٨.

المساحة المزروعة ومستوى الأنتاج

حافظ القطاع الزراعي على معدل شبه ثابت للمساحة المزروعة رغم تذبذب هذا المعدل في بعض السنوات . وقد بلغت المساحة المزروعة ٩,٧ مليون دونم عام ١٩٧٥ ارتفعت إلى (١٢,٦) مليون دونم عام ١٩٨٣ .

وحافظ القطاع الزراعي ايضاً على مستوى الأنتاج العام وحقق زيادة واضحة في كمية الأنتاج من (٧,٧) مليون طن عام ١٩٧٥ إلى (١٠,٥) مليون طن عام ١٩٨٣ للانتاج النباتي الذي يشمل الحبوب والبقوليات والمحاصيل الصناعية والبذور الزيتية والخضراوات والتمور والمحاصيل العلفية والابصال والدرنيات والفواكه (١) .

ان هذه الزيادة في كمية الأنتاج تعود إلى تحسن نسبي في كفاءة الأستغلال الزراعي وارتفاع الأنتاجية ، حيث ان المساحة الأجمالية المزروعة ظلت تتذبذب طوال السنوات السابقة ولكن كمية الأنتاج حافظت على مستوى ينطوي على قدر واضح من التطور .

مشاريع الري والبـزل

حظيت مشاريع الري والبزل باهتمام واضح خلال السنوات السابقة بهدف ترشيد استخدام الثروة المائية في القطر وتوسيع رقعة المناطق المروية ، فقد تم انجاز سد حمرين وستة سدود في الصحراء الغربية بينها سد الرطبة ، وانجز كذلك انشاء قناة الثرثار ـ الفرات ، كما يجرى الان تنفيذ قناة الثرثار ـ دجلة وبوشر في عام ١٩٨١ بتنفيذ سد الموصل الذي يهدف إلى استيعاب اقصى تصريف للفيضانات وتنظيم جريان نهر دجلة والوقاية من الفيضان وتوليد الطاقة الكهربائية ، وتأمين مياه الري لمشروع الجزيرة وتبلغ السعة الأجمالية لمستوى الخزن الأعتيادي في هذا السد (١٠,٧٤) مليار م٣ ويتوقع انجازه في عام ١٩٨٦ ، وفي عام ١٩٧٨ بوشر بانجاز سد حديثة الذي يهدف إلى تنظيم جريان نهر الفرات وتوليد الطاقة الكهربائية وتأمين الميـاه اللازمة لارواء الاراضي الزراعية على حوض الفـرات .

تبلغ السعة الاجمالية لمستوى الخزن الاعتيادي في هذا السد (٦,٤) مليار م٣ ويؤمـل انجازه بشكل نهائي في عـام ١٩٨٥ .

---

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية ـ مؤشرات وارقام، مصدر سابق ،ص ٤٥ ـ ٤٦ .

ويجرى الان تنفيذ سد دهوك ، كما انجزت اجزاء مهمة في مشاريع ري الخالص وكركوك و (حله – ديوانية) والدجيلة والدلمج والدوز وابو غريب والرمادي والاسحاقي ، وتم انجاز المرحلة الأولى من المصب العام لنهري دجلة والفرات والذي يعتبر من اكبر المبازل الرئيسية ويخدم مساحة قدرها ٦ مليون دونم من الاراضي الزراعية الواقعة بين النهرين . ويبلغ طول المرحلة الأولى التي تم انجازها (١٥٦) كم . اما المرحلة التالية التي بوشر بانجازها فيبلغ طولها ١٧٢ كم .

بالاضافة الى ذلك فقد تم انشاء سبعة نواظم على نهر دجلة في محافظة ميسان وسبعة نواظم اخرى على شطي الحلة والدغارة وبوشر بتنفيذ سدة الفلوجة (١) .

ووضعت خطة عمل لتطبيق الاساليب الحديثة الالية في الري ولا سيما في المناطق الديمية ،وقد انجزت في ضوء هذه الخطة مشاريع للري بالرش تغطي مساحة قدرها (٣٥٩٠٢) دونماً، ومشاريع للري بالتنقيط تغطي مساحة قدرها (١٨١١) دونماً (٢).

اسصلاح الاراضي

أولت الثورة اهتماماً واضحاً لعمليات استصلاح التربة، وانفقت استثمارات كبيرة في هذا المجال ، وبينما لم تتجاوز المساحة الاجمالية للاراضي المستصلحة المسلمة إلى الجهات المستفيدة ٢٨ ألف دونم لغاية ١٩٧٤، بلغت هذه المساحة بحدود مليون دونم في نهاية عام ١٩٨٣ .

أما بالنسبة لنفقات الاستثمار فقد ارتفعت من ٨ آلاف دينار عام ١٩٧٩ الى ١٤٣ألف دينار عام ١٩٨٣ (٣).

الأسمدة الكيمياوية

قامت الدولة بتأمين الخدمات الضرورية للانتاج الزراعي والمتمثلة بالاسمدة الكيمياوية فقد تم تجهيز حوالي (٢٤٦) ألف طن من الاسمدة الكيمياوية الى مختلف القطاعات الانتاجية في الزراعة مقارنة بـ(٣٠) ألف طن عام ١٩٦٨ (٤) .

---

(١) التقرير المركزي التاسع، مصدر سابق ،ص ١٤١.

(٢) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية – مؤشرات وارقام، مصدر سابق ،ص ٤٧.

(٣) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق ،ص ٨٥.

(٤) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية – مؤشرات وارقام ،مصدر سابق ،ص ٤٧.

التسليف

قدمت الدولة من جهة أخرى دعماً مالياً كبيراً للفلاحين لمساعدتهم على زراعة أراضيهم وتطوير مشاريعهم الانتاجية وتمكينهم من استخدام المكننة ، وقد لعب المصرف الزراعي التعاوني دوراً مهماً في هذا المجال عن طريق القروض المسلفة من قبله للفلاحين، فقد أرتفع حجم القروض المقدمة من قبل المصرف الزراعي للفلاحين من ١,٩ مليون دينار في عام ١٩٦٨ الى ٢٣,٣ مليون دينار عام ١٩٨٣ (١) ، وقد أقترن ذلك بزيادة رأس مال المصرف المذكور من (١٠) مليون دينار في ١٩٦٨ الى (٣٠٠) مليون دينار في ١٩٨١ (٢) .-

الثروة الحيوانية

يحتل العراق المركز الاول بين البلدان العربية كافة بالنسبة لعدد الاغنام وبين البلدان العربية في القارة الاسيوية بالنسبة لعدد الابقار والجاموس والخيل ، وتشكل الثروة الحيوانية ركناً اساسياً في القطاع الزراعي ، اذ بلغ مقدار ما ساهم به القطاع الزراعي عام ١٩٧٥ وبالاسعار الجارية ما مقداره (٢٩٧,٢) مليون دينار من مجمل الناتج المحلي الاجمالي أرتفعت الى (٥١٦,١) مليون دينار عام ١٩٧٨ .

لذا فان الثروة الحيوانية تعتبر مصدراً مهماً من مصادر الدخل القومي الزراعي .

كما تلعب المنتجات الحيوانية دوراً مهماً بالنسبة لتجارة العراق الخارجية . وقد نالت الثروة الحيوانية اهتماماً خاصاً من قبل الدولة وخاصة في السنوات الاخيرة تمثلت في قيامها بانشاء العديد من المشاريع ،والتي يمكن اجمالها بما يلي : —

١ — تم انشاء (١٨) مشروعاً لتربية وتسمين الحملان والعجول .

٢ — انشأت (٨) محطات كبرى لتربية ابقار الحليب ومحطة لتربية الجاموس،وتبلغ طاقة كل محطة تربية (٨٠٠) بقرة حلوب من النوع الممتاز وتبلغ الطاقة الانتاجية لكل محطة (٣٥٠٠) طن حليب سنوياً.

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٨٥.

(٢) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق ،ص١٤١.

(٣) السامرائي .سعيد عبود. الاقتصاد العراقي الحديث ، مصدر سابق ،ص١٤٨.

٣ — تم انشاء مجزرة بغداد العصرية بطاقة جزر يومية قدرها (٥) الاف رأس من الاغنام والماعز و(٥٥٠) رأس بقر وجاموس، وهناك خمس مجازر عصرية قيد التنفيذ في المحافظات تبلغ طاقة كل منها جزر (٣٠٠٠) رأس من الاغنام والماعز و(٢٥٠) رأساً من الابقار والجاموس يومياً.

٤ — تم انشاء (١٨) معملاً للعلف موزعة على محافظات القطر بطاقة كلية مقدارها (٥٧١) ألف طن سنوياً.

٥ — بلغ انتاج بيض المائدة في مشاريع المؤسسة العامة للانتاج الحيواني (٦٨٧,٤) مليون بيضة في عام ١٩٨٣، في حين بلغ انتاج بيض التفقيس (٩٠,٢) مليون بيضة، أما انتاج بيض دجاج اللحم فقد بلغ (٨,٤) مليون بيضة.

٦ — ومن اجل تشجيع انتاج بيض المائدة فقد تم منح (٦١٠) اجازة لحقول دجاج البيض بطاقة مقدارها (٥) مليون دجاجة، وقدمت لهم التسهيلات المالية المطلوبة.

٧ — تشجيع النشاط الخاص لانشاء احواض تربية الاسماك بمساحة بلغت (٨٤٠٥) دونم وفرت لها مستلزمات الانتاج والتسويق.

٨ — بلغ انتاج العلف المركز (٤٦٠) الف طن في معمل معامل العلف الموزعة على كافة محافظات القطر (١).

البيوت البلاستيكية والزجاجية

ادخلت الطرق الحديثة في الزراعة على نطاق واسع واستخدمت الزراعة المغطاة وانشأت البيوت البلاستيكية، التي بلغ عددها (٥٢٨) بيتاً في عام ١٩٨٣، كما انشأت البيوت الزجاجية والتي بلغ عددها لنفس العام (٤٣) بيتاً وقد انتجت هذه البيوت مجتمعة (١٩٠٥) طن من المنتجات الزراعية.

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية — مؤشرات وارقام، مصدر سابق، ص٤٨.

سادساً التنمية الصناعية :

ركزت الثورة منذ البداية على القطاع الصناعي واولته اهمية خاصة بهدف بناء صناعة وطنية واسعة ومتطورة تساهم في تعزيز البناء الاشتراكي لقطرنا وتقييم الاسس الموضوعية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي.

ويمكن اجمال ابرز المؤشرات الاساسية الخاصة لنمو هذا القطاع وتطوره بالاتي: —

١ — زيادة الاستثمارات التي ارصدت للقطاع الصناعي في خطط التنمية القومية حيث بلغت الاستثمارات المصروفة فعلا في قطاع الصناعة (٤, ٣٦٥) مليون دينار خلال الفترة (١٩٦٨ — ١٩٧٤) وبمعدل زيادة سنوية قدرها (٧, ٦٠٪) ارتفعت الى (٣, ٥٧٣٥) مليون دينار للفترة (١٩٧٥ — ١٩٨٣) وبمعدل زيادة قدرها (٩, ١٠٪) (١) .

٢ — دخلت الدولة ميادين عديدة في الصناعة لم يشهدها العراق من قبل كصناعة الحديد والصلب والصناعات الهندسية والكهربائية ، بالاضافة الى الصناعة الاستخراجية كالفوسفات والكبريت ، كما تم توسيع الصناعات القائمة قبل الثورة .

٣ — حققت الصناعة التحويلية تطوراً واضحاً ، حيث ارتفعت قيمة الانتاج بالاسعار الجارية من (٥, ٢٦٦) مليون دينار عام ١٩٦٨ الى (٤, ٥٩٤) مليون دينار عام ١٩٧٤ الى (٧, ٢١٧٢) مليون دينار عام ١٩٨٢ وبمعدل نمو بلغ ٣, ١٤٪ للفترة ١٩٦٨ — ١٩٧٤ و (٢, ١٥٪) للفترة ١٩٧٥ — ١٩٨٢ .

٤ — ارتفع الناتج المحلي للقطاع الصناعي التحويلي بالاسعار الجارية من (٦, ٩٤) مليون دينار عام ١٩٦٨ الى (٨, ١٨٧) مليون دينار عام ١٩٧٤ الى (١, ٨٧٥) مليون دينار عام ١٩٨٢ وبمعدل نمو (١, ١٢٪) للفترة الاولى و (٣, ١٨٪) للفترة الثانية ، بينما ارتفع تكوين رأس المال الثابت في هذا القطاع من (٤, ٣٦) مليون دينار عام ١٩٦٨ الى (٧, ١٢٣) مليون دينار عام ١٩٧٤ الى (٧, ٦٨٦) مليون دينار عام ١٩٨٢ وبمعدل نمو بلغ (٦, ٢٢٪) للفترة الاولى و (١, ١٦٪) للفترة الثانية (٢) .

٥ — ان استراتيجية التنمية الصناعية في العراق تؤكد على الدور القيادي للقطاع الاشتراكي في عملية التنمية الصناعية . فقد خصصت لهذا القطاع الاستثمارات الضخمة حيث وفرت الدولة للقطاع الاشتراكي كل امكانات النمو والتطور . وفعلا ازداد الحجم

---

(١) وزارة التخطيط . التخطيط والتنمية — مؤشرات وارقام ، مصدر سابق ، ص٥٣ .

(٢) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع ، مصدر سابق ، ص١٣٤ .

المطلق والوزن النسبي لهذا القطاع في الصناعة حيث ازداد اجمالي تكوين رأس المال الثابت (بالاسعار الجارية) في هذا القطاع من (٤, ٢٢٦٤) مليون دينار عام ١٩٧٩ الى (٢, ٤٢٨٣) مليون دينار عام ١٩٨٢ (١) . وتطبيقاً لستراتيجية التصنيع الهادفة الى توسيع القطاع الأشتراكي وجعله قطاعاً قائداً فقد توسع القطاع الصناعي الاشتراكي ، واحتل مكانة رائدة في مجمل النشاط الصناعي في القطر ، فارتفعت الاهمية النسبية لقيمة الانتاج للقطاع الصناعي التحويلي الاشتراكي من (٧, ٣١٪) عام ١٩٦٨ الى (٣, ٣٩٪) عام ١٩٧٤ الى ٥٢٪ عام ١٩٨٢ ، وبالنسبة للناتج المحلي ارتفعت من (١, ٤٧٪) الى (٢, ٥٩٪) للسنوات نفسها .

وارتفعت الاهمية النسبية لحصة القطاع الاشتراكي للصناعة التحويلية في تكوين رأس المال الثابت من (٤, ٥٠٪) الى (٦, ٩٧٪) ، الى (٥, ٩٥٪) للسنوات ذاتها .

وعليه فان مجمل نشاطات القطاع الصناعي الاشتراكي تكاد تنحصر في الصناعات الانتاجية والثقيلة وقسم كبير من الصناعات الوسيطة المهمة بالقطاع الاشتراكي نظراً لأهميتها بالنسبة للاقتصاد الوطني ولضخامة رؤوس الاموال المستثمرة فيها .

٦ — اما بالنسبة للاجور في القطاع الصناعي التحويلي الاشتراكي فقد ارتفعت هي الاخرى ارتفاعاً كبيراً ، يعكس درجة الاهتمام التي اولتها الثورة لرفع مستوى معيشة عمال القطاع الاشتراكي وزيادة قدرتهم الشرائية ، حيث ارتفعت الاهمية النسبية للاجور في القطاع الاشتراكي الى اجمالي الاجور في القطاع الصناعي من ٦, ٥٦٪ عام ١٩٦٨ الى (٣, ٥٩٪) عام ١٩٧٤ الى (٩, ٧١٪) عام ١٩٨١ ، وارتفعت مقابل ذلك الاهمية النسبية لعدد العاملين في هذا القطاع من (٥, ٤٧٪) الى (٥, ٦٩٪) الى (٧٨٪) للفترات نفسها وعلى التوالي وفيما يتعلق بالمنشآت الكبيرة فقط (٢) .

٧ — اولت الثورة اهتماماً واضحاً للقطاع المختلط ، ووفرت له ظروف التطور والازدهار في اطار ضوابط محددة تجعله يعزز مسيرة البناء الاشتراكي ويدعم خطط التنمية ويسرع وتائر التقدم في القطر .

وضمن هذا الاطار ازداد عدد شركات القطاع المختلط ليصل الى (١٣) شركة يبلغ مجموع رأس المال الاسمي لها (٧٤) مليون دينار ومجموع رأس المال المدفوع حوالي (٦١) .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق ،ص١٢٢.

(٢) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق ،ص١٣٤.

مليون دينار . وتبلغ مساهمة المصرف الصناعي في هذه الشركات (٢٣٨, ١٩) مليون دينار اي بنسبة (٣١٪) ، اما مساهمة القطاع الاشتراكي وبضمنه المصرف فتبلغ (١٤٧, ٣٧)؟ ، مليون دينار وتمثل (٦١٪) وحققت هذه الشركات مبيعات قدرها (٢٩١, ١٤٧) مليون دينار خلال عام ١٩٨٣ مقابل (٨٤١, ٧) مليون دينار عام ١٩٧٤ ، اما الأرباح الأجمالية لهذه الشركات فقد بلغت (٦٤٧, ٢٦) مليون دينار في عام ١٩٨٣ مقارنة بـ (٧٦٠, ١) مليون دينار عام ١٩٧٤ (١) .

٨ — ورغم الاهتمام الكبير الذي توليه الدولة للقطاع الاشتراكي فانها لم تسد الطريق امام القطاع الخاص بل على العكس عمدت الى تطوير هذا القطاع وتمكينه من ان يلعب دوره في عملية التنمية وفقاً لاهداف القيادة السياسية واستراتيجية التنمية القومية ، ولهذا دأبت الدولة على تقديم كل اشكال العون لهذا القطاع ، عن طريق منحه القروض بشروط سهلة ومريحة للقيام بهذه المشاريع ضمن الاطار العام لخطة التنمية القومية وفي ضوء الحاجة المحلية لمثل هذه الصناعات .

وانعكاساً لهذا الدعم والتشجيع حدث تطور كبير وسريع في نشاط القطاع الصناعي الخاص حيث ازدادت مبالغ الاستثمارات الصافية في هذا القطاع من (٨, ٤٤٩) مليون دينار عام ١٩٧٩ الى (٣, ١٠٩١) مليون دينار عام ١٩٨٢ (٢) .

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية — مؤشرات وارقام، مصدر سابق ،ص ٥٥.
(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق ،ص١٢٢.

سابعاً – النقل والمواصلات

اولى القطر العراقي اهتماماً متزايداً لتنمية قطاع النقل والمواصلات . وتركز هذا الأهتمام على شبكة النقل البري من طرق وسكك حديد وعلى النقل الجوي والنقل البحري . وانعكس هذا الاهتمام في الاستثمارات العالية التي خصصت في الخطط الاقتصادية للقطاع ، فقد بلغت حصة قطاع النقل والمواصلات من مجموع حجم الاستثمارات (٢١٩٢٦٨) الف دينار خلال خطة التنمية القومية (١٩٧٠ – ١٩٧٤) ارتفعت الى (٨٠٩٠١٥) الف دينار في الخطة السنوية لعام ١٩٨٣ (١) . وقد ارتفعت قيمة الانتاج في هذا القطاع من (٨, ١١٠) مليون دينار عام ١٩٦٨ الى (٦, ١١١٠) مليون عام ١٩٨١ وبمعدل نمو بلغ (١, ١١) للفترة ١٩٦٨ – ١٩٧٤ و ٤, ٢٦ للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨١ (٢) . فحققت الثورة منجزات كبيرة وعميقة في قطاع النقل والمواصلات ، واصبح للقطاع الاشتراكي دور بارز ومهم فيه داخل القطر وخارجه ، اذ وفرت المستلزمات الضرورية لرفع مستوى الاداء والقضاء على الاختناقات التي كانت تعيق التنمية الطموحة ، وفيما يلي ابرز ماحققه هذا القطاع من تطور.

الطرق البرية :

ازدادت اطوال شبكة الطرق المبلطة من (٤٥٠٠) كم عام ١٩٦٨ الى (١٩٤١٢) كم عام ١٩٨٣ باصنافها العديدة ، ويمكن متابعة التقدم والقفزات التي حصلت ضمن هذا المضمار خلال السنوات العشرة الاخيرة من خلال الجدول التالي : (٢)

ان نظرة سريعة إلى احصائيات الطرق البرية في العراق ترينا ان اطوال الطرق المبلطة تبليطاً حديثاً قد اخذ يزداد باستمرار في السنوات الاخيرة وكذلك الطرق الترابية وتحت الانشاء ، فقد ازداد طول الطرق الاولى من (٦٦١٠) كم إلى (١٨٨٠٢) كم خلال الفترة ١٩٧٧ – ١٩٨٣ ، فيما ازداد طول الطرق الثانية من (٧٧٤٣) كم إلى (٩٩٦٠) كم ، لنفس الفترة الزمنية اما الطرق المبلطة تبليطاً قديماً فقد اخذت تتلاشى تدريجياً اذ انخفض طولها من (٧٧٠) كم في عام ١٩٧٧ إلى (٦١٠) كم في عام ١٩٨٣(٣) .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٢٩.
(٢) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق ،ص١٠٣.
(٣) وزارة التخطيط، المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٧٢.

الا طوال المنجزة بالكيلومترات(١)

صنف الطريق	سنة ١٩٧٥	سنة ١٩٧٦	سنة ١٩٧٧	سنة ١٩٧٨	سنة ١٩٧٩	سنة ١٩٨٠	سنة ١٩٨١	سنة ١٩٨٢	سنة ١٩٨٣	سنة ١٩٨٤
طرق المرور السريع	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٢٣٠
طرق رئيسية وثانوية	٤٢٥٠	٦٦٠	٢٠٠	٣٨٠	٣٧٠	٦٦٠	٥٣٤	٢٨٨	٥٢٨	٢٧٧٥
طرق شمالية ثانوية	١٠٠	٢١٠	١٦٠	٣٧٠	٨٠٣	٦٣٦	٣٧٤	٣٦٢	٢٢٨	١٦٥٥
طرق ريفية محلية زراعية حدودية وطرق المجهود الحربي	—	٢٠٠	—	٩٠	٣٩٦	٢٤١٩	٢٠١٧	٢٦٦٠	٢٠٧٦	
ممرات تابعة للطرق الرئيسية	—	٩٥	١٥	١٣٠	١٠٨	٦٨	١٢٧	٢٩٦	٥٥	١٢٦٢
تحسينات على الطرق الرئيسية الحالية	—	٢٩٠	١٦٠	١٥٠	١١٣	٢٣٦	—	—	—	—
الجسور (عدد)	—	—	٢	٣	٥	٣	٨	١٠	٣	٢١

(١) وزارة التخطيط ، التخطيط والتنمية – مؤشرات وارقام ، مصدر سابق ، ص ٧٦ .

النقـل البـري

لم يكن للقطاع الاشتراكي أي دور في هذا النشاط قبل الثورة الا انه بـدأ يلعب دوراً مهماً في هذا المجال خلال السنوات الاخيرة . تتمثل في انشاء مؤسسة النقل البري حيث بلغ وزن البضائع المنقولة عن طريقها (٢, ٢٩) مليون طن خلال الفترة (١٩٧٥ — ١٩٨١) وعدد المسافرين (٥, ٩) مليون مسافر ، وتـم نقل ٢٦٩ مليون راكب في عام ١٩٨٢ فقط مقارنة بـ (١٨٠) مليون في عام ١٩٧٢ وتطـورت خدمات نقل الركاب سواء من حيث توسيع خطوط النقل داخل المدن او من حيث عدد السيارات ، وقـد ارتفع عدد الركاب في مدينة بغداد وحدهـا من ١, ١ مليار راكب خلال الفترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ إلى (٨٥٤, ١) مليار راكب خلال الفترة (١٩٧٥ ـ ١٩٨١) .

اما وسائط النقل الاهلية في القطر فقد ازداد عددها اكثر من ثلاثة اضعـاف حيـث كان عددها (١٠٢) الف واسطة سنة ١٩٦٨ ازداد في بداية عـام ١٩٨٣ إلى (٦٣١) الـف واسطة .

السكك الحديد :

تم تحسين وتطوير شبكات السكك الحديد وادخلت الاساليب التكنولوجية الحديثـة كنظم الاشارة الاوتوماتيكية والنظم الآلية في صيانة خطوط السكك الحديد وازدادت طاقة نقل المسافرين والبضائع من خلال توفر القاطرات وعربات المسافريـن الحديثة والشاحنات بمختلف انواعها .

فقد ازداد عدد المسافرين المنقولين بواسطة السكك الحديد من (١٩,٦) مليون مسافر خلال الفترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ الى (٢٣,٦) مليون مسافر خلال الفترة (١٩٧٥ — ١٩٨١) كما ازدادت كمية البضائع والسلع المنقولة من (٢٨,٣) مليون طن الى (٣٧,٧) مليون طن خلال الفترة المذكورة (١) .

اما بالنسبة لاطوال خطوط السكك الحديد فقد ازدادت من(١٥٧٠) كم في ١٩٨١ الى (١٧٢٧) كم في ١٩٨٣ منها (١٢٨٦) كم للخطوط القياسية والباقي ومجموع اطوالهـا (٤٤١) كم للخطوط المترية لعام ١٩٨٣ (٢) ..

---

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٧٨.

الطيران المدني والنقل الجوي :

تطور هذا النشاط بشكل ملحوظ حيث ارتفع عدد المسافرين من (١,٣) مليون مسافر خلال الفترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ الى (٤,٤) مليون مسافر خلال الفترة ١٩٧٥ ـ ـ ١٩٨١ ووصل الى (٤,٩) مليون مسافر في عام ١٩٨٣ (١) .

اما بالنسبة للبضائع المنقولة بواسطة الخطوط الجوية العراقية فقد ارتفعت من ٨,٣ الف طن الى ٧٣,٨ الف طن خلال الفترة نفسها .

وقد تم خلال فترة مابعد الثورة انجاز مطار بغداد الدولي ومطار صدام الدولي ويجري العمل الان في تنفيذ واعداد التصاميم لعدد من المطارات في بعض المحافظات بهدف التوسع في النقل الجوي الداخلي .

وتمتلك الخطوط الجوية العراقية اسطولا من احدث الطائرات ووفرت له ارقى الخدمات الحديثة والكوادر الفنية الوطنية عالية المستوى .

النقل المائي والموانيء :

استطاع القطر خلال سنوات السبعينات من تنفيذ توسيع وتطوير الموانيء العراقية وانشاء موانيء جديدة كميناء البكر ، وقد تجلى التوسيع في هذا المجال بوضوح بعد عام ١٩٧٣ عندما زادت صادرات القطر واستيراداته بصورة ملحوظة فخططت لاستيعاب تلك الزيادة والزيادة المتوقعة في المستقبل وعلى المدى البعيد ، حيث ارتفع حجم النقل ، بواسطة البواخر المنقولة عبر الموانيء العراقية من (١٤,٥) مليون طن خلال الفترة (١٩٦٨ ١٩٧٤) الى (٢٤,١) مليون طن خلال الفترة (١٩٧٥ ـ ١٩٧٩) ، وقد تم خلال فترة مابعد الثورة انجاز (٩) ارصفة مخصصة لتصدير المواد الصناعية في خور الزبير (للكبريت والحديد والبتروكيمياويات) وقد جرى العمل على تنفيذ عشرة ارصفة تجارية في ام قصر .

المواصلات السلكية واللاسلكية :

تطورت وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية في العراق تطورا ملموسا فتم تأمين احدث واسرع وسائل الاتصال الهاتفي بين المدن الرئيسية من خلال شبكة المايكروويف كما تم تأمين وسائل اتصال ممتازة بين العراق والعالم الخارجي من خلال الاقمار الصناعية واجهزة التلكس ، وبذلك تم تجاوز الكثير من عناصر الضعف والتخلف التي كانت سائدة في هذا الميدان قبل الثورة .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق،ص ١٨٠.

لقد حظي هذا المرفق باهتمام واضح من قبل قيادة الحزب والثورة وارصدت لـه المبالغ اللازمة لتطوير وسائله ومنشآته ، حيث ارتفع الانفاق الاستثماري على المواصلات السلكية واللاسلكية من ١٣,٥ مليون خلال الفترة ١٩٦٨ – ١٩٧٤ الى ١٨٠,٩ مليـون للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨١ ، وصاحب هذا الارتفاع في الانفاق الاستثماري نمو خدمات المواصلات السلكية واللاسلكية بانواعها المختلفة ، فارتفع عدد البدالات الطوعية من ٢٢ بدالة عام ١٩٦٨ الى (٥٠) بدالة عام ١٩٨١ ، ونمت سعة البدالات بالرقم من ٧٦ الـف رقم الى ٣٥٠ الف رقم للسنوات نفسها ، وبذلك ارتفعت الكثافة الهاتفية (هاتف لكـل ١٠٠ شخص) من ٠,٧ عام ١٩٦٨ الى (٣) عام ١٩٨١ . اما الخدمات البريدية فقد تطورت هي الاخرى من ١١٠ مليون مراسلة بريدية عام ١٩٦٨ الى ٢٠٠ مليون عام ١٩٨١ ، بينما ارتفعت الخدمات البرقية من ١,١ مليون برقية الى ٣ مليون برقية ، وارتفعت ، خدمات التوفير من ١٤٠ الف مشترك الى ٢٧٠ الف مشترك للسنوات نفسها .

هذا بالاضافة الى ان الثورة قد انجزت عدد من المشاريع الحيوية التي اسهمـت في تطوير قطاع المواصـلات السلكية واللاسلكية ، ومن هـذه المشاريع ، ثلاثة مشاريع للكابل المحوري الاول الشرقي (بسعة ٩٦٠ قناة لربط بدالات محافظة ديالى مع بدالات القطر بصورة طوعية) والثاني الجنوبي (بسعة ١٢٦٠ قناة لربط بدالات المحافظات الجنوبية مع بدالات القطر) والثالث الشمالي (بسعة ٩٦٠ قناة لربط بدالات المحافظات الشماليـة مع بدالات القطر) وانجزت مشاريع عشر بدالات طوعية بسعة ٦٠ الف خط مع مستلزماتها التكميلية في بغداد وعدد من المحافظات .

وعلى صعيد تطوير اتصالات القطر بالخارج ، انجز مشروع المحطة الارضية والبدالة الدولية بسعة (٢٠٤) قناة لربط العراق هاتفيا مع عدد كبير من دول العالم ، وانجزت بدالة التلكس الالكترونية بسعة (١٤٦٢) خطا . وانجز مشروع مايكروويف العراق – سوريا ، والعراق – الكويت بسعة ١٢٠ قناة ، وتوفرت امكانية النقل التلفزيوني مع العالم الخارجي عن طريق الاقمار الصناعية (١) .

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع ، مصدر سابق، ص ١٠٤ – ١٠٥.

البث الأذاعي والتلفزيوني :

لقد كان من الاهداف الرئيسية للخطة الخمسية الحالية في مجال الاذاعة والتلفزيون استكمال التغطية الاذاعية والتلفزيونية داخل القطر ، وتحسين البث الاذاعي الخارجي وتلافي العجز في وسائل الانتاج الاذاعي والتلفزيوني ، وبحلول عام ١٩٨٤ فقد تحققت هذه الاهداف الى حد كبير حيث انجزت محطات التقوية الاذاعية الرئيسية على الموجة المتوسطة في كل من بغداد ونينوى والرطبة والناصرية وبهذا اصبح جميع القطر مغطى ببرنامجين اذاعيين .

وعلى صعيد البث إلى العالم الخارجي فقد اعيد توجيه اذاعة البصرة لتخدم مناطق الخليج العربي وبدأت محطة الاذاعة القومية في التنفيذ ببث براجها الى البلاد العربية(الموجة المتوسطة) وكذلك بدأت محطة مرسلات صلاح الدين في بلد في البث التجريبي الى اقطار العالم المختلفة على الموجة القصيرة وبذلك اصبح من الميسور سماع الاذاعة العراقية لاول مرة في الامريكتين وآسيا واوربا وشمال افريقيا .

اما على صعيد البث التلفزيوني فان القطر مغطى حالياً ببرنامجين تلفزيونيين اضافة الى البرامج المحلية الاخرى التي تبث في مناطق الحكم الذاتي ، وقد توسع البث في المناطق الحدودية من القطر فشمل اقطاراً مجاورة مثل سوريا وايران وتركيا والكويت ، وتوغل التلفزيون في عمق الصحراء الجنوبية الغربية باستخدام الطاقة الشمسية لنقل البرامج إلى قضاء السلمان وناحية الشبجة .

اما على صعيد الانتاج الاذاعي والتلفزيوني ، فقد تم انجاز وتشغيل مشاريع مجمعات الاذاعة والتلفزيون في كل من بغداد ونينوى والتأميم والبصرة والتي شملت كافة المستلزمات الرئيسية المتطورة لانتاج كافة البرامج الاذاعية والتلفزيونية الملونة .

ثامنا ــ التطور التجاري :

شهدت التجارة تطوراً واسعاً بعد قيام الثورة على الصعيدين الخارجي والداخلي كما تم الربط بين هذا القطاع والقطاعات الاخرى لتحقيق اهداف التنمية .

وبعد المؤتمر القطري الثامن حدث توسع كبير في رقعة القطاع الاشتراكي في ميدان التجارة، وتمثل هذا باتساع النشاط الاشتراكي ذاتياً بحكم الزيادات الكبيرة في الدخل الوطني ، وازدياد الحاجة إلى الاستيراد سواء لاغراض خطط التنمية الكبيرة او لاغراض الاستهلاك المتزايد والمتطور ، اضافة إلى زيادة نسبة نشاط القطاع الاشتراكي في هذا الميدان .

وقد تم تخطيط الاستيراد خلال سنوات الثورة وفق مناهج استيراد سنوية وبلغ المنهاج الاستيرادي لسنة ١٩٨٢ (٤٤٢٩,٧) مليون دينار أي بزيادة (٣) اضعاف عن عام ١٩٧٥ (١) .

ويمكن ان نستعرض بايجاز اهم التطورات بما يلي : ــ

اولا ــ التجارة الخارجية :

كانت القفزة كبيرة في هذا الميدان سواء في الحجم او المكونات للسلع المصدرة والمستوردة فقد ارتفعت اقيامها (١٩) ضعفاً عما كانت عليه في عام ١٩٦٨ ، ولعب القطاع الاشتراكي دوراً قيادياً ومؤثراً في هذا الميدان .

وقد طرأ تحول نوعي على منهاج الاستيراد بعد ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، حيث جرى توسيع نطاق مساهمة القطاع العام التجاري في عمليات الاستيراد وتقليص ومنع استيراد المواد غير الضرورية وحماية الصناعة الوطنية بقصد رفع كفاءتها ، واقتصر الاستيراد من قبل القطاع الخاص على الاشخاص الذين يزاولون العمل التجاري فعلاً. كما تم تخويل المؤسسات الانتاجية والزراعية الصلاحيات اللازمة للتحرك ضمن التخصيصات المقررة . كما تميزت الفترة اللاحقة بتحول لصالح السلع الانتاجية التي تتطلبها عملية التنمية الاقتصادية للقطر .

---

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية. مؤشرات وارقام، مصدر سابق ،ص ٨٣.

١ ـ الأستيرادات :

يتميز تركيب الاستيرادات في القطر بالتنوع الشديد من حيث احتوائه لمختلف انواع السلع المستوردة سواء كانت سلعاً استهلاكية او وسيطة او انتاجية كما يتميز باستمرار تنامي معدلاته باتجاهات متصاعدة نتيجة للتوسع الكبير في احتياجات القطر ، بالاضافة إلى النمو النوعي في التنمية الاستثمارية الجارية في القطر وضخامة استيعابها للسلع الرأسمالية والوسيطة التي يفتقر اليها القطر .

فتم توجيه هذا النشاط لتلبية احتياجات الطلب المحلي على السلع الاستهلاكية ولتوفير مستلزمات الاستثمار والتشغيل للمشاريع التنموية التي تنفذ في القطر على نطاق واسع لم يسبق له مثيل من قبل .

وتعكس الزيادات الكبيرة للتخصصات المرصدة لمناهج الاستيراد مقدار التطور الذي بلغته التجارة الخارجية في اطار الاقتصاد الوطني ، كما تعكس حجم المتجزات النوعية الكبيرة التي تحققت في مجالات التنمية وارتفاع مستوى معيشة المواطنين ، فقد ارتفعت تخصيصات منهاج الاستيراد من (١٨٠٥,١) مليون دينار عام ١٩٧٤ الى (٥٥٢٣,٤) مليون دينار عام ١٩٨١ (١) .

وازدادت اقيام السلع المستوردة من (١٤٤) مليون دينار سنة ١٩٦٨ إلى (٢٣٣٤) مليون دينار عام ١٩٨١ والى (٢٩٤٢) مليون دينار عام ١٩٨٢ (٢) . اي مايزيد (١٦) ضعفاً عما كانت عليه .

ولقد ارتفعت نسبة السلع الرأسمالية والوسيطة في مناهج الاستيراد ارتفاعاً واضحاً بسبب ازدياد الاستثمارات التنموية وتنامي حاجة المشاريع المختلفة إلى تلك السلع ، فقد شكلت السلع الرأسمالية ٦٤٪ من المجموع الكلي للاستيرادات . وبلغت نسبة السلع الرأسمالية والوسيطة معاً في مناهج الاستيراد ٧٩٪ عام ١٩٨١ ، مقارنة بـ٦٠,٧٪ عام ١٩٦٨ . يقابل ذلك انخفاض ملحوظ في نسبة السلع الاستهلاكية من ٣٩,٣٪ عام ١٩٦٨ الى ٢١٪ عام ١٩٨١ (٣) . وهذا بسبب تزايد قدرة الانتاج المحلي على تلبية جزء من الطلب المحلي على هذه المواد .

---

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٥٨.

(٣) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٤٤.

وتعكس هذه المؤشرات الدور الحيوي والفعال لمناهج الاستيراد في خدمة خطط التنمية وتلبية احتياجاتها من المكائن والمعدات والمواد الخام والوسيطة .

وقد اقترن هذا التغير النوعي في بنية الاستيراد بتطور مماثل بقطاع تجارة الجملة والمفرد من ناحية قيمة الانتاج والناتج المحلي الاجمالي فحقق هذا القطاع بالنسبة لقيمة الانتاج ارتفاعاً ملحوظاً من ١١٣ مليون دينار عام ١٩٦٨ إلى (١٢٥٧,٥) مليون عام ١٩٨١ ، وبمعدل نمو (١١,١) للفترة ١٩٦٨ — ١٩٧٤ و٢٧,٨ للفترة ١٩٧٥ — ١٩٨١ . اما بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي فارتفع من ٨٦,٩ مليون دينار عام ١٩٦٨ الى (٨٥١,٢) مليون عام ١٩٨١ ، وبمعدل نمو بلغ ١١,٧ للفترة ١٩٦٨ — ١٩٧٤ و٢٦,٤ للفترة ١٩٧٥ — ١٩٨١ . واولت الثورة عناية خاصة لتمكين القطاع الاشتراكي من قيادة هذا النشاط الحيوي ووضعه في خدمة التنمية وبرامجها ، فبلغت الاهمية النسبية لمساهمة القطاع الاشتراكي في اجمالي الناتج المحلي للقطاع التجاري ١٢,٠٨٪ عام ١٩٦٨ و ٥٢,٣٪ عام ١٩٨١ ، وفي تكوين رأس المال الثابت بلغت مساهمة القطاع الاشتراكي ٥٧,٥٪ و٩٠,٣٪ للسنوات نفسها ، بينما تجاوز المخصص لهذا القطاع من اجمالي تخصيصات مناهج الاستيراد لـ٩٠٪ ، فبلغ ٩١,٤ عام ١٩٨١ (١) .

كما ارتفعت حصة القطاع التجاري الاشتراكي من ٤١٪ من اجمالي الاستيرادات في سنة ١٩٦٨ إلى (٨٣٪) من مجموعها في سنة ١٩٨٢ .

٢ — الصادرات :

تتألف صادرات العراق من مواد غذائية (كالتمور والحبوب ومنتجات المطاحن والدهن النباتي) ومواد اولية وتشتمل على صوف خام ، جلود ، عرق السوس علف وتين ، مواد نباتية للصباغة والدباغة وقار طبيعي(وكذلك من عدد قليل من الحيوانات الحية ومنتجات نفطية ، هذا بالاضافة الى مواد مصنوعة والتي تتضمن (زيوت المصابيح والكحول الأبيض نفتا ، زيت ابيض ، نفط اسود ، سمنت ، دبس ، تبغ ، سكاير) (٢) .

ويلاحظ ان صادرات المواد الغذائية وحيوانات حية ولحوم ومنتجات الالبان والفواكه تحتل حيزاً كبيراً في مجموع الصادرات وان اهميتها قد ازدادت في السنوات الاخيرة ، ولو ان ارقامها تتذبذب من سنة لاخرى فقد بلغ مجموع صادرات هذه المواد عام ١٩٨٢

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع ، مصدر سابق ص١٤٤ .

(٢) السامرائي، سعيد عبود، الاقتصاد العراقي الحديث، مصدر سابق ،ص٣٠٤.

(١٢,٧٧١) مليون دينار ، وتحتل فقرة المواد الخام غير الغذائية كالمطاط والورق والأسمدة والعجائن المرتبة الثانية في قائمة الصادرات المحلية ، فبلغ مجموع اقيام المصدر منهـا (٢,٠٠٣) مليون دينار للسنة الانفة الذكر ، ثم تحتل صادرات المواد الاخرى مجتمعة (٧٧٠) الف دينار اذ بلغت مجمل صادرات العراق لعام ١٩٨٢ (١٥,٥٤٤) مليون دينار (١) .

والخلاصة ان صادرات العراق (باستثناء النفط) قد حققت تطوراً محسوساً في اقيامها ، اذ لو قارنا صادرات العراق من هذه المواد قبل اربعة عشر عاماً لاحظنا مدى التطور الكبير في اقيام هذه الصادرات خلال هذه الفترة ففي عام ١٩٦٨ صدر العراق منتجات صناعيـة بقيمة ٤,٢ مليون دينار اي بنسبة ١٩,٨٪ من مجموع الصادرات المحلية لذلك العام البالغة ٢١,٤ مليون دينار ولاريب ان هذه الزيادة تعزى بالدرجة الاولى الى ظهور صناعـات جديدة في القطر اخذت منتجاتها تفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي مما شجع على تصديرها للخارج .

وعليه فان مجمل الصادرات غير النفطية قد ارتفعت قيمتها من ٢٢ مليون عام ١٩٦٨ الى ٧٣ مليون دينار عام ١٩٨١ (٢) .

ويعود السبب الرئيسي لتباطؤ نمو الصادرات العراقية الى ارتفاع الطلب النهائي المحلي منذ عام ١٩٧٤ بوتائر متصاعدة ، مما ادى الى ان يتجه الجزء الاكبر من الزيادة في الانتـاج الوطني الى تلبية الطلب المحلي بدلاً من التوجه للتصدير وقد شكلت السلع المصنعة وشبـه المصنعة ١٤,٧٪ من اجمالي الصادرات وارتفعت حصة القطاع الاشتراكي الى ٩٥,٦٪ من اجمالي الصادرات في سنة ١٩٨٠ .

ومن الممكن القول ان من العوامل التي تؤثر على الاهتمام بالتصدير في العراق هو الاعتماد بدرجة كبيرة على تصدير النفط الخام بحيث ان الايرادات المتأتية عن تصديره تكفي لسد حاجة القطر من العملات الاجنبية الضرورية لاستيراد السلع الرأسمالية وقسم من السلع الاستهلاكية والمواد الاولية .

وبالتالي فان زيادة الاهتمام بتصدير السلع غير النفطية وتنميتها لتكون كمصدر للعملات الاجنبية الضرورية قد لايكون كبيراً . اضافة الى ان زيادة ايرادات النفط كانت عاملا رئيسياً في زيادة الدخل القومي للفرد ، وبالتالي زيادة القوة الشرائية بحيث ادى ذلك الى تقليص الفوائض التي يمكن التخطيط لتصديرها الى الاسواق الخارجية .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق ،ص١٦٦.

(٢) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٤٥.

ثانياً ـ التجارة الداخلية : ـ

ركزت الجهود خلال الفترة الماضية لتنظيم وتطوير شبكة توزيع وبيع المواد الغذائية والاستهلاكية الضرورية والسلع الوسيطة .

وقد لعب القطاع الاشتراكي دوراً بارزاً في هذا المجال ، فصارت الدولة تبيع بصورة مباشرة الكثير من البضائع الاساسية والثانوية فضلا عن سيطرة الدولة على تسويق المنتجات الصناعية الوطنية والمنتجات الزراعية والحيوانية المستوردة والمنتجة وطنيا ، وخلال الفترة الماضية توسع القطاع الاشتراكي في اقامة المعارض والفروع التجارية واتاح الفرص لنمو عدد الوكلاء كمنافذ افقية لتوسيع شبكة التوزيع الداخلي ، فارتفع عدد المعارض من (٥٩) معرضاً عام ١٩٧٠ الى (١٧١) عام ١٩٧٤ ، وعاد فانخفض الى (١٢٢) عام ١٩٨١ . وهي معارض البيع المباشر للمواطنين ، ويأتي هذا الانخفاض في عدد الفروع انسجاماً مع توجيهات القيادة وبخاصة في السنتين الاخيرتين ، والتي تقضي بضرورة التركيز على توسيع الوكالات الممنوحة للمواطنين وعدم التوسع في المعارض ، مقابل زيادة عدد الاسواق المركزية والمجمعات الاستهلاكية التي بلغ عددها ١٦ سوقاً مركزياً عام ١٩٨١ .

هذا بينما بلغ عدد وكلاء القطاع التجاري الاشتراكي (١٢٦٥٩٢) اما فروع شركات القطاع التجاري فقد بلغت ١٢٣ فرعاً لنفس السنة (١) .

وقد ارتفعت مبيعات القطاع الاشتراكي من (٥٣٥) مليون دينار عام ١٩٧٥ الى (٢٣١٥) مليون دينار عام ١٩٨٢ (٢) .

وتم تطوير ودعم الجمعيات التعاونية وتوسيع خدماتها مع مراعاة التوزيع الجغرافي في ذلك فقد وصل عدد الجمعيات التعاونية الاستهلاكية في القطر الى ٨٠ جمعية عام ١٩٨٢ ، وبلغ عدد اعضائها (٢١٢٠٧٥) شخص (٣) . وقد ارتفعت مبيعاتها من (٥٢٧٢) الف دينار عام ١٩٧٥ الى (٤٥٦٣٨,٧) الف دينار عام ١٩٨٢ (٤) .

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٤٥.
(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٤٦.
(٣) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٤٨.
(٤) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٤٩.

الفصـل الثـانـي

التطورات الأجتماعية والثقافية ما بعد عام ١٩٦٨

التطورات الأجتماعية والثقافية :

ان عملية التغير والبناء ، والتقدم التي قادها الحزب منذ ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ هي عملية شاملة ومتطورة شملت كل ميادين الحياة ،فركزت الثورة على تطوير الخدمات العامة الاساسية كماً ونوعاً ، والتأكيد على مفهوم اجتماعي اشتراكي ، لتحقيق هدفان كبيران في آن واحد هما تطوير البلاد ورفع مستوى معيشة الجماهير في كافة الميادين ، مع ضبط ذلك بسياق اشتراكي يحمي المواطن من الاستغلال .

لذا سنتناول ابرز التحولات الاجتماعية والثقافية في القطر واهم مؤشراتها ودلالاتها في الفترة التي اعقبت ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ .

اولا – الثقافة والاعلام :

حظي هذا القطاع برعاية متميزة من قيادة الحزب والثورة لما له من اهمية في حياة الثورة والمجتمع ، كما حظي بمتابعتها المستمرة لسير تطوره وتوجيهها الدائم لتحسين اساليب عمله ، بل لقد تمتع هذا القطاع برعاية مباشرة من قبل الرئيس القائد صدام حسين ، لما له من اهمية في حياة الثورة والمجتمع ولما لدوره من تأثير مباشر على افكار المواطنين وتوجهاتهم .

وفي الواقع فان قطاع الثقافة والاعلام يعتبر من اكثر القطاعات الاجتماعية اتصالاً مباشراً بحياة الناس ، وببرامج الحزب والثورة وسياساتهما على مختلف الاصعدة . وكان ولا يزال اداة هامة من ادوات التعبئة الجماهيرية حول الحزب والثورة ووسيلة لنشر الثقافة بين صفوف الجماهير وتعميق وعيها السياسي وارتباطها النضالي بالاهداف القومية والوطنية وقد تحققت خلال سنوات الثورة تطورات مهمة في الاجهزة الاعلامية والثقافية وفي مختلف انشطتها وفنونها .

يمكن اجمال ابرز مجالات التطور بالآتي : —

١ — البث الأذاعي والتلفزيوني :

في مجال البث الاذاعي انشأت خلال الفترة ١٩٧٤ — ١٩٨١ اذاعات بابل ونينوى وعدد من الاستوديوهات والمرسلات الجديدة . وقد ترافق ذلك بزيادة قدرة البث الاذاعي على الموجة المتوسطة فارتفعت من (١٩٥٠) كيلو واط عام ١٩٧٤ بمعدل ٤,٥ واط لكل كم٢ من مساحة القطر الى (٧٠٥٠) كيلوواط عام ١٩٨١ وبمعدل ١٦,٤ واط لكل كم٢ واحد . وبذلك امكن ايصال البث الاذاعي الى كافة مناطق القطر وببرنامجين في آن واحد . فيما ارتفعت القدرة الكلية للبث لتغطية مناطق الوطن العربي وبعض مناطق العالم إلى (٣٢٠٠) كيلو واط عام ١٩٨١ ، وباكمال المشاريع المباشر بها والخاصة بتقوية البث على المستوى العربي والعالمي ، ستصبح القدرة الكلية للبث (١٢٣٠٠) كيلوواط .

اما في مجال البث التلفزيوني فقد ارتفع عدد المحطات من اربع عام ١٩٧٤ وهي محطات بغداد ونينوى والبصرة والتأميم الى (١٤) محطة عام ١٩٨١ . وهي بالاضافة الى ماذكر محطات ميسان والقائم وذي‌قار والنجف وام قصر وبذلك ارتفعت القدرة الكلية للارسال التلفزيوني من (٨٠) كيلوواط لكل انحاء القطر عام ١٩٨١ ، الى المستوى الذي يغطي كافة مناطق القطر بالارسال التلفزيوني ، كما اصبحت بعض المناطق في البلدان المجاورة مغطاة بالارسال التلفزيوني للعراق . وتوفرت امكانية النقل التلفزيوني مع العالم الخارجي عن طريق الاقمار الصناعية .

٢ — المطبوعات :

نشطت حركة توزيع المطبوعات العراقية نشاطا كبيرا ، فارتفع توزيعها من (٢٥)مليون نسخة عام ١٩٧٤ الى (٢٤٠) مليون نسخة عام ١٩٨١ ، كما بلغ عدد الكتب التي نشرت عن طريق وزارة الثقافة والاعلام (١٠٨٣) كتابا خلال الفترة ١٩٧٤ — ١٩٨١(١) . الى جانب ذلك ازدهرت بصورة مرضية ثقافة الاطفال حيث صدرت منذ عام ١٩٧٤ والى جانب مجلتي والمزمار سلسلة مكتبة الاطفال وسلسلة مكتبتنا وحققت نجاحا واضحا ورواجا جيدا .

---

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع ، مصدر سابق ، ص١٥٨.

٣ – الاثار والتراث :

لاول مرة يحظى العمل الاثاري بالاهتمام البارز في ظل الثورة ، فتمت المباشرة بمشاريع آثارية ضخمة لانقاذ التراث الحضاري وكشفه ، وخاصة مشروع انقاذ آثار سد حمرين وسد حديثة ومشروع احياء مدن بابل وآشور وسامراء ، كما تجري اعمال الحفر والتنقيب والصيانة في ١٧ مدينة آثارية اخرى ، وانجز اضافة لذلك عدد كبير من مشاريع الصيانة والمسح الاثاري ، كما يجري في الوقت نفسه بناء اثني عشر متحفاً آثارياً متخصصاً .

٤ – الاعلام الخارجي :

لقد ازداد عدد الدوائر الصحفية من سبع دوائر في عام ١٩٧٤ الى (٢١) دائرة في عام ١٩٨١ ، اضافة الى زيادة عدد المراكز الثقافية في الخارج من مركز واحد الى عشرة مراكز خلال نفس الفترة .

٥ – السينما والمسرح :

تحقق ازدهار واضح في فنون السينما والمسرح والفنون الشعبية حيث انتج (١٨) فلما روائيا و (٢٤٧) فلما وثائقيا و (١٣٣) عددا من الجريدة السينمائية و (٥٤) فيلما من صور المعركة و (٦) افلام عسكرية خلال الفترة ١٩٧٤ – ١٩٨١ . وبلغ عدد الفرق المسرحية سبع فرق قدمت (٦٩) مسرحية كما قدمت الفرقة القومية للفنون الشعبية عروضا جديدة داخل القطر وخارجه (١) .

ثانياً – المستوى المعاشي :

اولت قيادة الحزب والثورة اهمية خاصة لرفع المستوى المعاشي منذ عام ١٩٦٨ ، اذ كانت الثورة حريصة على زيادة المستوى المعاشي للمواطنين بصورة غير مباشرة من حيث تطوير الضمانات الاجتماعية والخدمات العامة وانتاج السلع الاستهلاكية وبيعها باسعار متلائمة مع الدخل القومي للشعب وبصورة مباشرة بزيادة المرتبات والاجور لكل قطاعات العاملين في الدولة فقد جرت زيادات متعددة في مرتبات القوات المسلحة ، والعمال ، بعضها في الذكرى الحادية عشرة لثورة شباط (١٩٧٤) حيث صدرت عدة قرارات

---

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٥٩.

لمجلس قيادة الثورة تقضي بزيادة رواتب القوات المسلحة والموظفين والعمال بمبلغ يتراوح بين (٩ ـ ١٩) دينارا ، وتخفيض الفوائد على قروض المصروف العقاري ورفع الحد الاعلى للسماح القانوني لضريبة الدخل ، وتخفيض اسعار عدد كبير من السلع والخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين كالغاز والنفط والدهون واسعار الماء والكهرباء مع شمول المناطق الريفية بنسب اعلى في تلك التخفيضات ، وصدرت قرارات اخرى عام ١٩٧٩. في الذكرى الحادية عشرة لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، وبموجبها منحت زيادات في مرتبات العسكريين وقوى الامن الداخلي والموظفين والعمال تراوحت بين ١٠ ـ ١٧,٥ دينارا وشملت الزيادة المتقاعدين ايضا ، وآخر القرارات الخاصة بزيادة القدرة الشرائية للمواطنين صدرت في الذكرى الثانية عشرة لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز (١٩٨٠) وبموجبها منحت زيادة لعموم العاملين في اجهزة الدولة من المدنيين والعسكريين والمتقاعدين بمقدار يتراوح بين (٢٠ ـ ٢٥) دينارا ، ومن ثم اصدر قانون يزيد بمعدلات خاصة حصة الاطفال ومساواة الابناء العراقيين للعمال والموظفين والعسكريين .

لذا فقد اقترن الارتفاع في معدل دخل الفرد العراقي برفع معدلات الاجور والرواتب للعاملين في اجهزة ومؤسسات الدولة ، فارتفع متوسط الراتب سنويا من (٤٩٢) دينارا عام ١٩٦٨ الى (١٥١٧) دينارا عام ١٩٨١ اما متوسط الاجر فقد ارتفع وللسنوات نفسها من (٢٨٨) دينارا الى (١٦١٧) دينارا .

ان هذه الزيادات في مداخيل الافراد قد خلفت حالة ملموسة وشاملة من التقدم في المستوى المعاشي ومن الرفاهية .

وارتفع الانفاق الاستهلاكي الشهري العام للاسرة في المنطقة الحضرية من (١١٥,٨) دينارا سنة ١٩٧٦ الى (١٦٦,٩) دينارا سنة ١٩٧٩ ، اي بنسبة زيادة قدرها (٤٤ ٪) ، اما في المنطقة الريفية فقد ارتفع انفاق الاسرة من (٧٤,٨) دينارا الى (١٠٩) دنانير خلال نفس الفترة اي بنسبة زيادة قدرها (٤٦ ٪) (١) ، وقد ارتفع على مستوى القطر من (١٠٠,٤) دينارا الى (١٤٦,٢) دينارا خلال نفس الفترة اي بنسبة زيادة قدرها ٤٦٪ .

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص٩٣ ـ ٩٥.

ثالثاً ــ الأسكان والتشييد :

اولت قيادة الحزب والثورة اهمية خاصة لتوفير السكن الملائم للمواطنين منذ عام ١٩٦٨ لمعالجة تركت التخلف في هذا القطاع نتيجة للاهمال الذي اصابه في فترة ماقبل الثورة.

ان ازمة السكن هي اكبر ازمة يواجهها القطر في مجال المستوى المعاشي والخدمات وتعود اسباب الازمة الى تطور المستوى المعاشي للمواطنين ، وتطور الحياة والعلاقات الاجتماعية وانشطار العلة بسبب ذلك واضطراد نمو السكان وتزايد اعداد العرب والاجانب في القطر .

وهنا يمكن اجمال ابرز مؤشرات التطور في هذا المجال بما يلي:

١ ــ ارتفعت قيمة الانتاج في قطاع التشييد والبناء من (٩٨,٥) مليون دينار في عام ١٩٦٨ الى (٣٠٣٠,٧) مليون دينار عام ١٩٨١ ،اي بمعدل نمو بلغ (٧,٦٪) للفترة ١٩٦٨ ــ ١٩٧٤ ، و (٢٩,٢٢٪) للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨١ .

٢ ــ في الناتج المحلي ارتفع من (٣٦,٨) مليون دينار الى (١٦٤٥,٤) مليون دينار للفترة نفسها ، وبمعدل نمو بلغ (٢٧,١٪) للفترة ١٩٦٨ ــ ١٩٧٤ و (٢٩,٠٦٪) للفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨١ (١) :

٣ ــ على صعيد القطاع الاشتراكي اتخذت العديد من الاجراءات لزيادة عدد الوحدات السكنية وتحسين مستواها ومن هذه الاجراءات :

١ ــ ادخال التكنولوجيا المتطورة المتمثلة في تصنيع البناء .

٢ ــ تأسيس المؤسسات المتخصصة في مجال الاسكان مثل المؤسسة العامة للاسكان والمنشأة العامة للاسكان الصناعي والمنشأة العامة للاسكان العسكري .

٣ ــ انشاء المصانع الجديدة لانتاج المواد الانشائية الرئيسية مثل السمنت والطابوق لتغطية الطلب المتزايد عليها في قطاع التشييد وخاصة في مجال الاسكان .

٤ ــ التوجه نحو انشاء المجمعات السكنية المتكاملة التي تحتوي على مختلف انواع الخدمات .

---

(١) التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٠٠.

وبالاضافة الى المشاريع السكنية التي تقوم مؤسسات القطاع الاشتراكي بتنفيذها ، فقد تم اتخاذ العديد من القرارات الخاصة بتمكين القطاع الخاص من القيام بدوره في انشاء الوحدات السكنية ومنها :

١ - توفير الاراضي السكنية للمواطنين حيث تم وبتوجيه مباشر من السيد الرئيس القائد صدام حسين اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوزيع (٤٠٠) الف قطعة سكنية في مختلف انحاء القطر ، وتم توزيع جانب منها ابتداء من عام ١٩٨٣ وفق خطة وضعت لهذا الغرض .

٢ - تقديم التسهيلات للمواطنين لغرض بناء دورهم عن طريق تقديم القروض من قبل المصرف العقاري بشروط سهلة وفوائد بسيطة الغيت فيما بعد وقد بلغ عدد معاملات التسليف التي قام بها المصرف (٤, ٧٤) الف معاملة وبمبالغ مجموعها (١, ٩٨) مليون دينار للفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٤ ، ارتفع عدد المعاملات الى (٥, ٤٥٩) الف معاملة بمبلغ مليار و(٧٢٩) مليون دينار للفترة ١٩٧٥ - ١٩٨١ .

٣ - تسويق المواد الانشائية المنتجة من قبل القطاعين الاشتراكي والخاص بهدف منع الارتفاع في اسعارها وبرمجة توزيعها على المواطنين والقضاء على المضاربات وتم تأسيس الاتحاد التعاوني الاسكاني ليأخذ دوره الكامل في انشاء الوحدات السكنية لاعضاء الجمعيات التعاونية الاسكانية .

بلغ مجموع ماانجزته اجهزة القطاع الاشتراكي في مجال بناء الوحدات السكنية (١١٥٦١) وحدة سكنية للفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٤(١) . ارتفعت الى (١٠٩٤٠٧) وحدة سكنية خلال الفترة ١٩٧٥ ولغاية النصف الاول من عام ١٩٨٣ .

وخلال السنوات ١٩٧٨ وحتى النصف الاول من عام ١٩٨٣ بلغ ما انجز بناؤه من وحدات سكنية (شقق ودور) في القطاعين الاشتراكي والخاص(٢٥٢١٣٢) وحدة سكنية.

وكمؤشر على اقبال المواطنين على التشييد ، فقد ارتفع عدد اجازات البناء الممنوحة للقطاع الخاص من (٣٠) الف اجازة في ١٩٦٨ الى (٦, ٨٢) الف اجازة في ١٩٨٣ ، اي بنسبة زيادة قدرها (١٧٧٪) (٢) .

---

(١) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص١٠١.
(٢) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية - مؤشرات وارقام ،مصدر سابق، ص٦٠.

وعالجت الدولة مسألة الاسكان في القطر لاسيما بعد ارتفاع الايجارات وتضخم تكاليف البناء إلى مستويات عالية ، وقد جعلت الدولة هذا القطاع قائماً على اساس ملكية الفرد لمسكنه دون استقلال لهذه الملكية . وما قرارات مجلس قيادة الثورة بتمليك الدور السكنية التابعة للدولة إلى ساكنيها في الكثير من محافظات القطر ورفع رأسمال المصرف العقاري إلى (٣٥٠) مليون دينار بهدف رفع قدرة المصرف على اقراض المواطنين المبالغ اللازمة لبناء السكن اللائق بهم بدون فوائد ، اذ بلغت القروض المقدمة من قبل المصرف العقاري (١٤,٨٠٣) مليون دينار عام ١٩٧٢ ارتفعت الى (٦١,٧٠١) مليون دينار في ١٩٨٣(١) الا تعبيراً عن النهج الاشتراكي .

رابعاً — الماء والكهرباء :

تحقق تطور ملموس في زيادة الطاقة الكهربائية في البلاد ، وفي تأمين الكهرباء للقرى والارياف التي كانت محرومة منها ، وقد أنشأت محطات كثيرة لتوليد الطاقة الكهربائية في انحاء مختلفة من القطر ، كما مدت خطوط لنقل القدرة الكهربائية إلى معظم انحاء القطر ، وبذلك ارتفع مجموع الطاقة الكهربائية المنتجة من (٢٥٧١,٨) مليون (ك — واط ساعة) عام ١٩٦٨ الى (٣٩٣٤,١) مليون (ك — واط — ساعة) عام ١٩٧٥ ثم الى (١٣١٠٧,٨) مليون عام ١٩٨٢ ، أي بمعدل نمو سنوي في الطاقة المنتجة لعام ١٩٨٢ بلغ (١٨,٨٪) مقارنة بالطاقة المنتجة في عام ١٩٧٥ ، وارتفعت الى (١٥٦٠٠,٢٨) مليون (ك — واط — ساعة) في عام ١٩٨٣(٢) . كما يلاحظ ارتفاع نسبة عدد الاسرة المجهزة بالكهرباء من ٩٤٪ عام ١٩٧٦ الى ٩٦,٦٪ عام ١٩٧٩ في الحضر ومن ٢٥٪ الى ٤٣,٣٪ في المنطقة الريفية خلال الفترة نفسها (٣) .

واهتمت الثورة بتوفير الماء الصافي لجميع المواطنين وتحقق تطور كبير في هذا المجال ، حيث ازدادت كميات المياه المنتجة لتصل الى ثلاثة ملايين م٣ في اليوم الواحد خلال عام ١٩٧٤ مقارنة بكميات انتاج قدرها (٠,٧٥) مليون م٣ يومياً في عام ١٩٦٨ . وازداد تبعاً لذلك عدد المنتفعين بمياه الشرب الصافية الى (١٢,٥) مليون نسمة في عام ١٩٨٤ ، وبلغت

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١٣٣.
(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص١١٠.
(٣) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، مصدر سابق، ص٩٥.

نسبة السكان الذين يحصلون على الماء النقي في المدن (١٠٠ ٪) اما سكان القرى فقد تم تزويدهم بالمياه عن طريق الابار الجوفية التي وصل عددها الى (٨٦٣) بئراً . اضافة الى الوحدات المجمعة في مختلف سعاتها والتي بلغت (٧٨٠) وحدة ماء مجمعة ، وكذلك مشاريع المدن المركزية التي تجهز بعض القرى المجاورة بالماء الصافي ، ويجري الان تنفيذ (١٠٣) مشروعاً للماء في مختلف انحاء القطر .

وجرى اهتمام مكثف بتصريف المياه المتخلفة ومعالجتها ، بهدف توفير مثل هذه الخدمات للمواطنين ، وانجزت على هذا الطريق (٦) مشاريع في عدد من محافظات القطر بلغ مجموع طاقاتها (٢٥٢٧٠٠) م٣ يومياً . وبلغ مجموع السكان المستفيدين من خدمات هذه المشاريع (١,٨) مليون نسمة اما في مدينة بغداد فقد بلغ مجموع المستفيدين من المشاريع المنجزة (٢,١) مليون نسمة . ويتوقع ان تنجز في عام ١٩٨٥ العديد من المشاريع في مدن السليمانية وتكريت والحلة وكربلاء والنجف والكوفة والبصرة ومجاري العمارات السكنية في المحمودية (١) .

خامساً ــ التشريعات العمالية :

اتسمت التشريعات العمالية بالتخلف في عهد ماقبل الثورة ، حيث كانت تشرع جميعها لصالح رب العمل وعلى حساب العامل . الا انه خلال عقد السبعينات شرعت الثورة بعض التشريعات التقدمية الهادفة الى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ووضعها على اسس جديدة ، ومن هذه التشريعات قانون العمل الجديد (٥١) لسنة ١٩٧١ ، يعتبر هذا القانون اهم تشريع تقدمي صدر في العراق وتجاوز في حقوق العمال كل التشريعات المماثلة في العالم ، ان من ابرز مافي القانون الجديد انه نص في المادة السابعة منه على شمول احكامه جميع فئات العمال على الاطلاق في العراق دون استثناء . في حين ان القانون السابق (رقم ١٧١ لعام ١٩٦٧) والخاص بتنظيم العمل النقابي في العراق كان يستثني من احكامه طوائف كثيرة من العمال كالعمال الزراعيين الذين يربون على ٧٠ ٪ من مجمل عمال العراق وغيرهم بحيث يمكن القول ان ٨٠ ٪ من مجموع عمال العراق كانوا غير مشمولين بالقانون القديم ، كما لم يكن لديهم اي تعويض عن مدة خدمتهم في السنتين الاوليتين من العمل .

---

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية ــ مؤشرات وارقام ،مصدر سابق، ص٦٣.

اما القانون الجديد فانه قضى بضمان جميع العمال تجاه المرض واصابات العمل ومكافأة نهاية الخدمة وتقاعد العجز والشيخوخة ، وهذا يشكل ثورة في التشريع العمالي تجاوزت باشواط جميع قوانين المنطقة .

اما الجانب الثاني البارز في قانون العمل فهو انه اشمل حتى العمال العرب العاملين بالعراق ، حيث اكدت المادة الخامسة منه على اعطاء العامل الحامل لجنسية احد الاقطار العربية جميع الحقوق الممنوحة للعامل العراقي دون قيد او شرط ودون الحاجة الى اجازة عمل ، وهذه المادة تعكس الجانب القومي من التشريع والذي يعكس ايديولوجية وفكر حزب البعث العربي الاشتراكي ويظهر الجانب الانساني في القانون ايضا بكونه يشمل في حقوقه العمالية العمال الاجانب الذين يرخص لهم بالعمل في العراق ولاشك ان الجانب القومي والجانب الانساني للقانون يعتبران في هذا المضمار ابعادا قياسية لا بالنسبة لقوانين العمل العربية فحسب بل على الصعيد العمالي ايضا اضافة الى حقوق عمالية كثيرة اخرى .

ان تشريع العمل في العراق جاء تجسيدا لمضمون ثورة ١٧ – ٣٠ تموز القومية الاشتراكية وما يحمله هذا المضمون من اتجاهات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية والفلسفة القائم عليها نابعة من نظرة قومية عربية انسانية ، فالعمل ميزة يختص بها الانسان ويلجأ اليها لسد حاجاته وتحقيق ذاته . ولقد انطلق تشريع العمل في العراق من المنهج القومي الاشتراكي واقام علاقات العمل على اساس التضامن الاجتماعي بحيث يتوفر العمل لكل شخص قادر على العمل ويعمل الجميع لصالح المجتمع (١) . هذا بالاضافة الى تشريع القوانين التي تكفل حماية العمال المنتجين بشكل عام . ومن ذلك قانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال رقم ٣٩ لعام ١٩٧١ الذي جاء تصحيحا لقانون رقم ٢٧ لعام ١٩٥٦ والذي لم يشمل كل العمال بالضمان ، ولقد غطى قانون التقاعد الجديد اربعة فروع ، رئيسية وهي – الضمان الصحي ، ضمان اصابات العمل ، ضمان التقاعد ، ضمان الخدمات – وعليه فقد بلغ عدد العمال المشمولين بالضمان الاجتماعي (٨٢٤٥٦٠) عام ١٩٨٣ .

وبلغ عدد العمال المشمولين بفروع الضمان الصحي خلال عام ١٩٨٣ (٢٥١٢٦)عامل وبلغت التعويضات النقدية المصروفة للعمال على فروع الضمان الصحي ٢,٢٧٨,٣٧٨

(١) سامي احمد خليل – نظرة في قوانين العمل ، وزارة الثقافة والاعلام – دائرة الاعلام الداخلي العامة – السلسلة الاعلامية /٩٩ ، ص٦ – ٧ .

مليون دينار لنفس العام . في حين بلغ عدد العمال المتقاعدين (١٢٤١٠) وبلغت المبالغ المدفوعة لهم في القطاعين الاشتراكي والخاص (٦٤٦٤٦٦) دينار خلال سنة ١٩٨٣(١)

وفي ٧ / ٢ / ١٩٨٠ جسدت حكومة الثورة مبدأ العمل حق يجب توفيره لكل مواطن وذلك باصدارها قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لعام ١٩٨٠ والخاص بتعيين المعوق القادر على العمل ، ومن ليس له مورد ثابت في دوائر الدولة والقطاع الاشتراكي حسب قدراته ، كما يبين انه لايجوز ان يقل اجر المعوق على الحد الادنى لاجر العامل غير الماهر وضمن ايضا راتبا لكل اسرة يقل دخلها عن الحد الادنى للاجور ، اضافة الى منح رواتب خاصة بالمقعدين والعجزة والمقطوعين .

كما صدر ايضا قانون رعاية القاصرين الذي تتكفل بموجبه الدولة بتصريف امور القاصرين ورعاية شؤون حياتهم وتأهيلهم ليكونوا اعضاء منتجين نافعين في المجتمع .

سادساً : الرعاية الصحية :

شهد القطر تقدما ملموسا في الخدمات الصحية ، انسجاما مع حرص قيادة الحزب والثورة على تأمين الرعاية الصحية الجيدة للمواطنين ، وتوفير الاجواء الملائمة لبناء شخصية المواطن بناء سليما وقويا ، في جميع ارجاء القطر وانسجاما مع منهج الثورة الاشتراكي فقد تم تشريع قانون التأمين الصحي وقانون التدرج الطبي وفتحت العديد من الوحدات الصحية بما فيها المستشفيات والوحدات الصحية الاخرى والعيادات الشعبية لتقديم افضل الخدمات الصحية الى كافة طبقات الشعب.

كما اعطت الثورة اهتماما متميزا لرعاية الامومة والطفولة وخاصة في المناطق الريفية في القطر .

وفي هذا الاطار ازدادت عدد الاسرة من ١٦،٣ الف عام ١٩٦٨ الى (٢٤٧٨٤) سنة ١٩٨٣ اي بنسبة مقدارها ٥٢ ٪ عما كانت عليه سنة ١٩٦٨ كما ارتفع عدد المستشفيات من ١٤٩ الى ١٩٦ سنة ١٩٨٣ اي بنسبة مقدارها ٣٢ ٪ عما كانت عليه خلال سنة ٩٦٨

وشهدت الوحدات الصحية نموا كبيرا وتطورا واضحا فارتفع عددها من ٩٣٣ الى ١٣٩٤ للفترة نفسها ، وبنسبة مقدارها ٤٩ ٪ عما كانت عليه خلال سنة ١٩٦٨ .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٤١، ٢٤٢، ٢٤٥.

(٢) الوقائع العراقية، ع ٢٧٥٨، السنة ٢٢، ١٩٨٠/٢/٢٥.

وقد افتتحت العديد من العيادات الشعبية التي بلغ عددها (٥٥) عام ١٩٧٥ ، وصلت الى (١١٤) عيادة شعبية سنة ١٩٨٣ ، اذ تقدم خدماتها لجميع المواطنين في القطر باجور زهيدة جدا .

كما هيأت الثورة الكوادر اللازمة من الاطباء واطباء الاسنان فارتفع عددهم من(١٧٥٩) عام ١٩٦٨ الى (٣٦٥٦) عام ١٩٨٣ ، اي بنسبة ١٨٦ ٪ عما كانت عليه سنة ١٩٦٨ .
كذلك ارتفع عدد الصيادلة سنة ١٩٨٣ الى (٥٤٥) اي بنسبة ٣٧٨ . عما كانت عليه سنة ١٩٦٨ (١) .

وقد بلغت حصة كل طبيب وطبيب اسنان من السكان سنة ١٩٨٣ بحدود (٢٨٠٩) نسمة.
وتؤمن المؤسسات الصحية للدولة ، الخدمات الصحية للمواطنين بصورة مجانية وتتقاضى في بعض الحالات اجور رمزية لاغراض تنظيمية ادارية ، كما تقدم هذه المؤسسات اغلب الاحتياجات الدوائية بصورة مجانية ، وتقدم الدولة للمواطنين الدواء باسعار مخفضة تقل كثيرا عن مثيلاتها في كل بلدان المنطقة كما وتوفر الدولة فرص العلاج لاعداد كبيرة من المواطنين في خارج القطر على نفقتها الخاصة في ارقى المؤسسات الصحية الاجنبيـة للحالات التي يتعذر معالجتها في داخل القطر .

سابعاً — التربية والتعليم :

ان جهاز التربية والتعليم بما ينشره من افكار وثقافات بين صفوف النشيء والشبيبة ، ومما يقوم عليه من خطط وبرامج ، ويحققه من مستوى علمي سيلعب دوراً حاسماً في تحديد الملامح العامة للمجتمع والمديات التي تستطيع الثورة بلوغها افقياً وعمودياً في عملية التغيير باتجاه تحقيق اهدافها القومية والاشتراكية والديمقراطيه .

لذلك اولى حزب البعث العربي الاشتراكي هذا الجهاز اهمية كبيرة والح الحاحا شديداً على لسان قادته وامام الجماهير على ضرورة اجراء تغييرات جذرية فيه ، بتصفية مايعشش فيه من ذوي الاتجاهات الرجعية والبرجوازية وغيرها ابتداء من رياض الاطفال حتى اعلى مراحل التعليم الجامعي الرسمي . وعلى ضرورة اعداد كتب وبرامج مدرسية جديدة تنبع من مباديء الحزب والثورة القومية والاشتراكية ، ورسم خطط وبرامج في هذا الميـدان تتفق مع خطة التنمية وحاجات البلاد في المرحلة الراهنة والمراحل القادمة . كما عممت ، مجانية التعليم امام المواطنين كافة وجعلته الزامياً في مرحلة الدراسة الابتدائية منذ عام ١٩٧٤ .

(١) وزارة التخطيط ، المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

وقد بذلت في هذا الميدان جهود،ووضعت تحت تصرفه امكانات كبيرة وعليه فقدتحقق تقدم ملموس في نشر التعليم على نطاق واسع في انحاء القطر ، وتخفيف ازمة الابنية المدرسية وتوفير الكتب والمعدات اللازمة للتعليم ، وحدث تقدم في انشاء وتطوير المعاهد الفنية، وازداد عدد الجامعات واتسعت القائمة منها وغير ذلك من التطورات الايجابية (١) .

وقد ازدادت الاستثمارات التي خصصت لقطاع التربية والتعليم في خطة التنمية القومية للسنوات (١٩٧٦ — ١٩٨٠) بنسبة ٨٣١٪ عن الاستثمارات المخصصة لها في الخطة التي سبقتها (١٩٧٠ — ١٩٧٤ .)

١ — التطورات في مجال رياض الاطفال والتعليم الابتدائي

شهد مجال رياض الاطفال نمواً ملحوظاً بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، فقد ارتفع عدد الاطفال من ٥, ١٤ الف طفل عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ الى ٦, ٧٦ الف طفل عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ اي بزيادة نسبية قدرها ٤٢٨٪ خلال الفترة المذكورة . وقد رافق هذا زيادة في عدد المعلمات من (١٣٩١) في ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى (٤٢٤٤) معلمة في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ كما ارتفع عدد رياض الاطفال خلال الفترة نفسها من ١٣٥ الى ٥٢٣ (١) .

وقد شهدت رياض الاطفال تغييرات نوعية في مجال المفاهيم والفعاليات والوسائل التعليمية وفي اعداد وتدريب المعلمات والمشرفات التربويات والرعاية الصحية والتغذية .

اما في قطاع التعليم الابتدائي فقد ارتفع عدد التلاميذ من ٠١, ١ مليون عام ١٩٦٨ الى (٥٤٢, ٦٩٨, ٢) في عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ . رافق ذلك زيادة في عدد المعلمين وعددالمدارس الابتدائية ، فقد ازداد عدد المعلمين من (٥٧٤٩٠) عام ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى ١١٢٤٢٨ عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ . بينما ازدادت عدد المدارس من (٦١٧٠) الى (١٠١٣٨) مدرسة لنفس الفترة الزمنية ، اي ان هناك زيادة نسبية في عدد طلاب المدارس الابتدائية بمقدار (١٧٢٪) للفترة من ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الى ١٩٨٣ — ١٩٨٤ . اما التطور النوعي في هذا المجال فقد تمثل في تطوير المناهج والكتب المدرسية بما يتوافق ومباديء الحزب والثورة والأتجاهات والتطورات العلمية الحديثة ، كما تهيأت الوسائل العلمية بمختلف انواعها كالافلام

---

(١) ثورة ١٧ تموز التجربة والافاق، مصدر سابق ،ص١٤٩.

(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٢٠٨.

والشرائح والخرائط والمجسمات وبرامج التلفزيون التربوي والمواد والاجهزة المختبرية(١).

اما في مجال اعداد المعلمين والمعلمات لهذا القطاع ، فقد ارتفع عدد طلبة دور ومعاهد المعلمين من ٨,١٠ الف طالب وطالبة عام ١٩٦٨ الى (٣٦٤٧٥) في عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ ، اي بزيادة نسبية قدرها (٣٤٣٪) خلال الفترة المذكورة ، تبعه زيادة في عدد اعضاء الهيئة التدريسية من (١٠٠٢) عام ١٩٨٠ — ١٩٨١ الى (١٣٥٧) عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ ، كذلك زادت عدد دور المعلمين من ٣٦ الى ٣٩ ، بينما كانت معاهد اعداد المعلمين والمعلمات (١٥) في ١٩٨٠ — ١٩٨١ ، اصبحت (١٩) في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ (٢) .

٢ — التطورات في مجال التعليم الثانوي :

ارتفع عدد الطلبة في مرحلة التعليم الثانوي من ٧,٢٨٥ الف عام ١٩٦٧ الى (٩٦١٠٠٣) في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ ، اي بزيادة نسبية قدرها (٢٧٩٪) وصاحب الزيادة في الطلبة زيادة في عدد اعضاء الهيئة التدريسية من (١٦٦٦٦) في ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى (٣٦١٤٤) في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ ، تبعه ايضاً زيادة في عدد المدارس من (١٠٩٥) في ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى (٢٠٢٧) في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ .

اما التطورات النوعية فشملت تطوراً في اعداد مفردات مناهج هذه المرحلة وتأليف كتبها وربطها بالمقومات الاساسية للفلسفة الاجتماعية التي تستند الى نظرية الحزب الاشتراكية كما شمل هذا التطور طرائق واساليب التدريس واعداد المدرسين وتدريبهم المستمر ، والاشراف التربوي بصيغه الجديدة وتوفير الوسائل التعليمية المتعددة المتنوعة والمختبرات واجهزتها ، وغير ذلك من مستلزمات تطور هذا القطاع .

٣ — التطورات في مجال التعليم المهني :

تطور التعليم المهني في القطر تطوراً واضحاً لكي يلبي حاجات القطر المتنامية الى الكوادر الوسطية التي تتطلبها عملية التنمية وحاجات التوسع في المشاريع المختلفة . فارتفع عدد المدارس المهنية من ٣٦ مدرسة عام ١٩٦٨ الى (١٧٦) عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ ، يقابل ذلك

(١) . صباح محمود محمد . المنظور البحثي للتربية . بغداد ، الجامعة المستنصرية ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ ، ص٤٥ .

(٢) وزارة التخطيط ، المجموعة الاحصائية السنوية ، مصدر سابق ، ص٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

ارتفاع عدد طلبتها من ٨,٦ الف الى (٧٧٤٣٣) للفترة نفسها ، اي تحقيق نسبة نمو قدرها (٧٩٧٪) للفترة المذكورة ، رافقها كذلك زيادة في عدد اعضاء الهيئة التدريسية من (١٦٠٧) مدرس عام ١٩٧٥ – ١٩٧٦ الى (٥١١٥) مدرس في ١٩٨٣ – ١٩٨٤ (١) .

٤ – تطور قطاع التعليم العالي :

شهد التعليم العالي في القطر العراقي بعد ثورة ١٧ تموز القومية الاشتراكية المجيدة تطورات تمثلت في زيادة عدد مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ، كالجامعات ، والكليات والمعاهد ومراكز البحث العلمي المختلفة ، وزيادة اعداد الطلبة المقبولين فيها ، وربط تلك المؤسسات بالمجتمع وجوانب التنمية المختلفة .

لقد اولت الثورة اهتماما خاصا بالتعليم العالي فشكلت في عام ١٩٦٩ لجنة لاعادة النظر في الوضع الجامعي والتخطيط التربوي ،وفي الاول من شهر كانون الثاني عام١٩٧٠ استحدثت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بموجب القانون رقم (١٣٢) .

لذا فان ابرز الانجازات التي شهدها قطاع التعليم العالي بعد ثورة تموز ١٩٦٨ تتمثل بما يلي :–

١ – استكمال البناء الاكاديمي لجامعتي البصرة والموصل اللتين انشئتا في عام ١٩٦٧ اذ فتحت فيها كليات واقسام جديدة وتطورات الدراسة فيهما بشكل واضح وازداد عدد الطلبة المقبولين فيهما .

٢ – تأسيس جامعة السليمانية في عام ١٩٦٨ ودعمها حيث تطورت الدراسة العليا فيها وانشئت فيها كليات واقسام في مختلف الاختصاصات الانسانية والعلمية .

٣ – اعتبار الجامعة المستنصرية جامعة رسمية عام ١٩٧٤ وازدادت كلياتها واقسامها العلمية حيث فتحت فيها كليات جديدة منها كلية للطب واخرى للتربية ومعاهد عليا للدراسة والبحث .

٤ – تحويل هيئة المعاهد الفنية الى مؤسسة المعاهد الفنية في عام ١٩٧٢ تأكيدا لدور هذه المعاهد في ترفير وتأمين حاجات القطر من الكادر الوسطي حيث اصبحت تضم (١٦) معهدا منتشرة في ارجاء القطر لتخريج الكوادر الفنية الوسطى .

---

(١) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٢١٤، ٢١٩.

٥ — تأسيس الجامعة التكنولوجية عام ١٩٧٥ تماشيا مع نهج الثورة في ادخال التكنولوجيا الحديثة في مختلف الاختصاصات والمهن والتوسع فيها وتضم الان ثمانية اقسام علمية اضافة الى ثماني دورات متخصصة .

٦ — استحداث الدراسات العليا في كل الجامعات العراقية وعلى نطاق كبير والبدء بالدراسات العليا للحصول على شهادة الدكتوراه في الكثير من المواد الانسانية والعلمية .

٧ — زيادة عدد الطلبة العرب المسجلين في الجامعات ، وتضاعف اعداد التدريسيين في جميع الكليات والمعاهد الفنية ، وزيادة اعداد الطلبة المبعوثين للدراسة خارج القطر .

٨ — اقرار التعليم المجاني للطلبة وتوفير الكتب واللوازم بصورة مجانية لهم لمختلف المراحل الدراسية .

٩ — الاشراف على الكليات الدينية الاهلية وتوحيدها في كليتين هما كلية الامام الاعظم وكلية الفقه في النجف وتحويلهما الى كليتين رسميتين .

١٠ — توقيع برامج واتفاقيات ثقافية مع (٥٢) دولة تتضمن تبادل الاساتذة والعلماء والخبراء والبحوث العلمية والخبرات (١) .

١ — تطور اعداد الطلبة في الدراسات الجامعية الاولية العليا : —

لقد ارتفع عدد الطلبة المقبولين في الجامعات والمعاهد في القطر من (٨٧٨٥) عام ١٩٦٨ الى (٣٢٢١١) عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ .

اما مجموع اعداد الطلبة الذين يدرسون في الجامعات والمعاهد فقد ارتفع من (٦٦٣٤٨) عام ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى (١١٢٥٤٢) عام ١٩٨٣ — ١٩٨٤ . اي تحقيق نسبة زيادة قدرها (٣٧٦٪) للفترة من ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الى ١٩٨٣ — ١٩٨٤ .

وازداد عدد الطلبة الموجودين في الدراسات العليا الى (١٨٠٥) للعام الدراسي ١٩٨٣ — ١٩٨٤ : اي بزيادة قدرها (١٧١٪) في سنة ١٩٨٣ عما كانت عليه سنة ١٩٧٢ ، وارتفع عدد التدريسيين في الجامعات والمعاهد الفنية من (٢٤١٧) سنة ١٩٧٤ — ١٩٧٥ الى (٦٥٧٧) سنة ١٩٨٣ — ١٩٨٤ (٢) .

---

(١) صباح محمود محمد. المنظور البعثي للتربية ،مصدر سابق ،ص٥٦ — ٥٧.

(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية، مصدر سابق، ص٢٢٩. ص٢٢٨، ص٢٣٤.

وتبعاً لذلك فقد ازداد عدد المهندسين المتخرجين في كليات الهندسة بنسبة (٣٩٢٪) للفترة من ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ الى ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ كما ازداد عدد الاطباء المتخرجين في كليات الطب بنسبة (١٥٣٪) وازداد عدد خريجي المعاهد الفنية بنسبة ١٨٤٨٪ .

وبلغ عدد الطلبة في كافة مراحل التعليم (٣٩٧٢١٥٦) خلال السنة الدراسية ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ في حين كان عددهم (١٣٢١٤١٩) في السنة الدراسية ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ ، اي بنسبة زيادة قدرها (٢٠١٪) (١) .

٢ ــ عدد الطلبة العرب والاجانب في الجامعات والمعاهد العراقية :

لقد سجل عدد الطلبة المقبولين والدارسين في الجامعات والمعاهد العراقية تطوراً ملحوظاً فقد بلغ عدد الطلبة في الجامعات والمعاهد الفنية (٣٥٥٢) من العرب و (٣٤٧) من الاجانب للسنة الدراسية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ الى (٦١٧٤) من العرب و (٣١٢) من الاجانب للسنة الدراسية ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ . بينما بلغ عدد الطلبة المقبولين (٩٣٦) من العرب و (٨٣) من الاجانب للسنة الدراسية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، و (١٤٥٣) من العرب و (١٢٥) من الاجانب للسنة الدراسية ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ . رافق ذلك زيادة في عدد الطلبة المتخرجين من الجامعات والمعاهد من (٥٨٨) للعرب و (٤٦) من الاجانب الى (١١٤٥) للعرب و (١٢٦) من الأجانب لنفس السنوات الدراسية الانفة الذكر . لكن حصل العكس بالنسبة لاعداد التدريسيين من العرب والاجانب ، فبعد ان كان عددهم (٣٦٦) من العرب و (٢٣٣) من الاجانب في السنة الدراسية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، تقلص عددهم الى (٢٨٥) من العرب و (٧٢) من الاجانب خلال السنة الدراسية ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ (٢) .

---

(١) وزارة التخطيط. التخطيط والتنمية، مؤشرات وارقام ،مصدر سابق، ص٦٧.

(٢) وزارة التخطيط. المجموعة الاحصائية السنوية ،مصدر سابق، ص٢٢٨، ص٢٢٩، ص٢٣٠، ص٢٣١.

المصادر

١ ـــ الكتـــب :

١ ـــ السامرائي . سعيد عبود . الاقتصاد العراقي الحديث ـــ دراسة تحليلية في هيكل الاقتصاد العراقي وآفاق تطوره ـــ بغداد ، جامعة بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢

٢ ـــ المهداوي . وفاء جعفر ـــ دور المدخرات الوطنية في تمويل التنمية الاقتصادية في العراق مابعد عام ١٩٦٨ ـــ (اطروحة) بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ .

٣ ـــ الداهري . عبد الوهاب مطر ـــ اسس ومباديء الأقتصاد الزراعي ، بغداد ١٩٦٩

٤ ـــ غيلان ، بدر . دراسات في تنمية الموارد المالية ، مطابع دار الثورة بغداد ، آذار ١٩٧٨ .

٥ ـــ سامي احمد خليل ـــ نظرة في قوانين العمل ، وزارة الثقافة والاعلام ـــ دائـرة الاعلام الداخلي العامة ـــ السلسلة الاعلامية / ٩٩ .

٦ ـــ صباح محمود محمد . المنظور البعثي للتربية . بغداد ، الجامعة المستنصرية ، الطبعة الثانـية ، ١٩٨٤ .

٢ ـــ المنشورات والمطبوعات الحكومية :

٧ ـــ مركز البحوث والمعلومات : الحرب العراقية الايرانية .. آثارها الاقتصادية نيسان ١٩٨٤ ..

٨ ـــ وزارة التخطيط . التخطيط والتنمية ـــ مؤشرات وارقام ، ١٤ تموز ١٩٨٤ .

٩ ـــ وزارة التخطيط ـــ الجهاز المركزي للاحصاء ـــ المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٨٣ .

١٠ ـــ ثورة ١٧ تموز ـــ التجربة والافاق ـــ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٧٤ .

١١ ـــ التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، حزيران ١٩٨٢ ، بغداد ، كانون الثاني ، ١٩٨٣ .

١٢ ـــ OPEC. Annual Statistcal Bulletin, 1982.

حصار أنطاكية

٤٩١هـ/١٠٩٧م

د. عادل محي الدين الآلوسي
كلية الأداب / جامعة بغداد

لمحة عن تأريخ انطاكية وستراتيجيتها :

تعرف انطاكيا عند القدماء بـ (انطيوخيا Antiochia) وتقع في الحوض الادنى لنهر العاصي (Orontes) (١) . يقول يحيى بن جرير المتطبب التكريتي (٢) : ان اول من بناها هو انطيغونيا في السنة السادسة من موت الاسكندر واكمل بناءها سلوقوس وسماها باسم ولده انطيوخوس ولم تلبث ان اصبحت من اهم مدن اسيا . وهي من الثغور الشامية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير ، بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة (٣) . وفي زمن الرومان كانت انطاكيا ثالثة عواصم العالم بعد روما والاسكندرية ، فكانت مثلهما مركزاً للثقافة والتجارة والصناعة ومحطاً لشعوب الامبراطورية ومستوطناً للالهة والديانات والمذاهب والبدع ، اقام فيها القديس بطرس اول اسقفية بين اليهود والوثنيين ومنها اطلق على المسيحيين لاول مرة الاسم الخاص بهم والذي لزمهم مدى الدهر (٤) . سكنتها جالية يهودية تتمتع باستقلال داخلي في ظل القانون الروماني وبقيت على هذا الحال الى ان دخلها بولص وبرنابا عن طريق البحر قادمين من قبرص بعد ان قطعا مسافة ١٦٠ كم مشياً على الاقدام صاعدين هابطين متعرضين لانواع المهالك والمخاطر ونزلا ضيفين على الجالية اليهودية ، يبشران بالمسيحية التي لقيت هوا عند البعض منهم ، مما اشعر احبار اليهود بالخطر الذي يهددهم لو استمر وجود هذين الرسولين بين صفوفهم ، فسارعوا الى طردهما شر طردة (٥) .

بدأ نفوذ انطاكية السياسي والاقتصادي بالافول منذ ان سيطر الساسانيون على بلاد الرافدين فقد حاصرها سابور الاول احد ملوك الفرس سنة٢٦٠م ونقل عدد كبيراً من اهلها الى جند سابور ، وفقدت سيادتها على المسيحيين في العراق بانفصال الكنيسة النسطورية الفارسية عن الكنيسة الغربية عام ٤٩٩م (٦) .

وخلال هذه الفترة تعرضت انطاكيا لسلسلة من الزلازل كان زلزال عام ٥٢٦م من اخطرها والذي راح ضحيته بحدود مئتين وخمسين الفا من سكانها وحولها الى خرائب . وفي سنة ٥٣٨م استولى عليها كسرى انوشيروان ودمرها ونقل عدداً من اهلها الى مدينة طيسفون واقام لهم مدينة سماها الروحية على غرار مدينتهم (٧) . وهكذا تظافرت اطماع الفرس الذين خربوها نهباً وسلباً مرتين ، وقساوة الزلازل ، مما ادى الى تحول الانظار عنها الى حلب التي تنافسها (٨) . ومع ماأصاب انطاكية من تخريب على يد كسرى الفارسي ، فان الامبراطور بوستنيانوس تمكن من اعادة بنائها بشكل اصغر من السابق . حاصرها ابو عبيدة بن الجراح عام ١٧هـ — ٦٣٨ م وصالح بعض اهلها على الجزية فأمنهم وفرض على كل رجل حالم منهم ديناراً وجريباً (٩) . ولم تزل بايدي المسلمين الى سنة ٣٥٨هـ ٩٦٩ م حيث انتزعها منهم القائد اليوناني برتز بمساعدة خائن عربي ، وظلت اكثر من قرن معقلا للامبراطورية البيزنطية بوجه المسلمين ، ولكنها منذ سنة ٤٧٣هـ — ١٠٨٠ م اخذت تدفع الجزية الى مسلم العقيلي امير الموصل . وفي عام ٤٧٨هـ — ١٠٨٥ م حررها سليمان بن قتلمش صاحب قونية بعد ان انتزعها من اخر حكامها البيزنطيين فيلارتيوس الارمني (١٠) . وفي ذلك يقول الشاعر الابيوردي (١١) :

وفتحت انطاكية الروم التي نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت تلقى اجنتها بنات الاصغر

ولم تمض الا سنة واحدة حتى انتقلت ملكيتها الى سليمان بن تتش ، ومن ثم الى اخيه السلطان ملكشاه الذي عين عليها ياغي‌سيان احد رجاله التركمان عام ٤٨٠هـ — ١٠٨٧ م وظل يحكمها مدة عشر سنوات الى ان وقعت بيد الصليبيين (١٢) .

وستراتيجية هذه المدينة تتحدد من كونها تقع قريبة من البحر المتوسط مما جعل منها مركزاً تجارياً معروفاً ، وفي هذا الصدد يقول عنها ياقوت الحموي (١٣) : (بين انطاكيا والبحر نحو فرسخين ولها مرسى يقال له السويدية فيه تفرغ السفن حمولتها لتنقل على الدواب الى انطاكية) .

اما الأصطخري فقد وصفها بقوله (١٤): (هي بعد دمشق ازهى بلد في الشام عليها سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها فيه مزارع ومراع واشجار وفيها الصخرة التي تعرف بصخرة موسى) .

تحيط بها الاسوار من جهاتها الاربع مما جعل منها حصنا عسكرياً منيعا يتعذر فتحه ، ولهذه الاسوار اربعة ابواب ولها ثلاثمائة وستون برجاً يحرسها أربعة الاف حارس في كل نوبة(١٥) توزعت ابوابها على اربعة جهات ، فمن جهة الشمال الباب الخلفي (الحديدي) ، وباب القديس بولص من الشمال الشرقي ، وباب القديس جورج من جهة الشمال الغربي والباب الكبير المؤدي الى الاسكندرونة وميناء السويدية . وهناك ابواب صغيرة كباب الدوق وباب الكلب .

ان مدينة هذه مواصفاتها من الصعب تطويقها وبخاصة من جهة الجنوب لشدة انحدارها اوفتح حصونها المنيعة الا اذا تهاون الجند في حماية اسوارها او وقوع خيانة مباشرة وهذا ماحدث عام ٤٩٢ هـ /١٠٩٨ م ، عندما سقطت بيد الصليبيين (١٦) . وصارت اقطاعاً تابعاً لمملكة بيت المقدس اللاتينية تحت حكم بوهمند الاول وحلفائه . وفي عام ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ استولى عليها المماليك المصريون ، ثم العثمانيون عام ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م ، وانتقلت الى سوريا عام ١٩٢٠ الا انها اعطيت لتركيا ضمن سنجق الاسكندرونة المقتطع عام ١٩٣٩ . و لازالت بقايا اسوارها وقناطرها ومسرحها وقلعتها باقية (١٧) .

حصار الصليبيين الانطاكية :

تيقن الصليبيون من انه ، لايمكن الوصول الى القدس مالم يقع حصن انطاكية الكبير بأيديهم ، وان انطاكية مفتاح الوصول الى القدس ، ولاغلبة في الشرق على المسلمين بدون فتح بيت المقدس (١٨) . لذلك اتخذ الصليبيون مواضعهم خارج اسوار انطاكية عند الطرف الشمالي الغربي منها ، فقد احتل بوهمند (قائد جيش النورمان) الجهة الشمالية المواجهة لباب القديس بولص ، اما الثلاثة : ريموند (صاحب تولوز وقائد جيش جنود فرنسا) . وادهمار (اسقف بوى وممثل البابا ايريان) وفرنسان بروفانس ، فقد استقروا على مقربة من باب الكلب(١٩)

ونزل جودفري (أمير اللورين) الى يمين ريموند تجاه باب الدوق (٢٠) .

وتجاه روبرت (امير فلاندرز) وروبرت (امير نورمنديا) ، وهيو (امير فرمندوا) وستفن (اميربلوا) واتخذوا جميعهم موقعاً بين باب بولص وباب الكلب (٢١) ، كقوة احتياطية

خلف بوهمند . ولتسهيل امر الاتصال بالسويدية والاسكندرونة نصب جسر على النهر من معسكر جودفري الى قرية تالتكي (٢٢) .

وقد استمر حصار الصليبيين لانطاكية من ٢١ تشرين اول ١٠٩٧ م الى ٣ حزيران ، ١٠٩٨ م (٢٣) .

المشاكل التي واجهت الصليبيين امام انطاكية :

اول هذه المشاكل هي تضارب اطماع القادة الصليبيين بشأن الهجوم على مدينة انطاكية فريموند كان يرى ضرورة التعجيل خوفاً من وصول امدادات الامراء السوريين .في حين عارض بوهمند هذا الرأي بوحي من اطماعه في احتلال انطاكية والانفراد بها (٢٤) .

واثناء ذلك برزت مشكلة قلة مؤونة الجيش التي اوشكت على النفاذ ولتلافي ذلك اتفقوا على ارسال بوهمند وروبرت على رأس جيش تعداده ثلاثون الف رجل (٢٥) للحصول على المؤونة عبر طريق العاصي ـحماة من دون فائدة، في حين تركت قيادة الحصار لريموند وادهيمر .

ازاء هذا الخطر الصليبي لملم الامراء المسلمون حالهم وتناسوا الى حد ما خلافاتهم ومنازعاتهم فاتفقت كلمتهم على نصرة والي انطاكية (ياغي سيان) ، مما يشكل خطراً حقيقياً على الصليبيين ، ولا ادل على ذلك من نجاح السفارتين اللتين ارسلهما ياغي سيان الى هؤلاء الملوك والامراء من المسلمين آنذاك . فقد ارسل ابنه شمس الدين الى دقاق ملك دمشق والى الاتابك طغتكين والى جناح الدولة صاحب حمص ، والثانية حملها ابنه محمد الى التركمان والى قوام الدين كربوقا اتابك الموصل والى امراء الشرق الاخرين (٢٦) . وان كانت نجدة كربوقا وحلفاؤه قد جاءت متأخرة مما ضيع فرصة تاريخية انعكست سلبيا على مجريات الاحداث .

تقدم دقاق صاحب دمشق ومعه الاتابك طغتكين وجناح الدولة في جيش ضخم وانحاز اليهم امير حماة ومعهم شمس الدين بن ياغي سيان ووصلوا الى ناحية شيزر (٢٧) وعند قرية البارة طوقوا جيش روبرت الا ان نجدة بوهمند افشلت خطة جيش الامراء المسلمين واجبرتهم على الانسحاب الى حماة بعد ان تكبدوا خسائر فادحة (٢٨) .

اما جيش رضوان بن تتش امير حلب الذي سبق ان اختلف مع ياغي سيان، فقد هزه الحدث وهب لنصرة المسلمين وتجمع حوله بعض الامراء المسلمين واستطاعوا

في اوائل شباط ١٠٩٨ استرداد حارم لكن الصليبيين استردوها ثانية (٢٩)..بخطة محكمة وضعها بوهمند، تقضي بابقاء الرجالة وسبعمائة من الفرسان بالمعسكر امام انطاكية، في حين تقوم بقية جيوش الصليبيين بالهجوم المباغت من موقع بحيرة العمق الحصين الذي تجمعوا فيه (٣٠).

وقد حاول ياغي سيان استغلال الموقف بشن هجوم من داخل مدينة انطاكية على الحامية الصليبية المتبقية، الا أن سرعة حسم معركة حارم ووصول امدادات الصليبيين وتأخر وصول الجيش الاسلامي الذي يقوده كربوقا،افشل ما عزم عليه ياغي سيان(٣١) وهناك مشكلة رابعة كادت ان تعصف بالجيش الصليبي المحاصر وهي تفاقم خطر المجاعة بين صفوفهم، فقد ساءت الاحوال الاقتصادية في انطاكية حتى ان بعض المواد الغذائية ندرت وغلا سعرها كالزيت والملح .وشاعت السرقات وفشى التهريب (٣٢) .

وصادف ان تعرضت المدينة الى وقوع زلزال شديد احس به سكان الرها وتلى ذلك هطول امطار غزيرة رافقتها برودة قارصة وضج الناس بالشكوى واتجهوا الى الله يطلبون مغفرته حتى ان ادهيمر أمر الناس بالصيام ثلاثة أيام وكأنه يريد الى جانب المغفرة ان يدخر بعض المؤن للايام الحرجة القادمة. ومما زاد الطين بلة فشل حملـــة بوهمند وروبرت في الحصول على المؤن والعلف.وهلك واحد من كل سبعة رجال، ولم يبق من الخيول سوى سبعمائة حصان،وبيعت حمولة الحمار من المؤن بثمان دنانير (٣٣) .ازاء هذه الظروف الاقتصادية القاسية واجهت الصليبيين مشكلة خامسة كحصيلة لقلة المواد الغذائية اولا، وطول مدة الحصار الذي استغرق حوالي ثمانية اشهر ثانياً،والمنازعات التي كثيرا ماستعرأوارها بين الفينة والاخرى بين زعماء الحملة الصليبية ثالثاً والتي تعكس أطماعهم في هذه المدينة، وهذا ماتحقق فعلا بعد سقوط انطاكية بأيديهم. من ذلك هروب بطرس الناسك ووليم النجار وقد اعيدا الى المعسكر الصليبي بعد ان تعهدا بالاخلاص (٣٤). كما ان تاتيكيوس ممثل الامبراطور البيزنطي ترك الجيش المحاصر، واستقل سفينة الى قبرص (٣٥) .

خطة الأستيلاء على انطاكية :

بينما كان الصليبيون يحاصرون انطاكية، وطد بوهمند صلته باحد القادة الانطاكيين واسمه فيروز ويعرف بالزراد .(٣٦) وهو ارمني اعتنق الاسلام وتسنم وظيفة عالية في حكومة ياغي سيان، ولكن نفسيته الضعيفة وخلفيته الدينية وحقده على ياغي سيان الذي صادر بعض ممتلكاته، دفعه للتواطىء سراً مع الصليبيين ،(٣٧)فقد كاتب بوهمند وقال له: «انا في البرج الفلاني وانا اسلم اليك انطاكية ان آمنتي واعطيتني كذا وكذا» فبذل له ماطلب من المال والاقطاع وكتم امره عن باقي الجند الصليبيين (٣٨). بعد ان تفاهم فيروز مع بوهمند على فتح البرج المكلف بحراسته،وهو برج يلي الواديمبني فوق شباك،(٣٩)ارسل ابنه إلى بوهمند ليخبره بأنه على استعداد لتنفيذ مااتفقا عليه وهو يستلم المدينة على ان يتظاهر بوهمند بانه سائر لمنع تقدم كربوقاً ،وعند حلول الظلام تزحف العساكر الصليبية إلى السور الغربي وان يحملوا معهم السلالم وانه أي فيروز مستعد إلى دفع ابنه رهينة في ذلك المساء كدليل على صدق ماتعاهد عليه (٤٠) .

تنفيذ الخطة وسقوط المدينة :

اخذ بوهمند بنصيحة فيروز، فما ان طلع النهار حتى اصدر اوامره بالتأهب لمقابلة جيش كربوقا، ثم دعا كبار الامراء ومنهم ادهيمر وريموند وجودفري وروبرت امير فلاندر وقال لهم: «هذه انطاكية ان فتحناها لمن تكون؟»،(٤١) فاختلفوا اذ كل منهم طلبها لنفسه، فقال الصواب: «ان يحاصرها كل رجل منا جمعة فمن فتحت في جمعته فهي له» (٤٢)، فرضوا بذلك ،ولما حلت جمعة بوهمند اجتمع بالامراء ثانية وقال لهم: «سوف تقع انطاكية بايدينا هذه الليلة» (٤٣) وعند منتصف الليل أمر بوهمند جنده بالتوجه إلى جهة الاسوار الغربية والشمالية الغربية فوصلت قبيل الفجر وباشرت بنصب سلم على البرج الذي يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي الذي كان على حراسته فيروز، (٤٤) وقد ارتقاه نحو ستين فارساً ودخلوا من نافذة باعلى السور إلى حجرة كان ينتظرهم فيها فيروز قلقاً مضطرباً وتمكن الصليبيين من الاستيلاء على معظم الابراج،وقد اجمعت بعض المصادر التاريخية: (٤٥) على ان الزراد أدلى لهم حبلا فطلعوا من السور وتكاثروا ورفع بعضهم بعضاً وجاءوا إلى الحراس فقتلوهم.

تمكن الصليبيون من فتح باب القديس جورج وباب الجسر الكبير ومنها دخل الجند أفواجاً وجدير بالذكر ان بعض سكان المدينة من اليونانيين والارمن قد انحازوا الى جانب الفاتحين من الصليبيين. اما قلعة المدينة فقد ظلت بيد شمس الدين بعد ان هرب ابوه ياغي سيان. وعبثاً حاول شمس الدين الدفاع عن هذه المدينة الباسلة. ذلك ان معظم اعوانه الذين ظلوا على قيد الحياة، قد هربوا الى القرى المجاورة(٤٦). وهكذا استسلمت انطاكية الحصينة للصليبيين في ليلة ٢ /٣ حزيران ١٠٩٨ (٤٧) .

مقتل ياغي سيان :

حكم ياغي سيان انطاكية مدة عشر سنوات ،وكان لمقتله قصة مأساوية. لقد صمد هذا الامير بوجه الصليبيين الذين يحاصرون مدينته مدة ثمانية اشهر، قاسى خلالها ومن معه ألم الحصار والضنك والسهر وما إلى ذلك من صعوبات .وكانت مصادفة تلك الليلة التي استسلم فيها لغفوة أو اغماضة ليفتح عيناه على حلم مزعج لم يتبق منه الا ضجيج واصوات ترن في اذنيه سأل ماهذا؟ فقيل له، انهم الصليبيون قد ملكوا القلعة واخترقوا الابراج، فزع ياغي وعجز عن التفكير الا بالنجاة ولانجاة الا بالهرب وفي جنح الليل تسلل إلى التلال المجاورة خارجاً من الباب الحديدي وبصحبة عدد من الاتباع الذين يرومون النجاة مثله، وماهي الا ساعات حتى تكشف الصباح وكانت الصحوة. قال لمن معه ،اين انا؟ فقيل له، انت على اربعة فراسخ من انطاكية، ندم ولات ساعة ندمٌ ،ندمَ على ملك اضاعه، وعلى اهل واولاد تركهم، وعلى موقف جبن ما كان له ان يضع نفسه فيه . ولشدة الصدمة سقط على الارض وهو في الرمق الاخير وقد تركه اصحابه ليلقى المصير وحده، وشاءت الاقدار ان يستشهد على يد حطاب أرمني مستطرق، حمل رأسه الى الصليبيين بجائزة كان بوهمند قد وعد بها لمن يأتي به حياً أو ميتاً (٤٨) .

احوال الصليبيين بعد دخول المدينة :

خيل للصليبيين ان فتح انطاكية سيكون مفتاح الحل لكل مشاكلهم ، ولكن حالهم الجديد هذا وضعهم امام مصاعب لاحصر لها، فاسوار المدينة الطويلة تحتاج الى جند يتناوبون حراستها قدر عددهم بحوالي اربعة الاف جندي في كل نوبه (٤٩) . والامراض التي انتشرت بين صفوفهم قد فتكت بالكثير منهم ،ثم ان القلعة بعد لم تسقط بايديهم وهي منيعة يتحصن بها شمس الدين ابن ياغي سيان ، والغلاء وندرة الاقوات وكساد

الزراعة قد اخذت منهم مأخذاً الى درجة بيع معها رغيف الخبز بربع دينار، والبيضة بدينارين ،والدجاجة بخمسة عشر ديناراً.(٥٠) يقول ابن الاثير: (٥١) «بعد مضي اثنا عشر يوماً من دخول الصليبيين الى انطاكية لم يجدوا مايأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر» . وانقسم قادة الحملة بين مؤيد لبوهمند ومعارض له وكل طرف يلقى بتهمة خيانة تعاليم الدين المسيحي على الطرف الاخر ، كما ان ظاهرة التراجع والهروب اصبحت ظاهرة غير مبررة وظلت الهوة واسعة بين قسم من اهل المدينة والفاتحين ذلك ان بعض جيوب المقاومة الوطنية لازالت تقلق الصليبيين ، واخيراً حالة اليأس والضعف انعكست سلباً على حماس الصليبيين الديني، مما شجع على ظهور حكايات وأحلام تتحدث عن رؤية المسيح وما الى ذلك من امور يقصد بها رفع معنويات الصليبيين ، من ذلك الرؤيا التي رواها بطرس بارثولوميو مدعيا انه رأى في المنام القديس اندروس واخبره ان موضع الحربة التي وكز بها جنب المسيح مدفونة في صحن كنيسة انطاكية ، فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك دائر عليكم وما عليكم الا الصيام ثلاثة أيام وصدق الناس ذلك وصاموا وفي اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر (٥٢).

رد الفعل الأسلامي :

أثار سقوط انطاكية حفيظة المسلمين جميعاً ،وتعالت الاصوات تطالب الامراء والملوك المسلمين بالثأر من الصليبيين ، وعول المسلمون على جيش قوام الدين كربوقا امالا كبيرة ، وقد سبق ان ذكرنا ان هذا الجيش قد توجه الى بلاد الشام قادماً من العراق وتجمعت حوله اعداد من عساكر الامراء المسلمين،مكوناً جيشاً كبيراً في العدد والعدة.(٥٣) ومع ان هذا الجيش العرمرم قد وصل متأخراً الى انطاكية الا انه استطاع دخول قلعة المدينة من جهة الشمال الشرقي، وعهد كربوقا الى احمد بن مروان بتولي قيادة القلعة بدلا من شمس الدين بن ياغي سيان (٥٤).

باشر المسلمون خطة الحصار المحكم على المدينة الى ان تنفد مؤن الصليبيين ومن ثم القيام بالهجوم عليهم (٥٥). ويظهر ان المسلمين كانوا على دراية بالحال الذي صار عليه الصليبيون من ندرة في الاقوات وضعف في الهمم. ولكن حدث ما كان يخشى حدوثه فقد انقسم المسلمون على انفسهم بين مؤيد لكربوقا وجلهم من الاتراك ومعارض له

وجلهم من العرب (٥٦). كما ان رضوان صاحب حلب ودقاق امير دمشق قد تقاعدا عن نصرة كربوقا الذي انفض عنه الكثير من الجند بسبب سوء تصرفاته واستبداده برأيه (٥٧) .

المعركـة الحـاسمـة :

تعبأ الجيش الصليبي في ستة اقسام على كل جيش قائد من امرائهم ، وترك امر حماية القلعة من الداخل بيد ريموند لمرضه انذاك ومعه عدد من الجند قدروا بمئتين (٥٨) .
اما الجيش الاسلامي بقيادة قوام الدين كربوقا فقد تظاهر بالانسحاب ليجر الصليبيين الى ارض وعرة وارسل احد فصائله ليحيط بالجيش الصليبي من ناحية اليسار حيث لم يكن النهر يحميهم. غير ان بوهمند قد تنبهه لهذه الخطة فألف جيشاً سابعاً بقيادة ريموند تول (٥٩) .

وجدير بالذكر ان بوادر الخلاف والضعف قد دبت في صفوف المسلمين مما رجح كفة اعدائهم: وعبثا حاول كربوقا اعاقة تقدم الصليبيين باشعال النيران امامهم، ولم يبق معه الا القليل من المسلمين، وكان اخر من تركه سكمان بن ارتق وجناح الدولة امير حمص، وأخيراً تراجع كربوقا نفسه الى حلب بعد ان أحرقت سرادقه (٦٠).
ومع ماأصاب الجيش الاسلامي من هزيمة فانه كما يقول ابن الاثير : (٦١) «وثب جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل منهم الوفا» اما قائد القلعة احمد بن مروان فقد اتفق مع بوهمند على الخروج من حاميته سالماً مستسلماً وقيل انه اعتنق المسيحية، اما انطاكية فقد اقتسمت بين بوهمند وريموند وكانت للاول ثلاثة ارباع المدينة(٦٢).

الهوامش والتعليقات :

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث ، مادة انطاكية ، ص ٦٢

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٧. ح١ . ص٢٦٦

(٣) المصدر السابق نفسه ، ح١ ص٢٦٦

(٤) جرجيس المارديني : فجر المسيحية ، منشورات الرابطة الكهنوتية ، بيروت ١٩٦٣، ص٧١ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، ص٨٣ وما بعدها

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، ح٣ . ص ٦٣

(٧) المصدر السابق نفسه ،ح٣ . ص ٦٤

(٨) مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، منشورات الثقافة والارشاد العراقية ، ح٣ .ص٨

(٩) معجم البلدان ، ح١ ص٢٦٨

(١٠) عبد الفتاح سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في الجهاد العربي في العصور الوسطى ، مطبعة لجنة البيان ١٩٦٣ ، ح١ ص١٨٨

(١١) معجم البلدان ، ح١ ، ص٢٦٩ .

(١٢) ستيفن رينمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، دار الثقافة بيروت ، ح١ ، ص٣٠٤

(١٣) معجم البلدان ، ح١ ، ص٢٦٨

(١٤) الاصطخري :المسالك والممالك ، نشر دي غويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٣٧ ص٦٢

(١٥) معجم البلدان ، ح١ ، ص٢٦٧ .

(١٦) ميشيل يتيم : تاريخ الكنيسة الشرقية ، المطبعة المارونية ، حلب ١٩٥٧ ص١٢٧

(١٧) الموسوعة العربية الميسرة ، الطبعة الاولى ، دار القلم ومؤسسة فرنكلين ، ١٩٦٥ ص٢٤٥ .

(١٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٩٦٦ ،ح١٠ ، ص٢٧٣

(١٩) فشر : تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والباز العريني دار المعارف بمصر ١٩٥٤ ص١٧٩ .

(٢٠) تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ص ٣٠٨

(٢١) الحركة الصليبية ،حـ١ ص١٩٠
(٢٢) تاريخ الحروب الصليبية ،حـ٢ ص٣٠٨
(٢٣) الحركة الصليبية ، حـ١ ص١٩١
يحدد ابن خلدون في كتابه العبر ....
الحصار بتسعة أشهر ، دار الكتاب اللبناني ، حـ٥ ق١ ص ٤١ ، والصحيح دون ذلك
(٢٤) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص٣٠٩
(٢٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعين ، ص١٣٤
(٢٦) ابن العديم : زبدة تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان . المعهد الفرنسي بدمشق الجزء الثاني ص ١٣٠
(٢٧) ابن القلانسي : ص١٣٤
(٢٨) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص٣١٣
(٢٩) ابن القلانسي : ص١٣٢
(٣٠) الحركة الصليبية حـ١ ص٢٠١
(٣١) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص ٣٢١
(٣٢) ابن القلانسي ، ص ١٣٤
(٣٣) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص ٣١٤
(٣٤) المصدر السابق نفسه ، حـ١ ص٣١٧
(٣٥) الحركة الصليبية ، حـ١ ص١٩٦
(٣٦) ابن العديم ، حـ٢ . ص١٣٤
(٣٧) ابن القلانسي ، ص ١٣٦
(٣٨) ابن العديم ، حـ٢ ص١٣٤
(٣٩) ابن الاثير : حـ١٠ ص٢٧٤
ايضا كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، دار العلم للملايين ط ٤ ١٩٦٥ ص٣٤٦
(٤٠) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص ٣٣١
(٤١) ابن العديم ، حـ٢ ص١٣٤
(٤٢) المصدر السابق نفسه
(٤٣) تاريخ الحروب الصليبية ، حـ١ ص ٣٣١
(٤٤) ابن الاثير ، حـ١٠ ص٢٧٤

(٤٥) ذكر ذلك ابن الاثير في كتابه الكامل ٢ جـ ١٠ ص٢٧٤ وكذلك ابن العديم جـ٢ ص ١٣٤
(٤٦) ابن العديم ،جـ٢ ص١٣٥
(٤٧) تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ص٣٣٣
(٤٨) ابن الاثير : جـ١٠ ص٢٧٥
(٤٩) معجم البلدان ، جـ١ ص٢٦٧
(٥٠) تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ص٣٣٨
(٥١) ابن الاثير : جـ١٠ ص٢٧٦
(٥٢) المصدر السابق نفسه ، جـ١٠ ص٢٧٧
(٥٣) المصدر السابق نفسه ، جـ١٠ ص٢٧٦
(٥٤) ابن العديم جـ٢ ص١٣٦
(٥٥) المصدر السابق نفسه جـ٢ ص١٣٧
(٥٦) المصدر السابق نفسه جـ٢ ص١٣٦
(٥٧) ابن الاثير ، جـ١٠ ص٢٧٦
(٥٨) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص٣٥٢
(٥٩) المصدر السابق نفسه جـ١ ص٣٥٣
(٦٠) ابن العديم ، جـ٢ ص١٣٧
(٦١) ابن الاثير ، جـ١٠ ص٢٧٨
(٦٢) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ، ص٣٦٨

منهج الإمام محمود شلتوت في تفسير القرآن الكريم

١٣١٠هـ – ١٣٨٣هـ = ١٨٩٣م – ١٩٦٣م

الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب
كلية الآداب / الجامعة الاردنية – عمّان

يعالج هذا البحث منهج الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى في تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى. وبالتحديد من سورة الفاتحة الى الآية الحادية والعشرين بعد المائة من سورة التوبة. وعند الرجوع الى المصحف الشريف تبين لي أن الجزء العاشر من القرآن الكريم ينتهي بالآية الثانية والتسعين من سورة التوبة، ويعني ذلك ان الأستاذ محمود شلتوت قد فسر تسعاً وعشرين آية من الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم المشتمل على ثلاثين جزءا .

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا التفسير في سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م. وبين يدي الآن الطبعة السابعة التي صدرت في سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ولقد تحدث الدكتور محمد البهي في تصدير الطبعة الاولى من هذا التفسير عن منهج هذا التفسير ، قال :

أولا: جعل السورة وحدة واحدة ،يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادىء انسانية عامة .

ثانيا: عدم اقحام غير القرآن على القرآن من رأي خارج عنه، أو مصطلح انتزع من مصدر آخر، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضاً ، كما أطلق الحرية للقرآن في أن يدلي بما يريد دون أن يحمل على مايراد .

ثالثا : لم يكن له ان يدع القرآن ينطق بما يدل عليه ، الا بعد أن يزيل العقبات التي كانت تحول دون ذلك، فكان من منهجه التعقيب على آراء المفسرين السابقين ولأنه تفسير للمسلمين

جميعاً آثر به فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر – منذ أن توفر عليه في عام ١٩٤٩ – مجلة «رسالة الاسلام» ،التي تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة .وهي جماعة تألفت في يناير سنة ١٩٤٧. وقد آثر فضيلته هذه المجلة بهذا «التفسير» لأنه اقتنع ، بعد أن كان من المؤسسين للجماعة ، بأنها اللسان الذي ينقل للمسلمين مايريده الاسلام لهم في قرآنه الكريم ، لا مايريده مذهب معين ولا اتجاه فكري خاص .

وفي الفصل الاول من كتاب «منهج ابن القيم في التفسير» يقرر مؤلف الكتاب محمد أحمد السنباطي أن منهج ابن قيم الجوزية يقوم على الوحدة الموضوعية للصوره، وأنه رائد في ذلك، ويتحدث عن تلامذته في مصر والخارج، ويذكر الشيخ محمود شلتوت الذي سلك هذا المنهج وتأثر به، ويعرض نموذجا من تفسير الشيخ محمود شلتوت لسورة آل عمران (٢) .

وتناول الدكتور منيع عبد الحليم محمود تفسير الشيخ محمود شلتوت ضمن كتابه «مناهج المفسرين» .وتحدث عن حياته العلمية، ورأى ان تفسير الشيخ شلتوت يمثل الدراسة العلمية الموضوعية التي تجعل القرآن اصلا للبحث وأساسا للتشريع ، فيجمع الى الآية التي يقصد تفسيرها مايناسبها من ايات وما يرتبط بها من موضوعات العلوم ثم يعالج موضوع الآية معالجة عامة شاملة تبرز موقف القرآن بل الدين عامة من هذا الموضوع .

ووصف الدكتور منيع عبد الحليم محمود هذا التفسير بوضوح الفكرة وسهولة الاسلوب وجمال التنظيم (٣) .

وما كتبه الدكتور محمد البهي في تصدير الطبعة من تفسير الشيخ محمود شلتوت عن منهج الشيخ في التفسير وما ذكره الاستاذ محمد احمد السنباطي عن تأثر الشيخ محمود شلتوت بمنهج ابن قيم الجوزية الذي يقوم على الوحدة الموضوعية للسورة وما ذكره الدكتور عبد الحليم محمود عن منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسير القرآن الكريم حفزني، بل دفعني الى أن أعمل بحثا ادرس فيه منهجه في تفسير القرآن الكريم.

(١) تفسير القرآن الكريم ، الاجزاء العشرة الاولى ، محمود شلتوت ، ط١ ، تصدير بقلم محمد البهي ، ص١١ ، ١٢ .

(٢) منهج ابن القيم في التفسير ، محمد احمد السنباطي ، من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ ، ص٨٤ ، ٩٨ .

(٣) مناهج المفسرين ، منيع عبد الحليم محمود ، ط١ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار الكتاب المصري/القاهر–دار الكتاب اللبناني/بيروت ، ص٣٤٧ ، ٣٤٨ .

وفي الطبعة الاولى من هذا التفسير نجد المؤلف يقدم له بمقدمة يتحدث فيها عن عناية المسلمين بالقرآن ،واشتغالهم بالعلوم المختلفة لخدمة القرآن واختلاف التفاسير باختلاف ثقافة المفسر، ويركز على ناحيتين كان من الخير أن يظل القرآن بعيدا عنهما، احتفاظا بقدسيته وجلاله، وهما: ناحية استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والخلافات المذهبية وناحية استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه. ثم شرع الشيخ محمود شلتوت يبين جوانب الخطأ والشر في هاتين الناحيتين (١).

وبين أن التركيز على هاتين الناحيتين يعد ركيزة أساسية من ركائز النهج الذي التزم به في تفسيره .

وقد ذكر الدكتور محمد البهي ان الشيخ محمود شلتوت بدأ ينشر تفسيره هذا منذ عام ١٣٦٩هـ- ١٩٤٩م. في مجلة رسالة الاسلام التي تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة .

ويعني ذلك ان الشيخ محمود شلتوت قد وضع نصب عينيه منهجا معينا منذ تلك الفترة في تفسير القرآن .ويؤكد ذلك بحث في القرآن الكريم نشره محمود شلتوت تحت عنوان «القرآن والقتال» في كتيب سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٨٤م. ويبدو أن هذا البحث صدر بمناسبة حرب فلسطين.

وفي مقدمة هذا البحث يعرض الشيخ محمود شلتوت للطريقة المثلى في تفسير القرآن يقول: «لتفسير القرآن الكريم طريقتان: -

أحدهما: أن يسير المفسر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف ،فيفسر المفردات ،ويربط الآيات، ويبين المعاني التي تدل عليها. وهذه هي الطريقة التي عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون. ومن مظاهر هذه الطريقة اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين وكثيرا ماتفسر الآية على مقتضى القواعد الأصولية التي استخلصها أرباب المذاهب من الفروع الفقهية واتخذوها أصولا تحاكموا اليها في فهم القرآن والسنة واستنباط الاحكام ،ولم يقف ذلك عند التشريع وآيات الاحكام بل تعـــدى الى العقائـــد وآراء الفرق ، فتراهم يقولون : هذه الآية لاتتفق ومذهب أهل السنة ،فهي مؤولة بكذا وكذا ،كما يقولون: هذه الآية لاتتفق ومذهب الحنفية

(١) تفسير القرآن الكريم ، الاجزاء العشرة الاولى ، محمود شلتوت ، ط١ ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .، مقدمة ، ص١٧-٢٢ .

وتأويلها كذا وكذا .... وهكذا صار القرآن فرعا بعد ان كان أصلا، وتابعا بعد ان كان متبوعاً وموزونا بغيره بعد أن كان ميزانا....

اما الطريقة الثانية فهي ان يعمد المفسر أولا الى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ،ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي اليه الآيات الواردة في الموضوع .وبذلك يضع كل شيء موضعه ولا يكره آية على معنى لاتريده، كما لايغفل عن مزية من مزايا الصوغ الالهي الحكيم. وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى ،وخصوصا في التفسير الذي يراد اذاعته على الناس بقصد ارشادهم الى ماتضمنه القرآن من انواع الهداية، والى ان موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير ان يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للافراد والجماعات من أقضية ،ويتصل بحياتهم من شؤون. وكثيرا مايغيب عن الناظر في القرآن السر في آية معينة حتى اذا ماسمع زميلتها الواردة في موضوعها علم ماغاب عنه، وانكشف امامه ماكان خافيا عليه. وقد رغبنا ورغب أهل البصيرة في العلم أن يعرض تفسير للقرآن على هذه الطريقة الجديدة ،فتعرف موضوعات القرآن ،وتبحث بحثا نقيا بريئا من الشوائب التي من شأنها ان تستر الحق او تشوه جماله بعيدا عن الطريقة الملتوية، منزها عن الاقاصيص الدخيلة والخيالات التي لايزكيها عقل لا حقيقة.

وأرجو أن يجد الناس في هذا النحو الجديد من التفسير ماتصبو اليه نفوسهم من تعرف هداية القرآن والوقوف على اسراره وحكمه والانتفاع بمبادئه وتعاليمه. وقد عرضت منذ سبع سنوات على هذا النحو موضوع القرآن والمرأة ، وأظن أن الذين قرأوه باخلاص قابلوه بصدر رحب وقلب مطمئن (١) .

ونستطيع القول ان الشيخ محمود شلتوت يرى ان الطريقة المثلى في تفسير القرآن هي الوحدة الموضوعية للسورة بل للقرآن كله أو مايسمى بالمنهج الموضوعي أو الاتجاه الموضوعي في تفسير القرآن. ويرى المؤلف أن هذه الطريقة نحو جديد من التفسير رغب فيه المؤلف وأهل البصيرة في العلم.

مما سبق نقول ان منهج محمود شلتوت في تفسير القرآن كما أبان عنه المؤلف في مقدمة تفسيره للاجزاء العشرة الأولى من القرآن وفي مقدمة البحث الذي كتبه تحت عنوان «القرآن والقتال» يقوم على هذه الاسس والركائز التالية:

(١) القرآن والقتال ، محمود شلتوت ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ص٣-٨ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

النساء، بل عرض لهن، في أكثر من عشر سور، وان لم تسم بهذا الأسم: عرض لهن في سورة البقرة في ربعين عظيمين هما: (يسألونك عن الخمر والميسر)، (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة). وعرض لهن في سورة المائدة وبين حل تزوج المحصنات الكتابيات منهن، وسوى في حقوق الزوجية بينهن وبين المحصنات المؤمنات، ونرى ذلك في الآية الخامسة من هذه السوره .

وعرض لهن في سورة النور ، وبين مايردعهن عن ارتكاب مايزرى بالكرامة. ويخل بالشرف والمكانه، كما بين حكم من تعدى عليهن بالقذف زوجا كان او غير زوج ، وعرض لهن في سورة الأحزاب وعالج كثيرا من المشاكل المنزلية وما يجب عليهن من آداب، وقد اتخذت السورة زوجات الرسول مثالا حيا فيما ينبغي أن تتخذه الزوجة الصالحة أساسا لحياتها الفاضلة. ونرى ذلك في الآية الثلاثين من هذه السورة حتى الآية التاسعة والخمسين .وعرض لهن في سوره المجادله، فاستمع الى رأي المرأة وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام الخالد. وعرض لهن في سورة الممتحنة ،وبين حكم النساء ، يهاجرن مؤمنات من بلاد الاعداء الى بلاد الاسلام، وحكم زوجيتهن لازواجهن السابقين وزوجهن بالمؤمنين وبين حقهن في المبايعة على السمع والطاعة، وعلى القيام بحدود الشريعة وأحكامها وأنهن في ذلك كالرجال .

وعرض لهن في سورة التحريم في شأن جرى بين زوجات الرسول ،ويجرى بين كل الزوجات في كل زمان ومكان، وتقررت في هذه السورة مسؤولية المرأة عن نفسها مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل ، وأنه لايؤثر عليها وهي صالحة فساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها وهي طالحة صلاح الرجل وتقواه، ونرى ذلك في الآيات الخمس الأوائل من هذه السورة، والآيات التي ختمت بهن (١).

وفي صدد دراسة الشيخ محمود شلتوت لسورة الأنفال يتحدث عن قصص القرآن بصفة عامة ،يقول: ويجب ان ينظر الى قصص القرآن في جميع موارده هذه النظرة فلا يعاب على القرآن اهمال الاماكن والاشخاص فيما يقص، ولا اهمال الترتيب بين الحوادث، فان هذا او ذاك من شأن المؤرخ الذي يعنى بالقصص كتاريخ لاكعظات وعبر . أما القرآن فليس كتاب تاريخ،وانما هو كتاب هداية وارشاد يذكر تارة القصة

(١) تفسير القرآن الكريم-الاجزاء العشرة الاولى- ، محمود شلتوت ، ط٧ ، ص١٦٢- ١٦٥ .

ويشير الى بعض وقائعها في موضع ويشير الى البعض الآخر في موضع آخر، ويستقصي مره، ويقتصر أخرى، وهكذا يفرق القصص، ويفرق القصة الواحدة في اماكن متعددة وفي سور مختلفة باعتبار المناسبات والعبر التي يدعو اليها المقام الذي يتحدث فيه، ومن هنا نرى ان القصة الواحدة قد تذكر على وجوه مختلفة في اماكن متعددة مختلفة بين الطول والقصر، والاجمال والتفصيل، والاقتصار والاكمال (١) . ويتحدث عن قوله تعالى (يسألونك) في جميع القرآن بشكل يدل على التنظيم والاستقصاء (٢) .

مما تقدم نستطيع ان نقول ان الاستاذ محمود شلتوت يركز في تفسيره على المقاصد والاغراض والأفكار الرئيسية في السورة التي يدرسها ،ويعنى عناية ملحوظة بمعالجة أي موضوع معالجة على أساس الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم. أي أنه يجعل السوره دائرة صغرى تقع داخل الدائره الكبرى للقرآن الكريم.

٢ - اتجاه وظيفي للتفسير:

كان الشيخ محمود شلتوت ،في أثناء قيامه بتفسير الآيات القرآنية ، يحرص على أن يوظف تفسيره للنهوض بالمسلمين وترقيتهم اجتماعياً وسياسياً وفكرياً واقتصادياً وتوعيتهم وهو يعدّ في ذلك امتداداً لعلماء الدين المصلحين الذين سبقوه .

ومن الامثلة على ذلك قول الاستاذ محمود شلتوت في دلالة النداء من الله «كلمات: نتقدم هنا إلى المسلمين بكلمات عن هذه النداءات التي سيجدون فيها القوى التي يحتمها الاجتماع لصيانة كل مجتمع .وما أجدرنا - معشر المسلمين - وبخاصة في هذا الوقت الذي انحلت فيه عرى الوحدة الاسلامية، وتمكنت من المسلمين عوامل الافساد داخلية وخارجية .ما أجدرنا ان نستمع الى هذه النداءات الالهية، وأن نتدبرها ،وأن نعقل معناها وان ندرك وحيها، وأن نجعلها نبراساً في الحياة ، لتعود الينا صولة الامة القوية ومكانة الاخلاق القويمة، وننزل المنزلة التي أرادها الله لنا،وأنزل كتابه لاجلها «قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» (٣).

(١) المصدر السابق ، ص٥٣٧ .
(٢) المصدر السابق، ص٥٣٧-٥٤٨ .
(٣) تفسير القرآن الكريم-الاجزاء العشرة الاولى- ، محمود شلتوت ،ط٧ ، ص١٢٢،١٢٣

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد المفسر النحوي أبا حيان الاندلسي يدرس في موضع من تفسيره المحكم والمتشابه دراسة مستفيضة (١).

والتفسير الفقهي للقرآن الكريم قبل ظهور التقليد والتعصب المذهبي وبعده قد ساهم مساهمة واضحة في ارساء قواعد المنهج المو ضوعي في تفسير القرآن الكريم. ومدارالتفسير الفقهي على آيات الاحكام. والمتعصب لمذهبه الفقهي ينظر الى آيات القرآن من خلال مذهبه فينزلها عليه.

فالجصاص الحنفي مثلاً صاحب أحكام القرآن المتوفي سنة ٣٠٥هـ/ ٩٧١م. يركز في تفسير القرآن على مذهبه والترويج له ويبوبه كتبويب كتب الفقه.

ولا جدال في أن كثيراً من مفسري القرآن قد مهدوا للشيخ محمود شلتوت الطريق الى منهجه الموضوعي في تفسير القرآن الكريم .

ولكن الشيخ محمود شلتوت وسع أبواب هذا المنهج وركز عليه تركيزاً واضحاً وزينه بسهولة العبارة وجمال التنظيم .

(١) البحر المحيط ، أبو حيان الا ندلسي ، ج٢ ، ص٣٨١-٣٨٣ .

المراجع

١ ـ الاسلام عقيدة وشريعة ،محمود شلتوت، ط١٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الشروق ،بيروت.

٢ ـ البحر المحيط ،أثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي المتوفي سنة (٧٥٤هـ ـ ١٣٥٣م) ٨م، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض.

٣ ـ تفسير القرآن الكريم ـ الاجزاء العشرة الاولى ـ ،محمود شلتوت، ط١، دار القلم ،القاهرة ،مطابع دار القلم ،١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ط٧، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ،١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤ ـ التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي الشافعي المتوفي سنة (٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩م) ،١٦م، ٣٢ج، ط٢، دار الكتب العلمية ،طهران.

٥ ـ القرآن والقتال، محمود شلتوت، ط ١، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م،. مطبعة النصر، القاهرة .

٦ ـ مناهج المفسرين ،د. منيع عبد الحليم محمود ،دار الكتاب المصري ـ القاهرة دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٧ ـ منهج ابن القيم في التفسير، محمد احمد السنباطي، من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ،١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م. القاهرة ،ط١. الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية.

مفهوم قانون برادفورد للتشتت وتطبيقاته

في المجالات المكتبية المختلفة

ميسون حبيب حسو
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

يعتبر قانون برادفورد للتشتت Bradford Law of Scattering من القوانين المهمة في علم المعلومات لانه وجد لوضع الجذور الاساسية في معالجة مشاكل المعلومات وبصورة خاصة تشتت المقالات المنشورة في المجلات والتي تعود الى حقل موضوعي معين، وكذلك لايجاد العلاقة بين المجلات والمقالات المنشورة. تكمن أهمية القانون الذي يعتمد على الطرق الاحصائية والصيغ الرياضية بصورة رئيسية على تحديد عدد المجلات التي تعود الى موضوع ما وزيادة كفاءة المصادر الببليوغرافية

منذ صياغة القانون عام ١٩٣٤ نشر عدد لابأس به من الادبيات حول الموضوع وقدمت عنه العديد من التوضيحات والتفسيرات والتعديلات والاضافات ولم يظهر صيغتان متشابهتان من الناحية الرياضية الى حد الان .

طبق القانون على النتاج الفكري للعلوم المختلفة وعلى الاعمال المكتبية . ومن أسباب الاهتمام به هو تطبيقات التشتت على الادارة الناجحة والكفوءة للمكتبة وخدمات المعلومات.

سأستعرض في هذه الدراسة مفهوم قانون برادفورد إضافة الى الدراسات الاساسية التي ظهرت حول الموضوع مع بعض الملاحظات النقدية وصولا الى تطبيقات القانون في المجالات المكتبية المختلفة .

مفهوم قانون برادفورد :

أدرك المكتبي البريطاني ساموئيل كليمنت برادفورد (١٨٧٨ – ١٩٤٨) الذي كان يعمل في مكتبة العلوم في بريطانيا حاجة المهتمين بتطور العلوم الى خدمات ثانوية كفوءة وصاغ قانونه الذي وضح فيه كيفية توزيع أو تشتت المقالات التي تعود الى حقل موضوعي معين على عدد من المجلات معتمداً على المصادر المتوفرة في المكتبة التي عمل فيها ، ونشرت دراسته التي تحمل عنوان

"Sources of Information on Specific Subjects"

في مجلة Engineering (١) ومن ثم نشرت المقالة كفصل في كتابه الموسوم « Documentation » عام ١٩٤٨ (٢) .

إفترض برادفورد بأن مجموعة كبيرة من المقالات المتخصصة في موضوع ما تنشر في عدد قليل جداً من المجلات المتخصصة التي تعود الى ذلك الموضوع أو الى الموضوع الرئيس الذي تشكل جزءاً منه ، اضافة الى مجلات شبه متخصصة ومجلات عامة والتي تتوزع عليها بنسبة كبيرة والفرضية الاخرى التي رغب دراستها هي توزيع المقالات على المجلات بتكرار يتناسب عكسياً مع التغطية .

تناولت دراسة برادفورد تحليل المقالات التي ظهرت في المجلات التي غطتها الببليوغرافيات التي تعود الىموضوعي علم طبيعة الارض التطبيقي Applied Geophysics والتزييت Lubrication من سنة ١٩٢٨ — ١٩٣١ للموضوع الاول ومن سنة ١٩٣١ — حزيران ١٩٣٣ للموضوع الثاني .ورتب المجلات تنازلياً حسب إنتاجياتها للمقالات التي نشرتها كما في الجداول (١ ، ٢) عمود أ ، ب ومن ثم أحتسب المجموع التراكمي (أ ، ب) في عمود جـ ، د ولوغاريتم عدد المجلات في عمود هـ .

---

(١) S.C.Bradford. "Sources of Information on Specific Subjects "Engineering, 26 Jan., Vol. 137, 1934 p 85–86.

(٢) S,C,Bradford, *Documentation* London, Crosby Lock wood 1948, p 106–121

جدول رقم (١) علم طبيعة الأرض التطبيقي (*) (١٩٢٨–١٩٣١)

أ	ب	حـ	د	هـ
١	٩٣	١	٩٣	صفر
١	٨٦	٢	١٧٩	٠,٣٠١
١	٥٦	٣	٢٣٥	٠,٤٧٧
١	٤٨	٤	٢٨٣	٠,٦٠٢
١	٤٦	٥	٣٢٩	٠,٦٩٩
١	٣٥	٦	٣٦٤	٠,٧٧٨
١	٢٨	٧	٣٩٢	٠,٨٤٥
١	٢٠	٨	٤١٢	٠,٩٠٣
١	١٧	٩	٤٢٩	٠,٩٥٤
٤	١٦	١٣	٤٩٣	١,١١٤
١	١٥	١٤	٥٠٨	١,١٤٦
٥	١٤	١٩	٥٧٨	١,٢٧٩
١	١٢	٢٠	٥٩٠	١,٣٠١
٢	١١	٢٢	٦١٢	١,٣٤٢
٥	١٠	٢٧	٦٦٢	١,٤٣١
٣	٩	٣٠	٦٨٩	١,٤٧٧
٨	٨	٣٨	٧٥٣	١,٥٨٠
٧	٧	٤٥	٨٠٢	١,٦٥٣
١١	٦	٥٦	٨٦٨	١,٧٤٨
١٢	٥	٦٨	٩٢٨	١,٨٣٣
١٧	٤	٨٥	٩٩٦	١,٩٢٩
٢٣	٣	١٠٨	١,٠٦٥	٢,٠٣٣
٤٩	٢	١٥٧	١,١٦٣	٢,١٩٦
١٦٩	١	٣٢٦	١,٣٣٢	٢,٥١٣

(*) نفس الهامش رقم (١)، ص ٨٥

جدول رقم (٢) موضوع التزييت، (١٩٣١ – حزيران ١٩٣٣)*

أ	ب	ح	د	هـ
١	٢٢	١	٢٢	صفر
١	١٨	٢	٤٠	٠٫٣٠١
١	١٥	٣	٥٥	٠٫٤٧٧
٢	١٣	٥	٨١	٠٫٦٩٩
٢	١٠	٧	١٠١	٠٫٨٤٥
١	٩	٨	١١٠	٠٫٩٠٣
٣	٨	١١	١٣٤	١٫٠٤١
٣	٧	١٤	١٥٥	١٫١٤٦
١	٦	١٥	١٦١	١٫١٧٦
٧	٥	٢٢	١٩٦	١٫٣٤٢
٢	٤	٢٤	٢٠٤	١٫٣٨٠
١٣	٣	٣٧	٢٤٣	١٫٥٦٨
٢٥	٢	٦٢	٢٩٣	١٫٧٩٢
١٠٢	١	١٦٤	٣٩٥	٢٫٢١٥

عمود (أ) عدد المجلات وما يقابلها من المقالات التي نشرتها

عمود(ب) عدد المقالات التي نشرتها المجلات.

عمود (ج) مجموع الأرقام لعمود أ.

عمود (د) مجموع الارقام لعمود د مضروبة في أرقام عمود أ

عمود (هـ) لوغاريتم ارقام عمودح

(*) نفس هامش رقم (١) ص ٨٥.

أشارت البيانات الي حصل عليهابرادفورد بأن هناك عدد قليل من المجلات تنشر عدد كبير من المقالات ، وعدد أكبر من المجلات التي تنشر عدد معتدل من المقالات بينما هناك عدد أكبر كثيراً من المجلات التي تنشر مقالات قليلة بصورة مستمرة أو بالاحرى تقدم مقالة واحدة خلال تلك الفترة .

ولم يلاحظ برادفورد حدود واضحة بين هذه المجموعات من المجلات. ولكنه قسمها بصورة تقريبية على الاسس التالية: —

أ. المجلات التي تقدم أكثر من أربعة مقالات في السنة.

ب. المجلات التي تقدم أكثر من مقالة واحدة وليس أكثر من أربعة مقالات .

ج. المجلات التي تقدم مقالة واحدة أو أقل في السنة.

وفي حالة موضوع علم طبيعة الارض التطبيقي (كما مبين في عمود ح،د من جدول رقم ١) وجد بأن في المجموعة أ يوجد (٩) مجلات تقدم جميعها (٤٢٩) مقالة.
وفي المجموعةب يوجد (٥٩) مجلة تقدم جميعها (٤٩٩) مقالة.
وفي المجموعة ج يوجد (٢٥٨) مجلة تقدم جميعها (٤٠٤) مقالة.
وفي موضوع التزيين (كما مبين في عمود ح،د من جدول رقم (٢) وجد بأن في المجموعة أ يوجد (٨) مجلات تقدم جميعها (١١٠) مقالة .
وفي المجموعة ب يوجد (٢٩) مجلة تقدم جميعها (١٣٣) مقالة.
وفي المجموعة ح يوجد (١٢٧) مجلة تقدم جميعها (١٥٢) مقالة.

وقد لاحظ بأن المجموعات تقدم تقريباً نفس العدد من المقالات في كل حالة إبتداءاً بالمجلات التي تساهم بأكبر عدد من المقالات نقسمها الى ثلاثة مجموعات متساوية تقريباً. والغاية الرئيسية من هذا التقسيم هو لغرض تبيان إن كل قسم من المجـلات يقدم ثلث المجموع الكلي للمقالات . وتبين لـه أيضاً بأن عدد المقالات يزداد من مجموعة الى أخرى برقم ثابت يقارب (٥) وبصورة خاصة بالنسبة الى المجموعتين الكبيرتين. وبالامكان إحتساب عدد المجلات في المجموعات الثلاثة كالآتي (استخدمت بيانات الموضوع الاول لتوضيح الطريقة) .

٩ مجلات .

٩×٥ =٤٥ مجلة

٩×٥ ×٥= ٢٢٥ مجلة

ويقصد بهذا بأن هناك مجلات رئيسية في الموضوع يبلغ عددها ٩ مجـلات تساهم بثلث المجموع الكلي للمقالات، ولغرض الحصول على الثلث الثاني من المقالات يجب البحث في خمسة أضعاف عدد المجلات الرئيسية أي ٩×٥ ، وللبحث عن المجموعة الاخيرة من المقالات يجب البحث ثانية بخمس أضعاف أخرى من المجلات أي ٩×٥×٥. ولغرض التعرف على مجموعات المجلات التي تساهم باعداد متساوية مـن المقـالات فبالامكان كتابتها بالصيغة التالية :—

٩ : ٩×٥ : ٩×٥×٥

والجدير بالذكر ان الرقم (٩) (اي عدد المقالات في المنطقة المركزية) والرقم (٥) يختلفان من موضوع الى اخر . والان بالامكان ان نقسم المجموعات على الرقم (٩) ونعوض عن الرقم (٥) بمتغاير . فالعلاقة من مجموعة الى اخرى ستصبح بالصيغة التاليـة :

١ : ن : ن٢

حيث يمثل الرقم (١) عدد المجلات في المجموعة الاولى وتمثل ن المجموعات التـي تحتوي على نفس العدد من المقالات

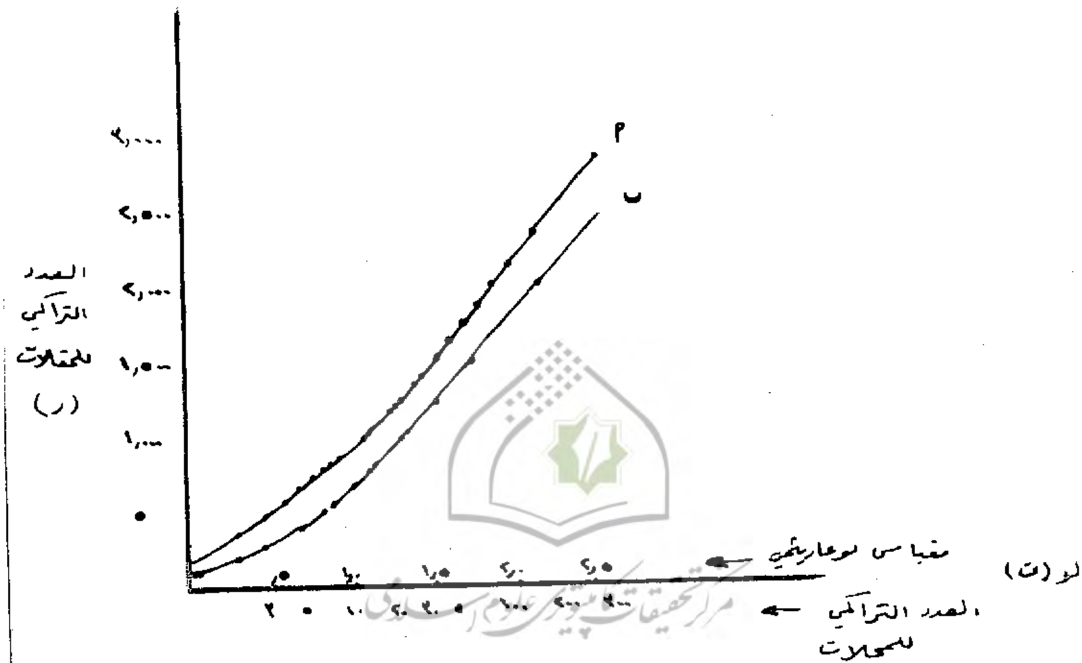
ووضح براد فورد هذه العلاقة بيانيا برسم البيانات لكلا الموضوعين باستخدام العـدد التراكمي للمقالات على المحور العمودي والذي يتمثل بالحرف (ر) ولوغاريتم (*) العدد التراكمي للمجلات على المحور الافقي والمتمثل بـ(لوغاريتم ت) ، فنتج رسـم بياني جزئه الاول على شكل منحني وجزئه الثاني ، خط مستقيم كما في شكل رقـم (١) . .

ويستنتج من هذا بأن مجموع المقالات لموضوع ما باستثناء المقالات التي تنتجهـا المجموعة الاولى من المجلات يتناسب مع لوغاريتم عدد المجلات عندما ترتب الاخيرة حسب انتاجيتهـا .

ويجدر الاشارة هنا بأن الجزء الثاني من الرسم البياني الذي حصل عليه براد فـورد هو تقريباً خط مستقيم (أي يتكون من سلسلة من الأقواس التي تمتد على خط واحـد — ويمثل كل قوس عدد معين من المجلات التي تقدم كل واحدة منها نفس العدد مـن المقـالات) .

وقد أشتق برادفورد قانونه بافتراضه أن الرسم البياني هو عبارة عن خط مستقيم . وقاد هذا الافتراض الى اخطاء خطيرة في التفسيرات الرياضية للقانون كما سنلاحـظ أدنـاه .

(*) استخدم اللوغاريتم لغرض تقليص الا رقام والتعبير عنها بأسلوب مختصر.



أ رسم بياني لبيانات علم طبيعة الارض التطبيقي ١٩٢٩ [illegible]

ب رسم بياني لبيانات التزييت ١٩٦١ - ١٩٦٢

شكل رقم (١) رسم بياني يوضح العلاقة ما بين العدد التراكمي للمقالات وعدد المجلات التراكمي (وما يقابلها من قيم لوغاريتمية) *

(*) نفس الهامش رقم (١) ص ٨٥.

والعلاقة التي وجدها برادفورد بين المقالات والمجلات وضحها برسم بياني كما في شكل (٢) حيث يمثل الجزء الاولي من الرسم البياني الى حد النقطة (ب ١) المنطقة المركزية nucleus للمجلات (ت ١) ، و (ر ١) هو عدد المقالات في المنطقة المركزية لمجلات (ت ١) ، والمجموعات او القطاعات (ب ٢) ، (ب ٣) Zones التي تليها لمجلات (ت ٤) ؛ (ت ٣) تحتوي على نفس العدد من المقالات . وعلى الرسم البياني تمثل المسافة من صفر الى (لوت ١) بالحرف (س) والمسافة (لوت ١) الى (لوت ٢) ، (لوت ٣) بالحرف (ص) ، وذلك لان (ب ١) ، (ب ٢) خط مستقيم .

إذن

لوت١=س أو ت١=(١٠)^س

لوت٢=س + ص ت٢=(١٠)^(س + س ص) = (١٠)^س + (١٠)^ص

لوت٣=س + ٢ص ت٣=(١٠)^(س + ٢ص)=(١٠)^س + (١٠)^ص٢

ولو كانت ١٠س ن

فاذن ت١ ، ت٢ ، ت٣ لاعلاقة مع بعضها البعض مثل

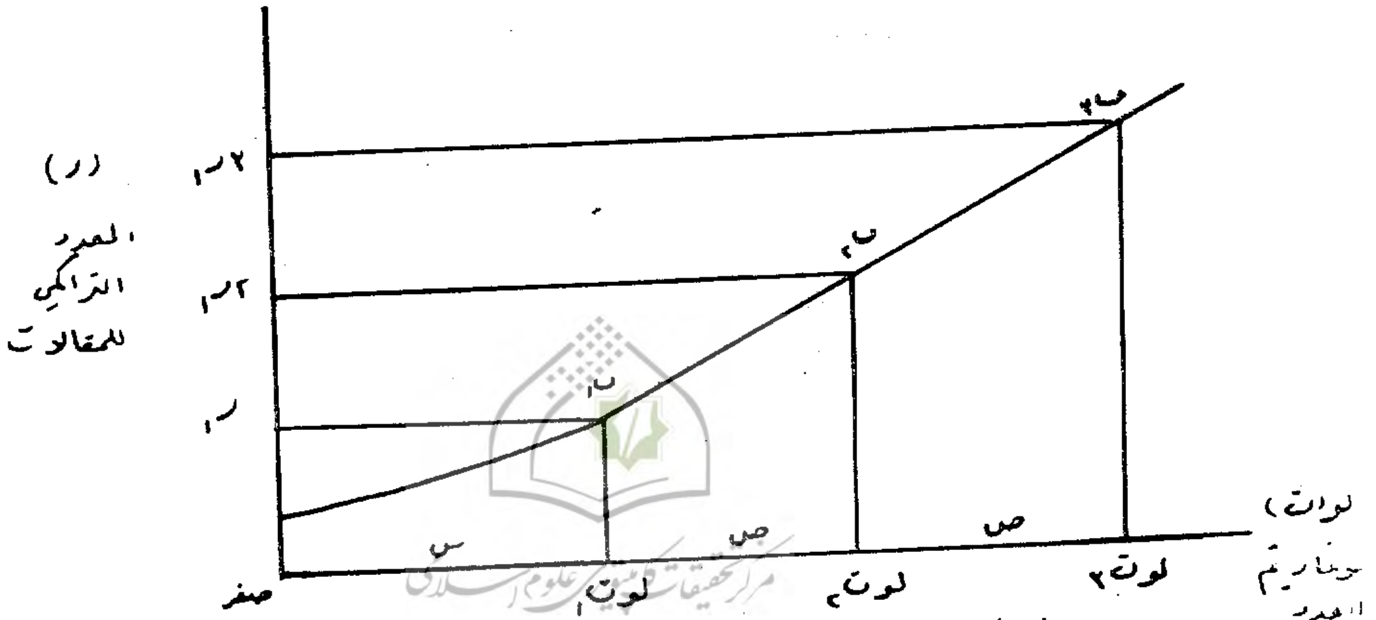
١ : ن : ن٢ أي

ت١ : ت٢ : ت٣ = ١ : ن : ن٢

ومن هذه النسبة صاغ برادفورد قانونه الذي ينص على مايلي :

لو رتبت المجلات العلمية بترتيب تنازلي حسب انتاجيتها للمقالات عن موضع ما ، فبالامكان تقسيمها الى منطقة مركزية Naclens ومجموعات او قطاعات Zones تحتوي على نفس العدد من المقالات كالمنطقة المركزية عندما يكون عدد المجلات في المنطقة المركزية والقطاعات التي تليها كعلاقة ١ : ن : ن٢ .

ولغرض تطبيق هذا القانون الذي صاغه برادفورد يتوجب تحديد وتعريف موضوع البحث والفترة الزمنية وكذلك توفير مستوى مقبول من الانتاجية في الفترة الزمنية المعينة (اي تقبل المجلة في موضوع البحث على ان تنشر مالايقل عن مقال واحد بفترة زمنية تقدر بثلاث سنوات)



شكل رقم (٢) رسم بياني يوضح العلاقة
بين المقالات والمجلات *

(*) نفس الهامش رقم (١) ص ٨٥.

دراسات حول قانون برادفورد:

منذ صياغة قانون برادفورد ظهرت العديد من التفسيرات والتعديلات والاضافات والتوضيحات وأشتقت صيغ رياضية جديدة من قبل علماء المعلومات ، وبالامكان تقسيم الدراسات الى فئتين واحدة تكمل الاخرى : —

(أ) الدراسات التي تتعلق بشرح الاسس النظرية لقانون برادفورد كدراسة فيكري، لايمكوير ، بروكس رويلكنس .

(ب) الدراسات التي تقدم تفسيرات جديدة للقانون بعد تطبيقها على بيانات مكتبية مختلفة مثل تلك التي قام بها كيندل ، كروس وكوفمان روارن .

أ — ان اول من اظهر التناقض بين الصيغة اللفظية (*) والصيغة البيانية(**) لقانون برادفورد هو بي ، سي ، فيكري حيث بين إن العبارة التي وردت في القانون (.... عدد المجلات التي في المنطقة المركزية والقطاعات التي تليها ستكون مثل ١ : ن : ن .. لاتطابق الصيغة البيانية ت١ : ت٢ : ت٣ = ١ : ن : ن٢ ولكنها تطابق الصيغة التالية —

ت١ : (ت٢ — ت٢) : (ت٣ — ت٢) = ١ : ن : ن ٢

ولكن ت١ ، ت٢ ، ت٣ ذات علاقة ببعضها ؛ لذا فان رسم العدد التراكمي للمقالات (ر) على محور ولوغاريتم العدد التراكمي للمجلات (ت) على المحور الاخر لايقدم رسم بياني مستقيم الشكل وانما رسم بياني على شكل منحني (١) .

إن عدم التشابه بين الصيغة البيانية والصيغة اللفظية للقانون ناقشته ايضاً السيدة اليزابيث ويلكنس عند استخدامها أربعة موضوعات لتطبيق القانون، ووضحت بان التباين يصبح ظاهراً عند تدقيق المعادلة الرياضية التي تربط (ر) و (ت) . وقدمت الصيغة الرياضية (*)

(*) الصيغة اللفظية Verbal Formulation — نص كلمات القانون

(**) الصيغة البيانية Graphical Formulation — تعني استخدام الرسوم والأشكال البيانية لتوضيح البيانات. وفي هذه الحالة العلاقة بين العدد التراكمي للمقالات والعدد التراكمي للمجلات.

(١) B., Vickery "Bradford's Law of Scattering" *Journal of Documentation*, Vol. 4, June 1948–March 1949, p 200.

(*) الصيغة الرياضية Mathematical Formulation — عبارة عن متغايرات وثوابت وارقام لاعلاقة مع بعضها ومرتبة بمجموعتين متعادلتين .

التالية لتمثل الصيغة اللفظية للقانون وهي

$$R\,(T) = J \log \left(\frac{T}{\times} + 1\right)$$

ر(ت) = ع لو(ت / ص + ١)

اما للصيغة البيانية فقدمت الصيغة الرياضية التالية

$$R(T) = k.\log\ T/S$$

ر(ت) = ك لو ت / س

وفي كلتا الحالتين تكون (ع — ن) (ص — س) (كْ — K) (س —S) ثوابت وغير متساوية .

وذكرت ايضاً بأن نتائج الصيغة البيانية أدق بكثير من الصيغة الرياضية (١) ، ولم يتفق كل من فيكري وويلكنسن عن اي من الصيغتين تكون مطابقة اكثر للقانون .

وحلل اف . لايمكولر قانون برادفورد واشتق صيغة رياضية جديدة لعدد اعتباطي من القطاعات واستخدمها ليتنبأ عدد المقالات في الخدمات الثانوية أثناء بحثه في موضوع الفيزياء الحرارية Thermophysics وقدم الصيغة التالية : —

$$F\,(\times) = \frac{\ln\,(1 + B\times)}{\ln\,(1 + B)}$$

ف (س) = لن (١ + ب س) / لن (١ ب)

حيث تمثل ف (س) المجموع التراكمي للمقالات التي تنتجها س من المجلات ؛ وس تمثل المرتبة Rank مقسمة على المجموع الكلي للمجلات و ب مؤشر التشتت (٢) .

بالرغم من ان برادفورد صنف المجلات الى ثلاثة مجموعات او قطاعات تحتوي تقريبا

(١) E.,Wilkinson, "The Ambiguity of Bradford's Law". *Journal of Documentation*, Vol. 28, no. 2, June 1972 p. 124, 125.

(٢) F.F.Leimkuhler "The Bradford Distribution". *Journal of Documentation*. Vol. 23, no. 3, 1967, p 197–207.

على نفس العدد من المقالات ، لكن القانون لم يضع حدودا بعدد القطاعات ، وحسب البيانات التي حصل عليها برادفورد وجد بأن المنطقة المركزية تتطابق مع النقطة التي يبدأ فيها المنحني ليصبح خطا مستقيما لثلاثة قطاعات وان قيمة ن هي (٥) . وقد إشتق كل من فيكري وويكلنسن ولايمكولر للقانون باستخدام عدد إعتباطي من القطاعات ، ولاحظ فيكري بأن القانون يطبق على اي عدد من القطاعات لكن قيمة ن تتبدل بموجبها وكذلك عدد المقالات في كل قطاع ، ولكن إستخدمت ويكلنسن شرط وهو ان يكون فيه القطاع الاول مساوي الى أو اكبر من المنطقة المركزية اي النقطة التي يبدأ فيها المنحني ليصبح خطا مستقيما وذكرت الصيغة التالية

(لو قدمت المجلات تم عدد تراكمي من المقالات م حيث تكون ت م اكبر من المنطقة المركزية فالصيغة البيانية ستكون مساوية الى

تم : ت٢م : ت٣م = ١ : ن : ن٢

وقد استخدم فيكري ايضا معادلة قياسية لتفسير الخط المستقيم الذي يوضح قانون برادفورد وهي

ر = أ . لوت + ب $R=a. \text{Log } T+b$

حيث تمثل (ر) عدد المقالات الموجودة في (ت) من المجلات وتمثل (أ) إنحدار الخط و (ب) نقطة تقاطع الخط مع محور عدد المقالات .

أما بي . سي . بروكس فقد إشتق معادلات عديدة ونشر أولا عام ١٩٦٨ (١) ومن ثم عام ١٩٦٩ (٢) . حيث استند على الرسم البياني ووضع الصيغة التالية : —

ر (ت) = ك لوت / س $R(T) = K.\log T/S$

وتمثل (س) نقطة التقاطع مع لوغاريتم محور (ت) ، و (ك) هي المجموع الكلي

---

(١) B.C.Brookes "The Derivation and Application of Bradford. Zipf Distribution". *Journal of Documentation*, Vol. 24, no. 4. 1918, p 247–265

(٢) B.C.Brookes "Bradford's Law and the Bibliography of Science" *Nature*, Vol 224, Dec. 6, 1969. p. 953–956.

للمجلات في الخدمة الثانوية . يساعد انحدار الخط المستقيم على تقدير المجموع الكلي للمقالات ر (ت) التي يتوقع ان تظهر في الخدمة الثانوية . وفي الواقع إن معادلة بروكس وفيكري تستخدم أسس مختلفة للوغاريتم حيث استخدم الاول اللوغاريتم للاساس عشرة بينما استخدم الثاني اللوغاريتم الطبيعي للاساس e (*) وان معادلة بروكس تطابق الصيغة اللفظية لقانون برادفورد والرسم البياني تماما (١) .

ومن الدراسات المتميزة للعالم بروكس في هذا المجال هو دمج قانون برادفورد بقانون زيف(*) (٢)، حيث بيّن ان قانون برادفورد مشابه تماما لقانون زيف وحاول فيه تقدير حجم الخدمة القانونية برسم بياني يمثل قانون برادفورد — زيف ، يمثل محوره العمودي ر (ن) مجموع المقالات التي قدمتها المجلات والمحور الافقي لوغاريتم (ن)٢ ، واستخدم في هذه الحالة ورق بياني شبه لوغاريتمي وظهر الجزء الاول من الخط البياني على شكل منحني ومن ثم امتد على شكل خط مستقيم ، وحدد النقطة النهائية للخط المستقيم ومد الخط المستقيم ليلتقي بالمحور الافقي المتمثل بلوغاريتم ن في نقطة (س)، وحدد نقطة مناسبة على الخط المستقيم (ب) كما في شكل رقم (٣) .وقدم الصيغة التالية لتقدير المجموع الكلي للمجلات ن المتوقع أن تغطيها الخدمة الثانوية :

$$N = \frac{R\ (P)\ .\ OT}{3\ SM}$$

ن = ر (ب) ، صفر (ت) / ٣ س م

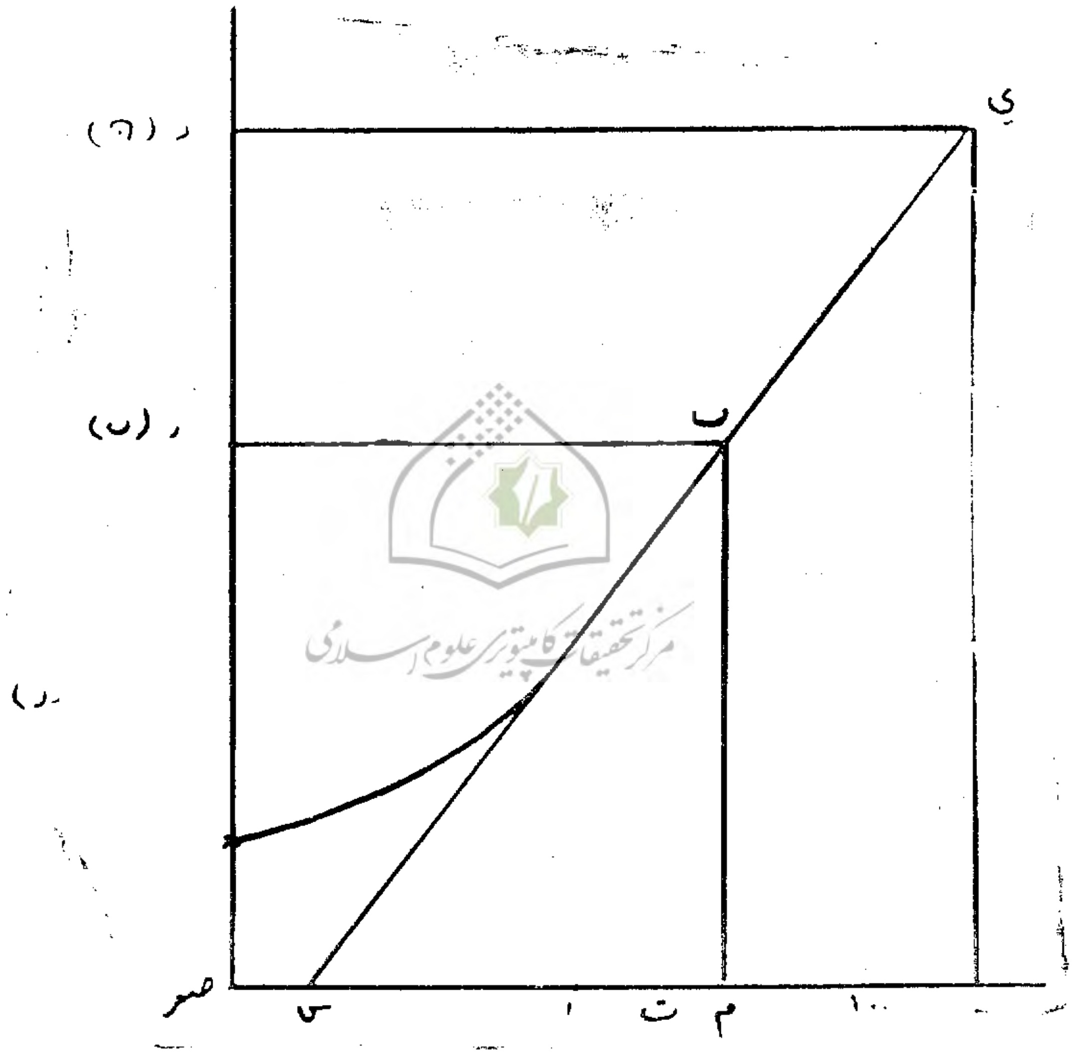
حيث تمثل ر (ب) عدد المقالات التي تتطابق

(١) نفس المصدر السابق ص ٩٥٣ .

(*) زيف (Zipf): العالم اللغوي الذي اهتم بدراسة تكرار استخدام الكلمات المختلفة وتوصل الى الصيغة التالية. لو احتسبت الكلمات التي تظهر في نص معين ومن ثم ترتب حسب تكرار ظهورها فيتناسب تكرار الكلمات مع الرتبة Rank التي تتمتع بها تلك الكلمات» ونشر الصيغة في كتابه :

G.K.Zipf *Human Behavior and thd Principle of Least Effort.* Addison Weslby Press. 1949, p 546.

(٢) B.C. Brookes "Numerical Methods of Bibliographic Analysis". *Library Trends.* July 1973, p 18–43



شكل رقم (٣)
الخط البياني لقانون برادفورد — زيف

ومن ثم قاس المسافة من صفر (ت) وس م بالمليمترات وبعد التعرف على قيمة المجموع الكلي للمجلات قدم الصيغة التالية لتقدير عدد المقالات المتوقعة.

ر (ن) = ن لو ن ـ س R (N)= Nloge U/S

وتقدر قيمة النقطة ن على الرسم البياني ومن ثم تحدد النقطة (ي) على امتداد الخط المستقيم ،وبالامكان قراءة قيمة ر (ن) من مقياس العدد التراكمي للمقالات في المحور العمودي.

والغاية الاساسية من هذه الصور كما وضحها بروكس (١) هي التوصل الى مايلي :

(أ) تصميم نظم وشبكات معلومات اكثر اقتصادية

(ب) تحسين كفاءة اجراءات التعامل مع المعلومات.

(ج) تحديد وقياس النقص في الخدمة الثانوية.

(د) التنبؤ عن اتجاهات النشر

(هـ) اكتشاف وشرح القوانين التجريبية التي تضع الاسس لتطوير النظريات في علم المعلومات.

(ب) يتناول الجزء الثاني الدراسات التي قدمت تفسيرات جديدة القانون اعتمادا على الرسم البياني بعد تطبيقها فعليا على بيانات مكتبية ،ومن المحاولات في هذا المجال محاولة إم كيندل (٢) الذي حلل ببليوغرافية موضوع بحوث العمليات "Operations Research" والمنشورة من قبل "Operationa Researd Systems Analysis" لعام ١٩٥٨ ، مركزا في تحليله على المقالات المنشورة، إضافة الى تحليل ١٤٦٥ مصدر من موضوع المنهجية الاحصائية "Statistical Methodology" لعام ١٩٢٥ ـ ١٩٣٩ وقد لاحظ ان النتائج التي توصل اليها مطابقة الى قانون برادفورد وذلك برسم المجموع التراكمي للمقالات على محور ولوغاريتم العدد التراكمي للمجلات على المحور الاخر وحصل على خط بياني مستقيم الشكل افضل من ذلك الذي حصل عليه برادفور (اي ليس سلسلة من الاقواس التي تمتد على خط مستقيم) واستخدم اولي كروس نفس أسلوب

---

(١) المصدر السابق ص ١٨.

(٢) M.G.Kendall, "The Bibliography of Operational Research". *Operational Research Quarterly*, Vol. 11,No. 1-2, 1960, p 31-36.

اسلوب برادفورد على بيانات Keenan–Atherton التي تتعلق بأدبيات موضوع الفيزياء ولاحظ ان النتائج لاتطابق قانون برادفور اذ أنه حصل على رسم بياني يبدأ بانحناء ومن ثم امتد على شكل خط مستقيم وانحرف في مراحله النهائية على شكل droop (اي بدلا من ان يصبح خطاً مستقيماً إنحرف نحو الأسفل) وافترض كروس بأن قانون برادفور لم يقدر نسبة عدد المجلات ذات الانتاجية الواطئة للمقالات بصورة صحيحة (١) . ويجدر الاشارة هنا ان الرسم البياني الذي حصل عليه كروس لايدعم النسبة التي قدمها برادفورد والمتمثلة بـ١ : ن : ن٢ حيث أنه يجب ان يكون الرسم البياني على شكل خط مستقيم لتصبح النسبة صحيحة. إن هذه الظاهرة التي اكتشفها كروس قادت الى تفسيرات عديدة منها التفسير الذي قدمه بروكس بأن هذا الانحراف في الرسم البياني يحصل في حالة عدم شمولية الخدمة الثانوية (٢) .

ويبدو التفسير لهذه الظاهرة منطقياً حيث أنه من المعقول جدا ان تكون المجلات ذات الانتاجية الواطئة محذوفة من الخدمة الثانوية غير الشاملة ولهذا حصل الانحراف في نهاية الرسم البياني .

وحاول كوفمان ووارن (٣) تحليل البليوغرافيات التي تمتد حوالي قرن من الزمن لموضوعين مختلفين في الطب وهي البلهارزيا Schistosomiasis والكريات البيضاء Mast Cells تختلف بياناتهم من ناحية الحجم والمحتوى ولكن بنسبة المجلات الى عدد المؤلفين متساوية فيها تقريباً . وقدم تحوير للقانون بتقديم فكرة تقسيم الادبيات ليس فقط الى قطاعات Zone وانما الى اقصى حد من القطاعات وبذلك تم الحصول على أصغر منطقة مركزية nuclew او حد ادنى من المجلات الرئيسية .

---

(١) OLE. Groos. "Bradford's Law and the Keenam–Atherton Data". *American Documentation*,. January 1967, p 46.

(٢) B.C. Brookes

(٣) W. Goffman, and Kenneth Warren "Dispersion of Papers Amunog Journ, Based On A Mathernatical Analysis of Two Diverse Medical Literatures". *Nature*, Vol. 221. March 29, 1969, p 1205–1207.

مجالات تطبيق قانون برادفورد:

حصل في الثلاثين سنة الماضية زيادة ملحوظة في نشر أدبيات تخص تطبيق قانون برادفورد على المجالات المكتبية المختلفة. وبالامكان تقسيم هذه الادبيات الى قسمين:

أ. تطبيق القانون على النتاج الفكري لحقول العلم المختلفة.

ب. تطبيق القانون على الاجراءات المكتبية.

أ. إن من ابرز الموضوعات التي طبق عليها قانون برادفورد هي الالياف العضلية Musde fibres . علم الحاسب الالكتروني Computer Science ، الزراعة Agriculture ، علم المعلومات Information Science والجغرافيا Geography . أظهرت هذه الموضوعات نتائج متنوعة منها تشير الى أن القانون لايتبع الواقع أو ان البيانات التي استخدمت لاتطابق القانون لاسباب عديدة بينما أثبتت صحة القانون في البعض الاخر منها. عند تطبيق القانون على البيانات الببليوغرافية الخاصة لموضوع الالياف العضلية المجمعة بواسطة نظام Nevlars *

لاحظ بروكس بأن الببليوغرافية التي حللها كانت مثالية الى حد ما بالرغم من وجود انحراف بسيط جداً في نهاية الرسم البياني والتي تبتعد نوعاً ما عن فكرة برادفورد (١) ، بينما استنتج ان الببليوغرافية الخاصة بعلم الحاسب الالكتروني كانت جيدة ولكن انتقائية لانها أظهرت انحراف أوسع من الرسم البياني المثالي برادفورد.

وذات الانحراف نحو الجهة السفلى من الرسم البياني ظهر ايضاً في دراسة الاواني(٢) عند تحليله موضوع الزراعة الاستوائية وشبه الاستوائية ضمن المستخلصات الاستوائية 'Tropical Abstracts' والتي تعتبر مجلة المستخلصات الوحيدة في الموضوع . وعند تطبيق قانون برادفورد على بيانات عام ١٩٧٠ تبين أن ٦٤٣ عنوان مجلة يتوقع أن تنشر مالا يقل عن مقالة واحدة في الموضوع.

(*) Medical Literature Analysis and MEDLARS Retcieval Systems.

نظام تحليل واسترجاع الادبيات الطبية.

(١) نفس الهامش رقم ٧ ص ٩٥٤ . B. C. Brookes

(٢) S.M.Lawani,"Bradfords Law and the Literature of Agriculture. *Enternational Librarey Review*, 5, 1973, p341-350

ويتوقع آن تنشر هذه المجلات التي عددها ٦٤٣ مجلة مجموع ٢٧٨٤ مقالة في الموضوع. أي أن تغطية مجلة المستخلصات للمجلات كانت كاملة بنسبة ٢ ـ ٥٨ بالمئة بينما تغطيتها للمقالات كانت بنسبة ٨٢ بالمئة، ويتضح من هذا بأن نسبة تغطية المقالات أعلى من تغطية المجلات.

وطبق قانون برادفورد ايضاً على موضوع علم المعلومات في الدراسة التي قدمها يوب (١) بتحليل بيليوغرافية علم المعلومات والتكنلوجيا التي تدعى

(Bibliography on Information Science and Technology)

والتي تجمع وتصدر فصلياً كجزء من المجلد السنوي.

(Annual Review of Information Science and Technology)

محدداً الفترة من ايلول ١٩٦٤ الى كانون الثاني ١٩٧٠ للبحث. ورسم العلاقة بين لوغاريتم عدد المجلات والعدد التراكمي للمقالات فحصل على رسم بياني يبدأ بمنحني ويمتد على شكل خط مستقيم منحرفاً نحو الأسفل في مراحله النهائية، فلاحظ ان المجلات الرئيسية في الموضوع يبلغ عددها عشرة. وان الجزء النهائي من الرسم البياني ينحرف عن الخط المستقيم نحو الاسفل عندما يصل عدد المجلات الى رقم ٢٠٠، فتوصل الى ان عدد المجلات التي يجب ان تغطيها البيليوغرافية الشاملة هي في هذه الحالة ١٤١٨ مجلة، وعدد المقالات التي ينبغي ان تغطى يجب ان تكون ٨٩٠٠ مقالة، أي أن البيليوغرافية كاملة بنسبة ٧٢ بالمئة بما يتعلق بالمجلات و٨٣ بالمئة كاملة بالنسبة للمقالات.

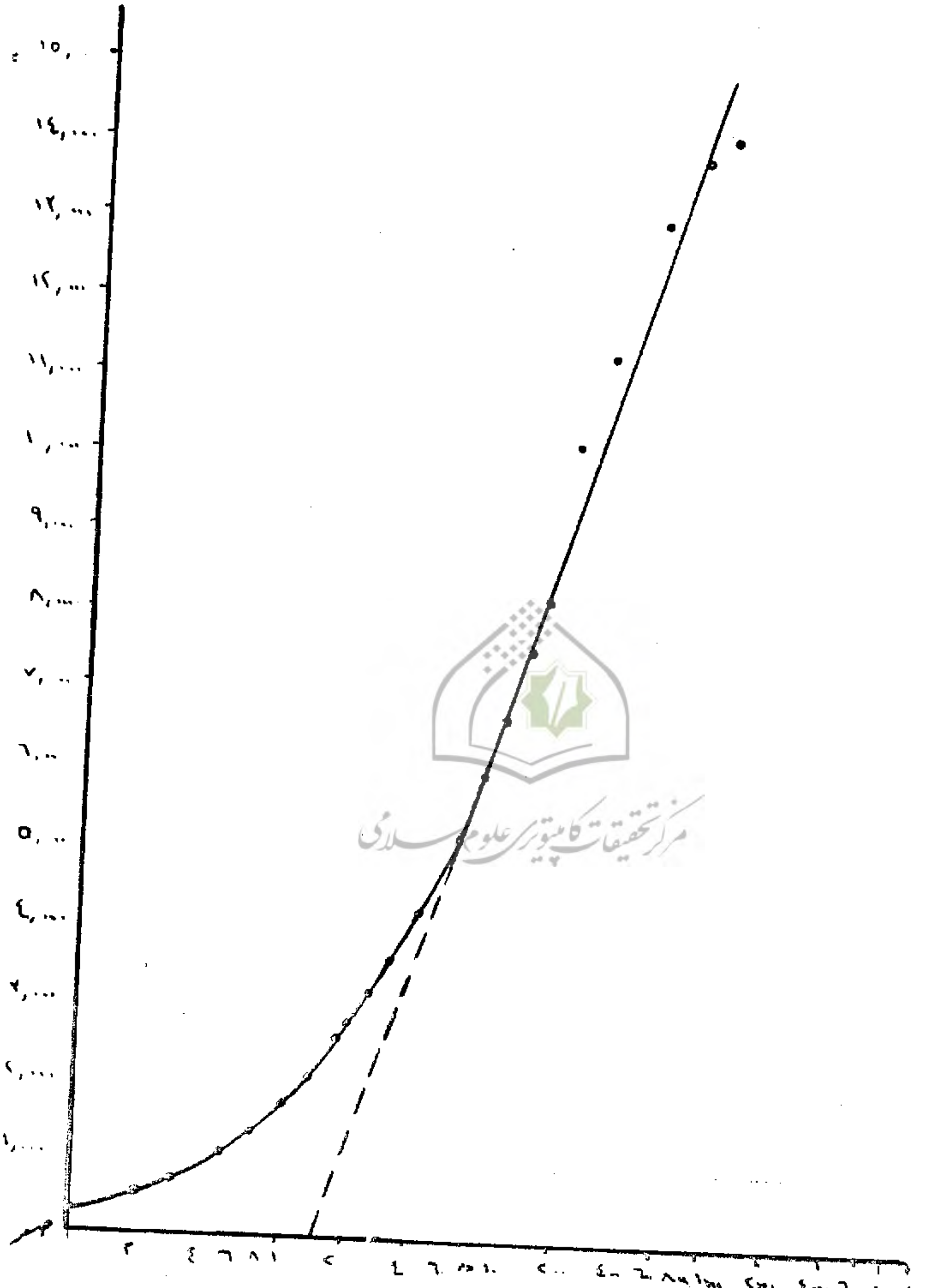
وعند تحليل أدبيات الجغرافية توصل ايبيكو (٢) الى رسوم بيانة متنوعة مركزاً على مقالات الدوريات في أربعين مجلد من خدمة المطبوعات الجارية في موضوع الجغرافية التي تدعى بـ Current Geographical publications
وللفترة مابين كانون الثاني ١٩٧٠ الى كانون الاول ١٩٧٣. وقسم ايبيكو دراسته الى قسمين:

(١) A., Pope "Bradfond Law and the Periodical Literature of Information Science. *Journal of - the American Society for Information Science.* July-August 1975, p 207-213.

(٢) W., Aiyepeku. "The Badford Distribution Theory: The Compounding of Bradford Periodical Literatures in Geography." *Journal of Documentation*, Vol.33, no. 3, Sept. 1977. p 210-210

ففي القسم الاول منها اعتمد على بيانات العالم ككل والتي تتمثل بالولايات المتحدة الامريكية، الجزر البريطانية، فرنسا والمانيا، اذ ان هذه البلدان مسؤولة عن معظم ماينشر في هذا الموضوع ولذلك اعتبرها تمثل العالم. وقد استمد تفسيره البياني لقانون برادفورد على ضوء ذلك حيث رسم البيانات على ورق بياني شبه لوغاريتمي مقياس رقم اربعة كما في شكل رقم(٤). ولاحظ بان النقاط الخمسة الاخيرة من الرسم البياني اظهرت انتفاخ Saturation نحو الجهة العليا من الرسم البياني . وهذه الظاهرة بعيدة عن فكرة الخط المستقيم الذي هو ضمن الرسم البياني الذي يمثل قانون برادفورد. اما الاسلوب الاخر الذي اتبعه هو تقسيم المقالات جغرافياً الى اربعة اقسام كما ذكر آنفا باستخدام ورق بياني شبه لوغاريتمي مقياس رقم ثلاثة كما في شكل رقم (٥) فتبين له بان الرسم البياني الذي يمثل الولايات المتحدة الامريكية مشابه تماماً الى الرسم البياني الذي يمثل قانون برادفورد مع وجود انحراف بسيط في نهايته والتي تمثل الببليوغرافية غير الكاملة ؛ بينما أظهرت بيانات كل من الجزر البريطانية والمانيا وفرنسا عدم تطابقها مع قانون برادفورد . وعند دمج البيانات للبلدان الاربعة ورسمها على ورق بياني شبه لوغاريتمي مقياس رقم ثلاثة حصل على رسم بياني مشابه الى الرسم البياني الذي يمثل قانون برادفورد في نهايته انحراف نحو الاسفل . وبامكاننا الاستنتاج هنا بأن تطبيق قانون برادفورد على أدبيات الجغرافية قد يقدم نتائج تشير الى شمولية أو عدم شمولية الببليوغرافية وكذلك الحال بالنسبة للبلدان سواء إن انفصلت بياناتها أو ادمجت مع بعضها . وتضيف هذه الظاهرة بعداً جديداً للنظرية والتي قد تكون اساسية عند تقديم خدمات معلومات متخصصة للمتخصصين بالجغرافية على وجه الخصوص والى العلماء المتخصصين بعلوم الارض والعلوم الاجتماعية على وجه العموم .

وركز القسم الثاني من دراسة ايبيكو عن مدى تطابق الصيغة البيانية لقانون برادفورد مع الصيغة اللفظية والعكس بالعكس باستخدام نفس مجموعة البيانات التي حللت في القسم الاول من الدراسة . وافترض بأن البيانات التي تطابق الصيغة اللفظية يجب أن تظهر تقريباً نسبة ثابتة مع انتاجية الدوريات وتزداد بصورة هندسية . فلم يظهر أية مشكلة مع بيانات البلدان الاربعة مجتمعة والولايات المتحدة الامريكية منفصلة لانها تطابق الصيغة اللفظية والبيانات . وكذلك مع بيانات الجزر البريطانية والمانيا لعدم تطابقها مع الصيغتين اللفظية والبيانية للقانون . واستنتج أيضاً ان البيانات التي تطابق الرسم البياني المستقيم الشكل قد لاتطابق الصيغة اللفظية والعكس بالعكس .



شكل رقم (٤)

تشتت المقالات على المجلات العالمية في موضوع الجغرافية (١٩٧٠ — ١٩٧٣)*

(*) نفس المصدر السابق ص ٢١٢ .



شكل رقم (٥) تشتت المقالات على المجلات مقسمة حسب السعة

(*) نفس المصدر السابق ص (٢١٣).

ب بالرغم من إن قانون برادفورد أفترح في الاصل ليصف توزيع مقالات المجلات في النتاج الفكري العلمي وكذلك كوسيلة لاعداد الخدمات الثانوية الكفوءة والمحافظة على تغطية جيدة للمجلات ، الا ان استخداماته في مجالات الاجراءات المكتبية محدودة جداً مقارنة باستخدامه في تحليل النتاج الفكري للعلوم وتمت الاستفادة منه في مجال الاختيار والتزويد والاعارة .

لقد تم الاستفادة من القانون في الدراسة التي قدمها هوكينكز (١) في أختيار الدوريات العلمية في مكتبة صناعية للبحث، تهتم بموضوع الالكترونيات وذلك بتحليل الاشارات الببليوغرافية للدوريات العلمية المنشورة في التقارير الفنية للاعوام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢. وعند تطبيق قانون برادفورد تم التوصل الى ان هناك مجموعة من الدوريات تعود لمكتبة تحتوي على موضوعات متعددة ، وان اغلبية الاشارات لها علاقة مبالغ فيها مع مرتبة الدوريات والتي قد تشير الى ان مجموعات التقارير للسنين الثلاثة تعود الى حقل علمي محدد بالرغم من انها متعددة الموضوعات . وقد لوحظ أيضاً استقرار حجم الدوريات للاعوام الثلاثة بعدد يبلغ (٤٢٠) .

وبدرج المجلات التي اشير اليها ثلاثة مرات أو أكثر في أية سنة من السنوات وبتحديد عدد الاشارات لكل سنة ودرجها في القائمة تبين ان القائمة تحتوي على ١٤٢ مجلة وان المكتبة التي لها مجاميع كاملة من هذه المجلات والتي عددها ١٤٢ ستغطي ٩٤، ٩١، ٩٣ بالمئة لكل سنة من العدد الكلي للاشارات والتي هي ٢٠٠٥ ، ٢٠٢٥ ، ٢١٥٧ على التعاقب .

واتضح أيضاً ان النسب للسنين الثلاثة متماثلة مهما كان الاسلوب المستخدم في اختيار قائمة الدوريات بغض النظر عن حجم القائمة . وافادت هذه الدراسة اضافة الى الحصول على مجموعة الدوريات هو التوصل الى ان حجم ومحتويات مجموعة الدوريات تستقر لفترة زمنية قصيرة (٢) .

والمجال الثاني الذي استخدم فيه القانون هو تطبيقه على بيانات الاعارة للكتب .

---

(١) E., Hockings "Selection of Scientific Periodicals in an Industrial Research Library." *Journal of the American Society for Information Science*. March-April 1974, p131-134.

(٢) S., Bulick "Book Use as a Bradford Zipf Phenomenon." *College and Research Libraries*. May 1978 p 215-219.

والمطبوعات المستقلة الاخرى monographs لعام ١٩٧٤ في مكتبة هلمن . مكتبة البحث الرئيسية في جامعة بيتسبرك في الولايات المتحدة الامريكية . وقد اسند الى الانتاجية التي استخدمت في القانون الاصلي بالاعارة ، ورتبت المواد حسب تكرار اعارتها . وتوصلت الدراسة الى ان بيانات الاعارة المستحصلة تطابق الصيغة النظرية للقانون وليس البيانية والتي تتوصل أخيراً الى ذات الاستنتاج الذي قدمته اليزابيث ويلكنسن .

وفي مجال الاعارة أيضاً تبين في دراسة كوفمان وموريس (١) بأن الاعارة في أكثر الاشهر كثافة في العمل الا وهو شهر اذار لعام ١٩٦٨ لمكتبة .

Allen Memorial Medical Library, Ohis

تشير الى وجود علاقة بين المواد المعارة والمستعيرين في المكتبة وعلى ضوء البيانات حددت منطقة مركزية من المجلات التي تعود الى مجموعة المكتبة والتي تتضمن المجلات المخصصة الى الموضوعات التي يهتم بها مستفيدي المكتبة وكذلك أصغر منطقة مركزية من المجلات المعارة في المكتبة ، وأوصت الدراسة بأنه كلما سمحت ميزانية المكتبة بالصرف فبالامكان اضافة المجلات المحصورة في القطاعات التي تلي المنطقة المركزية لانها ستمثل مايستعيره المستفيدين بالدرجة الثانية وعليه ستتمكن أدارة المكتبة من الحفاظ على المجموعة المكتبية بصورة منظمة وتكون قابلة للنمو والافادة .

---

(١) W., Goffman, and Thomao Morris
"Bradford's Law and Library Acquistions."
Nature, Vol. 226, June 6, 1970, p 922-923.

الخلاصة

لقانون برادفورد للتشتت أهمية علمية كبيرة للباحثين والمكتبيين على السواء . فالقانون اشار الى ان المقالات التي هي موضع اهتمام المتخصصين في الحقول المختلفة تنشر ليس فقط في المجلات المتخصصة في ذلك الموضوع وانما بين وقت وآخر في مجلات أخرى ذات علاقة (شبه متخصصة) وفي المجلات العامة .

حفزت دراسة برادفورد العديد من علماء المعلومات على تقديم الادلة فمنها ايدت صحة القانون بينما قدم البعض الاخر صيغ مقاربة للقانون واظهرت أخرى غموض الاستنتاجات التي قدمها برادفورد فاشتقت صيغ جديدة .

لقد أشير بصورة خاصة الى الدراسات العملية لقانون التشتت واهميته في أدارة المكتبة وفي تقييم تغطية الخدمات الثانوية كما في الدراسة التي قدمها بروكس باظهاره العلاقة بين قانون برادفورد وقانون زيف .

ساعد قانون برادفورد عند تطبيقه في المجالات المختلفة التعرف على مدى شمولية الخدمات الثانوية وكذلك على وضع سياسة شرائية صحيحة للمكتبة ومعرفة المجلات ذات الانتاجية العالية أو التي عليها طلب كبير أو أكثر من غيرها من المجلات ، اضافة الى ذلك افاد القانون في معالجة مشكلة تقادم المطبوعات لانه يقدم اشارة مفيدة عن أكثر المجلات انتاجية وان الانتاجية والافادة تؤخذ بالاعتبار عند الاحتفاظ بالمواد المكتبية واستبعادها .

المصادر المراجع

1- Aiyepeku, Wilson. "The Bradford Distribution Theory: The Compounding of Bradford Periodical Literatures in Geography". *Journal of Documentation*, Vol. 33, no. 3, Sept. 1977, p 210–219

2- Bradford, S.C. "Sources of Information on Specific Subjects". *Engineering*, 26 Jan., Vol. 137, 1934, p 85–86.

3- Bradford, S.C. "Documentation. London, Crosby Lock wood, 1948

4- Brookes, B.C. "The Derivation and Application of Bradford–Zipf Distribution". *Journal of Documentation*, Vol. 24, no. 4, 1968, p 247–265.

5- Brookes, B.C. "Bradford's Law and the Bibliography of Science". *Nature*, Vol. 224, Dec. 6., 1969, p 953–956.

6- Brookes, B.C. "Numerical Methods of Bibliographic Analysis". *Library Trends*, July 1973, p. 18–43

7- Bulick, Stephen. "Book Use as a Bradford Zepf Phenomenon". *College and Research Libraries*, May 1978, p 215 219.

8- Goffman, W. and Kenneth Warren. "Dispersion of Papers Among Journals Based on a Mathematical Analysis of Two Diverse Medical Literatures". *Nature*, Vol. 221. March 29, 1969, p 1205–1207.

9- Goffman, W. and Thomas Morris. "Bradford's Law and Library A Cquisitions". *Nature*, Vol. 226, June 6, 1970 p 922–923.

10- Groos, OLE.V. "Bradford's Law and the keenan–Atherton Data". *American Documentation*, January 1967. p46.

11- Hockings, E.F. "Selection of Scientific Periodicals in an Industrial Research Library". *Journal of The American*

Society For Information Science. March. April 1974, p 131–134.

12– Kendall, M.G. "The Bibliography of Operational Research". *Operational Research Quarterly*, Vol."11, no. 1–2, 1960, p 31–36 .

13– Lawani, S. M. "Bradford Law and the Literature of Agriculture"
International Library Review, 5, 1975, p 341–350

14– Leimkuhler, F.F. "The Bradford Distribution. *Journal of Documentation*, Vol. 23, no. 3. 1967, p 197–207

15– Pope,Andrew."Bradford Law and the Periodical Literature of Information Science". *Journal of the American Society for Information Science*. July–August 1975. p 207–213

16– Vickery, B. "Bradford's Law of Scattering". *Journal of Documentation*, Vol. 4, June 1948– March 1949, p 198–203.

17– Wilkinson, E. "The Ambiguity of Bradford's Law". *Journal of Documentation*, Vol. 28 no. 2, June 1972, p 122–130.

18– Zipf, G. K. Human Behavior and the Principle of Least Effort. Addison Wesley Press, 1944. 573 p.

ضرورات تنمية دور الشباب في الوطن العربي

د. محمد جاسم محمد

مؤسسة المعاهد الفنية

مقدمة :

ان تنمية دور الشباب في المجتمع العراقي خاصة يعتبر عامل رفد لخطط التنمية ويعطي مردودا «تنمويا» في التخطيط المستقبلي، كما يدعم الاسس السليمة في التقدم والنهوض بالمجتمع نحو سلم الرقي والحضارة. لذا فان معرفة مشاكل الشبيبة ودراستها ومعرفة عوامل التغيير في اتجاهات الشباب في الجوانب الصحية ، والاجتماعية ، والترويحية ، والثقافية ومسبباتها ،يكتسب اهمية خاصة .

اذ ان هذه المرحلة من مراحل التعليم وخاصة الجامعي تعد الشباب لبناء الوطن كما انها تشكل طاقة خلاقة، مبدعة، وأن الأمة بتطلعاتها تتجه اليهم في الحاضر ويعتمد المستقبل على نوعية اعدادهم، ورعايتهم، وتوجيههم واذا ماتذكرنا ان النظرة الى التنمية على انها هدف للسياسة الوطنية قد بدأت تتضح وتنتشر في الخمسينات لتبين ان هذا المفهوم قد غدا اتجاها لارجوع عنه وفكرة رسخت وامتد اثرها. وفي البداية كان تطبيق هذا المفهوم يقتصر تقريبيا على توضيح مشكلات البلدان المتأخرة تكنولوجيا«واقتصاديا» والتي جرت العادة على تسمياتها بسبب ذلك بالدول «المتخلفة» غير انه في خلال الستينات اتسع هذا المفهوم وازداد عمقاً «وتنوعاً» بحيث اصبح يتضمن الجوانب الاجتماعية . لتحسين احوال البشر. فقد تبين فعلاً ان بعض المعطيات الاجتماعية . مثل الصحة. والتربية. والعمالة لاتتحكم في نمو الاقتصادي ، بل ان التصرفات والاسباب التي توجه الاختيارات الاساسية للتخطيط الشامل للتنمية تقع على هذا الصعيد نفسه.

«لذا ان تنمية الشباب الثقافية منها خاصة قد اكد مؤتمر البندقية لليونسكو على ضرورة ادماجه ضمن خطط التنمية العامة.وبهذا اعطى مفهوماً جديداً للانسان بوصفه موضوع التنمية وغايتها في آن واحد (١) .

اي ان الانسان لايكون منتجاً فحسب وعليه ان يزود ببرامج التدريب والحماية وانما هو ايضاً كائن متكامل له احتياجاته وامكانياته وتطلعاته.

«ويقينا في هذا العصر... عصر التطلع والحرية والشمس الواضحة ... وعصر التنمية والعلم واواخر القرن العشرين. من يكون مع قوانين التطور المركزية للحياة او يكون قائدا لها هو الذي ينتصر.ومن يجرف بالتيار المعاكس بالاتجاه المعاكس ومن يتراجع عن الحياة في معانيها الجديدة وجوهرها الجديد لايمكن ان يكون نصيبه الخسران والانتحار»(٢) .

التأثيرات السلبية وضرورات اعادة بناء الشبيبة :

ان الثورة الصناعية في اوربا وتطورها والثورة التكنولوجية وعصر الكمبيوتر دعى الدول العربية تلج العصر بعد ان خرجت من تقوقعها ، وقد صاحب ذلك ادخال تكنولوجيا حديثة ومتطورة وقد جاء مع هذه الاوليات افكار اوربية والتي كانت الدول الامبريالية، والصهيونية خاصة تدخلها بشتى الطرق آملة في ذلك تمزيق النظام الاجتماعي والبنيوي والسياسي والتي كانت اساسا في ادخال اضطراب وتشوهات على فكر الشباب في الأقطار العربية خاصة.

ولو اردنا ان نعيد بدء التأثيرات الاوربية الثقافية في النظام التربوي العربي، فان سنة ١٨١٨ هي بدأ ايفاد الطلبة العرب للدراسة في فرنسا ،وقد نشأت من خلال النخبة الاولى والتي تلتها ولحد وقتنا الحاضر السياسة التربوية الدخيلة، نتيجة عملية تغريب الطلبة في خارج الوطن وتأثيرات ذلك.

ان اردنا ان نزيح كاهل التخلف الذي جلبته لنا التربية الاوربية سواءاً في الانظمة التربوية او من خلال الافكار التي تدخل من استعمالات الاجهزة التقليدية والتكنولوجيا

(١) وقائع اليونسكو/ مفهوم جديد ، مونيك دونكر – العدد العاشر – المجلد الثامن عشر ١٩٧٢ ص ١٦، اليونسكو ، باريس .

(٢) صدام حسين ، ليس امام الشباب مستحيل (كراس) إصدار الاتحاد العام لشباب العراق مكتب الثقافة والاعلام ١٩٨٣ ص ١٦ .

واجهزة الكمبيوتر، توجب النظر وبجديه الى تنمية فكر الشباب في المجتمع في الجامعات خاصة على اساس اعتبارها ضرورة انمائية حاضرة وفاعلة في التأثير للبعد التاريخي المستقبلي.

اننا بهذا الشكل التربوي السائد والعلاقات الاجتماعية التي تشد الفرد الى الوراء، واحياناً تترك له الحبل على الغارب وبلا هدف. لاتمكننا هذه الحالة من اعداد الجماعة الانحسائية الضرورية واقصد بهم الشباب، بل ان ذلك سيجعلنا ان نبرز اشكال التربية التقليدية التي امتزجت فيها عوامل التشويه الفكري والخلقي والاجتماعي والسياسي وهي بذلك تعتبر استنساخ مزقه الاستعمار والافكار الدخيلة، ولم يعد بمقدورنا ان نتخلص منه مالم نتخلص من كل اشكال التربية غير الخلاقة والتقليدية.

ان عملية تنمية الشباب هي عملية بناء المجتمع وبالتالي نقض عادات وأفكار وتقاليد مقيدة لحركة الشباب، وخلق الانماط الجديدة للتطبع الاجتماعي طبقاً لدراسات تهيء من خلال مجموعات بحيث يشترك فيها اساتذة مختصين وتؤخذ نتائج ابحاثها بعين التقدير.

وتكون دراساتهم مرضية اصلا على عامل اساسي في التطبع الاجتماعي وهو الاسرة ودراسة الوضعيات الاجتماعية الثقافية السائدة ووضع البدائل ان كانت هناك انماطاً ضارة واحلال كل مايخدم التقدم وتطور وبناء الفكر.

ان من مشاكل الطلبة والتي تكون معوقة لنموهم الفكري والبنيوي وتزيد من درجة الأحباط لديهم هي الفرق بين مايريده الطالب من الحياة وما يتوقع الحصول عليه اذ انه هنا يشعر على اعمق نخوة بالتأثيرات المفككة للتغيير الاجتماعي الاقتصادي، وقد يكون قادراً على ان يربط نفسه على نحو تام بالدعوات الى التغيير الجذري الشامل لأنه يشعر انه ليس لديه مايخسره بل يستطيع ان يكسب كل شيء عن طريق هز الوضع القائم.

حيث ان التعزيز لحيثيات الفعل الانساني له علاقة بالانجاز والفعالية والنشاط ويعتبر تحفيزاً للقوة النهائية أو المحصلة للرغبة في الاداء في حالة الفعل عند التجربة لعمل ما وتختلف الحركة والرغبة وقوتهما باختلاف المشاعر لدى الشباب (١). وقد أكد «أمرسون» على الدور السياسي الذي يلعبه الشباب والطلبة الجامعيين خاصة في التطور السياسي في العالم الثالث بأنه مسألة مهمة للغاية لان الطالب يتصرف ويتفاعل على صعيدين اثنين

---

(١) Introductino to Motivation /John W. Atkinson David Biresh Second Edition London 1978. B p. 342.

فهو في آن معاً عضو في اسرة تقليدية، ومشارك في مؤسسة حديثة هي الجماعة، ان سنه ودينه وشخصيته والقرابة والاصول الاجتماعية والمواقف السياسية لاسرته. والموقع، ورعاية، ونوعية الجامعة والتحضيرات لحياته العملية وفرص الحياة التي يتصورها والسياسيين الذين ينيرون له الطريق وتوازن الاستقرار والتغيير في امته، جميع هذه العوامل تحدد اهمية الدور الذي يلعبه الطالب من خلال دخوله الحقل السياسي أو تجنبه (١).

ان اية تربية جديدة على انقاض التربية التقليدية تكون دون ادنى شك مصدراً أكيداً للنزاعات بدءاً من العائلة ثم السلطة ثم البنى القومية للبناء الاجتماعي القديم ولواخذنا مثالا بسيطاً على ذلك ان الاب في البيت يمارس مع عائلته بمن فيهم الشباب خاصة سلطة تسلطية وتقليدية ومحافظته على التقليد السائد القديم، ثم يقابله في الكفة الاخرى تربية حديثة تغرسها الدولة مثلاً: فهل يمكن ان يحدث التعايش، بالطبع صعب ويتولد عن ذلك نزاعات وقد تنتج تمرد ضد السلطة ذلك ان تجاهل القطاعات في التطبع الاجتماعي والسياسي معاً امر مؤكد لانهاء حكومات وسلطات قد تكون ثورية وصالحة، ولكنها لم تؤخذ بقياساتها مايضطرب في نفوس الشباب وما موجود من تقاليد كلاسيكية قديمة. مما انتجت تمرداً ضد البني القائمة، اذ ان هذا كان واضحاً بنوع خاص لدى هؤلاء الذين انشئوا في بيئة مستبدة تقليدياً ومن ثم لفترة من الوقت اتيح لهم التحرر من تلك البيئة وفوق كل شيء. التحرر من السيطرة الاكبر سناً منهم من اقربائهم ولكن ما ان توطد تقليد التمرد بين الطلبة حتى اضحى منتجاً لذاته (٢).

ويشير الى ان حل هذه النزاعات كثيراً مايعتمد على طاقة في دمج الطلبة المتمردين في النظام الثقافي التأسيسي القائم.

ان الشبيبة لايمكن الا ان تكون مسؤولة عن نفسها وانما على هذا الاساس وحده يمكن ان تروم الهوة التي تشغل المجتمع عن شبيبته ويوم تفهم اسباب هذه الهوة ستفهم ايضاً انها مضطهدة وستغدو ناضجة للثورة الاجتماعية ويوم تردم عملياً تلك الهوة وتعدل النظام الاجتماعي طبقاً لحاجاتها، وتجد منقذاً فعلياً عينياً وموضوعياً ولميلها الى الحرية.

---

(١) Student and politics in Developing nation Donald K Kemerson 1968 p-390-

(٢) See Edward shills The intellectual in the politics

ستكون قد اصبحت منفذة للثورة الاجتماعية (١). كما اندمج الشباب المتمردين في النظام الثقافي القائم اذا اريد له الكبت فانه سيزيد من عملية الاحباط الوظيفي بين مايريده الشباب أو الطلبة الجامعيين وما يتوقعونه من النظام ، واعتقد ان التمرد كلما استثمر لصالح دفع حركة المجتمع للامام يكون تمرداً بناءاً فاعلاً اذ ان الشباب طاقة متحررة ومتأججة لايمكن اطفاؤها.

فهي موجودة في كيان الشباب . وعطائها الكثير دلالة على نهوض ووعي المجتمعات وتطورها. اذ ان الاستعمار والامبريالية تحاول ما امكنها ذلك من ابقاء تخلف البلدان الممتلكة للثروات النفطية والمعدنية، ومصادر الطاقة الاخرى على تخلفها وتضفي على هذا التخلف مسحة من التجميل حتى يكون مشوقاً للشباب فتضع الخطط والبرامج على ايدي خبراء، متخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية والسياسية لاجل ان يثيروا الكوامن في طاقات الشباب وتوجيهها نحو امور لاتخدم مسيرتهم ولا التفكير بهم وتجعل التمرد موجها في نتائج حصيلته الى خدمة اراضيها وترسيخ بقائها وتخلف شعوبهم.ومن حصيلة التربية الاستعمارية في الاقطار العربية وبلدان العالم الثالث هي: ــ

١ ــ افراغ محتوى اي بنية فكرية لدى اي مجموعة أو مجتمع .

٢ ــ تقويض كل الانماط التربوية الاصيلة جداً والحضارية في المجتمع العربي ومجتمعات العالم الثالث .

٣ ــ خلق العادات لدى الشباب التي تساعد على تفسخ في طاقاته الفكرية مثل المقامرة وشرب المسكرات وحياة الاندية المتحللة.

٤ ــ خلق الميل الى الموسيقى الغربية والى نوع خاص في اثارة الحس الجنسي لدى شباب بلدان الدول المتخلفة.

٥ ــ ابراز جانب التشويق لنوع خاص بالرياضة الغربية الدخيلة جداً على مجتمعنا العربي وبالتالي خلق الميل الى تقليدها مما يدعونا الى تسميتها «رياضة مجتمعات الصالونات الفخمة وهي بحد ذاتها تربوية برجوازية لاتقدم اي عطاء في الفكر والمحتوى .

٦ ــ منعها لاي بروز فكري في أي مجتمع لما تقع فيه او أية علاقة مرجعية لاحقة لأستراتيجية بعيدة المدى، مما تجعله في حدود النمو المسموح بها وعدم خروجه من عنق الزجاجة كما اطلق هذا التعبير الرئيس صدام حسين .

---

٧ ـــ بعد املائها للمحتوى الفكري والنشاط الفكري تجعل الشعوب تعيش في دوامة فارغة بعيدة عن واقع حالها المتخلف .

٨ ـــ التركيز الاعلامي على ظاهرة معينة ظاهرها ايجابي وباطنها وخافياتها ونتائجها سلبياً لايخدم المجتمع ومحاولة الهاء الشباب بها وصرف انظارهم من النشاط الفكري والعلمي.

واذا اما افرغت أية بنية تحتية للنشاط الفكري فكيف يتسنى لهذا الشباب ان ينهض؟ وكيف يمكنه ان يقوم بابتكار أو نقل قيم جديدة. أو نشاط فكري ؟

اذ يكون من الصعوبة بمكان حول مدى نقل القيم الجيدة المرغوبة في مجتمعه الا بعد التحقق في درجة الاندماج الشخصي المعني في نظام الاسرة ، لذلك ان التمعن في مفاهيم ستيفن دوفلاس حول الاستمرارية وعدم الاستمرارية في عملية التطبيع الاجتماعي والانماط السياسي باتت مفيدة (١) .

تنمية العلاقات والثقافات الشبابية :

ان الحياة ونوعيتها لكل فرد ومقدار قيمة ثقافة الامة ينحصر أصلا في مشكلات ، الهوية الشخصية أو الجماعية أو الوطنية كمفهوم ذات دلالة ومغزى وتعبير .

لقد كان سائداً في مجتمع بلدان العالم الثالث بعض التقاليد والعادات المسيجة والتي تحد من وعي الشباب أو تحرك المجتمع ، والواقع أنه في عالم الشباب الان بدأت تتصدع فيه النظم المغلقة للقرية والاسرة والمهنة والمعتقدات أن لم تكن قد تعوضت بالفعل في بعض بلدان العالم الثالث لذلك ونتيجة لهذا التصدع ظهرت حاجة ملحة الى نظام القيم . ان أرهاصات العصر الحديث وتفتيت النظم المغلقة ،وتفتيت التخصصات الاولية الى تفرعات ثانوية ، جعل لدى الشباب شعور بالغربة أحياناً . والبعد عن بيئتهم من جهة أخرى ، ويزداد الشعور حدة عندما يجد الشباب متنفعاً ، من هذا التضخم سواء اكان فيما يعاني أو بشاعة الحضارة من بعض الجوانب بالنسبة له أو الاعتبارات النفعية التي تحكمت في بناء مدينته ، أو بعد المسافة ومتاعب المواصلات وازدحام المدن والعجلة والفوضى التي تسرد هنا وهناك . كل هذا اصبحت حالة لايمكن تحاشيها بالنسبة لتنمية الشباب .

(١) Stephen A - Douglas Political Socialization and Student activism / 1970 p. 18.

ان هذه الامور تزيد من الارهاصات التي تضطرم لدى الشباب مما يجعلهم يتطلعون الى الحياة أو الحياة الافضل والاحسن نوعية وان هذا التطلع لايمكن الا ان نفسره بانه تعبير عن حاجة اساسية وهي حاجة يحس بها الشباب بشكل خاص في مختلف الوطن العربي والعالم الثالث .

ان دوافع العيش لدى الشباب كثيرة وعوامل التغيير لاريب آتية من قريب أو من بعيد لتعصف بكثير من القيم والتقاليد وقد تكون اتية من عالم آخر يختلف كلياً من عالمنا «ولكن لابد من القول بان روح هذه الصيغ في العدل ورفض الظلم وتحقيق المساواة وايجاد المحفزات الارضية والاعتبارية في تفجير طاقات الانسان وتوسيع أفقه بنقلة نوعية من الزوايا الضيقة الى الافق المشرق والابعد .. أنما هي ضرورية وصحيحة في كل الاحوال» . «١»

ان الشباب اليوم هو الذي بدأ يحرك القوة الدافعة لحركة المجتمع أو ما نشهده اليوم في الواقع ماهو الا حركة عامة في الاحتجاج تظهر أحياناً في صورة اندفاعات عشوائية أو تظاهرات ضد أمور عادية ، وهو بالاساس يمكن ان نرجع مصدره ، الى انه نبذ تراث ثقافي معين كان حتى اليوم موضع للاحترام والرغبة في ان تستبدل قيم جديدة مأخوذة من مصادر أخرى ، حيث ان عالمنا المعاصر يتعرض لعدد من المشكلات الخطيرة التي تحتاج الى حلول مبتكرة واصيلة . وان التنمية المطلوبة هي ان تشمل فكر الشباب وعدم تركه في مشكلة التخلف ويكون بذلك بعيداً عن التقدم الروحي ، المعنوي والمادي .

ان استعادة التوازن في تنمية الشباب في جانبيها الانساني والمعنوي والمادي بأن ضرورة أن لاننسى في هذا الصدد كم هو بعيد ومتطور فكر الشباب في العالم المتقدم عن فكر شبابنا سواء في التفكير في صدد غزو الفضاء والوصول الى الكواكب الاخرى والابداع والابتكار في مجال العلم الحديث والتطور السريع في التكنولوجيا والالكترونات واشعة الليزر . والتطور النووي .

فحينما يصل العلم الى حل مشكلات البشر وتحل العقول الالكترونية محل الانسان في القيام بالاعمال الروتينية في الصناعة وغيرها من الحياة «٢» .

---

(١) صدام حسين بالفكر والممارسة والنموذج الحي يتحقق الايمان ١٩٧٩ ص ١٨ دار الحرية / بغداد .

(٢) د. مصطفى احمد تركي ، بحوث في سيكولوجية الشخصية بالبلاد العربية (التفكير الابتكاري وعلاقته بالشخصية /د حسن احمد عيسى ، جامعة الكويت ١٩٨٠ .

فأين سيكون دور الشباب في الوطن العربي وبلدان العالم الثالث ، بلاشك ستحدث فجوة بين ماهم عليه وما موجود في العالم المتقدم من تطور عقلي وتقني .

ان تنمية الشباب خاصة ينطلق من كونه يعيش فترة أطول من غيره من مراحل عمر الفرد ، فالفترة التي يتولاها الشباب في بناء المستقبل تكون فترة أطول ، لذا فالاهتمام بهم لايمكن ان يكون في الاطار العام ، وانما يحتاجون الى تركيز خاص ، وبهذا نضمن ان يستخدم عمرهم في خدمة تطور المجتمع . كما ان الثغرات المتأتية من سلبيات المجتمع لدى الشباب أقل بالقياس الى مقدارها لدى الافراد الاخرين الذين هم أكبر منهم عمراً كما ان استعداهم للتكيف، مع تأثيرات المبادىء والافكار الجديدة في عملية التغيير التي تقودها الثورة استعداداً بدرجة أعلى من الاخرين . ان الشباب وخاصة الطلبة الجامعيين الشريحة الواعية يحتاجون الى نوع من الامتياز في صيغ العلاقة معهم ، بحيث تكون مختلفة عن السياقات التقليدية المختلفة التي كانت سائدة سابقاً . لذا ان تنمية الشباب يجب ان تقترن بأفق ثوري بحيث تتغلغل في حياتهم ضمن وحدة الحياة كلها وتؤثر فيهم. وعدم تركهم في فوضى اجتماعية مفككة لاقرار لها .

ان الدول المتقدمة عندما اهتمت بتنمية الشباب كان هدفها متوحداً مع تطور بلدانها كما حدث في فرنسا مثلا ان د . شوديكر يقول «لقد بقيت في فرنسا بطريقة مـــا — أكثر من غيرها من البلدان — وحدة الحياة . وقد تم هذا دون فقدان التنوع انها ليست وحدة ناتجة عن وحدة القالب بل وحدة عناصر تربط بينهما المثل ... ان فرنسا أكثر من أي دولة متحضرة قد احتفظت بكيانها الاجتماعي في وجه النزعة الحديثة نحو الفوضى الاجتماعية كون وجود الثبات في السياسة الخارجية الفرنسية خلال مائتي عام من النظم السياسية . ان هذا الثبات في التكافل الاجتماعي هو الذي يضفي على الفرد الفرنسي شعوره في الامل والتضامن مع المجموع ، وهذا الثبات في التكافل الاجتماعي هو المصدر الوحيد للامان والثقة والتضامن لاي شعب «١» .

(١) د. مايوالتون ، ترجمة احمد بدران ود. محمد عماد مكتبة مصر ، القاهرة ص ٢٠٩

استنتاجات للتنمية الشبابية :

ان عملية بناء الجيل الجديد وخلق عراق قوي للحاضر والمستقبل هو في وضع للصيغ السليمة والثابتة التي تنفذ الاهداف والفلسفة بصورة عامة تدعم مسيرة الثورة الى امام وتفجر طاقاتهم وتنمي قدرة عطائهم وابداعهم . ان وضع برامج طبقاً لتصور شخصي لايمكن ان يكون برنامجاً بناءاً او هادفاً لنمو ونطور الشباب . اذ يتوجب عند بناء اي برنامج للشباب سواءا اكان اجتماعي او نشاط ترويحي او برنامج هادف ،ان نؤخذ بعين الاعتبار متطلبات النمو وحاجة الشباب ومعاونتهم على تبصر مشكلاتهم بانفسهم، ولاجل ان يكون هذا التخطيط علمياً بالمستوى الذي يؤدي الى تحقيق تلك الاهداف على الوجه السليم فلا بد ان يستند بالاساس على المعرفة الواضحة بحاجات الشباب وطلبة الجامعة ومشكلاتهم بالنسبة لاوضاعهم الخاصة على الاقل وتسخر كافة البرامج المرافقة لعملية النمو وخلق الجيل الجديد واخضاع العملية التعليمية لمجابهة تلك المشكلات والتصدي لحلها وتذليلها لذلك نقترح عند بناء اي برنامج : —

١ — تشكيل مجاميع بحث من الاساتذة المختصين في علم النفس والتربية والاجتماع لدراسة المشاكل التي تعيق حركة الشباب والقاء الضوء على الصعوبات والمشكلات وما يتعلق بحياتهم بغية ايجاد الحلول المناسبة والناجحة .

٢ — وضع البرامج طبقاً لما يستنتج من الابحاث في هذا الشأن وبالتالي برمجتها مع اهداف مجتمعنا الاشتراكي.

٣ — النظر الى العلاقات الانسانية بين الشباب بنوع من الانفتاح والايجابية اذ ان ذلك يعطي ثقة لهم وهو عنصر هام في بناء البشر.

٤ — عدم التمييز بين الشباب واحترام شخصيتهم والتجارب مع مايطرحونه من افكار وتنميتها فيما اذا كانت تهدف وبناءه وموائمتها فيما اذا كانت بعيدة عن الواقع . ويأتي هنا دور التربية والتعليم في تشذيب مايكون دخيلا على اهداف المجتمع لدى البعض من الشباب دون التصدي لذلك النشاز بالعنف والتهديد او التحدي. لان شخصية الشباب اذا ماأستثيرت وهوجمت ارائهم سرعان مايتخذ موقف معاد لبعض عادات مجتمعه او يشن على بيئته حربا نفسية ويحاول ان يكتل من اقرانه وبالتالي تتكون نفسية الشباب المتمرد والمهووس نتيجة لعدم فهم ودراسة القائمين على الشباب اذ ان استراتيجية التقدم

في الاتساع لافاق العمل مع الشباب تتطلب ان يكون للعاملين حرية في ان يواصلوا ، اهتماماتهم الذهنية مع اقل الزام — او بغير الزام — بأن يتناولوا مايعتبره الاخرون ذا اهمية او دلالة. والحقيقة انه كان في امكانهم الى حد كبير ان يحددوا ماله اهمية عن طريق قيمهم ونشاطاتهم هم انفسهم.

٥ — ان تمتين العلاقة بين الاستاذ الجامعي والطالب ضرورة باتت ملحة لبذر عوامل الثقة والمحبة بين القائد الشبابي والاستاذ الذي غالباً مايتخذه الطالب قدوة او مثالا اذا توافقت ذبذبات الفكر والسلوك مع ذلك الاستاذ .

٦ — افساح المجال لخلق التفاعل العلمي في مجال العلاقات الاجتماعية المشتركة شباب ، شابات ، او طلبة ، طالبات ، اساتذة معاً من حيث ممارسة السلوك البشري المعتاد في صيغ متقدمة .اذ ان خلق الدافع للنشاط الاجتماعي له دور اخر في هذا الجانب لذا ان دراسة علم النفس ذي الاهمية الاولية للعلوم الاجتماعية هو ذلك الذي يتناول ينابيع الفعل ، الانساني ، الدوافع التي تقيم النشاط العقلي والبدني ، وتنظيم السلوك.. كما ان هذا القسم لايزال في اشد حالات التخلف والذي لازالت لاقلية منه لاشد درجات الغموض والابهام والخلط «١» .

٧ — ان وضع المناقشات الصحيحة والسلبية في متناول الشباب سواء اكانوا طلبة في الجامعة ام عاملين في اي نشاط اخر ، لممارسة اي نشاط اجتماعي مشترك دون ان يكون مردود العلاقات الاجتماعية معكوساً على الجانبين هو اساس بناء مجتمع متين. ان جملة الاسباب التي ذكرت اعلاه تؤكد وتوضح كثير من الحقائق والشواهد التي باتت تفصح عن نفسها في عالمنا هذا فيما يخص الضرورة الحتمية في تنمية دور الشباب ولعلنا كنا قد قدمنا في هذه الدراسة مايلقي بعض الضوء في هذا الجانب.

---

(١) كالفن سي، هول، جاردنر ليندزي ترجمة فرج احمد فرج واخرون (نظريات الشخصية، دار الشايع للنشر— القاهرة/ ١٩٧٨.

المصادر وحسب ورودها بالبحث:

١ – وقائع اليونسكو–مفهوم جديد مونيك هوينكر، العدد العاشر، المجلد الثامن عشر ص 16 /1972 اليونسكو – باريس .

٢ – ليس امام الشباب مستحيل – صدام حسين – كراس للاتحاد العام لشباب العراق ص 19 مكتب الثقافة والاعلام /1983

3. Introduction to Motivation / John W. Atkinson David Birsh second Edition London 1978 B. P. 342.

4. Scc Donald K Emmerson students and politics in Developing nation London 1968. p 390.

5. Edward shills (The intellectuals in the political Development of the New states in John H. Kautsky ed.) political change in development countries, New York 1967.

٦ – ماالوعي الطبقي – نحو علم نفس سياسي للجماهير ويلهام راميش ترجمة جورج طرابيشي ص 37 دار الطليعة بيروت 1979 .

7. Stephen A. Douglas political socialization and student activism in Indonesia/illizois 1970 p. L 8.

٨ – بالفكر والممارسة والنموذج الحي يتحقق الايمان – صدام حسين ص 14 دار الحرية للطباعة 1979 / بغداد .

٩ – بحوث في سيكولوجية الشخصية بالبلاد العربية اعداد – د. مصطفى احمد تركي ص 76 «التفكير الابتكاري وعلاقته بالشخصية» د. حسن احمد عيسى . جامعة الكويت 1980 .

١٠ – التصنيع والمشاكل الانسانية تأليف التون مايو ترجمة د. احمد بدران د. محمد عماد الدين اسماعيل . مكتبة مصر، القاهرة ص 209 .

11 – نظريات الشخصية تأليف كالفين حول – جاردنر ليندزي ترجمة د. فرج احمد فرج د. قدري حنفي د. لطفي فطيم – مراجعة د. لويس مليكة ص 19 . دار الشايع للنشر – القاهرة 1978 .

انتاج الدواجن في نينوى[1]

د. مخلف شلال مرعي

جامعة الموصل / كلية التربية

المقدمة وهدف البحث :

يقصد بالدواجن تلك الانواع من الطيور التي تختلف عن بعضها في صفاتها او اصلها وتشكل اهمية اقتصادية كبيرة للانسان، وتشمل الدجاج والدجاج الرومي والبط والاوز والحمام (١) .

اما هذه الدراسة فتقتصر على الدجاج ،ولاسيما دجاج اللحم الذي يربى في حقول الدواجن (٢)، وذلك لقلة الاهتمام بتربية الانواع الاخرى من الدواجن.

اما حقول الدواجن فنعني بها تلك الحقول التي تتصف بخصائص معينة نذكر منها :

١ — ان تكون مجازة رسميا من قبل الجهات الرسمية.

٢ — ان يكون الحقل متخصصاً في انتاج الدجاج ، اي ان لايكون انتاج الدجاج انتاجا ثانويا في الحقل.

٣ — ان يتبع في الحقل الطرق العلمية في التربية، كتكييف الهواء والوقاية الصحية وتقديم العلف والماء بطرق آلية .

٤ — ان تكون هناك قطعة من الارض ،تقام عليها الابنية المخصصة لتربية الدواجن ومستقلة عن بيوت السكن .

وهذه الدراسة تهدف الى توفير المعلومات التي توضح طبيعة تربية الدواجن ومستقبل انتاجها في المحافظة. وذلك من خلال التعرف على مناطق تركز حقول الدواجن ودراسة مقومات الانتاج ودرجة توفرها وعلاقتها بالتوزيع المكاني. وتحديد المعوقات والمشاكل التي تواجه انتاج الدواجن في مراحلها المختلفة. بهدف التعرف على الوسائل العلاجية المناسبة لتخطي تلك المشاكل والعقبات .

فانتاج الدواجن نشاط اقتصادي يكتسب اهمية من خلال تمتعه بمميزات القطاعين، الزراعي والصناعي، فهو اكثر تحررا من قبضة العوامل الطبيعية، التي تتحكم في عمليات الانتاج الزراعي، حيث يظهر دور الانسان وبقية العوامل البشرية اكثر وضوحاً في انتاج الدواجن، يساعدها في ذلك قلة المساحات المستثمرة بالمقارنة مع الانتاج الزراعي.

كما يكتسب انتاج الدواجن صفة الانتاج الصناعي، حيث يتم من خلاله تحويل مكونات العلف من حالة تكون فائدتها قليلة الاهمية بالنسبة للانسان الى منتجات غذائية اكثر اهمية وفائدة للانسان (٣). كما يتمتع انتاج الدواجن بمميزات القطاع الصناعي الى حد كبير، حيث يمكن استخدام التكنولوجيا الصناعية في جميع مراحل الانتاج (٤).

ان أنتاج الدواجن نشاط أقتصادي يكتسب أهميته من خلال تمتعه بالمميزات التالية:

١ ـ ارتفاع نسبة التحويل الغذائي، حيث يحتاج انتاج الكغم الواحد من لحم الدجاج الى ٢ كغم من العلف المركب فقط (٥).

٢ ـ لايحتاج الانتاج الى مساحات كبيرة، اذ بالامكان تربية أعداد كبيرة من الدجاج في مساحات محدودة.

٣ ـ لايخضع أنتاج الدواجن لنظام الانتاج الموسمي، فهو أقل تأثراً بالظروف الطبيعية التي يعتمد عليها الانتاج الزراعي.

٤ ـ تعتبر منتجات الدواجن من المصادر الغذائية الجيدة للانسان وتتمتع بقيمة غذائية عالية، فضلا عن كونها مصدر جيد ورخيص يعوض عن النقص في اللحوم الحمراء.

٥ ـ لايحتاج الانتاج الى رأس مال كبير مقارنة بالمشاريع الزراعية أو الصناعية الاخرى.

٦ ـ يمتاز انتاج الدواجن بسرعة دوران رأس المال، وتحقيق دخل جيد للقائمين على انتاجها (٦).

٧ ـ يوفر العمل لاعداد كبيرة من العاملين في مختلف مراحل الانتاج كادارة المفاقس والحقول والمجازر وعمليات التسويق وغيرها.

٨ ـ تعدد استعمال منتجات الدواجن، فهي تستخدم في النواحي العلمية والطبية والصناعية (٧).

اما النقص في الكميات المعروضة من المنتجات الحيوانية وخاصة اللحوم في القطر ، يدفع الى استثمار كافة الامكانات المتوفرة في القطر ، والتي تساعد على تنمية الثروة الحيوانية وزيادة انتاجها . ومؤشرات النقص في منتجات الثروة الحيوانية واضحة تدل عليها الحالات التالية :

أولا : الانخفاض في نسبة ما يستهلكه المواطن العراقي من البروتين الحيواني والمنتجات الحيوانية ، حيث لايزيد معدل مايتناوله الفرد في العراق من البروتين على ٣١٪ من استهلاك الفرد في أوربا الغربية وحوالي ٤٧٪ من استهلاك الفرد في أوربا الشرقية .

فاستهلاك المواطن العراقي من البيض يقدر حوالي ٧٥ بيضة في عام ١٩٧٧ ، بينما بلغ معدل مايستهلكه الفرد في أوربا الغربية في عام ١٩٧٢ حوالي ٢٢٧ بيضة سنوياً وحوالي ٢٠٠ بيضة في أوربا الشرقية وحوالي ٣١٩ بيضة في كندا والولايات المتحدة (٨)

اما معدل استهلاك المواطن العراقي من اللحوم فلا تزيد على ٤,٩ كغم من لحم الدجاج و ١٩ كغم من اللحوم الحمراء سنوياً ، بينما يبلغ معدل مايتناوله الفرد في أوربا الغربية مابين ٩ كغم و٣٨كغم من لحم الدواجن واللحوم الحمراء على التوالي، ويقدر المعدل بحوالي ١٨ كغم و ٥٤ كغم في الولايات المتحدة (٩) .

ثانياً : الانخفاض في نسبة الزيادة السنوية المتوقعة في الانتاج الحيواني ، بسبب الصعوبات الكبيرة التي تواجه تنمية الثروة الحيوانية في القطر ، فقد أكدت الدراسة التي اعدتها منظمة الغذاء والزراعة الدولية (F.A.O) في عام ١٩٧٥ لتقدير وضعية الانتاج الحيواني في القطر ، ان مقدار الزيادة السنوية المتوقعة للانتاج المذكور حسب الظروف الزراعية القائمة هي بحدود ٣ ــ ٣,٥٪ عدا لحوم الدواجن حيث تقدر الزيادة بحدود ١٠٪ سنوياً (١٠) .

مما تقدم تتضح اهمية تنمية انتاج الدواجن لتغطية جانباً مهماً من الحاجة المتزايدة في الطلب على المنتجات الحيوانية ولا سيما اللحوم خاصة وان الانتاج الحيواني يمر في مرحلة خطيرة من الناحيتين الكمية والكيفية .

فالدواجن ولما تتمتع به من مميزات كقدرتها في التكاثر وسرعة نموها وارتفاع كفاءتها في التحويل الغذائي تكتسب اهميتها الاقتصادية ، مما يؤكد على ضرورة العمل على تطوير انتاجها لتأخذ دورها المؤثر في الاقتصاد الوطني .

اصل الدواجن وتطور تربيتها في العراق :

هناك اجماع بين علماء السلالات على ان الدجاج المنزلي نشأ منذ الاف السنين من السلالات الهندية البرية والتي كانت تنتشر في جنوب وشرق أسيا ، وقد استؤنست بعض هذه السلالات البرية وكانت مصارعة الديكة وراء استئناس الدجاج البري .

وقد نشطت تربية الدواجن منذ بداية هذا القرن ، وفي الثلاثينات قامت شركات عالمية متخصصة في انتاج الدجاج وعملت تلك الشركات على تطبيق القوانين الوراثية المختلفة لغرض رفع الكفاءة الانتاجية للدجاج وحدث تهجين بين السلالات المختلفة لتنتج انواع جديدة من الدجاج المتخصص في انتاج البيض واللحم وسميت السلالات باسماء الشركات المنتجة أو باسماء تجارية خاصة .

واليوم اصبحت تربية الدواجن ترتبط أرتباطاً وثيقاً بتقدم الدولة فكلما ارتقت الدولة في سلم العلم والحضارة ، ازدهرت تربية الدواجن فيها . (١١)

اما على صعيد القطر فقد شهدت محافظة نينوى أولى المحاولات لانشاء حقول الدواجن وكان في مدينة الموصل عام ١٩٠٥ على يد ابراهيم باشا ، ثم تلتها محاولات أخرى في الحلة عام ١٩٢٢ ومشروع أخر في الموصل أيضاً في حمام العليل في عام ١٩٤٨ ورابع في اليوسفية . ولم يحالف النجاح تلك الحقول واستمرت تربية الدجاج في القطر تتعثر حتى عام ١٩٥٤ التي تعتبر فترة تحول في هذا المجال وانشأ عدد من الحقول الاهلية في مدينة بغداد والتي أزداد عددها وانتاجها في الستينات (١٢) .

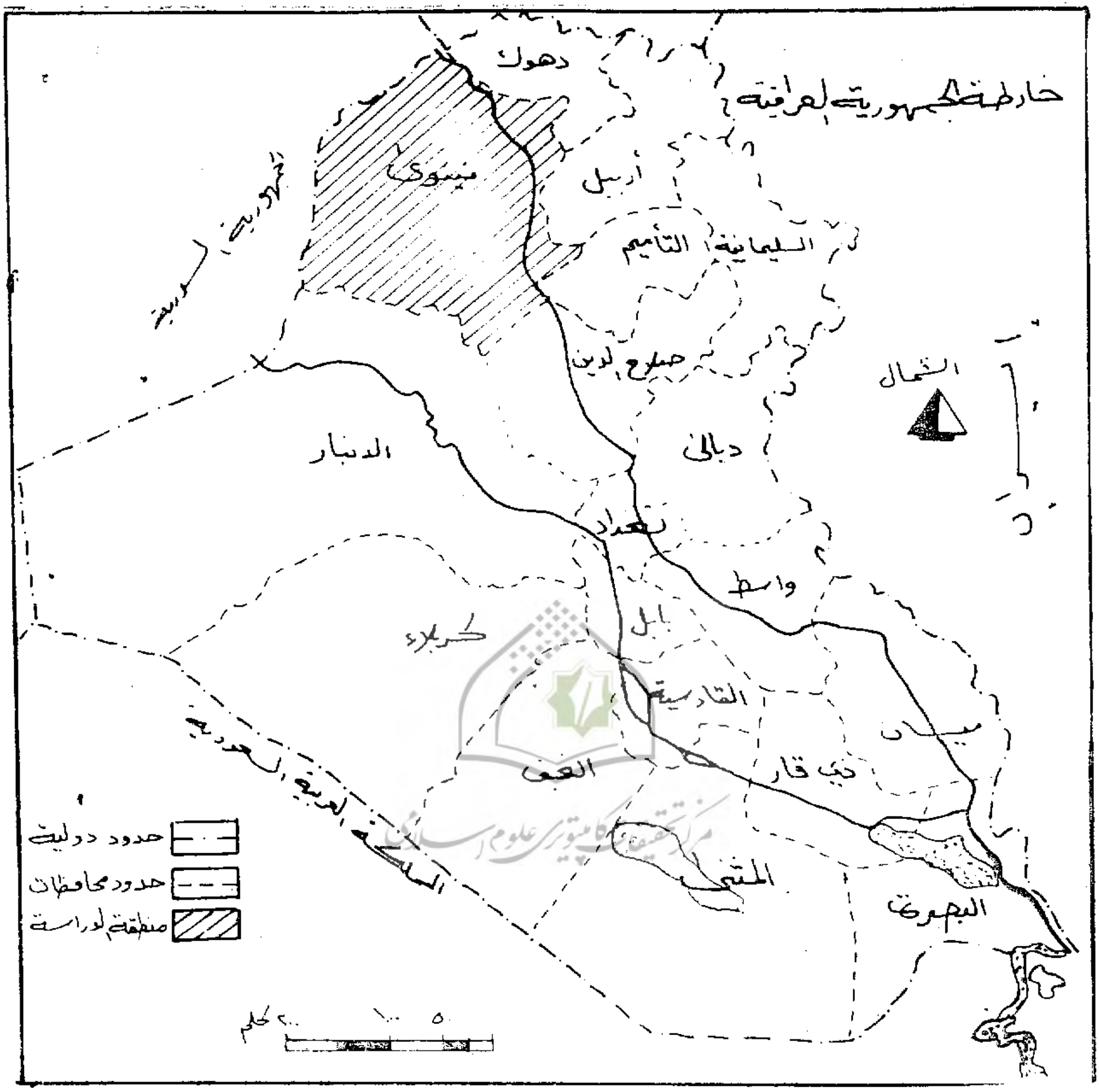
ويعتبر عام ١٩٦٥ البداية الحقيقية لانتاج لحم الدجاج وبيضه على نطاق تجاري واسع ففي العام المذكور انشأت الشركة العامة للدواجن ، واخذت على عاتقها تحقيق الاهداف التالية : —

١ — تطوير انتاج الدواجن في العراق .

٢ — توفير مادتي لحم الدجاج والبيض باسعار معتدلة .

٣ — دعم مشاريع الدواجن التابعة للقطاع الخاص والتعاوني.

وعلى هذا الاساس بدأ العمل في اقامة مشاريع الدواجن والتي تم توزيعها جغرافيا على محافظات القطر كافة. وتبعا لذلك التوزيع انشأت شركات الدواجن الثلاث الشمالية والوسطى والجنوبية.



دهوك
خارج الجمهورية العراقية
نينوى
اربيل
السليمانية
التأميم
صلاح الدين
الشمال
ديالى
الانبار
بغداد
واسط
كربلاء
بابل
القادسية
ميسان
النجف
ذي قار
المثنى
البصرة
الجمهورية السورية
المملكة العربية السعودية
حدود دولية
حدود محافظات
منطقة الدراسة
٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ كلم

التوزيع الجغرافي لحقول الدواجن في محافظة نينوى :

تحتل محافظة نينوى مكانة متميزة في انتاج الدواجن اذ تأتي في مقدمة محافظات القطر حيث تساهم بنسبة ٢٥٪ من مجموع اعداد الدواجن و ٢٤٪ من مجموع اعداد الدجاج في القطر (١٣)

وما هذه المكانة التي تحتلها المحافظة الا نتيجة لتوفر الارض والعوامل المشجعة للانتاج الا أن درجة توفر تلك العوامل تتباين على مستوى المحافظة مما ترك اثره على صورة التوزيع الجغرافي لحقول الدواجن فيها.

لقد واجه الباحث صعوبات عديدة في الحصول على الاحصاءات التي توضح طبيعة التوزيع الجغرافي في المحافظة، لعدم توفرها من ناحية وعدم توزيعها على اساس معين وثابت وقد تمت الاستعانة بالاضابير الاولية الخاصة بكل حقل على انفراد لتثبيت عدد الحقول ومناطق تواجدها، وعلى الرغم من ذلك واجهت الباحث بعض الصعوبات و خاصه عند تحديد اماكن بعض الحقول التي لايحدد موقعها على وجه الدقة على اساس الناحية او القضاء، ويحدد في بعض الاحيان على اساس الجمع بين قضائين، وخاصة الاقضية التي تتميز بقلة عدد الحقول المتواجدة فيها، كما هو الحال بالنسبة لحقول الدواجن في قضائي عقرة والشيخان والحقول المتواجدة في قضائي سنجار والشمال او البعاج و الحضر. واستناد الى طبيعة البيانات التي تم التوصل اليها، والتفاوت الكبير في درجة تركز الحقول على مستوى الوحدات الادارية «النواحي» ولتوضيح طبيعة التوزيع الجغرافي لحقول الدواجن على مستوى المحافظة. فقد اتخذنا من (القضاء) كوحدة دراسية، ووردت اسماء بعض النواحي ضمن الاقضية التي يرتفع فيها تركز حقول الدواجن ومنها قضاء الموصل (المركز) وقضائي الشرقاط وتلعفر، حيث تتميز بعض النواحي في الاقضية المذكورة بتركز عدد من الحقول تمثل نسبة كبيرة من مجموع الحقول الموجودة في الاقضية التابعة لها النواحي المشار اليها. مما يكسبها اهمية ويجعلها متميزة في هذا المجال، لاحظ الجدول رقم (١) .

جدول رقم ـ ١ ـ

عدد الحقول المنتجة في محافظة نينوى عام ١٩٨٤

الوحدة الادارية «القضاء»	عدد الحقول	الاهمية النسبية ٪	عدد القاعات	الاهمية النسبية ٪	الطاقة الانتاجية ١٠٠٠ دجاجة	الأهمية النسبية
الموصل	٦٤	٢٢,٥	١٢٧	٢٨,٥	١١٤٨	٣٠,٦
الحمدانية	١٠١	٣٥,٦	١٥٠	٣٣,٦	١١٩٢,٤	٣١,٧
تلكيف	٢٥	٨,٨	٤٥	١٠,١	٤١٩,٧٥	١١,٢
الشرقاط	٢٦	٩,١	٣٢	٧,١	٢٧٩,٧٥	٧,٤
تلعفر	١٧	٦,٠	٣٨	٨,٥	٣٤٥,٥	٩,٢
سنجار والشمال	٤٣	١٥,١	٤٤	٩,٩	٢٧٣,٧٥	٧,٣
عقرة والشيخان	٣	١,١	٣	٠,٧	٢٧٣,٧٥	٠,٧
البعاج والحضر	٥	١,٨	٧	١,٦	٧١,٢٥	١,٩
المجموع	٢٨٤	١٠٠	٤٤٦	١٠٠	٣٧٥٨,١٥	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (١) ان هناك تباين كبير في نسب تركز الحقول المنتجة للدواجن والقاعات المنتجة والطاقة الانتاجية على مستوى الاقضية في المحافظة، وتبرز اهمية قضاء الحمدانية في هذا المجال باحتلال ٣٥٪ من مجموع الحقول المنتجة يليه في الاهمية قضاء الموصل ٢٢,٥٪ حيث تساهم ناحية بعشيقة بحوالي ٤٩ حقلا منتجا اي مايعادل ٧٦٪ من عدد الحقول المنتجة في القضاء المذكور وحوالي ١٧٪ من عدد الحقول المنتجة في المحافظة (١٥) .

اما قضاء الشرقاط فيساهم بحوالي ٩٪ من عدد الحقول على مستوى المحافظة وتساهم ناحية القيارة بـ(١٦) حقلا، اى مايعادل ٦٢٪ من عدد الحقول في قضاء الشرقاط وحوالي ٥,٦٪ من عدد الحقول المنتجة في المحافظة.

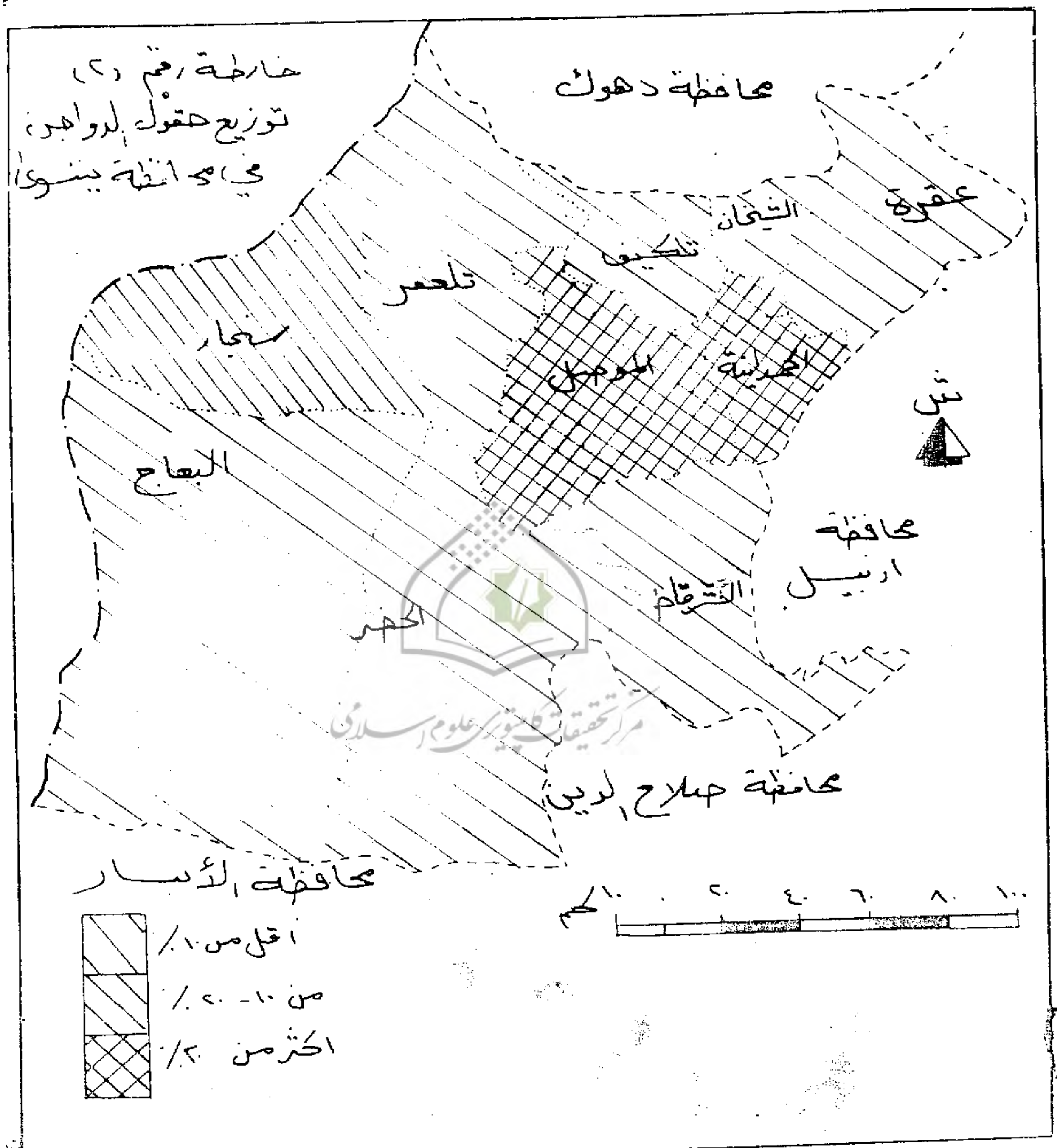
كما يساهم قضاء تلكيف بحوالي ٨,٨٪ من عدد الحقول في المحافظة . ثم قضاء تلعفر الذي يساهم بحوالي ٦٪ حيث تتركز اغلب الحقول في ناحية زمار التي تساهم بحوالي ٥٩٪ من مجموع الحقول في قضاء تلعفر اى مايعادل ٣,٥٪ من مجموع الحقول في المحافظة اما من حيث عدد القاعات المنتجة فيوجد بعض الاختلاف في نسبة مايحتله كل قضاء.

اذ بينما يحافظ قضائي الحمدانية والموصل على مكانتهما في احتلالهما اكبر عدد من القاعات المنتجة في المحافظة ٣٣,٦٪ و ٢٨,٥٪ لكل منها على التوالي. يتفوق قضاء تلكيف نسبيا ١٠,١٪ على قضائي سنجار والشمال ٩,٩٪ واحتلاله المرتبة الثالثة بعد ان كان يحتل المرتبة الخامسة في التسلسل بالنسبة لعدد الحقول المنتجة، وربما يرجع ذلك نسبيا الى عامل التسويق والقرب من مدينة الموصل حيث تتوفر اغلب المتطلبات اللازمة للانتاج مثل، المفاقس والمجازر ومصادر العلف ووسائط النقل والطرق الجيدة.

ومما يدعم هذا الاعتقاد ارتفاع نسبة ماتساهم به ناحية الحميدات حيث تحتل (٧٪) من مجموع عدد القاعات المنتجة في المحافظة في حين لاتزيد نسبة الحقول الموجودة فيها على ٢٪ من مجموع الحقول في المحافظة. على اننا لانستطيع ان نعزى ذلك التفوق الى عامل السوق فقط حيث نلاحظ تفوق قضاء تلعفر على قضاء الشرقاط في عدد القاعات المنتجة علما بان قضاء الشرقاط يمتلك عدداً اكبر من الحقول المنتجة بالمقارنة مع قضاء تلعفر. وان اغلب الحقول في قضاء الشرقاط تتركز في ناحية القيارة بينما تتركز اغلب حقول الدواجن في قضاء تلعفر في ناحية زمار الا بعد عن مركز مدينة الموصل اضافة الى ذلك فان عدد القاعات لايعبر تعبيراً دقيقاً عن حقيقة الانتاج والعوامل المؤثرة فيه، وطبيعة توزيعه الجغرافي في المحافظة.

فعدد الحقول وان كان مهماً، الا ان عدد القاعات ليس كذلك خاصة وان كفاءتها الانتاجية متباينة، ولذا فان الطاقة الانتاجية افضل مؤشر على العلاقة بين عدد الحقول وكمية الانتاج من جهة وبين عوامل توطنها وطبيعة توزيعها الجغرافي من جهة ثانية.

وعلى اساس الطاقة الانتاجية (السعة الاجمالية) نجد ان قضائي الحمدانية والموصل يحافظان على مكانتهما باحتلالهما حوالي ٦٢٪ من مجموع الطاقة الانتاجية لحقول الدواجن في المحافظة ٧, ٣١٪ و٦, ٣٠٪ لكل منها على التوالي وتبقى ناحية بعشيقة محافظة على مركزها ضمن قضاء الموصل وتساهم بحوالي ٢٠٪ من مجمل الطاقة الانتاجية. وتبرز ناحية الحميدات في هذا المجال من خلال مساهمتها بحوالي ٦٪ من مجمل الطاقة الانتاجية وبذلك يقل الفرق بين مايساهم به كل من قضائي الموصل والحمدانية بعد ان كان التباين بينهما كبيرة في نسبة الحقول ٥, ٢٢٪ و٤, ٣٥٪ ونسبة القاعات ٥, ٢٨٪ و٦, ٣٣٪ و لتصبح النسبة ٦, ٣٠٪ و٧, ٣١٪ لكل منهما على التوالي:


خارطة رقم (٢)
توزيع حقول الدواجن
في محافظة نينوى
محافظة دهوك
عقرة
الشيخان
تلكيف
تلعفر
سنجار
الموصل
الحمدانية
ش
محافظة اربيل
البعاج
الحضر
الشرقاط
محافظة صلاح الدين
محافظة الأنبار
١٠ ٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠
كم
أقل من ١٠٪
من ١٠-٢٠٪
أكثر من ٢٠٪

اما قضائي سنجار والشمال اللذين كانا يحتلان ٦٪ من عدد الحقول المنتجة و٥،٨٪ من عدد القاعات المنتجة فقد اصبحت مساهمتهما لاتزيد على ٣ و ٧٪ من مجمل الطاقة الانتاجية . وبصورة عامة يمكن ايجاز طبيعة التوزيع الجغرافي لحقول الدواجن في المحافظة بالنقاط التالية :—

١ — احتفاظ قضاء الحمدانية بمركز الصدارة سواء بالنسبة لعدد الحقول ٤ و٣٥٪ أو بالنسبة لعدد القاعات ٦ و٣٣٪ أو بالنسبة للطاقة الانتاجية .

٢ — يأتي قضاء الموصل في المرتبة الثانية محتلاً ٥و ٢٢٪ و٥ و٢٨٪ و٦و٣٠٪ من مجموع الحقول وعدد القاعات والطاقة الانتاجية في المحافظة على التوالي .

٣ — تحتل ناحية بعشيقة مركز الصدارة في الانتاج ضمن قضاء الموصل وتساهم بحوالي ٢ و ١٧٪ و ٠و٠٧٪ و٧ و ١٩٪ من عدد الحقول وعدد القاعات والطاقة الانتاجية على مستوى المحافظة وعلى التوالي .

٤ — هناك تباين في عدد القاعات وطاقتها الانتاجية ادى الى تباين ماتساهم به الوحدات الادارية من مجمل الطاقة الانتاجية حيث لا تنسجم هذه المساهمة مع نسبة ماتملكه هذه الوحدات من الحقول المنتجة في بعض الاحيان فعلى سبيل المثال لا الحصر يوجد في ناحية الحميدات ٨ و ١٪ من مجموع الحقول المنتجة في المحافظة ولكنها تساهم بحوالي ٧٪ من عدد القاعات و٦٪ من مجموع الطاقة الانتاجية المتوفرة في المحافظة .بينما يوجد في قضاء سنجار والشمال ١٥٪ من مجموع الحقول و١٠ ٪ من عدد القاعات ولكنها لا تساهم الا بحوالي ٧٪ من الطاقة الانتاجية في المحافظة .

عوامل انتاج الدواجن في محافظة نينوى :

تحتل محافظة نينوى مكانة متميزة في انتاج الدواجن فهي تساهم بحوالي ٢٥٪ من مجموع انتاج الدواجن في القطر، وهذه النسبة تدل دلالة كبيرة على تمتع المحافظة العوامل المشجعة للانتاج، غير ان طبيعة التوزيع الجغرافي لحقول الدواجن تؤكد ايضاً على ان العوامل المذكورة لاتتوزع بشكل متساوي، مما اوجب دراسة تلك العوامل ودرجة توفرها في المحافظة وهي :

اولا : — العوامل الطبيعية :

١ — الموقع وطبيعة السطح :

٢ — الظروف المناخية


خارطة رقم (٣)
الطاقة الاستيعابية للدواجن
في محافظة نينوى
محافظة دهوك
عقرة
الشيخان
تلكيف
تلعفر
سنجار
الحمدانية
الموصل
شمال
البعاج
محافظة أربيل
الشرقاط
الحضر
محافظة صلاح الدين
محافظة الأنبار
كم
أقل من ١٪
من ١ - ٢٪
أكثر من ٢٪

ثانيا: العوامل البشرية والاقتصادية :

١ – العمل والادارة

٢ – العلف والتغذية.

٣ – الماء

٤ – النقل

٥ – التسويق

٦ – سياسة الدولة.

اولا : العوامل الطبيعية:

١ – الموقع وطبيعة السطح:

يعتبر الموقع من العوامل المهمة في توطن حقول الدواجن لما للموقع من تأثير على كلفة الانتاج والتحكم في مقدار الربح ،خاصة وان انتاج الدواجن في المحافظة يدار من قبل القطاع الخاص، وتتضح أهمية الموقع في نوعية الارض وطبيعتها ودرجة ملاءمتها لاقامة مباني الحقول ولكلفتها والقرب من مصادر المياه والعلف والطاقة وطرق النقل وطبيعة المناخ وغيرها... يضاف الى ذلك سياسة الدولة وتدخلها في التأثير على اختيار موقع حقول الدواجن من خلال الشروط التي تحددها لذلك ومنها:

١ – اختيار موقع الحقل بالقرب من الطرق العامة للسيارات.

٢ – ان يكون موقع الحقل خارج حدود البلديات ويبعد عن المناطق السكنية بمسافة لاتقل عن ١ كم.

٣ – ان لايقع الحقل ضمن المساحات الخضراء والاراضي الزراعية .

٤ – لاتقل المساحة بين حقل واخر عن ١٠٠م لا و تقل حضيرة واخرى داخل الحقل عن ٢٠ م .

٥ – ان يكون موقع الحقل في منطقة يتوفر فيها التيار الكهربائي .

ولذلك نلاحظ ان غالبية حقول الدواجن في المحافظة تنتشر حول الطرق الرئيسة للسيارات ، والتي تربط مدينة الموصل بمراكز المحافظات المجاورة كطريق الموصل – اربيل أو على الطرق التي تربط الموصل بمراكز الاقضية في المحافظة .

وتعتبر طبيعة السطح المتموجة التي تمتاز بها المحافظة من العوامل المشجعة لاقامة مباني الحقول ، حيث يساعد انحدار السطح على تصريف الهواء ويظهر أثر التضاريس من خلال تدخلها في تحديد مواقع واتجاهات طرق السيارات ، وتحكمها في تحديد مواقع العديد من المراكز الاستيطانية من خلال العلاقة الاساسية الكامنة وراء نشوء تلك المراكز واستمرارها . وعليه تركزت أغلب حقول الدواجن في المحافظة ضمن المنطقة المتموجة وهي تمتد على جانبي نهر دجلة وتتكون من : —

(أ) السهول الشرقية:

وهي عبارة عن مجموعة من الاحواض التي تحتلها بعض المرتفعات ويبلغ معدل ارتفاع هذه السهول حوالي ٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر وتنحدر باتجاه الجنوب والغرب ، ويصل ارتفاعها عند الضفاف الشرقية لنهر دجلة ٢٠٠م (١٦) ويعتبر جبل مقلوب ١٠٧٥م وبعشيقة ٦٦٣م اهم مرتفعات تلك السهول اللذين يكسبان المنطقة أهمية كبيرة لكونها تغذى مصادر المياه الجوفية بالمياه (١٧) . أذ تنتشر بجوارها المراكز الاستيطانية ومنها بعشيقة وبحزاني والفاضلية وبرطلة وقرەقوش والحمدانية ، حيث يتواجد في تلك المراكز أكثر من ٥٣٪ من مجموع حقول الدواجن في المحافظة .

(ب) السهول الغربية:

وتنقسم بدورها الى قسمين ، السهول التي تقع الى الشمال من مرتفعات سنجار ، ويطلق عليها أسم سهل الجزيرة الشمالي ،أما القسم الاخر الى جنوب سفوح جبل سنجار ويعرف بسهل الجزيرة الجنوبية ، يقدر متوسط ارتفاع السهل الشمالي بحدود ٣٥٠ — ٤٠٠م اما سهل الجزيرة الجنوبي فيقل في متوسط ارتفاعه عن ٢٠٠ م .

وتتميز طبيعة سطح السهول الغربية بتضرسها ، حيث تتخللها مظاهر طوبغرافية متنوعة كالاودية والمرتفعات ، التي تكسب المنطقة اهميتها وخاصة في مجال الاستيطان اذ تنتشر فيها أهم المدن ومنها سنجار وتلعفر وسنوني والقيروان . ويعتبر جبل سنجار (١٤٦٣م) أهم المرتفعات الموجودة في المنطقة واكثرها ارتفاعاً ، وتقع مدينة سنجار عند اقدامه الجنوبية وسنوني عند مقدماته الشمالية ، حيث يتركز فيها حوالي ١٥٪ من مجموع حقول الدواجن في المحافظة .

ان التباين في طبيعة السطح قد انعكست اثاره في توطن حقول الدواجن في المحافظة، فقد تحكمت طبيعة السطح في تحديد مواقع المدن والقرى الرئيسية،ورسمت اتجاهات ومواقع خطوط النقل وخاصة طرق السيارات،التي لعبت الدور الاساسي في تحديد مواقع حقول الدواجن في المنطقــة .

٢ ــ الظروف المناخية:

تعتبر عناصر المناخ كالحرارة والرطوبة وضوء الشمس والرياح من العوامل الاساسية التي تؤثر بشكل فعال في انتاج الدواجن وتعتبر الحرارة من اهم العناصر المناخية تأثيراً في هذا المجال،وذلك لما تتطلبه عملية تعديلها اصطناعياً الى الحدود الملائمة للانتاج من نفقات ترفع من كلفة الانتاج على حساب الربح،خاصةوان معدلات الحرارة المناسبة للأنتاج لا تكون ثابتة في جميع مراحل النمو، وهيّ تختلف باختلاف نوع وصنف الطيور وطبيعة وهدف الانتاج . وبصورة عامة يمكن القول بان افضل المواقع ملاءمة من الناحية المناخية لانتاج الدواجن هي المواقع التي تتصف عناصر المناخ فيها بالاعتدال وعدم التطرف في خصائصها.

ولتوضيح أثر العناصر المناخية على انتاج الدواجن فيما يلي وصفاً لطبيعة تلك العناصر وعلاقتها بانتاج الدواجن في المحافظة.

١ ــ الحرارة :

تختلف معدلات درجات الحرارة الملائمة لانتاج الدواجن باختلاف مراحل نموها، فهي في المفاقس تتراوح بين ٣٧ ــ ٨ ــ ٣٧مْ اما في قاعات التربية فتتراوح بين ٢٠ ــ ٤٠مْ .وتعتبر درجة الحرارة ١٨مْ مهلكة وخاصة للافراخ الصغيرة بينما تعتبر درجة الحرارة ٥ , ٤٧مْ مهلكة للدجاج في مراحل نموه المختلفة (١٨) .

ان ارتفاع درجة الحرارة في المفاقس اثناء فترة التفقيس ينتج عنها نقص في نسبة الفقس، وارتفاع في نسبة تفوق الاجنة وتبكير في فترة الفقس وما يرافقه من تشوهات في الافراخ المنتجه.

اما انخفاض معدل درجات الحرارة في فترة التفقيش: فيتسبب عنه تأخير في نمو الجنين واصابته بتشوهات مختلفة، وانخفاض في نسبة الفقس، وارتفاع في نسبة انفاق الاجنة لتأخر ميعاد الفقس .وقد تنتج افراخ كبيرة الحجم ولكنها ضعيفة وهزيلة .

أما داخل قاعات التربية فارتفاع او انخفاض معدل درجات حرارة يؤثر على كمية الانتاج من اللحم او البيض ، وذلك من خلال العلاقة بين معدل درجة الحرارة الجو المحيط بالطيور ومقدار استهلاكها من العلف . ودرجة الأستفادة منه ، فارتفاع معدل درجات الحرارة يقلل من شهية الطائر فلايقبل على تناول غذائه بصورة طبيعية ، بينما يساعد انخفاض معدلها على زيادة استهلاك العلف ، ويقلل من درجة استفادة الطائر منه لان قسماً كبيراً منه يصرف لتوليد الطاقة اللازمة لتدفئة جسم الطائر .

ان معدلات درجات الحرارة من العوامل المهمة التي ساهمت في ارتفاع نسبة تركز حقول الدواجن في محافظة نينوى ، لتمتعها بمعدلات حرارة مناسبة بالمقارنة مع بقية المحافظات الاخرى في القطر وخاصة المحافظات الوسطى والجنوبية ، التي ترتفع فيها معدلات درجات الحرارة لفترة طويلة من العام خلال الاشهر الأخيرة من فصل الربيع وطيلة اشهر الصيف وبداية فصل الخريف .

والجدول رقم (٣) يوضح معدلات درجات الحرارة وبعض عناصر المناخ المسجلة في محطة الانواء الجوية في محطة مدينة الموصل للفترة ١٩٤١ — ١٩٧٧ (١٩) .

وبما ان تربية الدواجن تحتاج الى حوالي شهرين للوصول الى مرحلة التسويق لذا يعتبر فصلي الربيع والخريف افضل الفصول ملاءمة للانتاج حيث يقترب فيها معدل درجات الحرارة من المعدلات الملائمة لحاجة الدواجن ولاسيما في شهري مايس ٢٤ م° وتشرين الاول ٢٠٫٥ م° . اما في فصل الشتاء والصيف فتعتبر درجات الحرارة فيها متطرفة وغير ملائمة للانتاج لذا تصبح عملية التدخل ضرورية في تعديل معدلات درجات الحرارة لغرض الأنتاج في الفصلين المشار اليهما . ولاسيما في فصل الصيف . وذلك لارتفاع مقدار التكاليف اللازمة للقيام بعملية التهوية وتعديل معدل درجات الحرارة المرتفع الى الحدود الملائمة للانتاج . اما في فصل الشتاء فكلفة نفقات تدفئة قاعات التربية اقل مقارنة مع كلفة تهويتها في فصل الصيف . بسبب الأستفادة من درجات الحرارة التي تطلقها الدواجن . والتي تتناسب طردياً مع حجم جسم الطائر . في تدفئة جو قاعات التربية (٢٠)

٢ — الرطوبة الجوية :

ان المعلومات المتوفرة عن قدرة الدجاجة على تحمل الرطوبة الجوية قليلة ، وعلى الرغم من قدرة الدجاجة على تحمل التباين في معدلات الرطوبة الا انه لايمكن تجاهل اثر الرطوبة على انتاج الدواجن وخاصة في مرحلة التفقيس والمراحل الأولى للنمو . اذ يجب ان تكون

جدول رقم(٢)يوضح معدلات درجات الحرارة وبعض عناصر المناخ المسجلة في محطة الانواء الجوية في محطة مدينة الموصل للفترة١٩٤١-١٩٧٧(*)

حالة المناخ	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	معدل سنوي
معدل درجات الحرارة م٥	٧,٠	٨,٧	١٢,٣	١٧,٤	٢٤,١	٣٤,٠	٣٣,٠	٣٣,٠	٢٧,٧	٢٠,٥	١٣,٥	٨,٣	١٩,٨
معدل درجات الحرارة العظمى م٥	١٢,٨	١٥,٣	١٩,٠	٢٥,٤	٣٢,٩	٣٩,٦	٤٣,٠	٣٨,٧	٣٨,٧	٣١,٢	٢٢,٤	١٥,٠	٢٨,٢
معدل درجات الحرارة الصغرى م٥	٢,٥	٣,٥	٦,٣	١٠,٢	١٥,٠	١٩,٥	٢١,٨	١٦,٦	١٦,٦	١١,٤	٧,٠	٣,٢	١١,٧
معدل الرطوبة النسبية	٨٢	٧٦	٧١	٦٤	٤٨	٣١	٣٠	٣٧	٣٧	٤٧	٦٧	٧٩	٥٥
معدل ساعات سطوع الشمس اليومي	٤,٩	٥,٩	٦,٧	٨,١	١٠,٠	١٢,٣	١٢,٠	١٠,٨	١٠,٨	٨,٢	٦,٥	٥,٠	—
معدل سرعة الرياح م/ ثـــانيـــة	٢,٠	٢,٣	٢,٣	٢,٣	٢,٧	٢,٨	٢,٦	٢,٢	٢,٢	١,٨	١,٦	١,٦	٢,٢

الرطوبة بحدود ٥٥ ـ ٦٠٪ في المفرخات وبحدود ٨٠٪ في المفاقس . فالرطوبة ضرورية للجنين في مراحل النمو الأولى ولذلك يعتبر التحكم في معدل الرطوبة النسبية داخل المفاقس من العوامل الأساسية في عملية التفقيس الأصطناعي .

ان اي نقص في معدل الرطوبة ينجم عنه سحب السوائل الموجودة في البيضة مما يؤثر على نسبة الفقس ، ويؤدي إلى انتاج افراخ صغيرة ضعيفة ، عارية او مغطات بزغب قصير عند الفقس .

كما يترتب على زيادة الرطوبة مع قلة الحرارة بطء مرور بخار الماء ومخلفات تنفس الجنين إلى خارج البيضة ، فيتأثر نموه ويصاب بتشوهات مختلفة اما داخل قاعات التربية فتتراوح نسبة الرطوبة الملائمة في جو القاعة بين ٦٥ ـ ٧٥٪ ، علماً بأن ارتفاع الرطوبة في قاعات التربة تمثل احد المشكلات التي تعاني منها تربية الدواجن صيفاً وشتاءاً ، بسبب ما تفرزه الطيور من رطوبة تقدر بحوالي ٠,١٥ لتر من الماء يوما للدجاجة الواحدة ، وبذلك يقدر ما يضاف من رطوبة إلى جو القاعة التي تضم ١٠,٠٠٠ دجاجة ما يعادل ١٥٠٠ لتر ماء يومياً (٢١) .

ان ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو الحار يؤثر تأثيراً سيئاً على عملية اللهاث Pan ting التي تحاول الدواجن من خلالها تنظيم درجة حرارة اجسامها . اما ارتفاع الرطوبة في الجو البارد يجعلها موصلا جيد للحرارة مما يسبب فقدان الجسم لكميات اكبر من الطاقة .

تتراوح معدلات الرطوبة النسبية في الموصل بين ٢٨٪ و٨٢٪ (ينظر جدول رقم ٢) وبذلك فهي تعتبر ملائمة لانتاج الدواجن وخاصة بالنسبة للبيوت المفتوحة المتبعة في تربية الدواجن في المحافظة ، وتكون الرطوبة اكثر ملاءمة للانتاج في فصل الربيع آذار ٧١٪ ونيسان ٦٤٪ وآيار ٤٨٪ ، والخريف تشرين الاول ٤٧٪ وتشرين ثاني ٦٧٪ .

اما في فصل الشتاء فترتفع الرطوبة فوق المعدلات الملائمة وخاصة في شهر كانون الثاني ٨٢٪ ، مما يستوجب التدخل لتعديلها وتقليل اثاره على انخفاض درجة حرارة الطيور ، وتستخدم المدافيء لتحقيق هذا الغرض .

اما انخفاض الرطوبة النسبية في فصل الصيف حزيران ٣١٪ ، تموز ٢٨٪ ، آب ٣٠٪ ، فلا يكون مشكلة لعملية الانتاج . بسبب الكميات الكبيرة من بخار الماء التي تطلقها الطيور اثناء عملية التنفس واللهاث . لتلطيف درجة حرارة اجسامها . فضلا عن الرطوبة التي تدفع من خلال مبردات التهوية لتعديل درجة حرارة جو القاعات المرتفعة في هذا الفصل .

٣ – ضوء الشمس :

للضوء علاقة وثيقة بنمو جسم الدواجن ، كما ان له تأثير كبير على انتاج البيض في فترة الانتاج . اما كمية الضوء المناسبة لمختلف مراحل التربية فهي

١ – وات/م٢ من سطح ارضية القاعة في فترة النمو ، وتتراوح بين ٢ – ٣ وات/م٢ في فترة الانتاج (٢٢) .

ونظراً لاختلاف متطلبات طيور الدجاج من الضوء في مرحلة النمو او في مرحلة الانتاج ، يمكن تنظيم احتياج الطائر بتحديد عدد ساعات الاضاءة الاصطناعية . فدجاج اللحم يحتاج إلى الاضاءة ليلا ونهاراً ، اختصاراً لفترة التسمين ، وان عدم اتباع برنامج الاضاءة المستمرة يعمل على اطالة تلك الفترة (٢٣) . اما اذا كان الهدف من التربية هو انتاج البيض، فالضوء ومن خلال تأثيره على عصب العين وعلى القناة النخامية Pitutary Gland يساعد على زيادة هرمونات النمو والهرمونات الخاصة بتنشيط الاجهزة التناسلية عند الدجاجة ، وتبدأ بوضع بيض صغير الحجم وفي وقت مبكر (٢٤) .

لا يمثل الضوء مشكلة لانتاج الدواجن في المحافظة فهي تتمتع بعدد كاف اذ لا يقل عدد ساعات الاشراق الشمسي عن ١٤٧ ساعة في الشهر (ينظر إلى الجدول رقم (٣)) وان اقل عدد لساعات الاشراق الشمسي تسجل في شهر كانون الثاني ، بينما يرتفع العدد في شهر حزيران إلى ٣٦٩ ساعة . هذا فضلا عن امكانية التحكم في تنظيم كمية الضوء اللازم وحسب الحاجة اصطناعياً لتوفر الطاقة الكهربائية .

٤ – الرياح :

بالرغم من ضعف التأثير المباشر الذي تتركه الرياح على نمو الدواجن او انتاجها في مرحلة الانتاج ، الا ان هناك علاقة غير مباشرة يظهر فيها اثر الرياح على انتاج الدواجن وفي نواحي متعددة وخاصة في مجال التهوية منها : –

١ – درجة توفر عناصر الهواء الضرورة للتنفس وخاصة الاوكسجين وبنسبة توفر تلك العناصر بالمقارنة مع نسبتها في الهواء الطلق .

٢ – طبيعة الرياح وخصائصها من حيث درجة حرارتها ورطوبتها ، ومن حيث السرعة والاتجاه وصفة الثبات او التغيير ..

٣ ـ التأثير على تشكيل مساكن الدواجن من حيث الارتفاع والاتجاه وشكل النوافذ وطريقة التهوية المتبعة .

فانخفاض كمية الاوكسجين بنسبة ١٪ داخل المفاقس وبالمقارنة مع النسبة التي يوجد فيها الهواء الطلق ، يترتب عليها انخفاض في نسبة الفقس يقدر بحوالي ٥٪ .

كما لوحظ ان ارتفاع ثاني اوكسيد الكاربون في هواء المفاقس بنسبة ٥٪ قد ادى الى انخفاض نسبة الفقس الى الصفر (٢٥) . لذلك تعتبر حركة الهواء وتجديد عناصره داخل المفاقس امر ضروري للغاية .

وتزداد اهمية التهوية مع التقدم في مراحل النمو ، فالدجاجة بحاجة الى الهواء النقـــي باستمرار ، وربما تحتاج الدجاجة الواحدة الى اكثر من قدم مكعب من الهواء النقي في الدقيقة . فاحتياجها الى الهواء لعملية التنفس تفوق احتياجات الانسان في ذلك فالانسان يستهلك ٠٤٥, ٠ لتر من الهواء لكل باون من الوزن الحي . بينما يستهلك الدجاج ٢٢٥, ٠ لتر لكل باون من الوزن الحي (٢٦) .

مما تقدم تتضح اهمية الرياح في التهوية وخاصة بالنسبة للحقول التي تستخدم البيوت المفتوحة لعدم امكانية استخدام المراوح في التهوية وعليه يجب ان يراعى عند بناء قاعات التربية الاتجاهات العامة لهبوب الرياح .

اما بالنسبة للبيوت التي تتبع الطريقة المغلقة في الانتاج ، يجب ان يكون اتجاه القاعة باتجاه موازي للرياح لتجنب اثرها على عمل المراوح الداخلية التي تسحب او تدفع الهواء للقاعة (٢٨)

تتصف الرياح في محافظة نينوى بالاعتدال حيث تتراوح المعدلات الشهرية لسرعة الرياح بين ١,٦ ـ ٢,٨ م ـ ثانية ، وبمعدل سنوي ٢,٢ م ـ ثانية . (ينظر جدول رقم٢) .

وقد سجلت اعلى معدلات السرعة الرياح في اشهر مايس ٢,٧ وحزيران ٢,٨ وتموز ٢,٧ واب ٢,٦ م ـ ثانية .

اما الصفة الثانية للرياح في المحافظة فهي الثبات النسبي للاتجاهات التي تهب منها خلال العام ، حيث تتوزع من حيث المعدل بنسبة ٦٠٪ مابين شمالية وشمالية غربية وغربية . بينما لاتمثل بقية الاتجاهات سوى ١٣٪ اما النسبة الباقية ٢٧٪ فتمثل معدل حالات السكون (٢٨) .

ثانياً :العوامل البشرية والاقتصادية

١ – العمل والادارة :

يشكل العمل احد العوامل المهمة في عملية انتاج الدواجن وتتوقف كفاءة العمل على نواحي متعددة ، كحجم العمل وانتاجية العامل ، بالاضافة الى نوعية العمل ودقة التنفيذ وكلفة العمل ومقدار الربح .

وعليه يتحكم حجم المشروع في تحديد كفاءة العمل ، فاذا كان الهدف تربية اعداد قليلة من الدجاج ، فان استعمال الادوات المعقدة الغالية الثمن يكون غير مجدياً . والعكس فان استخدام المكننة يصبح ضرورياً لتقليل ساعات العمل اللازمة لخدمة عشرة الاف دجاجة او اكثر ، فاستعمال المناهل والمعالف الاوتوماتيكية يقلل من ساعات العمل ويرفع من انتاجية العامل (٢٩) .

وبذلك تصبح المهارة الفنية ضرورية جدا لاستخدام الالة ، فضلا عن اهمية الخبرة والرغبة في رفع كفاءة التحويل الغذائي ، فالعناية الفائقة في التفاصيل من الضروريات الأساسية لنجاح تربية الدواجن .

أماكلفة العمل والادوات والحضائر وغيرها فتكون متشابهة تقريباً في جميع المشاريع التي تتراوح سعتها بين (١٠ – ١٠٠) الف دجاجة ، وهذا مايشير الى ان مشروعاً للدواجن يتسع لعشرة آلاف دجاجة يكون بسعة كافية لاستعمال اجهزة وادوات يتطلبها مشروع بسعة مائة الف دجاجة من ناحية كفاءة العمل وكفاءة استثمار رأس المال (٣٠) .

تميزت حقول الدواجن في محافظة نينوى بكونها صغيرة الحجم ، فاغلبها يتكون من قاعة اوقاعتين انتاجية تقل السعة الأنتاجية للقاعة الواحدة عن عشرة الاف دجاجة . ولذلك فهي تعتمد الى حد كبير على العمل اليدوي ، وان استخدام المكننة فيها تكلف اقتصادياً ، فضلا عن انعدام الخبرة في التعامل لغرض توفير متطلبات الدواجن التي تمتاز بحساسيتها مما نتج عن ذلك العديد من المشاكل التي تعرضت لها بعض الحقول ، كانت نتيجتها عدم الاستمرار في الانتاج (٣١) . مما حدا باصحاب تلك الحقول الى بيع حقولهم او تأجيرها لغيرهم . وهذه الحالات شملت نسبة كبيرة من حقول الدواجن في المحافظة .

٢ ـ التغذية :

ان اهمية صناعة الدواجن تتمثل بقدرة الدجاج على تحويل المواد الغذائية الأولية من حبوب وغيرها الى مواد اكثر فائدة من الناحية الغذائية للانسان والتي يتناولها على شكل بيض او لحم . لذا يعتبر العلف من العوامل المهمة في نجاح عملية انتاج الدواجن اقتصادياً حيث تقدر كلفته بحوالي ٧٠ ٪ من نفقات الانتاج (٣٢) .

كما تبرز اهمية العلف من خلال كمياته المتوفرة وسهولة الحصول عليها ، وذلك لكون الحقول مستمرة في عملية الانتاج على مدار السنة مما يحتم على المنتج توفير العلف بصورة دائمية ، وان عدم توفر العلف او صعوبة الحصول عليه يحول دون الاستمرار بتربية القطيع مهما كان عدده ، مما يؤدي بالنتيجة الى خسارة اقتصادية وقد يتوقف الانتاج .

اما نوعية العلف فتعتبر من العوامل المؤثرة على سير العملية الأنتاجية ، حيث ان نوعية العلف التي تناسب دجاج اللحم قد لاتلائم دجاج البيض ، كما ان العليقة المناسبة للقطيع في مرحلة معينة من الانتاج ، وتحت ظروف مناخية ، معينة قد لاتلائمه في مرحلة لاحقة . فعليقة فروج اللحم يجب ان تكون بمواصفات بحيث تكون نسبة التحويل الغذائي فيها عالية وبنسبة (٢ كغم علف) لكل واحد (كلغم لحم) من الوزن الحي ، بينما يفترض ان يتوفر في عليقة دجاج البيض انتاج بيضة واحدة لكل (١٨٠ غرام علف) (٣٣) .

وعليه فان انتاج عليقة متوازنة تمكن الطائر من بلوغ اقصى معدلات النمو او الأنتاج فضلا عن ان اي خطأ أو نقص في احد مكونات العلف ، يؤدي الى تدهور صحة القطيع ويتسبب في ظهور العديد من امراض النقص الغذائي ، التي تتأثر بها الطيور اكثر من غيرها من الحيوانات نظراً لقلة الكميات التي يستهلكها كل طائر مع كثرة تنوع مكونات العليقة الأمر الذي يجعل لكل كغم واحد من العلف اهمية كبيرة ويحتم الأهتمام بتكامل جميع مكوناته (٣٤) . فهناك اكثر من (٤٠ مركب كيمياوي) يجب توفرها في عليقة الدجاج وفي حالة احتواء العليقة على كميات اقل من الحد الأدنى الذي تحتاجه الدجاجة من تلك العناصر فان ذلك النقص يؤثر تأثيراً سيئاً ، في عملية النمو بالنسبة للافراخ ، والتكاثر والانتاج في الدجاج البالغ (٣٥) .

وعليه بدأت الحقول المتخصصة باستخدام الحاسبات الألكترونية في عمليات تكوين العلائق من خلال تزويدها بالبيانات والمواصفات المطلوبة مع كلفتها الاقتصادية بهدف الحصول على انسب العلائق اقتصاديا وبالمواصفات المطلوبه لعملية الأنتاج (٣٦) .

اما على صعيد القطر فان علف الدواجن يتكون من ثلاثة مصادر وهي المركزات البروتينية وتمثل (١٠ ٪ من العلف الجاهز) ثم الحبوب والكسب وتكون النسبة الباقية (٩٠ ٪) . اما من حيث الكلفة فتشكل المركزات البروتينية ٢٠ ٪ ومكونات الحبوب والكسب ٧٧ ٪ بينما تبلغ كلفة التصنيع ٣ ٪ من الكلفة الكلية) (٣٧) .

ونظراً لعدم كفاية ما ينتج محلياً من مكونات العلف الرئيسة ، فقد اتجه القطر إلى استيراد معظمها ، وخاصة المركزات البروتينية من الخارج . كذلك يستورد نسبة من الحبوب وخاصة فول الصويا التي تكون ١٠ ــ ١٥٪ من مجموع الحبوب والكسب الداخلة في مكونات العلف .

اما استيراد مكونات العلف فيتم مركزياً وبواسطة الجهات المختصة ، وقد يتم استيرادها من جهات متعددة بعضها مصنع وبعضها يتم تصنيعه في الداخل وعليه تواجه صناعة العلف ومشاكل الاستيراد من حيث درجة توفرها وسهولة الحصول عليها، فضلا عن مشاكل التصنيع ومشاكل التسويق .

وعليه فان عدم امكانية توفير العلف بالكميات المطلوبة وبالمواصفات المحددة يعتبر من اكبر المشاكل التي يعاني منها انتاج الدواجن في القطر (٣٨) .

ان الصعوبات التي يواجهها اصحاب الحقول في المحافظة والخاصة في الحصول على العلف بالكميات والنوعيات التي يحتاجونها اثرت على نوعية العلف المقدم للدواجن ، وبالتالي اثرت على عملية الانتاج ، مما دفع باصحاب الحقول إلى اللجوء إلى استخدام منشطات النمو من مركبات الزرنيخ والمضادات الحيوية .

ان الجهل في طريقة استخدام المركبات المذكورة وغيرها من منشطات النمو سواء من حيث الكمية المسموح بها صحياً او من حيث الوقت المحدد لاعطائها . وتحقيق الاهداف المتوخاة منها ، سواء ما يتعلق منها بالجوانب الوقائية او العلاجية ، او ما يتعلق بتنشيط عملية النمو، فضلا عن المخاطر التي يتعرض لها المواطن بصورة غير مباشرة . لذا يجب تشريع القوانين التي تنظم عملية استخدام تلك المركبات الكيمياوية ، وان تتولى الجهات الصحية المختصة ضمان سلامة استخدامها لتحقيق الاهداف المطلوبة .

٣ ـ الماء :

يحتاج الدجاج إلى كميات كبيرة نسبياً من الماء ، وتوفر الماء من الضروريات الاساسية لعملية الانتاج ، فالدواجن يمكنها العيش بضعة ايام بدون غذاء ولكنها تهلك بدون الماء وتتوقف كمية الماء التي تستهلكها الدجاجة على عدد من العوامل منها :

١ ـ كمية الغذاء المستهلك

٢ ـ طبيعة الغذاء المستهلك

٣ ـ نشاط الدجاجة

٤ ـ درجة حرارة ورطوبة البيئة

٥ ـ نوعية مياه الارواء

وكمعدل عام يمكن القول ان استهلاك الدجاج من الماء يعادل ٢ ـ ٣ اضعاف وزن الغذاء المستهلك ، فاذا لم يستطيع الدجاج الحصول على الكمية التي يحتاجها من الماء (٣٩). يقل استهلاكه من الغذاء ، ولذا فمن الضروري توفير كمية كافية من الماء العذب في جميع الاوقات .

كما ان هناك علاقة كبيرة بين نوعية المياه التي يستهلكها الطائر ودرجة النمو فاستعمال المياه الجوفية التي تتركز فيها نسبة عالية من الاملاح يؤدي الى اجهاد شديد للاجهزة ، الحيوية بجسم الطائر وخاصة الكلي ويتأخر نموه تأخيراً واضحاً . وقد يتطلب الامر تغيير في تركيب العليقة .

اما كميات الاملاح المذابة المسموح بها في مياه شرب الدواجن ، فيجب ان لاتزيد عن مايلي :

(٤٠)

مجموع الاملاح المذابة	١٢٠٠	جزء ـ مليون
النترات	٤٠	جزء ـ مليون
السلفات	٢٥٠	جزء ـ مليون
ملح الطعام	٥٠٠	جزء ـ مليون

اما التركيب الايوني الـ P.H فيجب ان لايزيد عن (٨٫٠) ، ان اغلب حقول الدواجن في المحافظة تعتمد على المياه الجوفية في عملية الارواء ، وهي في الغالب تستخدم في الاستهلاك البشري ايضاً مما يؤكد صلاحيتها لغرض ارواء الدواجن . ولكن يفضل في هذا الصدد ان تتم عملية تحليل لمياه الابار والعيون التي تستخدم في ارواء الدواجن بهدف التحقق من درجة صلاحيتها ودرجة ملاءمتها مع تركيبة علائق العلف المقدمة .

كما تعاني معظم حقول الدواجن في المحافظة من مشكلة توفير مياه الري ، بسبب موقع تلك الحقول بعيداً عن مصادر المياه ، لذا يعتمد في الغالب في حل هذه المشكلة عن طريق نقل المياه بواسطة سيارات نقل المياه الخاصة . مما يرفع من كلفة الانتاج .

٤ ـ النقل :

يعتبر قطاع النقل مهما في نجاح اي نشاط اقتصادي وتتضح آثاره في الانتاج والتسويق والاستهلاك . وقد كان لتطور النقل اثر بارز في نجاح انتاج الدواجن في الاقطار المشهورة بانتاجها ، وذلك بفضل ماتملكة من شبكات النقل المتكاملة ، مما يساعدها على تخطي الكثير من الصعوبات التي تعيق عملية الانتاج او التسويق .

ويظهر أثر النقل في أنتاج الدواجن من خلال عدة أمور منها : طبيعة طرق النقل . ودرجة وسائط النقل ، واتجاه وكثافة النقل ، وكمية وطبيعة الانتاج بالاضافة الى القرب والبعد من مناطق الاستهلاك (٤١) .

وفيما يتعلق بالنقل داخل المحافظة ، فهناك طريقين رئيسيين يبلغ طول كل منهما حوالي (١١٥ كم) . وهما من الطرق الدولية ، الاول يربط الموصل بتركيا عن طريق زاخو والثاني يربط الموصل بالقطر السوري عن طريق ربيعة .

أما الطرق التي تربط مركز المحافظة بالاقضية والنواحي التابعة لها فتقدر بمجملها بحوالي (٦٢١)كم وتتكون من (٤٢) .

طريق الموصل ـ شيخان وطوله ٤٢ كم
طريق الموصل ـ تلعفر وطوله ٦٤ كم
طريق الموصل ـ الشرقاط وطوله ٩٧ كم
طريق الموصل ـ حمدانية وطوله ٣٣ كم
طريق الموصل ـ سنجار وطوله ١١٥ كم
طريق الموصل ـ الحضر وطوله ١٠٥ كم

طريق الموصل — تلكيف وطوله ١٨ كم
طريق الموصل — بعاج وطوله ١٤٧ كم

يضاف الى ذلك مجموعة من الطرق الفرعية القديمة في تعبيدها أو غير معبدة والتي تربط بين مراكز الاقضية والنواحي ، كما توجد مجموعة من الطرق الترابية التي تربط مراكز النواحي بالقرى التابعة لها .

أما من حيث توفر وسائط النقل فتتركز في المحافظة أعداد كبيرة منها ، سواء بالنسبة لسيارات نقل الركاب أو بالنسبة لسيارات الحمل ، حيث تقدر معدل ملكية السيارات فيها بحوالي سيارة واحدة لكل خمس واربعون شخصاً . وهي نسبة مرتفعة بالمقارنة مع المعدل العام في القطر والبالغة سيارة واحدة لكل خمسين شخصاً (٤٣) .

ويمكن ايجاز أهم خصائص قطاع النقل في المحافظة بالنقاط التالية : —

١ — ان طرق النقل الجيدة (المعبدة) تقتصر على خدمة المراكز الاستيطانية الكبيرة أي انها تربط مدينة الموصل بمراكز الاقضية في المحافظة .

٢ — ان غالبية وسائط النقل تتركز في مدينة الموصل والمراكز المذكورة .

٣ — ارتفاع معدل ملكية السيارات والذي يتناسب طردياً مع ارتفاع معدل الرحلات اليومية الى المراكز الكبرى وخاصة مدينة الموصل .

مما تقدم وعند ملاحظة توزيع حقول الدواجن في المحافظة يظهر ان غالبيتها يتركز في المناطق القريبة من المراكز الاستيطانية الكبيرة ، مما يؤكد مدى الترابط الكبير بين توزيع تلك الحقول واتجاهات طرق النقل الجيدة التي تخدم تلك المراكز .

٥ — التسويق :

تكتسب عملية التسويق أهمية متميزة في مجال انتاج الدواجن واكتسبت تلك الاهمية نتيجة لتعدد المراحل التي تمر بها عملية تسويق منتجات الدواجن . وتعدد الجهات ذات العلاقة بهذه العملية ، يضاف اليها حساسية المنتجات المسوقة ، فضلا عن موسمية الانتاج والتباين في كمية الطلب .

وللتأكيد على اهمية تلك العملية فقد تبناها القطاع العام واصبح من واجبه تقديم التسهيلات لمساعدة القطاع الخاص في ذلك. حيث أخذ على عاتقه تسويق منتجات الدواجن

عن طريق مؤسساته الانتاجية المتخصصة الى الوكلاء ثم المستهلك . والى المؤسسات الخدمية كالمطاعم والفنادق والمستشفيات وغيرها .

كما الغى القطاع العام دور الوسطاء في عملية التسويق وضمن الربح للمنتجين ، من خلال الزام الشركة العامة للدواجن بشراء منتجات القطاع الخاص ، ووفقاً للاسعار المحددة من قبل اللجان المختصة .

أما عملية تسويق منتجات الدواجن في المحافظة في الوقت الحاضر ، فيتولاها القطاع الخاص ، ولا سيما بعد تراجع القطاع العام عن القيام بهذه العملية ، وتأجير المجازر التابعة للشركة العامة للدواجن وخاصة مجزرة أربيل الى القطاع الخاص بالاضافة الى انشاء أربعة مجازر أهلية في المحافظة ، ووجود عدد من المجازرالصغيرة التابعة لبعض الحقول الانتاجية وعليه اصبحت عملية التسويق تتم بطرق مختلفة وبرز دور الوسطاء فيها من جديد .

وبصورة عامة فان الاساليب التسويقية الحالية لازالت تتسم بالتخلف في جميع مراحلها سواء مايتعلق منها بتجهيز بيض التفقيس أو الافراخ الى اصحاب المفاقس أو الحقول ، والتي تمتاز بالارباك من حيث الكمية والوقت والنوعية والاسعار ، او مايتعلق منها بتسويق منتجات اللحوم من حيث طريقة الاعداد والتنظيف والتصنيف والنقل والتبريد أو من حيث الاسعار وعدم استقرارها .

ان عملية تحضير لحوم الدواجن لم تعد من العمليات الحقلية البسيطة بل اصبحت عمل صناعي متطور حيث ادخلت المكننة على نطاق واسع وفي جميع المراحل بحيث تتم العملية بشكل يكون معها انتاج اللحوم نظيفاً وصحياً وفي ظروف يحافظ فيها على النوعية وتحت اشراف صحي يتم اجبارياً وبموجب قوانين خاصة .

٦ ـ سياسة الدولة وانتاج الدواجن:

أولت القيادة السياسية في القطر القطاع الزراعي اهتماماً متميزاً ايماناً منها بضرورة تطور الريف . ودعماً للاقتصاد الوطني . حيث تمثل الزراعة حجر الزاوية في اية تنمية منتظرة .

وكان انتاج الدواجن من بين الانشطة التي حضيت بمكانة متميزة في سياسة الدولة الزراعية . فقد اقر المجلس الزراعي الاعلى خطة لتطوير وتشجيع حقول الدواجن في القطاع الخاص . حيث شملت هذه الخطة قيام المصرف الزراعي بتقديم تسهيلات مالية عن

طريق تسليف مربي الدواجن في هذا القطاع وبموجب خطة تقررها الشركة العامة للدواجن وتكليف مديرية الثروة الحيوانية بتأمين الحضائر المتحركة والملائمة لتربية الدواجن وبيعها بسعر الكلفة لمربي الدواجن. كما الزمت الخطة الشركة العامة للدواجن بشراء انتاج الحقول الاهلية حسب التسعيرة التي تضعها لجنة متخصصة في وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي (٤٤).

وتمشيا مع سياسة الدولة في تشجيعها لمنتجي الدواجن فقد شملهم قانون حق الحصول على السيارات الانتاجية (٤٥).

وساهم مجلس قيادة الثورة في ذلك من خلال اصداره للقوانين المشجعة للانتاج يتضمن بعضها اعفاء حقول الدواجن الاهلية من ضريبة الدخل المترتبة على ارباحها (٤٦). فضلا عن العديد من التسهيلات المالية الاخرى التي تخص انتاج الدواجن ومنها : —

١ — منح تخفيضات على اسعار بيع السلع التي تخص انتاج الدواجن وبنسبة ١٠٪ الى كافة المنتجين وبنسبة ٢٠٪ الى المنتمين منهم للجمعيات التعاونية.

٢ — دعم اسعار بيع الافراخ بنسبة ١٥٪ من الكلفة .

٣ — منح جمعية وادي الرافدين لتربية الدواجن أو اية جمعية أخرى متخصصة صلاحية استيراد الافراخ.

٤ — دعم سعر العلف المجهز الى مشاريع القطاع الخاص بنسبة ١٠٪.

٥ — دعم جمعية وادي الرافدين لتربية الدواجن بنسبة ٣٠٪ من سعر العلف المجهز لها.

٦ — منح جمعية وادي الرافدين لتربية الدواجن أو أية جمعية متخصصة بتربية الدواجن اجازة لاستيراد المواد الاولية الداخلة في انتاجها.

وقد ساعدت تلك التسهيلات على تطوير حقول الدواجن وبرزت كظاهرة اقتصادية لها مكانتها المتميزة في الاقتصاد الوطني. ولكن نتيجة للتطور السريع الذي تميزت به تربية الدواجن . ونتيجة للظروف الطارئة التي يمر بها القطر . ظهر بعض التباطؤ في دور القطاع العام في هذا المجال. مما ادى الى ايقاف عملية التوسع في عدد الحقول . وتخلي القطاع العام عن القيام بجوانب مهمة في عملية التسويق. وظهرت بعض المشاكل الخاصة باستيراد البيض والافراخ . وتوفير العلف والادوية وبعض مستلزمات الانتاج الضرورية والتي تعتبر من اهم المعوقات التي يعاني منها انتاج الدواجن في المحافظة حالياً.

النتائج والاقتراحات:

اتضح من هذه الدراسة انخفاض نسبة مايستهلكه المواطن في العراق من منتجات اللحوم والبروتين الحيواني ،وذلك لانخفاض كمية الانتاج الحيواني نتيجة للصعوبات التي تواجه تنمية الثروة الحيوانية في القطر. فضلاً عن المبالغ الكبيرة التي تصرف سنوياً لاستيراد منتجات الثروة الحيوانية وخاصة الدواجن ومنتجاتها من الخارج (٤٧).

كما أكدت الدراسة على اهمية تنمية الدواجن في القطر. لكون انتاجها يتمتع بارتفاع نسبة التحويل الغذائي وسرعة النمو. فضلا عن ارتفاع نسبة ماتحتويه منتجاتها من البروتين الحيواني (٤٨). وامكانية التحكم النسبي في عوامل انتاجها.

وقد أظهرت الدراسة اهمية محافظة نينوى في مجال انتاج الدواجن حيث ساهمت بحوالي ٢٥٪ من مجموع انتاج الدجاج في القطر. وهذا التركز في حقول الدواجن في المحافظة . وطبيعة توزيعها الجغرافي، كان نتيجة لتوفير العوامل الطبيعية والبشرية الملائمة للانتاج.

ونظراً لطبيعة الظروف المناخية في المحافظة، تميز انتاج الدواجن فيها بصفة الانتاج الموسمي، حيث يزداد الاقبال على تربية الدواجن في فصلي الربيع والخريف. بسبب الاعتدال في معدلات درجات الحرارة في الفصلين المذكورين وملاءمتها لانتاج الدواجن

بينما يقل التوجه نحو انتاج الدواجن في فصلي الصيف والشتاء وذلك لارتفاع معدل درجات الحرارة صيفاً وارتفاع نسبة الرطوبة الجوية شتاءاً.مما يرفع من كلفة الانتاج. حيث يضطر الانسان الى التدخل في الحالتين لتعديل الظروف المناخية لصالح العملية الانتاجية.

كما تأكد من خلال الدراسة بان العوامل البشرية والاقتصادية تشكل اضعف الحلقات في سلسلة عوامل الانتاج. وعليه فان الادراك الكامل لطبيعة تلك العوامل يمثل المفتاح الاساسي الذي بواسطته يمكن وضع الاسس العملية لحل المشاكل التي تواجه تنمية انتاج الدواجن في المحافظة.

اما اهم المشاكل التي توصلت اليها الدراسة فهي:

اولا : تخصص حقول الدواجن في المحافظة بانتاج دجاج اللحم ودون الاهتمام بتربية دجاج البيض، مما أدى الى حدوث خلل في تكامل عملية الانتاج، ونقص في كمية البيض اللازم للمفاقس الانتاجية، مما جعل المفاقس تعتمد في سد قسم كبير من حاجتها على البيض المستورد ،وقد ادى ذلك الى مايلي:

(أ) انخفاض الطاقة الانتاجية للمفاقس وارتفاع تكاليف الانتاج .

(ب) تحمل اصحاب الحقول دفع مبالغ اضافية لارتفاع قيمة أفراخ التربية .

(ج) تعرض اصحاب المفاقس لعامل المنافسة بسبب اختلاف كلفة انتاجها ، لتباين تكاليف الانتاج .

(د) تحمل المستهلك تكاليف أضافية لارتفاع قيمة الانتاج ، وعدم ثبات الاسعار .

(هـ) أحداث ارباك لعملية التسويق ، والتأثير على عمل اللجان المختصة بمراقبة السوق ووضع الاسعار .

(ز) تحول دون استقرار عملية الانتاج ، وحدوث تفاوت كبير في مقدار العائد بين حقل واخر أو بين وجبة انتاج واخرى في الحقل الواحد .

ثانياً .

قلة عدد الوجبات المنتجة من الافراخ سنوياً ، وانخفاض في نسبة الفقس في البيض نتيجة للتأخير الحاصل في أستلام كميات البيض المستوردة لطول فترة التسويق (٤٩) .

ثالثاً .

عدم التزام اصحاب الحقول بتنفيذ القوانين والتشريعات الخاصة بانتاج الدواجن وبهذا الصدد نذكر النقاط التالية : —

(أ) التأخير في انجاز الحقول ، فقد بلغ عدد الحقول المنتجة في نهاية ١٩٨٤ (٢٨٤) حقلا فقط . وهي تمثل ٦٠٪ من مجموع الحقول المجازة والبالغة (٤٧٣) حقلا . علماً بأن آخر تاريخ لمنح الموافقات الخاصة بانشاء الحقول كان في نهاية ١٩٨٢ .

(ب) استغلال بعض الامتيازات والتسهيلات المالية التي منحت للمواد الاولية الخاصة ببناء الحقول أو الانتاج ، وبيعت تلك المواد في الاسواق باسعار مرتفعة .

(ج) تعتبر وسائط النقل الانتاجية ضرورية لعملية الانتاج ، غير ان بعض الحقول حرمت منها ، بسبب بيع بعض اصحاب الحقول لحقولهم أو بيعهم للسيارات التي حصلوا عليها بموجب سياسة الدولة التشجيعية لانتاج الدواجن .

(د) اختلاف طبقات وانتماء اصحاب الحقول قد أوجد بعض الارباك في عملية انتاج الدواجن ، بسبب اختلاف نسبة الامتيازات والتسهيلات التي يحصل عليها كلا منهم .

(هـ) عدم الالتزام بالشروط الخاصة بالاشراف الصحي . واما العقود الخاصة بذلك والمبرمة مع الاطباء والموظفين البيطريين فهي في الغالب لاستكمال الشروط اللازمة للمعاملات الرسمية التي تتطلبها عملية الانتاج .

ولكي تحقق هذه الدراسة بعض اهدافها لابد من ذكر بعض الاقتراحات التي اذا ما وجدت طريقها الى حيز التنفيذ يمكنها ان تساهم في تنظيم بعض جوانب عملية انتاج الدواجن في المحافظة ، وعليه ترى الدراسة ضرورة الاخذ بالملاحظات التالية :

١ ــ وضع خطة تفصيلية بانتاج الدواجن في المحافظة ، تأخذ بنظر الاعتبار كافة العوامل ذات العلاقة بانتاج الدواجن ودرجة توفرها وامكانات التنفيذ .

٢ ــ الاستفادة من الاخطاء والصعوبات التي واجهت انتاج الدواجن في المحافظة . ورسم صورة مستقبلية تحدد بموجبها الاسس السليمة لعملية الانتاج .

٣ ــ التأكيد على انجاز الحقول التي لم تبلغ مرحلة الانتاج . ومتابعة اصحاب الحقول المنتجة والتي لاتنتج بكامل طاقتها الانتاجية على الانتاج .. ووضع القوانين التي تنظم عملية الانتاج .

٤ ــ اخضاع الحقول للتأمين الالزامي . لتقليل أثر الخسائر التي قد تتعرض لها بعض الحقول بسبب حساسية الدواجن واحتمال تعرض وجبات الانتاج للفشل .

٥ ــ التوسع في الجانب الارشادي خاصة وان معظم الحقول لاتتوفر لديهم الخبرة. وهم ينحدرون في انتمائهم الى انشطة اقتصادية مختلفة علماً بأن الدواجن من الكائنات الحية البالغة الحساسية التي تتطلب عملية انتاجها توفر شروط محددة .

٦ ــ الاهتمام بالجانب الاداري والتأكيد على أهمية المعلومات الاحصائية في تنظيم عملية الانتاج . والزام أصحاب الحقول بفتح السجلات التي تدون فيها جميع المعلومات المتعلقة بانتاج الدواجن . كعدد الهلاكات اليومية ، ومقدار استهلاك العلف ومواعيد التحصين واعطاء الادوية الوقائية والعلاجية . ومقدار الزيادة في الوزن اسبوعياً وعند التسويق . ومعامل التحويل الغذائي . وتدوين المعلومات المتعلقة بالمصروفات والايرادات . لتحديد الوضع الاقتصادي لكل مشروع .

٧ ــ تنظيم عملية تجهيز المفاقس بالبيض اللازم للتفقيس والتي تعتبر من أهم العمليات المتحكمة في صناعة الدواجن في المحافظة . حيث تنعكس سلبيات تلك العملية على بقية مراحل الانتاج .

٨ — التفكير جدياً في حل مشكلة النقص في مقدار العلف اللازم لانتاج الدواجن في القطر . علماً بأن قسماً كبيراً من مكونات العلف وخاصة المركبات البروتينية ، تستورد من الخارج .

٩ — السماح باقامة حقول الدواجن ضمن الأراضي الخضراء ، وحيث لايوجد تناقض مع بقية الشروط اللازمة لعملية الأنتاج . والزام اصحاب الحقول في ذلك الصنف من الاراضي ، بزراعة محاصيل العلف التي تسمح الظروف المحلية بانتاجها ، كالذرة الصفراء او فول الصويا وغيرها .

١٠ — تشكيل لجنة او جمعية متخصصة بانتاج الدواجن ، تأخذ على عاتقها تنظيم عملية توفير مستلزمات الأنتاج ، لتلافي الكثير من المشاكل التي يعاني منها الأنتاج حالياً، كتوفير البيض اللازم للتفقيس ، والافراخ او العلف لحقول التربية ، وتنظيم عمليات تسويق الانتاج .

١١ — قيام القطاع العام بتحمل مسؤوليته في تنظيم عملية الأنتاج ، والتوسع في اقامة مشاريع حقول الأمهات الخاصة بانتاج البيض ، وتأسيس المفاقس الخاصة بتجهيز افراخ التربية ، والالتزام بعملية تسويق الأنتاج ، والتراجع عن عملية تأجير المجازر ومؤسسات القطاع العام الخاصة بانتاج الدواجن .

١٢ — التأكيد على أهمية الأشراف الصحي ، لتأمين سلامة الأنتاج والتقليل من خطر الآثار المترتبة على اضافة بعض المواد الكيمياوية إلى عليقة الدواجن التي يتبعها بعض اصحاب الحقول بهدف زيادة نمو الدواجن ، كالمضادات الحيوية ومركبات الزرنيخ وغيرها . وتشريع القوانين التي تحدد المواد الكيمياوية المسموح باستخدامها وطريقة الأستخدام.

١٣ — الأهتمام بايصال الخدمات الضرورية للانتاج ، وايصال التيار الكهربائي إلى الحقول المنجزة والمتوقفة عن الأنتاج لعدم توفر الطاقة الكهربائية.

١٤ — المساهمة في حل المشاكل المتعلقة بتوفير المياه اللازمة لحقول الدواجن وخاصة في المناطق التي تعاني من شحة المياه ، وذلك بحفر الابار الارتوازية في تلك المناطق . او المساهمة بتوفير وسائط النقل الخاصة بذلك . والعمل على تحليل لطبيعة المياه الجوفية التي تعتمد عليها حقول الدواجن في مناطق متعددة من المحافظة . وتحديد درجة صلاحيتها وملاءمتها لانتاج الدواجن .

الهوامش

(١) ل . ى . كارد ، وزميله ، انتاج الدواجن ، ترجمة حمدي عبد العزيز وزميله (الموصل : ١٩٧٩) ص ٨ .

(٢) لاحظ الباحث خلال دراسته الميدانية ، ان حقول الدواجن في المحافظة تؤكد على تربية دجاج اللحم ، لما يمتاز به من سرعة في دورة راس المال وانخفاض في تكاليف التسويق ، مما يحقق ربحاً افضل بالمقارنة مع تربية الدجاج لغرض انتاج البيض .

(٣) شريف . د. ابراهيم ، جغرافية الصناعة (بغداد /١٩٧٦) ص ٣ - ٤ .

(٤) ان استخدام الطرق الصناعية في التفريخ مثلا ساعد على زيادة الكفاءة الا نتاجية للدجاجة فقد حررها من عملية الرقاد واحتضان البيض حيث انصرفت كليا الى الا نتاج .

(٥) تقرر الكفاءة التحويلية ١ : ١١ للماشية و ١ : ١٣ للاغنام حول ذلك ينظر : ل .ى . كارد ، المصدر السابق ص ٩ .

(٦) تعتبر الدواجن من اكفأ الحيوانات انتاجاً وذلك لامتلاكها خاصية التكاثر بسرعة وبمعدلات عالية ، فعملية تطور الجنين تتم بسرعة اكثر من اللبائن ، فالوقت الطبيعي لنمو وفقس الاجنة في الدجاج هو ٢١ يوماً بينما تستغرق العملية في اللبائن شهور .

(٧) الرحبي ، محمد شرتوح ، اقليم دواجن بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد : ١٩٧٤) ص ص ٣٦ - ٣٨

(٨) المجلس الزراعي الاعلى ، مكتب التنسيق والبحوث الزراعية ، تنمية الدواجن في العراق الدراسة رقم ٦/٧ (بغداد : ١٩٧٨) ص ص ٥٢ - ٥٣

(٩) المجلس الزراعي الاعلى ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(١٠) السامرائي ، سعيد عبود ، التخطيط الزراعي في العراق ، دراسة في التنمية الزراعية مشاكلها وحلولها (بغداد : ١٩٨٠) ص ٢٤٠ .

(١١) علام ، د. سامي ، تربية الدواجن ورعايتها (القاهرة : ١٩٧٨) ص ص ٢٦٣ - ٢٦٥

(١٢) الرحبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(١٣) وزارة التخطيط ، المصدر السابق ص ٦٩ .

(١٤) الهيئة العامة للزراعة والاصلاح الزراعي ، مديرية الثروة الحيوانية ، قسم الدواجن . والجداول من عمل الباحث .

(١٥) بلغ عدد حقول الدواجن في ناحية بعشيقة «قضاء الموصل» ٤٩ حقلا أحتوت على ٧٦ قاعة بلغت طاقتها الانتاجية (٧٣٨) الف دجاجة . اما ناحية الحميدات فيوجد فيها خمسة حقول احتوت على ٣١ قاعة بلغت طاقتها الا نتاجية (٢٢٣) الف دجاجة .

كما بلغ عدد الحقول في ناحية زمار «قضاء تلعفر» عشرة حقول ضمت ٢٢ قاعة بلغت طاقتها الا نتاجية ١٩٣ الف دجاجة .

اما ناحية القيارة «قضاء الشرقاط» فيوجد فيها ١٦ حقلا ضمت ٢٠ قاعة بلغت طاقتهـــا الا نتاجية (١٧٤) الف دجاجة .

(١٦) الياسين، عدنان اسماعيل، التغيير الزراعي في محافظة نينوى للفترة ١٩٥٨ – ١٩٧٧ رسالة دكتوراه غير منشورة (بغداد/ ١٩٧٩) ص ٣٧ – ٣٨.

(١٧) خصباك، د. شاكر، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية (بغداد: ١٩٧٣) ص ٣٩ .

(١٨) ل.ى. كارد، المصدر السابق ص ١٧٢ – ١٩٧٥.

(١٩) مديرية الانواء الجوية، قسم المناخ، تقارير المناخ الشهري ١٩٧٧.

(٢٠) يشع الطائر من جسمه كمية من الحرارة تتراوح بين ٥,٥ – ٦,٥ كيلو كالورى/ ساعة/ كغم من الوزن الحي، بينما يحتاج حوالي ٦ كيلو كالورى/ ساعة/ كغم من الوزن الحي وبذلك فان طائر عمره بحدود شهرين ووزنه بحدود كغم يمكنه ان ينتج كمية من الحرارة تكفي لتدفئته وتدفئة الجو المحيط به.
حول ذلك ينظر، علام، المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٢١) ينظر، علام، المصدر السابق ص ١٦٥.

(٢٢) علام، المصدر السابق ص ٣٥٦ .

(٢٣) علام، المصدر السابق ص ٣٠٨ .

(٢٤) علام، المصدر السابق ص ٣٥٥.

(٢٥) ل.ى. كارد، المصدر السابق ص ١٥٤ – ١٥٥

(٢٦) ل.ى. كارد، المصدر السابق ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢٧) توزعت معدلات نسب اتجاهات الرياح في المحافظة للفترة ٤١ – ١٩٧٧ كالا تي، الرياح الشمالية ١٣,٥٪ الشمالية الغربية ١٣,٦٪ الغربية ١٨,٩٪ الشمالية الشرقية ٤,٦٪ الشرقية ٩,٣ الجنوبية ٦,٣٪ الجنوبية الشرقية ٢,١ و ٢٦,٧٪ تشمل معدل حالة السكون.
حول ذلك ينظر: مديرية الأنواء الجوية ،قسم المناخ، تقارير المناخ الشهرية ١٩٧٧.

(٢٨) علام، المصدر السابق ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٢٩) ل.ى. كارد، المصدر السابق ص ٥١٦ .

(٣٠) ل.ى. كارد، المصدر السابق ص ٤٧٠ – ٤٧١.

(٣١) يعتبر مشروع مفاقس وحقول النبراس من اكبر مشاريع الدواجن في المحافظة، وهو مشروع متكامل وقائم على اساس استخدام احدث الطرق المتبعة في انتاج الدواجن، ولكن نتيجة لعدم توفر الخبرة لدى صاحب المشروع ،تعرض المشروع للفشل مما دفع بصاحبه بيعه والتخلص من كارثة اقتصادية محققة.

(٣٢) الزحبي، المصدر السابق ص ٨١.

(٣٣) ل.ي. كارد، المصدر السابق ص ٢٥.

(٣٤) علام، المصدر السابق ص ٧٧.

(٣٥) ل.ي. كارد المصدر السابق ص ٢٤٩ — ٢٥٠.

(٣٦) ل.ي. كارد، المصدر السابق ص٣٧٧.

(٣٧) المجلس الزراعي الاعلى تنمية الدواجن، المصدر السابق ص٣١ — ٣٢.

(٣٨) لاحظ الباحث عند زيارته لاحد معامل العلف ان مكونات العلف التي يصنعها كانت تتكون من حبوب القمح وفول الصويا والذرة الصفراء فقط . ولا تحتوي على المركزات البروتينية وكان صاحب المعمل يأخذ تعهدا على اصحاب الحقول يتضمن معرفتهم المسبقة بطبيعة تركيب العلف، وذلك لعدم توفر المركزات البروتينية ولحاجتهم الماسة الى العلف لتغذية قطعانهم.

(٣٩) تتراوح الكميات اللازمة لكل طائر من مياه الشرب مابين ١٥ سم٣ في عمر اسبوع و ١٣٠ سم٣ في عمر ٨ — ١٠ اسابيع وترتفع هذه الكمية نسبيا في فصل الصيف.
حول ذلك ينظر: هاري دبل يوتايتس ،وزميله، ترجمة علي عبد الكريم العطار، التغذية العلمية للدواجن ص ٣٢٦.

(٤٠) علام، المصدر السابق ص ٣١٧.

(٤١) سرعي، مخلف شلال، التباين المكاني لاشجار الفاكهة وامكانات تنمية زراعتها في العراق رسالة دكتوراه غير منشورة، (بغداد ١٩٨٠) ص ١٤٩ — ١٥٠.

(٤٢) وزارة التخطيط، هيئة التخطيط العمراني،خطة اعادة اسكان اهالي سد الموصل (١٩٨٠) ص ١٥٨ .

(٤٣) وزارة التخطيط، هيئة التخطيط العمراني،المصدر السابق ص ١٧٨.

(٤٤) الرحبي، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٤٥) وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، كتابها المرقم ١٤٦٥ بتاريخ ١٩٨٠/١/١٠.

(٤٦) وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ، دائرة التخطيط والمتابعة، كتابها المرقم ٣/٣٢/٢/ ٦١١١٩. بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٢، المعطوف على كتاب رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية في ٣٢١٠/٣/١١.

(٤٧) نظرا لقلة الانتاج المحلي من لحوم الدواجن والزيادة الكبيرة في الطلب عليه والنقص في كمية اللحوم الحمراء فقد ارتفعت كمية الدجاج المستورد من ٥٠٨ طن في عام ١٩٧٠ الى ٤٠٠٠ طن عام ١٩٧٤.
حول ذلك ينظر : المجلس الزراعي الاعلى، تنمية الدواجن، المصدر السابق ص١٧.

(٤٨) تقدر كمية البروتين الحيواني في الكغم الواحد من لحم الدجاج بحوالي ١٩٥ كغم، بينما تقدر تلك الكمية بحوالي ١٤٧ غرام في البقر و ١١٥ غرام في الاسماك.
حول ذلك ينظر : النجفي، د. سالم توفيق ، اقتصاديات الانتاج الحيواني والموصل ١٩٧٩ ص ٣٦.

(٤٩) يعتبر البيض من السلع الحساسة تجاه عملية التسويق بسبب حيويتها وطبيعتها، وقد يترتب على تأخير وصول البيض الى المفاقس انخفاض في نسبة الفقس مهما كانت جودة الظروف التي تتم فيها عملية التسويق.
حول ذلك ينظر : لى. كارد، المصدر السابق ص ١٤٧.

مصادر البحث :

١ — خصباك، د.شاكر، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية(بغداد—١٩٧٣).

٢ — علام ،د. سامي، تربية الدواجن ورعايتها (القاهرة ١٩٧٨) .

٣— الرحبي، محمد شرتوح، اقليم دواجن بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة(بغداد١٩٧٤).

٤ — السامرائي، سعيد عبود، التخطيط الزراعي في العراق ،دراسة في التنمية الزراعية مشاكلها وحلولها (بغداد ،١٩٨٠).

٥ — شريف ،د. ابراهيم، جغرافية الصناعة (بغداد :١٩٧٦)ص٣ — ٤.

٦ — ل.ى. كارد، وزميله ،انتاج الدواجن ، ترجمة د. حمدي عبد العزيز وزميله (الموصل :١٩٧٩).

٧ — المجلس الزراعي الاعلى، مكتب التنسيق والبحوث الزراعية، تنمية الدواجن في العراق الدراسة رقم ٧ / ٦(بغداد :١٩٧٨).

٨ — مديرية الانواء الجوية ،قسم المناخ ،تقارير المناخ الشهرية ١٩٧٧.

٩ — مرعي ،مخلف شلال ،التباين المكاني لاشجار الفاكهة وامكانات تنمية زراعتها في العراق ،رسالة دكتوراه غير منشورة (بغداد :١٩٨٠).

١٠ — النجفي ،د. سالم، اقتصاديات الانتاج الحيواني (الموصل: ١٩٧٩.)

١١ — وزارة التخطيط ،الجهاز المركزي للاحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٧٧.

١٢ — وزارة التخطيط ،هيئة التخطيط العمراني، خطة اعادة اسكان اهالي سد الموصل (١٩٨٠).

١٣ — وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، دائرة التخطيط والمتابعة ،كتاب رقم ٣٢ — ٣ — ٢ — ٦١١١٩ بتاريخ ٢٢ — ١١ — ١٩٧٩.

١٤ — وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، مديرية التخطيط والمتابعة ،كتاب رقم ١٤٦٥ بتاريخ ١ — ١ — ١٩٨٠.

١٥ — هاري دبل يوتايتس وزميله، ترجمة علي عبد الكريم العطار، التغذية العامة للدواجن (البصرة :١٩٨٠).

١٦— الهيئة العامة للزراعة والاصلاح الزراعي، مديرية الثروة الحيوانية — قسم الدواجن، السجلات والاضابير الخاصة بالدواجن.

١٧ — الياسين ،عدنان اسماعيل ،التغير الزراعي في محافظة نينوى للفترة ١٩٥٨ — ١٩٧٧، رسالة دكتوراه غير منشورة (بغداد :١٩٧٩).

تخطيط المدن وسياسة الاسكان وصلاتها بالحدوث الجرمية

د. هاشم خضير الجنابي

كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة :

جاء اختياري لهذا البحث لسببين : السبب الأول انه من الموضوعات الجديدة التي ندر ان تناوله الباحثون والمختصون العرب ، والسبب الثاني هي المشكلات الكثيرة التي تعاني منها مدننا العربية ، حيث ان مدننا العربية تعيش في الوقت الحاضر مشكلات الهجرة والتضخم السكاني ومن المشكلات الأقتصادية والاجتماعية والتنظيمية والتخطيط والاسكان وغيرها . ولهذا فقد حاولت ان اساهم في دراسة تلك المشكلات واخرج ببعض النتائج التي اعتقد انها ستخدم المهتمين والباحثين في حلها.

وقد قسمت منهج دراستي إلى ثلاثة موضوعات رئيسة .

الموضوع الأول تناولت فيه المدينة وتخطيطها عبر المراحل التأريخية المختلفة وفي الموضوع الثاني تناولت الهجرة ومشكلات المدن ، حيث شرحت اثر الهجرة على المدن ودوافع الهجرات اما الموضوع الثالث فقد تطرق إلى تحجيم الهجرة والتخطيط لسياسة اسكانية وتم ربط ذلك بموضوع المشكلات الأجتماعية لسكان المدن وامكانية حلها وخاصة ما يتعلق منها بالجريمة.

تخطيط المدن وسياسة الاسكان وصلاتها

بالحد من الجريمة

المدينـة وتخطيطها

تعريف المدينة :

لم يتفق غالبية المتخصصين في جغرافية المدن (الحضر ، العمران) من اعطاء تعريف دقيق لها ، فمن بحوثهم ودراساتهم (١) ، يظهر ان معيار التفرقة بين المدينة والقرية يبرز من خلال عدد السكان أو يبرز من الصفحة الادارية المتمثلة بمجلس أداري أو قضائي او من خلال النشاطات وتقديم الخدمات أو من المظهر الخارجي والبنية الداخلية أو من حيث القيم الاجتماعية والشخصية وما يتعلق بتركيب العائلة والعادات والتقاليد ومع ان هذا وذاك فيه بعض الصحة الا أن التعريف الذي نقله الدكتور عبد الفتاح محمد وهبة عن Max , Sorre (٢) فيه الكثير من الصحة . وهو ان المدينة محلة يعيش فيها مجتمع مستقر غالباً مايكون ضخم العدد كما ان كثافته مرتفعة ولا يعتمد كل افراده أو معظمهم في رزقهم على الزراعة في نشاط دائم وعلى درجة عالية من التنظيم . وانني اعتقد ان كثرة الوظائف يمكن ان تعد اساساً لتعريف المدن فالمكان الذي يضم وظيفة تجارية وصناعية وصحية وثقافية وترفيهية ونقل وغيرها يمكن ان يتصف بصفات الحيز الحضري (٣) .

تخطيط المـدن

التخطيط بمفهومه العام كما يذكر الدكتور فؤاد محمد الصقار (٤) هو دراسة جميع أنواع الموارد والامكانات المتوفرة في الدولة أو الاقليم أو المدينة أو القرية ، وتقرير كيفية استخدام هذه الموارد في تحقيق الاهداف وتحسين الاوضاع . أما تخطيط المدن فيقوم على استراتيجية مؤداها أدراك أهمية المظاهر الديموغرافية والاجتماعية والثقافية والسلوك والمبادىء الايكولوجية (٥) ، وبهذا تسهم علوم الهندسة المعمارية وعلم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والسياسة مساهمة فعالة في عملية تخطيط المدن .

ومنذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة مارس الناس تخطيط المدن، الا ان هذا يختلف عن مفهوم التخطيط في عصرنا الحالي. ففيما مضى نمت المدن الاولى نموا طبيعياً نتيجة نمو القرى، ويرجع ذلك الى صغر حجم التجمعات المحلية وافتقار المدن القديمة الى التطور التكنولوجي الذي أدى الى تعقد المدن في عصرنا الحالي. وبساطة وعدم تعقيد النشاطات الاقتصادية والصناعية هذا فضلاً عن سلطة الملوك والحكام التعسفية والتي كانت تحدد مدى التخطيط. وفي هذه الظروف كان تخطيط المدن فيما مضى يهتم بالموقع والحجم وتنظيم المدينة المغلق . ومن الامور الهامة المرتبطة بنشأة المدن المبكرة ان تلك المدن كان خطوة تالية لمرحلة الزراعة المستقرة، التي لعب انتاج الغلال دوراً اساسياً فيها ويرتبط ذلك بعامل الوفرة في الغذاء مما يؤدي الى وجود نسبة بسيطة من السكان لاتعني بأمر انتاج غذائها، وهذه هي بداية ظهور حرف اخرى غير الزراعة، أو بمعنى آخر بداية لظهور الحرف المدنية التي تقوم على التخصص الوظيفي (٦). واذا حاولنا استعراض بعض اساليب تخطيط المدن في الاحقاب التاريخية المختلفة فيظهر لنا ان تلك المدن كانت تخضع لنمط معين من التخطيط كان هدفه في النهاية خدمة الوظائف الدينية والادارية والسكان. فمدن الحضارات القديمة كمدن العراق القديم والمدن المصرية ومدن شبه القارة الهندية والمدن اليونانية والرومانية كان تخطيطها يتميز بالتشابه الكبير. فكانت المعابد (مقر الالهة) تتوسط مراكز تلك المدن وتتصل بها قصور الحكام ثم تليها منازل النبلاء وافراد الشعب ، اما الشوارع فهي صغيرة وضيقة وذات نهايات مغلقة ، وكانت المدن المذكورة محاطة بالاسوار ذات الاشكال المستطيلة أو الدائرية. ومن امثال هذه المدن ،مدن العراق القديم كمدينة الوركاء وبابل ونينوى ومدن مصر القديمة كمدينة منف أول عاصمة لمصر الموحدة في الاسرة المصرية الاولى ومدينة كاهون .

أما المدن الاغريقية الاولى فلم تكن ذات شوارع منسقة ولكنها كانت ضيقة ومتعرجة لدرجة كبيرة ومتشابكة وكان انعدام التخطيط على هذا النحو وسيلة من وسائل الدفاع في حالة تمكن الاعداء من اختراق السور الخارجي. من ذلك يمكن ان نستدل ان المدن القديمة عندما تم إنشاؤها أول الامر لم تكن ذات تخطيط دقيق تم الاتفاق عليه أولاً وانما شكل المدينة العام (مخططها) ظهر بسبب عوامل املتها الظروف الدينية والادارية التي كانت سائدة آنذاك.

وظهرت معالم التخطيط الواضح للمدن في اليونان في حدود ماقبل العصر المسيحي حيث ظهرت بواكير التخطيط الشبكي الذي ينسب عادة الى هيبود اموس Hippodamus - وتقوم فكرته على اساس تعامد الشوارع على بعضها وتقاطعها بزوايا قائمة .

وظلت فكرة التخطيط الشبكي سائدة لفترة طويلة جداً خاصة بعد ان انتقلت الى خارج بلاد اليونان مع فتوحات الاسكندر الاكبر في حوالي ٣٣٣ق.م (٧). وتعد مدينة الاسكندرية القديمة مثالاً لذلك التخطيط ، فكان شارعها الرئيس يمتد من الغرب الى الشرق بحدود اربعة اميال ويتعامد عليه في منتصفه تقريباً شارع طولي من الشمال الى الجنوب وتكتمل شبكة الشوارع الشطرنجية بشوارع اخرى موازية للشارعين . وفي وسط المدينة كان يوجد المسرح الدائري والملعب الرياضي ومبنى المحكمة والمتحف . أما تخطيط المدينة الرومانية فكان يأخذ غالباً شكل المستطيل أو المربع وغالباً ماكان يقطع المدينة طريقان رئيسان يتعامدان على الجهات الاصلية وتتقاطع معهما الشوارع الفرعية وهي فكرة التخطيط الشبكي نفسها. وفي الميدان الرئيس الذي يوجد عند تقاطع الشارعين الرئيسين يوجد الفورم، وهو الميدان الذي يمثل قلب المدينة الرومانية وفيه توجد المعابد والاسواق ومراكز الحكم والادارة كما كانت تعقد به الاجتماعات السياسية ، ومن المعالم الاخرى في المدينة الرومانية الحمام والمسرح الدائري الذي كان سمة اساسية لمعظم المدن الرومانية. وفي روما يعد الكابتول قلعة روما، وحول المدينة مبنى سور يصل سمكه الى ٦٠ سنتمتراً وارتفاعه ١٥ متراً تقريباً ، كما حفر خارجه خندق اتساعه ٣٠ متراً وعمقه تسعة امتار ،بقصد توفير حماية أكبر للمدينة (٨) .

ومما تجدر الاشارة اليه إن الرومان نقلوا حضارة المدن الى كل اوربا جنوب الدانوب وغرب الراين وعبر القنال الانكليزي الى بريطانيا .

كما ادخل الرومان كثيرا من الاضافات والتعديلات على المدن القديمة في امبراطوريتهم الواسعة ففي الوطن العربي انشأوا طرابلس في ليبيا وادخلوا تعديلات كثيرة على الأسكندرية ذات الاصل اليوناني وكذلك انشأوا حماة وحمص وفيلادلفيا (مدينة عمان الأردنية) وبالميرا (تدمر) ومدينة خاراكس (المحمرة) على الخليج العربي وكانت هذه المدن جميعا ثغورا صحراوية ترتبط بالطرق الرومانيةالشهيرة ولعبت ادوارا هامة فيالنشاطالتجاري (٩) .

ومنذ العهد المسيحي وحتى نهاية العصور الوسطى ازداد نفوذ الكنيسة الديني والاقتصادي والاجتماعي ، وتولت طوائف الرهبان قيادة حركة التقدم الحضري بأكملها ، اذ كانوا يوفرون ملاذاً للاجئين ومأوى مضافا للمسافر المنهوك القوى ويشيدون القناطر ويقيمون الأسواق . فانعكس ذلك على كثافة سكان المدن وعلى شكلها العام . وهكذا ظهرت مدن اساسها الكهنة ورجال الدين (١٠) واصبحمن مكوناتمركز المدينة الاوربية فيالعصورالوسطى.

١ ــ مبنى الكاتدرائية (الكنيسة)
٢ ــ ميدان اوساحة الكنيسة .
٣ ــ السـوق
٤ ــ مبنى البلدية
٥ ــ الدور السكنية
٦ ــ السـور
٧ ــ الخنـدق

واذا حاولنا مقارنة اكولوجية المدينة المسيحية في تلك الفترة مع اكولوجية المدينة الاسلامية في الفترة نفسها فان مكونات مركز المدينة الاسلامية كان يتألف من .

١ ــ الجامع العام
٢ ــ القلعـة
٣ ــ السـوق
٤ ــ الدور السكنية .
٥ ــ السـور
٦ ــ الخندق
٧ ــ المقابر

وبشكل عام فان التخطيط الداخلي للمدينة في مرحلة ما قبل الصناعة كان يتميز بوجود خصائص تخطيطية عامة هي (١١):

١ ــ انعدام التخصص الوظيفي في مدينة ماقبل الصناعة.

٢ ــ ساد الفكر والادب بين (صفوة تتمتع بوقت فراغ) وتعيش اساسا في المدن، منعزلة عن الطبقات الدنيا وتقود البناء السياسي والديني والتعليمي اوتوقراطيا.

٣ ــ صغر حجم المدينة : فمدينة ماقبل الصناعة هي بوجه عام صغيرة الحجم . ولئن بلغت بعض هذه المدن حجما كبيرا ، الا ان هـذا الحجم يتضاءل بوضوح بالقياس إلى المدن الصناعية الحديثة. ويرجع صغر حجم مدينة ماقبل الصناعة إلى عدة عوامل منها بساطة التكنولوجيا السائدة التي اثرت بدورها في عدم توافر فائض الغذاء الذي يسمح باعاشة الاعداد المتزايدة وفي عدم تطوير وسائل النقل الملائمة لاتساع حجم المدينة.

٤ ــ نسق العائلة : احتفضت الطبقة العليا في مدينة ماقبل الصناعة بنسق العائلة الممتدة وكانت معدلات الخصوبة مرتفعة لانعدام ضوابط النسل ولدواعي التفاخر بين الاسر ، وبخاصة الغنية بزيادة عدد الاطفال ، وقد ارتبط ذلك بالامكانات الاقتصادية.

وحين اذنت العصور الوسطى الأوربية بالانتهاء بدأت ملامح عصر النهضة والباروك تظهر في المدن الاوربية ، وفي مطلع تلك الفترة بدأ نفوذ الدولة يقوى ويذري سلطان الكنيسة . وبدلا من مركز المدينة القديمة الذي يجمع الكاتدرائية والسوق ودار النقابة ، بدأ القصر يظهر في المدينة ، واصبح الأمير قمة الهرم الأجتماعي وانتقل القصر من مركز المدينة الداخلي ليصبح بداية للمدينة ومقدمة لها . وفي مدينة كارلسروة الالمانية تم تخطيط القصر وبناءه اولا ثم انشئت المدينة فظهرت كما لو كانت ملحقة بمبنى الأمير ، وفي تلك المرحلة بدأ ظهور الرأسمالية التي لم تكن تهتم بانشاء مدن جديدة بقدر ماتعني بتطوير المدن القائمة بالفعل ، لتكون تلك المدن مراكز للادارة ومقرا لرؤوس الاموال . وهنا لعب الموقع اثرا كبيرا في ان بعض المدن نمت بدرجة اكبر من غيرها وازداد عدد سكانها وبدأت ملامح هيراركية مدينة في الظهور كما بدأت المدن تتخصص وظيفيا ويظهر تخطيط المدن الذي تشرف عليه الدولة.

ومن المظاهر الرئيسة لمدن الباروك شوارعها الواسعة التي ظهرت كاستجابة تخطيطية لظهور المركبات بكثرة وتسهيلا لحركة المشاة ، كما بدأت الاحياء السكنية تعكس التركيب الاجتماعي والاقتصادي للسكان فاصبح هناك احياء خاصة ومميزة للاغنياء والموسرين واحياء اخرى للفقراء وبدأت الشوارع المستقيمة في الظهور واختفت الأزمة المسدودة التي كانت صفة سائدة في مدن العصور الوسطى المبكرة . ومن اوائل مدن الباروك في اوربا مدينة فرساي الفرنسية ومدينة كارلسروة الألمانية.

ومن المدن التي ظهرت فيها بدايات التخطيط هي مدينة مانهايم (في المانيا الأتحادية) . وقد بدأت عملية تخطيطهما في القرن الثامن عشر وكان ذلك في شكل تحديد ارتفاعات المباني واتجاهاتها وعدد الطوابق وارتفاع كل طابق وعمق المبنى وشكل الاسقف ومواقع الأبواب الامامية واحجامها وشكل النوافذ ومساحاتها كما حذر عمل أي زخارف خارجية في واجهات المباني حتى يصبح الشارع كله كما لو كان بيتا واحدا .

وفي القرن الثامن عشر بدأت الدكاكين مظهر في واجهات المباني حيث انفصل المسكن عن المتجر او مكان العمل وتعددت الدكاكين والاسواق في المدينة ثم ظهرت الواجهات الزجاجية والدكاكين المتخصصة في السلع كالاقمشة والاحذية ، وادى ذلك بعد فترة

إلى بدء ظاهرة الرحلة اليومية للعمل وخاصة حين اتسعت المدن فبدأت المركبات تكثر في المدن ، وفي الفترة ذاتها بدأت المناطق الخضراء تصبح ضرورة في المدن بعد ان كانت حدائق القصور التي تقع على اطراف المدينة هي الصورة الشائعة في القرن السابع عشر .

أزدادت أهمية المدن كمسكن للانسان على حساب الريف في العصر الحديث وخاصة بعد أنتشار الصناعة واصبح سكان المدن يشكلون نسبة كبيرة من سكان كل قطر في العالم وان أختلفت هذه النسبة من قطر لاخر ، والواقع ان أصداء الصناعة أسهمت هي الاخرى في أزدياد نسبة سكان المدن الى جملة السكان ، ومن هذه الاصداء الطرق الجديدة وتقدم وسائل النقل والمواصلات وانتشار التجارة الى جانب عوامل سياسية أخرى مثل تبلور فكرة الدولة وظهور ترتيب وظيفي بين المدن الكبيرة والصغيرة .

ويمكن القول ان نمو المدن المعاصرة قد تبلور عن ظهور المدن الكبيرة والعملاقة وهي المدن المليونية والمجمعات الحضرية واقليم المدن الكبرى (الميجالوبوليس) . وادى التطور التكنولوجي أن تأخذ بعض المدن في نموها وامتدادها بعدا جديداً ، واختفى المسطح كدلالة وحيدة على النمو والامتداد حين لم يعد المنزل المكون من طابق واحد أو طابقين هو القاعدة المنتشرة. وظهرت ناطحات السحاب في كثير من المدن كما وجدت الى جانبها انفاق تحت السطح يتحرك فيها الناس والقطارات ، كما توجد في بعض المدن مواصلات معلقة تشترك مع ناطحات السحاب والانفاق في وجود ابعاد مختلفة لنمو المدن الحديثة التي أصبح لها حجم وليس مجرد مساحة ، واصبح نموها لايتم افقياً فقط بل رأسياً ايضاً وفي بعض المستويات الرأسية توجد وظائف هامة وخصوصاً الخدمات والمرافق مثل وسائل الانتقال تحت الارض وشبكات المياه والصرف الصحي ولعل شبكات مترو الانفاق في مدينة مثل لندن تنقل سكاناً أكثر مما تنقل وسائل المواصلات السطحية وبكفاءة أكبر منها ، كما انه كثيراً مايقال بأن حركة السكان في مدينة مثل نيويورك الى أعلى واسفل تزيد في أطوالها واهميتها عن حركتهم الى الامام والى الخلف(١٢).

وتحت هذه الظروف المعقدة التي تتصف بها المدن في العصر الحديث اصبحت مسألة تخطيط المدن تخضع لمعايير جديدة واساليب علمية متطورة وذلك من أجل تجنب المشكلات المتعددة التي أوجدتها الزيادات السكانية والهجرات البشرية الكبيرة اليها . فالاساس في التخطيط الحديث هو النظرة الشمولية التي تعتمد على الرؤية البعيدة والافاق الواسعة فالعملية التخطيطية اليوم هي أكثر تعقيداً مما كانت عليه سابقاً عندما كان التخطيط بسيطاً لايعاني من التراكمات التكنولوجية التي تواجه مدن اليوم . والتخطيط العلمي

المعاصر يتطلب شمولية أوسع ورؤية أعمق تنظر الى ماهو مطلوب مستقبلا في ضوء الظروف والاوضاع الحاضرة ، وما يمكن ان يطرأ عليها من تغييرات ، ولا بد بطبيعة الحال من فهم الماضي بما يتضمنه من تبدل في انماط النشاطات الحضرية والعمليات التغييرية التي قادت الى تبدلات مستمرة في توزيع وتطور الانماط (١٣) .

ان الاخذ بالاسلوب الجديد من التخطيط في المناطق الحضرية جاء بسبب الانفجار السكاني في العالم خلال العقود الاخيرة ، وما نتج عنه من هجرات سكانية كبيرة الى المدن . وكانت نتيجة ذلك انخفاض المستوى الاقتصادي لسكان المدن ووقوعهم تحت وطأة من المشكلات الصحية والاجتماعية والعمرانية والتنظيمية والاجرامية وغيرها . ومن اجل وضع سياسة سليمة للاسكان غرضها النهائي تقليل المشكلات في المناطق الحضرية والحد من الجريمة فيها فلا بد أولا من فهم الهجرة والمشكلات التي خلفتها للمدن .

الهجرة ومشكلات المدن

الهجرة واثرها في ارتفاع سكان المدن :

اذا دققنا في معرفة اسباب تضخم المدن فلابد لنا ان نعيد ذلك الى الصناعة والتصنيع والتي غزت معظم مدن العالم منذ الثورة الصناعية. فانطلاق الثورة المذكورة في اوربا اثر على تضخم حجم المدن . وانتقال الصناعة من تلك الدول الى الدول النامية اثر ايضاً في زيادة سكان المدن. وكلما زاد حجم التصنيع في دولة وخاصة في الدول النامية كلما ادى ذلك الى زيادة سكان المدن فيها وقد يؤدي ذلك ايضاً الى ظهور مدن جديدة. فقد أدت المكننة الزراعية التي اعقبت الثورة الصناعية في اوربا واستخدام الآلات على نطاق واسع في الانتاج الزراعي الى الاستغناء عن الاف العمال في الريف ، فتفشت البطالة بين السكان وزاد فائض الايدي العاملة وضاقت الارض بمن كانوا يعملون بها فساءت الاحوال الاقتصادية لقطاع كبير من البشر. وجاءت الفرصة السانحة للمدن لتمد ايديها إلى تلك المجموعات من المواطنين التي قذفت بهم امواج التغيير الى هوامش المراكز الحضرية، وقدمت لهؤلاء العاطلين عن العمل مغريات جديدة لم يكونوا يحلمون بها. ومنحتهم حياة مثيرة واضواء لم يتعودوا عليها من قبل. فالمتاحف ودور السينما والنوادي والحدائق العامة والمسارح وبريق المدينة واضواؤها جذبت ملايين البشر ، فهاجر الكثيرون بوعي وبدون وعي. واصبحت حياة المدن والحضر من المسلمات التي لابد ان يوافق عليها كل انسان باحث عن الجديد والتجديد (١٤).

واذا حاولنا التدقيق في واقع الهجرات العربية ودوافعها ومشكلاتها، فلابد ان نعيد ذلك الى واقع الريف في معظم اقطار الوطن العربي الذي عانى طويلاً وبخاصة في العهد الاستعماري وما صاحب ذلك من تربع الطبقات الاقطاعية والرأسمالية التجارية على أجهزة السلطة، وهو امر ساهم في اتساع الفجوة بين الريف والحضر، وانفراد المدينة بالخدمات ونواحي الترفيه ومراكز العلم والصناعة والتجارة والاقتصاد مما جعل المواطن في الريف يتطلع باستمرار الى المدينة ويأمل بالنزوح اليها (١٥) .

واذا كانت الفجوة الاقتصادية والاجتماعية بين الريف والمدينة احد العوامل التي ساعدت على ظهور تطلعات الريفيين الفقراء نحو الهجرة الى المدن فان هناك دوافع كثيرة لتلك الهجرات،منها عوامل مرتبطة باختيار مكان الهجرة وعوامل اجتماعية واقتصادية (١٦).

ومنها كذلك ارتفاع مستوى الاجور في المدينة ، التفاوت الحضاري بين المدينة والريف ، تزايد الطلب على القوى العاملة في المدن بسبب الاسراع في تنفيذ برامج التنمية ، قلة الصناعات الريفية، ارتفاع معدل دخول الاناث في سوق العمل، استيراد العمل من الخارج (١٧).

وللهجرة نتائج واضحة في حجم وتوزيع وتركيب السكان في منطقة الاصل والوصول ومن ابرز النتائج السيئة التي تترتب على الهجرة ، ان هناك قطاعاً كبيراً من سكان المناطق المتخلفة يهاجرون بدافع الفقر الشديد من بيئاتهم ويؤدي ذلك الى نتائج وخيمة حيث يكونون عبئاً ثقيلاً على المنطقة المستقبلة كما هي الحال في الهجرة المستمرة من الريف الى الحضر في الدول النامية ومنها اقطارنا العربية. فمن السمات البارزة لسكان الكويت هي النسبة المرتفعة لعدد المهاجرين التي وصلت حسب تعداد ١٩٧٥ حوالي ـ ٥٢٪ من مجموع السكان الاصليين (١٨). وكذلك سمة ارتفاع نسبة سكان الحضر المصريين بسبب الهجرة حيث ارتفعت من ٤٠,٥٪ عام ١٩٦٦ الى ٤٥,٨٪ عام ١٩٧٦ ومن الملاحظ على هذه الهجرات في مصر انها تتم بشكل كثيف من محافظات مصر العليا الفقيرة والمكتظة بالسكان باتجاه المراكز الحضرية في مصر السفلى (١٩).

وفي العراق ازدادت نسبة التحضر ايضاً بسبب هذه الهجرات ، فقد ارتفعت هذه النسبة من ٣٦٪ عام ١٩٤٧ الى ٥١٪ عام ١٩٦٥ ثم ما لبثت ان بلغت ٦٤٪ عام ١٩٧٧، وهنا تجدر الاشارة ايضاً الى زيادة اهمية محافظة بغداد خلال الفترة نفسها فبينما كانت نسبة المقيمين فيها تشكل ١٧٪ من مجموع السكان عام ١٩٤٧ ، اصبحت ٢٦٪ سنة ١٩٧٧(٢٠).

ويظهر اثر الهجرات واضحاً في سوق العمل في دولة الامارات العربية المتحدة ايضاً حيث تشكل نسبة القوى العاملة الوافدة الى مجموع القوى العاملة ٢ / ٨٨٪ عام ١٩٧٥(٢١).

فالنمو السكاني السريع الذي شهدته الكثير من المدن العربية كان الى حد كبير انعكاساً لتيارات الهجرة اليها. فحركة الهجرة الى مدينة القاهرة اوضحت انه حتى عام ١٩٢٠ بلغ عدد الذين وفدوا اليها كمهاجرين حوالي ١٦٠ ألف شخص. وقد ارتفع هذا الرقم الى مليون شخص عام ١٩٧٠ . وفي بغداد بلغ عدد المهاجرين في منتصف الستينات في حدود نصف مليون شخص. وتضاعف عدد سكان مدينة الكويت حوالي اربعة مرات ونصف خلال عقد ونصف ،فقد ارتفع من حوالي ١٠٠ الف شخص عام ١٩٥٠ الى ٤٦٧ألف نسمة عام ١٩٦٥. ونمت مدن المملكة العربية السعودية بشكل سريع هي الاخرى نتيجة

للهجرتين الداخلية والخارجية اليها . فمدينة الرياض تضاعف عدد سكانها ثمانية مرات بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٧٧، ومدينة عمان الاردنية ارتفع عدد سكانها من حوالي ٢٠ ألف نسمة في ثلاثينات هذا القرن الى ٣٣٠ الف شخص عام ١٩٦٧ ،ثم الى ٦٠٠ الف نسمة بعد عام ١٩٦٧ (اي بعد النكسة) وحتى عام ١٩٧٥، وفي مدن المغرب العربي برزت ظاهرة الهجرة بشكل واضح ففي مدينة تونس ومدينة الدار البيضاء يقدر صافي الهجرة السنوية اليهما في حدود ٢٪ و٥ و١٪ على التوالي. وبهذا تواجه المناطق الحضرية سواء في الاقطار العربية أو غيرها كثيراً من المشاكلات والازمات التي تنشأ عن هذه الهجرات فقد اشار الدكتور عبد المنعم شوقي الى اربعة انواع من هذه المشكلات (٢٣).

١ — المشكلات الاساسية والمقصود بها عدم كفاية الخدمات الموجودة في المجتمع وتظهر هذه المشكلات في النقاط الاتية :

(أ) مشكلات تربوية وتعليمية.

(ب) مشكلات صحية كمشكلات الصحة الوقائية ومشكلات الارشاد الصحي .

(ج) مشكلات عمرانية وتختص بمشكلات الاسكان والمياه والمجاري والانارة والبريد والبرق .

(د) مشكلات ترويحية، كمشكلات الأندية والساحات وحمامات السياحية والحدائق واماكن اللهو .

٢ — مشكلات تنظيمية ، كتوفر الخدمات ولكن بغير تنظيم مما يجعلها لاتقابل حاجات المجتمع .

٣ — مشكلات مرضية ، كالبطالة والتسول وتشرد الاحداث والسرقة والبغاء والاجرام . ويمكن ان نضيف الى هذه المشكلات الازمات النفسية والاجتماعية .

٤ — مشكلات خاصة . وتختص بالبرامج والمؤسسات التي ترعى الفئات الخاصة كالاحداث المشردين والنساء المنحرفات واللقطاء المتسولين أي جميع المشكلات المرضية التي سبق الاشارة اليها .

وفي تقديرنا تعد المشكلات المرضية في المدينة من أهم النقاط لدراسة المشكلات الاجتماعية في المنطقة الحضرية خاصة تلك التي تعاني من زيادة الهجرة الريفية . ومن المظاهر التي تعكسها تلك المشكلات في المجتمع الحضري مايأتي :

اولا : تفكك المجتمع الحضري :

يمكن ان ينقسم مجتمع المدينة في البلدان غير المصنعة الى قسمين كبيرين ، قسم تطورت فيه العلاقات الاجتماعية فزاد التباعد بين سكان الجيرة الواحدة وقسم آخر وخاصة في الاحياء الشعبية أو المتخلفة لازالت العلاقات الريفية مسيطرة عليه الى حد كبير فهو أكثر تماسكاً وترابطاً من القسم الاول وينقسم الاجتماعيون كما يشير الدكتور عبد المنعم شوقي (٢٤) الى قسمين : يقول القسم الاول ان هذه الظاهرة طبيعية وان تطور المجتمع من زراعي الى صناعي يستدعي تطوراً في العلاقات بين الناس ، أما القسم الثاني: فيقول ان التفكك الحادث في المجتمعات الحضرية المحلية يؤدي الى ظاهرتين الظاهرة الاولى : ضعف الضبط الاجتماعي فتقل بذلك سلطة المجتمع على افراده فيفعل كل انسان مايريد دون مراعاة للتقاليد والعادات ودون حساب للاخرين مما يؤدي الى ظهور مشكلات مختلفة مثل تشرد الاحداث والبغاء والافراط في شرب الخمور ولعب الميسر الى غير ذلك من المشكلات والعادات التي لايقرها المجتمع .

الظاهرة الثانية : ان المجتمع المحلي أكثر حساسية وادراكاً لحاجاته ومشكلاته ومن امثلة ذلك توفير اماكن اللعب للاطفال أو المطالبة بزيادة النظافة في منطقتهم أو تدبير امر المواصلات لمنطقة لاتصلها المواصلات بانتظام أو غيرها من الطلبات التي تخدم مصالح المجتمع المحلي.

ثانياً : تفكك الأسرة الحضرية :

ان العملية الاقتصادية تحت قيادة الاب في الريف تساعد على ترابط الاسرة وتؤدي الى وضوح القيادة والتبعية والى تمسك العائلة ببعضها ، وان انكسار هذه الوحدات الاقتصادية في المدينة وقدرة المرأة على الاستقلال بنفسها في بعض الاحيان يؤدي الى تخلخل في الولاء للاسرة والى توزيع القيادة في المواقف المختلفة ، ومن مظاهر هذا التفكك ارتفاعات نسب الطلاق وتشرد الاحداث وحدوث الشقاق بين أفراد الاسرة الحضرية

ثالثاً : التسول :

يعد التسول ظاهرة حضرية ، وحيث لايمكن أرجاع ظاهرة التسول للفقر فقط . فالريف أكثر فقراً من المدينة ، ولذلك فهناك أسباب أخرى للتسول منها ضعف التكافل الاجتماعي في المدينة أي قلة ترابط المجتمع والاسرة في المدينة مما يؤدي الى ظهور طبقة لامورد لها للرزق سوى سؤال الاخرين . ومنها كذلك ضعف الضبط الاجتماعي في المدينة أي ان كل انسان في المدينة الواسعة مشغول بنفسه وحيث الفردية متفشية وحيث لايعرف الناس بعضهم بعضاً وحيث تزيد حرية الاشخاص فيفعلون مايريدون . في هذا الجو لايشعر الفقير بالتردد أو الخجل أو الاستحياء من سؤال الغير .

رابعاً : تشرد الاحداث :

في الاحياء الفقيرة من المدينة حيث يقسو الاباء على الابناء وحيث يهمل الابناء فيقضون نهارهم في الطرقات دون راع أو موجه، في هذا الجو تتحول شلل الاصدقاء العادية الى عصابات فيقومون بالسرقات البسيطة (بقصد اللعب في كثير من الاحيان) ومع شدة الفقر واهمال الأهل يمتهن هؤلاء مهنا مختلفة كجمع اعقاب السكائر وتلميع الاحذية، والشحاذة وبيع المخدرات والتجارة في السوق السوداء ولعب القمار وغيرها وهكذا ينحلون خطوة فخطوة الى احداث مشردين وبالتالي الى مجرمين محترفين .

خامساً : البغـاء :

يرجع انتشار البغاء في المدن لاسباب عديدة منها زيادة عدد الذكور عن الاناث بسبب هجرة الشباب ، وكذلك تفكك المجتمع والاسرة في الحضر مما يقلل من الضبط الاجتماعي، وايضاً ضعف سلطة الدين في المدينة، ولا تنحصر مشكلة البغاء على البغاء ذاته فقط ولكن مشكلته الثانية أنه يرتبط بانتشار المخدرات والخمور والامراض السرية، كما لوحظ أن هناك ارتباط بين البغاء والاجرام على شتى انواعه .

سادساً : المشكلات النفسية والاجتماعية :

ان التصدعات الاجتماعية والمآزق التي يعيشها سكان المدن العربية و الاجنبية وخاصة تلك التي تكثر فيها احياء المهاجرين تقود الى الانحرافات وتزايد الجرائم وارتفاع نسبة الطلاق وانهيار الاسر ، فغياب فرص التعليم عن الاف الاطفال يتركهم فرائس سهلة في أيدي اللصوص والمنحرفين . واذا اقترن غياب التعليم بتصدع الاسرة والافتقار الى الرعاية الابوية فان الاطفال سيصبحون ضحايا بريئة للانحراف وفقدان التوجيه البيتي والمدرسي . ومما يزيد الاحوال سوءاً هو عدم قدرة رب العائلة في الحصول على عمل لائق . واذا عانى رب العائلة من البطالة وعدم القدرة في الحصول على مصدر للرزق يصبح مطية سهلة للقيام بأي عمل مهما كان منحطاً أو بعيداً عن الاخلاق . فالانسان من أجل البقاء يفعل المستحيل ويرتكب الفواحش ويكون على استعداد للانخراط في في مهاوي الرذيلة ، ولهذا نجد ان الجريمة والبغاء وادمان المخدرات تنتشر في الاحياء الفقيرة التي تعاني من البطالة والاهتزاز الاقتصادي . والأزمة الاجتماعية للمدينة العربية هي امتداد لازمة اجتماعية عالمية تحياها مدن العالم المتطور منها والمتخلف فعندما تهب رياح التغيير فأنها لاتترك مدينة ولا ترعى حرمة بيت واحد فيها ، فالمدن الاوربية والامريكية تعاني من تزايد مشكلات الانحراف والجريمة والبغاء ومظاهر الانحلال الاجتماعي والانهيار العصبي والانتحار (٣٥) .

ومع تأزم الحياة الاجتماعية وتصدع العلاقات الانسانية تكثر الامراض النفسية . فالأزمات النفسية بما تتضمنه من القلق والشعور بالعزلة والضياع والغربة الذاتية وحالات الاضطراب النفسي والامراض العقلية تنتشر في المدن و المناطق الحضرية بشكل مذهل . وتعاني المدن العربية بشبابها واجيالها الحديثة من هذه الازمات .

فالتبدلات من المجتمعات التقليدية الى الحديثة والانتقال من الارياف المحافظة الى المدن المنفتحة يخلق صدمات وهوات نفسية بين الاجيال الحديثة والاجيال القديمة وبين الابناء والاباء وبين البنات والامهات . فالتفكك الاجتماعي وانحلال القيم وتصدع العلاقات الاسرية وضعف السلطة الابوية تجر في أذيالها بوادر أزمات نفسية .

وتعد الاحياء الشديدة الكثافة في المدن وخاصة أجزائها المتخلفة مرتعاً جيداً للجريمة فمن جدول الجرائم المهمة المسجلة في مدينة الموصل لعام ١٩٧٥ ظهران الجرائم المسجلة في مراكز شرطة الاحياء الشعبية تتصف بكثرتها قياساً للاحياء الحديثة ، والجدول الآتي يبين هذه الحقيقة .
من ذلك يظهر ان الاحياء الشعبية في مراكز المدن تتصف بميل الى الجريمة قياساً للاحياء الحديثة التي تتصف بكثافة سكانية واطئة وسعة في المكان كما ان المستويات الثقافية والاقتصادية لسكنة الدور المذكورة مرتفعة قياساً لسكنة الاحياء الشعبية.

وبشكل عام يمكن ان يقال ان المشكلات تتجمع في بعض احياء المدن وتقل في احياء أخرى. فدراسة اية مدينة نجد ان الفقر والازدحام والتشرد وانتشار العاهات والجهل والامراض والقذارة والطلاق والوفيات وتهدم المباني ....الخ ترتفع درجاتها في الاحياء المتخلفة وتقل في الاحياء الاخرى وفي الوقت نفسه تقل الخدمات التعليمية والصحية والعمرانية والحدائق والملاعب في تلك الاحياء عن باقي المدينة .

وبالنسبة للعاملين في الحقل الاجتماعي تكون تلك الاحياء مشكلة لا لانها مشكلة في حد ذاتها فحسب، ولكن لانها مصدر للمشكلات للاحياء الاخرى في الوقت نفسه ، فالامراض والتشرد والاجرام كلها تبدأ عادة في تلك الاحياء ثم تمتد الى باقي اجزاء المدينة (٢٦).
ان هذه المشكلات والازمات البيئية والاجتماعية والنفسية التي تعاني منها المدن العربية والتي ستزداد حدتها مع الايام ،تحتاج الى وضع حلول عاجلة. وهذا يعني ضرورة تبني التخطيط العلمي الذي يقوم على توقع وتنبوء التغيرات المستقبلية المحتملة وحتى بتحقيق ذلك فلابد من وضع ضوابط للهجرة ووضع سياسة تخطيطية للاسكان مستندة الى احدث النظريات والنماذج في هذا المجال .

عدد الجرائم المهمة المسجلة في مدينة الموصل حسب مراكز الشرطة لسنة ١٩٧٥(*)

اسم شرطة الحي	صفة الحي	القتل العمد	القتل الخطأ	السرقات	الايذاء	هتك العرض	الجرائم التجارية	المجموع
مركز شرطة السراي	تجاري	١	٣	٣	—	—	٨٧	٩٤
مركز شرطة خزرج	شعبي	—	٥	٢	—	—	٣	١٠
الدواسة	تجاري	١	١	٤	٢	—	١٧	٢٥
الغزلاني	حديث	—	٢	١	—	—	٢	٥
النسيج	شعبي	٢	١٠	٤	٢	—	٥	٢٣
الزهور	حديث	٢	٤	—	—	—	٢	٨
النصر	حديث	١	٢	—	—	—	١١	١٤
النبي يونس	شعبي	٦	١٥	٣	١	١	٢٧	٥٣
باب النبي	تجاري	١	٢	—	—	١	١٤	١٨
باب الشط	شعبي	—	٢	١	—	١	٣	٧
باب الجديد	شعبي	٣	٣	٢	١	١	١٢	٢٢
الشيخ فتحي	شعبي	١	٤	٩	٢	—	٧	٢٣
موصل الجديدة	شعبي	٢	٨	٣	—	١	٦	٢٠
المستشفى الجمهوري	حديث	١	—	—	—	—	—	١
حي الثقافة	حديث	—	٤	٢	—	—	٢	٨

(*) عن مديرية الشرطة العراقية العامة، المجموعة الاحصائية للجرائم لعام ١٩٧٥، ص١٨٤ ص١٨٦.

تحجيم الهجرة والتخطيط لسياسة اسكانية

واثر ذلك في الحد من الجريمة

ان وضع ضوابط صارمة للهجرة ووضع دراسة لسياسة سكانية على اسس علمية سوف يحد حتماً من الجريمة في مدننا، وسنحاول فيما يأتي دراسة هاتين الحالتين.

اولا : تحجيم الهجرة :

يمكن ان نحد من الهجرة الى المدن وخاصة الى المدن التي تتصف بالتضخم السكاني عن طريق (٣٧) :

١ ــ الاهتمام بمشروعات التنمية المحلية: تتم الهجرة بسبب التخلف الذي تعيشه الارياف وعدم العناية بها. فاذا ما نجحت الدول في وضع مشروعات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتنفيذها في المناطق والاقاليم الداخلية فانها تعمل على تثبيت جذور الريفيين واثنائهم عن رغباتهم في الهجرة .

٢ ــ خلق التوازن الاقليمي عن طريق دعم اللامركزية : فمعظم عوامل الجذب الى المدن تنجم عن التركز الشديد في الخدمات والادارات والنشاطات الصناعية والتجارية فيها.

٣ ــ توطين السكان الرحل، اذ تعيش نسبة كبيرة من سكان الوطن العربي عيشة تنقل وترحل (بلغت هذه النسبة حوالي ٤٪ عام ١٩٨٠)

٤ ــ وضع استراتيجيات خاصة لتطوير المدن الصغيرة والمراكز الحضرية التي تمتلك امكانات لامتصاص المهاجرين. فتنمية المدن والمراكز الادارية الاخرى ستؤدي الى تخفيف الضغط عن المدن التي تعاني من التضخم السكاني المعيشي، فسياسة تطوير وانشاء المدن تتطلب تحويل بعض امتيازات المدن الكبرى والعواصم الى المدن الاقليمية والمراكز الحضرية الصغيرة .

٥ ــ اعتماد التخطيط الاقليمي كأساس في برامج التنمية حتى يتحقق للدولة خطة قومية شاملة تأخذ بالحسبان جميع مدنها واريافها واقاليمها على حد سواء .

٦ ــ تنظيم اللوائح والقوانين والتشريعات للمدن للحد من الهجرة وتحديد انتقال الايدي العاملة،

ثانياً : التخطيط للاسكان :

ان التخطيط للاسكان له علاقة وثيقة مع عدد السكان من حيث نموهم ومستويات دخولهم كما انه ذو علاقة بطبيعة الانظمة وطبيعة النهج الذي تسلكه الجهات المسؤولة في حل وعلاج هذه المشكلة المهمة. اضافة الى التأثير الذي تتركه العوامل الديموغرافية والاقتصادية والحضارية والاجتماعية على نمط الاسكان وكما هو معروف فان الزيادة في عدد سكان المدن نجم بالدرجة الاولى من الهجرة الريفية اليها. اضافة الى الزيادة، الطبيعية ،فمثلاً في السويد كانت نسبة السكان الذين يعيشون في الريف في سنة ١٩٢٠، ٥٥٪. اماالان (١٩٨٠) فان اقل من ١٠٪. من السكان النشطين اقتصادياً يعملون في الزراعة وان نسبة من يقطن الريف ٢٠٪. من مجموع السكان (٣٨) وبالنسبة للوطن العربي يمكن ان نلاحظ وجود نفس الظاهرة من حيث نمو السكان الحضر، ومع ان الثورة السكانية قد بدأت في المغرب العربي قبل مشرقه بعدة عقود من السنين الا أن مدن المشرق العربي قد شهدت في الوقت الحاضر تفوقاً في زيادة سكانها على مدن المغرب العربي. ومن اجل وضع سياسة ناجحة للاسكان فلابد من الاخذ بسياسة الاجل القصير والطويل للاسكان .

١ – سياسة الأجل القصير للاسكان :

(أ) المساهمة السريعة للدوائر الحكومية في تخفيف حدة السكن عن طريق بناء مجتمعات سكنية صغيرة وتوزيعها على سكنة الاحياء القصديرية أو العشيش كما حدث في العراق عندما ازيلت الاف الصرائف مـن شرق بغداد بهذه الطريقة. ولا يتم ذلك الا بتحديد نسبة معينة من الدخل القومي تخصص لهذا الغرض.

(ب) بناء العمارات السكنية، الذي سيساعد على تجنب جميع سلبيات التوسع الافقي في المدن بل انه الحل الامثل الذي يطرح لمواجهة ازمة السكن في المدن الكبرى لان من مزايا العمارات السكنية الاقتصاد في كلفة الاراضي ويوفر مساحات منها لغرض التشجير والخدمات وغيرها.

(ج) انشاء المصارف العقارية او تطوير الموجود منها وتنمية مواردها المالية وذلك مـن اجل مساهمة القطاع الخاص في مشاريع الاسكان.

(د) اصدار التشريعات والقوانين والقيود التنظيمية التي تستطيع من خلالها الاجهزة المسؤولة برمجة وتحديد مقادير واتجاهات النمو، كما ان اصدار مثل هذه التشريعات سيمكن الاجهزة التنفيذية من تخطي العوائق والصعوبات التي يمكن ان تعترض تنفيذ الخطط.

(هـ) ضرورة اهتمام الاختصاصين الاجتماعيين بالاحياء التي تتصف بالكثافة السكانية العالية والتخلف وذلك بتعزيز الخدمات التربوية والتحليلة والصحية والاجتماعية ، والعمرانية وانشاء الاندية الشعبية والساحات وغيرها .

(و) زيادة وتحسين مواد البناء .

٢ ـ سياسة الأجل الطويل للاسكان :

(أ) ان على مخططي المدن ان يختاروا العلم طريقاً لحل المشكلات وهذا يتطلب منهم التخلي عن النظريات القديمة لتخطيط المدن (كالخطة الشيكية والشريطية والاشعاعية على سبيل المثال) ، التي لم تعد تلائم حياة المدن العصرية . وهذا يقتضي ان يتحرك التخطيط من التركيز على موقع واحد أو بضعف مواقع منفصلة عن بعضها ومستقلة بثرواتها الى التركيز على التخطيط الاقليمي الذي يعتبر المدينة جزءاً من نظام اقليمي واسع تشكل شبكته وحدة تخطيطية واحدة ، وهكذا يصبح التخطيط للمدينة وحل مشكلاتها جزءاً لايتجزأ من حل أقليمي شامل . وهذا يعني ان على التخطيطيين أن يأخذوا بمبدأ التوازن الاقليمي بحيث يضمنوا توزيع الاستثمارات والانفاق على أوسع نطاق وبين أكبر عدد مكن من المراكز الحضرية والريفية .

(ب) اصلاح الريف : ان من أهم اسباب تفاقم مشكلة السكن هي الهجرة من الريف الى المدينة ، ولا سبيل الى ايقافها الا عن طريق اصلاح الاحوال والظروف المعيشية في الريف وذلك عن طريق الاهتمام بالجانب الانتاجي الذي يضمن تحسين وسائل الري والبزل ومكننة الزراعة وانجاح التعاونيات وتبعا لهذا ستزداد مدخولات الفلاحين وارباحهم الى جانب مكافحة الامية ونشر المراكز الثقافية والصحية والاجتماعية ومراكز الصناعات اليدوية وتعبيد الطرق بين الريف والمدن . الا ان التركيز على مشروعات القطاع الزراعي وتطويراقتصاده تستوجب حتما تطوير نمط المعيشة واسلوب السكن للفلاحين إذ ان ٨٠٪ من مجموع وحدات السكن في الريف العراقي على سبيل المثال غير لائقة للسكن (٣٩) ان تغيير أوضاع الريف نحو الاحسن سيؤدي الى ايجاد حياة جديدة للفلاح تساعده على البقاء في ارضه وعدم الهجرة منها .

(ج) تحديد مستوى البيئة السكنية والعمل على خلق احياء سكنية متكاملة تتميز بترابطها الاجتماعي وتكاتف جهود الساكنين فيها لاقامة المرافق العامة واستعمالها على أكمل وجه ، ويقصد تلامذة علم الاجتماع بالحي السكني ، المنطقة السكنية التي تضم مجموعة

من العائلات التي تربطها ببعضها علاقات أجتماعية كثيرة كالتعارف وتبادل الزيارات والحاجات والخدمات ، والقيام بفعاليات مشتركة كالاجتماعات وغيرها ، وعلى ذلك يهدف هولاء الى ان يكون الحي السكني وحدة سكنية متجانسة بقدر الامكان من حيث الطبقة الاجتماعية ومستوى المعيشة .

(د) تحسين البيئة السكنية في المدينة . حيث يمكن للسلطات والدوائر الاخرى التعاون على تحسين بيئة المدينة بصورة عامة وخاصة من الناحية الصحية والتخلص من بعض الجوانب السلبية التي تؤثر الان أو في المستقبل على ظروف السكن ومنها :

— تحديد المناطق المسموح بالتوسع العمراني عليها وعدم التعاون لفسح المجال للتعديات والبناء خارج ذلك النطاق بأي شكل من الاشكال وخاصة في المناطق المخصصة للمساحات الخضراء أو للمباني العامة .

— الاهتمام بتحقيق وتنفيذ فكرة الانطقة أو الاحزمة الخضراء حول المدن .

— يجب نقل معامل الصناعات الثقيلة التي تبث الدخان والنفايات والروائح ، والضوضاء من الاحياء السكنية .

(هـ) بما ان الاسكان ليس انشاء وحدات سكنية فقط بل يتطلب تنسيق بناء المرافق الاخرى الضرورية مع الوحدات السكانية قبل انشائها كتهيئة الاراضي وتبليط الشوارع وبناء المدارس والمستشفيات والقاعات والاسواق ومراكز الشرطة ودوائر البريد وخطوط الكهرباء والهاتف ودور اللهو مع توفير وسائل النقل وربط المنطقة بغيرها من المناطق . ومن هذا المفهوم تكون اذن مشكلة السكن متعددة الجوانب وابرز شيء فيها ان تتم موازنة بين تلك الخدمات وبين المناطق السكنية للتعرف على مدى تزيعها بشكل عادل وعن مستوى الخدمة التي تقدم عن نصيب الفرد من كل منها . ويجب الاهتمام بشكل خاص بأماكن ومباني الخدمات الترفيهية في كل حي سكني لما لها من اهمية في المجتمعات الحديثة نظراً لضرورتها للانسان ، لكونها تخلق وتديم القيم الاجتماعية والحضارية التي لها مردودات ايجابية على حياة المجتمع ، ولذا يجب توزيع المناطق الترفيهية بشكل سليم وملائم ضمن مناطق المدينة وفق نظام متسلسل توخيا لاداء افضل الخدمات ولجميع فئات الاعمار لسكان المدينة (٣٠)

(و) التخطيط للمواصلات ، وهذا يتضمن بناء الشوارع والجسور وغيرها من وسائل الانتقال ، اذ تعمل استراتيجيات التخطيط في المدن الكبرى في العالم على مواجهة حركة

المشأة ونقل السلع بالتحديد الكمي لاحتياجات المدينة من وسائل النقل والشوارع والجسور والممرات التي تنشأ تحت الارض .

(ز) التأكيد على دور المشاركة الشعبية في عمليات التخطيط وذلك لانه من غير المعقول ان يتم بناء الخطط في غياب مشاركة الناس وتفهم ميولهم ورغباتهم تجاه مايجري من تغيير وتطوير في بيئاتهم . ويقع هذا التأكيد ضمن مايطلق عليه اليوم بالجوانب السلوكية في العمليات التخطيطية .

(ح) انشاء أو تطوير مراكز ابحاث حضرية واقليمية تكون مهمتها تدعيم الاجهزة الادارية والفنية بالابحاث والدراسات . وهذا يتطلب انشاء بنوك معلومات عن استخدامات الارض والنشاطات القائمة عليها والوظائف المتصلة بها وكل مايمكن ان يكون له علاقة باحتياجات التخطيط والتطور مستقبلا .

(ط) اصدار التشريعات والقوانين والقيود والانظمة التي تستطيع من خلالها الاجهزة المسؤولة برمجة وتحديد مقادير واتجاهات النمو ، كما ان اصدار مثل هذه التشريعات سيمكن الاجهزة التنفيذية من تخطي العوائق والصعوبات التي يمكن ان تعترض تنفيذ الخطط .

وبهذا تصبح عملية تحجيم الهجرة الى المدن ووضع سياسة اسكانية مدروسة لها ، ليس فقط مساعدة على الحد من الجريمة فيها ، وانما تجعل حياتها أكثر امنا وانسانية وبالرغم من الصعوبات والتضحيات المادية والاجتماعية والاقتصادية التي يمكن ان تبذل لتحقيق ذلك الهدف ولكن غاية الانسان النهائية هي الوصول الى الكمال ليسعد نفسه واجياله من بعده .

المصادر

١ — د. عبد الفتاح محمد وهبه، في جغرافية العمران، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٠، ص٣٤.
د. عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨١، ص ٢٣ — ٢٥.
د.احمد علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٧، ص٩ — ٢١.
د.جمال حمدان، جغرافية المدن، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢، ص٥ — ١٤
د. عبد الرزاق عباس حسين، جغرافية المدن، بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٧٧ ص١ — ٢.

٢ — د. عبد الفتاح محمد وهبه، في جغرافية العمران، مصدر سابق، ص٣٥.

٣ — د.هاشم خضير الجنابي، المدينة الاسلامية وخصائصها، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، العدد الثاني، ١٩٨٠، ص٣١٣ — ٣٥٦.

٤ — د. فؤاد محمد الصقار، التخطيط الاقليمي، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثالثة ١٩٦١، ص١٠.

٥ — حسن عبد الحميد احمد رشوان، المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٢، ص١٧٣ — ١٧٤.

٦ — د. احمد علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، مصدر سابق، ص٣٥.

٧ — Taylor. G. Urban Geography. Methuen London. 1968. PP. 106 -- 111

٨ — د. احمد علي اسماعيل، مصدر سابق، ص٥٣ — ٥٥.

٩ — المصدر السابق، ص٥٥ — ٥٦.

١٠ — حسين عبد الحميد احمد رشوان، مصدر سابق، ص١٢٢ — ١٢٣.

١١ — المصدر السابق، ص٩٩ — ١٠٠.

١٢ — د. احمد علي اسماعيل، مصدر سابق، ص٨٧.

١٣ — د. عبد الله ابو عياش، ازمة المدينة العربية ،الكويت، وكالة المطبوعات ،٢٧ شارع فهد السالم ،١٩٨٠ ،ص٢٢١.
١٤ — المصدر السابق ،ص١٣٧ — ١٣٨.
١٥ — د. علي حسن فهمي ،مجلة قضايا عربية ،العدد السادس ،السنة السادسة ، بيروت ١٩٧٩ ،ص٤٢.
١٦ — د. فتحي محمد ابو عيانة ،جغرافية السكان، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠، ص٢٧٠.
١٧ — د. خزعل الجاسم، الاثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة في دولة الامارات العربية المتحدة ،مجلة البحوث الاقتصادية والادارية، العدد ٣، الموصل ،١٩٨١ ص١٨ — ١٩
١٨ — الامم المتحدة، الوضع السكاني في منطقة غربي آسيا، دولة الكويت ،بيروت ١٩٨٠،ص١٧.
١٩ — المصدر السابق، جمهورية مصر العربية ،بيروت ١٩٨١، ص١٦ — ١٧.
٢٠ — المصدر السابق، الجمهورية العراقية ، بيروت ١٩٨١،ص١٣ — ١٤ .
٢١ — د. خزعل الجاسم ،مصدر سابق ، ص٢٦ .
٢٢ — د. عبد الله ابو عباس، مصدر سابق ،ص١٥٥ — ١٥٩.
٢٣ — د. عبد المنعم شوقي ،مصدر سابق ، ص١٤٧ — ١٤٩ .
٢٤ — المصدر السابق ، ص١٥١ — ١٥٢ .
٢٥ — د. عبد الله ابو عياش. مصدر سابق، ص٢٠٤ — ٢٠٥ .
٢٦ — د. عبد المنعم شوقي ،مصدر سـابق ،ص١٦٤ .
٢٧ — د. عبد الله ابو عياش ،مصدر سابق، ص ١٦٢ — ١٦٣ .
٢٨ — د. صبري فارس الهيتي ود. صلاح حميد الجنابي ،جغرافية الاسكان ، مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٣، ص٥٣ — ١٠٣ .
٢٩ — صالح فليح الهيتي ،تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى ١٩٥٠ — ١٩٧٠ بغداد،مطبعة دار السلام ١٩٧٦، ص٢٦٤ — ٢٩٣ .
٣٠ — د. صبري فارس الهيتي ود. صلاح حميد الجنـابي ،مصدر سابق ، ص١١٥ — ١١٦ .

النظم والمناصب العسكرية في العراق القديم

د. وليد محمود الجادر
كلية الآداب / جامعة بغداد

يعتبر وادي الرافدين من اشهر المواطن التي عرفت الاستقرار الحضاري والتطور المنتظم لمفردات الحضارة بمفهومها العلمي الواسع.

وعرف عن العراقيين القدماء انهم محاربون اشداء سواء على المستوى الفردي ام على المستوى الجماعي ،وترادفت مع هذه الشجاعة تنظيمات جيدة في سبيل اعداد الجيوش وعدتها الحربية.

ومنذ عصور السلالات السومرية الاولى، اي منذ حوالي خمسة آلاف سنة ماضية عرف السومريون الحملات العسكرية المنظمة ، وتتوفر تفاصيل بعض هذه الحملات العسكرية في المدونات المسمارية ،مضافا الى ذلك الآثار الاخرى المتنوعة وطبيعة الابنيـة الدفاعية والوسائل الدفاعية كأسوار المدن واساليب حفر الخنادق، ودقة وذكاء اختيار اماكن التجمعات السكانية .. هذا الى جانب الاثار الفنية الاخرى الموضحة لنماذج من المعارك واشكال العدد الحربية المستعملة ومشاهد الأفراد من الجنود والقادة حيث يكمل كل ذلك الصورة التي تذكرها الكتابات المسمارية.

ومن تفاصيل حرب سومرية ضخمة نفهم بأن القائد السومري المعروف باسم اي ــ اناتم الملقب بالقوي دحر جيش مدينة معادية تعرف بمدينة أوما (تقع الى الغرب من مدينة الرفاعي الحالية) .

لقد خلد هذا القائد ذكرى انتصاره على اعدائه في عمـل فني يعرف بمسلـة النسور او مسلة العقبان من حجر اللايمسون وهـو حجر مستورد صنعت منه معظم المسلات والمنحوتات السومرية ويبلغ ارتفاعها حوالي ستة اقدام .

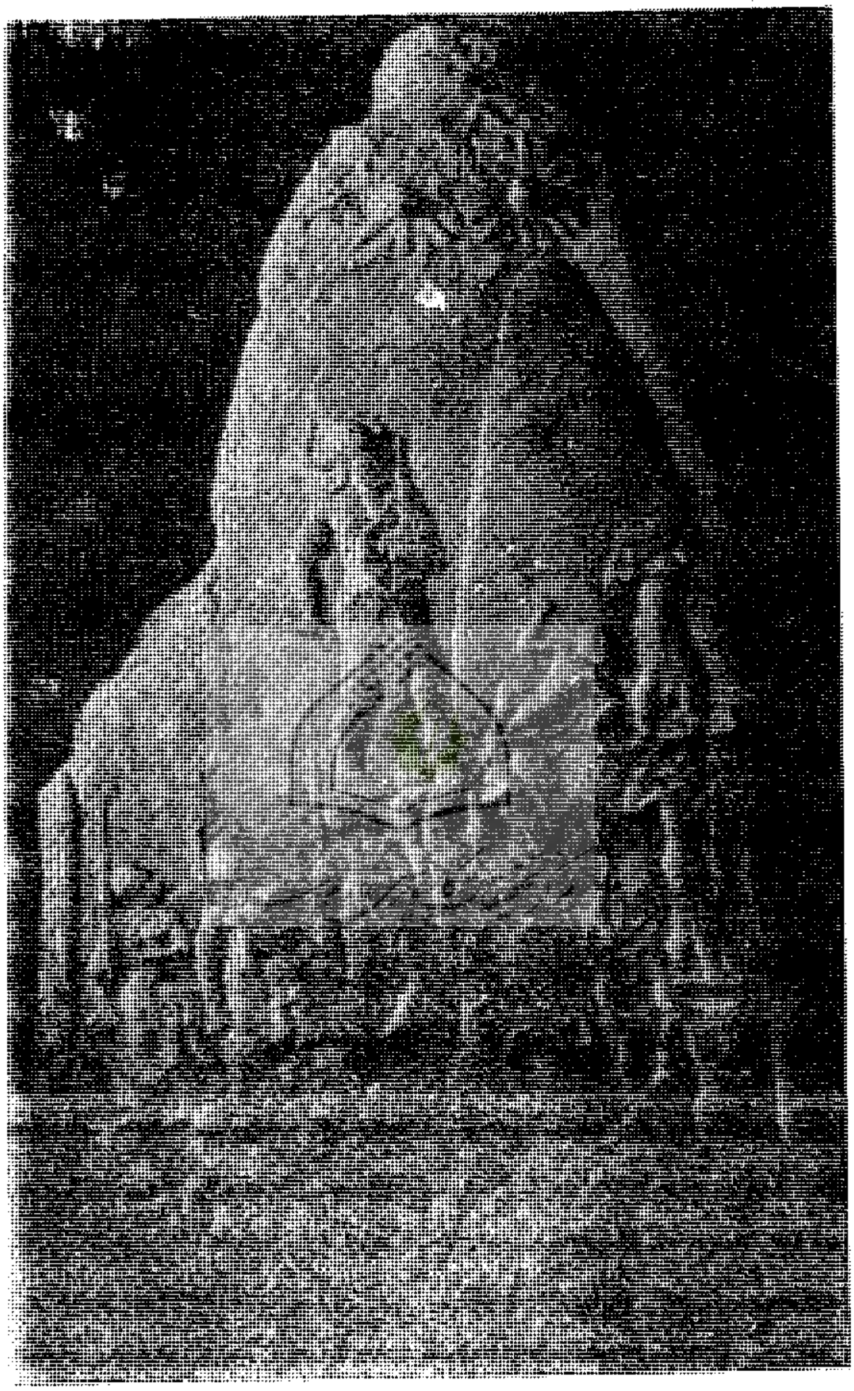
ان ابرز تفاصيل الاشكال المنحوتة على هذه المسلة صورة القائد الذي يبدو في عدته الحربية ، كما نحت بشكل آخر وهو يمتطي عربته الحربية ويبدو جيشه منظماً على هيئة الصف المعروفة بـ (الفلامنكس) وهو النظام القتالي الذي عرفه الاغريق فيما بعد بحوالي لفي عام وتبدو في المنحوتة اشكال الرمــاح الطويلة والدروع .. وكذلك مشاهــد جثث الاعداء . ويخبرنا القائد أي اناتم في واحد من نصوصه المدونة بالمسمارية أنه قتل من جيش مدينة أو ما المعادية ثلاثة الاف وستمائة رجل .

وهناك مسلات عديدة أخرى تظهرلنا بكل وضوح نماذج من آفراد الجيوش السومرية أو مجاميعها واحياناً عدتهم الحربية وعرباتهم كما تظهر العديد من المنحوتات الاخرى الاحتفالات بالنصر الذي احرزته هذه الجيوش ، والمعروف ان الجيوش السومرية خلال فترة عصور فجر السلالات كانت تعتمد في تحركاتها بالدرجة الرئيسية : على العربات التي تكون عادة محمية بحواجز ومزودة بجعبة من الرمــاح هذا اضافة الى ارتال المشاة بالاضافة الى استعمال الرماح والسيوف المقوسة قليلا والخناجر والفؤوس المعدنية التي شاع استخدامها كثيراً وقد استخدم القوس والسهم على نطاق واسع .

وطور الاكديون النظام العسكري بخلق اسس الجيش الدائم واحدثوا تغيرات اساسية في اساليب القتال واستخدام الاسلحة انظر الى الشكل (١) ولقد سهل لهم ذلك امكانية التحرك السريع واحكام السيطرة على الاقاليم المجاورة لوادي الرافدين بمـا في ذلك الموانيء على الساحل الشرقي للبحر المتوسط واجزاء عديدة من اسيا الصغرى واجزاء مهمة من بلاد ايران وبخاصة بلاد عيلام .

لقد أوجد الاكديون نظاماً جيداً للمواصلات والبريد استلزمتها الظروف السياسية والادارية للدولة الاكدية . كما كانت انتصارات الجيوش العراقية القديمة على الاعداء معالم اعتمدها الملوك انفسهم في تثبيت سني حكمهم .

وكان البابليون ذوي حكمة وتنظيم دقيقين في شؤون الجيش والادارة فالملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ — ١٧٥٠ق . م) خلال سني حكمه الاولى كان قائدا ومحارباً من طراز مميز وذلك قبل ان ينصرف إلى الشؤون الادارية والتنظيمية والعمرانية المعروفة . وتتوفر تفاصيل مهمة عن فنون الحرب واساليب الدفاع والهجوم وتحصينات المدن وفنون وتقنيات الحرب في كتابات ماري المعاصرة للبابليين في هذه المرحلة.



شكل رقم (١)

واشتهر الاشوريون على نطاق واسع بتنظيمهم للجيوش وتزويدها بالاسلحة ، كما عرفوا بحملاتهم العسكرية الكبيرة . ووصلت جحافلهم إلى قبرص واقسام وادي النيل الجنوبية ومناطق عديدة من شمالي الجزيرة العربية .

وعرف عن الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨ -- ٨٢٤ق .م) انه حكم حوالي ٣٥ عاما قضى منها احدى وثلاثين سنه في حروب طويلة . وزينت تفاصيل انتصاراته فيها منحوتات عديدة إضافة إلى المسلات واشهرها المسلة السوداء التي يبدو فيها احد الملوك اليهود وهو باهو يركع مستسلماً في حضرة الملك الاشوري المنتصر .

ومن نتائج السياسة العسكرية الناجحة والذكية ، بفضل تطوير التنظيمات الخاصة ، ورفع قدراتها القتالية عن طريق تطوير اسلحتها خلال العهد الاشوري الوسيط والجديث. تمكن الملوك الاشوريون من تحقيق ابرز الانتصارات الحربية آنذاك . فلقد طور هؤلاء الملوك وشجعو النظم الجديدة لجيوشهم حيث اعتمدوا نظام التجنيد على غرار ما نعرفه اليوم بالتجنيد الاجباري واصبح الجيش مزوداً بعناصر من الاشوريين المدربين بشكل منظم . وخاصة الفرسان منهم بدلا من الاعتماد على عدد كبير من الفلاحين . في احيان كثيرة ، عند اعداد الحملات العسكرية. كذلك اعتمد الاشوريون مجاميع المقاتلين من افراد الاقاليم التابعة لهم علما بأن رقعة الامبراطورية الاشورية خلال فترة حكم الملك الاشوري اسرحدون (٧٠٤ – ٦٨١ ق.م) بلغت حوالي الالفي كم ٢.

اما بالنسبة للمناصب العسكرية فلا بد من الاشارة اولا إلى ان الحاكم او الملك كان هو القائد الاعلى للجيش ، وكان يدرب منذ ولايته للعهد على مختلف شؤون الثقافة العسكرية والمدنية .

وكانت الدار الخاصة التي يقيم فيها ولي العهد تعرف عند الاشوريين ببيت ريدوتي وهو المكان الخاص الذي يتم فيه تدريب ولي العهد على مختلف صنوف المعارف ومنها المعارف العسكرية. ومثل هذا المبدأ اخذت به فيما بعد معظم دول العالم المتحضر. واصبح اسلوباً وطريقا الى الحكم العلمي الصحيح. ومن تفاصيل مايذكره الملك الاشوري آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ق.م) عن طبيعة فترة ولايته للعهد مايلي :

..واستقيت المعارف الخاصة بالكتبة. وحذقت آيات السماء والارض. ودرست ظواهر السماء واستطعت ان احل قضايا معقدة في القسمة والضرب. واتقنت فن الكتابة السومرية والكتابة الاكدية البالغة الصعوبة... وكنت طيلة يومي امتطي فرسي بفرح وحبور.

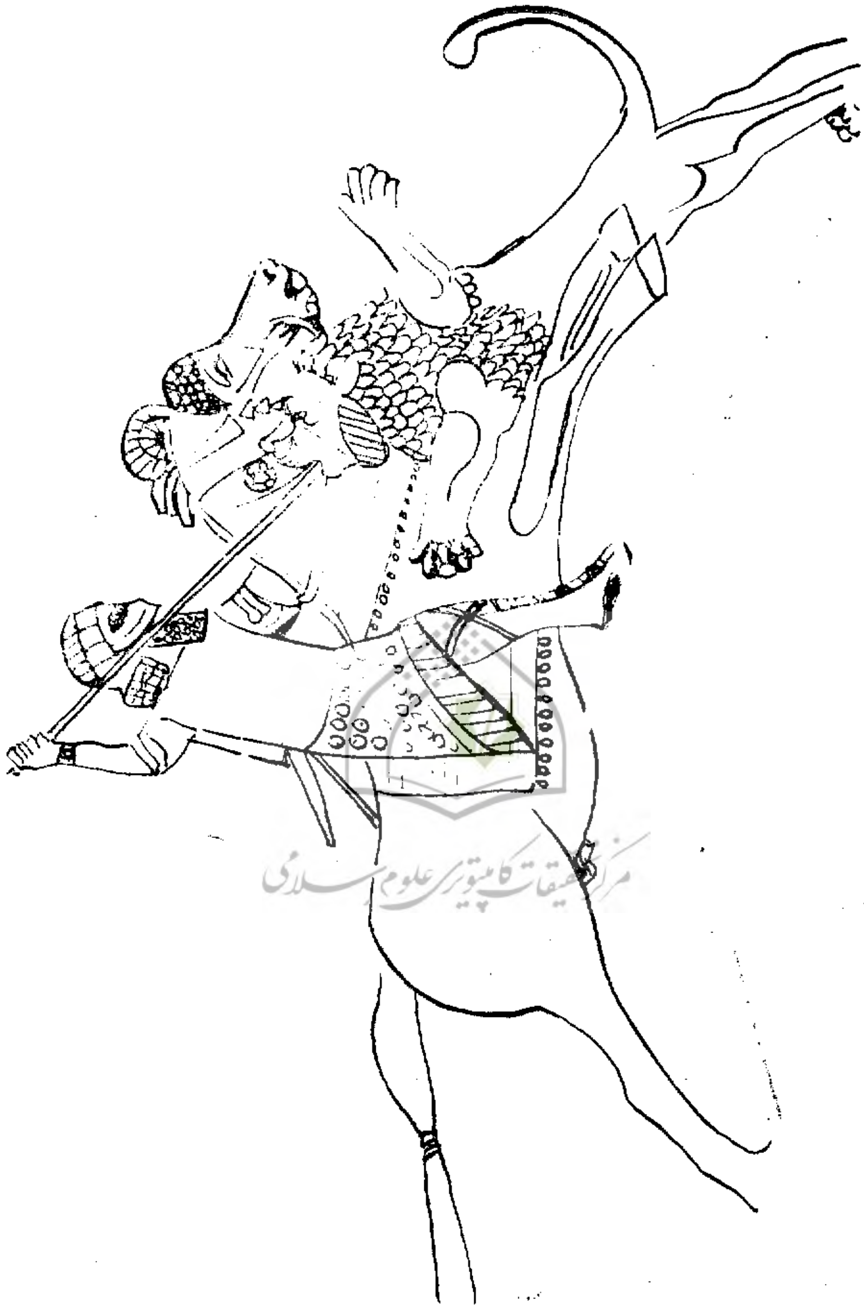
واقصد موضع الصيد وامسك قوسي فأرمي منه السهام الجديدة واقذف بالرماح الثقيلة وامسك بعنان خيل العربات واسرع فيها.وتعلمت استعمال التروس الثقيلة... وفي الوقت نفسه كنت اجهد في تعلم الاداب والسلوك الملكية...» وكان عليه اضافة الى كل ذلك ان ينوب عن الملك خلال غيابه. ومن ذلك المهمات العسكرية والادارية بعين الوقت وبشرط ان يكون القرار العادل هو الهدف الاول في حكمه.

والى جانب هذا كله كان على ولي العهد فيما يبدو، بعد توليه مهام الحكم المباشر، ان يهتم بالشؤون الدينية ذات الحساسية البالغة فكان لزاما على الملك ان يقوم بكل مامن شأنه تقويم المجتمع وزيادة ترابط افراده وذلك من خلال ترأس الاحتفالات الدينية، الرئيسية والخاصة وصولاً الى وجوب ممارسة بعض الشعائر التي لاتبتعد كثيرا عن نوع من ممارسة السحر بمفهومنا المعاصر.. وبالاخير كان الملك الاشوري يضطلع بالدور العسكري الكبير في لامبراطورية الواسعة الى جانب توليه المهام المدنية المتعددة بما فيها الطقوس الخاصة بالصوم وارتداء الملابس الطقوسية الخاصة.

وتعرف عن الملك آشور بانيبال تفاصيل اخرى: منها اهتماماته المتعددة والمتنوعة في المجالات الادبية والشعرية.وقدرته العالية على ممارسة الحكم الاداري الجيد والسياسة الذكية .اضافة الى بعض الهوايات التي تعكس شجاعة نادرة لهذا الملك كصيد الاسود بالرمح او الخنجر (انظر الشكل رقم ٢)

ويعرف منصب القائد العام للجيوش الاشورية باللغة الاكدية «بالتورتانو» وقد بقي بعض القادة العسكريين يشغلون هذا المنصب لثلاثين عاما ويمكن ان نفهم ان مثل هذا المنصب يوازي مايعرف عندنا اليوم برئيس اركان حرب القوات المسلحة ويقوم المتقلد لمثل هذا المنصب. ونيابة عن شخص الملك بحسم قضايا مدنية عامة وذلك في حالة غياب الملك او عدم تمكنه من القيام بمهام مشابهة جراء اسباب عديدة تصل حتى الى خطر متوقع على شخصه.

ونعرف منصب «الرب شاق» وهو رتبة عسكرية تلي منصب القائد العام ويمثل منصب الراب شاق وظيفة مدنية وترجمته «رئيس خدم القصر» ووجد من مفهوم ومحتوى الكتابات المسمارية ان مثل هذه الشخصية كانت تتولى مهام عديدة. منها كونه حاكم ولاية ومن جملة مهام حاكم الولاية هذا عند الآشوريين مسؤوليات حفظ الامن وتوزيع اسرى الحرب... وكانت تناط مهام قيادة الجيوش احياناً بحكام المقاطعات او الاقاليم بما في ذلك اناطتهم حملات تأديبية. كذلك كان هؤلاء يشرفون على اعمال التجنيد .



شكل رقم (۲)

كما نعرف منصب «الناكر إيكالي» وهو حامي حدود الامبراطورية الاشورية وبنفس الوقت نجد ان من يحمل مثل هذا اللقب قد اوكلت اليه مهمة الاشراف على عمليات التجنيد المنظم اضافة الى عملية جمع المقاتلين والدعوة الى مانعرفه اليوم بـ«النفير العام».

والى جانب هذه المناصب ظهرت اختصاصات اخرى مكملة للمهمات السابقة الذكر. فنعرف مثلا منصب رئيس الحسابات في العصر الآشوري وهو في نفس الوقت يحمل لقب المدير الخاص بالحسابات وتشير الكتابات المسمارية اليه تحت اسم «الابراكو» وقد انيط هذا المنصب أحياناً الى امرأة بدلالة اللفظة «الابراكاتو» ومن المعروف ان اللقب هذا «الابراكو» كان يستخدم كصفة للحكام السومريين امثال كوديا ولوكال زاكيرى. وفي اللغة السومرية يعني منصب «الابريك» والذي يقابله في الاكدية «الابريكو» منصبا مشابهاً. وعند البابليين كان من يحمل نفس صفات المنصب يعرف بالتسمية «ماشينو».

ان مجموع المناصب الرئيسية المكملة لجيش متطور آنذاك توفرت اعمدتها الرئيسية في الجيش الاشوري فمن رئيس عام للاركان للقوات المسلحة أو العسكرية والتي كانت في احيان كثيرة محصورة في ولي العهد نظراً لاهميتها المركزية في كيان الدولة اضافة الى وجوب تدريب ولي العهد المباشر على مثل هذه المهمات الخطيرة وصولاً الى حراس الحدود وقوى الاستطلاع والكشف من افراد الجيش الاشوري.

هذا الى جانب مايعرف بصنف الطبابة ومعالجة الجرحى ثم صنف «العرافة» الذين كانوا يستقصون القضايا المرتبطة بالتنبؤ بنتائج المعارك واسرار الاعداء بما في ذلك اللجوء الى الدراسات الخاصة بحركات الكواكب والنجوم.

ونعرف كذلك الملقبين بالراب مشقي والمساعدين لهم في مثل هذا المنصب ويدعون بالنواب ومثل هؤلاء يقابلون منصب حكام المدن الصغيرة في وقتنا الحاضر ويمكن تمييز هؤلاء من مظهرهم ولباسهم الخارجي هي بواسطة شارات ويكون الرئيس لمثل هذه المجموعة من يحمل زينة تعرف بـ« رب شاريش» ويتقلد هذا عصابة قد تكون من القماش أو الجلد، ويكون ثوبه قصيراً مشدوداً الى وسطه بحزام ويكون مسلحاً بسيف.

ومن المراتب العسكرية في الجيش الاشوري مرتبة الضابط ويكون مكلفاً بقيادة مجموعات من الجنود قد يصل عددها الى المائة أو المائة والخمسين وبعضهم يحمل الرتبة المعروفة باسم« راب خمشي» التي تعني حرفياً رئيس مجموعة الخمسين او آمرهم. وكانت من وحدات الجيش المنتظمة الفرقة (بقار) وتصل الى حوالي العشرة الاف جندي.

اما آمر الحضيرة فيعرف عند الاشوريين تحت لفظة «رب عشيرتي» اي آمر العشرة وهناك لقب يعرف بآمر البوابات وهو المسؤول عن حراسة بوابة المدينة وتنظيم دخول الوافدين اليها والتأكد من هوياتهم وذلك تحفظاً من دخول الجواسيس والمتسللين من الاعداء .

كما نعرف ايضاً صنفاً آخر من الضباط الفنيين ويعرف آمرهم او رئيسهم تحت لقب «راب بيبرى» ويعاونه في عمله هذا ضابط مهمته المتخصصة مسؤوليته عن التموين ويراد بالتموين هنا العدد الحربية والارزاق بشكل خاص.

ومن الضباط من يتولون مسؤولية شؤون المركبات والاشراف على الخيول من الاصطبلات الملكية وغيرها ويعرف صاحب مثل هذه الوظيفة العسكرية من الضباط باسم (راب دراتي» الذي يترجم حرفياً بأنه آمر الاسطبل .

كما عرفت مراتب الجيش الآشوري منصبا يعرف بأنه كبير الجنود الممتازة وكذلك منصب يعرف بالمرشد العسكري اضافة الى منصب رئيس الشرطة كما عرفت مراتب مكملة اخرى كالمترجمين والمسجلين للغنائم ورئيس الموسيقيين اضافة الى منصب حامل عدة الملك الحربية وفيما عدا الرتب المذكورة هذه نلاحظ خاصية تميز بها الجيش الآشوري وهي اهمية الاعتناء بالمظهر الخارجي والالتزام بحمل الشارات الخاصة بمثل هذه المناصب سواء كانت رموز العدد الحربية التي يتقلدها صاحب المنصب او المرتبة او زيه الخاص المتميز ،واهم اقسام الملابس العسكرية لباس الرأس المزين بعصابة خاصة تكون محلاة بتشكيلات من النجوم او غيرها. وهي في الواقع شارة مميزة يمكن ملاحظتها وتمييز حاملها بسهولة، حيث يمكن تمييز قائد الجيش عن بطل القصر وسيد المدينة وآمر المعسكر.

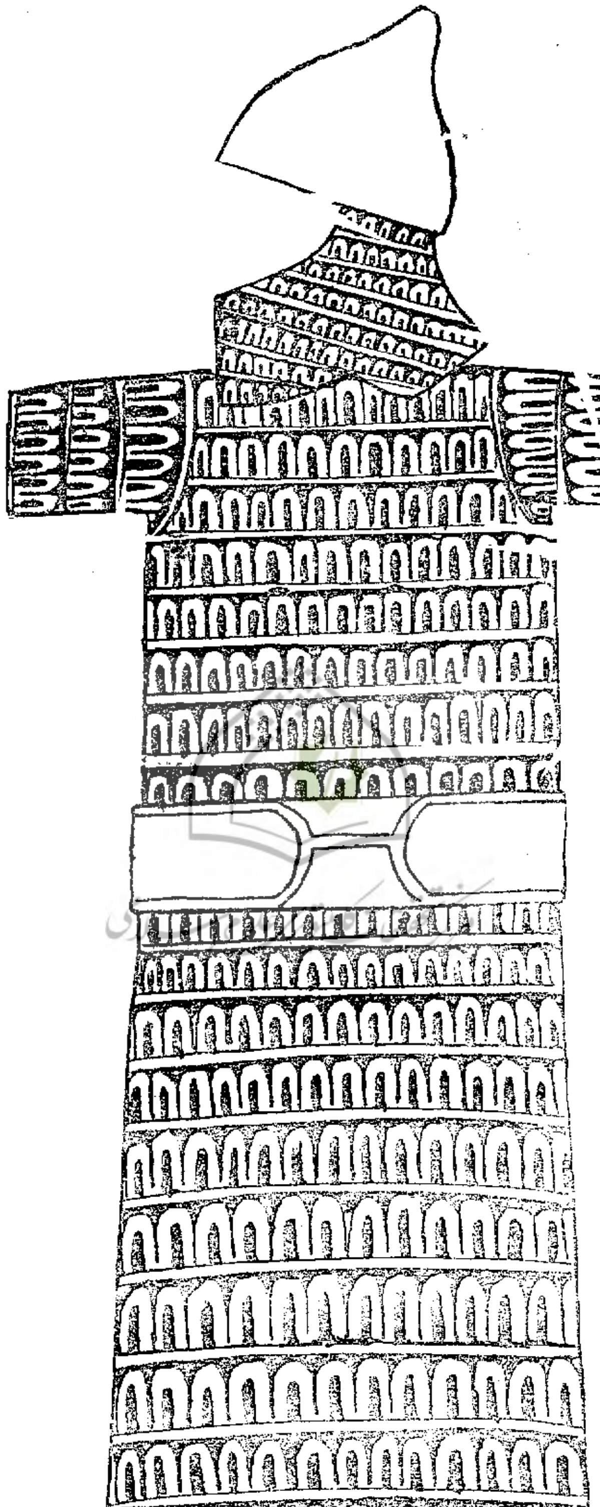
ويمكننا ايضا تقسيم الجنود الى صنوف عديدة في ضوء ماوردته المدونات بالمسمارية حيث يميز الجنود المقاتلون والمساعدون اضافة الى تمييز صنف المشاة وهم في العادة رماة النبال والرماحون وحملة الاتراس وحملة المقلاع وواجب هؤلاء اضافة الى الالتحام المباشر مع العدو تأمين الحماية اللازمة للقطعات المتقدمة نحو العدو والمؤلفة من المركبات والخيالة . وفي نصوص العهد البابلي الحديث يرد ذكر رئيس مجموعة الدروع او قائد المائة وقائد مجموعة القوات الخاصة .

ويرتدي المشاة في العادة الخوذ المخروطية المزودة بواقيتي الاذن. وثيابا قصيرة تسهل لهم مهمة الجري والتحرك السريع.

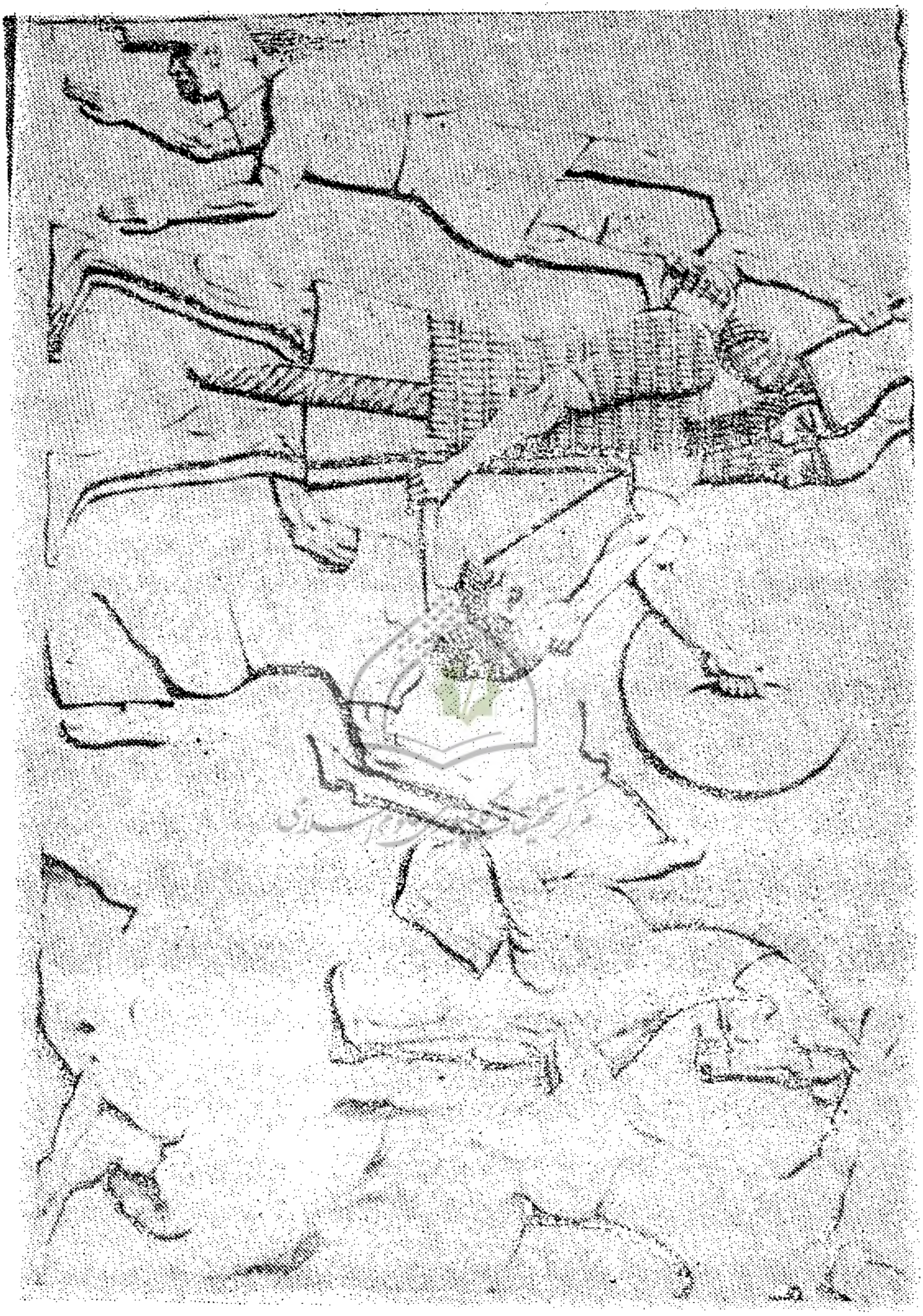
والجدير بالملاحظة ان الفرسان من الأشوريين كانوا يتميزون بقواهم العضلية وحسن تدريبهم العالي. حتى انهم كانوا يستخدمون الجياد بدون سروج احيانا وعرف الاشوريون الخيال الرامي المجهز بالقوس والنبال او بالرمح والسيف. انظر الاشكال: ٣-٤-٥-٦-٧



شکل رقم (۳)



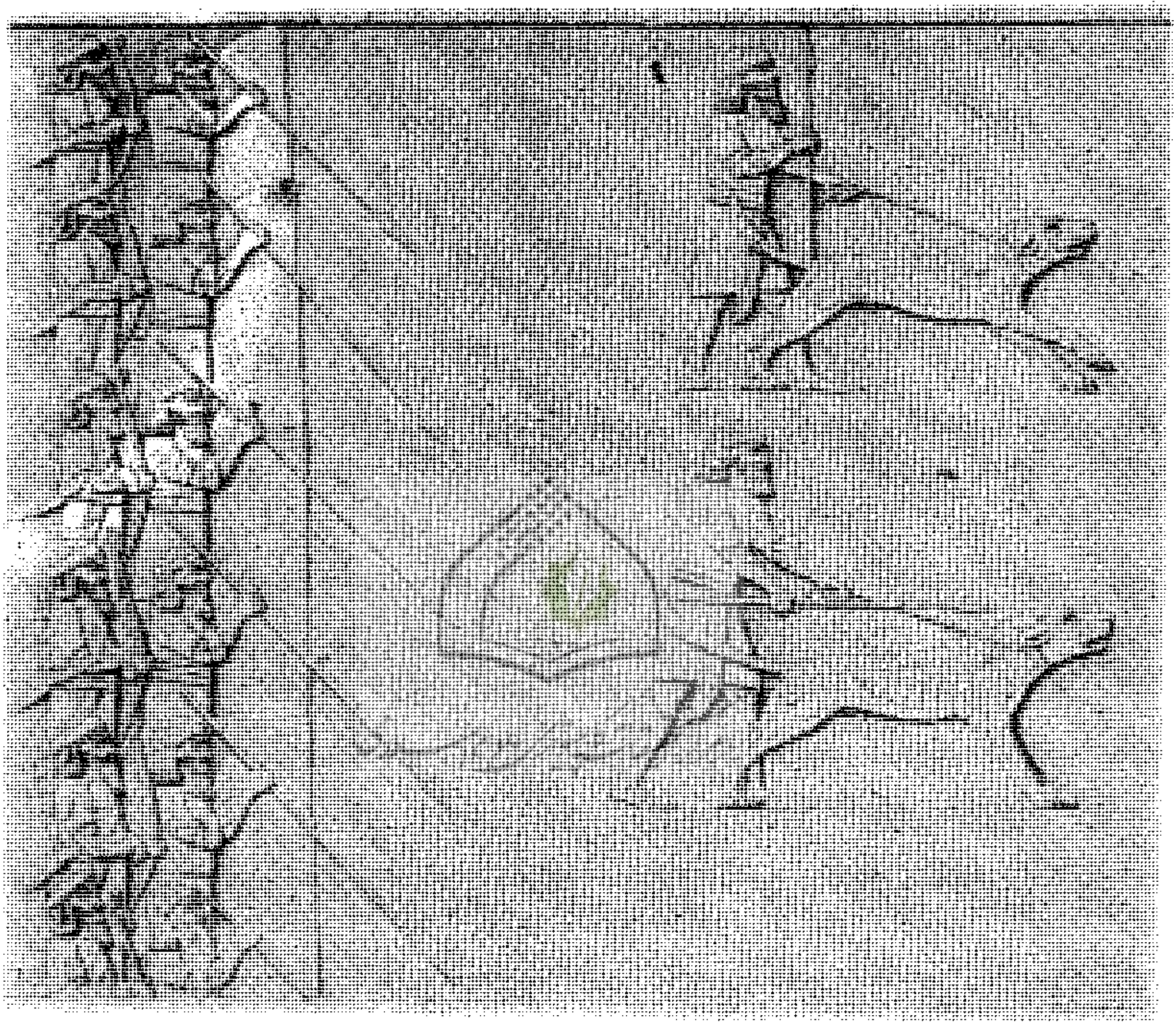
شكل رقم (٤)



شكل رقم (٠)



شكل رقم (٩)

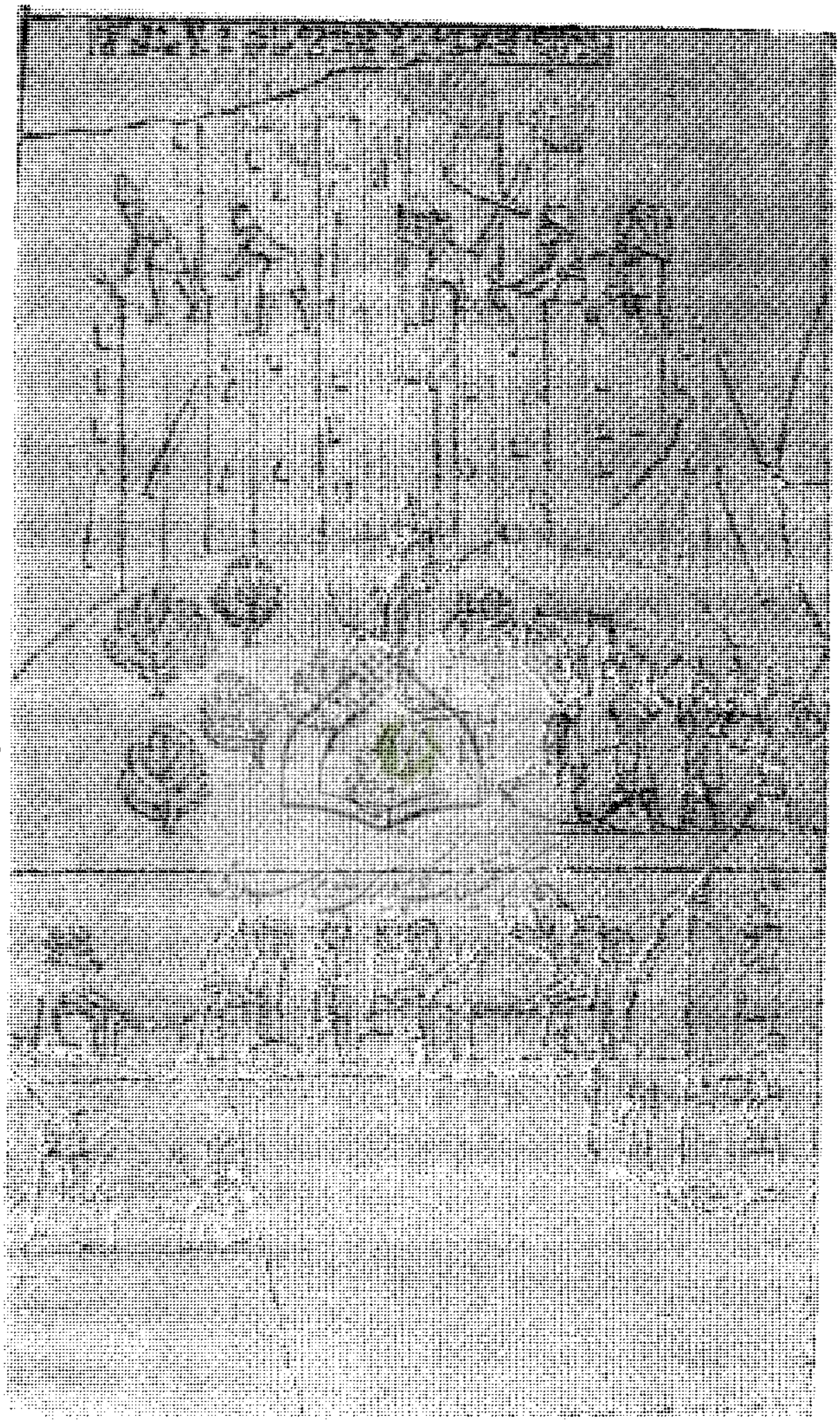


شكل رقم (٧)

وقد اهتم العسكريون في وادي الرافدين وبشكل خاص الاشوريون منهم بالهندسة العسكرية وما يخص اعمال فتح الطرق وبناء الجسور ، وعرفوا كذلك اساليب التحصين بالقلاع والاسوار واحاطتها بالخنادق المائية ،كما عرفوا الاساليب الخاصة بعبور الانهار ونصب الجسور المتنقلة لاجتياز العوائق المائية وكذلك تركيب وتفكيك آلات الحصار ، وحفر الانفاق للدخول الى المدن المحاصرة او تسلق اسوارها بالسلالم . (انظر الاشكال ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

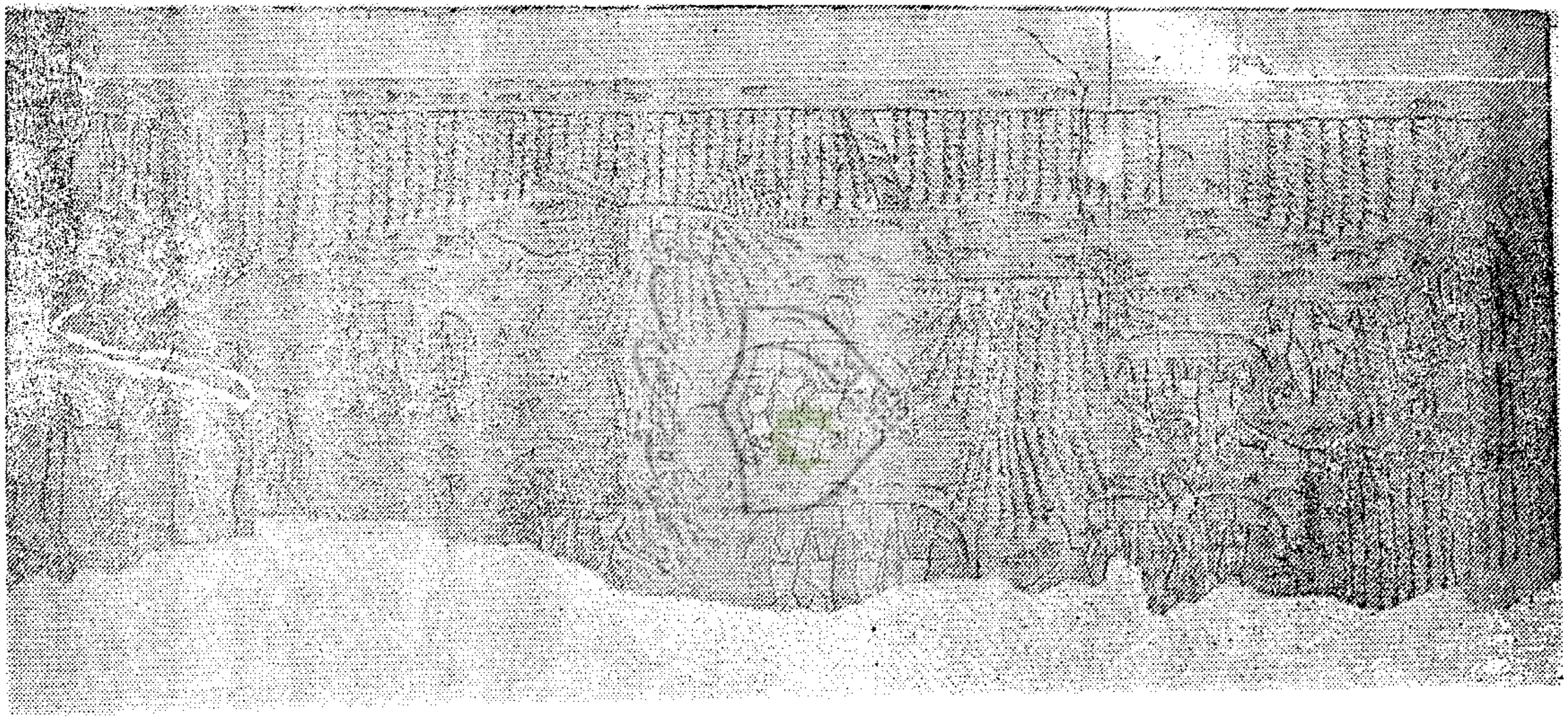
لقد كانت الامبراطورية الاشورية متكاملة في ادارتها للشؤون المدنية والعسكرية بصورة اصبحت نموذجا متقدما للادارات اللاحقة . ولقد تمكن الحكام من الاشوريين ومنذ زمن مبكر اي منذ بدايات الالف الثاني قبل الميلاد من السيطرة على المواد الاولية الرئيسية اللازمة لتطوير العدد المدنية والحربية معا ، فقد احكموا سيطرتهم مثلا على مناجم المعادن ــ المعروفة بشكل خاص في جنوب آسيا الصغرى ، واهتموا بطرق مسار الجيوش ووضعوا الحاميات العسكرية في النقاط المهمة ولا تزال آثار بعضها باقية حتى اليوم .

وكانت معرفة الاشوريين لمعدن الحديد وتصنيعه في الاستعمالات العسكرية وبخاصة في صناعة العجلات والاسلحة من الاسباب المباشرة في ازدياد قدرتهم التعبوية وسرعة حركتهم وقدرتهم .



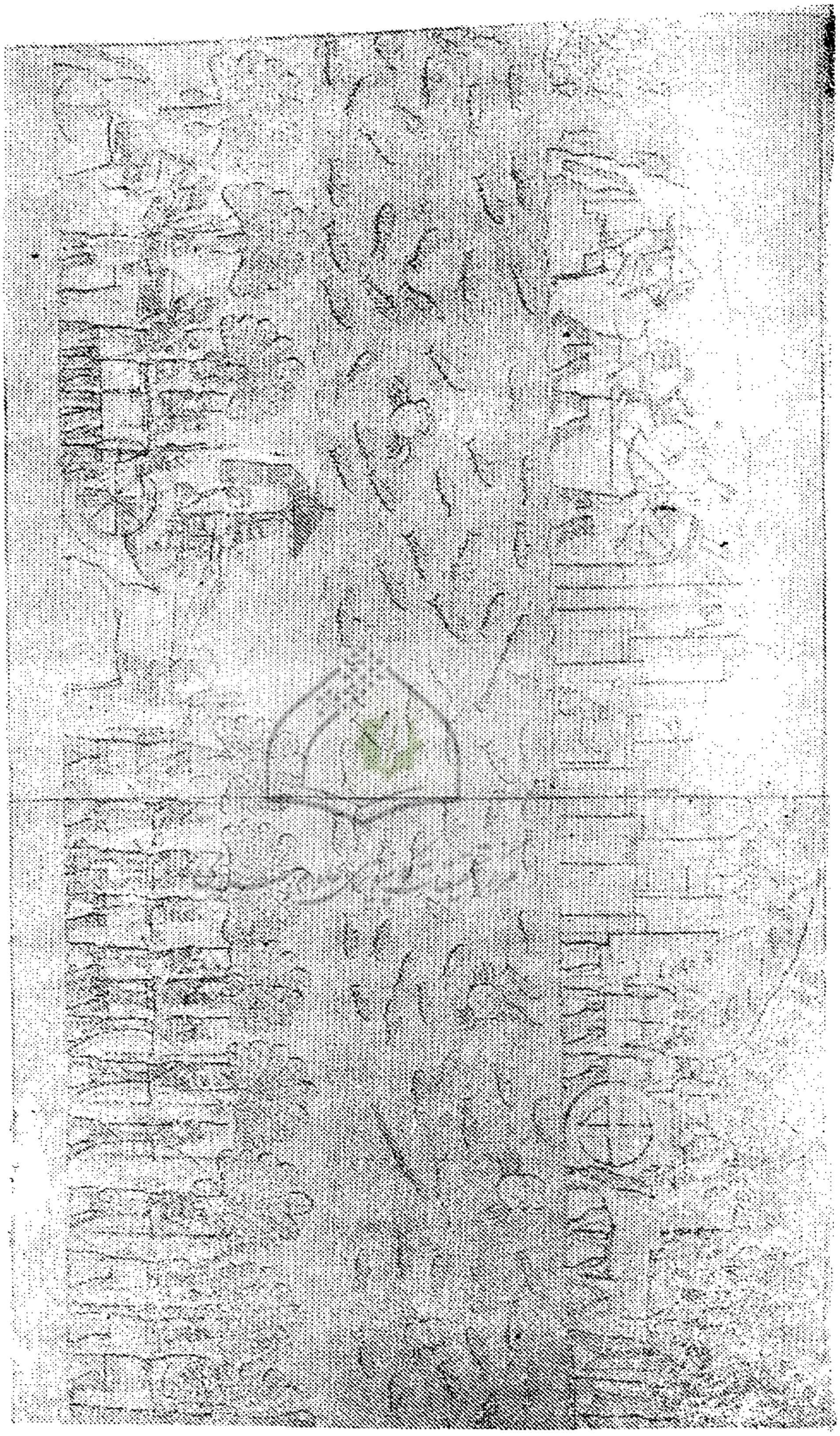
شكل رقم (٨)

شكل رقم (٩)





شكل رقم (١٠)



شكل رقم (١٤)

المصــادر

طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،بغداد ، ١٩٧٣ .

د . وليد الجادر ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر ، بغداد ١٩٧٢

د . وليد الجادر . في حضارة العراق . بغداد . ج ١ ١٩٨٤ ص ٦٦٨ .

يوسف خلف عبدالله ،الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث بغداد ، ١٩٧٧

العراق القديم (تأليف جماعة من علماء الاثار السوفيت) ترجمة وتعليق — سليم طه التكريتي

Parrot A. Sumer, Paris, 1961 .

Reade J., The New Assyrian Court and Army. Iraq, XXXIV, 1972.

The Assyrian Dictionary of the Orental Institute of the University of Chicago, CAD.

Sasson, J. M. The Military Establishments at Mari. Rome. Pontifical Biblical Institute. 1968.

Cassin. E. Quelques remarques a'Porpos des Archives administratives de Nuzi, In: RA.LII (1958) p. 16.

Botte'ro, J. In: Biblio Theca Orientalis. XXvIII 1/2 (1971) p. 70-71.

Pritchard, J. B. The Ancient Near East In Pictures. New Jersey Princeton University press. 1954 p. 129. 369.

Layard , A.H. The Monuments of Ninevah. London. 1949 pL. 62.2.

اللغات الشرقية

موقع اللغة التركية بين الفصائل اللغوية

د. جوبان خضر حيدر

كلية الآداب / جامعة بغداد

الموقع الجغرافي للغة التركية وتطورها :

انتشرت القبائل التركية بعد هجرات متعددة من موطنها الاصلي في اسيا الوسطى الى قارات اسيا واوربا وافريقيا وبهذا تحتل اللغة التركية مساحات شاسعة سواء اليوم او في ادوارها التاريخية . وقد اسس الاتراك دولا وبنوا حضارات راقية مختلفة واقاموا علاقات ثقافية وثيقة مع الدول المجاورة وخاصة مع القبائل القاطنة على الحدود وتأثروا بها . وتكونت من لهجات هذه الاقوام لغات مكتوبة محلية تميزت شيئا فشيئا فتفرعت اللغة التركية الى لغات محلية ،وبالرغم من هذا فان الاتراك قاطبة يتكلمون بنفس اللغة مع وجود فروق ضئيلة جداً بينهم (١).

ومنذ انفصال اللهجات التركية من اللغة التركية القديمة وحتى اليوم ، فقد مرت اللغة التركية بتطورات قواعدية من حيث البناء وعلم الاصوات فميزت تلك اللهجات بعضها عن بعض ،علما بان جميع اللهجات التركية لم تتطور لتصبح لغة مكتوبة ، وتنحصر الفروق الموجودة بين اللهجات في المفردات وتركيب الجمل (٢) .

ويتجاوز انتشار اللغة التركية نطاق حدود تركستان الغربية والشرقية ، ويمتد الى الالطاي وجانكاريا وحتى منغوليا .وبالرغم من هذا فان الاتراك في القسم الشرقي من اسيا الوسطى والطبغاج قد تركوا لغتهم وتداولوا محلها اللغة الصينية .

تحركت قبيلة الغز بعشائرها التسع الى الغرب . وفي القرنين العاشر والحادي عشر انتشر الغز بصورة واسعة نحو الجنوبي الشرقي والشمال والجنوب الغربي. وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر اسلم الغز فاطلق على قسم كبير منهم اسم التركمان.وفي الوقت الذي انحدر فيه السلاجقة المنتمون الى عشيرة قنيق الغزية نحو الجنوب الغربي دخل الخاقانيون

الى تركستان الصينية. وحل العثمانيون المتمون الى عشيرة قاي الغزية محل السلاجقة في الحكم بالاناضول ،حيث انتشرت اللغة التركية في عهدهم في اسيا الصغرى ودول البلقان واوربا الغربية وفي قارة افريقيا ايضاً.

وبعد فتح بابور شاه الهند في القرن الحادي عشر انتشرت اللغة التركية ايضا في شبه الجزيرة الهندية وتوقف انتشار الاتراك قرب نهر فولغا في الجهة الشمالية الغربية، واصبحت اللغة التركية لغة رسمية لدولة التون اوردو في القرن الحادي عشر ، كما هاجر القبجاق نحو الغرب الى المناطق الشرقية من اوربا، واستخدمت اللهجة القبجاقية بصورة واسعة من قبل المماليك في مصر مابين القرنين الرابع عشر والخامس عشر (٣).

وليست لدينا معلومات واضحة ومؤكدة حول المراحل الاولى للغة التركية التي تسمى باللغة التركية الام والفترة التي عقبتها تسمى باللغة التركية الأم ، وتعتبر مرحلة اللغة التركية الام مرحلة فرضية، وتتصل المرحلة الاولى للغة التركية بظهور الاتراك في التاريخ واستخدمت هذه اللغة في زمن الامبراطورية الهونية الكبرى . ولم نحصل على ايّة نماذج تعود إلى هذه المرحلة بل يمكننا ان نجد بعض الكلمات التركية في المصادر الصينية (٤) .

وتشير المصادر الصينية القديمة إلى وجود لهجات مختلفة في آسيا الوسطى هي لهجات (خويخوHuveyhu ، قرغز Kirgiz ، اويغور uygur ، توكيئة Tukiie وحتى توكيئة الغربية Bati Tukiie، وتوكيئة الشرقية Doyu Tukiie (٥) .

ومن الممكن أن تكون لغة الهون الأم قد تفرعت إلى عدة لهجات في بداية الميلاد . ويمكننا ان نخمن تولد اللهجة الجوواشية وقريباتها من اللهجة الهونية الغربية ، واللهجة الياقوتية وقريباتها من اللهجة الهونية الشمالية الشرقية ، واللغة التركية — التتارية من اللهجة الهونية الشرقية . الا اننا لم نعثر على معلومات وافية حول لهجة الهون الشرقية عدا بضع كلمات عائدة اليها . واطلق على هذه المرحلة اسم اقدم لغة تركية (٦).

ويرجع اقدم اثر من الكتابات التركية المدونة إلى القرن الثامن ، وقد كانت هذه الكتابات منقوشة على النصب التي اقيمت تمجيداً للاميرين كول تكين وبلكة قاغان . وقد عثر يادرنتسف (Yadrintsev) على هذا النصب في وادي اورخون ببلاد المغول ١٨٨٩م . وثمة نقوش معروفة ببلاد المغول وسيبريا وتركستان الغربية وهي متفاوتة في الحجم، وقد اكتشف مسّر شمت messer chmit تلك النقوش السيبيرية في وادي يه ني سى (Yenisey) عام ١٧٢١م. وعثر المنقبون في تركستان الصينية على مخطوطات

كتبت بهذا الخط يرجع تاريخها إلى القرن التاسع تقريباً ، وقد فك العالم اللغوي الدانماركي طومسون رموز هذا الخط عام ١٨٩٣م (٧). وهذه الكتابات التي وصلتنا لاتمثل اقدم النماذج التركية ، وذلك لاننا اذا درسناها نجدها متطورة من الناحية اللغوية وهذا ما يولد لدينا قناعة بأن لغة الكتابات تعود إلى ماقبل هذا التاريخ وذلك لان اللغة المستعملة في نصوص اورخون هي لغة متكاملة اخذت هذا الشكل بعد التطورات الكثيرة التي حدثت في بنية اللغة التركية (٨). واما اللغة التركية القديمة فتضم ثلاث مراحل من اللهجات التركية وهي كوك تورك والاويغور والقرغزية القديمة (٩) وتدخل الخاقانية في هذه المجموعة ايضا (١٠) .

ومن الصعب علينا ان نحدد اللهجات الموجودة في اللغة التركية القديمة بسبب قلة النصوص العائدة لهذه المرحلة من جهة ومن جهة اخرى ظهور مدرسة كتابية ثابتة في اللغة الاويغورية . ومع هذا من الممكن ان نجد ولو بصورة تقريبية بعض اللهجات او مجموعة اللهيجات المحلية بواسطة الفروق الموجودة في النصوص من حيث الشكل والكلمات وعلم الاصوات . ولتثبيت اللهجات في المرحلة الأولى نقسم اللغة التركية القديمة إلى قسمين : —

١ — كوك تورك

٢ — اويغور

وبطريقة مقارنة بعض المميزات الموجودة في اللهجات المحلية للفترة الثانية مع مميزات تلك العائدة للمرحلة الأولى نجد انها اقرب إلى الحقيقة . واذا نظرنا إلى تطور الصوت (ny) والتي تكتب باشارة خاصة في لهجة كوك تورك ، نجد انها تكتب على شكل (y) من جهة و (n) من جهة اخرى في النصوص الاويغورية . واستنادا إلى هذا يمكننا تحديد لهجتين هما لهجة النون ولهجة الياء في اللغة الاويغورية (١١) . وعلاوة وعلى هاتين اللهجتين هنالك لهجة ثالثة في اللغة الاويغورية تسعى إلى ادخال النصوص البراهمية ضمن هذه اللهجة (١٢) .

اللغة الشمالية — الشرقية واللغة التركية الغربية :

بعد فترة اللغة التركية القديمة . نجد ان اللغة التركية قد تفرعت الى عدة فروع على شكل لغة مكتوبة. ويرى ان اللغة التركية بعد القرنين الثاني عشر والثالث عشر قد انقسمت الى قسمين من حيث كتابتها احدهما اللغة التركية الشرقية والاخر اللغة التركية الغربية

اللغة التركية الشمالية واللغة التركية الشرقية :

ان هذه اللغة كانت امتداداً للغة التركية القديمة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وتفرعت اعتباراً من القرن الخامس عشر الى فرعين :

(أ) اللغة التركية الشمالية .

(ب) اللغة التركية الشرقية (١٣) .

اللغة التركية الشرقية:

ظهرت اللغة التركية القديمة في القرن الثامن بشكلها المتكامل، وبتطورها الطبيعي واستمرت حتى القرن الحادي عشر. اذ كانت اللغة المكتوبة الموحدة والمشتركة للاقوام التركية بأجمعها .ولكن بعد تفكك وتمزق هذه الاقوام وبدء النزوح والهجرات للشعب التركي نحو الغرب من شمال وجنوب بحر الخزرَ وانتشار الديانة الاسلامية بين الاتراك ونشوء مراكز ثقافية جديدة في داخل مناطق جغرافية . واسعة ادت الى تضاؤل او انحسار دور اللغة التركية القديمة ، كما ادت الى ظهور كتابات جديدة بسبب تطور تلك المراكز الثقافية بحد ذاتها. وفي القرنين الثاني والثالث عشر تفرعت اللغة التركية الى فرعين أولهما اللغة التركية الغربية وثانيهما اللغة التركية الشرقية .

وقد اطلق اسم اللغة التركية الغربية على لغة الاتراك القاطنين في شرق بحر الخزر والاناضول وشمال بحر الاسود وكذلك على لهجة الساكنين في دول البلقان . واطلق اسم اللغة التركية الشرقية على لغة الكتابة التي استمرت بين اتراك تركستان . وقد ورد الكثير من الاخطاء في تسمية تصنيف اللهجات حيث ذكرت اللغة التركية الشرقية باسماء مختلفة . اذ قام بعض المصنفين بذكر هذه اللغة باسم الجغتائية ، وان هذه التسمية خاطئة رغم انتشارها الواسع . ومن هذه الأسماء : تركي ، الطاي ، الطاي الشمالية ، اباقان ، بارابا ، جولم ، صويبيد ، قراغاص (رادلوف) . اورخون ، اويغور ، جغتاى ، قويبال صغاى (كورش) . اللغة التركية للتركستان الشرقية ، طرانجي ، اوزبك ، صارت ، اللغة الجغتائية (رامستدت) . وهناك من يعد هذه المجموعات اللغوية من اللغة التركية الشرقية آخذين بنظر الأعتبار الجانب الجغرافي في ذلك او بالنسبة إلى اسم القوم مثل اللغة الاويغورية الجديدة، وبالنسبة للتسمية الجغرافية كاللغة التركية الشرقية التركستانية وبالنسبة للخصائص اللغوية فانها تنسب إلى مجموعة اللغات Z>S

وكانت اللغة التركية الشرقية امتداداً متواصلاً للغة التركية القديمة اذ كانت اللغة المكتوبة (الخوارزمية والخاقانية) ومنذ العهد التيموري (١٣٠٦ ــ ١٥٠٢) تعرف بالجغتائية وقد تركت اللغة التركية الشرقية محلها في الأدوار الاخيرة الى اللهجة الاوزبكية والايغورية الجديدة ومن ثم إلى الاويغورية الصفراء. وليس هناك فرق واضح بين اللغة التركية الشرقية والغربية من حيث قواعد اللغة بل هناك فروقاً في تلفظ بعض الاصوات(١٤).

اللغة التركية الشمالية:

يطلق هذا الاسم على لغة الأقوام التركية التي تعيش في الشمال الغربي من آسيا الوسطى ويقصد بهذه التسمية الوضعية الحديثة لهذه اللهجات إلى مابين القرنين التاسع عشر والعشرين واذا درسناها تاريخيا نرى ان هذه اللهجات هي امتداد للغة الـ (بجناك) والـ (قبجاق) . وتدخل في الوقت الحاضر ضمن هذه المجموعة لهجات :

(ا) قازان او التتار .

(ب) قازان ، قراقالباق ، قرغز .

(حـ) الطاي وغربي سيبيريا

(د) شمالي قفقاسيا (١٥)

اللغة التركية الغربية

تبدأ لغة الكتابة للغة التركية الغربية اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر وتستمر إلى يومنا هذا . وتشكل اللهجة الغزية اساس هذه اللغة . اما من الناحية الجغرافية فان اللغة التركية الغربية تنقسم إلى قسمين: اولا اللهجة الأذرية التي تشمل القسم الشرقي من الاناضول وتسمى اللهجة الغزية الشرقية ايضاً . ثانيا: اللغة الاناضولية الغربية وتشمل المناطق العثمانية ولايوجد فرق كبير بين اللهجتين . وتطورت الفروق الضئيلة اعتبارا من القرن السابع عشر . فكونت اللهجة الغزية الغربية والشرقية. وكلتا اللهجتين اساسهما اللهجة الغزية والفروق بين اللهجتين تكمن عادة في اللهجة المحلية .

اللغة التركية الاناضولية القديمة:

تطلق هذه التسمية على لغة الكتابة التي تطورت على مر الازمان ، بعد دخول الاتراك الاناضول اثر انتصارهم على البيزنطيين في موقعة ملازكرت سنة ١٠٧١م واستوطنوها

تدريجيا، ويقصد باللغة الاناضولية القديمة نسبتها الى لغة الكتابة التي استحدثت وتطورت وتداولت حتى اواسط القرن الخامس عشر. ولا يمكننا تثبيت بداية هذه اللغة الكتابية بصورة مؤكدة لان مرحلة البداية لهذه اللغة الكتابية لاتزال يكتنفها الظلام ومجهولة ولا يمكن معرفتها. وان الدلائل القاطعة هي التي تبلورت في كتاب (بهجة الحدائق في موعضة الخلائق) الذي لم يعرف تاريخ كتابته، وان المميزات اللغوية لهذا الكتاب قد درست وبحثت من قبل الباحثين اللغويين الذين يرون ان هذا الكتاب قدكتب مابين القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر، حيث يعتقد هؤلاء نظريا انطلاق لغة الكتابة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر في الاناضول.

وبداية هذه المرحلة من الجانب التاريخي تصادف دور السلاجقة. كما نعلم ان اللغة الرسمية في دولة السلاجقة الكبيرة وفي الدولة السلجوقية الاناضولية كانت فارسية ولغة التعليم والمراسلات الخارجية كانت باللغة العربية واما اللغة التركية فكانت تكتب في المؤلفات والكتابات الدينية والتوعية والادبيات الصوفية بهدف توجيه عامة الشعب فقط. وقد طرأت على اللغة التركية تغيرات وتفرعات منذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر نسبةالى الاوضاع السياسية والجغرافية والتاريخية والثقافية،ونشاهد الحال نفسه للمناطق الاناضولية ايضا، ويمكن تقسيم هذه المرحلة من حيث الاختلاف في التكوين بالنسبة للوضع السياسي الى ثلاثة اقسام:

(أ) الدور السلجوقي:

يبدأ هذا الدور من بداية القرن الثاني عشر وتستمر حتى اواخر القرن الثالث عشر استنادا الى المصادر المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر وفي هذه الفترة ومن خلال علم الأصوات وعلم الشكل كانت هذه المرحلة تتصف الى حد ما بمميزات اللغة الخاقانية. وبعد مرور هذه المرحلة اي القرن الثالث عشر وبحلول القرن الرابع عشر اصبحت المميزات اللغوية العائدة الى اواسط اسيا تتضاءل شيئا فشيئا وتترك محلها للهجة الغزية تدريجيا.

(ب) دور المماليك:

ويبدأ اعتبارا من نهاية القرن الثالث عشر حتى اواسط القرن الخامس عشر اي منذ انهيار السلاجقة وحتى قيام الامبراطورية العثمانية ويجمع في طياته مميزات اللغة التركية القديمة. ونشاهد في هذا الدور دخول مميزات اللغة التركية القديمة في تكوين الجمل اما من الناحية القواعدية فقد كانت اللهجة الغزية هي الغالبة. وفي هذه الفترة اتخذت اللغة التركية لغة رسمية للدولة.

(ج) الدور العثماني:

يلاحظ في هذا الدور دخول كثير من الكلمات والتراكيب العربية والفارسية الى اللغة التركية ونتيجة لهذا ظهرت اللغة العثمانية القديمة ويمكن تقسيم هذا الدور ايضا الى ثلاثة اقسام :

١ ــ اللغة العثمانية القديمة: ١٢٥٠ ــ ١٤٥٠

٢ ــ اللغة العثمانية الوسطى: ١٤٥٠ ــ ١٨٤٠

٣ ــ اللغة العثمانية الحديثة: من منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين

لغة تركيا التركية:

ان هذه اللغة تعتبر المرحلة الاخيرة من اللغة التركية الغربية وتبدأ بعد عهد الدستور ١٩٠٨ وتستمر حتى يومنا هذا (١٦) .

موقع اللغة التركية بين الفصائل اللغوية

تدخل اللغة التركية ضمن مجموعة اللغات الاورالية الالطائية وتتكون من فرعين اساسين هما الفرع الاورالي والفرع الالطائي وقد اخذ الاسمان من اسمي سلسلة جبلين كائنين في اواسط اسيا . وان هذه اللغات لاتشكل بحد ذاتها عائلة لغوية . فمثلا لاتوجد صلة تقارب بين هذه المجموعة كما هو موجود في اللغات الهندية الاوربية . ولكنها تتقارب فيما بينها من حيث التكوين اكثر من المنشأ . وتعتبر اللغات الاورالية ــ الالطائية من ضمن اللغات الالتصاقية . واهم الخصائص المشتركة في هذه اللغات من الناحية الصوتية هو وجود التوافق الصوتي فيها ، ويظهر هذا التوافق في اللغات الاورالية ــ الالطائية بدرجات متفاوتة أقلها في اللغة الفنلندية واوضحها في اللغة التركية . وتتفق اللغات في نظام التركيب اللغوي . ولا يوجد التأنيث والتذكير فيها . ويكون التصريف بواسطة اللواحق وتستعمل لاحقة الملكية في تصريف الاسماء ، ويصاغ الفعل بالصيغ الشكلية وتأتي الصفات قبل الاسماء ، ولاتجمع الاسماء التي ترد بعد الاعداد الا في حالات خاصة ، وتجري المقارنة بين الاسماء بواسطة لاحقة الافتراق وتستعمل اشكال فعلية بدلا من الروابط (١٧) .

١ ــ اللغات الاورالية :

تشكل اللغات الاورالية الجناح الاوربي من اللغات الاورالية ــ الالطائية واهم لغات هذه المجموعة : ــ

(أ) مجموعة فين ــ أوغور Fin - UgorGrubu

وتتفرع إلى فرعين كبيرين : ــ

١ ــ اللغة الاوغورية Ugor Dili وتتفرع إلى : ــ

(ا) اوستياك Ostyak
(ب) ووغول Vogul
(حـ) مجـر Macar

٢ ــ اللغة الفينية Fin Dili وتتفرع إلى :

(ا) اللغة الفينية الاصلية Asil Fin Dili
(ب) است Est
(ج) ليـف Liv
(د) كاريـل Karel
(ه) لاب Lap
(ز) فوتياك Votyak
(حـ) زريين Zuryen
(ط) جرش Ceremis
(ى) موردفين Mordvin

ب ــ اللغات الصامويبدية Somoyed Dilleri

تتحدث بها جماعات تعيش في الأتحاد السوفيتي في المنطقة الساحلية للبحر المنجمد الشمالي وهي ذات صلة قرابة باللغات الفينية المجرية .

٢ ــ اللغات الالطائية :

هي الجناح الاسيوي من اللغات الاورالية ــ الالطائية وتشترك اللغات الالطائية في الخصائص التالية : ــ

١ــ الاصوات، ٢ــ بناء الكلمة ٣ــ المفردات ، وهذه الخصائص الصوتية الصرفية والمفردات المشتركة تؤكد ان اللغة التركية والمغولية والمانجو ــ التنغوزية من اصل واحد مفترض . ويطلق على هذا الاصل المفترض اسم اللغة الالطائية وتتفرع اللغات الالطائية إلى :

(ا) مجموعة اللغة التركية	Turk Dili Grubu
وتتفرع إلى :	
١ — لهجة ياقوت	Yakut Lehcesi
٢ — لهجة جوواش	Cuvas Lehcesi
٣ — اتراك جنوبي سيبيريا	Guney Sibirya Turkkeri
(ا) قراقاص	Karagas
(ب) قماسين	Kamasin
٤ — اتراك اباقان	Abakan Turkleri
(ا) قزل	KiZil
(ب) قاج	KaC
(ح) قويبال	Koybal
(د) صغاي	Sagay
(ه) بلتر	Beltir
٥ — اتراك جولم	Colim Turkleri
٦ — اتراك شمالي الطاي	Kuzey Altay Turkleri-
(أ) قماندي	Kumandi
(ب) لبد	Lebea
(ج) طوبا	Toba
(د) شور	Sor
٧ — اتراك الطاي الأصلية	Asil Altay Turkleri-
(أ) الالطائيون	AltayLilar
(ب) دفويدان	Dvoyedan
(ج) تله ئوت	Teleut
(د) قومن الطاي الجبلية	Altay Day kumanlari
٨ — اتراك مغولستان الغربية :	Mogolistan Guneyindeka Turkler
(أ) اوريانخاي	Uryanhay
(ب) بارابا	Baraba-

٩ — أتراك أيرتيش وطوبل	İrtisve Tobol Turkleri
(أ) اتراك طورا	Tura Turkler
(ب) اتراك	Tobol Turkleri
(ج) اتراك تومن وطوبلسك	Tumen ve Tobol'sk Turkleri
١٠ — قراقرغز	Karakirgaz
١١ — قزاق قرغز	Kazafl Kirgiz
١٢ — اتراك تركستان الشرقية :	Dogu Turkistan Turkleri
(أ) اوزبك	Ozbek
(ب) قراما	Karama
(ج) قراقا لباق	Kara-Kalpak
(د) تركمن	Turkmen
١٤ — اتراك فولغا	Volga Turkleri
(أ) باشقرت	Baskirt
(ب) اتراك قزان	Kazan Turkleri
(ج) ميشر	Miser
(د) تبتر	Tepter
١٥ — اتراك شمالي قفقاسيا	Kuzey kafhasya Turkleri
(أ) نوغاي	Nogay
(ب) قوندر	kondur
(ج) قومق	Kumuk
(د) قراجاي	KaraCay
(هـ) بالقر	Balkir
١٦ — الاتراك الغربيون	Bati Turkleri
(أ) اتراك تركيا	Turkiye Turkleri
(ب) اتراك اذر بيجان	Azeri Turkleri
١٧ — اتراك القرم	Kirim Turkleri

(أ) قرايميو القرم	Kirim Ki
(ب) قراييميو ليتفانيا ولهستان	Litvanya ve Lehistam
١٩ — غاغاووز	Gagavuz
٢٠ — اتراك بلقان	Ballcan Turkleri
(ب) الفرع المغولي	Mogol Dali
١ — بويرات	Buyrat
٢ — قالمق	Kalmik
٣ — اويرات	Oyrat
٤ — فالخا	Halha
(ج) الفرع التنغوزي	Tungnz Dali
١ — مانجو	Mancu
٢ — لاموت	Lamut
٣ — لهجات تنغوز	Tunguz Siveleri

موقع اللغة التركية من حيث التركيب اللغوى :—

لكل شعب في عالمنا هذا لغة خاصة يتفاهم بها . فيكون عدد اللغات على قدر الشعوب الموجودة. (يوجد في العالم الان نحو ثلاثة الاف لغة متداولة عدا اللهجات) .

ورغم استقلال اللغات الموجودة بعضها عن البعض الاخر ،فان هناك صلات قربى تربطها. ولعل افضل النظريات في تقسيم اللغات هي التي تعول على صلات القرابة اللغوية فيما بينها والمتفرعة من مصدر واحد .وتكون هذه اللغات عائلة لغوية واحدة. ونتيجة لهذا فان لغات العالم تتفرع الى عدة عوائل لغوية والعوائل الرئيسية في العالم هي:

١ — عائلة اللغات الهندية الاوربية

٢ — عائلة اللغات السامية

٣ — عائلة لغات البانتو

٤ — عائلة اللغات الصينية — التبتية

والطريقة الاخرى لتصنيف اللغات البشرية في العالم لا تستند في تقسيمها على صلات القرابة اللغوية بل تستند على قوانين التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم ، وتنقسم اللغات استناداً الى هذه النظرية الى اربعة اقسام هي :

١ ــ اللغات ذات المقطع الواحد :

تتكون جميع الكلمات الموجودة في هذه اللغات من مقطع واحد. ولا يطرأ عليها اي تغيير في داخل الجملة فمثلا لغات الصين والتيبت واليابان تدخل ضمن هذه المجموعة .

٢ ــ اللغات الالتصاقية :

وتحوي هذه اللغات جذور كلمات ذات مقطع واحد او عدة مقاطع اضافة الى اللواحق والجذر لايتغير عند اضافة اللواحق ويمكن ان تأتي الاضافة في بداية الجذر . وتدخل ضمن هذه اللغات اللغة التركية، ،ومجموعة اللغات الاورالية ــ الالطائية، وتضاف اللواحق في اللغة التركية الى اواخر جذور الكلمات فيها.

٣ ــ اللغات التصريفية :

الكلمات في هذه اللغات تظهر في اشكال متنوعة ويتم الأشتقاق والتصريف نتيجة لهذا التغيير ومن ضمن هذه اللغات لغات جزيرة العرب كاللغة العربية .

٤ ــ اللغات ذات التراكيب الممتزجة :

وتدخل ضمن هذه المجموعة لغات سكان امريكا الشمالية والاقوام المنسوبة اليها(١٩).

مشكلة تصنيف اللهجات التركية :

تشكل مسألة تصنيف لهجات الترك احدى المسائل الشائكة للثقافة التركية . وقد صنفت اللهجات من نواح مختلفة (من حيث الفروق الصوتية والجغرافية وبالنسبة إلى اسم القوم والمنطقة) وقد صنف المجتمع التركي من قبل كلوبروث (Kloproth) وهو احد مؤسسي علم التركيات من حيث علم اللغة إلى مجتمع اجتماعي ــ لغوي (Etno – Lenguistik) في سنة ١٨٢٣، وان تصنيف رادلوف للهجات التركية هو تصنيف جغرافي فضلاعن استناده إلى الفروق الصوتية الموجودة بين اللهجات. ويعتبر تصنيفه من احسن التصنيفات واول تصنيف يستند إلى علم الأصوات ١٨٨٣. وبدون شك ان جميع التصنيفات التي اجريت على اللهجات التركية كلها غير متساوية في الأهمية ، فقد صنف بعضها بالنسبة لوضعها القومي والجغرافي وان هذه التصنيفات على شكل تصنيف للاقوام التركية. ويعتبر محمود الكاشغري اول من صنف اللهجات التركية (في القرن الحادي عشر) بين علماء الاتراك وذلك في كتابه ديوان لغات الترك . واما

في العصر الحديث فقد صنفها رشيد رحمتي ارات ونشره على شكل مقالة في غاية الأهمية باسم تصنيف اللهجات التركية (٢٠) .

وقد لمس اللغويون في كل بلدان النتائج التي يحصلون عليها باتباع المنهج الجغرافي، هي نتائج مفيدة ذلك لان مشكلة اللهجة اصبحت من المسائل المحلولة ، حين اصبح بالامكان رسم حدود بين اللهجات ، فكل لهجة تبدو في صورة مجموعة تحمل سمات خاصة تخالف بها اللهجات الاخرى وبالرغم من هذا فانه ليس بوسع الباحثين ان يجدوا حدودا معينة بين اللهجات .

ويرى (سونور) ان اللهجات ليست لها حدود طبيعية وينبغي الا يقصد بهذا ان هذه اللهجات لاتعرف الحدود مطلقاً ، وانما يراد به ان الحدود اللهجية لاتنطبق على الحدود الطبيعية دائماً . وهذا الانفصال بالفه اللغوي بين حدود الدولة السياسية او الطبيعية وبين حدود لهجتها ولغتها التي تزحف وراء الحدود (٢١) .

ومن أهم نظريات التصنيف :

تصنيف محمود كاشغري :

يمدنا كتاب ديوان لغات الترك بمعلومات وافية وقيمة حول لهجات الترك. وهذا الكتاب كتب من قبل محمود كاشغري (وهو من اصل تركي) في القرن الحادي عشر الميلادي :

صنف محمود كاشغري الاقوام التركية في اسيا الوسطى من حيث القبائل، ثم صنفها بالنسبة الى مميزاتها اللهجية والقواعدية واستند في تصنيفه الى علم الاصوات والتركيب اللغوي ، وهو الحدث في تصنيف اللهجات التركية وهو يرى ان اللغة التركية كانت متفرعة الى لغة كتابة متعددة (في القرن الحادي عشر). وان اللهجة الواضحة والصحيحة هي لهجة الاقوام غير المختلطة مع الاقوام الاخرى، وليست لها صلة مع البلدان الاجنبية وانها تعرف لهجة واحدة فقط .وتعد لهجات الاقوام الذين يعرفون اكثر من لغة واحدة او يختلطون بسكان المدن، لهجات غير سليمة ويحلي سبيل المثال ان لهجة صغداق ولهجة كنجاك ولهجة ارغو غير سليمة نظراً لوجود المرونة فيها. وان سكان ختن وتبت وقسم من سكان تنكت مختلطون مع الاجانب علما بان هذه الاقوام قد دخلت تحت الحكم التركي فيما بعد . وان لغة اهالي جقارقا لم تدرس بصورة جيدة لانهم كانوا يسكنون في مناطق بعيدة اذ ان مدينة جقارقا من المدن الشرقية البعيدة. وللاقوام الصينية وجنوب

شرقي اسيا لغة خاصة بهم ،ومع هذا فان سكان المدن يجيدون اللغة التركية اجادة تامة ، ويكتبون كتاباتهم بالابجدية التركية. ولغة اقوام ياجوج وماجوج مجهولة وتوجد للتبتيين والختن لغة وكتابة خاصة بهم وكلا القومين لايتكلمان التركية بصورة سليمة. ولهجة اويغور هي تركية اصيلة وبالرغم من هذا فان لديهم لهجات محلية خاصة بهم. ولسكان الجومل الرحالة لهجة محلية خاصة بهم ومع هذا فانهم يعرفون ويفهمون اللغة التركية. ولقبائل قايي ،يباقو، تتار وباسمل لهجة خاصة يتفاهمون بها. ولاقوام قرغز وقبجاق والغز وتيخي وياغما وجيكل واغراق وجاروق لهجة تركية اصيلة يتكلمون بها وان لهجة يماك و باشقرت قريبة الى لهجات الاقوام الانفة الذكر. وان لهجات الاقوام بجنك وبلغار وصووار القاطنين قرب بلاد الروم باكملها هي تركية اصيلة .وان سكان مدينة بلاساعون في ذلك العصر اي (القرن الحادي عشر) كانوا يتكلمون اللهجة التركية واللهجة الصغدية معاً. واللهجتان المذكورتان كانتا منتشرتين بين اهالي مدينة البيضاء وطراز ايضا. ولسكان مدينة ارغو الممتدة من مدينة اسبيجان (جمكند) حتى مدينة بلاساغون يتكلمون بلهجة تركية لينة اى انهم يرققون الكلمات ذات التلفظ المفخم. وان سكان مدينة كاشغر الاصليون يتكلمون باللهجة الخاقانية ويتكلم اهالي احد احيائها بلهجة كنجاك واما التصنيف الثاني للكاشغري كالاتي:

١ ــ ان ابسط اللهجات التركية واسهلها هي لهجة الغز.

٢ ــ اما اللهجة السائدة بين الاقوام الساكنة على امتداد احواض الانهار ايرتيش ويمار واتيل حتى بلاد اويغور هي تركية اصيلة باكملها.

٣ ــ اما اللهجة التي تتداولها اقوام تيخسي والبغما فهي تركية سليمة.

٤ ــ بالرغم من تعدد اللهجات التركية فان اللهجة الخاقانية سادت بين الاقوام التركية كلهجة ادبية.

كما اننا نجد المعلومات التالية في ديوان لغات الترك حول القبائل التركية في القرن الحادي عشر:

١ ــ في الشرق ومنغوليا ومن الشمال الى الجنوب تنتشر الاقوام التالية : قرغز ، يباقو ، قايي، ياغما وجيكيل.

٢ ــ في المركز : اويغور، جومل، جاروق تيخسي، اغراق ارغو وقادلوق.

٣ — في الغرب: باشقرت ،يماك، اوغوز (تركمن، سلجوق، غزنوى وافشار)

٤ — في اقصى الغرب: قبجاق،قومق، خزر، صووار، بلغار وبجنك .

وان اللهجات الخاقانية والجغتائية والخوارزمية قد اصبحت لغة كتابة في الشرق اعتباراً من القرن الحادي عشر. وهذه اللهجات هي امتداد للغة التركية القديمة واللهجة الجغتائية قد تركت محلها الى اللهجة الاوزبكية في اواخر القرن التاسع عشر وهي مازالت مستمرة الى يومنا هذا (٢٢) .

تصنيف رادلوف :

عند تصنيف اللهجات التركية استند رادلوف الى خصائص الاصوات وأدرجها اولا على شكل مجموعات ثم صنف هذه المجموعات حسب لهجاتها.وقد دقق المؤلف الاقسام المهمة من اللهجات التركية الا أنه جمع الخصائص المهمة حسب رأيه ودونها في كتابه. ولاجل أخذ فكرة كافية عن الاصوات في مختلف اللهجات يجب تدقيق اثاره بعناية تامة .

١ — اللهجات الشرقية : Dogu Siveleri

توجد في هذه اللهجات ثمانية حروف صوتية لها نفس الخصائص كما هي في اللغة التركية في تركيا (a,ei,i,o,o,u,u) وبالنسبة الى مخارجها تنقسم هذه الاصوات الى مايلي :

١ — حروف صوتية ثقيلة.	a, i, o, u,
٢ — حروف صوتية خفيفة.	e, i, o, u,
٣ — حروف صوتية منطحة.	a, e, i, i,
٤ — حروف صوتية مستديرة	o, o, u, u,
٥ — حروف صوتية واسعة.	a, e, o, o,
٦ — حروف صوتية ضيقة.	i i, u, u,

تأتي الحروف الصامته الصلبة في بداية ونهاية الكلمات فقط . والحروف الصامتة اللينة الانفجارية في الوسط مابين الحروف الصوتية يستعمل حرف الغين بدلا من حرف القاف ويستعمل حرف الدال بدلا من حرف التاء ويستعمل حرف الباء بدلا من حرف الباء ويستعمل حرف الزاي بدلا من حرف الشين. وحرف الجيم (الجيم الاعجمية) لايلين لانه يلفظ

كاتصال حرفي التاء والسين. تلين الحروف الصامتة الصلبة في الكلمة اذا اضيفت اليها لاحقة تبدأ بحرف صوتي ، ومن الممكن ورود حرفين صامتين خشنين في وسط الكلمة بالرغم من كونها حرفين صامتين. ويتحول حرف الباء الى حرف الميم عندما تكون نهاية المقطع حرف النون والميم والنون الكاف (نك). وتحوي هذه اللهجات حرف اللام بنوعيه المضخم والرقيق .

١ ــ لهجات الألطاي الاصلية : Asil Altay Siveleri

تحوي هذه اللهجات الحروف الصوتية الواسعة المستديرة في جميع مقاطع كلماتها ويأتي حرف (o) و (o) بعد (o) وهكذا. فان اللواحق ذات الحروف الصوتية الواسعة تكون على اربعة اشكال (a,e o,o) ومن تداخل الاصوات يبرز حرف الياء فقط . ومن الحروف الصوتية الطويلة (a, e, i) تلفظ كحرفين صوتيين توأمين. لايوجد الحرف الصوتي المسطح الضيق الثقيل الطويل (ı) بل يستعمل محله الحرف الصوتي الخفيف المسطح (i) . وان حرف الجيم يحتفظ بشكله اذا وقع بين حرفين صوتيين اي انه لايلين ومن الحروف الحلقية تأتي الغين فقط مابين حرفين صوتيين. وان الحروف اللهية القاف والكاف ومن الحروف الشفوية الباء ومن الحروف النطعية التاء ومن الحروف الاسلية السين اذا احتفظت هذه الحروف بصلابتها عند وقوعها بين حرفين صوتيين فيأتي الواحد بعد الاخر مباشرة اي تلفظ مشدداً. لايوجد الحرف الحلقي الصلب الخاء في هذه اللهجات.

(أ) لهجة الطاي : Altay Sivesi

يأتي الحرف الصوتي (o) دائما بعد الحرف الصوتي (u) لان التوافق الصوتي الشفوي في هذه اللهجة قوي . ويوجد في بداية الكلمات حرف نصف صوتي هو الياء فان الحرفين الصامتين القاف والباء يكونان في الوسط معكوسين هكذا (الباء والقاف) .

(ب) لهجة تلة اوت : Teleut Sivesi

ان التوافق الصوتي الشفوي فيها غير قوي ولذلك فان الحرف الصوتي (u) يأتي دائما بعد الحرف الصوتي (u) . ويوجد في بداية الكلمات الدال والياء بدلا من الياء .

٢ ــ لهجة بارابا: Baraba Sivesi

ان توافق الحروف الصوتية الشفوية فيها ضعيف بالنسبة الى لهجة الطاي . يأتي الحرف الصوتي (o) في المقطع الاول من الكلمة فقط . ان تأثير الحروف الصوتية (o,u) ·

متباين . ويمكن ان نصادف تداخل الاصوات في هذه اللهجة . وعند ادغام الحرف الصوتي الخفيف في المقطع الاخير من الكلمة مع الحروف الشجرية يكون دائما (u,u) كما هو الحال في لهجة الطاي . ووضعية الحروف الصامتة في البداية والوسط والنهاية هي مثل لهجة الطاي ، ماعدا الحرف الصامت اللين الزاي الذي يأتي في نهاية الكلمة فقط . ومن اهم خصائص هذه اللهجة انها تحافظ على حرفي النون واللام في بداية اللواحق حتى اذا اضيفتا الى الكلمات المنتهية بحروف صامتة صلبة ومن هذه الناحية فانها تتميز وتحتل محلا اخر بين اللهجات الشرقية .

٣ ـ لهجات الالطاي الشمالية : Kuzey Altay Siveleri

ان توافق الحروف الصوتية الشفوية فيها يشبه لهجة بارابا . ويأتي الحرف الصوتي(o) في المقطع الاول من الكلمة فقط .

ويتباين تأثير الحروف الصوتية (o,u) . ويأتي الحرف الحلقي الغين في نهاية الكلمة . ويوجد الحرفان الصامتان احداهما صلب الجيم والاخر لين الجيم بشكليهما في هذه اللهجة ويتبادل الحرف الخشومي (نك) في الوسط اكثر الاحيان مع الحرف الحلقي الغين . فان الحرفين الصامتين اللينين اللام والنون يتغيران بعد الحروف الصامتة الصلبة الى حرف التاء وبعد الحرف الخشومي (نك) الى الدال ، وبعد الحرف الخشومي (نك) والحرف الشفوي الميم يتغير الى حرف النون . واما بعد الحروف الصامتة اللينة اللام والراء والكاف فانهما لاتتغير .

أ ـ لهجة لبد Lebed Sivesi

يأتي الحرف الشجري الصامت الصلب واللين بشكليها في هذه اللهجة في بداية الكلمة ونهايتها وبعد الحروف الصامتة الصلبة يكون صلبا (الجيم) واما في الوسط او بين الحرفين الصوتيين او بعد الحروف الصامتة اللينة يكون لينا (الجيم) . يأتي حرف الياء في بداية الكلمة كما هو في لهجة الطاي ويتغير حرف الياء هذا الى حرف خشومي (نك) اذا ورد بعد الحروف الصوتية احد هذه الحروف : الحرف الشفوي الميم ، والحرف الخشومي (نك) والحرف الذلقي النون .

(ب) لهجة شور Sor Sivesi

يأتي الحرف الشجري الشين دائما في بداية الكلمة بدلا من الحرف الشجري الجيم ،

والحرف الصامت اللين الجيم في الوسط كما هو في لهجة لبد . ويستعمل الحرف الشجري الصامت الصلب الجيم بدلا من حرف الياء ويستعمل الحرف الاسلي السين في الوسط بدلا من حرف الياء الموجود في لهجة الطاي في نهاية المقطع الاول من الكلمة . والحرف الاسلي الزاي اذا ورد بعد الحروف الصوتية .

٤ ـ لهجة اباقان Abakan Sivesi

ان توافق الحروف الصوتية الشفوية ضعيفة في هذه اللهجة . يأتي الحرف الصوتي (o) في المقطع الاول من الكلمة فقط ، والحرف الصوتي (o) في المقطعين الاوليين فقط . ومن مميزات هذه اللهجة وجود الحرف الصوتي المسطح الثقيل الضيق (آ) والمعروف ان هذا الصوت غير موجود في بقية اللهجات. ويأتي الحرف الصامت اللين الكاف (الجيم المصرية) في الوسط والنهاية قبل الحروف الصامتة اللينة . ويستعمل حرف النون في بداية الكلمة بدلا من حرف الياء كما هو الحال في لهجة شور . وفي بعض الكلمات يستعمل حرف الزاي في البداية والوسط بدلا من حرف السين كما هو الحال في لهجة شور .

(أ) لهجة صغاي Sagay Sivesi

يأتي الحرف الصامت الجيم بدلا من حرف الياء الموجود في بداية الكلمات الالطائية كما هو الحال في لهجة شور ويستعمل حرف السين بدلا من حرف الجيم والشين في بداية الكلمة ، وحرف الزاي بدلا من حرف الزاي الموجودة في لهجة الطاي في الوسط وبين الحروف الصوتية . ويستعمل حرف الجيم بدلا من حرف الجيم .

(ب) لهجة قويبال Koybal Sivesi

يستعمل حرف التاء والياء (ty) بدلا من حرف الياء في بداية الكلمة الواردة في لهجة الطاي . وان حرف الياء الوارد في بداية الكلمة يتحول الى حرف النون عند ورود حرفي النون والنون الكاف (نك) بعد حرف الصوتي الاول ويتحول الى حرف الميم عند ورود حرف الميم بعد الحرف الصوتي الاول.

(ج) لهجة قاجا Kaca Sivesi

ان جميع الاصوات الموجودة في بداية الكلمات ونهايتها تكون مثل مايرد في لهجة قويبال .

(د) لهجة يوس وقزيل Yusve Kizil siveleri

ان وضع الحروف الصوتية فيها شبيه بما في لهجة الطاي الشمالية . ويرد حرف الياء دائما في الوسط مثلما كان في لهجة الطاي . ويستعمل حرف الزاي في الوسط ، وحرف السين بدلا من حرف الشين والسين الموجودة في نهاية الكلمة .

(ه) لهجة كوئريك (جولم) Kuerik (colin) Sivesi

ان الحروف الصوتية وتوافقها قريبة الى لهجة الطاي . ويشكل تداخل الاصوات من اهم مميزات هذه اللهجة فيستعمل (ue) بدلا من (ua, o, u) والحرف الصامت الصلب (الجيم) واللين الجيم في بداية الكلمة ونهايتها يكونان في جانب الحروف الصلبة (Ts) ، في الوسط و (dz) بين الحروف الصوتية وقبل الحروف الصامتة اللينة . ويوجد حرف اللين الكاف في الوسط والنهاية وامام الحروف الصامتة اللينة ، ويستعمل حرف الزاي في وسط بعض الكلمات بدلا من الحرف الياء . وحرفا اللام والنون الموجودان في بداية اللواحق الشائعة فانها ينقلبان إلى حرف التاء بعد الحروف الصامتة الصلبة وإلى حرف الدال بعد الحروف الصامتة اللينة وينقلب حرف اللام إلى حرف النون اذا ورد بعد الحروف الخشومية .

(و) لهجة صويون Soyun Sivesi

ان وضع الحروف الصوتية وتوافقها مطابق مع لهجة الطاي ، وتضم بين حروفها الحرف الصوتي (آ) الطويلة ، وفي كثير من الأحيان يظهر الحرف الصوتي الخفيف (i) على شكل (ا) الثقيلة . ونصادف في بداية الكلمات الحروف اللهوية مثل الكاف والقاف والحرف الحلقي الخاء . وان الحرف الاسلي السين يقابل الحرف السين في لهجة الطاي . ويستعمل في الوسط حرف الزاي بدلا من الحرفين الشجريين الشين والجيم . ويأتي حرفا التاء والدال في نهاية المقطع الاول من الكلمة بدلا من الياء الموجودة في لهجة الطاي . وحرف السين الموجود في لهجة اباقان وهذا يشكل من اهم المميزات لهذه اللهجة .

(ه) لهجة قراغاص Karagas sivesi

ان وضع الحروف الصوتية . وحرفي الدال والتاء الموجودين في نهاية جذور الكلمات مشابه بلهجة صويون . ومن اهم خصائص هذه اللهجة هو استعمال الحرف الحلقي الهاء بدلا من حرف الغين والقاف ويستعمل حرف الفاء في وسط الكلمة بدلا من الباء . ويأتي حرفا السين والشين وبين الحروف الصوتية .

(ى) لهجة اويغور Uygur Sivesi

ان وضع الحروف الصوتية غير معروف في هذه اللهجة ويقترب توافق الحروف الشفوية من لهجة صويون . وتوجد فيها الحروف الصامتة الصلبة واللينة كما هو الحال في لهجة صويون ولهجة الطاي. ويمكن ان نصادف حرفي التاء والدال في بعض نهاية جذور الكلمات . وان حرفي اللام والنون الموجودين في بداية اللواحق الشائعة لا يتغيران في نهاية الجذور المنتهية بحروف صامتة .

(م) اللهجات الغربية Bati Siveleri

يوجد فيها الحرفان الصوتيان المسطحان الضيقان بشكليهما الخفيف والثقيل (i,i) . وتوجد الحروف اللهوية الكاف والقاف وعلى الاغلب الحرف النعطي التاء ونادراً ما يأتي الحرف الصامت اللين الدال في بداية الكلمة . ويغلب استعمال الحرف الشفوي اللين الباء في بداية الكلمات ونادراً ما يستعمل الحرف الانفجاري الصلب الباء . وتأتي الحروف الصامتة الصلبة في نهاية الكلمات فقط . وتلين الحروف الصلبة دائماً في الوسط ، ويحافظ حرف التاء صلابته ايضاً في الوسط . ويمكن ان تأتي الحروف الشين والزاي والسين في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها .

(ا) لهجة قرغز Kirgiz Sivesi

توجد في هذه اللهجة ثمانية حروف صوتية كما هي الحال في اللهجات الشرقية . وان توافق الحروف الصوتية منتظمة ، ويمكن ان يأتي الحرف (o) في جميع المقاطع . ويأتي الحرف الصوتي (o,u) بعد الحرف الصوتي (u) ، والحرف الصوتي (u,o) بعد الحرف الصوتي (o) . ويأتي دائماً الحرف الصوتي (u) بعد الحرفين الصوتيين (u,o) ومن الحروف الصامتة اللينة النون واللام ينقلبان إلى حرف التاء وينقلبان إلى حرف الدال بعد الحروف الصامتة اللينة . ويمكن ان يأتي الحرفان الصامتان اللينان الزاي والزاي فقط في نهاية الكلمات .

١ — لهجة قرا قرغز Kara–Kirgiz Sivesi

يمكن ان يأتي حرف (o) في جميع المقاطع . يتخذ حرف الكاف مع الحرفين الصوتيين المستديرين الواسعين (o,o) بشكل (u,u) . ولايوجد التوافق الصوتي بين الحروف الصوتية الناتجة من هذا الاتحاد . ويأتي حرف الياء في بداية الكلمة . وكذلك الحرف الصامت اللين الجيم ونظيرها الجيم في هذه اللهجة .

٢ — لهجة قازاق — قرغز   Kazak–Kirgiz Sivesi

يمكن ان يأتي الحرف الصوتي المستدير الواسع (o) في المقطع الاول من الكلمة فقط وينقلب حرف الشين الموجود في لهجة قرا — قرغز الى السين وحرف الجيم الى الشين في هذه اللهجة . ويأتي ويأتي حرف الجيم في بداية الكلمة بدلا من الياء .

٣ — لهجة قرا — قالباق   Kara–Kalpak Sivesi

ان هذه اللهجة لم تبحث تماما لحد الان .

(ب) لهجات ايرتيش   İrtis Sivesi

ان لهجات ايرتيش من حيث الحروف الصوتية تشبه وضع لهجات الطاى الشمالية وتختلف عنها في التوافق الصوتي .ويأتي الحرف الصوتي (o) في المقطع الاول من الكلمة فقط .ويمكن ان نصادف تبادل الحروف الصوتية في الجذور (e>i u,o>u>o i>i)

وان وضع حرف الياء في بداية الكلمة يشبه وضعها في لهجة الطاى . وفي كثير من الاحيان يكون حرف الجيم الموجود في لهجة الطاى (ts) في لهجة ايرتيش ويحافظ على صلابته بين الحروف الصوتية . ويمكن ان يوجد في نهاية الكلمات الحرفان السين والشين فقط . ونصادف الحروف الصامتة الجيم والهاء والخاء في الكلمات الدخيلة فقط .

١ — لهجة طورالي   Turcli Sivesi

ان وضع الحروف الصوتية فيها يشبه الحروف الصوتية الموجودة في لهجة بارابسا . وقد اكتمل تبادل الحروف الصوتية في هذه اللهجة (o>u, e>i) ويكون حرف الجيم في جميع الاماكن بشكل (ts) .

٢ — لهجة كرداق   Kurdak Siv6si

وهي تشبه لهجة طورالي من حيث الحروف الصوتية .

ويحتفظ على الاغلب حرف الجيم مكانه بين الحروف الصوتية اي انه لايلين . ويأتي في الوسط حرفان صامتان هما اللام والغين .

٣ — لهجة طوبل وتومن   Tobol ve Tumen Siveleri

وهي تشبه تقريبا لهجة التتار من حيث وضع الحروف الصوتية . وقد تكامل تبادل الحرف الصوتي (o>u) . وقد ترسخ تماما تبادل الحرف الصامت الجيم الى تس (ts) في هذه اللهجة .

(ج) لهجة باشقرت Baskirat Sivesi

وفيها وصلت التغيرات التي حدثت في الحروف الواردة في جذور الكلمة الى مرحلتها النهائية . ويمكن ان تضم اللواحق الحروف (a, e, I, iu.u) . وان الحرف (e) الموجود في جذر الكلمة من اللهجة الشرقية قد يظهر بشكل (i, e) واما الحرف (i) فيظهر بشكل (i). وان حرف الجيم ينقلب الى السين في جميع الاحوال .

١ — لهجة باشقرت السهوبية Ova Bsklrt Sivesi

ويستعمل فيها حرف الزاي بدلا من السين الموجودة في بداية الكلمة .

٢ — لهجة باشقرت الجبلية Dag Baskirt Sivesi

ويستعمل فيها حرف الهاء بدلا من السين الموجودة في بداية الكلمة .

(د) لهجات فولغا او اللهجات الروسية الشرقية Volga Veya Rusya Sivesi

وفيها وصلت التغيرات التي حدثت على الحروف (e>i o>u,u>u,o>u, u>u i>i) الواردة في جذر الكلمة الى مرحلتها النهائية ويظهر التوافق الصوتي الشفوي في الحروف u,u فقط . ويمكن ان يأتي الحرفان الصوتيان الواسعان (a'e) بعد هذه الحروف فقط . وينقلب حرف اللام بعد الحرفين الميم والنون في اكثر الاحيان الى النون واذا وجدت اللام في بداية اللواحق الشائعة فانها لاتتغير .

١ — لهجة ميشر Miser Sivesi

تلفظ الحروف الصوتية الموجودة في جذر الكلمة بشكل بارز . ويبقى حرف الياء اذا ورد في بداية الكلمة ثابتا ، وينقلب الى تس (ts) اذا ورد قبل الحرف الصوتي (i) ويستعمل حرف التس (ts) بدلا من حرف الجيم ، ويستعمل في الوسط الحرف الصامت اللين الكاف بدلا من الحرف الحلقي الغين .

٢ — لهجة قاما Kama Sivesi

يلفظ حرف الياء الموجود في بداية الكلمة ، اذا ورد قبل الحرف الصوتي الواسع . ويلفظ الجيم اذا ورد قبل الحرف الصوتي الضيق .

٣ — لهجة سمبر Simbir Sivesi

ان وضع حرف الباء الموجود في بداية الكلمة يشبه وضعه في لهجة قاما .

٤ – لهجة قزان   Kazan Sivesi

وفيها ينقلب حرف الياء الموجود في بداية الكلمة على الاكثر الى حرف الجيم . ويلفظ حرف الجيم الموجود في نهاية الكلمة على الجيم والشين .

٥ – لهجة بلبى   Belebey Sivesi

ينقلب حرف الباء الوارد في بداية الكلمة الى حرف الزاي اذا ورد قبل الحرف الصوتي الواسع والى الزاى اذا اتى قبل الحرف الصوتي الضيق .

٦ – لهجة قاسم   Kasim Siveti

ومن اهم خصائص هذه اللهجة هو سقوط حرف الكاف والغين والقاف في بداية الكلمة ووسطها ويستعمل محلها حرف العين. وان هذه اللهجة لم تستوف الدراسة والبحث .

٣ – لهجات اسيا الوسطى.   Orta Asya siveler

ان وضع الحروف الصوتية في هذه اللهجة مثل وضعها في لهجات الشرق . حيث يأتي الحرفان الصوتيان المستديران الواسعان(ö و o)في المقطع الاول من الكلمة فقط .وان وضع الحروف الصامتة قريب الى الحروف الصامتة الموجودة في لهجات الغرب، ونصادف حرفي الكاف والغين في هذه اللهجة بكثره والحروف الصامتة الصلبة القاف والكاف والباء والتاء عندما تأتي في نهاية جذور الفعل او اذا وردت بين الحروف الصوتية فانها لاتلين وان حرف الجيم يحافظ على شكله في جميع الحالات.

(أ) لهجة طرانجي   Taransi Sivesi

ان الحرف الصوتي الخفيف المسطح (i) يؤثر في الحرف (C) الذي يأتي قبله ويقلبه الى (e) . والحرف (i) الموجود في النهاية يلفظ طويلا . وقاعدة التوافق الصوتي غير منتظمة في هذه اللهجة وان الحرف الصامت اللين الراء منخم دائماً . واذا ورد حرف اللام في بداية اللاحقة فان حرف النون الموجود في نهاية الكلمة ينقلب الى اللام . ويسقط الحرفان الهاء والراء في أكثر الاحيان اذا وردا بعد الحروف الصوتية .

(ب) لهجة حامي   Hime Sivesi

انها لم تبحث بصورة جيدة لحد الآن .

(ج) لهجة اقصو   Aksu sivesi

(د) لهجة قاشغر — Kagar Sivesi

ان هاتين اللهجتين لم تبحثا بصورة جيدة لحد الان .

(هـ) لهجة جغتاي — Gagatay Sivesi

وهي ايضاً لم تبحث لحد الآن وهي تتفرع إلى عدة فروع : —

١ — لهجة صارت الشمالية — Kuzey Sart Sivesi

٢ — لهجة قوقاند — Kokand Sviesi

٣ — لهجة زرفشان السهوبية . — Zarefsau Ovasi Sivesi

٤ — لهجة بخارا — Buhara Sivesi

٥ — لهجة خيوه — Hive Sivesi

٤ — اللهجات الجنوبية : **Guney Siveleri**

توجد في هذه اللهجة ثمانية حروف صوتية . يأتي الحرفان الصوتيان (ة وه) في المقطع الاول من الكلمة فقط . والكلمات الدخيلة لاتخضع لقاعدة التوافق الصوتي . وتستعمل الحروف الباء والدال والكاف في بداية الكلمة ، ويستعمل حرف الباء والدال في نهاية الكلمة علاوة على حرف الكاف والزاي والغين . ويستعمل حرف الواو في بعض الاحيان بدلا من حرف الباء في بداية الكلمة ، وينقلب حرف الجيم الى الجيم في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها .

(ا) لهجة التركمان — Turkmen Sivesi

انها لم تبحث لحد الان .

(ب) لهجة اذربيجان . — Azerbaycan Sivesi

يوجد في هذه اللهجة التداخل الصوتي (eu) . يستعمل الحرف الصامت اللين الكاف في بداية الكلمة وامام الحروف الصوتية الواسعة وفي بعض الاحيان نصادف حرف الكاف أمام هذه الحروف الصوتية . يستعمل حرف الخاء ونادراً حرف الغين في نهاية الكلمة وبعد الحروف الصوتية . ويأتي حرف الخاء بدلا من حرفي الكاف والقاف في الوسط اذا ورد قبل الحروف الجيم والشين والسين والتاء . ونصادف بكثرة تشابه الحروف في هذه اللهجة

(ج) لهجة قفقاسيا — Kafkasya Sivesi

(د) لهجة الاناضول — Anadolu Sivesi

١ — لهجة خداونديكار Hudavendigar Sivesi

٢ — لهجة قارامان Karaman Sivesi

ان هذه اللهجات لم تبحث بصورة جيدة لحد الان .

(هـ) لهجة قرم (بالنسبة إلى التلفظ القرايمي) Kivim Sivesi

ان الحرف الصامت اللين (الواو) يظهر على شكل نصف حرف صوتي u . ويستعمل حرف القاف في بداية الكلمة وامام الحروف الصوتية الثقيلة الكاف ونادراً الكاف امام الحروف الصوتية الخفيفة ويمكن ان يأتي حرف الدال والتاء في بداية الكلمة الا ان حرف الدال يستعمل بكثرة . وان حرف الكاف في بعض الاحيان ينقلب الى حرف الياء في الوسط .

و— اللهجة العثمانية . Osmanli Sivesi

تأتي حروف الكاف والغين والخاء والكاف في نهاية الكلمة . يستعمل حرف الكاف دائماً بعد الحروف الصوتية الخفيفة ، ويستعمل حرف الدال في بداية الكلمة اكثر من حرف التاء وينقلب حرف الكاف في الوسط وبين الحروف الصوتية الخفيفة الى حرف الياء

تضيف كورش :

استند كورش في تصنيف اللهجات التركية إلى اساسين هما : —

(آ) صفاتها الصوتية وهي وضع حرف الغين في اللهجات التركية .

(ب) تكوين صيغة الفعل الحالي في اللهجات التركية ، وعلى هذا الاساس قسم كورش اللهجات التركية إلى اربع مجموعات : —

١ — المجموعة الشمالية : Kuzey Grubu

خصائص هذه المجموعة هي : —

(آ) يتغير حرف الغين في نهاية المقطع إلى حرف الواو . طاغ — طاو (داغ)

(ب) تعبر صيغة الفعل الحالي بواسطة الرابطة الفعلية (a) (يتحد هذا الشكل في بعض الأحيان مع الأفعال المساعدة) . Kele – turur – men "geliyorum"

وتدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التالية

١ — لهجات قرغز : — آ — قرا — قرغز . ب — قزان — قرغز . ج — قـرا —

قالباق . ٢ — لهجات ايرتيش : — آ — طورا . ب — كرداق ، طوبل وتومن .
٣ — لهجة باشترت . ٤ — لهجة اقليم فولغا .

٢ — المجموعة الشرقية : Dogu Grubu

ومن مميزات هذه المجموعة :

(آ) انها تحافظ على حرف الغين في جميع الاحوال . طاغ «داغ» .

(ب) وتعبر عن الصيغة الحالية بواسطة اللاحقة (r —) وهي لاحقة الصفة الفعلية . Kelurmen "geliyorum"

ومن اللهجات التي تتضمن هذه المجموعة :

١ — من اللهجات القديمة : —

(آ) نقوش اورخون (يه نى سى) .

(ب) اويغور .

(ج) جغتاي .

(د) قومان .

٢ — ومن اللهجات الحديثة :

(آ) قراغاص .

(ب) لهجات قويبال ، صغاي ، وصلار .

٣ — المجموعة الغربية : Bati Grubu

ومن مميزات هذه المجموعة :

(آ) سقوط حرف الغين بعد الحروف الصامتة : قالغان — قالان .

(ب) وتعبر عن الصيغة الحالية بواسطة اللاحقة (r—) وهي لاحقة الصفة الفعلية كما هي الحال في المجموعة الشرقية .

وتدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التالية : —

١ — تركمن .

٢ — اذربيجان .

٣ — قفقاسيا .

٤ — انا دولو .

٥ — قرم (قرايبم) .
٦ — العثمانية .

٤ — المجموعة المختلطة: Karisik Grubu

تنقسم هذه المجموعة التي تحتل محلا وسطا بين المجموعة الشرقية والشمالية إلى قسمين :

(آ) القسم الاول : —

١ — طرانجي .

٢ — حامي .

٣ — قاشغر .

٤ — اقصو .

٥ — جغتاي .

(ب) القسم الثاني : —

٢ — لهجة ياتوت .

تضيف نيمث:

يذكر العالم المجري (نيمث) اثناء توضيحه لموقع اللغة التركية بين لغات العالم ان جميع اللهجات التركية تشكل عائلة واحدة .

يمكن تقسيمها الى مجموعتن :

١ — مجموعة السيل S-Grubu

وهي اللهجات التي تستعمل حرف السين في بداية الكلمة بـدلا من حرف الياء الموجودة في باقي اللهجات : أ — ياقوت ب. — جوواش ، وفي هـذه اللهجة يتغير حرف اللام الى حرف الشين .

٢ — مجموعة الياء Grubu

وهي اللهجات التي تحافظ على تلفظ حرف الياء وتتضمن هذه المجموعة جميع اللهجـات الحية علاوة على اللهجات القديمة : كوكتورك ، اويغوروقومـان .

تصنيف صاموفيج :

اتخذ صامويلوفيج تصنيف رادلوف اساساً وتصنيف كورش مساعدا له في بحثه . وقد اضاف شيئا جديدا بعد ان وحد كلا التصنيفين وبذلك احدث تصنيفاً جديدا للهجات التركية .

صنف صامويلوفيج اللهجات التركية بالنسبة لمميزاتها الصوتية في ست مجموعات وهذه الاصوات هي ، اول وبول ، وتبادل الراء مع الزاي والـدال مع الياء ، وجود حرف الغين في بداية اللواحق ونهاية الكلمات المتكونة من مقطع واحد او اكثر .

١ — مجموعة الراء (بلغار) RGrubu (Bulgar)

ومن مميزات هذه المجموعة :

(أ) يتبدل حرف الراء الى حرف الزاي r<z

طقوز — طنحار .

(ب) يتبدل حرف الدال الى حرف الزاي والى الراء r<z<d

اداق ـ ازاق ـ اورا

(ج) تتبدل الكلمة بول — الى الكلمة اول —

(د) يتبدل حرف الغين في نهاية الكلمة الى حرف الواو في V<-g

لماغ — طاو

تدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التالية .

(أ) من اللهجات القديمة : بلغار

١ — البلغاريين الفولغا

٢ — البلغاريل التونا

(ب) ومن اللهجات الحديثة : جوواش

٢ — مجموعة الدال D-Grhbu

ومن مميزات هذه المجموعة :

(أ) الزاي : طقوز .

(ب) الدال : اداق .

(جـ) بول .

(د) حرف الغين الموجود في نهاية كلمة : طاغ .

(هـ) حرف الغين الموجود في نهاية اللاحقة : طاغلغ .

(و) حرف الغين الموجود في نهاية المقطع الثاني من الكلمة : قالغان .

تنقسم هذه المجموعة الى ثلاثـــة اقسام بالنسبة الى التغيرات التي تطرأ على حرف الدال الذي يتغير الى التاء والى الزاي .

(أ) فرع الدال : من اللهجات القديمة :

١ — اورخون .

٢ — اويغور .

ومن اللهجات الحديثة :

١ — صويون (صويد او اورانخاي) .

٢ — قراغاص .

٣ — صلار .

(ب) فرع الزاي :

١ — صاريغ اويغور .

٢ — قماسين .

٣ — قويبال .

٤ — صغاي .

٥ — قاجا .

٦ — بلتر .

٧ — شور

٨ — قزل .

٩ — كوئريلك .

(جـ) فرع التاء : ياقوت

٣ — مجموعة الطاو Tav—Grubu

ومن مميزات هذه المجموعة : —

(أ) الزاي : طقوز .

(ب) يتغير حرف الياء الى حرف الدال : اياق — اداق

(ج) بـول .

(ء) يتبدل حرف الغين الى حرف الواو : طاغ — طاو .

(ﻫ) يأتي حرف الغين في نهاية اللاحقة : طاغلغ — طاولي .

(و) وجود حرف الغين في بداية المقطع الثاني من الكلمة : قالغان .

وتدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التالية : —

(أ) من اللهجات القديمة : قيجاق

(ب) ومن اللهجات الحديثة :

١ — الطاي .

٢ — تله ئوت .

٣ — قوماندي .

٤ — قرغز .

٥ — قومىق .

٦ — قراجاي .

٧ — بلغار .

٨ — طوبل .

٩ — بارابا .

١٠ — لهجات روسيا الداخلية .

١١ — ميشر .

١٢ — باشقرت

١٣ — قرم (ماعدا الساحل الجنوبي) .

١٤ — قراييم .

١٥ — نوغاي .

١٦ — قزاق .

ان اللهجات العائدة الى هذه المجموعة يمكن تصنيفها بالنسبة الى التقارب الموجود بينهما الى :

١ — اللهجات قبل العهد المغولي :

(أ)

١ — الطاي .

٢ — تله ئوت

٣ — قرغز .

(ب)

١ — قومق .

٢ — قراجاي .

٣ — بلقار .

٤ — قراييم .

٥ — تتار .

٢ — اللهجات بعد العهد المغولي :

(أ) قزاق

(ب) نوغاى

٤ — مجموعة طاغلغ Taglig–Grubu

ومن مميزات هذه المجموعة

(أ) حرف الزاي : طقوز .

(ب) يتبدل حرف الياء الى حرف الدال اياق — اداق

(ج) وجود كلمة بول .

(د) ورود حرف الغين في نهاية الكلمة طاغ .

(هـ) يتغير حرف القاف الى الغين : طاغلق — طاغلغ .

(و) بقاء حرف الغين في بداية المقطع الثاني من كلمة : قالغان . وتدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التاليـة :

(أ) من اللهجات القديمة : جغتاي

(ب) ومن اللهجات الحديثة :

١ — لهجات تركستان الشرقية (ماعدا لهجة صلار وصارى اويغور) .

٢ — لهجات تركستان الغربية (ماعدا لهجة هيوة وصارت) .

٣ — اوزبك (فرغانة ، طاشقند ، سمرقند ، بخارا) .

٥ — مجموعة طاغلي Tagli–Grubu

مميزات هذه المجموعة :

(أ) ورود حرف الزاي : طقوز .

(ب) يتغير حرف الياء الى حرف الدال . اياق — اداق .

(ج) وجود كلمة بول .

(د) ثبوت حرف الغين في نهاية كلمة : طاغ .

(هـ) ورود حرف الغين في نهاية اللاحقة : طاغلي — طاغلغ .

(و) بقاء حرف الغين في بداية المقطع الثاني من كلمة قالغان .

وتدخل ضمن هذه المجموعة اللهجات التالية :

(أ) ولاية طومسق :

١ — جولم .

٢ — آبين .

٣ — جرندَوو .

(ب) اللهجات المختلطة مع مميزات اللهجة الغربية :

١ — اوزبك (هيوه) .

٢ — صارت (هيوه)

٦ — مجموعة اول OL-Grubu

ومن مميزات هذه المجموعة :

(أ) ثبوت حرف الزاي : طقوز .

(ب) يتغير حرف الياء الى حرف الدال : اياق — اداق .

(ج) وجود كلمة بول .

(د) بقاء حرف الغين في نهاية كلمة : طاغ .

(هـ) ورود حرف الغين في نهاية اللاحقة : طاغلى — طاغلغ .

(و) ورود حرف الغين في بداية المقطع الثاني من كلمة قالغان .

وتدخل ضمن هذه المجموعة لهجات :

١ — اهالي جمهورية هيوه .
٢ — اهالي جمهورية بخارا .
٣ — تركستان الافغانية .
٤ — جمهورية تركستان .
٥ — اذربيجان الايرانية .
٦ — جمهورية اذربيجان .
٧ — جمهورية ارمنستان .
٨ — جمهورية كورجستان .
٩ — انادولو .
١٠ — التركمان الموجودين في شمالي سوريا .
١١ — استانبول وجواره .
١٢ — شبه جزيرة بلقان .
١٣ — بسرابيا .
١٤ — قرم (الساحل الجنوبي) .
١٥ — تركمن (قفقاسيا الشمالية ، استرخان) (٢٣) .

تصنيف رشيد رحمتي ارات

درس ارات في مقاله (تصنيف اللهجات التركية) جميع التصنيفات ثم بحث مميزاتها المشتركة وفي القسم الاخير من مقاله انتقد هذه التصنيفات ثم قدم تصنيفه الخاص للهجات التركية وذلك في مجلة تركيات .

صنف ارات اللهجات منذ دور اللغة التركية القديمة على شكل ست مجموعات بالنسبة إلى علم الاصوات . وقد سمى ثلاثاً من هذه المجموعات باسم الجهات اما الثلاث الباقية فسماها باسم اللهجة المميزة لتلك المجموعة .

مجموعة اللهجات بالنسبة إلى ميزاتها الصوتية : —

١ — مجموعة الدال : وفي هذه المجموعة يلفظ حرف الياء الموجودة في كلمة (اياق) دالا . واللهجة المثالية لهذه المجموعة هي لهجة صيان (Sayan) . (اياق — اداق) .

٢ ــ مجموعة الزاي : وهي اللهجة التي ترد فيها كلمة (اياق) على شكل (ازاق) واللهجة المثالية لهذه المجموعة هي لهجة اباقان (Abakan) .

٣ ــ مجموعة طاو (الشمال) : وهي مجموعة اللهجات المتداولة في القسم الشمالي . وتلفظ كلمة (اماق) كما هي في اللغة التركية للجمهورية التركية . واما كلمة (طاغ) فتلفظ على شكـل (طـاو) .

٤ ــ مجموعة طاغلى : واللهجة المثالية لهذه المجموعة هي لهجة طوم ، وهي اللهجة التي تلفظ فيها كلمة (داغلي) على شكل (طاغلي) .

٥ ــ مجموعة طاغلغ (الشرق) : وتضم هذه المجموعة اللهجات الشرقية وعلاوة على هذا فان كلمة (داغلي) تلفظ فيها بشكل (طاغلغ) .

٦ ــ مجموعة داغلي (الجنوب): وهي المجموعة التي تضم لهجة الجمهورية التركية وقد عرفت هذه اللهجة بالمثـال (داغلي) (٢٤) .

واستناداً الى تصنيف رشيد رحمتي ارات يمكننا ترتيب اللهجات واللهيجات التركية كـالاتي

(أ) مجموعة اللهجة التركية :

١ ــ مجموعة الراء : لهجة جوواش (اورا) .

٢ ــ مجموعة التاء : لهجة ياقوت (اتـاق) .

(ب) مجموعة اللهيجات التركية :

١ ــ مجموعة الدال : صيان : (اداق) .

٢ ــ مجموعة الزاي : اباقـان (أزاق) .

٣ ــ مجموعة الطاو (الشمال) (طـاو) .

٤ ــ مجموعة طاغلي : طوم (طاغلي) .

٥ ــ مجموعة طاغلغ (الشرق) (طاغلغ) .

٦ ــ مجموعة داغلي (الجنوب) : (داغلي) .

ومن الممكن ان نحصر جميع اللهجات التركية في خمس مجموعـات :

١ ــ الجنوبية الغربية : لهجات الاناضول ــ البلقان ، قرم ، العثمانية ، غاغـاووز والاذرية .

٢ ــ الشمالية الشرقية : لهجات الطاي ، اباقان وصيـان .

٣ ـ الشماليـة الغربية : لهيجات قزان ، قرم ، تتـار ، باشقرت ، قومق وقراجاي .

٤ ـ الجنوبية الشرقية : ونذكر هذه الجهة على الاغلب باسم الشرق ، وتضم لهجات صاري اويغور ، اويغور واوزبك .

٥ ـ المركز او الوسط : لهجات قزاق ، قراقالباق ، نوغاي ، قرغز . اما لهجتا ياقوت وجوواش فهما مستقلتان من هذه المجموعات (٢٥) .

تصنيف كارل منكس :

واخيراً هناك محاولة منكس للهجات التركية الذي نشرها في (فوندا) منـدا وان تصنيفه قريبة الى الحقيقة التاريخية والصوتية والقواعدية للغة التركيـة .

(أ) القسم المركزي او جنوب غربي اسيا او الا (تركوت) :

١ ـ مجموعة اسيا المركزية الا (تركوت الشرقية) اللغات العائدة الى الفترة التركية القديمة.

(أ) اللغة التركية القديمة (نقوش اورخون ويه ني سى) واللغة الاويغورية القديمة .

(ب) اللغات العائدة الى الفترة التركية الوسطى ، فترة انتقال من اللغة الاويغورية الى اللغة الجغتائيـة .

١ ـ اللهجة الشرقية : اللغة التركية الخاقانية (من القرن الحادي عشر الى القرن الثاني عشر) .

٢ ـ اللهجة الشمالية الغربية : اللغة الخوارزمية (من القرن الثالث عشر الى القرن ، الـرابع عشر) .

(ج) اللهجة الجغتائية (الفترة القديمة من القرن الخامس عشر الى القرن السادس عشر. اللهجات الحديثة التالية .

(د) اللهجة الاوزبكية .

(هـ) اللهجة الاويغورية الحديثة .

(ز) اللهجة القرغزية .

٢ ـ مجموعة الغز او الجنوبية الغربية الا (تركوت الغربية) .

(آ) الفترة القديمة : اللغة التركية الاناضولية (اللغة السلجوقية واللغة العثمانية القديمة) .

(ب) الفترة الحديثة (الغربية اللغة) التركية العثمانية او لغة تركية تركيا .

(ج) الفترة الحديثة (الشرقية) اللغة التركمانية .
(ب) الفرع القبجاقي او الشمال الغربي : —
١ — الفرع الشمالي الغربي : اللغة التركية الوسطى :
(آ) قومان .
(ب) قبجاق .
(ج) اللهجات الحديثة .
٢ — لهجات الخزر — البحر الاسود : —
(آ) قراييم .
(ب) قراجاي وبلقار .
(ج) قرم — تتار .
٣ — لهجات فولغا — قاما ، سيبر الغربية :
(آ) قزان — تتار ، تيتر ، ميشر والتتارية القاسمية .
(ب) لهجات سيبر الغربية : طرالى ، تومن ، طوبل ، إيشيم ، كرداق ، وايرتيش.
(ج) بارابا .
(د) كوئريك .
(ه) باشقرت وتبتر .
٤ — لهجات ارال — خزر : —
(أ) قزان .
(ب) اوزبك .
(ج) نوغاى .
(د) قرغز ، قراقالباق .
(ج) لهجات اويرات : —
١ — الطاي — كيزي .
٢ — تلنكت .
٣ — لبد (كوغو) .
٤ — ييش كثيري (طوبا) .

(د) — ١: لهجة سيبر الجنوبية المركزية : مجموعة اباقان اوخاقاص :

(أ) لهجة شور .

(ب) لهجات اباقان :

١ — صغاى .

٢ — قاجا .

٣ — قزل .

٤ — بلتير .

٢ — المجموعة الشرقية او طوبا (طاننو — طوفا او اوراتحاى) :

(أ) قراغاص .

(ب) صويون (طوبا ، طووا ، طيبا او اوراتحاى) .

(هـ) المجموعة الشمالية الشرقية : لهجة سيبر الشرقية وياقوت ولهجة دولغان .

(ز) المجموعة الشمالية الغربية : اورخون — باغار اوفولغا بلغار .

١ — لهجة فولغا البلغارية .

٢ — لهجة جوواش (٢٦) .

الأقتراحات والآراء :

ومن الممكن تصنيف اللهجات التركية اذا مااخذت هذه النقاط بنظر الاعتبار :

١ — تثبيت مميزات اللهجات من حيث قواعد اللغة بصورة دقيقة .

٢ — مقارنة هذه المميزات بعضها ببعض ثم تثبيت العلاقات الموجودة بين هذه اللهجات

٣ — بحث تاريخ الاقوام التركية وتطورها من حيث تشكيلها الاجتماعي .

٤ — ضرورة مقارنة اقدم النصوص العائدة لكل لهجة باحدثها كل على حده ومتابعة تطورها التاريخي ولو بصورة مختصرة (٢٧) .

وقد صنف رادلوف جميع اللهجات التركية بالنسبة الى مميزاتها الصوتية الى اربعة اقسام واما كورش فقد صنفها على ثلاث مجموعات . وهناك تصانيف اخرى لاينطبق بعضها على بعض ومن الممكن ذكر تصانيف اخرى وذلك في حالة تصنيفها استناداً الى عناصرها القومية الموجودة في هذه المجموعات وان السبب الرئيسي لهذا يعود الى ان ، الاقوام التركية في الادوار القديمة (قون ، قارلوق ، قانغلي ، قزغز ، صقا ، اوغوز)

قد تفرعت عدة مرات بعضها عن البعض الاخر ثم اتحدت وكونت مجموعات جديدة مرة ثانية او التحقت المجموعات المتفرعة بمجموعة قوية مما اثر ذلك في لهجتها (٢٨) .

واما اللهجات التركية التي تدخل ضمن مجموعة اللغة التركية فما هي الا لهجات محلية ، بالرغم من اعتبارها لغات مستقلة من قبل علماء التركيات الاوربيين .الا اننا نحس بالفروق البارزة في لهجة ياقوت وجوواش بالنسبة الى اللغة التركية ولذا اطلقنا عليهما اسم اللهجة والحال ان اللهجات الاخرى لاتنفصل عن اللغة التركية من حيث القواعد والمفردات (٢٩)

واما اراء المستشرقين في حقل الدراسات التركية حول قرابة اللهجات التركية بعضها عن البعض الاخر فهي : —

١ — بالنسبة الى المستشرق اريستوف (Aristov) الذي بحث تكوين المجتمع التركي ، فانه يرى ان الشعب التركي ينتشر في مساحات شاسعة تمتد من البحر المنجمد الشمالي والهوستلك الى سواحل البحر الابيض وانهم يتكلمون بلغة واحدة تضم لهجات متنوعة

٢ — المحقق ميدندروف (Midendrof) يقول في كتابه وثائق من وادي فرغانة (Fargan avadisie dair Taslcklar) انني اتفاهم مع القرغز رغم خروجي من ياقوتستان مدة تقرب من ثلاثين عاماً .

٣ — وامبري (Vamberi) يقول في كتابه (الاقوام التركية) من الممكن ان يتفاهم التركي من تركستان الشرقية مع تركي من استانبول اذا تكلم بدقة (٣٠) .

ومع كل هذا فانه لاينبغي ان يغرب عن البال ان هذه الاراء مدعاة للشكوك .

الهـوامش :

2— Resit Rehmeti Arat, Turk Dunyasi EL Kitabi, S. 131, Tahir Neiatr Gencan, Turk Dilbilgi, S.21, Ahmet Caferoglu, Turk Dili Tarihi, C.I, S. 1-3.

2— ALi Fehmi Karamanoglu, Turk Dili Nereden geliyor Nereye gidiyor, S.3, Meyda Lerosse, C. 12, S.349 .

3— Meydan Lerosse, C.12, S.349 .

4— Faruk Timur Tas, Tarih icinde Turk Edebiyati, S. 53 .

5— Fuat Koprulu, Edebiyat Tarihi, S. 1-26 .

(6) Tahsin Banguoglu, Turkce Grameri, S. 13–14.

٧ – دائرة المعارف الاسلامية جلد الخامس ص

(8) Muharrem Ergin, Turk Dil bilgisi, Z–13–14.

(9) Ahmet Caferoglu, Turk Dili Tarihi C.1- S. 153.

(10) Tahir Nejat Gencao, aynf seerJ S. 14–21.

(11) Sinasi Tekin- Turk Dunyasi El Kitabi, S. 142.
Ali Fehmi karamanoglu ayni eser' S. 25' Ahmet kapakli Turk Edebiyati Tarihi C. 2' S. 17–12.

(12) A. Caferoglu, ayni eser. S. 59–,60.

(13) M. Ergin, agni eser S. 14.

(14) Turk Dili Edebiyate Ansiklopedisi, S. 355–386.

(15) Ahmet Temir, Turk Dunyas El kitabi, S. 227–303.

(16) Zeynep Korkmaz, Merzuban name Tercumesi S. 13–58

(17) A, Temir ayni eser, S. 115–118.

(18) A. Caferoglu, ayni eser, S. 20–22.
A. Dilacar, Turk Diline Genel Bir Bakis S. 1–27.

(19) A. Cafear oglu, ayni eser S. 49–50.

صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغه ص٤١ ٤٦ .

20— Resit Rahmeti Arat, Turkiyat Mecmuasi, C.10, S. 59-139. Meydan Lerosse, C.12, S.349 .

٢١– عبد الصور شاهين في علم اللغة العام ص ١٥٨

22— A. Dilacar, ayni eser, S. 67-68. Kasgarla Mahmut, Divan Lugat-it-Turk, c.I, S. I-30.
A. Caferoglu, Kasgarli Mahmut, S. 37-41 .

23— R.R. Arat, ayni eser, c.10, S.59-139. A. Dilacar, ayni eser, S.32-68. R.R. Arat ve A.
Temir, Turk Dunyasi El Kitabi, S. 305-327 .

24— R.R. Arat, ayni eser, c.10, S. 59-139.

25— A. F. Karamanoglu, TDAY, 1963, S.29-30.

26— Karil Menges, Meydan Lerosse, C.12. S.349 .

27— R.R. Arat, ayni eser, c.10, S.61 .

28— Abdulkadir inan, Turkologi Ders Hulasalari, S. 35.

29— A. Caferoglu, ani eser, R.R. Arat, ayni eser, A.inan, ayni eser, S.3. A.F. Karamanoglu, TDAY. 1963, S. 29–30.
Yilmaz Oztuna, Turkiye Tarihi, C.I, S.3.

30— A.inan, ayni eser, S. 4-11.

المصادر :

A.Dilacar, Turk Diline Genel Bir Bakis, TDK. Ankara, 1964.

– – , Turk Lehcelerinin Meydana Gelisinde Genel Temayullerin Koyulasmasi ve Korlesmesi, TDAy. 1957.

– – , Lehcelerin Yayilma Tarzi ve Lehcelerin Tasnifi Meselesi, TDAy 1954.

Prof. Dr. Abdulkadir Inan, Turkoloji Ders Hulasolari, Istanbul, 1936.

– – , XIII–XV.yuzyiida Misirda Oguz–Turkmen ve kipcak Leh celeri, TDAy 1953.

Agah sirri Levend, Tarih Boyunca Turk Dili, TDAy. 1966.

– – – , Turk Dilinde Gelismeve Sade–Lesme Safhalari, Ankara, 1960.

Prof . Dr. Ahmet Cafeoglu Turk Dili Tarihi I. Cilt, istanbul 1970.

Prof. Dr. Ahmet Caferoglu, Kasgarli Mahmut, istanbul. 1970

Prof. Dr. Ahmet cevat Emre, Turk Leh celerinin Mukayeseli Grameri Fonetik, Ankara, 1949.

Doc. Dr. Ali Fehmi Karamanoglu, Turk Dili Nereden Geliyor Nereye Gidiyor. Istanbul. 1972.

Prof. Dr. Faruk T. Tas, Tarih icinde Turk Edebiyati, istanbul 1981.

Prof.Dr. Tuat Koprulu, Turk Edebiyati Tarihi, istanbul 1981.

Huseyin Namik orkun, Eski Turk Yazitlari, 1–4. Cilt. istanbul, 1936-1941 .

Kasgarli Mahmut (Besim Atalay) Divan Lugat-it- Turk, I. Cilt, Ankara 1939.

Prof.Dr. Muharrem Ergin, Turk Dili Bilgisi , istanbul, 1972.

Nihat Sami Banarli, Resimli Turk Edebiyati Tarihi, I.cicl, Istanbul. 1971.

Prof.Dr. Resit Rahmeti Arat, Turk Sivelerinin Tasnifi, Tm 10. cilt, istanbul, 1953 .

Prof.Dr. Saadat Cayatay, Turk Lehceleri ornekleri, Ankara 1963.

Prof. Dr. Tahir Nejat Gencan, Dilbilgisi, istanbul, 1971.

Prof. Dr. Tahsin Banguoglu, Turkcenin Grameri, istanbul, 1974.

– – – – , Eski Turkce uzerine TDAy 1965·

– – – – , Oguz Lehcsi uzerine TDAy 1960.

Turk kulturu Arastirma Enstitusu, Turk Dumyasi El Kitabi, Ankara, 1979

Prof. Dr. Zeynep Korkmaz, Merzuban name Ter. cumesi, Ankara 1973.

– – – – , Cumhuriyet Doneminde Turk Dili Ankara 1974.

د. ابراهيم انيس ، الاصوات اللغوية ، قاهرة ١٩٧٩ .

د. احمد نصيف الجنابي ،ملامح من تاريخ اللغة العربية ، بغداد ، ١٩٨١ .

د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

ضاحي عبدالباقي ، الفصائل اللغوية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مجلد ٢٠ قاهرة ١٩٦٦، جلد ٢١ قاهرة ١٩٦٦ ، جلد ٢٢ ، قاهرة ، ١٩٦٨ .

د. عبدالصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، بيروت ، ١٩٨٠ .

د. محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، قاهرة ، ١٩٧٨ .

اللغات الاوربية

المصادر في اللغة العربية

١ - ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ـ دار المعارف ـ المجلد الاول ١٩٨٢ .

٢ - الادب المقارن الطبعة الثالثة ١٩٨١ دار العودة ـ الدكتور محمد غنيمي هلال .

٣ - الادب المقارن ـ الدكتور طه ندا ـ ١٩٧٥ ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

٤ - من الادب المقارن ـ نجيب العقيقي ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧٥ .

Sujets traités

BIBLIOGRAPHIE GENERALE

1- Edmond (FARAL)..... **La Chanson de Roland-Etude et analyse-** Editions de la Pensee Moderne- Paris-19.

2- LAGARDE ET MICHARD.... **Moyen Age-** Bordas- Paris-19.

3- Paul (ROBERT)......... Dictionnaire de Langue francaise- Le Robert- Paris-1981.

4- **La Chanson de Roland, t.I et t. 2-** Librairie Larousse-1972

5- La Chanson de Roland- **Traduction d'apres le manscrit d'Oxford-** Bordas-1980.

CONCLUSION

La conclusion que nous pouvons tirer de cette recherche est la suivante: le lecterur oriental ne peut pas prendre la Chanson de Roland comme une base de connaissance historique. Certes, cette Chanson, écrite vers 1100, s'appuie sur des faits historiques ayant eu lieu en 770. Cette oeuvre légendaire a pour objectif, la glorification de la foi chrétenne mencée par l'ère islamique. L'auteur anonyme tente de préparer le terrain aux premieres croisades, lancées contre les peuples musulmans. L'image des musulmans est déformée; elle manque d'objectivté et montre que toute croyance hors du Christianisme n'est autorisée; c'est pourqoi les Chrétiens menent une lutte acharnée contre les Musulmans, nommés dans la Chanson, paien, idôlatre, étranger.Si les qualites des informations concernant les Musulmans sont passés sous silence dans la Chanson de Roland, l'auteur n'a pas négligé de décrireleur richesse; a ce propos il multipli les descriptions pour motiver les Chretiens attachant de l'importance aux quantités fabuleuses de bijoux que possèdent les Arabes.

La civilisation arabe est rejetée dans la Chanson; pourtant, l'auteur ne peut s'empêcher de montrer les influences apparentes entre les deux civilisations au niveau des moeurs, gestes et mode de vie.

Certes, les Sarrasins eurent la victoire dans la premiere bataille contre l'arrière-garde de l'armée chrétienne, le Roi Marsile dont le poing droit fut tranché s'enfuit à Saragosse; il appela au secours l'émir Baligant. La deuxieme phase de la guerre commence à partir de la laisse 187. La laisse 189 fait allusion a l'émir Baligant, originaire de Bagdad ou du Caire. Ce jugement est basé sur la lettre envoyée par Marsile à Babylone. Selon Gaston Paris, sert a désigner Bagdad. Baligant fit le nécessaire et assembla sa flotte sous Alexandrie près de la mer[14]. Il viendra secourir le roi Marsile qui" lui remettra en franchise le royaume d'Espagne[15]. Le poète confirme dans la laisse 201 que les armées de Baligant sont constituées "des paiens d'Arabie"; cette laisse expose aussi la position humiliante de la Reine Bramimonde qui supplie l'emir en ces termes:

"Je suis affligée. Ma destinee est bien malheureuse. Sire, j'ai perdu, mon seigneur, et dans des circonstances si honteuses!"[16].

14- Laisse -189-
15- Laisse -199-
16- Laisse -201-

titres français comme "comtour" titre feodale inferieur au comte (II) . La description des combats entre les Chretiens et les Sarrasins est monotone , répétitive et fastidieuse. Pour manifester leur courreaux, les moeurs feodales veulent que les pairs chretiens livrent des combats individules aux barons musulmanes. Le premier combat entre Rolandet Aelroth, neveu de Marsile nous renseigne sur l'armement utilisé par les deux équipes opposés Les combattants portant des opées, des lances, des épieus et ils se protègent par le haubert, le ganfanon, l'écu, le bouclier ..... ect.

Les épées portent des noms dans les chansons de geste. On sait que l'épée de Roland s'appelle Durendal, celle d'Olivier, Hauteclaire, celle de Turbin, Aumace, et celle de Charlemagne, Joyeuse; celle de Baligant se nomme Precieuse. Le sens de certains de ces noms est enigmatique,mais l'auteur de la Chancon a explique les raisons des noms de "Joyeuse" (V.2505 et suiv.) et de Precieuse" (V.3144) (12) Ajoutons a l'epeé et aux chevaux, le cri de la guerre jugé favorable par les Chretiens. Le Roi Charlemagne adopte le coi "Monjoie". Ce cri rechauffe les coeurs et fait enthousiasmer les foules.

Avant de rencontrer les Sarrasins, les guerriers chretins les accablent d'injures; il les traitent de felon, glouton, vil paien, vil esclave, misérable .... etc". Les combats sont très sanglants et d'une extrême monstruosité. Pour avoir une idée sur leur férocité, citons le combat qu'opposes Roland à Aelroth, neveu de Marsile:

"Roland éperonne son cheval, il le lance à toute bride, et frappe Aelroth le plus fort qu'il peut. Il brise l'écu, déchire le haubert, ouvre la poitrine, brise les os, et sépare toute l'échine du dos; de son épieu, il arrache l'âme du corps du paien; il enfonce le fer si profond qu'il ébranle le corps, et a pleine lance abat de cheval le paien, dont le cou est coupé en deux moitiés" 13).

۶۲۶

11- Chanson de Roland. Manuscrit d'Oxford.

13- Laisse -93-

Ce qui prouve la richesse fabuleuse du roi Marsile c'est la récompense qu'il promit au Roi Charlemagne. Balncadrin annonce à Charlemagne: "De ses biens, il veut vous donner baucoup, des ours et des lions, des vautres tenus en laisse, sept cents chameaux et milles autours sortant de mue, quatre cents mulets charges d'or et d'argent, cinquante chars que vous en ferez charger. Il y aura tant de besants d'or fin que vous en pourrez largement payer vos soldats"[7].

En ce qui concerne l'organisation politique et militaire, le poète présente des assimilations entre les moeurs féodales et celles des Musulmans. Comme Ganelon, Aelroth, neveu de Marsile recut le gant quand il fut nommé à la tête de l'armée sarrasine[8]. Le poete assimile de même la hiérarchie des barons musulmans à celle des. Chretiens[9]. Le poète n'a pas negligé la partie sacrée de la Chanson. Au contraire, il a mis l'accent sur le rôle des Prophetes. En eux, ils trouvent un soutien moral et spirituel. Ainsi, le Roi Charlemagne dit à Ganelon qui ira rencontrer le roi Marsile:

"Allez par le congé de Jésus et le mien". Par contre. Aelroth, neveu de Charlemagne qui livrera bataille à l'arriere-garde de l'armée de Charlemagne souhaite que "Mahomet se porte garant pour lui".

L'armée des Sarrasine ne comprend pas seulement les Arabes mais aussi Les Berberes, les Africains et les Maures. Ceci prouve l'unite des Musulmans voulant faire face aux ennemis chrétiens. Les Sarrasins ont des noms de fantaisie, pittoresques, souvent comiques; aucun d'eux n'est d'origine arabe. Balaguer: place forte de Catalogne, longtemps disputée entre les Sarrasins et les Chretens. Cordoue, en Andalousie, ou Cortes, en Aragon[10].

Pourtant , le poète utilise des mots d'origine arabe lorsq'il décrit la hiérarchie féodale des Sarrasins tels: "l'émir. Almacour: il y ajoute des

---

7- Laisse -9-

8- Laisse -69-(9- Laisses 70 et 102

10- La Chanson de Roland. Manuscrit d'Oxford. P. 17.

"Blancadrin", le messager du roi Marsile prononce la salutation en ces termes: "Salut, au nom de Mahomet et d'Apollon dont nous suivons les saintes lois[6]

En conclusion, le poète accuse les Musulmans d'adorer les divinités grecques dont le Prophète Mahomet fait partie. Pour lui, le Coran n'est qu'une loi de Mahomet.

CHAPITRE -2-

-Le Monde Oriental et sa Présence.

Chevaux-Bijoux-Organisation militaire et politique

Les chevaux sarrasins avaient bonnes réputation chez les Francs. Barbamouche, le cheval arabe de "Climborin" est plus rapide qu'épervier ou hirondelle[1]. Gramimond, le cheval du Sarrasin Valdabron est plus rapide qu'un faucon[2]. De même Marmore, le cheval du Sarrasin Grandoine qui est "plus rapide que l'oiseau qui vole"[3].

Dans la Chanson de Roland, les Francs n'étaient pas seulement attirés par la beaute des chevaux des Sarrasins mais aussi par la richesse des orientaux. Parmi les cadeaux qu'offrit le roi Marsile à Ganelon figurent des peaux de Zibeline qui représentaient une grande valeur à cette époque. Les laisses 50 et 51 évoquent la richesse et le bien-être des Sarrasins qui veulent envoyer au Roi Charlemagne: "sept cents chameaux d'or et d'argent chargés..."[4] Le roi Marsile veut offrir a Ganelon qui a trahi la cause chrétienne un présent de dix mulets chargés de l'or le plus fin d'Arabie"[5]. La reine Bramimonde, épouse de Marsile offrit un cadeau coûteux à la femme de Ganelon: "A votre femme, j'enverrai deux colliers, ils ne sont qu'or, améthystes, hyacinthes; ils valent plus que tout l'or de Rome; votre empereur n'en eut jamais d'aussi beaux"[6]

6- Laisse -23-
1- Laisse -116-
2- Laisse -118-
3- Laisse -122-
4- Laisse -51-
5- Laisse -52-
6- Laisse -50-

Il est sureprenant de constater certaines similitudes entre les gestes décrits dans la Chanson de Roland et ceux effectués par les Sarrasins. Cecoi porte à croire qu'il y avait un échange de rapports entre les deux civilisations chrétienne et musulmane.

Dans la laisse 32, en écoutant la lettre envoyée par le Roi Charlemagne, Marsile a levé ses deux mains vers le ciel, loue son Dieu, sans faire autre reponse. "Ce geste est très fréquent chez les religieux. Un autre geste de courtoisie se trouve dans la laisse 28; suite au malentendu survenu entre Marsile et Ganelon, Blancadrin intervient pour persuader le deuxieme par un geste très familier chez les orientaux: "Blancadrin va prendre Ganelon aux doigts par la main droite et l'amène dans le verger, auprès du roi". Les laisses 48 et 49 décrivent un rite de chevalerie: lorsque le roi Marsile et Ganel lon se mirent d'accord sur la mort de Roland, ils se baisèrent sur la bouche et au visage. "Ces baisers ressemblent a l'accolade pratiquée par les Arabes.

Traits religieux

Le poète anonyme commit dans la Chanson de Roland une erreur historique très grave en attribuant aux Musulmans le polythéisme et l' idolâtrie. A ce propos, il multiplie les citations et il y consacre de longs details identiques et repetitifs. Il oppose a la religion musulmane, la foi chretienne monothéiste. Il pense que les Musulmans sont attachés a leurs dieux par un lien materiel. Mahomet, Tervagan, Apolloh et Jupiter prennent aux yeux des Musulmans une image de grandeur et de superiorite lorsqu'ils realisent des victoires et des succés. A l'inverse, ils s'en prennent à leurs dieux les considérant comme les responsables de leurs échecs.

Signalon que la notion "Islam" ou "Musulman" est absente dans la Chanson de Roland. Ce fait révèle un rejet total de cette religion. Le poète essaie de minimiser les principes et les données de cette religion.

Le lecteur porrait porter jugement sur la foi des Sarrasins à travers la salutation prononcée par les messagers. Celle des Chrétiens témoignent leur foi stable car ils y insistent sur un Dieu unique. Par contre

CHAPITRE -1-

-Sous quels traits apparaissent les Orjentaux? physique-moral-religieux.

La description physique des personnages sarrasins est absente dans la Chanson de Roland. Le poéte mit l'accent sur le côté artistique et sur les traits moraux. Le décor musulman se caractérise par la simplicité: "Le trône de Marsile, roi de Saragosse, qui est situé sous un pin, est enveloppé de soie d'Alexandrie"[1] Le costume de Ganelon, le baron chrétien est marqué également par la couleur orientale, apprécicé par les Chrétiens: "Ganelon etait vêtu d'un manteau de zibeline, recouvert de soie d'Alexandrie"[22].

Dans la Chanson de Roland, il ya trois personnages principaux qui sont sarrasins. Ce sont: le roi Marsile, roi de Saragosse; Blancadran, ambassadeur de Marsile; Baligant, émir de Babylone.

Pour les Chretiens, le roi Marsile est un traître; il n'hésite pas à se convertir au Chrestianisme, plutôt de livrer l'Espagne à Charlemagne. Ce qui compte pour lui, c'est son Etat et sa gloire. Pour Roland, Marsile n'est pas un homme de parole. Il manque à sa promesse: "Autrefois, il a coupé la tete aux messagers de Charlemagne Basin et Basil."[3] Dans la laisse 16, le roi Marsile nous apparait vaincu devant Charlemagne. Pour cette raison, il fit des concessions.

Le Calife, oncle de Marsile est présent dans les laisses 35, 37 et 38. Il joue un rôle socondaire. Il passe pour un homme de conseil et de sagesse. Jurfaret est le fils du roi Marsile et son héritier. Blancadran est l'ambassadeur du roi Marsile. Il joue un rôle important dans la Chanson. C'est lui qui évoqua à Marsile la trahison. Le poète l'a qualifié comme l'un des paiens le plus sage[4] Dans la laisse 38, Blancadrin attire l'attention de Marsile sur Ganelon: "Les trois debattent l'infâme trahison"[5]

1- Laisse 31
2- Laisse 335
3- Laisse 14
4- Laisse 313
5- Laisse 38

LES TRAITS ORIENTAUX DANS LA CHANSON DE ROLAND

Dr. Muayad AL. Dujaili

INTRODUCTION

Historiquement, les evenements de la Chanson de Roland, l' une des premieres Chansons de Geste et l'une des premieres productions de la litterature francaise, remontent au VIIIe siecle. A partir du XIe siecle, elle est devenue legendaire. Cette Chanson, composeé en vers par les trouveres, montre lheroisme de Roland' finalement, tue par des montagnards basques a la suite des divergences religieuses[1]. La legende altera profondement les faits historiques: "Les Basques, auteurs de l'agression de 778 y sont devenus des Sarrasins. L'ennemi n'y est plus le montagnard turbulent et pillard: il est maintenant, le paien. Charles, le roi Charle, est Charles le Grand, l'empereur, le support de la chretiente. La guerre qu'il mene est la guerre contre l'infidele; c'est la guerre sainte"[2].

Dans cette recherche, on se mettra a la quete des traits orientaux qui ont marque la Chanson de Roland par leur presence permanente et par leur role essentiel dans la succession des evenements. Les rapports anciens et ceux datant du Moyen Age entre les Arabes et les Chretiens demontrent l'existence de deux civilisations oposeés l'une a l'autre mais juxtaposeés, au cours des siecles passes au niveau religieux, politique et social.

Comment les traits orientaux furent-ils decrits dans la Chanson de Roland? La religion musulmane joue-t-elle un role essentiel et marquant dans les evenements de la Chanson? A ces questions comme a beaucoup d'autres, nous chercherons des reponses convaincantes.

---

1 - Lagarde et Michard, Moyen Age, p. 3

2 - La Chanson de Roland-Etude et analyse par Edmond Faral, P. 22

CHAPITRE PRELIMINAIRE

1-Qui sont Orientaux?

Les Orientaux sont présent dans cette oeuvre sous le nom des Şarrasins. Ce mot est d'origine arabe; "il désigne les populations musulmanes de l'Orient et de l' Afrique, et de l' Espagne."[1] Cette appelation est utiliseé pour la premieŕe fois dans la laisse (18). Evoqueé dans la Chanson de Roland a` maintes reprises,elle n'a ni un aspact grossier ni injurieux. Pour les Chrétiens. les Sarrasins sont tous les partisans de l' Islam, ils peuvent être Arabes, Espagnol, Maures ou Africains.

A cette époque, les Musulmans étaient les seuls antagonistes puissants aux royaumes francs qui tentaient de s'unifier autour de la foi chrétenne.

Les Arabes constituent dans la Chanson de Rolond une partie des Sarrasins. L'auteur signale les Arabes provenant du Moyen Orient en décrivant la flotte de l' Emir Blancadran.

2- La Chanson de Roland et les donneés de l'histoire

La Chanson de Roland est parmi les chansons de geste qui est fondeé sur des faits historiques. Vu la rareté des documents historiques concernant la période en question, les historiens ont quelquefois recours a`cette oeuvre pour y puiser des éléments ayant rapport avec la réalité. Les personnalités musulmanes ayant rapport avec la réalité. Les personnalités musulmanes citeés dans la Chanson sont mythiques; elles sont représenteés par Marsile, roi de Saragosse. Blancadran, envoyé de Marsile et Baligan, émir de Babylon.

Les références historiques confirment qu'au printemps de l'anneé 778, Charlemagne fit une expédition militaire en Espagne pour aider un chef musulman Yaqzan Ibn Al-Arabi. Il put prender Pampelune, mais ne put s'emparer de Saragosse tenue par Al-Husayn I ban Yihya Al-An-sari. Suite a`une révolte des Saxons, Charlemagne repartit pour la France. Le 15 août 778, au passage des Pyréneés, L'arrieŕe-garde de L'armeé de Charlemagne fut extermineé par des Basques ou des Gascons[2]

---

1 - **Dictionnaire Petit Robert.** P. 1765. L'origine du mot est "charqiyîn"

2 - **Chanson de Roland** Manuscrit d'Oxford. P. 5

Praninskas, Jean (1975) **Rapid Review of English Grammar,** 2 nd edn. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.

Quirk,R.and S. greenbaum (1975) **A University Grammar of English.** London: Longman Group Ltd.

Roberts, paul (1956) **Patterns of English.** New York: Harcourt,Brace and World, Inc.

Zandvoort, R.W. (1975) **A Handbook of English Grammar,** 7th edn. London: Longman Group Ltd.

It snowed for three days.

It seemed like March.

pattern 3:

It + be + noun cluster (N + a clause).

e.g.

It was Mohammed that found the truth.

It is my kid brother that makes all the trouble.

pattern 4:

It + be + adj + clause

e.g.

It is good that you had plenty of warning.

pattern 5:

It + be + adj + verb cluster (of **to** type).

e.g.

It is impossible to convice him.

It was easy to see what would happen to him.

Bibliography

Corder, S. Pit (1977) **An Intermediate English Practice Book.** London: Longman Group Ltd.

Grinder, John T. and Suzette Haden Elgin (1973) Guide to Transformational Grammar: **History, Theory, Practice. New York:** Holt, Rinehart and Winston, Inc.

Huddleston, R.D. (1971) **The Sentence in Written English.** London: Cambridge Univesity Press.

Jacobson, Bent (1977) **Transformational Generative Grammar: An Introductory Survey of its genesis and development.** Amsterdam: North-Holland Publishing Co.

Jacobs, R.A.and P.S. Rosenbaum (1968) **English Transformational Grammar.** New YorK: John Wiley and Sons Ltd.

'It' distinguished from 'what', 'one'

It is necessary to distinguish between the pronouns **it** and **what** in the deep struture. One important difference between the two is that **it** is definite and **what** is indefinite. However, it would seem that marking <-definite>on **what** is still not wholly adequate, since it is necessary to distinguish **what** from the pronoun **one,** as in:

30- One doesn't make silly gestures in a classroom.

One here is indefinite and therefore not distinct from **what.** A tentative solution would be to propose a new feature, the feature < + WH > In deep structure, then, interrogative pronouns possess the feature < + WH > all others possess the feature < - WH >.

When a noun segment contains < + WH > in deep structure, it is being questioned. The features < + WH > and < - WH > must also accompany pronoune in the lexicon in order that the correct pronoun, i.e., interrogative versus personal, may be chosen:

<It >	< what >	< one >
<+ N >	<+ N >	<+ N >
<+ pronoun >	<+ pronoun >	< + pronoun >
<- WH >	<+ WH >	<- WH >
<- human >	<- human >	<+ human >
<+ singular >	<- place >	<- definte >
<+ definite >	<- definite >	

Statement patterns whit 'it'

pattern 1

It + be + N adj

e.g.

It is two minutes past six.

It is hot

pattern 2:

It + verb (be, ordinary or linking) + time refernce, weather, distance, or etc. e.g.

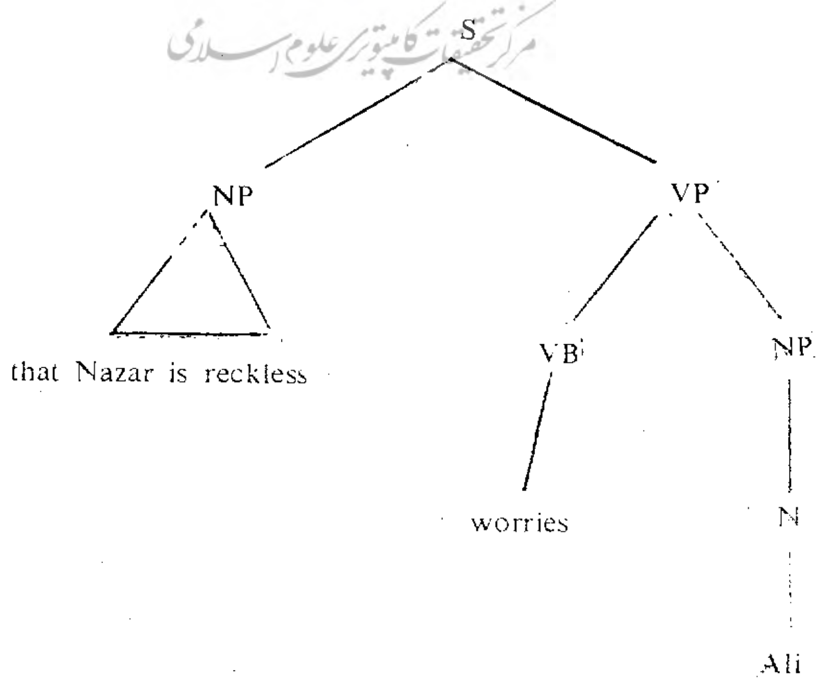
It was raining.

Here the extraposition transformation is usually optional.

Suppose that **it** is the head noun of the noun phrase containing a noun phrase complement sentence. Then, what happens if the extraposition transformation does not apply to such constructions? Let us have a look again at the deep structure of sentence (28) above. If the extraposition transformation had not been applied, the ungrammatical string below would have been generated:

29-* It that Nazar is reckless worries Ali.

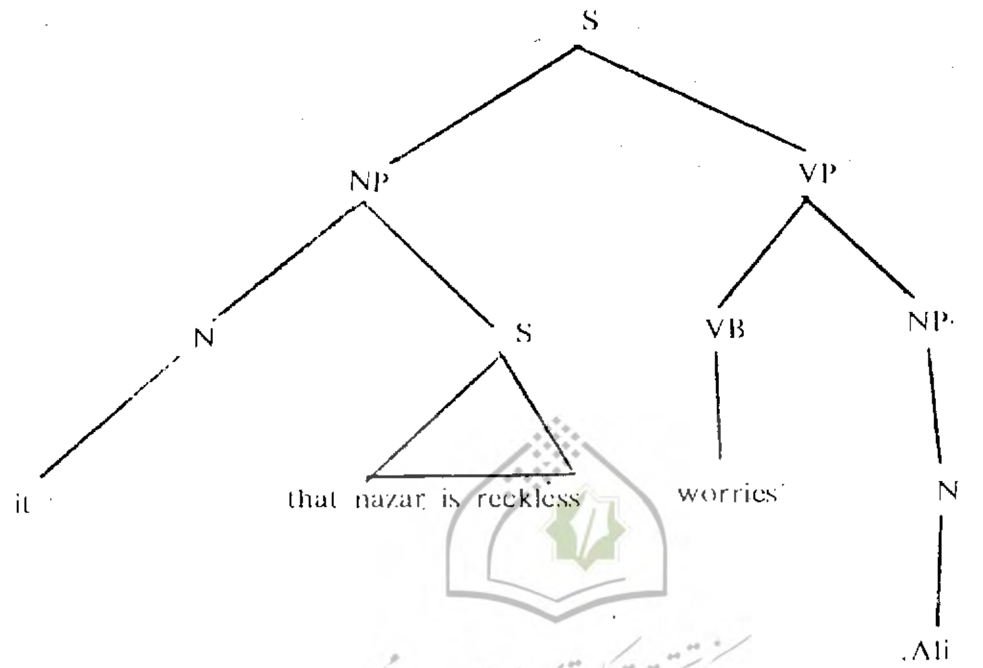
However, this string can be made grammatical by the appliction of the third important noun pharse complement transformation the '**it** deletion transformation'. This normally obligatory transformation deletes the pronoun **it** whenever this pronoun appears immediately before its noun phrase complement, that is, before the constituent S, dominated by the same noun phrase which dominates the pronoun, as is the case in the deep structure diagram for sentences (27) and (28) above. Thus, if the extraposition trasformation has not been used, **it** deletion is obligatory. The foregoing deep strucure is converted into the following surface structure by the **it** deletion transformation:



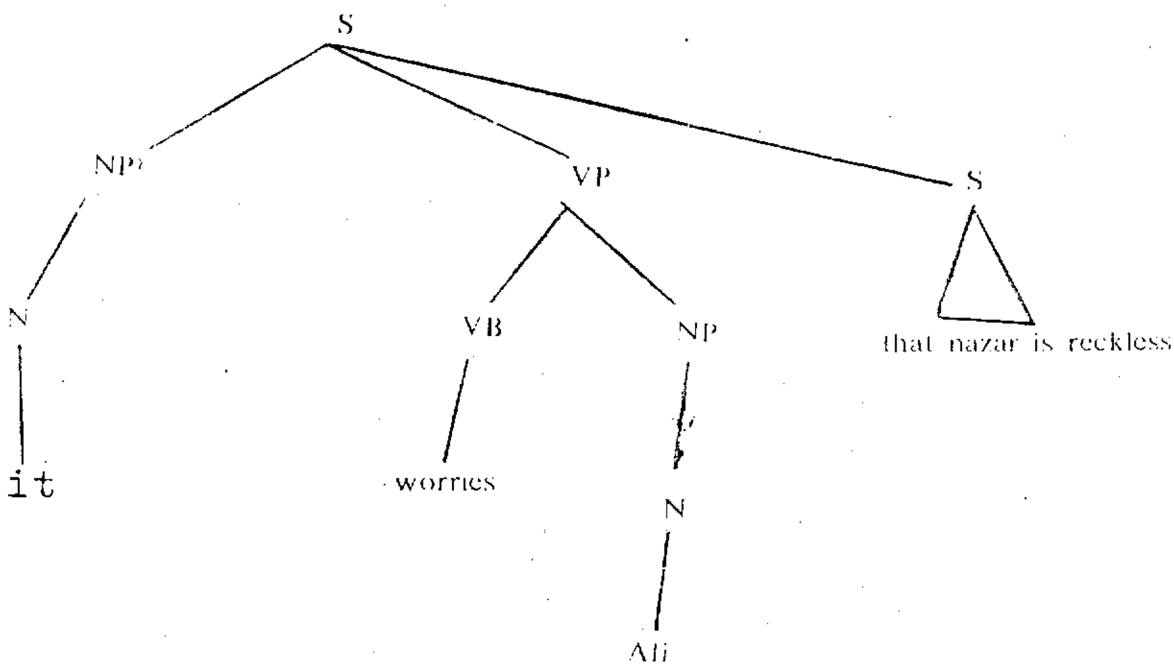
surface structure of the sentence above is as follows:

28- It worries Ali taht Nazar is reckless.

We assume taht the subject noun phrase in the deep structurt of sentences (27) and (28) actually contains a noun phrase and that this noun pharase is the pronoun **it** as shown in the tree diagram below.



Accordingly, the extraposition trasformation may be applied to the structure above, the noun phrase being the pronoun **it**, to generate the structere below:



18- It was at dawn that the enemy forces launched their assaults (* at).
* dawn

19- It is to a large extent for fun that he degrades others (*for)
* fun

Of single-word adverbs, it would seem that those under the immediate domination of predicate phrase yield most readily to clefting:

20- *It was yesterday that I discovered the truth.
soon
there
here

But sentence adverbs cannont be clefted:

21- *It was obvionsly that she prefers blue shirts.
fortunately

Some adverbial clauses may be clefted:

22- It was while she was jumping taht someone caught her.

23- It is since he quit drinking that Nihad has become quite approachable.

And some may not:

24- * It is although he was not there that he knowns about it.

Then, notice the following:

25- I began to worry as the child had not grown up.
because

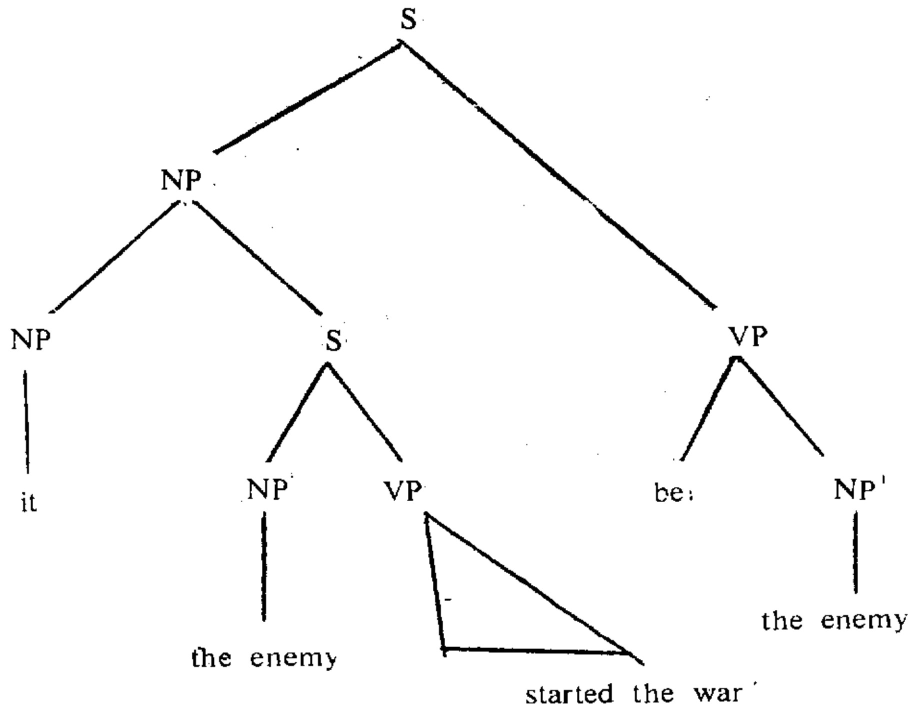
26- *It was *as the child had not grown up that I began to worry.
because

'It in Deep Structure

All noun pharses contain nouns in the deep structure. Thus, in the deep structures of sentences like:

27- That Nazar is reckless worries Ali,

there is a noun in the deep structure of the subject noun phrase; the



At any rate, Jacobson (1977: 369-370) admits that "one of the most difficult things about cleft sentences is stating the restrictions on the clefted constituent in a non-ad hoc manner". Jacobsen's words mean that a large variety of structures can be clefted and this in turn involves that relativization must be given a wider scope in cleft sentences than in noncleft ones. Certainly most noun phrases can be clefted whatever thier internal structure is:

15- It is the red-haired girl I met in Baghdad last year that is coming.

To some extent, noun pharses governed by a preposition may be clefted out of the prepositional phrase:

16- It was with great will that the Iraqi people fought thier enemy
great will
(with).

17- It was on the poor that the president spent most of this money (on).
the poor

But there are restrictions:

Clefting

By ordinary clefting, we mean sentences with the following structures (Jacobson: 1977: 366):

It + be + constituent + relative clause, e.g.

9- It was the enemy that started the war against our Eastern Front.

We might expect that sentence (9) should be derived from:

10- The enemy started the war against our Eastern Front

An immediate objection to the above proposition would be that (9) and (10) are not identical in meaning (provided that 10 is uttered with a neutral intonation; therfore, they would have different deep structures. Again, aside from questions of meaning, there are strong syntactic arguments against deriving (9) from (10). First it is obvious that the required transfromation rule would have to have considerable structure-building power. In particular, it would have to insert **it** and define it as a noun phrase. That this is necessary is evidenced by tags appended to such sentences as:

11- It was the enemy that started the war, wasn't it?

No matter how we try to analyse tags, the underscored **it** in (11) must be a noun phrase on a par with **it**, as in:

12- The enemy started the war, didn't he?

second, as pointed out by Huddleston (1971: 245F), (9) and (10) do not behave alike syntactically. Consider the following two sentences:

13- I watched the enemy start the war.

14- *I watched it be the enemy that started the war.

In (13), (10) has been embedded as the object of **watch**. This is possible because start is a nonstative activity verb, and one can **watch** an action being carried out. The ungrammaticality of (14), then, in which (9) has been emedded in the same way, is due to the fact that be is not an activity verb. Be is rather equative; it has an identificational function, and identification in this sense is not something that can be watched. This would suggest taht equative be is too important semantically to be introduced transformationally, as it would have to be if (9) were to be derived from (10).

'It' as an Introductory Word: A Descriptive study

Muayad M. Sa'eed

The introductory word **it** which we are going to discuss here is a function word nominative used as a logical subject. Corder (1960: 42) states that "we can give special emphasis to part of a sentence by using introductory **it**". However, the pronoun **it** has many other uses such as **expessions of time, distance. climatic predications, impersonal statements, identification, sentence reference,** etc. e.g.

1- It is seven o'clock.

2- It is just six miles to our troops.

3- It is raining/ snowing/ getting dark/ noisy in here.

4- It says in the Koran that believers were brothers.

5-Someone is at the door. Who is **it?**

'It' as an Anticipatory Subject

Here, **it** is used to cenote a type of construction that lays emphasis through thematic position in the main clause on the object or prepositional object of nominal clause by replacing **it** as subject of the main clause; e.g.

6- To defeat the enemy is a pleasure ——» It is a pleasure to defeat the enemy.

In certain constructions such as **be sure, be certain, seem, appear, be said** and **be known,** the corresponding structure with anticipatory **it** requires a that clause, and it is the subject of the nominal clause that is fronted. e.g.

7- It seems that Iraqi troops have won the battle ——» Iraqi troops seem to have won the battle.

"It" as a pro-from for place adjunct

Some place relaters like **it** can be proforms for palce adjuncts when they function as subject and when the verb is intensive; e.g.

8- They concentrated in front of the mountain.

It was where the protection was greatest.

References:

1. Bolinger, D. (1975)
   Aspects of Language,
   New York, Harcourt
   Brace Jovanovich, Inc.

2. Dodson, C.J. (1967)
   Language Teaching and the
   Bilingual Method,
   London, Sir Isaac Pitman
   & Sons Ltd.

3. Finocchiaro M. (1964)
   English as a second Language
   New york, Regents Publishing company

4. Halliday, M.A.K. (1964)
   The Linguistic Scienenes
   and Language Teaching
   London, Longman.

5. Lado, R. (1946)
   Language Teaching
   New York Mc Graw Hill Inc.

6. Mower, O.H. (1690)
   Learning Theory and the
   Symbolic Processes,
   New York Mc Graw Hill, Inc.

7. Rivers, W.M., (1968)
   Teaching Foreign Language skills,
   Chicago, The University of Chicago Press

8. Wilkins D.A. (1975)
   Second Language Learning
   and Teaching,
   London, Arnold.

sent researcher can hardly describe the infinite pleasure of his students when he, accidently and when the context demands talks in the students, native language how the British greet, react, quarrel, marry, bury their dead, treat each other- pub licly, spend their leisure time etc. They show not only curiosity towards the foreign culture but a frenzy of delight and happiness.

Conclucion:

The role of Mt in foreign language teaching and learning cannot be rivalled by any other aid provided that it is handled by aqualified teacher who knows when, where and how to touch it up. In fact there was a time when languages were considered as great enemies to one another in the foreign language classroom. what the specialists are aiming at these days, is to bring up language in the foreign language classroom in intimate friendship for the sake of a well- learned new tongue for better international understanding and communication. The foreign-language teacher is in fact the most pivotal element in this cumbersome task. He can help pave the way to this goal faster through his alertness and promptness.

hood, These total ways which constitute the cultural patterns of a given community are so integrated with language that attempt to separate them is doomed to fail.

---

(1) see C.J. Dodson, 1967 PP 4—11

Alanguage and its cultural content cannot be learnt at the expense of one anther. when teaching a foreign language, the teacher should aim at helping the learner acquire a fluent command of the foreign language taught.The only way to achieve this goal is through exposing the learner to the foreign culture and helpibg him sense, realize, appreciate and absorb the social values upon which the native speaker bases his communication and understanding in social interaction.

In the initial stage of FL learning it is advisable that the teacher should bring the learner into contact with those factors of the new culture which are the same or similar to the leauner's own native culture, and not lead him too far into the complexities of foreign culture. This is necessary for the beginner since it reduces the learning burden and so enables the learner to spare effort for the learning of the phonological and grammatical aspects of the foreign language. These factors, should be built into genuine situations and taught dramatically.

At a later stage, when the learner has gained a firmer grasp of the foreign language, unfamiliar concepts can be tought into the foreign- language learning process. These concepts can be taught through the mother tongne.

Teaching the culural content of the foreign language through the MT is segnificant in more ways than one. It can arouse the learner's interest and curiosity and, therefore, stimulate him to further cultural understanding of the FL. The pre-

The pencil is on the desk.
The pen is on the table.

he should have more than one pencil, pen, desk and table to prevent the learner from assuming that a 'pen' may also mean a 'pencil' or a 'desk' may also mean a 'table'.The teacher can thus establish a distinction between objects of similar kinds. If the teacher intends to convey the meaning of 'yellow', he sould show the learner a series of coloured objects in addition to the 'yellow pencil' he shows. This technique enables the learner to avoid confusing the colour being learned with the other qualities which the pencil shown might have as being long, short, thin, etc.

To convey meaning of actions,the teacher can use another suitable process. For 'I am opening the window' the action can be dramatized several times while the pattern above is said simultaneously each time the teacher performs the action.

Another procedure of teaching meaning can be followed through MT equivalents. Experiments have shown(1)that the teaching of the meaning of the FL through the learner's MT can be the best of all procedures. The rsults which these experiments revealed in terms of speed and quality were only gained when the meaning of an FL utterance was acquired through MT equivalents and retained by means of any sort of visual material.

When a foreign language is learned it is inevitable that the learner should acquire a real appreciation of the culture of the foreign community. The reason for this is that language is deeply embedded in culture .The term 'culture' used here is the sum total of ways of shared life of a speech community which the individual trains himself to dopt since his early child-

important part of the foreign- language learning burden. This is why 'direct' method is thought to be sometimes tiring for both the learner and the teacher.

If that is the case, how can this learning burden be relieved? Can the MT be of any help? For weak learners explanations of the grammar of the FL in the MT are indisputably a more desired procedure than for the quick witted ones.The latter, who have acquired adequately the basic structures of the FL in the earlier stages will no doubt follow, quite easily and readily, explanations of the foreign language structures entirely through the FL, as their accurate knowledge of the recurring patterns helps them understand the grammatical rules taught through the FL. On the other hand, for weak students, who have not yet internalized the basic stucture of the FL, prolonged explanations of the grammatical rules through the FL should be a waste of time and effort. Therefore for this kind of students.

> explanations in the native language which are brief, coherent, and to the point, followed by active practice of the features under discussion are more effective."
> (Wilga M. Rivers, 1968: 86)

39 The role of the MT in teaching the meaning and cultural content of the FL:

In teaching the meaning and cultural content of the FL, the teacher may follow various ways .The use of visual material- objects, pictures, simple outlines, etc. can be one of these ways: If the teacher wishes, for example to convey the meaning of the following sentences: ۶٤۸

The question- ansewer exercise can be more effective if it is developed into the activity method where the pupil can participate in realistic situations. This exercise can, infact be handled for the purpose of teachimg the normal foreign language conversation in which the learner can deal fluently with unknown and unforseeable situations whenever and wherever they take place.

92 The role of tne MTin teaching the grammar of the FL:

Language skills are not based on grammar, but grammar emerges from the utterances that the learner has learned and expressed. Consequently, the teaching of the grammar of the FL is an inductive activity and it should certainly be an interresting discovery exercise. Hence, the teacher must help the learner notice the similarities, and find out the differences between the old and the new patterns acquired, and not to learn them as a mere collection of facts as foreign- language learners dealt with grammar in the past decades.

Direct- method teachers insist that the learner should, all the time, be exposed to the FL and he should think and work entirely in it, The text books and the directions are all in the FL and the MT is completely eliminated. The teaching of grammar is carried out throught the terminology of the FL.

However, grammatical terms are of two kinds. The first constitutes the concepts which are found in the FL as well as in th native language. The second constitutes the concepts which are not common to the two languages. It is suggested that the first, being familiar to the learner, can be readily acquired, while the second, being unfamiliar to the learner, cannot be acquired so readily and so constitutes the most,

to speak independently the sentences of the basic situation by means of the pictures supplied. The learner is required to utter those sentences which he practised in the substituion and extension exercise.

Speaking the foreign language independently requires that the learner is able to elicit questions and answers which can be taught through *a question and answer exercise*. It is vital for question and answer patterns to occur in basic situations. A substitution table is advisable here since it can provide us with as many question patterns as are needed for this activity. Before starting the exercise, the meaning of the question-answer patterns should be taught through the MT. In order to ascertain fluent and immediate responses, a substitution table should be clearly woven.

Who		in the room?
What		there?
Where		the key?
What size	is	the car?
Which ..		the man?

The question- and answer exercise is one of the moste important exercises where the various sentences learned can be taught in real conversations. The pupil is encouraged to supply answers from the situation which he has previously handled. If, for instance, topics such as shopping, weather, and going on a picnic have been previously dealt with, the question and answer exercise can be something like the following:

Teacher: where have you been yesterday?

Pupil: I went to the countryside.

Teacher: How was the weather there?

Pupil: It was windy.

> The pupil's response follows immediately upon the teacher's MT words without any time lag, so that he expresses his foreign- language sentence as a single unit, not as a collection of unrelated words which somehow have a connexion with the MT words spoken by the teacher

An effective coosolidating practice of the interpretation exercise is that the pictures representing the situation in hand can be shuffled and given to the pupil to arrange them in their proper order and to speak the sentences which they represent. This is a very rewarding drill because the learner is given the opportunity to overcome the difficulty of welding together meaning and sound through meaningful contexts.

Having consolidated step 1 (imitation), and step 2 (the interpretation exercise), the teacher can next start with step 3 which is the *substition and extension exercise*. The aim of this exercise is to train the learner to produce as many new situations as possible by getting away from the basic situation that he has already mastered. To tackle this exercise profitably, simple substitutions should precede multiple ones. It is carried out, of course, through the mother tongue because the stimulus is given in the mother tongue. So long as the response structure remains constant, it dose not matter whether the structure in the mother tongue changes or remains unchanged

The substition and extension exercise is a semi- creative one whose aim is to develop the learner's ability to the level of the creative standard through an independent speaking exercise in which there is not a spokem stimulus neither in the MT nor in the FL. The learner here is given an opportunity

This exercise is an oral activity, where the teacher introduces an oral mother -tongue stimulus for a foreign language response by the learner. Both the mother- tongue stimulus and the foreign- language response are oral, and so differ from translation, which is totally a written activity and requires different skills and training.

The following is a teaching model: The teacher utters the sentences which builds up a situation. The sentences are spoken with reference to a set of pictures; each picture represents a sentence; the written text is excluded, and the whole time is devoted to the oral activity:

The children are at home now.

Selma is painting a picture.

Layla is reading a story.

Basim is doing his home work.

Father and mother are watching the television.

Now, after the learner has learned how to speak these sentences by imitation, and after he has understood their meanning by means of the MT, the interpretation exercise starts. The teacher gives an oral mother - tongue stimulus ro every sentence and the learner renders it into the equivalent English sentence. C. J. Dodson (1974: 91) comments on the effect of the interpretation expercise:

> The mother tongue is used as a clue for concept causation. When the teacher gives a mother- tongue stimulus, aconcept is conjured up in the learner's mind. It is this concept ,not the mother- tongue words, which the pupil expresses in foreign- language terms. ۶۵۳

2— To make the pupil fluent and accurate in the written word .

3— To prepare the pupil in such a manner that he achieves true bilingualism."

(C.J. Dodson, 1974: 66)

These aims are achieved in 'situations', The learner is helped to gain complete oral and written proficiency for each situation he is dealing with. This is ensured by the selection of well- graded texts from the point of vocabulary and patterns. The texts should also be of interest to the learner.

Visual aids satisfy genuine language- learning activities and make the applications of the Bilingual method fruitful in the foreign- language classroom. In fact, rejection of the visual aids makes the teacher's job more complex and tiring, and deprives the learner of the integration of the spoken word with the world of reality.

The learner learns basic sentences by *imitation*. The teacher explains the meaning of these sentences in the MT as there is no evidence to show that the considerable amount of time spent by the direct-method teacher on explaining these sentences in the FL would result in any bearing on the quality of the subsequent spoken responses or on the advancement of the process of association of sound and things.

The teacher's ultimate goal is to feel confident that the learner is able to imitate him without reliance on the printed text. Books should be closed for the remainder of the exercise.and while listening, the learner should pay attention to the teacher, and watch the visual aids.

As soon as the learner has learned how to pronounce basic sentences properly and is able to speak them fluently as the teacher does, imitation is shifted to *interpretation exercise*

enables both the teacher and the learner to spare time and effort to cope with the other language aspects.

This paper falls into the following parts of discussion:

1— In what way or ways can Iraqi teachers of English employ the Bilingual Method in their teaching.

2— The role of the MT in teaching the grammar of the FL.

3— The role of the MT in teaching the meaning and cultural content of the FL.

* * *

1. In what way or ways can Iraqi teachers of English employ the Bilingual method in their teaching

Novelty and creativity are the essence of the advancement of life. In almost every walk of life, there have been discoveries which have invalidated many a long-standing tradition and well established value and judgement. The world of language teaching cannot be excluded from this universal phenomenon.

In the following part of this paper, the researcher introduces the Iraqi English - language teacher to an up- to- date method in the field of foreign- language teaching, the Bilingual method . The researcher empirically found this method a success in teaching English as a foreign language in Iraq, after he had tried it on some children of various ages of different intellectual capacities.

The Bilingual method aims at enabling the learner to acquire a level of proficiency through its systematized activities which consist of various language - learning exercises. The latter are graded in terms of difficulty and their aims are;

1— To make the pupil fluent and accurate in the spoken word.

"Where it is important that
explanations and instructions
should be understood quite unambiguously, there is
no reason why they should not be given in
the mother tongue."

(Wilkins 1975: 82.

Recourse to the MT in teaching an FL is not ,in fact, an inexcusable teaching procedure since languages have much in common. Bolinger suggests:

"..languages are alike
because people are alike
in their capacities for
communication"
(Bolinger 1975: 14)

Therefore, the process of foreign- language learning constitutes no exception to the complex process of learning in general through the MT:

"With language, all we are born
with is a highly specialised capacity
to learn." (ibid :15)

It should be also useful to point out that even when an FL is learned in its own speech community and is taught by its native speakers, the MT cannot be dispensed with as a helpful means of putting across immediate interpretation of a new word or an utterance.

Hence, recourse to the MT in foreign- language teaching and learning can be a reliable pedagogic device as:

1— it provides an ample opportunity to understand FL forms in their linguistic sociocultural situations, and

2— it reduces the effort of the FL teaching and learning by ensuring proper comprehension of the FL ; besides it

The Role of the MT in the Teaching and Learning of the FL... Applications for the Iraqi Learner of English

By

Hashim A. Husain

University of Mosul,

Introduction :

In the recent history of foreign– language (FL) teaching there have been bitter conflicts between the two extremints, the protagonists of the indirect grammar- translation method, on the hand , and the advocates ' of the direcr' method on the other, on the qu uestion whether it is desirable to use the mother tongue (MT) of the foreign- language learrner for instructional purpeses. But the view that MT has adefinable role in FL teaching and learning has won sufficient approval.

It should be worth mentioning here that foreign- language teachers have been at pains to demonstrate the truth of the latter contention. M.A.K. Halliday (1964) condemns both ' indirect translation method, as well as the 'direct' method, the first with all its linguistic puzzles and complexities, and the second with all its exggeration of the use of FL in the classroom situation. To him, MT can be profitable in hastening the processes of foreign language teaching and learning. Others, such as Wilga M. River (1968), Mary Finocchiaro (1967), and Robert Lado (1964) Suggest that foreign- language teachers should be alert to detect the situations which require the invitation of the MT in the foreign- language classroom for more fruitful foreign- language teaching and learning. The following statement of the D.A. Wilkins precisely signifies the role of the MT in foreign language teaching and learning:

BIBLIOGRAPHY

Bennett, Jill. *Learning With Picture Books,* edited by Nancy , Chambers, A signal Bookguide. stroud, Glos.:The Thimble press, 1869.

Bright, J.A. and G. P. McGregor . *Teaching English as a second Language: Theory and Techniques for the secondary stage.* London: Longman, 1970.

Brooks, Nelson. *Language and Language-Learning: Theory and Practice.* New York: Harcourt, Brace and world, Inc., 1964.

Brumfit, C.J.ed. *Teaching Literature Overseas: Language- Based Approaches.* ELT Documents 115. Oxford: Pergamon in Association with the British council, 1983.

Dayiyat, Eid A. a;d Muhammad H. Ibrahim, eds .*Papers From the First Conference on the problems of Teaching English Language and Literature at Arab Universities,* Amman: University of Jordan, 1983.

Gurrey, P. *Teaching English as a Foreign Language.* London : Longmans, 1955.

Lado, Robert. *Language Teaching: scientific Approach.* New Delhi: McGraw- Hill Publishing co., 1964.

Press, John, ed. *The Teaching of English Literature overseas .* London: Methuen, 1963.

Rivers. Wilga. *Communicating Naturally in a Second Language Theory and practice in Language Teaching.* Cambridge: Cambridge University Press, 1983.

Speaking in Many Tongues: Essays in Foreign Language Teaching third edition. Cambridge: Cambridge University Press 1983.

———*Teaching Foreign Language Skills.* Chicago: chicago University Press, 1968.

language, and develop themes of interest to young adolescents. The writer of the textbook will show by the development of his material that he has established some rational sequence of cultural insights and interrelationships for appropriate levels of instruction, and that the reading material has been selected with a view to clarifying these insights (12).

Nelson Brooks (1964) and Rivers (1983) stress "utility" the selection of tetts for foreign language. "aesthetic" satisfaction functioning as a kind of psychological reward reinforcing the learning process. What the students like or need, what the teacher likes or is best competent to teach and what "lends itself to the special tempo and specific needs of the moment" (13) must, inevitably, be important factors in determining the content of the syllabus and the shape of the course.

This brings me to the last point in my discussion, namely, teaching literature involves to a great extent teacher education and demands good teachers who are able to handle the material well and make it meaningful and relevant to their students while actively contributing to the progress of their language skills. A teacher must know how to interpret a text, to be able to contribute insight and have awareness of situation and audience as much as of author and text.

---

(12) Wilga Rivers, *Teaching Foreign Language Skills* (Chicago: Chicago University Press), P. 280.

(13) Nelson Brooks, *Language and Language Learning* (New York: Harcourt, Brace and World Inc., 1964), P. 106. See also Wilga Rivers, *Communicating Naturally in a Second Language* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983) PP. 137–146.

> for us is that used in the 'literature of the subject' whether it be mathematics, chemistry, agriculture or whatever you like (11).

The foreign language class need not turn into a sciense class or a history class or a culture class for that matter, but breaking the language/ culture barrier by introducing a wide range of selected texts and passages on diverse subjects could have a multi–purpose service and value. Above all, the interest of a good story and reading for pleasure enhance and reinforce language acquisition, and by reading widely familiarity with cultural background, social customs, history, attitudes and different points of view is cultivated. It is preferable to acquire a wider knowledge of the culture and milieu of the foreign language than to be particularly familiar with one or two aspects of it only.

Wilga Rivers stresses the need of foreign language material to be a viable cultural medium communicating similarities and differences between the two cultures in a wide variety of situations without seeming to be pedantic or overloaded. Like Richards, she too, suggests that prior to the introduction of literary material, passages of a general nature should be made use of, like songs, anecdotes, magazine articles, etc,. to transmite cultural content and ideas on current topics. But when time comes for introducing authentic literary material like short stories, poems, scenes from plays and passages from novels, preference should be given to works

> representative of contemporary attitudes and situations, (which) are expressed in twentieth–century

---

(11) I.A. Richards in *The Teaching of English Literature Overseas*, ed., John Press (London: Methuen, 1963), P. 43.

Most language specialists agree on the issue of using simplified texts at the early stages of foreign language learning. Lado concedes that "Simplification is useful in other than artistically immortalized writing. A feature article, an editorial or a factual discussion of some topic can be simplified to the level of the students without literary loss and with obvious gain to the students" (9). He recommends also that it would be advisable to prepare the students linguistically to cope with the literary text rather than to "doctor" it for their convenience (10).

In this respect however, I. A. Richards draws attention to the fact that a certain level of efficency in the language must be attained before meaningful communication–comprehension and expression–can take place. But this level of efficiency need not be too high. In a panel discussion of teaching the literature of foreign language he says :

> Literature is only a name for doing a job well with the language by voice or pen, let us keep in mind that people with no more perhaps than 500–word vocabulary and the forty most necessary constructions may, within that scope, say things well with it and be composing literature. We don't have to wait till they have nominally mastered some big section of the language and have taken up a book which is classified by librarians as 'a work of literature' with capital L. The most important sense of 'literature'

---

(9) Robert Lado, *Language Teaching: A Scientific Approach* (New York:McGraw–Hill, 1964), p. 156.

(10) See also P. Gurrey, *Teaching English as a Foreign Language* (London: Longmans, 1955), p. 168–69.

narrtaive and descriptive elements of the story; they often identify (where there is psychological and emotional relevance) with the characters and further and above all they can, invariably have something to say, expressing their thoughts and feelings, about the story. A story combines in addition to narrative and description elements that are exclusive to other forms like dialogue and poetic elements. One of the draw backs with the present secondary school readers(in my opinion) is their heavy reliance on dialogue while the narrative and descriptive passages are too few.

It is to be stressed that at the pre–university level no literary work is studied *pe rse*, rather it is the *language of the* literary work that is the focal point of interest. This leaves programmers and syllabus–designers a great deal of freedom of choice to select material that is socially and culturally relevant at the same time as it is linguisticaly expedient . Vocabularly controlled readers are graded according to the student's ability; and a wide variety of reading material helps develop and increase the student's familiarity with the culture and related background. These would ultimately enable the student to respond more vividly to proper literary works. "The range of English literature studied overseas should include not only imaginative works, but good writing in science, history, philosophy, art and a variety of other fields" (8).

Works by overseas writers writing in English as well as translations from other foreign languages into English are not to be ruled out as possibly useful material.

---

(8) *The Teaching of English Literature Overseas*, edited by John Press, p. 162.

secondary school a wide variety of short literary pieces can be introduced to make for a wider understanding of the spirit and culture of the language .

Speaking of the origin and the development of children's reading habits Jill Bennett in an influential essay published as a little pamphlet has written:

> Nobody knows how children learn to read.What we do know is that thousands who can read, don't. My chief aim as a teacher is to help children become readers who see books as an important part of their lives and who will continue to enjoy literature as they grow up.. if we listen to young children talking, we discover that they use narrative almost exclusively to organize and communicate their thoughts–to make meaning . Moreover, children begin to develop literary competence long before the question of literacy arises: from their first encounter with nursery rhymes and stories they are finding out how stories work. It seems obvious to me that we should capitalize on these two factors; that reading is also a matter of making meaning, and that the natural way to learn to read is through stories (7).

Students continue to respond enthusiastically to the short story–form up till the time when they come to university. The reasons are obvious; this form more than poetry or even drama provides more readily for imaginative stimulation and for emotional appeal. Students find themselves stirred by the

---

(7) Jill Bennett, *Learning to Read With Picture Books*, A Signal Book Guide, edited by Nancy Chambers (Stroud, Glos. : The Thimble Press, 1969), p.3. ۷۰۴

students come to our universities without a sufficient command of the English language (written, spoken or aural). By virtue of my experience in teaching literature at Al-Mustansiriyah University, I can but regret to attest to this fact and observe that in some cases even after spending four years at university under a rigorous program a certain proportion of students graduate without having attained the necessary proficiency- their language is far from flawless. Clearly the problem is deep rooted and tackling it at an advanced stage poses difficlties . However, I am deeply convinced that it is quite possible and feasible to teach a young person a foreign language over a period of time and bring him / her to the university level with a sufficiently adequate command of this language so that he/ she pursue a fruitful education in any discipline without facing insurmountable difficulties and unnecessary frustration.

> Whatever else literature may be, it is also a formal construct in which language is used with clarity and vigor... In practical terms this means that the study of English Literature cannot properly be separated from the study of English language. (6)

I believe that at the intermediate school simplified readers with a controlled vocabulary level may be employed as a stimulating material. To supplement the language-class at the

---

(6) John Munro, "The Decline and fall... And Elevation of the Man of Letters in the Teaching of English," in *Papers from the First Conference on the problems of Teaching English language and Literature at Arab Universities*, edited by Eid Dahiyat and Muhammad H. Ibrahim (Amman: University of Jordan, 1983), p.61. In this essay Munro recommends emphasizing the language of the literary text rather than the text as a literary work.

ious indictment of a high school foreign-language program". (4) One's attitudes, personality, human relations and ability to make decision-on all planes professionally and in private life-in a way reflect, and draw upon one's cultural education-a significant part of which must inevitably be the result of one's literary education. It is obvious that one must be well versed and well educated in one's own native literature, and our Arabic literature is undoubtedly one of the richest in the world,

yet familiarity with the literature of another language is no small asset. A knowledge of a few proverbs, a handful of simple yet significat poems, a few short stories, a play or even a few scences from plays add significantly to the students cultural education. For in learning to read, understand and discuss a literary work in a foreign language, the student is brought into real contact with the finest product of another culture, an exercise which has the dual merit of putting into practice the various linguistic skills he has learned or is learning in addition to enriching his education and developing his personality. "It is *the vividness of pursuing ideas* in a lively context that makes the experience of lasting educational value. Discussing, imagining, acting out, and creating are the techniques for such classes" (5).

During the winter of last year (1983) the First Conference on the problems of teaching English language and literature at Arab universities was held in Amman at the University of Jordan. There was a unanimous concensus on the fact that

---

(4) Wilga Rivers, *Teaching Foreign Language Skills* (Chicago: Chicago University Press, 1968), p.279.

(5) W. Rivers, *Speaking in Many Tongues*, p. 179–180.

٧٦

We all concede that the primary objective of teaching English as a foreign language in our primary and secondary schools is that English is the main 'language of science and technology, hence it is essential for career purposes. Yet, we recognize the vital importance of the foreign language in enhancing and exchanging a cultural understanding of the values and viewpoints amongst peoples of the world.(3)Thus, it is hoped that the more permanent, useful and humane values which have always been cherished by society may continue to be an informing principle. At the same time, it is also hoped that students are prepared intellectually and morally to meet adequately the challenges of a rapidly changing world and demanding responsibilities.

Margaret Mead mentions the attitude of some secondary school students who feel they only have to learn a few phrases about how to travel, which Wilga Rivers adds"would be a ser-

---

(3) Wilga Rivers publishes the results of a questionnaire on the goals of foreign language learning to fifty American states and fifty countries around the world where English and other languages are taught as foreign languages, she writes "The countries responding from the *Middle East* (Egypt, Iran, Iraq, Jordan Kuwait, Saudi Arabia, Sudan, Turkey: seventeen respondents) all showed a strong interest in English for career purposes and technical reading. They looked forward to travel in other countries and broadened opportunities for enjoyment of life. They also considered language important educationally as another mode of learning. Kuwaities, Iraqis and Sudanese, in particular, showed a strong interest in understanding the values and viewpoints of the speakers of the language." *Speaking in Many Tongues* (1983), P. 42.

THE ROLE OF LITERATURE IN TEACHING A FOREIGN LANGUAGE

bY
Kawther Al-Jezairi
AL-Mustansiriyah University

It has always been believed by educationists and language theorists that the chief serious value in foreign-language learning lies in "the genuinely educational value of intimate contact with the writers and thinkers of any language."(1)And it is this contact which is especially needed by persons who pursue strictly scientific studies and careers. For unlike students in the humanities, they seldom have the opportunity to come across foreign language literature after they leave secondary school. And as the world becomes more technologically oriented, there grows an increasing need "to educate thoughtful, intellectually disciplined citizens who can recognize when the quality of life is being eroded and who consider problems and issues from a viewpoint that transcends the present. "(2)

---

(1) Wilga Rivers, *Speaking in Many Tongues: Essays in Foreign Language Teaching*, 3rd ed. (Cambridge: Cambridge University press, 1983), P. 179.

(2) Ibid. P. 179 .

to *Uncover Nakedness: The Dramas of Harold Pinter* (Columbia, Mo.: Univ. of Missouri Press. 1969), p. 39.

7— Martin Esslin, "Godot and and His Children "pp. 68-69.

8— Harold Pinter," Between the Lines," *The Sunday Times* (4 March, 1962), p.25.

9— Ibid., p.25.

10— James Naremore, *The World Without a Self: Virginia Woolf and the Novel* (New Haven: Yale Univ. Press, 1973), p.9.

11— Martin Esslin, *The Theater of the Absurd*, p. 232.

12— All referncces are to *Harold Pinter's Complete Works*. (N.Y.: Grove Press, 1976), vol. 1. Further refernces to this edition will appear in parentheses in the text. Emphasis added.

13— There are situations, of course, when silence is not so, e.g., a teacher asking students to be silent, or a member of the audience appealing for silence in the theater, etc.

14— One can safely assume that the matchseller does not exist in the radio version of the play. The text suggests this:

Edward: You've... actually seen him arrive.
Flora: No....(p.175)
Edward: There was a storm.... He stood without moving, while it raged about him. (p.178).

The matchseller stands in a lonely place (p.176), and he is not interested in selling his matches to a monk, who does not even see him (p.176, p. 179).

15— Hence the seemingly paradoxical title of the paper with its implied assumpoin that such silence is not a mere dramatic convenience but a powerful tool of expression in the hands of a master playwright who handles it with caution, skill, and dexterity.

NOTES

1— See J. R. Taylor, The Angry Theater (N.Y.: Hill and Wang, 1962) pp.260-261, and I. Wardle, "The Territorial Struggle" in *A Casebbok on Harold Pinter's "The Homecoming,"* ed. J. Lahr (New York: Thomas Y. Crowell, 1971), pp. 37-38.

2— Hardly a book or an article on Pinter ignores this aspect in his drama. See illuminating discussions in A.Sykes, *Harold Piner* (N.Y.: American Publishing Co., 1970), pp. 90 ff, P. Wray, "Pinter's Dialogue: The Play on Words, *Modern Drama*, 13 (February 1971), p. 418, and John Russell Brown's early and influential "Dialogue in Pinter and Others, " in *Modern British Dramatists*, ed. John R. Brown (N. J.: Prentie-Hall, 1968), pp. 122-144, and K. J. Worth, *Revolutions In Modern English Drama* (London: G. Bell& Sons, 1971), p.47.

3— Martin Esslin, "Godot and His Children: The Theater of Samuel Beckett and and Harold Pinter," in *Modern British Dramatists*, ed, J. R. Brown (N.J.: Prentice-Hall, 1968), p. 66 and Guido Almansi, "Harold Pinter's Idiom of Lies," in *Stratford Upon-Anon Studies 19: Contemporary English Drama*, ed. C. W. E. Bigsby (London: Edward Arnold, 1981), p 79.

4— Martin Esslin, *The Theater of the Absurd* (N.Y.: Doubleday & co., 1969), p. 232 and K.H. Burkman, *The Dramatic World of Harold Pinter* (Columus, Ohio: Ohio State University Press, 1971), p.63.

5— The most representctive critic in this group is Martin Esslin, *Pinter: A Study of His Plays*, revised ed. (London: Methuen, 1973), pp.34-45.

6— A.L. Quigley, *The Pinter Problem* (N.J.: Princeton University Press, 1975), p. xvii and L.G. Gordon, *Strategems*

Both *The Room* and *A Slight Ache* violate our ordinary expectations. What a character chooses not to say turns out to be a genuine communicative effort, a sort of a substitute language that suggests and conveys hidden desires, fears, and the unknown. (15) Silence in both plays functions on the conscious level (a character interprets others' silence as a refusal to communicate) and on the unconscious level (silence appeals to and addresses deep desires and hidden impulses).

grossed in these thoughts. Flora understands the same silence in a way that corresponds to her sexual desires. The old man reminds her of a man who had raped her, and strangely enough his silence excites her and arouses her sexually. The more the man keeps silent, the more aroused she becomes. Her references to the man as dying could be understood in their sixteenth and seventeeth century periphrastic connotations: Making love was paralleled to dying. When Flora says that the old man is dying, she may be suggesting the desire to go to to bed with him.

III. Edward becomes blind in the end, and there is a reversal of roles: the matchseller becomes the husband and the husband is reduced to a crippled and blind matchseller. Again silence brings about this end. By refusing to communicate with Edward and by exciting the wife and seducing her (pp.191, 192, 199), the matchseller becomes the master, Edward, like Oedipus, discovers the truth that blinds him, a truth that is linked to his impotence and to his wife's sexual desires.

Edward's very existence is now threatened and his end approaches. He lacks the mysterious power which he associates with silence, and hence he is weak and vulnerable. He is doomed. The wife, in contrast, is happy with her husband's fall. She looks forward to an active sexual life with the matchseller. Significantly, she expresses her joy in floral terms full of sexual allusions in the very names of the flowers she refers to:

> Flora: Everything is ready.
> (pause)
> I want to show you my garden, your garden. You must see *my japonica*, *my covolvulus* ... *my honeysuckle*, *my clematis* ....
> [Emphasis added] (p. 199)

Edward starts asking him questions, and the cross-examination results in Edaward's failure. By the power of silence, the matchseller defeats Edward, who is blinded and takes the place of the matchseller with a tray in his hand.

The matchseller's silence is more expressive and powerful than ordinary language. It not only establishes his authority over Edward but also makes him the master of the house. The old man's silence serves at least three functions in this play: threat, sexuality, death.

I. Threat. Since Edward and Flora have their own language, which is a combination of the common vocabulary of everyday speech and of particular sexual references, silence for them is a form of an enhanced action. By refusing to take part in their conversation, the matchseller rejects Edward's friendly jestures (after all, we use language as a means of communicatin our friendship and good will). By spurning Edward, the matchseller establishes a psychological and social barrier between them; no communication is possible, and hence Edward's fear. If we fail to communicate, we panic and revert to animal grunts and flee. Edward cannot flee, he has to to face the old man, whom he associates with hidden fears and death.

II. Sex. Flora's preoccupation with sex is suggested through the names of different flowers and plants she keeps referring to. When Edward orders her to go to the trough, he knows that she is sexually excited by the presence of the old man in the room. Here Edward equates silence with sex. Silence, however, is not a simple form of language that can be understood without reference to a context. Linguistic categories do not exist without reference to the outside world; our own consciousness imposes the meaning or meanings we infer. Edward understands silence in terms of his personal fears and impotence, because he is en-

things simultaneously: holding back from actual speech and exerting the influenec of silence, which involves a tacit refusal to communicate. Silence then can be more forceful in certain contexts than verbal utterances(13). Bert,by opting for not to speak, is actually working through different channels of communication that have been previously established between him and Rose. Rose has her own defence mechanisms that allow her to neutralize that sileace for what appears to be her own comfort.

Bert's insistence on silence increases Ross'ss sense of fear and menace, because this code of communication distresses and disturbs her. Silence in *The Room* is inexorable since it either augments Rose's fears by confirming them,or it alludes to known anxieties implicitly. In the latter sense, silence is a substitute language established in Rose's consciousness which encodes certain messages that we, the audience, are ignorant of, and of which Rose is painfully aware.

In *A Slight Ache*, there are again two characters, a man and his wife, Edward and Flora. They live in a large country house. Both husband and wife are worried by an old man who stands at the back entrance to their garden selling matches to passersby. In that area, hardly a person passes by. The husband is suspicious of the old man, and in order to find out why the matchseller stands there all the time, he asks Flora to invite him in.Since *A Slight Ache* was originally written for the radio, the old man is neither heard nor seen. (13) He seems to be a projection of the husband's fear and impotence, and the wife's sexual desires. (14) Both husband and wife find in the matchseller what they lack or what they fear: Either sexuality or fear of death. The old man comes in, but never utters a single word. In other words, he refuses to communicate with Edward.

in the silence that he manipulates to make it a substitute language or an alternative means of expression.

In *The Room*, the main character is an old woman whose name is Rose. She lives in a big house; she neither knows how many stories this house has, nor where her room is situated. She lives with a man called Bert who has been by many critics mistakenly considered her husband (11) There is no inication whatsover in the text that Bert is the husband. As soon as Bert leaves the house to run an errand, a Mr.Kidd comes to see Rose, and Rose treats him as the landlord, Mr. Kidd, like Rose, has no knowledge of the house, how many rooms it contains, or the number of its stories. He comes to tell Rose thct a blind negro waiting in the basement wants to see her. When the blind negro enters the room, he addresses Rose as "Sal", and asks her to come "home". Bert suddenly comes back, sees the man, and for no apparent reason hits him on the head till he falls unconscious. Rose cries. She has gone blind.

This is the basic outline of the play.The first sentence Rose utters sets the background of the play and its main theme;

> Rose: Here you are. This.ll keep the cold out....*It's very cold out.* I can tell you. *It's murder* (12).

Rose keeps on referring to the cold weather and her cozy room, pampering Bert all the time, who never speaks at the beginning. If he were deaf and dumb, the whole play would have been dfferent, but as we find out at the and he actually speaks. What does Bert's silence imply? Silence has long been recognized as an alternative means of communication, particularly when normal language ceases to be effective for the speaker. This means that if we choose not to speak we do two

The Room(1957) and *A Slisht Ache*(1958)are two early plays by Pinter which illustrate the ways in which he uses silence as a functional aspect of language. Pinter says:

> There are two silences. One when no word is spoken. The other when perhaps a torrent of language is being employed. This speech is speaking of a language locked beneath it. That is its continual reference (9).

Pinter equates silence with language. Silence for Pinter "speaks" sometimes louder than the actual words that come from the mouth of a character, especially in the early plays. The choice of the two plays is not, however, arbitrary. Both are one–act plays that have three characters only: a man,a woman, and an intruder who comes from the outside to bring disaster.In both plays the setting is a small room in a big house. Besides, in both plays the main character goes blind, a symbolic act open to several interpretations.

Pinters, first play *Thm Room* summarizes his basic concerns, imagery, and themes. It is also the most characterisic play in terms of style. In his more recent plays few things change, but the constant element in Pinter is his "style", the idiosyncratic manipulation of words and silence. In this respect, Pinter sh ws qualities of an original writer. A contemporary critic argues that

> No matter what metamorphosis his art may undergo a serious writer of any talent has some habit of mind that remains constant, though it may be manifested in a recurrent rhythm or collection of images (10). ۸۶

Pinter's "habit of mind," however one interprets the phrase, finds its expression in his dialogue and, more important,

more recent critical interest emphasizes what a play *says* by *unsaying* it. In other words, what attracts most critics is Pinter's innovative use of silence, or, better still, a character's wilful refusal to speak, respond, or engage in any conversation with other characters. This refusal to talk, this insistence on silence seems to say more than what the actual words imply. I take this dichotomy between what is *said* and what is *unsaid* as the most important aspect of Pinter's dialogue.

Pinter's reliance on the unsaid and the implicit appear to correspond to the current cultural situation which undermines accepted "certainties" in religion, philosophy, and language.

Pinter shows a marked distrust of words and language, and thus reflects the modern temper of "question [ing]the efficiency of languge as an instrument of genuine communion".(7)If verbal utterances cease to be effective means of communication, modern man has to rely on silence, which is a form of "subtext" that runs parallel to the "text" of his disourse. Such observation is confirmed by a staement made by Pinter in an interview:

> The speech we hear is an indciation of what we don't hear. It is a necessary avoidance, a violent, sly, anguished or mocking, smoke–screen which keeps the other in its place .(8)

What Pinter is saying is this: A verbal utterance cna be reduced to a mere "smoke–screen", its meaning hidden from the listener. This entails not only a distrust of what is said but also what is implied. Hence I equate "silence" with a "subtext" in reading a play by Pinter. The distinction between *what is said* ("text" or "what we hear") and *what is implied* suggests the very priority given by Pinter to the unsaid ("subtext" or "what we don't hear)".

PINTER'S LANGUAGE OF SILENCE

Adnan K. Abdulla, Ph.D.

Mosul university

Of all contemporary British playwrights, Harold Pinter is, perhaps, the most controversial. There is much discussion and little agreement among his critics about what his plays say, what they imply, the relationship between "structure" and " theme, " and the relationship of " character " to "situation" (1). The one aspect of his plays, however, that has aroused an unwavering interest is his dialogue.(2) Dialogue in Pinter is also the most problematic element of his drama. On the one hand, it is labelled "naturalistic," based on everyday speech and conversation, and on the other hand it has been called "confusing" and "meaningless". (3) The impasse that faces most critics is how to reconcile these two opposing views of the dialogue, which dominate most critical responses to Pinter's plays.

The importance of dialogue in Pinter has been recognized since the production of his first play *The Room* in 1957.(4) No critic seems able to escape the dilemma of explaining what that dialogue implies, what "message" it conveys, or, by exension, what Pinter is doing to the langnage of the theater. Earlier riticism on Pinter related the dialog to the basic themes of his plays, which range from "menace," to "illusion" to "verification," to "identity"(5). A more recent interest has shifted from *what* a Pinter play says to *how* it says it. A still ٨٨

47– Khulusi, pp. 118–125, 157–158, 148–149.

48– *Complete Short Poems*, ed. John Carey (1968; London: Longman, 1971), p. 242, n. 28.

49– Hughes, p. 121, n. 28.

50– Nicolson, p. 92.

51– Khulusi, p. 149.

33– *Al 'Arabi*, September 1967, pp. 52–57.

34– *Dirasat fil adab al-muqaran wal madhahib al-'adabyyah* (*Studies in Comparative Literature and Literary Schools*) (Baghdad: Al–Rabitah Printing House, 1957), pp. 102–103.

32– Ibid., p. 102.

36– See A.J. Waldock, *Paradise Lost and Its Critics* (Cambridge: The University Press, 1966); Arnold Stein, *Answerable Style: Essays On Paradise Lost* (seattle: University of washington Press, 1967).

37– *Al-Risalah*, 25 November 1946, :. 1313 .

38– Hughes, 179.

39– On the poetic devils of Arabic literature (similar to the Greek Muses), see Shafiq al–Ma'aluf, *Abqar* (San Paulo: Publications of al–'usba al–andalusyyah, 1949), pp. 7-135.

40– See Al–'Aqqad's prefatory note on the poem in *Diwan al-'Aqqad* (*Al-'Aqqas's Collected Poems*) (Aswan, 1967) p 41.

41– See *Majmu'at al 'amal al-Kamilah* (*Complete Works*) (Beirut, 1979), XII, p. 378 .

42– See Ibrahim 'Abd al–Qadir al–Mazini, *Al-Shi'ar: ghayatuhu wa was'luhu* (*Poetry: Its Goals and Medium*) (Cairo, 1915), p. 5 .

43– See "Al–Shaytan: Al–'Aqqad and Milton", *Fusul*, July 1981, pp. 163–12

44– *Complete Works*, p. 336.

45– "Min al–firdaus al–mafqud" "From Paradise Lost", *Al-Risalah*, 10 January 1937, pp. 778–780.

46– *Al-Siyasah al-usbu 'iyyah*, 11 January 1930, p. 24.

19– *A Reader's Guide to John Milton* (1963; rept. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1970), p. 240.

20– *Hakim al-Ma'arrah* (*The Sage of al-Ma'arrah*, (1944; rept. Beirut: Al Khashaf, 1948),p.127.In the Quran Satan is described as proud and disobedient. He refused to kneel to Adam when ordered to do so by God. Satan protested that he is superior to Adam, since he was made of fire while Adam was made of clay. (See The Quran, Al–Isra, verse 61–65).

21– For a discussion of Al–Ma'arri's life and ideas, see Taha Hussein *Tajdid dhikra abi al-'Ala* (*The Renewal of the Memory of Abu al-Ala*, (1914; rept. Cairo: Dar al–Ma' arif, 1922); Marun 'Abud, *Abu al-'Ala al-Ma'arri: zawba'at al-dehir* (*Abu al-'Ala al-Ma'arri: The Tempest of Time*), 3rd. ed. (Beirut: Dar Marun 'Abud, 1970).

22– May 1886, pp. 440–456.

23– Saladin (1137–1193) was the great Moslem leader who fought and defeated the Grusadors.

24– Ibn Khaldun (1332–1406) "developed one of the earliest nonreligious philosophies of history." See *New Encyclopaedia Britannica*, 1974 ed.

25– *Al-Muqtataf*, May 1886, p. 455.

26– See *Ilyadhat Homar* (*Homer's Iliad*), trans. Imil al–Bustani (Beirut, 1904), introduction, p. 3.

27– *Tarikh al-adab al-Arabiyyah* (*History of Arabic Literatures*) (Cairo Al–Hilal Publishing House), II, p. 226.

28– See his translation of Macaulay's *Essay on Milton* (Cairo: Al–Khniji Library, 1946), introduction, p. 1

29– *The Sage of Al-Ma'arrah*, pp. 127–28

30– *Al-Ghafran* (Cairo: Dar al–Ma'arif, 1954), p. 325.

3– Ibid., pp. 92–110.

32– Nicolson, p. 186.

Notes

1– Mahmud al-Khafif, "Milton", *Al-Risalah*, 25 February 1946, p. 215. In the transliteration of Arabic names I followed the *Cataloging Rules of the American Association and the Library of Congress* (Washington: Library of Congress, 1959), pp. 38–45.

2– Ibid., 1 July 1946, p. 973.

3– See *Essay on Milton*, ed. H. B. Cotterill (London: Macmillan, 1925), pp. 44–52.

4– *Al-Risalah*, 30 September 1946, p. 1087.

5– This description appears as a motto at the beginning of each of the thirty five essays of Al-Khafif.

6– See *Al-Risalah*, 25 October, 1 November, 8 November 1937, pp. 1741–1743, 1784–1786, 1824–1826.

7– Ibid., 25 October 1937, p. 1742.

8– Ibid., 1 November 1937, p. 1825.

9– Ibid., p. 1826.

10– Al-Khafif, 9 December 1946, p. 1312.

11– *Al-Thaqafah*, 27 April 1948, pp. 17–19.

12– Ibid., p. 18.

13– Ibid., p. 19.

14– Ibid., 14, 21 November 1939, pp. 16–18.

15– Ibid., 21 November 1939, p. 17.

16– "Al-Adab-Anglizi adab 'alami" "(English Literature is an International Literature,") *Al-Hilal*, 1 December 1967 pp. 219–222.

17– See "Doctrine and Discipline of Divorce". *John Milton-: Complete Poetry and Major Prose*, ed. Merritt Hughes (New York: The Odyssey Press, 1957), p 67.

18– Hughes, p. 696, n. 1.

Khulusi translated "Sonnet XVIII: On the Late Massacre in Piemont" as an example of what he called "revenge poetry in English literature". The sonnet is not a revenge poem as Khulusi belived. It is rather a prayer or an invocation similar to what one can find in Revelation, vi, 9–10: "the souls of them that were slain for the word of God...cried with a loud voice, saying, How long, O Lord, holy and true, doest thou not judge and revenge our blood". Khulusi translated the word "cold" in "whose bones/Lie scatter'd on the Alpine mountains cold" (2–3) as an adjective qualifying bones, whereas it qualifies mountains in the poem. His translation of lienes 53-74 of "L'Allegro" are precise and poetic. To the translator, these lines show a difference between the treatment of external nature in English and Arabic poetry: "the Arab poets do not describe nature for its own sake as Milton does. They (the Arab Poets) usually like nature with female beauty(51)".

translations, particularly his glorification of the art of poetry in "Sonnet VII".

Safa' Khulusi translated "Lycidas", "Sonnet XVIII: On the Late Massacre in Piemont," and lines 53–74 of "L'Allegro (47)'. As a translator, Khulusi is better than is as a critic. His prose translation of "Lycidas" is sound and pleasing, because he has a good command of English and Arabic. He understood the pastoral conventions and managed to retain the rural atmosphere of the poem. The only shortcoming is his translation of lines 27–31 of the poem as "we together heard the imprisoned sound of violent winds, which was a prelude to wetting our sheep in the fresh dews of night". Thus Milton's "gray–fly winds her sultry horn" was wrongly translated as "the imprisoned sound of violent winds", and "batt' ning" was rendered as a "prelude" for more showers that would wet the flocks. Milton, however, used "the gray–fly" to refer to different kinds of insects "includibg the dung–beetle, and the may fly(48)". and "sultry" to indicate "noon heat" which "implies the insect hum of midday(49)". Khulusi thus failed to convey the time sequence Milton had in mind. "The opening eyelids of the morn" followed by the heat of the noon, "the fresh dews of night", and "the bright Star that rose at Ev'ning" were especially relevant to the student life at the University of Cambridge where Milton and Edward King studied. "At Cambridge, students began the day at five O'clock with morning prayers and services, went to breakfast at six, and to classes at seven. They were together in the morning, at high noon ("What time the Gray–fly winds her sultry horn") throughout the afternoon and into the evening, when Hesperus, the evening star rose(50)".

Dying of a Cough(46)", These translations are pedestrian prose renderings of the texts of the poems. The translator failed in capturing the poetic spirit of Milton. "Sonnet XIX: When I consider" was translated under the title Miltonin Rebellion." This is misleading since the poem ends in a note of acceptance, patience, and quiet. Another misconception on the part of the translator is his translation of "talent"in"And that one Talent which is death to hide" (line 3) as simply "sense",meaning"sense of seeing". Although this was at the back of Milton's mind, yet what was meant is "the poetic gift" Milton had in mind in this respect the parable of the "wicked and slothful servant" who neglects his lord's talent (Matt. XXV. 26). Other times the translator adds and deletes lines at will. The first two lines in his translation of "sonnet XXIII: Methought I Saw" are not in Milton's poem. He does not translate lines 5–8 of the poem. His translation of the sonnet is a paraphrase of the general idea. Hamdi's translation of "On Time" is probably his best. He succeeded in retaining the main metaphor of time vs. eternity and most of Milton's images in the poem. However, in his translation of "sonnet VII: How Soon Hath Time" he failed in his attempt to recreate Milton's sentiments in Arabic. He resorted instead to preaching, addressing time as treacherous fickle and unjust.

Taha 'Abd al-Hamid al wakil's prose translations of "Sonnet VIII" "Sonnet VIII" "Sonnet XIX" are far more superior to the verse renderings of 'Abd al-Hamid Hamid. Al-wakil grasped the dimensions of meanings in the two sonnets and succeeded in preserving the eloquence of Milton's poetic style. He translated "talent" in "Sonnet XIX" as "poetic genius". The two sonnets were faithfully translated without additions or deletions. We also sense Milton's spirit in these

3– There are instances where the translator fails to grasp Milton's poetic technique and his artistic intentions. He translated "this great Argument" (24) as "grand essay". Thus Milton's "that to the highth of this great Argument/I may assert Eternal Providence/And justify the. ways of God to men" (24 26) were translated as "Help me so that I may with this grand essay reaches a certain degree where I can assest Eternal Wisdom and vindicate God's nercy toward men." In Milton's *Paradise Lost* "argument" is used to mean the development and the subject of *Paradise Lost* as well as the justification of God's ways. Moreover, in his translation of Satan's speech to Beelzebub (84–124) he used the word "God" for Satan's "he", and "him". This translation does not take into account Milton's subtle artistic technique in making Satan refer to God as simply "he" and "him",; a technique that shows the elaborate process of self–deception the devil is indulged in.

4– "Beelzebub" is translated as "Iblis". This would be very confusing to Arab readers since Satan and Iblis are used interchangeably in Arabic.

Despite the above–mentioned observations, Zaki N. Ma-Mahmud's understanding of the first one hundred and fifty five lines of *Paradise Lost* is fairly adequate. Occasionally, he is misled by Arabic classical literature into translating Milton as if he were an ancient Arab poet. Sometimes, he does not fully grasp Milton's references and technique, but, generally speaking, his translation is effective and conveys the sense in a literary manner.

'Abd al–Hamid Hamid translated Milton's "On Shakespeare", "On Time". "Sonnet VII: How soon Hath Time", "Sonnet XIX: When I consider", "Sonnet XXIII: Methought I saw", and the first stanza of "On the Death of a Fair Infant

this by his manipulation of certain words, images, and references that remind the Arab readers of ancient Arab poetry and the Qurn. "Sinai" in Milton's "the secret top /of Oreb, or of Sinai", (1,6–7) was tranlated as "Tor Sinin" exactly as it is used in the Quran. Milton's words "God", "the most High", the Almighty Power" were rendered by the Quranic "Al–Bari,"and "Al–'ly yal–'Azim". There are, however, certain remarks concerning this translation:

1– The translator changed or omitted certain words and references in the original that might contradict the Islamic beliefs. Milton's"One Greater Man" (4) ,with obvious implication of the Son of God, is translated as"prophet", In Islam, Christ is not considered as the Son of God, but rather as a a prophet sent by God to draw people to the path of righteousness. The phrase "He with his Thunder" (93) was substituted by "God in His anger". The association of God and thunder would remind Moslems of the idols of the pre–Islamic tribes. The translation is thus adapted to suit the convictions of the Moslem readers.

2– The translator sometimes misunderstands Milton's frame of references and, consequently, produces a faulty translation. Milton's "Thou from the first/Wast present, and with mgihty wing outspread/ Dove–like, satst brooding on the vast Abyss/And mad'st it pregnant" (19–22) was translated as "You were witness to creation/You sat dove–like with wings overspread/Contemplating the Abyss till you overloaded it with thoughts and poetry". Milton here is referring to the second verse of Genesis: "And the spirit of God moved upon the face of the waters". "Mad'st it pregnant" thus refers to the act of creation, literally pregnancy. It has nothing to do with "overloading it with thoughts and poetry".

literature. God first orders Satan to tempt people and then accepts his repentance and welcomes him to Heaven. Satan even appears nobler and more logical than the character of God. He renounces the life of slavery and humiliation in Heaven. He asks God seme pointed questions about the wisdom of creation. God answers not but changes Satan into a stone.Satan even predicts that will change him and accepts this as preferrable to the life of servitude.Satan's dislike for God's orders to tempt people puts him in a nobler position than his adversary. Al–'Aqqad's Satan is very much similar to shelley's Prometheus. The reader has no choice but to sympathize with this Satan since he is presented as a friend of man.However,what appears to be as nobility and bravery in Al–'Aqqad's Satan is a mere despair and cowardice in Milton's Satan.Al–'Aqqad's misunderstanding of the genuine nature of the devil in Milton is due, I think, to his knowledge of Shelley's *Defence of Poesy*. Al–'Aqqad knew Shelley via Al–Mazini's booklet entitled *Poetry: Its Goals and Medium* 1915. In hat booklet Al–Mazini quotes from shelley's *Defence of Poetry*(42). In an interesting article, Hamdi al–Sakut shows that Al–Mazini discusses what he reads on poetry with his friends, chief among whom is Al–'Aqqad(43). In other works of his Al–'Aqqad comments on Milton's Satan in a way that shows Shelleyan understanding. He says that "Milton imagined his Satan in most instances as the vanquished for whose defeat we feel sorry(44'.)

IV. Translations

Zaki Najib Mahmud translated the first one hundred and fifty–five lines of *Paradise Lost* into Arabic verse (45). He tried to preserve some of Milton's poetic qualities in this translation; the unrhymed verse he used echoes Milton's blank verse and the quaint words recreate his elevated diction. He did

is a story of a devil who is fed up with the lives of devils and has decided to repent. Previonsly,he was ordered by God Himself to tempt people. He decided to repent and God accepted his repentance and allowed him to enter paradise. However, Satanfound Paradise as a place of slavery. Consequently, he rebelled against God. God then changed him into a stone(40).

Al–'Aqqad is clear in pointing out that he wrote the poem alter he had read "many epics and legends of the west(41)". There are stanzas, episodes, and numerous references in Al–'Aqqad's poems which remind the reader of Milton's *Paradise Lost*. Here are examples. After staying for a short period in paradise, Satan bursts in indigation at what he calls "the life of restriction" and prefers Hell to Heaven (165–170, 194 195). This recalls Satan's address to Abdiel in *Paradise Lost* (VI, 165–170). In Al–'Aqqad's poem angels sleep like children when they notice the horrible disfigurations on the face of Satan as he approaches paradise. This reminds the readers of the description of the changes on Satan's visage when he first glimpses Eden (Ivj 114–128). In both works Satan undergoes a process of metamorphosis. In Milton's *Paradise Lost*, Satan begins as a Titan and ends as a snake.By the end of Al'Aqqad's poem Satan is transformed into a stone. There is a difference however.The transformation of Al–'Aqqad's Satan into a stone comes as a result of an "arbitrary" decision by God. The reader is even shocked to find an intelligent creature changed, without enough justificatuon, into a stone. The change of Milton's Satan is slow and logical transformation of the nature of the devil; it comes as an internal process which Satan has brought about himself. ٧٠

Al–'Aqqad's depiction of the character of God as an "inconsistent tyrant" is a strange case in the history of Arabic

All Satan's bragging about "unconquerable will" and "courage never to submit or yield" does not hide "the deep despair" he actually feels. The comment of the narrator is a correction of the reaction of the audience towards the speeches of Satan(36).

Mahmud al-khafif sounds a similar note when he considers *Paradise Lost* as "the story of Iblis (Satan) who rebelled against God. We wonder how the poet created a long and elevated poem on this very simple and familiar story!(37)"

El-Khafif and Khulusi are repeating old-fashioned ideas about Satan that go back to such an early critic as John Dryden. It is Shelley, however,who is the main influence on both men. Shelley saw in Satan the energy of the eternal revolutionary fighting "the establishment". Nevertheless, the "heroism" of Satan is a mere self-deception and "Milton's Satan deceives himself so well that he deceived Shelley into thinking him a Promethean apostle of human regeneration, and Byron into thinking him an inspiring symbl of revolt against political tyranny. For Milton Satan was the archetypal tyrant. His reign in Hell is the express antitype of the reign of the son of God by merit in Heaven(38)".

'Abbas Mahmud al-Aqqad, one of the outstanding twentieth century Arab writers, was also influenced by the Shelleyan understanding of Milton's Satan. He wrote a poem entitled" Tarjamat shaytan" i.e., "Translation of a Satan". The depiction of Satan in this poem is markedly different from the standard portrayal of devils in Arabic literature. With the exception of Satan's description as proud in the Quran–similar to his portrayal in the Old Testament–we do not come across any proud devils in Arabic literary heritage(39). Al-'Aqqad summarized his poem as follows: "In this poem there

Safa' Khulusi bluntly considers Satan to be "Milton himself, Milton the revolutionary who allied himself with Cromwell... Milton was defeated in his struggle here on earth and tried to make up for it in the heroism of Satan in Heaven. He says through the prince of Darkness what he dared not say in public. Milton even became a Prince of Darkness after he lost his eyesight"(34). Khulusi believes that Milton"wrapped Satan in the mantle" of glory, greatness and majesty". Thus he quotes Milton's lines

What though the field be lost?
All is not lost; the unconquerable will,
And study of revenge, immortat hate,
And what is else not to be overcome?
That Glory never shall his wrath or might
Extort from me.

(I, 105–111)

to show that *Parad iseLost* is "full of all meanings of heroism– a defence of Satan. (35)" For one thing, Khulusi is not probabiy aware that these words are said by the character of Satan. The speaker is not Milton;it is Satan.Secondly,he does not take into consideration the crucial role the narrator plays in *Paradise Lost*. The narrator always comments on the speeches of Satan and corrects most of them. The narrator has an eye on the audience lest they be deceived by the words of the devil. T e lines quoted by Khuiusi as a "proof" of Milton's "defence of Satan" should be read in the light of the narrator's comment which immediately follows them. Here are the words of the narrator: ٣

So Spake th' Apostate Angel, though in pain,
Vaunting aloud but rackt with deep despair.

(I,125–12)

Lycidas your sorrow is not dead,/Sunk though he beneath the war'ry floor" (165–167). There are indeed similarities expected in two poems written on the same subject to eulogize a dead friend. But, Al–Maqdisi failed to read Milton's poem the light of the conventions of the pastoral elegy–When he asks the shepherds to stop weeping or when he calls upon nature to take part in the mourning, Milton is following the traditions of the genre as laid by Bion, Moschus and Theocritus. Al–Ma'arri does not compare himself and his dead friend to shepherds. Al–Ma'arri's poem is built on the time–worn "ubi sunt" theme of the fickleness of life and the uncertainty of the human condition. Al–Bustani's comparison of the two poems focuses on the similarities and ignores the differences. It is typical of the way Milton has been handled by Arab writers. The problem of most of those writers seems to be based on their indiscriminate treatment of general human sentiments and visions in terms of correspondences, influnces, and borrowings.

III. The Character of Satan

The cult of Satan which was a product of the English Romantic imagination has influenced the understanding of most Arab writers of the charater of Satan in *Paradise Lost*. Satan has been viewed by the majority of Arab writers and critics as the hero of Milton's epic, as a brave figure, and as an active and exemplary revolutionary, and it has been equated with Milton as well. These fallacies have led to an unfortunate misinderstanding and erroneous interpretation of *Paradise Lost* as a poem centering on the charactar of the devil. Milton's subtle poetic technique, his clever delineation of Satan in terms of gradual transformation, and his role as a narrator in the poem have never been appreciated or taken into critical account when the character of Satan is discussed.

to "justify the ways of God to men" (I,26). Al-Ma'arri is writing as a language critic judging his fellow poets. Milton is writing as a poet-prophet pursuing "things unattempted yet in prose or Rhyme" (I,16). Neither in subject-matter nor in technique or any other artistic device are the two works similar. We only do injustice to Milton's "graver" subject to compare it with Al-Ma'arri's world of flesh. The two works are so different that any talk of borrowing or influence would appear as a mere pedantic endeavor. Surely, one of the most dangerous tools in the hands of any scholar is the idea of influence. The human mind in its eternal search for concepts, visions and values does not obey the law of cause and effect. The appearance of a certain idea or image in two works does not necessarily indicate an influence execised by the first on the second. One has to present documented evidence based on concrete facts to prove that a certain writer was influenced by the works of his predecessors.

The comparison between the works of Al-Ma'arri and Milton is not restricted to *Paradise Lost* and the *Message of Forgiveness*. Anis al-Maqdisi, a well-known Professor of Arabic literature at the American University of Beirut, draws a parallel between Milton's " Lycidas", written on the death of Edward King and an elegy written by Al-Ma'arri on the death of his friend Muhammad al-Gubuli. (3) In both poems the dead is a friend who died in his prime. Both express profound sorrow and even question the meaning of life. Milton calls upon nature to weep for Lycidas and Al-Ma'arri asks the birds to participate in the mourning. Al-Ma'arri ends his poem with a sense of consolation stating that every thing is going to die including the stars and earth itself. Milton ends his poem by asking the sad shepherds to stop weeping "For

of poets and their literary debates which occupy most of his description of Hell. This Hell is very inferior to Milton's magnificent portrait of the infernal place.Milton's Hell is terrible, dark and remote. There are indeed traces of Vergil's description of Hades, but Milton's Hell is more complex and more painful than that of Vergil. Milton conceived of Hell as both a physical place where the devils are materialistically punished, and as an inner state (like Dante's *Purgatory*). Unlike Heaven, Hell is a place of contradiction, disorder, confusuon, and "vile antitheses".

4– The depiction of Statan in the *Message of Forgiveness* occupies only a short paragraph. We are told that Ibin al–Qarih, the persona, sees Iblis beaten with iron yards. There is a short dialogue between the two, entering on some very obscene questions raised by the devil. Any comparison between this brief and rather superficial sketch will only do harm to the excellence of Miltion's portrayal of Satan which is "one of the greatest creations in any language" (32).

5– The idea of an imaginary journey to the other world is a universal theme. In Homer's *Odyssey* as well as in Vergil's *Aeneid* the hero visits the world of the dead. Dante's *Divine Comedy* is also envisioned as a journey to the other world. If Milton had borrowed the idea at all, he would have taken it from Homer, vergil, and Dante. Al–Ma'arri's source of a journey to Heaven is the story of prophet Muhammad's ascension (Al–Isra') in the Quran.

The Message of Forgiveness is a poet's vision of a life of desires. It is a prose epistle written as a reply to another epistle sent by a friend. *Paradise Lost* is an epic which was Milton's life–long dream and ambition, and in which he has attempted

and analogues of Milton's *Paradise Lost* are numerous ranging from Homer and Vergil to spenser and Thasso (not to mention the Bible and Talmudic traditions). The sources of Milton are Hebraic and European. There is not a single reference or allusion in *Paradise Lost* which shows an acquaintance with or the slightest knowledge of the Arabic literary heritage.

(2) Paradise in the *Message of Forgiveness* is delineated as a place of physical delight where all imaginable sorts of bodily pleasures are practised. There are beautiful maids, singers, cup- bearers, etc. Interestingly, there are no sick, blind or old people in this paradise. The inhabitants of this place are all poets, writers and linguis ts . Adam is there as an art art critic passing judgments on certain literary and linguistic problems.In short, it is the vision of an unrestricted appetite. This poetic and sensuous place is indeed a totally different place from Milton's Paradise. Milton's garden of Eden is an idyllic abode full of all kinds of trees, flowers and beautiful natural sights. It has nothing of the sensuousness of AL-Ma arri's Paradise. Adam and Eve are there, but their generic qualities in Paradise are different from those qualities after their dismisal from it. They are like angels than ordinary people (Iv, 185–93). Milton's Eden is a place of innocence and simple love.

3– Whereas Al–Ma'arri described Paradise in vivid details specifying all kinds of pleasures and desires, he was brief in his portrait of Hell. There are three groups tortured in Al–Ma'arri's Hell:

a) tyrants including kings and "crowned women;" b) Iblis(Satan); c)some pre–Islamic poets.The torture here lacks the intensity of pain we find in Dante's *Divine Comedy* and Milton's *Paradise Lost*. Al–Ma'arri resorted to the meetings

losophers, and both were blind. Milton's *Paradise Lost* is very much similar to Abu al- Ala's *Message of Forgiveness."(28)*

Omar Farukh says: "I cannot prove that Milton imitated Abu al- Ala, but I can show some general correspondences between the two in the following aspects: 1) the courage in the human penetratiom of the veil separating this world from the other world;2) the material physical punishment;3) the portrait of Iblis (Arabic for satan) in *Paradise Lost,* especially in the first two books, is not like the devil's portrait in Christianity."(29)

The only wise voice is that of 'Aysha' Abd al- Rahman. She rightly says in her published Ph.D. dissertation on AL- Ma 'arri that those who claim that Milton borrowed from Abu al- Ala should give themselves to scholarly comparison and research. I do not think the treatment of the other world in the works of the two poets justifies the claim of borrowing."

There are certainly similarities between the two men' but they are of the kind that is common to all people regardless of any spatial or temporary limitations. In my point of view, *The Message of Forgiveness* exercised no influence whatsoever no *Paradise Lost.*

Milton had not even heard of it. Indeed, there is nothing in Milton's life or works which shows his knowledge of Arabic literature. The two works are so different that any sense of correspondence would seem insignificant. The differences could be summed as follows:

(1) The sources of AL- Maarri's *Message of Forgiveness* are the Quran, the theological interpretation of the description of Hell and Heaven in Islam, pre- Islamic poetry, and some legends and superstitions known at that time.(31)The sources

author does not say that Milton was influnced by the Arab poet. He is specific in stating that "examples of these poetic correspondence are also found in the works of other writers as well" (25).

In 1904, al-Bustani translated Homer's *Iliad* into Arabic. In the introduction to this translation, he writes that "in the prose epic (sic) of Al-Ma'arri diverse materials are assembled. This foreshadows some of the visions of the Italian poet Dante and the English poet Milton" (26). This simple remark does not indicate a direct influence. It only points to a correspondence.

Jurji Zaydan, however, added to this sense of correspondence an element of direct influence and borrowing. Al-Ma'arri, he says, "imagined in his *The Message of Forgiveness* a man ascending to Heaven and describing what he sees there. This is what Dante, the Italian poet, did in his *Divine Comedy* and what Milton, the English poet, did in *Paradise Lost*. Al-Ma'arri preceded both of them. It is not strange to say that they (Dante and Milton) took the idea of an imaginary journey from him" (27). Zaydan bases his assumption on the fact that Al-Ma'arri lived before Dante and Milton rathar than on any scholarly investigation and research. He also advances the thesis that Dante should have known the works of Al-Ma'arri as result of the contact between the Moslems and the Crusadors. He does not give the slightest evidence to support what he says. As for Milton, Zaydan simply states that Milton took the idea of an imaginary journey from Al-Ma'arri.

In the introduction to his translation of Macaulay's *Essay on Milton* Muhammad Badran points out that "there are many similarities between Milton and the great Arab poet and phi losopher AL- Maarri. Both were poets, prose writer, and phi-

The traveller and the speaker in the work is Ibin al–Qarih himself. Paradise is described in details as a place surpassing all human comprehension. It has all the kinds of sensuous pleasures and bodily delights. In paradise Ibin al–Qarih meets many poets from the pre–Islamic and the Islamic eras. He also sees Adam. In Hell he sees Satan beaten with iron yards.

The Message of Forgiveness has frequently been compared to Milton's *Paradise Lost*. It is belived by the majority of Arab critics and Literary historians that Milton drew on *The Message of Forgiveness*. Other poems of Milton have also been compared with Al–Ma'arri's works.

As early as 1886 an article appeared in *Al–Muqtataf* magazine under the title "Abu al– 'Ala al–Ma'arri and the English John Milton" (22). The article is one in a series of articles comparing prominent figures in Islamic history with their counterparts in English history. It is preceded by an essay comparing Saladin (23) with Richard the Lionheart, and followed by another comparing Ibin Khaldun (24) with Herbert Spencer. In the essay on Al Ma'arri and Milton the anonymons writer compares "ideas" and "images" in the poems of each. He shows a similarity between Al–Ma'arri's description of the reflection of stars in the water and Milton's description of the reflection of Eve's image in the pool (*PL*, IV. 454–465). He also compares Milton's famous lines on blindness (*PL*, III, 23–27) with similar lines written by Al–Ma'arri. Nevertheless, the corresponding " ideas" and "images" whichthe author points out are not indicative of Al–Ma' arri's influe nceon Milton.

They are simply images and notions common to all humanity. The fact that both poets became blind explains the correspondence in their treatment of blindness and light/ darkness imagery. As a matter of fact, the anonymous

II. Milton and Abu al-'Ala al-Ma'arri

A recurring critical assumption in the Arabic writings on Milton is his alleged indebtedness to the works of Abu al-Ala al-Ma'arri.

Al Ma'arri, one of the greatest Arab poets and thinkers ever, was born n 973 and died in 1057 A. C. He was struck blind before the age of six. This early loss of sight left a lasting pain in his soul and stamped him with a sense of pessimism occasionally tempered by fatalistic considerations. He was also weak in body. These two biographical facts, blindness and physical weakness, might explain Al-Ma'arri's low opinion of women. His literary reputation and philosophical bent brought him the envy and enmity of a good number of influential people at that time who accused the blind poet of heresy. Undoubtedly, his criticism of certain rulers and clergymen added to the list of his foes. As a person, Al-Ma'arri was a man of will and dignity. He was also noted for his frankness and honesty. As an artist, he possessed a linguistic power unparalleled in the history of Arabic literature. He was fond of using strange words and difficult expressions. His style is always referred to as "artificial" and "affected," but as "elevated" and "eloquent" as well. As for his general beliefs, Al-Ma'arri was a rational man who subjected every thing to the light of reason. In religious matters, Al-Ma'arri apparently preferred good deeds to all forms of rituals and sectarian dogmas (21).

Al-Ma' arri's most famous work is *Risalat al-ghufran The Message of Forgiveness* which he composed in prose as an answer to a similar one by his friend Ibin al-Qarih (972-1030). Ibin al-Qarih attacks some Arab writers putting them in Hell for the bad deeds they committed. Al-Ma'arri wrote his *Message of Forgiveness* as an imaginary journey to the other world to show that those writers could be in Paradise.

The law of Moses allowing divorce in specific cases and the Protestant attacks against custom, not Islam, are the two principles on which Milton's case with regard to divorce rests.

The idea of the superiority of man to woman is certainly emphasized by Milton in most of his works. In *Paradise Lost* Adam is described as the head and the guide; "Hee for God only, shee for God in him" (lv, 299). This idea of a male ascendancy is not restricted to Islam. As Marjorie Nicolson aptly says: "It would have been impossible for Milton to feel differently. Apart from the fact this (male superiority) was basic teaching of Hebrew and Christian–indeed, of pagan–religion and that of law, stemming from Roman law, it was also a basic concept of the "hierarch" or "order" of the universe, almost universally accepted in Milton's time ... Differentiation of the sexes into "higher" and "lower" was inevitable in the nature of things. If his position gave Adam precedence in some ways, it also made his responsibilities heavier" (19).

Milton's hatred of prelatical mediation between God and His creatures is a major protestant religious concept. So was disbelief in images and icons. The sources of Milton's ideas are the Old Testament and Protestantism. It would have been more helpful had Luwis 'Awad explained Milton's concepts in the light of that poet's Hebraic and Protestant studies.

Omar Farukh made a similar scholarly blunder when he stated that Milton was greatly influenced by the Quran. He based his assumption on Satan's portrait in *Paradise Lost* as "an echo of what is said of the devil in the Quran" (20). As it is known, Milton's account of Satan, the war in Heaven, and the fall of the devil and followers is derived from the Old Testament, the books of the Apocrypha and pseudepigrapha, Talmud, Targums as well as from classical mythology. There is no evidence I know of that Milton read the Quran.

Milton's beliefs are identical with the teachings of Islam. He says: "When we read *Paradise Lost* we feel that Milton is a devout Moslem. This is reflected in his rejection of prelates and their mediation between God and His creatures. You also find Milton as a lover of life on earth (sic). He interprets the Bible in practical and personal ways. He advocates divorce and considers man as superior to the woman. He also hates the rituals of the church and the icons. He draws on the Old Testament, not the New Testament. For these reasons, I have already said that Milton was not a christian, but rather a pious Moslem"(16).

'Awad is certainly right in seeing a similarity between some of Milton's principles and convictions on one hand and those of an ordinary Moslem, especially in matters related to divorce and the superiority of men, on the other hand. Nevertheless, he hastily calls Milton a Moslem simply on the grounds of the correspondence of beliefs. He does not investigate the sources of Milton's ideas, but rather judges him in an off–hand manner. The sources of Milton's idea of divorce are: (1) The Law of Moses in Deut. xxiv,1–2: "When a man hath taken a wife and married her, and it come to pass that she shall find no favor in his eyes, because he hath found some uncleanness in her; then let him write a bill of divorcement, and give it in her hand, and send her out of his house;" (2) The protestant attacks aginst custom. Those who object to divorce, Milton says, resort to custom which "hinders man's search for the truth and restrains the reasonable soul of man" (17). Milton's attacks against custom in his *Divorce Tracts* "continue a tradition among Protestant Reforms which had been imaged by John Goodman a century earlier in an allegory opening a sermon Godman made custom the daughter of Ignorance" (18).

haven of poetry." *Paradise Lost* is viewed as Milton's "defence of Man and life before the court of God. "Milton's "final" work is a tragedy. Samson is a symbol of Milton's life. For Samson, the defeated hero, is Milton himself amid his foes. The tragedy of *Samson Agonistes* also stands for the British people who lived in a staste of servitude under Charles II.Milton hoped that the people would destroy the "temple" as Samson did. The poet of *Paradise Lost* died with this hope. History had judged Milton as the only one who saw in the age of the blind."(13)

The two essays written by Ahmed Khaki are both entitled "John Milton and His Poetry in Light of Recent Psychological Research."(14) According to Khaki, Milton's poetry is a good example of how personal problems are transferred into universal concern.To illustrate this thesis, he gives Milton's treatment of women in his works as an example. "Milton's handling of the fair sex is paradoxical; sometimes he speaks of them as shrines of virtue,other times he condemms them as devils."

The fact is that Milton was a "sexual maniac restrained by religious and ethical standards. You can even detect this conflict between religion and desire in his poetry. This inner clash is then transformed into a struggle between the forces of good and evil in this world" (15). This "psychological" reading of Milton recalls some of the charges heaped on Milton by Saurat and Liljegren. It is indeed a sad thing that the psychological interests of Khaki did not yield anything positive and decent with regard to one of the most noble-minded and honorable men in the history of English literature. Khaki's remarks are not worth the trouble of refuting them.

Luwis 'Awad, a longtime professor of English literature at the University of Cairo, even goes further and claims that

ideas are clear in his mind,but it becomes utterly burdensome when the ideas are not crystal clear. He was apparently interested in hunting for strange obsolete Latin words."(9)The alleged artificiality of Milton's style and his use of latinized words were singled out as chief stylistic sins. The Arab commentators on Milton treat these notions as established critical facts.

Arab essayists praised Milton's sonnets as "the whispers and expressions of a great noble soul."(10)To them, the sonnets show Milton's ability to express great things in few words. Milton's special form of the sonnet is taken as a proof of his poetic independence as an artist and his courage as a man. The fact that he did not follow the Elizabethan practices in form as well as in subject matter is stressed. The sonnets praised were those that had been translated into Arabic. They were sonnets VIII, XVIII, XIX, and XXIII.

To almost all Arab commentators, the line of demarcation between Milton the man and the artist is nonexistent. Three essays,one written by Hasan al- Manfaluti and two by Ahmed Khaki,treat Milton's works as records of the events of his life. In his essay "The Poet of Paradise: John Milton" AL- Manfaluti compares Milton's life to a play of three acts. The first act spans Milton's life from 168- 1639. This stage is a period of experience and experiment during which Milton "decided to , devote himself unreservedly to the cause of justice and truth. The second act in the drama of Milton's life covers the period from 1640- 1660. During this period ,Milton waged war against the prelates and Charles I in a prose "unmatched by any other English writer." The third act (1660- 1674) presents the catastrophe or the resolution of the play. Milton's "despair" during this period is dominant and all- encompassing. As a result, "he resorted to providence and took refuge in the

ssance. Here he is indebted to Stopford Brooke and Mark Pattison. In fact, he refers to Pattison by name in this respect.(4) He also repeats the traditional conception of Milton as a rough stern, Serious, and uncompromising man advanced by such critics assaintsbury, Lowell and Sir Walter Raleigh. However, the idea of the grimly austere Milton is tempered by consistent references to Milton as the revolutionary bard who sang "the most beautiful songs of liberty,beauty,and imagination.(5)

In their appraisal of Milton's artistic achievement Arab commentators have repeated a myriad of critical assumptions which they "yoked" together. The critics followed are Samuel Johnson, william Hazlitt, Macaulay, Saintsbury, Lowell and Taine. Khalil al- Twal published three essays on Milton's life, works, and style.(6)The "ideas of Milton,"he said, are commonplaces. He (Milton) knows how to dress familiar notions in exalted verbal expressions. When all the stylistic paraphenalia is removed, his ideas become very unispiring."(7)Milton's style is characterized as "artificial" and "factitious." These remarks are especially highlighted when Milton is contrasted with shakespeare. The contrast between the two is always based on Hazlitt's lecture "on Shakespeare and Milton" (1818) AL- Twal, following in the wake of Hazlitt, says that "shakespeare is the poet of nature who writes poetry comfortably. Milton, although we respect him as a great poet, is artificial and burdensome. His meanings, as a whole, are familiar and common and his imaginative flights are offensive to the poetic instinct and the literary taste."(8)He also adds that"Milton combines in his poetry the vehemence of emotions and the weightiness of reason.

That is, he combines poetry as an art and as a philosophy . Nevertheless, his style runs naturally and smoothly when the

JOHN MILTON IN ARABIC

Eid Dahiyat
University of Jordan
Amman , Jordan

1. Milton the Man and the Artist

The way Milton the man and the artist has been handled in Arabic is a story of misunderstanding , of indiscriminate and undocumented repetitions of the ideas of other scholars, and of gross generalizations. Indeed, most of what has been written is directed at the general reader, not at the specialist, but nothing warrants the hasty judgements passed on one of England's foremost poets.

Mahmud al- Khafif wrote thirty five short essays on Milton and his art in the weekly *AL- Risalah* from February 25 to December 30,1946.Although he did not state his sources, a casual perusal of these essays would reveal' a strange mixure of different scholary ideas. He first established Milton as a Puritan "in heart and mind."(1)This is reminiscent of David Masson's ideas in his nineteenth century monumental *life of John Milton Narrated in Connexion with the political, Ecclesiastical, and Literary History of His Time*, a work AL- Khafif plagiarized a great deal. In another essay, he stated that Milton was not" a whole hearted Puritan because he was not a one party man.(2)" This opinion recalls that of Macauldy. (3)In a third essay, Al- Kafif takes Milton to be a production of Puritanism and the Renai-

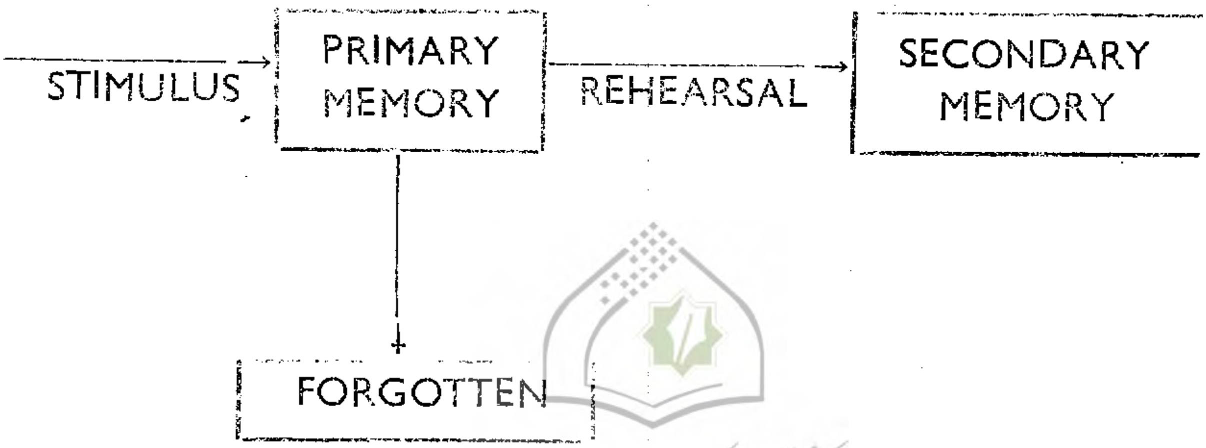
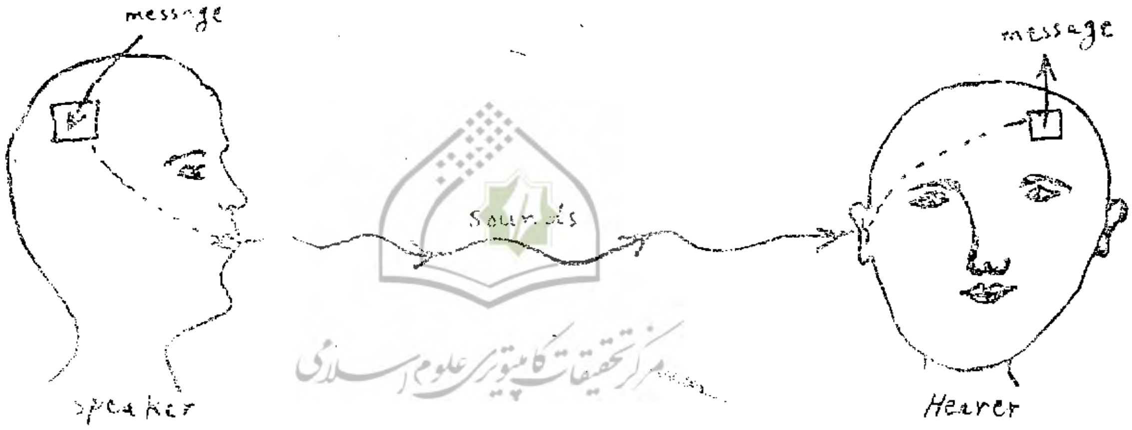


Figure (1) : The Waugh and Norman(1965) Model of Memory


message
message
Sounds
speaker
Hearer

(13) L. Wittgenstein, *The Blue Book*, (Oxford, Basil Blackwell & Mott, 1958).

(14) Robert Thomson, *The Psychology of Thinking*, (England, Hazell watson & Viney Ltd, 1977).

(15) Ruth M. Kempson, *Semantic Theory*, (England, Cambridge University Press, 1977).

(16) Smith, N.V., *Transformational Grammar*, (London, Lecture Notes, University College London, Zoology Theater-A5, 1977).

Bibliography

(1) Allport, Gordon W./Postman, Leo, *The Psychology of Rumor*, (New York) Henry Holt and company, Inc., 1947

(2) Bertrand Russell, *An Inquiry into Meaning and Truth*, (Middlesex, Penguin Books Ltd, 1973).

(3) Defrdre Wilson, *introduction to Semantics* (1), *Some General Remarks*, (University College London, Department of Phonetics and Linguistics' October, 1977).

(4) Douglas V. Hofstadter, *American Scientist/Metamagical Themas*, (New York, Scientific American, Inc., 1983).

(5) Dwight Bolinger, *Aspects ot Language*, (U.S.A., Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1975).

(6) *Encyclopaedia Britannica, Macropaedia*, (Encyclopaedia Britannica, Inc., 1975).

(7) Jerrold . Katz, *Linguisric Philosophy*, (LondonJ George Allen & Unien Ltd, 1972).

(8) Jerry A. Fodor/Jerrold J. Katz, *The Structure of Languag Readings in the Philosophy of Language*, (U.S.A., New Jersey, Prentice-Hell, (Inc., 1964).

(9) John Hosper, *An Introduction to Philosophical Analysis*, (England, Prentice–Hall, Inc., 1978).

(10) John Lyons, *Chomsky*, (Glasgow, Willian Goilins Sons and Co Ltyd, 1975).

(11) John Lyons, *New Norizons in Lingcistics*, (Middlesex, Penguin Books Ltd, 1975).

(12) John Morton/John C. Marshal (eds.), *Structures and Processes: Psycholinguistics Series* (2), (London, Biling & Sons Ltd, 1979).

Conclusion

When people have beguan to reflect on language, its relation to thinking becomes a central concern. Several cultures have viewed the main function of language as the expression of thought.

A human group may hold an idea, circulating among them and which may even determine their outlook in different matters, and influence their social relations. The propagation of an idea or a message depends largely upon its psychological impact and the social atmosphere of that community. The process of propagation depends on how far convincing, how far self-reinforcing a particular structure is and how much truth there is in it.

Ideas arranged in the memory store are subject to change and competition; Truth and significance (versus nonsense) constitute the major components of an idea, and it is truth which helps a given structure to be self-replicating and perpetual, and eventually defeat other insignificant structures.

The phenomenon of self-replicating could be viewed as universal since it occurs in all natural languages, on the one hand, and since every argument between individuals is in some measure an attempt to influence thinking through language on the other. Hence, language is bound up with thought. As long as language is a means of socialization it is true to assume that it serves the role of altering the state of the hearer in so far as it expresses the state of the speaker.

mory store"(1); the newly–adopted idea settles down next door to other neighbouring former ideas, and propagate in a viral manner.

If sentence "A" were to enter a mind, it would take control of the mind's machinery and exploit it to produce hundreds of copies of itself in other minds. Thus,"A" is a self–replicating structure. However, not every structure has got the quality of self–replicationg unless its "ingredients" have implicitly a fertile convincing and significant idea that can evolve and live on another existing ideas, dominate them and eventually be able to survive in the long–term memory store.

Waugh and Norman (1965) adopted the term primary and secondary memory to denote two distinct memory stores (see Figure I). "Every item attended to enters primary memory which is limited in terms of the number of items it can hold. Items are retained for long–term memory by rehearsal which re–enters an item into primary memory whilst,at the same time transfering the item to the secondary memory. Primary memory serves a role in perception and comprehension rather thon production"(1).

Figure (1): The Maugh and Norman (1965) model of memory.

---

(1) John Morton & ohn C. Marshal (eds.), *Structures and Processes: Psycholinguistics Series* (2) (London, Billing & Sons Ltd, 1979), P–162.

(1) John Morton & John C. Marshal (eds.), *Structures and Processes: Psycholinguistics Series* 2 , (London, Billing & Sons Ltd, 1979) P–163.

host objects" (2). The prime goal of enslavement is to bring into existence new copies of the original sentence (idea)' or' metaphoriccily speaking' new copies of the virus. These fresh structures (or copies) are free now and they go off to enslave further listeners' minds. The hypothesis of self-replicating structures (self-replicating ideas) is based on the assumption that ideas cause ideas and help evolve new ideas .

Via communication, local or global, brains interact and eventually influential ideas dominate other neighbouring or even foreign brains. Therefore, a human group may adopt a given idea which will influence even their behaviour. Once this occurs, then the idea itself is said to be promoted and has reached the level of propagation since it is taken for granted by the human group.

A unique idiosyncrasy of the self-replicating or virus-like structures is "Selfishness". Structures of this sort are capable of produaing themsrlves autonomously, invading a space of idecs and taking over a large portion of the space (the brain).

One may ask why such self-replicating structures occupy merely "a large portion" of the brain and not all of it. The answer is that competiton exists among these ideas within the individual's brain, and these ideas fend off the new rivals for their survival: an idea competes with another idea, and the "Fit" nly survives and "seizes a region in our long-term me-

(2) Douglas R. Hofstadter, *American Scientist/Metamagical Themas* (NEW YORK, Scientific American INC, 1983), P-14.

Afghanistan can not be circulated in France because the subject has no importance for the French citizen. Moreover rumors move only among the like–minded individuals of some community, and their circulation is sometimes hindered by social social barrier"(3).

Rumors are thus labeled as self–replicating structures since they parasitize individuals' brains and propagate in a viral manner;Yet, the way in which rumors propagate is quite different from that of ideas. In the case of ideas, however, it is the belief that is self–replicating and which undergoes propagation, Bertrand Russell argues that "the relation of a sentence to the fact that makes it true or false is indirect, and passes through the belief expressed by the sentence. It is primarily the belief that is true or false"(1) .

How Do Ideas Parasitize?

It can be assumed that any idea has got some implicit (hook) that follows from its explicit structure, and that self–replicating ideas play a major role in the spread of doctrines and religions. A fertile idea is just like a living structure' and when the listener plants it in his mind, the speaker literally parasitizes the listener's brain turning it into a vehicle for idea's propagation in just the way that a virus may parasitize the host cell.

Therefor, self–replicating structures are similar to "viruses: small objects that enslave larger and more self–efficient

(3) Allport, Gordon W., and Postman, Leo, *The Psychology of Rumor*, (New York, Henry Holt and Company, Inc., 1947), pp. 34–35.

(1) Bertrand Russell, *An Inquiry into Meaning and Truth* (Middlesex Penguin Books Ltd1973)' P–199.

The survival value (or the infective power) of an idea results from its great psychological appeal. The idea may provide a plausible answer to some deep and troubling questions. This could be a reason why a particular idea which can satisfy the human curiosity is copied so readily by successive generations of individual brains; an example of this is "the idea of God which has great survival power and is internally self–reinforcing"(1).

Ideas with high self–reinforcing capability are usually more competative than other ideas which lack this particular idiosyncrasy. They can easily discredit and overcome other ideas. Thus only such competent ideas become self–perpetuating because of their own deep psychological impact on the human brain, or the broad sense, on a human group. Richard Dawkins also emphasises that "there need not be an exact copy of each meme in each person's brain, Memes, like genes are susceptible to variation or distortion"(2).

On the other hand, some ideas may get the chance to propagate, but they only survive for shorter periods of time. An example of this type of structures is rumor. In rumor the source of evidence has grown dim. We should have patience to check what we hear against outside standards of evidence. The only dependable defence against rumor is skepticism which prevents it from propagating and confines it untill it dies away. However "the circulation of rumor will vary with the importance of the subject to the individuals concerned. For example a statement about the market price for camels in

---

(1) Douglas R. Hofstadter, *American Scientist/Metamagical Themas*, (New York, Scientific American, Inc., 1983), –18.

(2) Ibidem.

The performance value of an idea depends upon the change it brings to the behaviour of the person or the human group that adopts it. This group upon which a given idea grants greater cohesiveness' greater ambition and greater self–confidence thereby receives from it an added power to expand which will ensure the promotion of the idea itself.

The spreading power of ideas depends upon pre–existing ideas in the mind which have been already implanted by culture. Also this power of infectivity undoubtedly depends upon innate structures which we are barely able to identify.

In the last chapter of his book "The Selfish Gene" puplished in 1976' Richard Dawking "develops the theme which he calls (meme): It is the unit of replication and selection in the ideosphere(1)"–also called (the abstract kingdom) by Monod' or (idea space) by Douglas R. Hofstadter or (the universe of ideas) by Dougkas R. Hofstadter, too.

Here the term (meme) is the counterpart of the (gens). Just as a library is an organized collection of books so a memory is an organized collection of memes. And the "typical environment in which memes grow and flourish is the environment of human culture. Just as genes propagate themselves in the gene pool by looping from body to body via sperms or eggs' so mems propgcate themselves in the meme pool by leaping from brain to brain via a process which, in the broad sense, can be called imitation".(2)

One may ask: what is it about the idea of something which gives it its stability and penetrance in the cultural envir onment?

---

(1) Douglas R. Holstadter *American Scientist/Matmagical Themas*, New York, Scientific American, Inc. 1983) P–14.

(2) ibidem.

Further "language enables us to make precise requests and demands and thus to organize all kinds of information 'in easily codified forms. (1) . This means of communication "assists us to build up a detailed and understood map of the world we inhabit. " (2) Thus the assumption that the study of language is an integral part of thinking is absolutely valid and that "there are certain definite mental processes bound up with the working of lanluage processes through which alone language can function. mean the processes of understanding and meaning . The signs of our language seem dead without these mental processes."(3)

Survivability and Propagation

Ideas (implicit in structures) have "retained some of the properties of organisms. Like the boispher, ideas tend to perpetuate their structure and to breed ; they can fuse recombine, segregate, their content; they, too, can evolve, and in this evolution the selection of ideas plays an important role . The principal factors involved in the selection of ideas must necessarily operate at two levels: that of the mind itself and that of performance." (4)

---

(1) (2)Robert Thomson' *The Psychology of Thinking* (England Hazell watson & Viney Ltd , 1977) , PP. 165- 177.

(3) L.Wittgenstein *The Blue Book* (Oxford Basil Blackwell & Mott 1958) PP.3-4.

(*) L.Wittgenstein is one of the founders (together with Moore and Ryle) of ordinary language philosophy.)

(4) Douglas R. Hofstadter *American Scientist/ Metamagical Themas* (New York, Scientific American, Inc. , 1983) P-14-

٣٨

is achieved. The reason for this is that "language disguises thought, so much so that from the outward form of the clothing it is impossible to infer the form of the thought beneath it because the outward form of the clothing is not designed to reveal the form of the body, but for entirely different purposes." (2) On the other hand structures are remembered not as strings of words with a certain syntactic form but as complexes of (Semantic Markers) or (semantic Components). Accordingly a structure like:

She is a spinster

might be characterized as having for its meaning(3):

o –Male
She is a +Human
o +Adult
–Married

With this linguistic faculty very few skills and drills could originate and develop. It is possible, therefore that language is a necessary condition for Acquiring and developing many skilld and drills which are necessary for the sophisticated types of thinking. Thus, ((the study of language is an integral part of the study of thinking.))(4)

---

(2) L. Wittgenstein *Tractatus Logico-Philosophicus*, in *Linguistic Philosophy*, by Jerrold J. Katz, (London, George Allen & Union Ltd, 1972) pp 9–10

(3) Ruth M. Kempson *Semantic Theory* (England Cambridge University Press, 1977, P–88.

(4) Robert Thomson, *The Psychology of Thinking*, (England, HazellWatson & Viney Ltd, 1977 P–165.

From the thinking opint of view, each structure carrie s with it a particular idea and when an individual imitates a structure we can assume that a given idea propagates itself from brain to brain via imitation

"A picture of verbal communication that cannot be far wrong is as follows: A speaker thinks a message he wants to get across to his hearer. He transforms this into a series of sounds which the hearer first hears then decodes into a message which he takes to be the one the speaker originally intended to transmit: (2)"

In fact it is not part of my aim in this paper to go through the operations involved in speech decoding neither do I want to go any further into the details of the study of communication . However, the most important thing we can know about a message as Wiener once expressed, is that "it makes sense". This (making sense) constrains the speaker at every moment and is invoked by the listener in receiving the message. The end result of the decoding of a spoken message is that the listener's brain arrives at the sentence which was generated in the speaker's brain. The recovery of the literal meaning of an utterance plays an important role in the eventual full interpretation of the intended message." The hearer cannot recover any structure unless he deeply understands it and the process of understanding is reached at after the semantic interpretation of that particular structure

---

(2) Deirdre wilson, *Introduction to Semantics* (1) , *Some Genl Remarks,* (University College London, Department of Phonetics and Linguistics, october 1977) P- 1.

(1) John Lyons, (ed.), *New Horizons in Linguistics / Speech Reception and Perception,* bu D.B. Fry, (Middlesex, Penguin Books Ltd, 1975) P-31.

lies the innate linguistic knowledge of one's language (linguistically called "Competence") which enables the native of a given communicative system to produce an infinite set of structures and intuitively understand other meaningful ones that have never been heard before.

In his article, The Production of Speech, John Laver argues tha "we still know very little about how the brain goes about constructing a neurolinguistic program, at the lexical morphological and syntactic levels." (1)

However, John Hosper, a professor of philosophy, claims that "when thoughts occur, neural processes are going on in the brain; indeed, it seems to be the case that thoughts never occur in the absence of neural prain processes; in other words, the neural brain- processes are a necessary condition for the occurence of thoughts." (2)

On the psychological level, the human mind undergoes different sorts of influence, and consciously or subconsciously the individual simultaneously adopts and drops some idea. The new idea being adopted (implicit in a message or in a statement) has the making of self- replicating. This self- replicating structure is subject to rules which must have psychological reality and lie in the mind of the user of the language.-

However, when a sentence is judged as acceptable, it is "the psychological judgement and not the linguistic one that makes it sound acceptable,, (1).

---

(1) John Lyons (ed.), *New horizons in Linguistics* (Middlesex- Penguin Books Ltd, 1975) P- 66. .

(2) John Hosper, *An Introduction to Philosophical Analysis* (England Prentice- Hall, Inc., 1978) P- 397.-

(1) Smith N. V. *Transformational Grammar* (*Lecture Notes*) (University College London, zoology Theater- A5. Tuesday, October 11 1977).

aspect of human life in society. Language, for ordinary–language philosophers, is "an extremel cmplicated form of social behaviour" (1).

On the other hand, it has been suggested that "man is most clearly distinguished from other animal species, not by the faculty of thought or intelligence, but by his capacity for language" (2).

Robert Thomson claims that tne greatest influence of language on thought is a matter of "social psychology". However, Noam Chomsky's view of man and thought is very different. Contrary to the Rationalists and Empiricists,(*) Chomsky belives that "beings are endowed with a number of specific faculties (to which we give the name"mind")which plays a crucial role in our acquisition of knowledge." (1) The human mind is a complex of elements within which

---

(1) Jerry A.Fodor/ Jerrold J.Katz, *The Structure Of Language–Readings in the Philosophy of Language* (U.S.A. New Jersey Prentice–Hall, Inc., 1964), P–1.

(2) John Lyons, *Chomsky* (Glasgow,William Collins Sons and Co Ltd] 1975), P–10.

(!) There has been a long - standing philosophical dispute between Rationalists and Empiricists . The difference between these two doctrines is that the rationalist claims that the mind (or "reason"- hence the term "rationalist ") is the sole source of human knowledge, whereas the empiricist claims that all knowladge derives from experience ("empiricism" comes from the Greek word for "experience") Empiricist doctrine holds that there is no radical difference between human beings and other animals.

(1) John Lyons, *Chomsky* (Glasgow, william collins sons and co Ltd 1975) P-97 .

of behaviour. One of the tests for finding out whether or not a sentence has communicated information from X to Y is any relevant modifications in Y's behaviour" (2).

To use Mowrer's own example:

Suppose X says to Y, "Tom is a thief": This produces a conditioning situation. Y now reacts to the name "Tom" in a different way than he did before. Part of the reactions to the concept "thief" became attached to this total response to the person called "Tom" (suspicion, mistrust). Once the sentence is acceptable as true or probable by Y, then Y's treatment of Tom changes. As Mowrer points out, this might be used as the basis of a simple syllogism:

Thieves cannot be trusted.

Tom is a thief.

Tom cannot be trusted.

This achieves a change in classification; Tom has hitherto been a member of the class of honest or trustworthy men. Now he is removed from this class and placed in the class of thieves. The statement "Tom is a thief" is self-replicating since it has managed to get into Y's memory store and stuck into his mind. The former conception of Tom in Y's mind has changed. Now a fresh idea implicit in the original stucture has shaped and substituted the former one. It is true to assume, then, that language and thought are related.

Sociologically speaking, man interacts with his language which is thought of as species-specific to man, an instrument of socialisation, a rule governed system and an essential component of his culture. Thus, language does interact with every

(2) Robert Thomson, *The Psychology of Thinking* (England, Hazell watson & viney Ltd. 1977). P-171.

In the Greek intellectual tradition Aristotle declared: " Speech is the representation of the mind". (On Interpretation).

However, the mechanism which governs speech must be very complex and delicate. Even when we know a great deal about an individual and the stimuli acting upon him, we cannot predict the impact of these stimuli upon one's conduct for human actions are part of cause–and–effect sequences.

language and Thought

Linguistics and psychology take a different point of view with respect to the investigation of language. It has always been maintained by Noam Chomsky (and some other linguists) that there are important connections between the two disciplines, and that linguistics can make an important contribution to the study of the human mind. On the other hand, even when assuming that "linguistics is a branch of psychology, rather than an independent discipline, this assumption does not necessarily mean that we turn from the investigation of language and be primarily concerned with the use of language or we turn from linguistic competence to linguistic performance" (1).

It is quite important indeed for any linguist to have some insight into the discipline of psychology, since the latter discipline and linguistics are closely interrelated, and the study of language is an integral part of the study of thinking.

In his paper "A psychologist looks at language", O.H. Mowrer suggests that" the sentence can often operate as a conditioning device, a means of changing a person's pattern ٣٤

---

(1) John Lyons, *Chomsky* (Glasgow, William Collins Sons and Co Ltd, 1975) P–86.

Structures with the particularity of self–replicating and the ability to propagate can be explained with the help of psycholinguistics since the mechanism of replication is engineered by the brain.

Unlike rumors which propagate within a given community or among some individuals during a particuIr circumstance and which are wiped out from the brain once they are cross–examined against evidence and facts, some idea can propagate and self–perpetuate since it can offer an answer to a deep problem, or it has an everlasting psychological impact on the individuals. Thus, this sort of ideas are able to discredit other non–significant ones which can be rumors, false ideas or a groundless allegation.

Therefore, truth and falsehood play a crucial role in the process of propagation and substantially affect the survivability of a particular structure. The susceptability of some idea is due to its falsehood, thus, unable to resist or compete true and significant (as the contradictory of nonsensical) statements (embodying some idea). By the end, the human mind drops the false ones and only the "fit" survive and dwell in the " long term" memory store.

The effects of language are, thus, remarkable on human conduct and reasoning. "Language interacts with every other aspect of human life in society" (1). Henry Sweet stated: " Language is the expression of ideas by means of speech–sounds combined into words. Words are combined into sentences, this combination answering to that of ideas into thoughts"(2).

---

(1) *Encyclopaedia Britannica, Macropaedia* (Encyclopaedia Britannica Inc. 1975) volume 10, P:642.

(2) ibidem.

"LANGUAGE AND SELF–REPLICATING STRUCTURES"

"Language is not only necessary for the formulation of thought but is part of the thinking process itself. We can not get outside language to reach thought, nor outside thought to reach language."

Dwight Bolinger
"Aspects of Language"

BY
Hussein Fadel Ra'of.
University of Mustansiriyah

Introduction

Contrary to other structures in a given natural language which the finite set of syntactic rules can generate an infinite number of them, the type of structures dealt with in this paper, cannot be accounted for in terms of the laws of syntax. The present paper does not touch upon the ways of how such structures are generated, but rather on how they propagate within a particular human community; how particular ideas (implicit in a given structure) compete with other ideas, and how they manage to survive after being retained in long–term memory store,gain sway,and eventually be accepted by individuals or .human group.

The factors which control the process of propagation and survivability of ideas will also be accounted for here. These factors vary from social to psychological ones.

(28) VI (November, 1840), 762.

(29) Ibid.

(30) Ibid.

(31) See 'The Noblest Man' and 'Arab Hospitality', in William R. Alger, *The Poetry of the East* (Boston, 1856), pp. 174, 239–40.

(32) XXVI (April, 1858), 310.

(33) Ibid.

(32) *The Complete Writings of James Russell Lowell, Elmwood* edition, 16 vols (London, 1894), XII, 246.

(35) Ibid., p. 247.

(36) Ibid.

(37) *The writings of Benjamin Franklin*, edited by Albert H. Smith, 10 vols (New York, 1905–1907), IV, 302–03.

(38) Unpublished Manuscript entitled 'The Arabs' in the possession of the author., pp. 9–10.

(39) *Lippincott's Magazine, XV* (April, 4875), 491.

(40) *The Poems of Thomas Bailey Aldrich* (Bston, 8 82) , p.19

(41) A Vase by Mrs C. A. Plimpton, dated 1881, was exhibited at the Chicago Fair in 1893, where it attracted considrable attention. The Vase–with imitation of Arabic calligraphy (Kufic script) and arabesque on one side and a scene of an Arabian city and a man on a camel on the other side–was considered Mrs Plimpton's most important creation.

(42) *The Collected Works of Walt Whitman*, edited by Gay Wilson Allen and Sculley Bradley, *Leaves of Grass*, edited by Harold W. Blodgett and Scilley Bradley (New York, 1965), p. 145.

(4) *The Complete Works of Ralph Waldo Emerson*, Centenary Edition, edited by Edward waldo Emerson, 12 vols (Boston and New York, 1903–04), I, 255.

(5) Ibid.

(6) Ibid., p. 249.

(7) Ibid., p. 250.

(8) Ibid., p. 251.

(9) I (April, 1833), 246.

(10) VII (October, 1841), 732.

(11) Ibid., pp. 732–33.

(12) See 'Our Bivouac at Senas', *Sartain's Magazine*, III (December, 1848), 185–89 (p. 189).

(13) XLII (March, 1853), 316–23.

(14) XI (June, 1873), 621–35.

(15) VI (November, 1840), 761.

(16) VIII (January, 1842), 49.

(17) Works, I, 251.

(18) LX (August, 1862), q09.

(19) Ibid.

(20) Ibid., p. 110.

(21) *The Complete Works of Washington Iruing*, Twayne edition, *Mahomet and His Successors*, edited by Henry A. Pochmann and E.N. Fetskog (Boston, 1970), p. 263.

(22) *The Writings of Henry Wadsworth Laogfellaw*, Riverside edition, 12 vols (London, 1886), V, 114.

'23) Ibid., p. 116.

(24) Ibid., VIII, 352–53.

(25) *Outdoor Studies: Poems* (Cambridge, [Mass]., 1900), pp. 375.

(26) I (June, 1850), 99.

(27) II, new series (June, 1812), 63.

I see the Turk smoking in Allepo,
I see the picturesque crowds at the fairs of
Khiva and those of Herat,
I see Tehran, I see Muscat and Medina and the
intervening sands, I see the caravans toiling onwards
I see Egypt and the Egyptians, I see the pyramids and
obelisks...
I see at Memphis mummy- pits containing mummies
embalm'd, swathed in linen cloth,lying there many
centuries
I look on the fall'n Theban, the large- ball'd eyes, the
side- drooping neck, the hands folded across the br-
east. (42).

This kind of cosmic vision Which whitman attains in 'salut Au Monde!' must represent a high point in the treatment of the Near East by American poets. The passage is typical in many ways of countless other compositions in which the American poet (and for that matter the American politician) surveys from his 'vantage point' in the 'New' world the landmarks, ruins, cultures, peoples, and problems of the 'Ancient world . He conducts his survey in a generally detached manner despite the emotional tone which, nevertheless, remains a thing of the surface. At the end of the day only a tenuous bridge is established and the American (or politician) remains entrenched in his native soil. He 'hears' and (sees) only what he wants to hear and see!

(1) II (November, 1833), 383–91 (p. 383).

(2) David H. Finnie, *Pioneers Ease* (Cambridge, Mass., 1967) p. 2.

(3) XVII (January, 1824)] 104–40 (pp. 106–07).

V٤٠

best seen not in ioslation but as part of a tradition which extends from the late eighteenth century through the nineteenth to the present, namely, the American search for an identity and role in the modern world. Poets, one must assume, are never secluded from the political, social and cultural concerns of their nations. The Near East after all was a 'hot' issue of the day and literature could not but reflect the current, concern. Perhaps the awareness on the part of the American poets that their European mentors were speaking with more 'authenticity' about the Near East, due to the Europeans's own contacts and brushes with that area, motivated those Americans to search Eastward for the direct experience, in other words, to search for the 'authentic' voice in their literary expression.

Of course, the Near East was a passing vogue which never took lasting roots in American poetry, but it certainly helped to enrich and diversify it. Moreover, one cannot dismiss the closeness of that experience to the American psyche since important features of that experience survived and surfaced during several later episodes in American history. Thus the approach to the Near East which was historically early and formative to both politicians and poets in America was later adopted in confrontations- or at least encounters- between America and other foreign states and cultures. One may assume therefore, that this early interest (or contact) helped establish a pattern in American politics and letters. This pattern is probably best expressed in whitman's *Leaves of Grass* which has various Near Eastern references and images in many passages. in 'salut Au Mondal, for example, whitman 'thinks' he is so much in tun with the Near East that he can 'hear' the 'Arab muezzin calling from the top of the mosque., and even asserts :

And while thou eatest, Mejid, there,
Shall bathe the heated nostrils of thy mare (40 .

This American interest in the Arab- Islamic Near East which reached a peak by the middle of the nineteenth century was shared by Americans as diverse as poets and politicians, merchants and missionaries, architects and musicians, as well as furniture and pottery designers. From poetry to pottery, Arab- Islamic motifs were in the ascendant, at times supplanting. (41) To many East seemed to provide a crisis, as well as a resolution, a dream as well as a field of operation. one may also note that although American poets and writers were steadily showing different individualistic approaches (at times combining to form a collective, American approach') to the Near East, the tendency was essentially an expression of earlier and contemporary European trends.

Indeed America was never far from Europe. The traumatic experience of the war of Independence, which could have led to isolationism, was paradoxically subdued (among other things) by the more traumatic turmoil of the Civil war, which pointed out to the Americans in an excessively tragic and violent manner that not all ills came from abroad. But with an increased sense of self- awareness and confidence came a 'mature' acknowledgement of religious as well as cultural indebtedness to the older continent arcoss the Atlantic. Hence, literary and other fashions which sprang in Europe were destined to be nourished and sustained in the New world. Ideas expressed by Rousseau, Goethe, Gibbon, Carlyle, wordsworth and others, swept an America ever eager to assert its cultural lineage. ٤٢

Therefore, the above poetical compositions (in addition to others which treat Near Eastern themes and subjects) are

them brought into spin, and there long sacredly obe-
served. (37)·

In 1854 Bayard Taylor also emphasized the same code with great respect and admiration:

> The other custom is the nobler one of Dakheel,
> Or protection, whereby an Arab, when in danger,
> can claim the shelter, and assistance of a tribe
> hostile to his own. More than this, a stranger, -
> Who has eaten bread and salt with a friendly tribe,-
> can give protection to an enemy of that tribe....
> female influence is recognized and honored , for a-
> woman can extend protection to a number of men,or
> even tents. The law of protection is held in
> much reverence, and violation of it, by a
> single individual, brings an indelible disgrace
> upon himself, his family and his tribe (38)

In 'Monsoor Pacha, the poet George H. Boker also pays tribute to this code which he found (as a diplomat) extant in the area:

> Monsoor, my host: lo, I enter your tent,
> As brother by brother, hands clasping, is led:
> sleep like a child in a dream Heaven- sent;
> For have I not eaten the salt and the bread?
> And Monsoor will answer for me with his head(39).

Aldrich's The sheikh's welcome' also highlights the code of hospitality with which the American poet is obviously trying to identify himself:

> BECAUSE, thou com'st, a weary guest,
> Unto my tent. I bid thee rest.
> This cruse of oil, this skin of wine,
> These tamarinds and dates are thine;

'Yussoif' is based on accounts in the Arab traditions. A stranger calls on Yussouf's tent for shelter and protection:

This tent is mine, 'said Yussouf, but no more
Than it is God's; come in, and be at peace;
Freely shalt thou partake of all my store
As I of His who buildeth over these
Our tents his glorious roof of night and day,
And at whose door none ever heard Nay. (34)

Yussouf entertains his guest that night, and supplies him with his 'swiftest horse' and gold for his flight. The stranger is overcome by this hospitality:

O sheik I cannot leave thee so;
I will repay thee; all this thou has done
Unto that Ibrahim who slew thy son:35))

But Yussouf, bound by the code asks Ibrahim to take 'thrice the gold'

With thee
Into the desert, never to return,
My one black thought shall ride away from me.(36).

Along with the code of generosity and hospitality this concomitant code of protection has already been admired greatly by Benjamin Franklin as early as 1764. Franklin wrote :

One Article I cannot omit concerning their
Laws of Hospitality, which is, if their greatest
Enemy comes under their Roof for Protection, the
Landlord, of what Condition soever, is obliged
to keep him safe, from all Manner of Harm or
Violence, during his Abode with him, and even to
conduct him safely through his Territories to a
Place of security .From the saracens this same
Custom obtained among the Moors of Africa; was by

And heard a sole traveller's foot, with such
sharpness I hearkened...
I thrust my good sword in its sheath waved a
brand brightly burning.
To show that a sheltering roof for a guest
was here yearning. (31)

'Nabec: An Arabian Legend' in the *Southern Literary Messenger* (1858) also emphasizes this spirit of generosity among the Abrabs. The poem, based on a famus story in M. de Lamartine's *Voyage en Orient,* also appears in many Arabic sources. When Nabec refuses to sell his noble horse for any price, the envious Daher resorts to strategem to get possession of the prized stallion. Disguised as a beggar he entreats Nabec, who is riding, to come to his help. Nabec generously extends his offer:

Come share my tent, and pipe, and bread. (32)

But Daher pretends weakness, and as Nabec dismounts to lift him up, he jumps on the horse and disappears. Later, Nabec manages to catch up with Daher and pleads:

Allah is just! His will be done!
May thy tent be pitched in calm and sun
But tell no man the prize was won.

Astonished, Daher wants to know the reason:

Lest the deep baseness of thy deed
Should turn him away from the
suppliant's need
And suffering worth unsolaced plead! (33)

Nabec's generosity and his desire to keep the tradition of hospitality unsullied by any act of treachery fills Daher with sorrow and remorse. He gives back the horse and establishes a lasting riendship with Nabec. Likewise, James R. Lowell's

CODE OF HOSPITALITY AND PROTECTION

Another theme which captivated both poet and reader during the period under discussion was that of hospitality and liberality . The *Polyanthos* (1812) printed 'Hospitality', which emphasizes this Arabian tradition, considering it an essential bond among men, one which destroys barriers and helps to mitigate human selfishness. The poet asks people, those perhaps with hardened souls who 'ne'er felt Pity's kind control', to turn their 'tearless' eyes,

> And view Arabia's desert plains,
> Where pure unfetter'd Nature reigns;
> 'Mid sultry wastes and deserts drear,
> The sand reflects affcetion's tear;
> And all the soulJ from fetters free,
> Dissolves in HOSPITALITY. (27)

The *Southern Literary Messenger* gave in 1840 an account of Hatem Tai, (28) the chief exponent of the tradition of generosity in ancient Arabia.It noted that Hatem's acts were deeds of 'the most unbounded liberality'. (29) Below are lines from one of Hatem's poems which was quoted in the magazine

> How frail are riches and their joys!
> Morn builds the heap which eve destroys;
> Yet can they leave one sure delight–
> The thought that we've employed them right.(30)

William W. Alger's *The Poetry of the East* (1856) included two Poems on this subject. One presents Hatem Tai as one who'in generosity' remains 'the first of all', and another which again highlights the tradition as a whole:

> So I in the door of my house stood, as night
> round me darkened.

of Tennyson and Taylor–is an imitation of the Arabic *Taril* which Lyall explains with examples .

In 'The Circassian Priest – warrior and His white Horse' by J.F.C., which appeared in *Harper's Magazine* in 1850, the opposing forces are the Muslim–Circaesstiens hand Christian–Muscovites. The former are presented as forces of courage and nobility, and it is significant that in the course of battle the supernatural powers are on their side against superior and more technologically advanced troops. The Muslim leader impressed the enemy with his superhuman ability, in the saddle of his white horse, to confront a barrage of cannon fire, eventually winning the cheers of his bewildered enemies, and the battle:

> But the smoke and sulphur clearing
> Down the mountain's side, unfearing
> Phantom–like gilded horse and man,
> As though they had no danger ran .
> 'Hurrah! hurrah!' the soldiers cheer,
> And clap their hands in wild delight.
> Circassia's Priest, who scorn'd to fear,
> Bears the applause of Muscovite...
> The eyes profane that yester glared,
> Hung'ring for that sacred life,
> Were quench'd in yester's fatal strife,
> And void of meaning stared.
> No lip could mock–no Russian ear
> Thanksgiving unto Allah hear,
> 'To Allah, the deliverer! (26)

Reyhan the Arab held his breath
While this vision of life and death
Passed above him. 'Allahu".
Cried he. 'In all Koordistan
Lives there not so brave a man
As this Robber Kurroglou."(23)

Longfellow's other peom 'The Siege of kazan', (24) which was presented as a translation from ' Eastern sources', is also a story of adventure, at the centre of which stands Prince Battyr – Shorah, who went to the aid of kazan which was besieged by the Russians in A.D.1552. However, before he gets there, he and his brave warriors are tragically drowned in the marshes the city.

Thomas W. Higginson's ' Rabiah's Defence' portrays one of the heroes in the saga of Antara. Rabi'ah, the young warrior, shares the now familiar attributes of courage, self – effacement and nobility. The only remaining man in the tribe, Rabi ah falls in battle while he was bravely and fiercely defending the women and children:

Then up rode a man of Sulaim, struck Rabiah
hard with his spear,
Saying, 'Thou Pride of God, thou alone of
mortals wast brave.
Never a man of our tribe but would for his
woman die;
Never before lived one who guarded them yet,
though dead!'. (25)

Higginson's source for the tradition of Rabi'ah, as he admits, is Charles J. Lyall's book on Arabic poetry: *Translations of Ancient Arabian Poetry, Chiefly Pre-Islamic, with an Introduction and Notes* (1882). The measure he uses–in the tradition

۶۸

> the wife of Aban, smote him in the eye. He
> staggered with the wound, but his men,
> abandoning the contested standard, rushed to
> his support, and bore him off to the city. (21)

The heroic act, whether by a man or a woman, must have represented to the Romantic consciousness an essential stance, a battle cry against the forces of destruction and dehumanization. The hero,in this way was a representative of the race and of its (and probably the poet's) aspirations. Henry *Longfellow's Keramos and other Poems* (1878) includes another Near–Eastern story of adventure and courage, 'The Leap of Roushan Bag'. The poem recalls an episode in the life story of kurroglou, and the miraculous leap of his extraordinary horse which saved his life. The hero, kurroglou, is a Turkman who lived during the second half of the seventeenth century. He became famous by plundering the caravans on the main commercial road between Persia and Turkey. The tribes of the area 'carefully preserve' his poetry and deeds. For them he stands as a 'model warrior' and a 'national bard'. In this episode kurroglou, or Roushan Beg, is being chased by enemies in a territory unknown to him–a motif which many years later seemed to fascinate Hollywood and recur in its western and adventure films:

> Seven hundered and fourscore
> Men at arms his livery wore,
> Did his bidding night and day.
> Now, through regions all unknown,
> He was wandering, lost, alone,
> Seeking without guide his way. (22)

However, through his endurance, courage, and the boldness of his horse, kurroglou manages to makea daring leap over a cliff which saves his life and astonishes his enemies:

turban, and continued in the field, but being overcome by the venom, was conveyed to the camp. He had but recently been married to a beautiful woman of the intrepid race of the Himiar; one of those Amazons accustomed to use the bow and arrow, and to mingle in warfare. Hearing that her husband was wounded, she hastened to his tent, but before she could reach it he had expiried. She uttered no lamentation, nor shed a tear, but, bending over the body, 'Happy art thou, oh my beloved', said she, 'for thou art with Allah, who joined us but to part us from each other. But I will avenge thy death, and then seek to join thee in paradise. Henceforth shall no man touch me more, for I dedicate myself to God!' Then grasping her husband's bow and arrows. she

hastened to the field in quest of Thomas, who, she had been told, was the slayer of her husband. Pressing toward the place where he was fighting, she let fly a shaft, which wounded his standard-bearer in the hand. The standard fell, and was borne off by the Moslems. Thomas pursued it, laying about him furiously, and calling upon his men to rescue their banner. It was shifed from hand to hand until it came into that of Serjabil. Thomas assailed him with his scimeter: Serjabil threw the standard among his troops and cloyed with him. ۷۵،
They fought with equal ardor, but Thomas was gaining the advantage, when an arrow, shot by

As she manages to inflict a mortal wound on Thomas, the Christian army retreats into the city:

Without a tear or murmur
The widow of ABAN rose,
And with her husband's weapons
Fell on her husband's foes.
First of the rank of Islam,
The widow of ABAN fought,
And, fast by the side of kaled
The Christian archer sought.
Her first Shaft pierced LAERTES' hand,
And pinned it to the wood;
The second struck the archer's eye,
And blinded him with blood...
Broke from the pallid town.
A shout of joy from Islam
Burst on the mountains high,
And up the side of Hermon,
And rolled along the sky.(20)

The poem's immediate source is most certainly Irving's *Mahomet and his successors* (1849–1850). All the events are drawn from Irving's account wrich is concise but highly evocative:

> Thomas led his troops bravely to the encounter, and the conflict was fierce and bloody. He was a dexterous archer, and singled out the most conspicuous of the Moslems, who fell one after another beneath his shafts. Among others he wounded Aban Ibn Zeid with an arrow tipped with poison. The latter bound up the wound with his

the Muslim-woman-fighter. In 'Man the Reformer' he asserted that these women 'fought like men, and conquered the Roman men.'(17)The *Knickerbocker* poem also treats this theme, drawing on historical details:

Then came the Wife of ABAN;
For, with their lords, afar,
Of old, the Arab women
Went to the holy war.
For they could draw the bow-string,
And they could wield the lance,
And they could rein the charger
And they were brave and gentle,
And the sweet love of woman
Chastened the warrior's life. (18)

During the battle, Aban, the great archer of the Muslims is killed by Thomas, the commander of the Roman army. Aban's wife, however, supported by her unwavering belief in Allah, as well as the martyrdom of her husband, does not betray any weakness at his death, somewhat symbolizing the eternal female who must go on preserving the race:

Down sat the wife of ABAN
By her dead husband's side,
Unmindful that her garments
With his heart's blood were dyed.
No groan nor sigh escaped her'
No tear for ABAN dead,
As there, before both armies,(19)
She held his lifeless head,

Without a tear or murmur, she carries her husband's weapons and rejoins the battle, taking his place bedide Khalid, the Muslim commander, and seeking the chief Roman foe

'Through the Metidja to Abd-el-Kadr' (1842). Bayard Taylor, the nineteenth-century American poet, traveller, and diplomat also referred with approval to Abd-el-Kader's men.(12)*Graham's Magazine* printed in 1853 a translated artical from the French on this Algerian leader,(13)and *Lippincott's Magazine* referred in 1873 to his struggle and character giving illiustrations of Abd-el-Kader addressing his men. (14)

Several articles on Arabic literature published in the *Southern Literary Messenger* between 1840-1842 included translated specimens of the *Mu'allaqat* as well *Alhamasa*, as anthology of martial verse compiled by the ninth century Arab poet Abu Teman:

The foe advanced: ——in firm array——
We rushed o'er Sabla's sands,
And the red sabre marked our way
Amidst their broken bands.
Then as they writhed in death's coldgrasp,
We cried 'Our *choice* is made.
These *hands* the sabre's hilt shall clasp,
Your hearts shall have the blade.'(15)

Then from the *mu'allaqa* of Antara:

When my tribe 'gainst the spears of the
foemen has made
A shield of my breast, I was never afraid,
With no friend by my side, but my own shining blade.

'The Wife of Aban' was printed in the *Knickerbocker* (1862). Although one of the themes of this long poem is the Muslim-Christian military conflict, it also emphasizes the heroism and courage of Muslim women and the important part they used to play in *jihad* and wars. Emerson, who cited many examples of Arab-Islamic heroism was fascinated by the image of

Then, on for the crescent, rush, Ottomans, on,
At the tambour's shrill sound all ye faithful awake!9

Another contemporary Muslim leader became the focus of American (and Western) admiration. 'To Abd-El-Kader', in the *Southern Literary Messenger* (1841)J is addressed to the Algerian leader and hero who led the struggle against the French between 1832-47:

Well done, my gallant Arab chief!
Lord of a steed and lance,
Lead on your desert-born, and brief
Must be the sway of France;
Teach her, that Afric's burning sands
Are ruled alone by flashing bands! (10)

Moreover, the poem has a political tinge, and conveys a strong, perhaps surprising, support for the Algerian cause against the French:

But *France* hath tried your Arab steel
The day an honor'd one,
That saw her beaten cohorts reel
Beneath old Acre's gun:
And ye who clipt Napoleon's wings
Need hardly fear her Philip's stings .
Fight on! ye have the sympathies
Of all the good and brave;
Fight on! till every sandrift lies
Above a Frenchman's grave;
Fight on ! ——I cannot ask you more——
While one remains to bide the blow!(11)

The reputation of the fearless and magnanimous Algerian patriot was widespread in Amerivca as it was of course in Engajnd, where Robert Browning wrote his dramatic monologue

what a house of cards their institutions are, and ... what one brave man, one great thought executed might effect.'(7) Here, too, his example comes from Arab-Islamic history:

> The victories of the Arabs after Mahomet, who, in a few years, from small and mean beginning established a larger empire than that of Rome, is an example ... The naked Derar, horsed on an idea, was found an overmatch for a troop of Roman cavalry. They were miserably equipped, miserably fed. They were Temperance troops. There was neither brandy nor flesh needed to feed them. They conquered Asia, and Africa, and Spain, on barley. The Caliph Omar's walking stick struck more terror into those who saw it, than another man's sword.8

In several other places Emerson referred with admiration to the heroism of Imam Ali Ibn-Abi -Talib, Salahuldin, and Abd-el-Kader.

The same themes and interests were reflected in the poetry of the period. Although traditional and historical Arab heroism was highlighted in several poetical works, contemporary heroes also furnished the theme and subject of many poems. The Egyptian Ibrahim Pasha, was (together with his father Muhammad Ali) a focus of attention in several works in the magazines of the century . 'Warison of the Vizier' by 'Sadala', which appeared in the first volume of the *Knickerbocker* (1833) celebrates this Egyptian hero and his victory in the battle of Konia. The *Knickerbocker* noted that Ibrahim Pasha was 'one of the bravest of his nation-furious in war, and enlightened in peace' and that his victory 'shook' the Ottoman Empire, to the extent the Turks desperately urged their men to fight before the Pasha could mange to reach Constantinople:

> Fruitful as this age has been of extraordinary men, the individual of whom we propose to give an account is one of the most remarkable, which it has produced ... In this state of things, to rise like Ali Pasha, from an humble station in society, to a power far greater than that of several heads in Europe, and to acquire and maintain this power by a series of successful enterprises for more than sixty years, without any particularly favorable external circumstances, and by the sole energy of character and fertility of personal resources, argues a truly great man. 3

Ralph Waldo Emerson, in his essays, 'Courage', 'Heroism' 'Man the Reformer', and 'Representative Men', emphasized these traits and made extensive use of Arab-Is lamic concepts, characters, themes, and incidents in illustrating his concept of 'heroism' and the 'representative man'. He felt that his hero 'should not be a subject of irregular and interrupted impulses of virtues', but rather a 'continent, persisting, immovable person', one who should possess 'great prospective prudence'. An illustration was derived from Arabic poetry. Emerson noted: 'An Arabian poet describes his hero by saying:

Sunshine was he
In the winter day,
And in the midsummer
Coolness and shade. '5

Elsewhere, Emerson denounced the Americans' lack of' Faith and Hope', as well as their dependence on 'the power of the dollar'.(6) Echoing sentiments in Carlyle's *Past and Present* he exclaimed : 'how paltry this generation of unbelievers, and

pect, other partly so, and in others only traces of Near – Eastern elements could be found. Moreover, there are poems that have only suggestive Near– Eastern titles and contain a very slight Near–Eastern colouring–if any. The Near East, there fore, in nineteenth – century American poetry could be found in words, phrases, passages, a poem or a group or collection of poems . New ideas, new images, and new words were used and introduced into the poetic language of the period. American poets enlarged the scope of their diction by the addition of Near–Eastern words, phrases, and traditinal personal and geographical names. The following part of this paper will attempt to discuss two Arab–Islamic themes treated by nineteenth –century America poets. However, the themes these poets tackled were as varied as Beauty, Near–Eastern poets, Heroism and Adventure, Horse and Rider, Code of Hospitality and Protection, Muslim – Christian Conflict, Relgion, Divine, Justice, Past Empires and Time, Contemporary Near East, the Caliph Harun Al–Rashid, Life and Death, and Humor.

HEROISM AND ADVENTURE :

Earlier Amercain experiences of the frontier and later struggles during the Revolution and the wars with England made Americans much interested in and fascinated by heroes, explorers, generals and prophets. The public enjoyed hearing and reading about such themes and the writers readily catered for the demand. The Near East with its reservoir of factual (as well as legendary) heroes, conquerors and representative men provided a rich source for the American imagination. A long review of a book on Muhammad Ali Pasha in the *North American Review* (1824), for example, was prefaced with the following editorial comment:

ntially nonpolitical Americans to the Middle East; missionaries, of course, but also merchants, engineers, inventors, promoters, and artisans; scientists, scholars. and literary figures philanthropists, adventurers, tourists, and eccentrics; naval officers and sailors; and even a farmer or two'(2).

Perhaps it matters little whether poets saw the East as strictly a dreamland or a land of reality. Poetic creation demands (besides discipline) both perception and imagination, and the control and interplay of these factors determine the success of the poem as a work of art, though such a poem may not as a role be in conflict with outside reality.

Translations of Near–Eastern poetry and pseudo–oriental verse from both England and America were soon to be enriched by original works of American poets, whose contributions increased substantially during the second quarter of the century. The story of such poetical production is long and complicated . It includes the participation of a large number of major and minor poets, the composition of many anonymous works, and the use of a variety of themes and motifs, with the concurrent references to a substantial number of sources. Almost every American poet of the first half of the century produced at least one poem dealing with the Near East. However, it seems that the rapidly expanding magazines and the need for an increasing number of such poems tempted editors to reprint freely from British magazines or books, though gradually such borrowings dwindled after the first quarter.

Factors ranging from the religious to the imperialistic and the aesthetical inspired the choice of theme and subject matter. And, in addition to translating poetry or adapting Near–Eastern prose material, poets used Near–Esastern words as well. There are poems entirely Near –Eastern in every as-

zines noticed with astonishment in the 1850's how greatly the interest of the public has been directed to the area. Furthermore, an examination of nineteenth – century American magazines clearly shows that the Near East was a 'literary force' in New York, Boston and Philadelphia, as well as in a numebr of other places. Leading as well as minor magazines published original (as well as translated) tale, poems, essays, articles, and reviews, which deal with the Near East. Moreover, a substantial amount of the material on the Near East in these magazines was embellished with illustrations sometimes reproduced from the works of well – known American and European artists. In several particular cases there were at least twennty such exotic (and certainly evocative) illustrations in a single article. Poems with Near–Eastern subject– matter were often illustrated as well. As these illustrations show much care was given to the presentation of Near–Eastern material with view of either enriching the exotic aspects of the material, or in bringing it home to the American reader by connecting it with images and symbols he could identify with.

However, by the time of the arrival of the first Americans in the Near East, many Europeans, ranging from Chateaubriand to Harriet Martineau, had already been in the area and had left records of their impressions. Certainly it was inevitable that the works of earlier European travellers in the Near East (particularly English and German) would influence and contribute to the American respones to the area. Nevertheless, a glance at the list of American visitors during the early and mid – nineteenth century will clearly show that many were far from following a romantic, escapist whim; their motives were complex and varied. The first half of the nineteenth century saw–as D.H.Finnie notes–a 'constant procession of esse-

ARAB-ISLAMIC THEMES IN NINETEENTH-CENTURY AMERICAN POETRY: HEROISM AND ADVENTURE, HOSPITALITY AND PROTECTION.

DR. A. S. AL-SHAIKH-ALI
University of Manchester

Interest in the outside world was a prominent feature of nineteenth–century America, and despite calls for isolationism in the wake of the War of Independence an increasing number of nineteenth-century Americans travelled abroad, first to Europe, then to the Near East and Africa, and later to the Far East. The *American Quarterly* observed in 1829 that 'authorship and travelling are all the fashion'. Nevertheless, it is still somewhat surprising to discover the full extent and intensity of the American response to the appeal (or lure) of the Near East which reached a high point by the middle of the century. Many major and minor American writers and poets had by then produced works based on Near–Eastern themes for an enthusiastic and receptive public. The *Knickerbocker* in an 1833 introductory note to a review of a 'new' American book on Turkey called for an original conception of the Near East, emphasizing: 'We have long derived our notions from Europeans, and the knowledge of Turkey possessed by Europe for centuries, has amounted to little else than profoundest ignorance.' (1) The American Oriental Society was formed in 1842 and its Journal came out in 1843. Many journals and maga-

Al-Mustansiriya Literary Review

Published by the College of Arts

Al-Mustansiriyah University

VOL.13

1986

CONTENTS